شرح رياض الصالحين

المسمى

دليل الفالحين

لطرق رياض الصالحين

تأليف

الشيخ العلامة محمد على بن محمد بن ابراهيم بن علان الصديقى الشافعى المكى

٩٩٦ - ١٠٥٧ هـ

بتحقيق

محمد حامد الفقى

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية ومن علماء الأزهر الشريف

الجزء الأول

على نفقة

محمود توفيق

الكتبى بشارع جوهر القائد (السكة الجديدة سابقاً)

مطبعة حجازى بالقاهرة

تليفون ٥٥٤٨٠

١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة

الحمد لله الذى جعل ذكره رياض الصالحين ، ومناجاته غذاء أرواح الفالحين ، والخضوع بين يديه والتضرع إليه عزَّ العارفين ، والتخلق بالأخلاق المحمودية والأخلاق النبوية شأن العالمين العاملين * أحمده سبحانه على نعمه ، وأسأله المزيد من فضله وكرمه * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُبلِّغ القاصد من فضله سؤله وأمله . وتُنيله من بحر جوده ما قصده وأمَّله ، ويعطيه بها من أنوار العرفان ما أشرق به قلبه ونوَّره وكمله * وأشهد أن سيدنا ونبينا ووسيلتنا إلى ربنا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، وصفيه وحبيبه وخليله ، المؤيد بأنواع المعجزات الباهرة ، المكرم بالمكرمات الباطنة والظاهرة ، الذى لا تحصى نعوته الشريفة ومناقبه . ولا تعد ولا تحصر آياته المنيفة ومواهبه

فإن فضل رسول الله ليس له حدٌّ فيُعرِبَ عنه ناطق بفمِ

صلى الله وسلم عليه وزاده فضلا وشرفاً لديه . وعلى آله وأصحابه ، وأتباعه ووارثيه العلماء العاملين وأحزابه ، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين دائبين بدوام ملك الله تعالى وإمداده ، عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، كلما ذكره ذاكر ، وغفل عن ذكره غافل . أداءً لبعض حقوق سيد عباده . آمين

وبعد فيقول العبد الفقير إلى عفو الله تعالى ، الراجى كرمه سبحانه وتعالى محمد على بن محمد بن ابراهيم بن علان ، الصديقى الشافعى : هذا ما دعت إليه الحاجة : من وضع تعليق لطيف ، على نهج منيف ، على كتاب (رياض الصالحين) تأليف شيخ الاسلام ، علم الأئمة الأعلام ، أوحد العلماء العاملين ، والأولياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الصالحين ، عين المحققين ، وملاذ الفقهاء والمحدثين ، وشيخ الحفاظ ، وإمام أرباب الضبط المتقنين ، شيخ الاسلام والمسلمين ، الشيخ أبى زكريا يحيى ، محى الدين بن شرف النووى الشافعى ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه بحبوح جنته ، وأعاد علىّ وعلى المسلمين من بركته ، لما أنه قد جمع مايحتاج إليه السالك فى سائر الأحوال ، واشتمل على ماينبغى التخلق به من الأخلاق ، والتمسك به من الأقوال والأفعال . مغترفاً له من عباب الكتاب [١] والسنة النبوية ، ناقلا لتلك الجواهر من تلك المعادن السنِيَّة ، ولم أقف على كتابة عليه ، تكون كالدليل للسالك إليه ، فاستخرت الله تعالى بالروضة الشريفة النبوية ، عند سيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، وإمام الخلائق أجمعين . صلى الله وسلم عليه ، وزاده فضلا وشرفاً لديه ، فى وضع هذا التعليق عليه ، ليكون كالرامز إليه . والمسئول من الله سبحانه : أن يعين على إتمامه . والسداد فى تحرير أحكامه ، وأن يجعله مصوناً من الخطأ والخطل ، محفوظاً من الزيغ والزلل ، وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم ، ذخيرة معدة عند سيدنا ونبينا وشفيعنا سيد المرسلين ، عليه أفضل الصلاة والتسليم . والله المعين . وبه أستعين ، وسميته :

(دليل الفالحين ، لطرق رياض الصالحين)

قال المصنف رحمه الله تعالى :

(بسم الله الرحمن الرحيم) أى أؤلف . «والاسم» مأخوذ من السمو وهو العلو و« الله » علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد . و « الرحمن الرحيم » وصفان [٢] بنيتا للمبالغة ، من « رحم » كعلم . بعد نقله إلى باب فَعُلَ ، كشَرُفَ ، أو

---

(١) فى نسخة « من عباب السنة النبوية » (٢) فى نسخة « صفتان »

الحمدُ لله

تنزيله منزلة اللازم . والمراد من الرحمة فى حقه تعالى — لاستحالة قيام حقيقتها به : من الميل النفسانى — : غايتها ، وهو إرادة الإحسان والتفضل . أو نفس الاحسان ، مجازاً مرسلا . من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم [١] . فعلى الأول تكون صفة ذات ، وعلى الثانى تكون صفة فعل * (الحمد لله) الحمد اللفظى ، لغة : الثناء باللسان على الجميل الاختيارى ، على جهة التعظيم . وعرفا : فعل ينبىء عن تعظيم المنعم ، لكونه منعما على الحامد أو غيره . فبينهما عموم وخصوص وجهى .

وجملة « الحمد لله » خبرية لفظا ، إنشائية معنى ، وقيل : خبرية لفظا ومعنى ، وقيل : يجوز أن تكون موضوعة شرعا لانشاء الحمد ، وهى مفيدة لاختصاصه بالله تعالى ، سواء أجعلت «أل» فيه للاستغراق ، كما عليه الجمهور ، أم للجنس ، كما عليه الزمخشرى ، أم للعهد ، كما أجازه بعضهم ، واللام فى « لله » للاختصاص * وبدأ بالبسملة . ثم بالحمدلة : اقتداء بالكتاب العزيز ، وعملا بمقتضى خبر « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم – وفى رواية بالحمد لله – فهو أبتر » [٢] وإشارة إلى أنه لا تعارض بين الابتداءين . إذ الابتداء حقيقى .

---

(١) لا حاجة إلى هذا التأويل . فان صفات الله تعالى كلها على حقيقتها التى تليق بذات الله العلية ، الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير . وإنما يحاول هذا التأويل من يحاول فهم حقائق صفات الله . وكنه تعلقها بالذات الأقدس . ولا شك أنها محاولات فاشلة . فالحق والهدى والايمان : أن نؤمن بأن لله صفة «الرحمة» كما وردت . ومحال أن تكون كرحمة العبد التى تنشأ عن تأثر وانفعال . وذلك شأن كل الصفات العليا والأسماء الحسنى . والله أعلم

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة . بلفظ « كل أمر لا يبدأ فيه

الواحد القهّار . العزيزِ الغفّار ، مُكَوِّر الليلِ عَلَى النَّهار

وهو ما لم يُسبَق بشيء ألبتة . و إضافى ، وهو ماسبق بغير ما التصنيف بصدده ، أو يقال : الابتداء أمر عرفى ، يعتبر ممتداً إلى الشروع فى المقصود ، فيسع أمرين فأكثر * (الواحد) أى ذاتاً وصفة وفعلا . فلا شريك له فى شيء منها (القهار) أى الذى قهر الخلائق وقسرهم بقدرته الأزلية ، فلا يكون سوى مراده ، فماشاء كان ، وما لم يشأ لم يكن بوجه من الوجوه (العزيز) أى الذى لايغالب فى حكمه ، ولا يدافع فى أمره ، ولا يمانع فى مراده (الغفار) أى الستار على ذنوب العصاة ، بعدم المؤاخذة بها ، وفى التصدير بهذه الأسماء : إيماء إلى أنه ينبغى أن يكون الرجاء والخوف للانسان ـ أى حال الصحة ـ بمثابة جناحى الطائر ، وذلك أنه أشار إلى مقام الخوف ، بذكر الأسماء الثلاثة ، و إلى الرجاء بالاسم الأخير (١) . والحكمة فى المبالغة فى المقام الأول : أن من شأن النفس — لا سيما عند عدم رياضتها — الميلَ إلى المخالفات والمنهيات ، فصدر بذكر ما يدل على مقام الخوف والتحذير من بطشه سبحانه ، ليكون قائداً للعبد إلى أبواب مولاه و إحسانه ، وسببا للانزجار عن المخالفات * (مكور الليل على النهار) قال الواحدى فى الوسيط : أى يُدخل هذا على هذا . و «التكوير» طرح الشيء على الشيء . واكتفى بذكر تكوير الليل عن ذكر مقابله ، و إنما اقتصر عليه لشرفه ، لأنه موسم الخيرات للسالكين ، ومحل

بحمد الله أقطع » وألف فيه الحافظ السخاوى جزءاً وقال النجم : رواه عبد القادر الرهاوى . وزاد « والصلاة على ، فهو أقطع أبتر ممحوق البركة » ورواه أبو داود بلفظ « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر » وفى لفظ «أقطع» وفى لفظ «فهو أجذم» والحديث حسن . أنظر كشف الخفاء (ج ٢ ص ١١٩)

(١) وقد أشار الله إلى ذلك فى مواضع عدة من القرآن الكريم . فمنها قوله تعالى فى سورة الحجر (نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم)

تَذكِرَةً لِأُولى القلوبِ وَالأَبصارِ . وَتَبصِرَةً لذوى الألباب . والاعتبار . الذى أيقظَ

الاشتغال بالذكر والصلاة والمناجاة مع رب العالمين (تَذْكِرَةً) مفعول له ، علة للتكوير ، أو حال منه (لذوى القلوب) أى لأصحاب القلوب العظيمة (والأبصار) فى مفردات الراغب : «البصر : يقال : للجارحة الناظرة ، وللقوة التى فيها ، ولقوة القلب المدركة ، ويقال لها بالمعنى الأخير : بصيرة أيضاً » اه . وعلى كل فالعطف هنا من عطف المغاير : أما على الأولين فواضح ، وأما على الأخير ، فلأن البصر والبصيرة إسمان لقوة القلب المدركة ، لا للقلب ، وأتى به دون البصائر ليكون اللفظ شاملا لكل ذلك . بناء على مذهب إمامنا الشافعى رضى الله عنه من جواز استعمال المشترك فى معانيه ، ومراعاة للسجع المستلذ فى السمع (وتَبْصِرَةً) هو كالتبصير مصدر لبصّر المضاعف . كقدَّم تَقْدِمة ، وتقديما (لذوى الألباب) جمع « لُبٍّ » أى العقول . ويجمع على « ألْبُب» كبؤس على أبؤس ، ونُعْم على أنْعُم . قال فى القاموس : « ويجمع على ألببٍ » . (والاعتبار) والمراد منهم : الذين يتفكرون فى الآلاء ، ويعرفون أنها لم تخلق عبثا ، وأن له سبحانه فى كل مغنى معنى . وما أحسن قول من قال :

لا تقل دارها بشرقىِّ نجد كلُّ دار للعامريَّة دار

ولها منزل على كل ماء وعلى كل دِمْنة لها آثار

فيستدلون بالآثار على عظيم الاقتدار . ويعرفون بما يرد عليهم من الأحوال أن لهم بذلك متعرف (الذى أيقظ) أى نبَّه من سِنَةَ الغفلة ، ففيه استعارة مَكْنية ، يتبعها استعارة تَخْييليَّة شبَّه الغفلة بالنوم ، بجامع انتفاء الكمال فى كل منهما . وقدورد

من خَلْقِهِ مَنْ اصطفاه — فزهّدهم فى هذه الدار، وشغلهم بمراقبته وإدامة الأفكار.

فى الحديث: «مثل الذى يذكر الله والذى لا يذكر الله مثل الحى والميت[1]» والتشبيه المضمر فى النفس: استعارة مكنية. وإثبات «الايقاظ» الذى هو من لوازم المشبه به استعارة تخييلية * (من خلقه) أى مخلوقاته. وهو بيان لـ «من» فى قوله: (مَنْ اصطفاه) من الصَّفوة. بتثليث الصاد. وهو الخلوص، أى اختاره * (فزهدهم فى هذه الدار) أى فى الدنيا. يعنى لما أيقظهم أدركوا حقيقة الدنيا. وأنها (كسَرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآنُ ماء[1]) فزهدوا فيها. وأعرضوا عن زهرتها، وأخذوا منها قدر الضرورة، وجعلوا ما وصل إليهم من ذلك من غير تطلّع إليه: مقدّماً بين أيديهم، وعند مولاهم ذخيرة * (وشغَلَهم) بتخفيف الغين المعجمة وتشديدها للمبالغة (بمراقبته) أى بدوام نظراته سبحانه وتعالى، ناظراً لأعمالهم محيطا بأقوالهم وأفعالهم. فأقبلوا على إحسان العمل، وحفظوا أنفسهم من الزيغ والزلل، إذ لا يقع العصيان إلا مع الغفلة المعترية للانسان * (ومُداومة) وفى نسخة: «وإدامة» (الأفكار) أى التفكر فى مصنوعاته، والاستدلال بذلك على ألوهيته، وعظيم قدرته. قال تعالى ([٣: ١٩٠، ١٩١] إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ). وفى الحديث «تفكّروا فى آلاء

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى، بلفظ «مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله فيه مثل الحى والميت»

(١) سورة النور آية (٣٩)

الله وَلاتَفَكَّروا فى ذات الله[١] » وجاء بلفظ « تفكروا فى الخلق ، ولا تفكروا فى الخالق . فانكم لا تَقْدُرون قَدْرَه[٢] » وفى الحديث أيضا مرفوعا كما فى الكَشَّاف « بينما رجل مستلق فى فراشه إذ رفع رأسه إلى النجوم وإلى السماء . فقال : أشهد أن لكِ رَبًّا وخالقاً . اللهم اغفر لى . فنظر الله إليه . فغفر له ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا عبادة كالتفكر[٣] » وقيل : « الفكرة تُذْهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية ، كما يحدث الماءُ للزرع النباتَ . وما جُليت القلوب بمثل الأحزان ، ولا استنارت بمثل الفكرة » وقد روى « أن يونس عليه السلام كان يُرفع له فى كل يوم مثل عمل أهل الأرض . قالوا : وإنما كان ذلك التفكر فى أمر الله الذى هو عمل القلب . لأن أحداً لا يقدر أن يعمل بجوارحه فى اليوم مثل عمل أهل الأرض[٤] » انتهى مافى الكشاف * قال ابن عباس ، وأبو الدرداء :

---

(١) قال فى الجامع الصغير رواه أبو الشيخ والطبرانى فى الأوسط ، وابن عدى فى الكامل ، والبيهقى فى شعب الايمان عن ابن عمر وهو ضعيف . وليس فيه لفظة « ذات »

(٢) قال السيوطى فى الجامع الصغير : رواه أبو الشيخ عن ابن عباس وهو ضعيف

(٣) قال الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف : رواه الثعلبى من رواية زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة . وفى اسناده من لا يعرف ، وذكر حديث « لا عبادة كالتفكر » وقال : رواه ابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من رواية أبى رجاء محمد بن عبد الله الخرطى من حديث على . وأبو رجاء ليس بالقوى وضعفه ابن حبان

(٤) فى الكشاف « لا تفضلونى على يونس بن متى الخ » وقال الحافظ ابن حجر : لم أجده

وملازَمة الاتِّعاظ والادّكار، ووفَّقَهم

«فكرة ساعة خير من قيام ليلة» قال السَّرِيُّ السَّقَطِي «فكرة ساعة خير من عبادة سنة ، ما هو إلا أن تحل أطناب خيمتك فتجعلها فى الجنة» كذا فى شرح رسالة ابن أبى زيد لداود (وَمُلاَزَمَةُ الاتِّعَاظِ) أصله «الايتعاظ» بياء تحتية ساكنة بعد الهمزة المكسورة . و بعدها تاء الافتعال . فقلبت الياء تاء فوقية ، وأدغمت فى تاء الافتعال على القاعدة فى ذلك . أى إنهم كلما نزل بهم فقدُ شىء : من مال أو إنسان اتعظوا بذلك ، ونظروا إلى أن مآل الجميع الفناء ، وأن ما نزل بأخيك ، كأنه قد نزل بك . فالسعيد من اتعظ بغيره ، وأقبل على ما فيه فى المعاد أنواعُ خيره * (ومُلازمة الأذكار) بالذال المعجمة ، والادكار بالدال المهملة . وأصله «اذتكار» بمعجمة ثم فوقية ، فأبدلت الفوقية — لما في التلفظ بها بعد الذال المعجمة من الثقل — ذالا معجمة أو دالا مهملة[1] وأدغم فيها فاء الفعل والادّكار : هو الذكر بعد النسيان ، والتنبه بعد سنة الغفلة * (ووفّقهم) من التوفيق وهو خلق القدرة على الطاعة فى العبد . وهو عزيز . ولذا لم يذكر فى القرآن إلا فى قوله تعالى ([١١ : ٨٨] وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِاللهِ) وأما قوله تعالى ([٤ : ٦٢] إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا) وقوله تعالى ([٤ : ٣٥] يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا) فمن مادة الوفاق

---

(١) قال الزمخشرى : والمدكر : المعتبر . وقرىء «مذتكر» على الأصل . و«مذكر» بقلب التاء ذالا وادغام الذال فيها وهذا غير «مذجر» وقال أبو حيان فى البحر : قرأ الجمهور «مذكر» بادغام الذال فى الدال المبدلة من تاء الافتعال وقتادة فيما نقل ابن عطية بالذال . أدغمه بعد قلب الثانى إلى الأول . وقال صاحب اللوامع : قتادة . فهل من مذكرا سم فاعل من التذكير أى من يذكر نفسه أو غيره بما مضى من القصص وقرى «مذتكر» على الأصل

لِلدُّؤُوبِ فِى طاعتهِ وَالتَّأَهُّبِ لِدارِ القَرَارِ ، وَالحَذَرِ مِمَّا يُسْخِطُهُ وَيُوجِبُ دَارَ البَوَارِ ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى ذٰلِكَ مَعَ تَغَايُرِ الأَحْوَالِ

---

* (للدؤوب) أى المداومة والاجتهاد (في) مزاولة (طاعته والتأهُّب) أى الاستعداد (لدار القرار) أى الدار الآخرة (والحـذرِ) بالجر عطفا على « الدؤوب » أو على « التأهب » . قولان فى مثله . الراجح منهما : الأول ، ما لم تقم قرينة على خلافه * (ممـا يسخطه) أى يكون سببا لسَخَطه سبحانه من المخالفات والعصيان . وفى مفردات الراغب : « السخط من الله تعالى : إنزال العقوبة » اهـ . وهو بيان للمراد منه ، إذا وصف به البارى سبحانه (ويوجب دار البوار) كالمفسر للسخط . ثم الذى يوجب النار : هو الموت على الـكفر . والعياذ بالله تعالى ، [1] وفى نسبة الايجاب إليه تجوز فى الاسناد . إذ الموجب لذلك بذلك هو الله سبحانه . أما باقى العصيان فالصغائر المتصلة بحقوق الله تعالى مكفرة بصالح العمـل . ومنه اجتناب الـكبائر ، والمتعلقة بحق العباد لابد من إرضاء مستحقها . والـكبائر لا يكفّرها إلا التوبة أو فضل الله سبحانه وتعالى * (و) وفقهم (للمحافظة على ذلك) أى المذكور من الدؤوب فى الطاعة والحذر مما يوجب السخط (مع تغاير الأحوال) أى اختلافها . ظرف ، وقع حالا من « المحافظة » يعنى أن تغاير الأحوال أى اختلافها بالخصب والجدب ، والرخاء والشدة ، والفراغ والشغل بالتجارة ونحوها من مزاولة أعمـال النفس والعيال ، لم يؤثر فى سلوكهم و إقبالهم على عبودية مولاهم : من امتثال أوامره واجتناب زواجره ، إجلالاً له سبحانه . قال الله تعالى ([٢٤ : ٣٧]

---

(١) أى الخلود فى النار . وإن كان العاصى إذا مات على اصرار وعدم انابة . تجب له النار ليطهر بها من آثار المعاصى . ثم يخرج بالتوحيد منها و يدخل الجنة . كما تواترت بذلك الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم

وَالْأَطْوَارِ * أَحمدهُ

رجالٌ لاتُلْهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عنْ ذِكرِ الله) وقال صلى الله عليه وسلم « ليذكرنّ الله قوم على الفرش الممهدة [١] » وقال الشاعر :

فلو قَطَّعتنى إِرْباً فإِرْبا لما حنَّ الفؤاد إلى سواكا

« والأحوال » جمع حال . يجوز تذكير لفظها وتأنيثه . بأن يقال : حالة . وتذكير معناها وتأنيثه . والأرجح تأنيث معناها . فيقال : حال حسنة ، قال الراغب فى مفرداته « الحال مايختص به الانسان وغيره من أموره المتغيرة فى نفسه وجسمه وشأنه ، والحول ماله من القوة فى أحد هذه الأصول الثلاثة » * (و) تغاير (الأطوار) أى الاختلاف فى الخلْقُ والخُلق ، كما يفهم من مفردات الراغب * (أحمده) أى أصفه بجميع صفاته ، إذ كل منها جميل . ورعاية جميعها أبلغ فى التعظيم . قيل : وهو أبلغ من الأول [٢] لأنه حمد بجميع الصفات برعاية الأبلغية . وذاك بواحد منها وهى المالكية . وإن لم تراع الأبلغية ، بأن يراد الثناء ببعض الصفات . فذلك البعض أعم من هذه الواحدة ، لصدقه بها وبغيرها الكثير . فالثناء بهذا أبلغ فى الجملة أيضا . نعم الثناء بالأول من حيث تفصيله — أى تعيينه — أوقع فى النفس من هذا ، وقيل : بل التحقيق أن الحمد بالأول أبلغ وأفضل . ومن ثم قُدِّم . بل أخذ البلقينى من إيثار القرآن (الحمدُ لله رَبِّ العالَمين) بالابتداء به : أنه أبلغ صيغ الحمد وعلى الأول : فآثر القرآنُ الجملة الاسمية ، لأن الحمد فيه لمقام التعليم . والتعيين فيه

---

(١) قال فى الجامع الصغير « ليذكرن الله عز وجل قوم فى الدنيا على الفرش الممهدة ، يدخلهم الدرجات العلى » رواه أبو يعلى فى مسنده وابن حبان عن أبى سعيد

(٢) أى من قوله فى أول الخطبه « الحمد لله الواحد القهار الخ »

أَبلغَ حمدٍ وَأزكاه ، وَأشمَلَه وأنماه * وأَشهدُ أَن لا إِلٰه إلا اللهُ البَرُّ الـكريمُ الرءوفُ الرحيمُ ،

أولى * وجمع بين الحمد بالجملتين تأسيا بحديث «إن الحمدَ لله نحمَدُه[١] » وليجمع بين مايدل على دوام الحمد واستمراره ، وهو الأول . وعلى تجدده وحدوثه ، وهو الثانى (أبْلغَ حمد) أى أنهاه من حيث الاجمال لا التفصيل ، لعجز الخلق عنه حتى الرسل حتى أكملهم نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال « لا أُحْصى ثناءً عليك . أنت كما أثنيت على نفسك[٢] » (وأشْمَلَه) أعمه (وأزكاه) أنماه ، وأكمله (وأشهد) أى أعلم وأبيِّن (أن لا آله) أى لا معبود بحق (إلا الله) بالرفع . وجُوِّز فيها النصب . وقد بسطت الـكلام فى ذلك فى باب فضل الذكر من شرح الأذكار للمصنف رحمه الله تعالى * وأتى بها لحديث أبى داود والترمذى الصحيح « كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء » أى القليلة البركة (البَرّ) بفتح الموحدة قال فى النهاية « هو العطوف على عباده ببره ولطفه » . و« البر » و« البار » بمعنى واحد . وإنما جاء فى اسمها الله تعالى « البرّ » دون « البار » * (الـكريم) قال البيضاوى : هو من صفات الذات . والله تعالى لم يزل ولا يزال كريما ومعناه : تقدسه عن النقائص ، والصفات المذمومة . والنفيس يقال له : كريم . ومنه كرائم الأموال ، . قيل « الـكريم » الدائم البقاء ، الجليل الذات ، الجميل الصفات ، وقيل : هو من صفات الأفعال ، وعليه فقيل : هو مَنْ ينعم قبل السؤال ولا يحوجك إلى وسيلة ، ولا يبالي من أعطى ولا ما أعطى . وقيل غير ذلك مما ذكرت بعضه ثمة (الرءوف الرحيم) الرأفة شدة الرحمة · فهو أبلغ من الرحيم ، وأخِّر — والقياس

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن ابن مسعود بلفظ «علمنا رسول الله صلى الله علته وسلم خطبة الحاجة : إن الحمد لله — الحديث »

(٢) رواه البيهقى عن عائشة فى حديث طويل قالت «قام رسول الله صلى الله عليه

* وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُه

يقتضى الترقى من الأدنى للأعلى ـ مراعاة للسجع ، وقيل : الفرق بين الرأفة والرحمة : أن الرأفة إحسان مبدؤه شفقة المحسن . والرحمة إحسان مبدؤه فاقة المحسن إليه ثم الرحمة لكونها عطفا نفسانيا يستحيل قيامها به تعالى المراد بها غايتها ، كما تقدم قريبا . قال ابن حجر الهيتمى — وهو مرادى إذا أطلقت لفظ ابن حجر — فى شرح المشكاة : « الرأفة » باطن الرحمة ، « والرحمة » من أخص أوصاف الارادة ، بناء على أنها صفة ذات ، أى إرادة الإنعام ، ومنه كشف الضر ودفع السوء ، بنوع من اللطف ، والرأفة بزيادة رفق ولطف . وفى الاتيان بهذه الأسماء فى هذا المقام : إيماء إلى أن التوفيق إلى سلوك مقام العبودية . والخروج عن أوصاف البشرية : من محض عطاء وكرم البر الكريم ، ورأفة ورحمة الرءوف الرحيم . قال تعالى ([٢١:٢٤] ولولا فَضْلُ اللهِ عليكم ورَحْمَتَه ما زكَى منكم من أحدٍ أبداً ولكنَّ اللهَ يُزَكِّى مَنْ يشاء) وقال من قال : «لولا تعرفهم ما كنت تعرفهم» * (وأشهد أن محمداً) علم منقول من اسم مفعول المضعف . سمى به نبينا صلى الله عليه وسلم ـ مع أنه لم يؤلف قبل أوان ظهوره ـ بالهام من الله لجده عبد المطلب ، إشارة إلى كثرة خصاله المحمودة ، ورجاء أن يحمده أهل الأرض والسماء . وقد حقق الله تعالى رجاءه . قيل : وكما اشتملت ذاته على كمال سائر الأنبياء والمرسلين اشتمل اسمه الشريف بحساب الجمل على عدة الرسل بناء على أنهم ثلاثمائة وأربعة عشر (عبده) قدم لأنه أسنى أوصافه . ومن ثم ذكر فى أفخم مقاماته ([١:١٧] سُبحانَ الذى أسْرَى بعبده) ([١:٢٥] نزل الفرقان على عبده) ([١٠:٥٣] فأوحى إلى عبده) قال صلى الله عليه وسلم «أنا سيد ولد آدم ولا فخر [١]»

وسلم فصلى من الليل فأطال السجود ـ الحديث » وقال البيهقى : هذا مرسل جيد

(١) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى

ورسولهُ ، وحبيبه وخليلُه

أى لاأفتخر بالسيادة إنما فخرى بعبوديته سبحانه وتعالى . ذكره العارف أبو العباس المرسى (ورسوله) هو من البشر : ذكر أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه ، فان لم يؤمر فنبى فحسب ، وهو أفضل من النبى إجماعاً ، لتميزه بالرسالة التى هى ـ على الأصح ، خلافاً لابن عبد السلام ـ أفضل من النبوة فيه . وَزَعْمُ تعلقها بالحق يرده أن الرسالة فيها ذلك مع التعلق بالخلق ، فهو زيادة كمال فيها (وحبيبه) الأكبر ، كما يشهد به حديث « ألا وأنا حبيب الله ولا فخر [١] » إذ محبة الله للعبد المستفادة من قوله تعالى : ([٥٤:٥] يُحِبُّهم ويُحِبونه) على حسب معرفته به . وأعرف الناس بالله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم . فهو أحبهم له وأخصهم باسم الحبيب . وسيأتى الكلام على المحبة إن شاء الله تعالى فى قوله فى الحديث القدسى « قال الله تعالى : ومن عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه » الحديث . « وحبيب » فعيل بمعنى مفعول . من أحبه فهو محب ، أو من حبه يحبه بكسر الحاء . فهو محبوب (وخليله) الأعظم . كما يؤذن به حديث « لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبابكر خليلا [٢] » وهو فعيل بمعنى مفعول أيضا ، من « الخلة » بالفتح . وهى الحاجة . أو بالضم . وهى تخلل المودة فى القلب . لا تدع فيه خلاء إلا ملأته . وقد خالل قلبه صلى الله عليه وسلم من أسرار الهيبة ومكنون الغيوب والمعرفة والاصطفاء ، مالم يدع أن يطرق قلبه نظر لغيره سبحانه وتعالى . هكذا قال ابن حجر . ثم اقتصاره على كون فعيل فيه بمعنى مفعول لعله لكونه

---

(١) لم أجده . وفى الترمذى عن أنس . «وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر »

(٢) رواه احمد والبخارى عن الزبير بن العوام والبخارى عن ابن عباس . وفى آخره «ولكن أخى وصاحبى »

أنسب بمقام الأدب ، وأشرف لكونه المختار للخلة التي هي غاية الأرب ، وإلا ففي النهاية : « الخليل الصديق . فعيل بمعنى فاعل . وقد يكون بمعنى مفعول ، من الخلة بضم أوله الصداقة والمحبة التي تخللت القلب ، فصارت في خلاله ، أي باطنه . وقيل : هي تخلل المودة في القلب ، بحيث لاتدع فيه خلاء إلا ملأته . أو من الخلة بالفتح . وهي الحاجة والفقر » اه (١)

ثم الذي رجحه جمع متأخرون ، كالبدر الزركشي وغيره : أن الخلة أرفع . لأنها نهاية المحبة وغايتها . قال ابن القيم : وظن أن المحبة أرفع من الخلة ، وأن ابراهيم خليل ومحمداً حبيب : غلط وجهل ، وما احتج به لأن المحبة ارفع من الخلة من نحو حديث البيهقي « إنه تعالى قال له صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء : يا محمد سل تعط . فقال : يارب إنك اتخذت ابراهيم خليلا . فقال : ألم أعطك خيرا من هذا ؟ إلى قوله : واتخذتك حبيبا » وأن الحبيب يصل بلا واسطة بخلاف الخليل قال تعالى في نبينا ([٥٣ : ٩] فكان قاب قوسين أو أدنى) وفي ابراهيم ([٦ : ٧٥] وكذلك نُرِي ابراهيم مَلَكُوت السموات والأرض) والخليل قال ([٢٦ : ٨٧] لا تُخْزني) والحبيب قيل له ([٦٦ : ٨] يوم لا يُخْزِي الله النبي) وغير ذلك : إنما يقتضي تفصيل ذات محمد صلى الله عليه وسلم على ذات ابراهيم عليه السلام ، مع قطع النظر

---

(١) عبارة النهاية : الخلة بالضم - الصداقة والمحبة التي تخللت القلب ، فصارت خلاله ، أي باطنه . والخليل : الصديق ، فعيل بمعنى مفاعل . وقد يكون بمعنى مفعول . وإنما قال ذلك لأن خلته كانت مقصورة على حب الله تعالى ، فليس فيها لغيره تعالى متسع ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة . وهذه حال شريفة لا ينالها أحد بكسب واجتهاد . فان الطباع غالبة ، وإنما يختص الله بها من يشاء من عباده مثل سيد المرسلين . ومن جعل الخليل مشتقا من الخلة — بالفتح — وهي الحاجة والفقر أراد : إني أبرأ من الاعتماد والافتقار إلى أحد غير الله .

الهادى إلى صراط مستقيم ، والدّاعى إلى دين قويم ، صلواتُ الله وسلامُه عليه

عن وصفى المحبة والُخلة ، وهذا لانزاع فيه ، إنماالنزاع فى الأفضليةالمستندة إلى أحد الوصفين ، والذى قامت عليه الأدلة : أن استنادها إلى وصف الخلة الموجودة فى كل من الخليلين أفضل ، فخلة كل منهما أفضل من محبته ، واختصّا بها لتوفر معناها السابق فيهما أكثر من بقية الأنبياء ، ولكون هذا التوفر في نبينا أكثر منه فى ابراهيم كانت خُلته أرفع من خلة إبراهيم صلى الله عليهما وسلم اه * (الهادى) أى الدالّ (إلى صراط) قال الراغب : الصراط الطريق المستقيم اه . فيكون قوله (مستقيم) إما اطنابا ، أو جُرِّد لفظ الصراط وأريد منه مطلق الطريق . وفيه اقتباس من قوله تعالى (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) [٤٢ : ٥٢] وليس شرط الاقتباس إيراد اللفظ القرآنىّ من غير تغيير ، بل يحصل و إن وجد التغيير . نقله الحافظ السيوطى فى أوائل حاشيته على تفسير البيضاوى * وقوله (والداعى إلى دين قويم) هى الشريعة الحنيفية السمحة ، التى جاء بها صلى الله عليه وسلم إلى أمته أشرف الأمم ، إطناب . لأن ماقبله بمعناه ، أو من عطف العام على الخاص . لأن الهداية : الدلالة بلطف . والدعوة تشمل ذلك وغيره * (صلوات الله وسلامه عليه) الصلاة منه تعالى : رحمة مقرونة بتعظيم . ولفظها مختص بالمعصوم من نبى وملك[1] ، تعظيما لهم وتمييزاً لمراتبهم عن غيرهم ، والسلام : هو تسليمه إياه من كل آفة ونقص ، والجملة خبرية لفظا

---

(١) قد قال الله تعالى فى سورة الأحزاب (هو الذى يصلى عليكم وملائكته) وفى صحيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اللهم صل على آل أبى أوفى » لما جاءوا بصدقتهم عملا بقوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم)

وعلى سائر النبيينَ ، وآلِ كلٍّ ، وسائرِ الصالحين * أما بعدُ

إنشائية معنى ، وأتى بالصلاة بعد الحمد لخبر « كل أمر ذى بال لايبدأ فيه بحمدالله والصلاة على ّفهو أقطع أبتر ، ممحوق من كل بركة » وسنده ضعيف ، لكنه فى الفضائل وهى يعمل فيها بذلك ، وخبر « من صلى على رسول الله صـلى الله عليه وسلم فى كتاب صلت ْعليه الملائكة غدوة ورواحا مادام اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الكتاب » نازع ابن القيم فى رفعه . قال : والأشبه أنه من كلام جعفر ابن محمد لا مرفوع *(وعلى سائر) أى باق ، من السُّؤْر بالهمز : بقية نحو الطعام (النبيين) مرّ تعريف النبى ، وأنه أعم من الرسول (وآل كل) أى كل واحد من النبيين . فحذف المضاف إليه لدلالة السياق عليه . وأصل « آل » أول — بفتح الواو — تحركت الواو وانفتح ما قبلها ، فقلبت ألفا ، وقيل «أهل» لتصغيره على أهيل ، والصحيح : جواز إضافته إلى الضمير ، وآل نبينا صلى الله عليه وسلم — عند الشافعى — مؤمنو بنى هاشم والمطلب . هذا بالنسبة لنحو الزكاة . دون مقام الدعاء . ومن ثم اختار الأزهرى وغيره من المحققين : أنهم هنا كل مؤمن تقى . لحديث فيه [1] . وآل ابراهيم : اسماعيل واسحاق وغيرهما من المسلمين من ذريته (وسائر الصالحين) وهم القائمون بحقوق الله وحقوق العباد . فدخل الصحابة كلهم . لثبوت وصف الصلاح والعدالة لجميعهم . ودخل غيرهم ممن اتصف بذلك . جعلنا الله منهم * (أما بعد) كلمة يؤتى بها للانتقال من

---

(١) روى الطبرانى فى الأوسط عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « آل محمد كل تقى » قال فى كشف الخفاء (ج ١ ص ١٨) قال السيوطى : لا أعرفه . وقال فى الأصل : رواه الديلمى وتمام بأسانيد ضعيفة ، ثم ساق لفظ تمام ، كحديث الطبرانى . وقال : ـ ولفظ الديلمى « آل محمد كل تقى » ثم قرأ (إن أولياؤه إلا المتقون) » ولكن شواهده كثيرة منها فى الصحيحين « إن آل أبى فلان ليسوالى بأولياء . إنما وليى الله وصالحوا المؤمنين »

فقد قال الله تعالى([٥١: ٥٦، ٥٧]ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاَّ لِيَعبُدُونِ .

أسلوب إلى آخر ، وأتى بها تأسيا به صلى الله عليه وسلم . فانه كان يأتى بها فى خطبه ونحوها . كما صح عنه[١] . بل رواها عنه اثنان وثلاثون صحابيا . والمبتدىء بها ، قيل : داود عليه السلام . فهى فصل الخطاب الذى أوتيه . لأنها تفصل بين المقدمات والمقاصد . والخطب والمواعظ . قال العلقمى فى حاشية الجامع الصغير : وبهذا قال كثير من المفسرين . وقيل : قُسُّ بن ساعدة . وقيل : كَعْب بن لُؤَىّ وقيل : يَعْرُب بن قَحْطان . وقيل : سَحْبان بن وائل . وعليها ففصل خطاب داود : هو « البينة على المدعى واليمين على من أنكر » وقال المحققون : فصل الخطاب : الفصل بين الحق والباطل * ويجوز فى دالها الضم والفتح ، منونا وغير منون ، ووجوه ذلك لا تخفى . لكنها منونة تكون على لغة من يقف على المنون المنصوب بالسكون . وهم ربيعة ، ولكون « أما » نابت عن اسم شرط هو «مهما» أجيبت بالفاء ، إذ التقدير : مهما يكن من شيء بعد ما تقدم من الحمد والصلاة والسلام (فقد قال الله تعالى) عما لا يليق بشأنه . وهى جملة فى محل الحال اللازمة ، إن أبقيت على خبريتها ، وإلا فاستئنافية ، مسوقة لانشاء الثناء عليه سبحانه * (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) قال الكواشى فى تفسيره الكبير : أومأ تعالى إلى أنه لم يخلق الخلق ، ولم يرسل رسله عبثا . وإنما خلقهم لأمر عظيم ، هو توحيده وطاعته ، مع غناه عن ذلك . تفضيلا لهم وتشريفا . ثم هذا خاص

---

(١) جمع السيوطى فى الجامع الصغير سبعة أحاديث مبدوءة «بأما بعد» ، أولها « أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله ـ الحديث » رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه عن جابر . ومنها فى قصة بريرة عن عائشة فى الصحيحين « أما بعد فما بال أقوام يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله ؟ ـــ الحديث »

ما أُريدُ منهم من رِزقٍ وما أُريدُ أن يُطْعِمُونِ)

وهذا تصريحٌ بأنهم خُلقوا للعبادَة

بأهل الطاعة من الفريقين . و يؤيده أنه قرىء (وما خلقت الجن والانس من المؤمنين) وقيل : عام . معناه ما خلقتهم إلا لآمرهم بالعبادة . لقوله ([٩٨ : ٥] وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وقيل : المعنى ما خلقت السعداء من الفريقين إلا لعبادتى ، والأشقياء منهما إلا لمعصيتى ، وقيل : إلا ليعبدون . ليعرفون ، لأنه لو لم يخلقهم لم يعرفوا وجوده . كقوله ([٣٩ : ٣٨] ولِئِنْ سألتهم مَنْ خلق السموات والأرض ليقولُنَّ الله) وأصـل العبادة : الخضوع والتذلل ، والمعنى : إلا ليخضعوا و يتذللوا ، وكل مخلوق خاضع ذليل لقضاء الله تعالى . وقيـل : «إلا ليعبدون» ليوحدون ، فالمؤمن يوحده فى كل حال ، والـكافر يوحده فى الضراء لقوله تعالى ([٢٩ : ٦٥] فاذا رَكِبُوا فى الفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصين له الدِّين) وقال بعضهم : إلا ليعرفونى و يعبدونى على بساط المعرفة ، ليتبرأوا من الرياء والسمعة . وقال ابن عطاء : إلا ليعرفون . وما يعرفه حقيقة من وصفه بمـا لا يليق به اهـ وللزمخشرى فى كشافه فى هذه الآية رمز إلى دسيسة اعتزالية ، نبهت عليها فى شرح الاذكار * ولما كلفهم خدمته أخبرهم أنه قد كفاهم مؤنة ما يحتاجون إليه ، فقال تعالى : (ما أريد منهم من رزق) أى ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ، ولا أحداً من خلق (وما أريد أن يطعمون) يعنى أنفسهم ولا أحـداً من خلق . ونسب الاطعام إلى الله لأن الخلق عياله سبحانه ، ومن أطعم عيال أحـد فـكأنما أطعمه * (وهذا) أى القول المدلول عليه بقوله قال الله تعالى (تصريح بأنهم خلقوا للعبادة) أى فقط ، كما يفيده الاستثناء ، أى خلقوا لذلك ، لا لجمع الدنيا والأرزاق ونحوها ، مما يحتاج إليه . فان الله تعالى قد كفاهم مونة ذلك . ولذا عقَّب هـذه الآية بقوله كما تقدم

فحقَّ عليهم الاعتناءُ بما خُلقوا له ، والإعراضُ عن حظوظ الدنيا بالزّهادة ، فانَّها دارُ نفَاد ، لامحلُّ إِخلاد ، ومَركَبُ عُبور ، لامنزلُ

(ما أريد منهم من رزق) * (فحق) أى وجب . وفى نسخة بتنوينه ، أى فواجب ، فيكون خبراً لقوله « الاعتناء » (عليهم الاعتناء بما خلقوا له) والاعتناء توجيه العناية إلى ما خلقوا له ، من معرفة الله تعالى ، وأداء حق العبودية (والاعراض) أى التولى . يقال : أعرض عن كذا ولَّى مبديا عرضه . قال تعالى ([٧ : ١٩٩] وأعْرِضْ عن الجاهلين) كذا فى مفردات الراغب (عن حظوظ الدنيا) أى الترفهات المعتادة الزائدة على مابه القوام : من دار تُكِنُّه ، وثوب يستر عورته ، وجَريش الخبز والماء . قال صلى الله عليه وسلم « لاحق لابن آدم إلا فى ثلاثة : طعام يقيم به صلبه . وثوب يستر[1] به عورته . وبيت يكنه . فما زاد فهو حساب » أورده الغزالى فى الاحياء . وقال العراقى فى تخريج أحاديثه رواه الترمذى وقال « وجلف الخبز والماء[2] » بدل قوله « طعام يقيم به صلبه » وقال : صحيح . أما حقوق الدنيا مما ذكر فالاعراض عنه ليس بمطلوب ، لكن من غير أن يشغله ذلك عن القيام بفريضة الوقت * (بالزهادة) مصدر كالزهد . وسيأتى تعريفه (فانها) أى الدنيا (دار نفاد) أى فناء . قال الله تعالى ([٣٨ : ٥٤] إنَّ هذا لرزقنا ماله من نَفَاد) (لامحل إخلاد) عدل إليه عن خلود للسجع (ومركب عبور ، لامنزل

---

(١) وفى نسخة « يوارى »

(٢) لفظ الحديث « ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال : بيت يكنه . وثوب يوارى عورته ، وجلف الخبز والماء » رواه الترمذى والحاكم وصححاه عن عثمان ، والبيهقى . ولفظه « كل شىء فضل عن ظل بيت ، وكسر خبز ، وثوب يوارى عورة ابن آدم ، فليس لابن آدم فيه حق » قال الحسن البصرى : فقلت لحمران : مايمنعك أن تأخذ — وكان يعجبه الجمال — فقال : ياأبا سعيد ، إن الدنيا تقاعدت بى

حُبور ،ومَشرَعُ انفصامٍ ، لاموطنُ دوام ، فلهذا كانَ الأَيقاظ من أهلها همُ العبَّاد ، وأعقلُ الناسِ فيها هم الزهَّاد .

حبور) أى إنها مركب يتوصل بها إلى الدار الآخرة ، وليست منزل الفرح والسرور . قال صلى الله عليه وسلم « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل [١] » وأخرج الترمذى وغيره حديثا : أنه صلى الله عليه وسلم قال « مالى وللدنيا ؟ ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها [٢] » * (ومشرع انفصام) أى انقطاع (لاموطن دوام) ولا يخفى مافى عبارته من الاستعارات . وذلك أنه شبّه الدنيا أولا بالمركب الذى يتوصل به إلى المكان المراد ، بجامع أن كلاً منها يوصّل لما بعدهُ . فالدنيا لايوصل بها إلى الآخرة إلا بالعبور فيها والمرور منها لسبقها عليها . والبلد المراد لايوصل إليه إلا بالركوب نحو الدابة . وثانيا : بالمَشْرَع [٣] أى محل الماء ، بجامع الورود لكل . وأطلق عليها اسم المشبَّه به . ففيه تشبيه بليغ * (فلهذا) أى ماذكر (كان الأيقاظ) جمع « يقظ » بكسر القاف . فى النهاية : رجل فطن ، ويقظ ، ويقظان ، إذا كان فيه معرفه وفطنة اه . (من أهلها) أى الدنيا (هم العُبَّاد) وأعلاهم فيها أرباب العرفان بالله (وأعقل الناس فيها هم الزهاد) قال الدميرى فى منظومته : رموز الكنوز :

وأكيس الناس وأعقل الورى هم الذين زهـدوا فيما ترى

« الجلف » بكسر الجيم وسكون اللام بعدهما فاء - هو غليظ الخبز وخشنه . وقال النضر بن شميل : هو الخبز ليس معه إدام .

(١) رواه البخارى بهذا اللفظ عن ابن عمر . ورواه أحمد والترمذى وابن ماجه وزادوا « وعد نفسك من أهل القبور »

(٢) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم ، وصححه عن ابن مسعود

(٣) أى وشبه الدنيا بمشرع الماء

قال الله تعالى ([١٠ : ٢٤] إنما مَثَلُ الحيوةِ الدُّنيا كماءٍ أنْزَلناهُ منَ السَّماءِ فاختَلَطَ به نَباتُ الأرضِ مِمَّا يأكلُ الناسُ والأنْعامُ حَتَّى إذا أَخَذَتِ الأرضُ زُخْرُفَهَا وازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنهُم قادرُون عَلَيْهَا أتاها أمرُنا لَيْلاً أو نهـــارًا فجعلناها حَصِيدًا كأنْ لم تَغْنَ بالأمْسِ

إذ نبذوا الدنيا لعلمهم بها ورغبوا فى أختها لقربها

(قال الله تعالى) مبينا حال الدنيا فى زوالها ، وسرعة تحولها وانتقالها (إنما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلنـاه من السماء فاختلط به) أي اختلط بسبب المطر (نبات الأرض) واشتبك بعضه فى بعض[١] . ومحل (مما يأكل الناس والانعام) حال من « نبات » أوصفة له (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) زينتها وحسنها ، وظهر الزهر (وازّينت) بالزهر والنبات . وقرىء « وأَزْيَنَتْ » مخففة وَ«ازْيانّتْ» كابياضّت (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) متمكنون من تحصيل ثمارها (أتاها أمرنا) قضاؤنا (ليلا أو نهاراً) أى فى أحدهما (فجعلناها) أى فجعلنا زرعها (حصيدا) أى محصودا (كأن لم تغن) لم تقم (بالأمس) بالزمان الماضى ، لااليوم الذى قبل يومك فقط ، وقرىء « يغن » بالتحتية[٢] ذكره الكواشى فى التفسير

---

(١) قال الزمخشرى فى الكشاف : وأصل «ازينت» تزينت . فأدغم . وبالاصل قرأ عبد الله . وقرىء « وأزينت » على أفعلت . من غير اعلال الفعل . كأغيلت . أى صارت ذات زينة و«ازيانت» ، بوزن ابياضت اه .

(٢) قال الزمخشرى : و« كأن لم تغن » كأن لم يغن زرعها ، أى لم ينبت ، على حذف المضاف فى هذه المواضع . لابد منه ، وإلا لم يستقم المعنى . وقرأ الحسن « كأن لم يغن » على أن الضمير للمضاف المحذوف ، الذى هو الزرع . اه . وقال ابن جزى

كذلكَ نُفَصّلُ الآياتِ لقومٍ يتفكّرُونَ)

والآياتُ فى هذا المعنى كثيرةٌ * ولقد أحسن القائل :

إنَّ للهِ عبـاداً فُطَنا طلّقوا الدُّنيا وخافوا الفِتَنَا

الصغير (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) قال البيضاوى : الآية فى الأصل العلامة الظاهرة ، وتقال للمصنوعات ، من حيث إنها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته . ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل ، واشتقاقها من « أى » لأنها تبين أيا من أى . أو من « أوى » إليه . وأصلها « أية » أو « كتمرة » فأبدلت عينها على غير قياس أو « أيية » أو « أوية » كرمكة فأعلت « أو آيية » كقاتلة فحذفت الهمزة تخفيفا اه[1] (والآيات فى هذا المعنى كثيرة) منها قوله تعالى [١٨ : ٤٥] واضربْ لهم مَثَلَ الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختَلَطَ به نَباتُ الأرض فأَصبحَ هَشِيماً تَذْروه الرياح)

(ولقد أحسن القائل) فى بيان سرعة زوال الدنيا (إن لله عبادا) عظيمين ، كما يؤذن به التنوين (فطنا) بضم الفاء وفتح الطاء المهملة ، جمع « فطن » من له عقل ونظر فى العواقب (طلّقوا الدنيا) كناية عن الزهد فيها وترك الاشتغال بشأنها (وخافوا الفتنا) بكسر الفاء وفتح الفوقية جمع « فتنة » وهى الامتحان والاختبار . كما

« كأن لم تغن » كأن لم تنعم اه : وقال ابن كثير : أى كأنها لم تكن حينا قبل ذلك اه . وقال ابن جرير : كأن لم تكن تلك الزروع والنباتات على ظهر الأرض نابتة قائمة على الأرض قبل ذلك بالأمس . وأصله : من غنى بمكان كذا يغنى به إذا أقام به اه.

(١) قال فى شرح القاموس : إن الآية وزنها « فعلة » بفتح فسكون . وأصلها « أوية » قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، أو وزنها « فاعلة » وأصلها

نظروا فيها ، فَلَمَّا عَلِمُوا أنها ليسَتْ لحَيٍّ وَطَنَا

فى النهاية ، وفى مفردات الراغب : الفتنة تستعمل فى إدخال الإنسان النار [١] ، أو فيما يحصل عنه العذاب [٢] ، وفى الاختبار [٣] . جعلت الفتنة كالبلاء فى أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الانسان من شدة ورخاء ، وهما فى الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالا اه * والحاصل : أن الفتن المترتبة على الاشتغال بالدنيا ومخالطتها كثيرة ، كالشره ، وجمع المال من غير اعتبار حله ، والفتنة به ومنع الحق الواجب فيه ، والتكبر والعجب (نظروا فيها) أى نظروا فى الدنيا بعين البصيرة فعرفوا سرعة زوالها ، وتحولها وانتقالها . « كأنك بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل » (فلما علموا) بجلاء البصيرة ، أى شهدوا ذلك وصار لهم حالا ومذاقا ، وإلا فكل عاقل يعلم أن الدنيا دار زوال وانتقال ، لكن حجبت بصائرهم غشاوة الغفلة ، فمالوا إلى لذاتها مع علمهم بحقيقة ذاتها (أنها ليست لحى وطنا) أى دارا يتوطن فيها على الأبد . لأن الانسان فى هذه الدار كالمسافر المرتحل ، وقد سبق حديث « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » وقال الشاعر فى المعنى :

ألا إنما الدنيا كمنزل راكب أقام عشيا ، وهو بالصبح رائح

« آيية » حذفت الياء الثانية ففتحت الأولى . وأما ما قيل : من أن المحذوف هو الياء الأولى . فقد رد عليه الفراء وقال : إنه خطأ . و « الرمكة » بفتحات : الفرس ، والبرذونة التى تتخذ للنسل

(١) قال الراغب : نحو قوله (يومهم على النار يفتنون) و (ذوقوا فتنتكم) أى عذابكم .

(٢) قال الراغب : نحو قوله (ألا فى الفتنة سقطوا)

(٣) قال الراغب : نحو قوله(وفتناك فتونا) اه

ومن هذا تعلم أن الشارح اختصر عبارة الراغب وحذف منها

جَعَلوهَا لُجَّةً واتخَذُوا صالح الأعمال فيها سُفُنَا
فاذا كان حالهُا ما وَصَفْتُه ، وحالُنَا وما خُلِقنا له ماقدَّمتُه

والوطن الحقيقى هو الدار الآخرة التى لانهاية لآخرها بارادة الله تعالى وقدرته • كما جاء فى الحديث «يا أهل الجنة خلود فلا موت ، و يا أهل النار خلود فلا موت[1]» قال بعضهم : هذا هو المراد من حديث « حب الوطن من الايمان[2] » أى فينبغى لكامل الايمان أن يعمر وطنه بالعمل الصالح والاحسان (جعلوها لجة) فى النهاية : لجة البحر : معظمه . والمراد : أنهم جعلوها بمثابة البحر الذى يتوصل بالعبور فيه إلى المقصد ، ففى العبارة تشبيه بحذف الأداة (واتخذوا صالح الأعمال) من إضافة الصفة لموصوفها (فيها) أى فى اللجة (سفنا) فيه : أن العمل الصالح بمثابة المركب الذى يعبر به لجة البحر . وقد جاء فى الحديث « إن صاحب العمل الصالح يركبه يوم القيامة» قال تعالى ([١٩ : ٨٥] يوم نَحْشُرُ المتقين إلى الرحمٰن وَفْدًا) كما أن العمل السيىء يركب صاحبه. قال تعالى ([٦ : ٣١] يحملون أوزارهم على ظهورهم) * (فاذا كان حالها ما وصفته) من الزوال، وسرعة التحول والانتقال (وحالنا وماخلقنا له) عطف تفسير لما قبله . وفى نسخة بحذف العاطف قبل « ما » فيكون « حالنا » مبتدأ أولا . و «ما» موصولا اسميا مبتدأ ثانيا ، وقوله (ما قدمته) خبراً عنه .

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد بلفظ « يؤتى بالموت يوم القيامة كهيئة كبش أملح ، فينادى مناد : يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون . فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت . وكلهم قد رأوه . ثم ينادى مناد : يا أهل النار . فيشرئبون وينظرون . فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت . وكلهم قد رأوه . فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقول : يا أهل الجنة خلود الخ — الحديث »

(٢) قال فى كشف الخفاء . قال الصاغانى : موضوع. وقال السخاوى فى المقاصد الحسنة : لم أقف عليه .

فحقٌ على المكلَّف أن يذهَبَ بنفسه مَذهب الأخيار ، ويَسْلكَ مسلك أُولى النُّهَى والأبصار ، ويتأهَّبَ لِما أشرتُ اليه ، وَيَهْتمَّ لما نبَّهْتُ عليه . وأصوبُ طريقٍ له فى ذلك ،

وهو وما قبله خبر الأول ، أو يكون « ما » تابعا لحالنا . وما بعده خبرا عما قبله ، والمراد من قوله « ما قدمته » أى من القيام بأعباء العبادة * (فحق) أى واجب ، بناء على تنوينه . وهو كذلك بالقلم بضبط محدث اليمن الشيخ سليمان العلوى ، أو « فحقَّ » أى وجب وثبت (على المكلف) البالغ العاقل . سمى بذلك لأنه مأمور بما فيه كلفة (أن يذهب بنفسه مذهب الأخيار) و « أن » ومدخولها خبر ، أو فاعل « حقَّ » ، « والأخيار » هم القائمون بما أمروا به ، والتاركون لما نهوا عنه جمع « خير » أو « خير » على الحذف للتخفيف كأموات جمع ميت أو ميت . كذا فى إعراب الهمدانى المسمى بالعقد الفريد * (ويسلك مسلك أولى) أى أصحاب ، لا واحد له من لفظه . بل من معناه . وهو « ذو » وكتبت الواو بعد همزته حال النصب والجر فرقا بينه وبين « إلى » الجارة . وحملت حالة الرفع عليهما (النُّهَى) بضم النون جمع « نهية » بالضم ، أى العقول والألباب ، سميت بذلك لأنها تنهى صاحبها عن القبيح (والأبصار) جمع « بصر » بمعنى البصيرة ، أى القلب . فى مفردات الراغب : يقال لقوة القلب المدركة : بصيرة وبصر ، نحو ([٥٠ : ٢٢] فكَشَفْنا عنك غِطَاءَكَ فبَصَرُكَ اليومَ حَدِيدٌ) وجمع البصر « أبصار » وجمع البصيرة « بصائر » ، ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة * (ويتأهب) من الأهبة (لما أشرت إليه) من أداء العبودية ، والاعراض عن أعراض الدنيا الدنية ، (ويهتمّ) أى يعتنى بهمته (بما نبهت عليه) من الذهاب مذهب الأخيار ، وسلوك مسلك أولى النهى والأبصار ، (وأصوب طريق له فى ذلك) أى فى تحصيل ذلك ، وفيه رمز

وأرشدُ مايَسْلكه من المسالك: التأدّبُ بما صحَّ عن نبيِّنا

إلى أن طرق المشايخ و إن كان فيها بعض محدثات ، كالخلوات و بعض الأعمال ، هى صواب أيضا ، لما فيها من رياضة النفوس ومجاهدتها حتى تدخل زمام العبودية ، وللوسائل حكم المقاصد [1] . (وأرشد ما يسلكه من المسالك) جمع « مسلك » مكان السلوك (التأدب بما صح عن نبينا) صلى الله عليه وسلم لو قال «بما جاء» لكان أعم . لأن الحديث الحسن كالصحيح فى الأحكام وغيرها ، والضعيف يتأدب به فى فضائل الأعمال . ويؤخذ به فى الترغيب والترهيب ، و يمكن أن يقال : ما ذكر من الضعيف ـ و إن عمل به فيما ذكر ـ إلا أن العمل بما صح أصوب وأرشد ، وتظهر ثمرة ذلك عند تعارض صحيح وضعيف ، فالتعبد بالصحيح هو الأصوب والأرشد ، والضعيف فيما يعمل به فيه من الصواب والرشاد ، والحسن داخل فيما صح ، بأن يراد به مايقابل الضعيف. و«الأدب» قال الحافظ السيوطى فى التوشيح : هو استعمال مايحمد قولا وفعلا ، وقيل : الأخذ بمكارم الأخلاق . وقيل : الوقوف مع المستحسنات . وقيل : تعظيم من فوقك ، والرفق بمن دونك ، يقال : إنه مأخوذ من المأدبة . وهى الدعوة إلى الطعام ، سمى به لأنه يدعى إليه اه * والحديث الصحيح ، بالمعنى الشامل للحسن : مااتصل سنده بنقل العدل الضابط له عن مثله ، وسلم من العلة والشذوذ ، أو بنقل المغفل ، أو كثير الخطأ . وجاء من طرق أخرى

---

(١) لو كان فى هذه الطرق المبتدعة شىء من الخير لسلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهتدون و التابعون لهم باحسان . وهذه الطرق المنسوبة إلى التصوف إنما حدثت فى الاسلام من طريق طقوس الهند أو الفرس ، أو كليهما . وطالما جرت إلى عبادة المشايخ . خصوصا فى زمننا الذى أصبح التصوف فيه صناعة ومأكلة . وزادشرها باتخاذ أربابها اللهو والرقص عبادة ، واتخاذهم الأوراد والأشعار المخترعة التى صرفت القلوب والناس عن القرآن وهدايته . والحمد لله الذى عافانا ونسأله أن يعافيهم

سيدِ الأولين والآخرين ، وأَكْرَم السابقين واللاحقين

(سيد الأولين) حتى جميع الأنبياء والمرسلين (و) سيد (الآخرين وأكرم السابقين) من الخلق (واللاحقين) منهم ، أى أجمعهم لأنواع الخير والشرف والفضائل . فهو سيد الخلائق ، وأكرمهم كلهم بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم « أنا سيد الناس يوم القيامة » رواه البخارى . وقوله صلى الله عليه وسلم « أنا سيد العالمين » رواه البيهقى ، و« العالمون » وإن اختص بالعقلاء — على الأصح — فهم أفضل سائر الأنواع من المخلوقات ، فاذا فضل هذا النوع فقد فضل سائر الأنواع بالضرورة . وقوله « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى : آدم فمن دونه إلا تحت لوائى » رواه الترمذى * ومن آخر هذا وصدر الأولين[1] علمت أفضليته على آدم . فقوله « أنا سيد ولد آدم » إما للتأدب مع آدم ، أو لأنه علم فضل بعض بنيه عليه كابراهيم عليه السلام ، فاذا فضل نبينا الأفضل من آدم ، فقد فضل آدم بالأولى . ولا ينافى التفضيل بين الأنبياء قوله تعالى : ([٢ : ٢٨٥] لانُفَرِّق بين أحدٍ من رُسُله) ولا مافى الأحاديث الصحيحة من قوله صلى الله عليه وسلم : « لاتفضلونى — وفى رواية لاتخيرونى على الأنبياء » وفى أخرى « لا تخيروا بين الأنبياء » ، ولا تفضيلَ نبينا عليهم قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق عليه « من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب » وذلك لأن عدم التفرقة بينهم إنما هى فى الايمان بهم وبما جاءوا به . وأما النهى فاما عن تفضيل فى ذات النبوة أو الرسالة . لأنهم فيها سواء ، أو عن تفضيل يؤدى إلى تنقيص بعضهم ، أو إلى خصومة ، أو على التواضع منه ، أو قبل علمه بتفضيله عليهم . وإن استُبْعد بأن راويه أبو هريرة . وما أسلم إلا

---

(١) أى ومن آخر هذا الحديث ، وصدر الحديثين قبله

سنة سبع . فيبعد أنه لم يعلمه إلا بعد هذا * وأجاب جمع ، كمالك وإمام الحرمين عن خبر يونس بما حاصله : أن تفضيل نبينا بالأمور الحسية ، كالشفاعة الكبرى ، وكونه تحت لوائه سائر الأنبياء ، والاسراء به إلى فوق سبع سموات ، مع النزول بيونس إلى قعر البحر معلوم بالضرورة . فلم يبق إلا النهى بالنسبة إلى القرب من الله تعالى . لتوهم التفاوت فيه بين من هو فوق السموات ومن فى قعر البحر . فبين صلى الله عليه وسلم أنهما حينئذ بالنسبة إلى القرب من الله تعالى على حد سواء لتعاليه تعالى عن الجهة والمكان علوا كبيرا . ففيه أبلغ رد على الجهوية والمجسمة[1]

---

(١) حديث « لايقولن أحدكم : إنى خير من يونس بن متى » رواه البخارى بألفاظ عدة . قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (ج ٦ ص ٢٨٧) قال العلماء : إنما قال صلى الله عليه وسلم ذلك تواضعا إن كان قاله بعد أن علم أنه أفضل الخلق . وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال . وقيل : خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع فى نفسه تنقيص له . فبالغ فى ذكر فضله لسد هذه الذريعة اهـ . وقال البخارى فى باب (وكان عرشه على الماء) قال ابو العالية (استوى إلى السماء) ارتفع وقال مجاهد : (استوى على العرش) علا على العرش . قال الحافظ (ج١٣ ص٣١٦) وأسند اللالكائى عن محمد بن الحسن الشيبانى قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الايمان بالقرآن وبالأحاديث التى جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفات الرب سبحانه وتعالى من غير تشبيه ولا تفسير . فمن فسر شيئاً منها وقال بقول جهم فقد خرج عما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفارق الجماعة . لأنه وصف الرب بصفة لا شىء . وعن يونس بن عبد الأعلى : سمعت الشافعى يقول : لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها . ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر . وقال الترمذى فى الجامع ـ عقب حديث أبى هريرة فى النزول ـ وهو على العرش كما وصف به نفسه فى كتابه . كذا قال غير واحد من أهل العلم فى هذا الحديث وما يشبهه من الصفات . وقال فى باب فضل الصدقة . قد ثبتت هذه الروايات ، فنؤمن بها ولا نتوهم ، ولا يقال : كيف ؟ . كذا جاء عن مالك وابن

صلواتُ اللهِ وسلامه عليه وعلى سائر النبيين * وقد قال الله تعالى (وَتَعَاوَنُوا
على البرّ والتَّقوى) وصحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

واعلم أن فى حديث «أنا سيد العالمين» أبلغ رد على المعتزلة . و إن وافقهم الباقلانى والحليمى فى تفضيلهم الملائكة على الأنبياء ، واستدلوا بما هو مردود . ومعنى تفضيل البشر عليهم : أن خواصهم ـ وهم الأنبياء ـ أفضل من خواص الملائكة ـ وهم جبريل ، واسرافيل ، وميكائيل ، وعزرائيل [1] ، وحملة العرش ، والمقربون ، والكروبيون ، والروحانيون . وخواصهم أفضل من عوام البشر إجماعا بل ضرورة وعوام البشر ، وهم الصلحاء دون الفسقة ، كما قال البيهقى وغيره : أفضل من عوامهم

وقوله (صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين) فيه الصلاة على سائر الأنبياء . قال صلى الله عليه وسلم « صلوا على أنبياء الله ورسله فانهم بعثوا كما بعثت » رواه الطبرانى * (وقد قال تعالى : وتعاونوا على البر) اتباع الأمر (والتقوى) اجتناب النهى . قاله الكواشى (وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)

عيينة وابن المبارك أنهم أمرّوها بلا كيف . وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة . وأما الجهمية فأنكروها وقالوا . هذا تشبيه . وقال إمام الحرمين : واجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الله هو مذهب السلف . والذى نرتضيه وندين الله به عقيدة : اتباع سلف الأمة ، للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة . فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما لا شك يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة . واذ قد انصرم عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع اه

(١) قال الحافظ ابن كثير : وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه لا فى القرآن ولا فى الأحاديث الصحاح ، وقد جاء تسميته فى بعض الآثار بعزرائيل . والله أعلم اه يعنى بعض الآثار الاسرائيلية : التى نهينا عن الاعتماد عليها فى إثبات شىء أو نفيه

أنه قال «واللهُ فى عَوْنِ العبدِ ما كان العبد فى عون أخيه » * وأنه قال «من دَلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعِله» * وأنه قال « مَنْ دعا إلى هُدًى كان له من الأجرِ مثلُ أجُور من تَبِعَه لا يَنْقُص ذلك من أجُورهم شيئا »

أنه قال) أى من جملة حديث رواه مسلم عن أبى هريرة مرفوعا ؛ وأخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وغيرهم . وما اعترض به على الحديث بأن فى سنده من هو مردود : غير مقبول . (والله فى عون العبد ما كان العبد) أى مدة كونه (فى عون أخيه) بقلبه أو بدنه أو ماله ، أو غيرها . قيل : وهذا إجمال لاتسع بيانه الطروس . فانه مطلق فى سائر الأحوال والأزمان . وفيه أن العبد إذا عزم على معاونة أخيه فينبغى ألا يجبن عن إنفاذ قوله وصدقه بالحق إيمانا ، بأن الله فى عونه ، وأن يأمل الإعانة بدوام هذه الاعانة ، فانه صلى الله عليه وسلم لم يقيدها بحالة خاصة ، بل أخبر بأنها دائمة بدوام كون العبد فى عون أخيه (و) صح أيضا (أنه) صلى الله عليه وسلم (قال : من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله) شكّ بعض رواته فقال: « أو قال عامله » رواه مسلم وأبو داود من حديث أبى مسعود البدرى (١) . وابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود . ورواه البزار من حديث أنس مختصرا ، بلفظ « الدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان » ذكره المنذرى (٢) فى الترغيب والترهيب (و) صح أيضا (أنه) صلى الله عليه وسلم (قال : من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً) رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة ، كما فى الجامع الصغير للسيوطى ،

---

(١) اسمه عقبة بن عمرو الخزرجى لم يشهد بدرا . وإنما سكنها . وشهد العقبة الثانية واحدا وما بعدها مات سنة ٤١ . وقيل سنة ٦٠

(٢) هو الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ

وأنه قال لعلىّ رضى الله عنه « فوَالله لَأن يَهْدِىَ اللهُ بك رجلاً واحدا خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعم » ،

وفى مصباح الزجاجة له أيضاً ، قال البيضاوى : أفعال العباد ، وإن كانت غير موجبة ولا مقتضية للثواب والعقاب بذواتها ، إلا أن الله تعالى أجرى عادته الالٰهية بربط الثواب والعقاب بها ارتباط المسببات بالأسباب . وليس للعبد تأثير فى صدور الفعل عنه بوجه . فكما يترتبان على مايباشره و يزاوله يترتب كل منهما أيضا على ما هو سبب فى فعله ، كالارشاد إليه والحث عليه . ولما كانت الجهة التى بها استوجب المتسبب الأجر والجزاء غير الجهة التى استوجب بها المباشر ، لم ينقص أجره من أجره شيئا * وقال الطيبى : « الهدى » فى الحديث مايهتدى به من الأعمال ، وهو بحسب التنكير مطلق شائع فى جنس مايقال له «هدى» يطلق على القليل والكثير . فأعظمه هدى : من دعا إلى الله . وأدناه هدى : من دعا إلى إماطة الأذى عن طريق المسلمين . ومن ثَمَّ عظم شأن الفقيه الداعى المنذر ، حتى فُضِّل واحدٌ منهم على ألف عابد . لأن نفعه يعم الأشخاص والأعصار إلى يوم القيامة اه * وسيأتى فى هذا المعنى مزيد إن شاء الله تعالى * (و) صح أيضا (أنه) صلى الله عليه وسلم (قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه) يوم خَيْبَرَ [١] (فوالله لأنْ يهدىَ الله بك رجلا واحداً خير لك من حُمْرِ النَّعَمِ) رواه الشيخان . « وحمر النعم » بفتح النون والمهملة ، أى الابل الحمر ، أنفس أموال العرب . وهذا الخطاب باعتبار ما استقر عندهم من نفاسة ذلك وكرمه . و إلا فلا مناسبة بينه وبين الثواب

---

(١) كانت غزوة خيبر فى السنة السادسة من الهجرة . خرج اليها النبى صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من الحديبية بعشرين يوما

فرأيتُ أن أجمعَ مختصرا من الأحاديث الصحيحة

المترتب على الهداية . وفى الحديث « لمَوضعُ سَوطِ أحدكم فى الجنة خير من الدنيا وما فيها [١] » (فرأيت) الفاء فصيحة ، أى أنه وردالأمر بالتعاون على البر والتقوى فى الكتاب والسنة . فرأيت (أن أجمع مختصرا) بوزن اسم مفعول، مفعول « أجمع » ويقال له « الموجز » وهو ماقل لفظه وكثر معناه . ويجوز أن يقرأ بصيغة اسم الفاعل ، فيكون حالا من فاعل « أجمع ويكون قوله (من الأحاديث الصحيحة) ظرفا لغوا متعلقا بأجمع ، وعلى الأول : فهوظرف مستقر صفة « مختصرا » كائنا من الأحاديث* والأحاديث ، قال فى المفاتيح: جمع أحدوثه . وهو مايحدث به . والحديث مثله . ويجوزأن تكون جمع «حديث» على غيرقياس . وفى الكشاف : الأحاديث تكون اسم جمع للحديث . ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اه وتعقبه أبو حيان فى النهر بأن « أفاعيل » ليست من صيغ اسم الجمع وإنما ذكرها أصحابنا فيما شذّ من الجمع ، كقطيع وأقاطيع . وإذا حكموا على « عباديد [٢] » بأنه جمع تكسير لااسم جمع . وهو لم يُلفظ له بواحد . فأحاديث أحْرَى ، فالصواب أنه جمع تكسير ، لما ذكرنا ، أى من «أحدوثه» وهومايتحدث به الناس على جهة الغرابة والتعجيب اه * والحديث المرادهنا : مايسمى بعلم الحديث رواية ، وحدُّه ـ كما فى شرح البخارى للكرمانى ـ «علم يعرف به أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله » * قلت : وكذا تقريره وما أضيف إليه من وصفٍ ، ككونه ليس بالطويل ولابالقصير . وأيامٍ . كاستشهاد عَمِّه حمزة رضى الله عنه

---

(١) رواه البخارى فى صفة الجنة عن سهل بن سعد ، وفى أول الجهاد عن أنس

(٢) فى نسخة «أعابيد» . وفى القاموس : والعبابيد، والعباديد ، بلا واحد من لفظهما : الطرق . والخيل الذاهبون فى كل وجه ، والآكام والطرق البعيدة .

مشتملاً على مايكونُ طريقا لصاحبه إلى الآخرة ، ومُحَصِّلاً لآدابه الباطنة والظاهرة ، جامِعاً للترغيب والترهيب ، وسائر أنواع آداب السالـكين : من أحاديثِ الزُّهد ورياضاتِ النُّفوس

بأَحُد . وكذا تعرف به أقوال وأفعال مَنْ دونه ، من صحابى وتابعىّ ، كما ذكره شيخ الاسلام زكريا وغيره * فكان عليه ذكره ، لأن الحديث يطلق على ذلك فهو غير جامع ، وتعقب السيوطى هذا التعريف أيضا : بأنه غير مانع ، لشموله علم الاستنباط اه * قال الـكرمانى : وموضوعه ذات النبى من حيث إنه نبى * قال الشيخ زكريا : هذا مبنى على تعريفه المقتضى لحصر الحديث فى المرفوع . أما على القول بأنه أعم منه ومن الموقوف فينبغى أن يعمم الموضوع ليشمل ذلك . وغايته : الفوز بسعادة الدارين * ومراده من « الصحيحة » المقبولة . فتشمل الحسن ، ولو لغيره ، والضعيف المقبول فى مواطنه * (مشتملا على ما) أى الذى (يكون طريقا) أى موصلا (لصاحبه) أى المختصر (إلى) تحصيل نعيم (الآخرة) إن لاحظته العناية . وذلك هو الهدى (ومحصلا لآدابه) أى الصاحب « والآداب » جمع « أدب » وسبق تعريفه قريبا ، أى محصلا لما ينبغى له استعماله مما يحمد قولا وفعلا (الباطنة) من نحو الاخلاص والصدق ، وسائر الأخلاق الحميدة (والظاهرة) من نحو إقامة الشرائع ، وترك المحرمات ، والاتيان بالمندوبات (جامعا للترغيب) فى الأعمال الصالحة ، بذكر ماجاء فى فضلها وثوابها من كتاب أوسنة . ويعبر عنه بالتبشير (والترهيب) من الأعمال المحرمة والأخلاق الرديئة ، بذكر ماجاء فيها من وعيد أو ذم ، أو نحوه . ويعبر عنه بالنذارة (وسائر أنواع آداب السالـكين) من قطع العلائق ، وترك العوائق ، والاقبال على الخالق (من أحاديث الزهد) أى الواردة بطلبه وبيان فضله (ورياضات النفوس) أى

وتهذيبِ الأخْلاق وطهارات القلوب وعلاجِها ، وصيانة الجوارح وإزالةِ اعوجاجها وغير ذلك من مقاصدِ العارفين ،

ماترتاض وتنخلع بمزاولته عن طبعها الذميم ووصفها القبيح ، من المجاهدات ، وقطع المألوفات والمعتادات من الحظوظ والشهوات ، فان النفس قبل رياضتها بمثابة الدابة الَحرون ، لاتزداد بالعلف إلا إباءوامتناعا عن مُراد سيدها ، و بعد تأديبها وتهذيبها لاتزداد بذلك إلا انقياداً للمراد ، ووفاقا له على سلوك طريق السداد * (وتهذيب الأخلاق) أى تنقيتها واختيار جيدها من رديئها . « والأخلاق » جمع « خلق » بضم الخاء المعجمة واللام ، وباسكانها أيضا : اسم للمعانى المدركة بالبصيرة . وعُرِّف بأنه ملكة تصدر عنها الأفعال بسهولة ، فان كانت حسنة فخلق حسن ، وإلافسيء (وطهارات القلوب) من أدناسها ، كالعجب والكبرونحوهما من الأخلاق المذمومة (وعلاجها) من أمراضها ، من نحو الغفلة وغلبة الاهتمام بشأن الدنيا (وصيانة الجوارح) أى صونها عمالايجوز لها مزاولته ومحاولته من الأعمال (و إزالةاعوجاجها) وذلك لأن القلب إذا صلح صلح سائرالجسد . وصلاح الظاهرعنوان صلاح الباطن فمن تحلى ظاهره بحلى الشريعة ، وتطهرباطنه بمياه الطريقة ، فقدفاز بالحقيقة[1] (وغير ذلك من مقاصد العارفين) كالاقبال على الخالق ، وقطع العلائق ، وترك العوائق ، والاشتغال به فى كل حال ، وطلب مرضاته فى سائر الأحوال . فمن وجدمولاه لم يفقد

---

(١) كان الأولى أن يقول : وتطهير باطنه بماء الاخلاص ، فقدفاز بسعادة الدارين كما قال تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون) فلا بد لقبول العمل من إخلاص القلب واتباع السنة بالظاهر ، ثم رجاء رحمة الله وفضله

وألتزِمٌ فيه ألاَّ أذكُر إلا حديثاً صحيحا من الواضِحات ، مضافا إلى الكتب الصحيحةِ المشهورات* وأُصدِّرَ الأبوابَ من القرآن العزيز بآياتٍ كريمات ، وأوَشِّحَ مايحتاجُ إلى ضبطٍ أو شرح معنًى خَفِيٍّ

شيئا * (وألتزم فيه) أى فى هذا المختصر (ألاّ أذكر إلا حديثا صحيحا) أى مقبولا . فشمل الحسن ولو لغيره ، كما تقدم (من) الأحاديث (الواضحات) المعنى أى فى الجملة، ووضوحها . لأن المصنف قصد عموم النفع ، بكتابه حتى للعوام (مضافا إلى الكتب الصحيحة المشهورات) وهى الصحيحان ، وأكثرماهنا منهما ، والسنن لأبى داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وكذا مستدرك الحاكم . (وأُصدِّر الأبواب) أى أجعل صدرها و بدأها (من القرآن العزيز) هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، بقصد الاعجاز بقدر أقصر سورة منه ، المتعبَّد بتلاوته ومن عزته العجز عن الاتيان بقدر أقصر سورة منه (بآيات كريمات) أى يجىء بها مناسبة للباب ، لتكون كالدليل وتعود بركتها على باقى مسائل البـاب . والآيات جمع آية بالمد ، لغة بمعنى العلامة واصطلاحا طائفة من كلمات القرآن المتميزة بفصل ، أى هو آخر الآية الذى يقال فيـه الفاصلة ، وفى أصل آية ستة أقوال قيل : إنه بفتحات . وقيل : بوزن كلمة «تحركت» الياء فيهما وانفتح ماقبلها . فقلبت ألفا . وقيل : غير ذلك [١] . وقد بسط ذلك ابن الصائغ فى شرح البردة . « وكريمات» أى نفيسات . ومنه كرائم الأموال (وأوشِّح مايحتاج) من الكلمات (إلى ضبط) لحروفه . نحو : بالفوقية، أو بالتحتية و بيان ماقد يشتبه من الحركات (أو شرح معنى) للفظ (خفى) لعموم دلالة اللفظ عليه ، بأن يكون ذلك اللفظ مصروفا عن ظاهره لمقتضٍ، أو بأن يكون فيه غموض ، بحيث يعسر فهم معناه من مبناه

---

(١) انظر صفحة ٢٤

بنفائسَ من التنبيهات * و إذا قلتُ فى آخر حديثٍ « متفقٌ عليه » فمعناه : رَوَاه البُخَارىّ ومُسْلم * وأرجو ، إن تمَّ هذا الكتاب ، أن يكون سائقا للمُعْتَنِى به إلي الخيرات ، حاجزاً له عَنْ أنواع القبائح

إلا للعارف ، أونحوذلك (بنفائس) جمع « نفيسة » وهو مايرغب فيه من علم أو مال ، أو نحوذلك . والظرف متعلق بـ« أوشّح » * وقوله (من التنبيهات) جمع تنبيه . وهو لغة : الايقاظ واصطلاحا : إعلام بما يؤخذ مما قبله إجمالا . وهو فى محل الصفة لـ« نفائس » وفى العبارة تشبيه مايعقب به متن الحديث : من ضبط مبنى ، أو بيان معنى بالوِشاح . وهو كما فى النهاية : شيء ينسج عريضا من أديم . وربما رُصِّع بالجواهر والخرز . تَشُدُّه به المرأة بين عاتقها وكَشْحها اهـ . ففى العبارة استعارة تبعية مصرحة ، وذكر « النفائس » ترشيح . وقوله « من التنبيهات » تجريد (واذا قلت فى آخر حديث) أى عقبه (متفق عليه . فمعناه رواه البخارى ومسلم) لا اتفاق الأئمة ، قال ابن الصلاح : لكن يلزم من اتفاقهما اتفاق الأئمة عليه . لأن الأمة اتفقت على تَلَقِّيهم لما روياه بالقبول (وأرجو) من « الرجاء » ضد اليأس . فهو تجويز وقوع محبوب على قرب ، واستعماله فى غيره . كما فى ([٧١ : ١٣] مالكم لا ترجون لله وَقارا ؟) أى لا تخافون عظمته : مجاز يحتاج إلى قرينة (إن) عبر بها ، مع أن المناسب للرجاء « إذا » : إشارة إلى أنه مع رجائه ملاحظ لمقام الخوف المقتضى للتردد فى التمام اللازم للمرجو (تم هـذا الكتاب) الحاضر ذهنا وإن تقدم على وضع الخطبة ، كما ذكره المحققون ، وتقدمها يدل عليه صنيعه فى مواضع . وقد تم ولله الحمد (أن يكون سائقا) اسم فاعل من السوق (للمعتنى) أى لصاحب العناية (به إلى الخيرات) وهى فعل العبادات والتقرب اليه سبحانه بأنواع الطاعات (حاجزا له) أى مانعا للمعتنى به (عن أنواع القبائح) والرذائل

والمُهلكات * وأنا سائلٌ أخًا انتفَعَ بشيء منه أن يدْعُوَ لى ولوالدىَّ ومشايخى وسائر أحبابنا

كالسرقة و إخلال المروءة (والمهلكات) أى الموقعة لصاحبها فى الهلاك والعذاب ، كالعجب والكبر والرياء ، ونحو ذلك ، لما اشتمل عليه هذا الكتاب من الترغيب والترهيب ، ومن أحاديث طهارات القلوب وعلاجها * (وأنا سائل أخًا انتفع بشيء منه أن يدعو لى ولوالدى) سأل المصنف من الاخوان — وهم المؤمنون الدعاء — : له ولمن ذكر معه ، ليفوزوا بالقيام بسنة الدعاء للأخ بظهر الغيب ، وليحصل لهم من الفضل مثل مادعوا به : كما ورد فى حديث أبى الدرداء المرفوع [1] ، وفى قوله «سائل» مالا يخفى من مزيد التواضع والتنزل ، وفى حذف المدعو به تعميم . وأهمّ ما يُدْعَى به : غفران الذنون ، ورضاء علام الغيوب (ومشايخى) جمع ، واحده «شيخ» والمراد بالشيوخ هنا : من أخذ عنهم المصنف ، وإن لم يبلغوا سن الشيوخة * ويجمع «شيخ» على شيوخ ، وأشياخ ، وشِيخان وشِيَخه — بكسر الشين المعجمة وفتح التحتية ، وسكونها — ومَشْيخة بوزن مَسْبَعة . وقد نظم ابن مالك بعض هذه الجموع ، وزاد غيرها فقال :

شَيَخ ، شيوخ ، ومَشيوخاء مَشْيخة ... شِيخان أشْياخ أيضاً شِيْخَة شِيَخَه

وزاد فى القاموس « شيوخ ، ومشيخة » ، بكسر الشين فيهما « ومشيخاء » ، وفى النوادر للحيانى : هؤلاء مشيخة — بفتح الياء وضمها — و به يصير له اثنا عشر جمعا . و اختلف فى «أشاييخ» فقيل : جمع شيخ . وقيل : جمع أشياخ . كأنابيب جمع أنياب وقد بسطت الكلام فى هذا المقام فى حاشيتى على شرح الشيخ خالد الأزهرى على الآجُرومية * (وسائر أحبابنا) أى باقيهم . « والأحباب » بتكرير الموحدة جمع «حبيب» كشريف وأشراف ، وضبطه نفيس الدين سليمان بن ابراهيم العلوى

---

(١) روى مسلم وأبو داود عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم « من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك له : آمين . ولك بمثله »

والمسلمينَ أجمعين * وعلى الله الكريم اعتمادِى، وإليه تفويضى واستنادِى وحسبىَ اللهُ ونعم الوكيل

بالقلم بتشديد الموحدة بعدها مَدَّة ثم همزة مكسورة . أى من أحبنا ومن أحببناه فى الله تعالى ، بناء على جواز إطلاق المشترك على معنييه معاً * (وسائر المسلمين) تعميم لأن الدعاء كلما كان أعم كان أتم . وقوله (أجمعين) تأكيد للاحاطة والشمول (وعلى الله الكريم) أى لا على غيره . كما يؤذن به تقديم ما حقّه التأخير (اعتمادى) هذا . وقد جعل الرضى الاستعلاء فى نحو هذا من الاستعلاء المجازى ، واللائق بالأدب عدم التعبير بالاستعلاء مطلقاً ، وأن يقال : معنى « على » فى ذلك ونحوه لزوم التفويض إلى الله سبحانه . فمعنى « عليه اعتمادى » لزمت تفويض أمرى الى الله تعالى . واللفظ قد يخرج بشهرته فى الاستعمال فى الشيء عن مراعاة أصل المعنى ، ذكره بعض المحققين * (وإليه) لا إلى غيره (تفويضى واستنادى) فى النهاية ، يقال : فوّض إليه الأمر ، إذا ردّه اليه ، وجعله الحاكم فيه اه * (وحسبى الله) أى محسبى وكافىّ خبر قدم على مبتدئه . وهو الاسم الكريم . لافادة ماذكر ، وللاهتمام . وقوله (ونعم الوكيل) معطوف إما على « حسبى » الخبر ، من باب عطف الجملة على المفرد ، والمخصوص على هذا بالمدح : هو الاسم الكريم ، أو على جملة « حسبى الله » من غير تقدير شيء فى الجملة المعطوفة ، بناء على كون تلك إنشائية معنى . إذ هى لانشاء التوكل . فيكون من عطف إنشائية على مثلها ، أو مع تقدير مبتدأ هو « هو » حذف اختصارا . ولا حاجة على هذا لتقدير « مقول » فى جانب الخبر . لأن الأصح — كما قال ابن مالك — جواز وقوع الجملة الطلبية خبرا من غير إضمار قول . وتقدير المبتدأ فى الجملة المعطوفة بناء على إبقاء جملة « حسبى الله » على وضعها . وهى الخبرية لفظاً ومعنى . فيكون من عطف خبرية على مثلها . والمخصوص على

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ .

بسم الله الرحمنِ الرَّحيم

(بابُ الاخلاص

هذا محذوف . كما علم مما ذكر * (ولا حول) بفتح اللام . ويجوز الرفع على إهمال «لا» لتكررها (ولا قوة) بهما ، أو بالنصب عطفا على محل « حول » إذا أعملت « لا » فيه . والمعنى ، كما جاء فى حديث ابن مسعود مرفوعا« لاحول عن معصية الله ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله » أخرجه البزار (إلا بالله العزيز الحكيم) هذا هو الوارد فى ختم هذه الكلمة فى الصحيح ، دون ما اشتهر من ختمها بالعلى العظيم . وإن جاء فى رواية ، كما يؤذن به بعض نسخ الحصن الحصين . «والعزيز» الذى لايغالب فى مراده . و«الحكيم»من يضع الأشياء في مواضعها على ما سبق فى علمه

بسم الله الرحمن الرحيم

أى أشرع فى مقصود الكتاب مستعينا باسم الله الواجب الوجود ، المنعم الوهاب

(باب الاخلاص)

«الباب» لغة : الفُرجة التى يتوصل بها من خارج إلى داخل ، وبالعكس ، والوجه. قيل : وهو أنسب . لأن الباب لايناسب بالمعنى الأول إلا إن كان اسما للجزء الأول من الطائفة المخصوصة من الكلام . وليس كذلك ، بل هو اسم للجميع ، وكونه بمعنى الوجه أوجه ، للاختلاف بين معنى كل باب وغيره . كاختلاف الوجوه ، لكن يَصُدُّ عنه : جمعهم له على أبواب ، دون بابات ، الذى هو جمع باب ، بمعنى الوجه * وعرفا : طائفة مخصوصة من الكتاب ، مشتملة على فصول ومسائل غالبا ، وسيأتى أنه يجوز فيه الرفع والنصب بل والجر على وجه[1] .

---

(١) أى فى أول باب التوبة الآتى بعد هذا

الأصح خلافه . و «الاخلاص» بكسر الهمزة مصدر «أخلص» ، قال الراغب فى مفرداته : الاخلاص : التعرّى عما دون الله تعالى . اه . وقال الأستاذ أبو القاسم القشيرى : الاخلاص : إفراد الحق سبحانه وتعالى فى الطاعات بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى ، دون شيء آخر : من تَصَنُّع لمخلوق ، واكتساب مَحْمَدَة عند الناس ، أو محبة مدح من الخلق ، أو معنى من المعانى ، سوى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى . قال : ويصح ، أو يصلح أن يقال : الاخلاص تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين * (وإحضار النية فى جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة) أى الظاهرة (و) الأعمال والأقوال والأحوال (الخفية) والنية واجبة أول كل فعل شرعى ، لتوقف صحته عليها ، ودوام استحضارها إلى آخره سنة محبوبة [1] وأما التروك ، كترك نحو الزنى فلا يتوقف عليها ، نعم لا بد فى حصول الثواب من قصد الترك على وجه الامتثال ، وإنما وجبت النية فى الصوم

---

(١) أعمال العبادات والطاعات انما شرعت للتقرب إلى الله وبلوغ مرضاته وجناته فى الآخرة . ولا يتحقق ذلك إلا بتحقق الاخلاص لله فى كل أجزائها . فالصلاة مثلا — لا تقع على الوجه الذى يحبه الله إلا إذا صاحب الاخلاص كل جزء منها إلى الخروج منها بالتسليم . فاذا انصرف القلب عن الله فى أى جزء منها نقص من الصلاة بقدر هذا الانصراف : ولذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم « إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته ، تسعها ، ثمنها ، سبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها » رواه أبو داود والنسائى وابن حبان عن عمار بن ياسر . وقال أيضا « لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه » رواه محمد بن نصر المروزى مرسلا فى كتاب الصلاة . وصله أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى بن كعب والنية : انعقاد القلب على اخلاص عمله والتوجه به الى الله . والتلفظ بها بدعة سيئة مخالفة لما كان عليه النبى صلى الله عليه وأصحابه ، والأئمة المهتدون

قال الله تعالى (وما أُمِروا إلا لِيعبُدوا الله مُخْلصِين له الدِّينَ حُنَفَاءَ وُيقيموا الصَّلَوٰةَ وُيؤْتُوا الزكَوٰة وذلكَ دِينُ القَيِّمَةِ)

مع أنه من باب التروك . لأنه ملحق بالأفعال . إذ القصد منه قمع النفس عن معتاداتها وقطعها عن عاداتها * (قال تعالى) أى عما لايليق بشأنه سبحانه (وما أمروا) أى اليهود والنصارى فى التوراة والانجيل [1] (إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) أى موحدين لايعبدون سواه . قال بعضهم : الاخلاص تصفية العمل عن شوائب الكدر * (حنفاء) مائلين عن جميع الأديان إلى دين الاسلام ، أو حنفاء : حجاجا(و يقيموا الصلاة) أى المكتوبة فى أوقاتها (و يؤتوا الزكاة) عند وجوبها ، و «مخلصين» و «حنفاء» حالان من الضمير فى « يعبدوا » ، والمعنى : وما أمروا فى كتابهم إلا ليعبدوا الله بهذا الوصف (وذلك دين القيّمة) أى الملة المستقيمة أو دين الجماعة القيمة ، أو الهاء للمبالغة ، وعن الخليل : أن «القيمة » جمع القيّم ، والقيم ، والقائم : واحد ، أو المراد بدين القيمة : دين الملائكة ، أو ملة ابراهيم ، وقرىء (وذلك دين القيمة) على تأويل الدين بالملة . كذا فى التفسير الكبير للكواشى ، وقال الحافظ السيوطى فى الاكليل : قوله تعالى «وما أمروا الخ» استدل به على وجوب النية فى العبادات . لأن الاخلاص لا يكون بدونها اه

(وقال تعالى [٩٢:٣] لن تنالوا البر) أى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير ، ولن تنالوا برالله ، الذى هو الرحمة والرضى والجنة . وقوله (حتى تنفقوا مما تحبون) أى من المال ، أو مايعمه وغيره . كبذل الجاه . ومفاداته للناس .

---

(٢) الأمر فى الآية موجهة إلى اليهود والنصارى والمشركين من العرب وغيرهم . واليهود أمروا على لسان موسى والنصارى على لسان عيسى ، والمشركون على لسان ابراهيم واسماعيل . ولذلك كان المشركون يسمون أنفسهم الحنفاء نسبة إلى ملة ابراهيم

وقال تعالى ([٢٢ : ٣٧] لن يَنالَ اللهَ لحومُها ولا دِماؤُها ولكن يَنا ُله التَّقْوَى منكم)

والبذل فى طاعة الله ، والمهجة فى سبيله ، روى أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال : «يارسول الله ، إن أحب أموالى إليَّ بَيْرُحَاء . فضعْها حيث أرَاكَ الله تعالى فقال : بخ بخ . ذاك مالٌ رابح ـ أورائح ـ و إنى أرى أن تجعلها فى الأقربين[١] » وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال «هذه فى سبيل الله . فحمل عليها رسول الله أسامة . فقال زيد : إنما أردت أن أتصدق بها . فقال عليه الصلاة والسلام : إن الله تعالى قد قبلها منك » [٢] وذلك يدل على أن إنفاق أحب الأموال على أقرب الأقارب أفضل ، وأن الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب * وقوله (وما تنفقوا من شىء) محبوب أو غيره (فان الله به عليم) فيجازيكم بحسبه[٣] * (وقال تعالى: لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) قال القرطبى: قال ابن عباس «كان أهل الجاهلية يلطخون البيت بدماء البُدْن . فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك . فنزلت هذه الآية » والنيل لايتعلق بالبارىء تعالى . لكنه عبّر به تعبيرا مجازيا عن القبول . والمعنى : لن يصل إليه ، وقال ابن عباس « لن يصعد إليه » وابن عيسى «لن يصل إليه لحومها ولا دماؤها . ولكن يصل إليه

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك . وتمامه « فقال أبو طلحة : افعل يارسول الله . فقسمها أبو طلحة فى أقاربه و بنى عمه » .

(٢) ذكره الزمخشرى فى تفسير الآية . قال الحافظ ابن حجر فى تخريجه : أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره . والطبرى من طريقه . أخبرنا معمر عن أيوب وغيره أنه لما نزلت الآية الخ وهو معضل . وأخرجه الطبرى من رواية عمرو بن دينار نحوه مرسلا . ورجاله ثقات .

(٣) هذه الآية ساقطة من بعض نسخ المتن والشرح .

وقال تعالى ([٣ : ٢٩] قُلْ إن تُخْفُوا ما فى صُدوركم أو تُبْدُوه يَعْلَمْهُ الله)

١ — وعن أمير المؤمنين أبى حَفْص عمرَ بنِ الخطَّاب بن نُفَيْل بنِ عبدِ العُزَّى بن رِياح بن عبدِ اللهِ بن قُرْط بن رَزَاح بن عَدِى

التقوى منكم ، أى ما أريد به وجه الله تعالى ، فذلك الذى يقبله و يرفع إليه و يسمعه و يثيب عليه . ومنه الحديث « إنما الأعمال بالنيات » اه

(وقال تعالى : قل إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله) فهو العالم بخفيات الصدور . وما اشتملت عليه . قال تعالى ([٦٧ : ١٣ ، ١٤] وَأَسِرُّوا قَوْلَكُم أو اجْهَرُوا به إنَّه عليم بذاتِ الصُّدور . ألا يعلمُ مَنْ خَلَق » فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء . ولا يغيب عنه شىء ، سبحانه لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة * وفى الآيات تنبيه للموفق على الاخلاص ، وتحذير له من الرياء ، ولا يغتر بخفائه ظاهراً . فان الله تعالى عالم بخفيات الأمور ، لا تخفى عليه وساوس الصدور .

(وعن أمير المؤمنين) أول من لُقّب به من الخلفاء . أما أول من لقب به مطلقا فعبد الله بن جَحْش فى سرية . وقد بيّنت مستند ذلك فى أواخر شرح الأذكار (أبى حفص) بالحاء المهملة ، وهو الأسد . كناه به صلى الله عليه وسلم ، كما فى الفتح المبين ، وكنى به لكمال شجاعته ومزيد صلابته (عمر بن الخطاب بن نفيل) بضم النون وفتح الفاء وسكون التحتية (ابن عبد العزى) بضم العين المهملة وتشديد الزاى بعدها ألف مقصورة (بن رياح) بكسر الراء بعدها تحتية و بعد الألف حاء مهملة (بن عبد الله) كذا هو فى أُسْد الغابة ، وفى نسخة من التهذيب للمصنف رحمه الله : بدل «عبد الله» هذا «عَدِى» (بن قرط) بضم القاف وسكون الراء و بالطاء المهملة (بن رزاح) بفتح الراء ، قيل وقد تكسر بعدوها زاى ، و بعد الألف حاء مهملة (بن عدى) بفتح المهملة وكسر الثانية وتشديد

بن كَعْبٍ بن لُؤَىٍّ بن غالب ، القُرَشىّ العَدَوِىّ رضىَ الله عنه

التحتية (بن كعب) بسكون العين المهملة بعدها موحدة (بن لؤى) بضم اللام وفتح الهمزة تصغير اللأى . قال فى المواهب اللدنية : وهو الثور ، وفى « كعب » يجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم (بن غالب القرشى العدوى رضى الله عنه) أشار المصنف رحمه الله إلى طريق النسبة إلى القبائل . وذلك أنه يبدأ بالأعم قبل الأخص . فيقال : القرشى الهاشمى ، ليحصل بالثانى فائدة ، إذ لو ذكر الأول بعد الثانى ، بأن قيل : الهاشمى القرشي لخلا عن الفائدة ، إذ يلزم من كونه هاشميا كونه قرشياً ، بخلاف العكس . ذكره المصنف فى تهذيبه وغيره * قال : فان قيل : كان ينبغى ألا يذكر الأعم ، بأن يقتصر على الأخص ، فالجواب : أنه قد يخفى على بعض الناس كون الهاشمى قرشياً ، و يظهر هذا الخفاء فى البطون الخفية ، كالأشْهَلى من الأنصار ، إذ لو اقتصر على الأشهلى لم يعرف كثير من الناس أنه من الأنصار أم لا ، فذكر العام ثم الخاص لدفع هذا التوهم ، قال : وقد يقتصرون على الخاص . وقد يقتصرون على العام ، وهذا قليل اه * روى لعمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثاً ، وقال أبو نعيم : أسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المتون سوى الطرق مائتى حديث ونيفاً . كذا فى التلقيح [1] لابن الجوزى، اتفق الشيخان منها على ستة وعشرين ، وانفرد البخارى بأربعة وثلاثين ، ومسلم بأحد وعشرين [2] * وقد أعرضنا عن بسط تراجم الرجال فى هذا الكتاب طلباً للايجاز ، وحذراً من الاسهاب ، لا سيما وقد ترجمنا معظم من ذكر من الصحابة هنا فى شرح الأذكار ، واقتصرنا هنا على ذكر عدة مروياته

---

(١) هو تلقيح فهوم أهل الأثر .

(٢) طعنه أبو لؤلؤة المجوسى يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين . ودفن يوم الأحد هلال شهر المحرم سنة ٢٤ . رضى الله عنه

قال سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ « إنَّما

وزمن وفاته ، و بعض يسير من بيان حالاته ، لعموم حاجة المحدث لذلك . والله الموفق * (قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول) الجملة المضارعية بدل اشتمال من مفعول « سمعت » أو حالية ، تبين المضاف المحذوف قبله ، أى كلامه . وأتى به مضارعا بعد « سمع » الماضى : إما حكاية لحاله وقت السماع ، أو لاحضار ذلك فى ذهن السامع . وما ذكر من أن ثَمَّةَ مضافا محذوفا ، والجملة بعده تبين المحذوف : هو المشهور ، وقيل : إن « سمع » يتعدى لمفعولين . فلا محذوف ، بل أولهما « رسول » وثانيهما الجملة * واعترض بأن محل تعديتها لهما إذا كانت فيما يُظَن . وأجيب : بمنع الحصر * ثم الحديث المذكور لم يرو من طريق صحيح عنه صلى الله عليه وسلم إلا من حديث عمر رضى الله تعالى عنه ، و إن رواه نحو عشرين صحابياً ، فهو — و إن أجمعوا على صحته — : غريب باعتبار أوله ، مشهور باعتبار آخره ، وليس بمتواتر ، لفقد عدد التواتر فى بعض طبقاته [1] * (إنما) هى لتقوية الحكم المذكور بعدها اتفاقا ، ولذا وجب كونه معلوما للمخاطب أو فى منزلته ، ولافادة الحصر وضعا حقيقة ، على الأصح عند جمهور الأصوليين ، خلافا لجمهور النحاة . والحصر — وبمعناه القصر — : إثبات الحكم لما بعدها ، ونفيه عما عداه ، لورودها لذلك فى كلامهم غالبا . والأصل الحقيقة ، وجواز غلبة المجاز خلاف الأصل . والقصر فى الخبر : من قصر المسند إليه — ويعبر عنه بالموصوف — على المسند ، و يعبر عنه بصفته . وهو إضافى ، لخروج بعض الأعمال عن اعتبار النية فيها . [2] وفى الخبر حصر آخر ، وهو عموم المبتدأ . إذ هو جمع محلى

---

(١) بل هو متواتر تواترا معنويا . أنظر تحقيق العلامة الشيخ احمد شاكر فى كتاب الباعث الحثيث فى مصطلح الحديث للحافظ ابن كثير طبع محمود توفيق

(٢) بل هو قصر حقيقى . لأن المراد من « الأعمال » ما يتقرب به الى الله . وقد يصح إضافيا إذا جعلنا « الأعمال » عاما فى القرب وغيرها

الأعمالُ بالنيات،

بأل التى للاستغراق ، لا للماهية . إذ المفتقر للنية أفراد العمل ، لاماهيته من حيث هى ماهية . إذ لاوجود لها فى الخارج * ورواية « انما العمل »المبتدأ فيها مفرد محلى بأل المذكورة . فيفيد العموم ، وخصوص الخبر على حد « صديقى زيد » لعموم المضاف لمعرفة . وعلى هذا : فجمع بينهما فى هذه تأكيدا . وسقطت « إنما » فى رواية صحيحة ، اكتفاء عنها بهذا الحاصر *(الأعمال)هى حركات البدن. فتدخل فيها الأقوال ويتجوّز بها عن حركات النفس . وأوثرت على « الأفعال » لئلا تتناول فعل القلب غير المحتاج للنية . كالتوحيد ، والاجلال ، والخوف ، لصراحة القصد به والنية ، لئلا يلزم التسلسل أو الدور المحال *و «أل » فى « الأعمال » .قيل : للعهد الذهنى : أى غير الأعمال العادية ، لعدم توقف صحتها على النية ، وقيل : للاستغراق ، كما تقدم إلا أنه إضافى ، والعموم مخصوص ، لخروج جزئيات من الأعمال عن الاحتياج إلى النية بأدلة مقررة . كالواجب غير المتوقف على النية ، من نحو قضاء دين ، وكفّ عن محرم ، والمتوقف على النية : حصول الثواب فى ذلك ، وهو غير محل الكلام فيه . إذ هو : هل تلزم النية فى صحة الترك ، بحيث يعصى بتركها ؟ والتحقيق ــ كما تقدم ــ أنه لاتلزم النية فيه ، وأن المجرد منها لاثواب فيه ، وإنما يحصل بالكف الذى هو فعل النفس ، وهو أن يقصد الترك بقصد امتثال أمر الشارع فيه . ولا تجب النية فى عمل اللسان : من نحو قراءة ، وذكر ، وأذان . إذ ليس شىء عادى من ذلك ، حتى يميز بالنية عنه ، وصرح الغزالى بحصول ثواب الذكر اللسانى ، ولو مع الغفلة ؛ نعم تجب فى قراءة منذورة . ومثلها كل ذكر نذره ، ليتميز الفرض من غيره * (بالنيات) الباء فيه ، قيل : للسببية والتقدير : وجود الأعمال شرعا مستقر أو ثابت بسببها . ويصح كونها للملابسة ؛ وكونها للمصاحبة ، قال بعض المحققين : فعلى الأول : هى جزء من العبادة . وهو الأصح . وعلى الثانى : شرط ، وفيه نظر ،

بل كل منهما محتمل للشرطية والركنية ، إذ كل منهما يقارن المشروط والماهية ، ويكون سببا فى وجودهما . وإيضاحه : أن ركن الماهية لكونه جزأها مغاير لها مغايرة الجزء للكل . فتصدق عليه المصاحبة ، كما تصدق عليه السببية . وأما السببية فصادقة مع الشرطية . كما هو واضح . لتوقف المشروط على الشرط. ومع الركنية . لأنه بترك جزء من الماهية تنتفى الماهية اه . إلا أنها إذا كانت للمصاحبة تشعر باعتبار وجوب استصحابها إلى الآخِر . لأنه الظاهر من المعية . وهذا حال الشروط ، بخلافها على الملابسة ، فان هذا الاشعار منتف عندها . وقال الكازرونى فى شرح الأربعين : الباء للاستعانة اه * ثم قيل : لابد من تقدير مضاف للمحصور . وهو المسند إليه . فقدّره الأكثرون بالصحة ، أى إنما صحة الأعمال بالنيات . وقدره آخرون بالكمال ، وقالوا : تقديره : إنما كمال الأعمال . وقد بينت دليل القولين ، وردّ الثانى وتأييد القول الأول فى شرح الأذكار . والأقرب — كما قال بعض المحققين . وقال إنه التحقيق — : إنه لاحاجة لتقدير فى الخبر . وليس فيه دلالة اقتضاء ، بل اللفظ باق على مدلوله ، من انتفاء الأعمال حقيقة بانتفاء النية . لكن شرعا . إذ الكلام فيه ، والتقدير : إنما وجودها كائن بالنية فاذا انتفت انتفى العمل . ونفى الحقيقة إنما ينتفى بانتفاء شرطها أو ركنها . فيفيد مذهبنا من وجوبها فى كل عمل ، الا ما قام الدليل على خروجه . والعام المخصوص حجة غير ماخُصّ منه اه * « والنية » بالتشديد مصدر ، أو اسم مصدر ، لغة : القصد . وشرعا : وهو المراد هنا ، خلافا لبعض المحققين — : قصد الشىء مقترنا بفعله ، إلا فى الصوم والزكاة ، للعسر . فان تراخى الفعل سمى عزما * ثم هى بالجمع فى هذه الرواية عند الشيخين . قال الحافظ السيوطى فى التوشيح : فى معظم الروايات « بالنية » مفردا . قيل : ووجهه : أن محلها القلب ، وهو متحد . فناسب إفرادها ، بخلاف « الأعمال » فانها متعلقة بالظواهر . فناسب جمعها اه * وهذه حكمة للافراد ، وإلا فهو الأصل . لأنها مصدر . وجمعت فى هذه الرواية باعتبار أنواعها من الوجوب

تارة ، وغيره أخرى * (وإنما لكل امرىء مانوى) الجملة السابقة لبيان أن الأعمال لايعتد بها شرعا إلا بالنية الموجدة لها . وهذه الجملة لبيان أن جزاء العامل على عمله بحسب نيته ، من خير أو شر . وبيان أن العمل لا يجزىء إلا إن عينت نيته * قلت : فتختص حينئذ بما يعتبر فى نيته التعيين ، من نحو صلاة الفرض والنفل المرتب ، أو تعم مطلق العبادة ، المعتبر فيها النية ، ويراد أن الذى له من عمله الموجود شرعا بالنية : هو ما قصده به من وجه الله سبحانه ، فيثاب . أو الرياء للعباد ، فيمنع الثواب . وقيل : مفاد هذه الجملة امتناع النيابة فى النية الشامل لها الجملة الأولى ، وصحة نية الولىّ عن الصبى . والأجير عن المحجوج عنه ، لمعنى يخصه ، هو عدم تأهل المنوى عنه لها فيهما * وقيل : هذه الجملة مؤكدة للاولى تنبيها على سر الاخلاص ، وفيه : أن تنبيهها على ذلك يمنع إطلاق كونها مؤكدة ، فعلم سر تأخير هذه الجملة ، وأنهما متغايرتان ، وأنه لولاتعقيب تلك بهذه لأوهمت صحة النية بلا تعيين ، وأنه يلزمها الثواب

و « ما » فى « ما نوى » إما موصولة ، أو موصوفة ، أو مصدرية . أى ما يحصل لكل امرىء ؛ أى إنسان ، إلا الذى نواه ، أوشىء . نواه ، أومنويُّه . والقصر فى هذه الجملة عكسه فى الأولى ؛ أى قصر المسند فى المسند إليه

* لطيفة : قد لمح العلامة تاج الدين السبكى إلى معنى هذه الجملة ، بقوله فى مدح المصنف نفع الله بهما :

لقيتِ خيرا يانوى ووقيت من ألم النَّوى
فلقد نشا بك عالم لله أخلص مانوى
وعلى سواه فضله فضل الحبوب على النوى

* (فمن كانت هجرته) هو تفصيل لبعض الاجمال فيماقبله ، والتقدير : إذا تقرر

إلى اللهِ ورسولهِ فهجرته إلى اللهورَسُولهِ ،

أن لكل امرىء منويه ؛ من طاعة ، وغيرها . فلا بدمن مثال يجمع الاعمال كلها : أمرها ، ونهيها ، وذلك الهجرة . إذهى منضمة لذلك : أما الكف عن المنهى فظاهر . ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه [1] » وأما الأمر فلانه لايتم ، بل لايمكن الاتيان به ، إلا بهجره دواعي النفس والهوى . ولتضمن الهجرة هذا الأمر العام آثر صلى الله عليه وسلم ذكرها ، مفردا لها بالفاء الداخلة على الجزاء ، إن جعلت «من» شرطية ، أو الخبر ، إن جعلت موصولة ، لمشابهة الموصول للشرط فى العموم ، أو تضمنه له * و«الهجرة» لغة : الترك . وشرعا : مفارقة دار الكفر إلى دار الاسلام ، خوف الفتنة ، ووجوبها باق . وخبر « لاهجرة بعد الفتح [2] » المراد : لا هجرة بعد فتح مكة منها ، لأنها صارت دار الاسلام . وحقيقتها : مفارقة ما يكرهه الله إلى غيره ، للحديث المذكور . وكانت أول الاسلام إما من مكة إلى الحبشة ، أومنها ومن غيرها إلى المدينة . والمراد بها هنا : مفارقة الوطن إلى غيره ، سواء مكة أوغيرها ، ولا يضر فى التعميم كون الحديث له سبب خاص . كما سيأتى بيانه . لأن صورة السبب لاتخصص ، لكنها داخلة قطعا * (إلى الله ورسوله) أى قصدا ونية . فهو كناية عن الاخلاص . والظرف هنا وفيما يأتى : متعلق «بهجرة» إن جعلت «كان» تامة ، أو بمحذوف هو خبرها إن قدرت ناقصة (فهجرته إلى الله ورسوله) ثوابا أو جزاء والجزاء كناية عن شرف الهجرة ، وكونها بمكانة عند الله تعالى ، أوعن كونها مقبولة مرضية ، فلا اتحاد بين الشرط والجزاء . لانهما ـ وإن اتحدا لفظا ـ اختلفا معنى ،

---

(١) رواه البخارى وأبو داود والنسائى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، بلفظ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

(٢) رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما

ومَنْ كانت هِجْرَتهُ لِدُنيا يُصيبهُا ، أو امرأةٍ ينكِحُها

وهو كاف فى اشتراط تغاير الجزاء والشرط ، والمبتدأ والخبر . وذكرت وجوها أخر لهذا التكرار فى شرح الأذكار . والمراد « بكان » هنا وفيما يأتى : أصل الكون ، لا بالنظر لزمن مخصوص ، أو وضعها الأصلى من المضى ، أو هنا من الاستقبال ، لوقوعها فى حيّز الشرط . وهو يخلص الماضى للاستقبال . ويقاس به الآخر ، للاجماع على استواء الازمنة فى الحكم التكليفى إلا لمانع (ومن كانت هجرته لدنيا) اللام للتعليل ، أو بمعنى « إلى » لقوله « فهجرته إلى ماهاجر اليه » واستظهر الأول ، وحكمة التغاير فى التعبير هنا باللام و ثَمَّ بالى : إفادة أن من كانت هجرته لأجل تحصيل ذلك كان هو نهاية هجرته ، لا يحصل له غيره . «والدنيا» بضم أولها وحكى كسره ، جمعها « دُنًى » من الدنو ، أى القرب ، لسبقها على الآخرة ، أو لدنوها إلى الزاول * قال المصنف : الأظهر أنها كل المخلوقات من الجواهر والأعراض الموجودة قبل الدار الآخرة . وقد تطلق على كل جزء منها مجازا . ثم المراد منها : عَرَضها ومتاعها ، فالتعبير بها مجاز مرسل من تسمية الشىء باسم محله . كقوله تعالى ([٩٦ : ١٧ فليدع ناديه) * (يصيبها) حال مقدرة ، أى قاصداً إصابتها ، وفى ذكر المصيبة عند ذكر الدنيا لطيفة ونصيحة (أو) كانت هجرته لأجل (امرأة ينكحها) أى يتزوجها . كما فى رواية ، من باب عطف الخاص على العام ، إشعاراً بأن النساء أعظم ضررا . قال صلى الله عليه وسلم « ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء [1] » وتنبيها على سبب الحديث ، و إن كان لا يخصص ، كما تقدم ، وسببه — كما فى التوشيح للحافظ السيوطى — ماروواه سعيد بن منصور فى سننه بسند على شرطهما ، عن ابن مسعود قال « من هاجر يبتغى شيئا فانما له مثل أجر

(١) رواه احمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما

فهِجْرتُه إلى ماهاجَر إليه »

رجل هاجر ليتزوج امرأة ، يقال لها : أم قيس . فقيل له : مهاجر أم قيس » اهـ * وفى فتح الاله : السبب مارواه الطبرانى ، بسند رجاله ثقات ، عن ابن مسعود قال « كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس . فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر . فهاجر . فتزوجها . فكنا نسميه مهاجر أم قيس » قيل : واسمها قتيلة [1] بوزن قبيلة ، ولم يعين اسمه سترا عليه . وإن كان مافعله مباحا لما يأتى * وعلى هذا فذكر الدنيا إما زيادة على السبب ، تحذيرا من قصدها ، أو لأن أم قيس انضم لجمالها المال ، فقصدهما مهاجرها ، أو لأن السبب قصده نكاحها . وقصد غيره دنيا * (فهجرته إلى ماهاجر إليه) الظرف متعلق بمحذوف خبر المبتدأ ، ويصح تعلقه بنفس المبتدأ ، فيكون خبره محذوفا ، أى فهجرته قبيحة ، إذ ليست من الله فى شىء . وذلك حظه . ولا نصيب له فى الآخرة . وإيراد الموصول لافادة التحقير وذم فاعل ماذكر . كما يشعر به السياق ، مع كون مطلوبه مباحا . لأنه أظهر قصد الهجرة إلى الله . وأبطن خلافه . وهذا ذميم . والحكمة فى اتحاد الشرط والجزاء لفظا فى الأولى : التبرك بذكر الله ورسوله والتعظيم لهما بتكراره ، وبكونه أبلغ فى الهجرة إليهما . إذ من سعى لخدمة ملك تعظيما له أجزلُ عطاء ممن سعى لينال كسرة من مأدبة . وتركه فى الثانية إظهار عدم الاحتفال بأمرهما . والتنبيه على أن العدول عن ذكرهما أبلغ فى الزجر عن قصدهما . فكأنه قال : إلى ماهاجر إليه . وهو حقير مهين لا يُجدى . وأيضا فأعراض

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (ج ١ ص ١٣) نقل ابن دحية أن اسمها « قيلة » بقاف مفتوحة ثم تحتانية ساكنة . وقد ترجم لها ابن الأثير فى أسد الغابة ، والحافظ فى الاصابة فى أم قيس . ولم يسمياها . وذكرا فى ترجمتها حديث ابن مسعود . وقال ابن الأثير رواه ابن منده وأبو نعيم

متفقٌ على صحته

الدنيا لا تنحصر . فأتى بما يشملها ، وهو ماهاجر إليه . بخلاف الهجرة إلى الله ورسوله ، فانه لاتعدد فيها . فأعيدا بلفظهما تنبيها على ذلك * وقال أرباب الاشارات من العارفين : « إنما الأعمال بالنيات » يتعلق بما وقع فى القلوب من أنوار الغيوب والنية جمع الهم فى تنفيذ العمل المعمول له ، وألا يسنح فى السر ذكر غيره ، وللناس فيما يعشقون مذاهب . فنية العوام فى طلب الأعراض مع نسيان الفضل ، ونية الجهال : التحصن عن سوء القضاء ونزول البلاء ، ونية أهل النفاق : التزين عند الله وعند الناس ، ونية العلماء : إقامة الطاعات لحرمة ناصبها لا لحرمتها ، ونية أهل التصوف ترك الاعتماد على مايظهر منهم من الطاعات ، ونية أهل الحقيقة : ربوبية تولد عبودية « وإنما لكل امرىء مانوى » من مطالب السعداء . وهى الخلاص عن الدركات السفلى ، والفوز بالدرجات العليا ، وهى المعرفة والتوحيد والعلم والطاعة ، والأخلاق المحمودة وجذبات الحق ، والفناء عن أنانيته ، والبقاء بهُوِيَّته ، أو من مقاصد الأشقياء ، وهى مايبعد عن الحق « فمن كانت هجرته » أى خروجه من مقامه الذى هو فيه ، سواء كان استعداده الذى جبل عليه أو منزلا من منازل النفس «إلي الله» لتحصيل مراضيه «ورسوله» باتباع أمره وأخلاقه « فهجرته إلى الله ورسوله » فتخرجهم العناية الالهية من ظلمات الحدوث والفناء إلى نور الشهود والبقاء « ومن كانت هجرته إلى دنيا » أى لتحصيل شهوة الحرص على المال والجاه ، والخيلاء وغيرها ، فيبقى مهجورا عن الحق فى أوطان الغربة ، له نار الفرقة نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئده . لا نار الجحيم التى لا تحرق إلا الجلد لا تخلص إلى القلب . انتهى كلامهم ، نقله الكازرونى فى شرح الأربعين للمصنف * (متفق على صحته) ثم فسره بقوله «رواه إلى آخره» ، وكذا

رواه إماما المحدثين ، أبو عبد الله محمدُ بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَهْ الجُعْفِيّ البخاريّ

رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ، وأبو عوانة ، وابن حِبَّان فى صحيحه ، وابن خُزيمة ، وابن الجارود ، والطحاوى فى شرح معانى الآثار ، والبيهقى فى السنن ، ووهم ابن دِحْية فى زعمه أن مالكا أخرجه فى الموطأ . كذا فى شرح عمدة الأحكام للقلقشندى ومن خطه نقلت* (رواه إماما المحدثين) باثبات ألف التثنية خطا وحذفها لفظا . لالتقاء الساكنين ، أى المقتدى بهما ورعا وزهدا واجتهادا ، فى تخريج الصحيح و إيداعه ، دون غيره كتابيهما ، حتى ائتم بهما فى ذلك الأئمة الذين حذوا حذوهما (أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن المغيرة) بضم الميم وكسرها (بن بردزبة) بموحدة مفتوحة فراء ساكنة فمهملة مكسورة بعدها زاى ساكنة فموحدة فهاء تأنيث ، وهو بالعربية الزراع * قال فى فتح البارى : كان بردزبة المذكور مجوسيا ، وكان فى بخارى والٍ يقال له اليمان الجُعْفى ، فأسلم المغيرة بن بردزبة على يديه ، فمن ثمّ قيل للبخارى «الجعفى» ، وأما إبراهيم بن المغيرة فلم نقف على شىء من أحواله ، والظاهر : أنه لم ينظر فى العلم ، وأما إسماعيل فذكر له ابنه ترجمة فى تاريخه . وقال: إنه سمع من مالك وحماد بن زيد وابن المبارك ، وذكره كذلك ابن حبان فى الطبقة الرابعة من ثقاته ، وزاد : روى عنه العراقيون اه * (الجعفى)أى مولاهم ، لما ذكر من أن جده المغيرة أسلم على يد اليمان بن أخنس الجعفى . فنسب إليه ولاء . فأشار المصنف إلى أنه يقدم النسب إلى القبيلة والولاء على النسب إلى البلاد عند الجمع ، وعبارة التهذيب للمصنف : إذا جمع بين النسب إلى القبيلة والبلد قُدِّم النسب إلى القبيلة . انتهى (البخارى) ولد ثالث عشر شوال سنة أربع وتسعين ومائة ، وكتب عن أحمد

وأبو الحسين مُسلمُ بنُ الحجّاج بنِ مُسْلِمٍ القُشَيْرِيّ النيسابُوريّ، رضى الله عنهما

ابن حنبل ويحيى بن معين ، وخلائق يزيدون على ألف ، وروى عنه مسلم خارج صحيحه ، وأبو زُرعة والترمذى وابن خزيمة والنسائى ، ومناقبه جمة . ذكرت جملة منها فى شرح الأذكار . توفى ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين ، ودفن بخِرْتَنْكَ قرية ، على فرسخين من سَمْرقند . ومن مناقبه ماحكى : أنه عمى صبيا فرأى فى نومه إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، فتفل فى عينيه ، أو دعا له فأبصر ، فمن ثم لم يقرأ كتابه فى كرب إلا فرج [(١)] . ثم الحديث المذكور فى سبعة مواضع من صحيح البخارى

(وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القُشيرى) نسبة إلى قشير بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، قبيلة كبيرة ، وقشير أيضا بطن من أسلم ، منهم سلمة بن الأكوع رضى الله عنه (النيسابورى) نسبة إلى نيسابور . أحسن مدن

---

(١) من لطائف ما يروى فى رد هذا الزعم الخرافى : أن علماء الأزهر وطلبته لما علموا أن الفرنسيين أحاطوا بالقاهرة بعد أن هزموا الجيوش المصرية جلسوا فى الأزهر حلقات يقرأون البخارى لرد الفرنسيين ، وتفريج الكرب عن المصريين . وبينماهم منهمكون فى القراءة إذا بخيل الجيوش الفرنسية تدهمهم فى الجامع الأزهر ، فولى المشايخ مدبرين . ولو عقلوا لتلوا القرآن والبخارى عملا ، فحملوا السلاح ، وتقدموا بين يدى المصريين مجاهدين للفرنسيين الكافرين . لكان ذلك حقا هو مفرج كربهم بما يملأ قلوب المصريين من الحماس والغيرة الاسلامية ويبعث فى نفوسهم من الشجاعة . ولكن فتن الناس بأمثال هذه الخرافات التى أماتت روح الاسلام ، وروح القرآن والبخارى ولا حول ولا قوة إلا بالله

في كتابيهما اللذينِ هما أصحّ الكتب

خراسان وأجمعها للخيرات . قال الأصفهاني في لب اللباب : قيل لها ذلك لأن سابور لما رآها قال : يصلح أن يكون هاهنا مدينة ، وكانت قصباً ، فأمر بقطع القصب وأن تبنى مدينة ؛ فقيل : نيسابور ، والنى : القصب اه * ولد الامام مسلم سنة أربع ومائتين ، ومات في رجب سنة إحدى وستين ومائتين . وأخذ عن أحمد ، وحَرْملة ، وخلائق ، روى عنه جماعة . منهم من هو في درجته . كأبي حاتم الرازي ، والترمذي . فروى عنه حديثا واحدا ، وابن خزيمة وخلائق * (في كتابيهما) المشهورين بالصحيحين ، المعروفين بذلك ، كنار على علم (اللذين) بلامين وفتح الذال المعجمة ، مثنى «الذى» وكتب بلامين فرقا بينه و بين «الذين» الجمع (هما أصح الكتب) بلا شك ولا مرية . كما أطبق عليه من بعدهما . لاسيما المحدثون ؛ حيث جعلوا الصحيح سبعة أقسام ، أعلاها ما خرجاه ، فما انفرد به البخاري ، فما انفرد به مسلم ، فما كان على شرطهما ، فما كان على شرط البخاري ، فما كان على شرط مسلم ، فما صححه معتبر وسلم من المعارض ، وقول الشافعي رحمه الله «لاأعلم كتابا بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك» إنما كان قبل ظهورهما ، فلما ظهرا كانا بذلك أحق . والجمهور على أن ما أسنده البخاري في صحيحه — دون التراجم والتعاليق وأقوال الصحابة والتابعين : أصح مما في مسلم ، لانه كان أعلم منه بالفن اتفاقا ، مع كون مسلم تلميذه و خِرّيجه ، ومن ثم قال الدارقطني : « لولا البخاري ماراح مسلم ولا جاء » هذا وإن لم يلزم منه أرجحية المصنف إلا أنها الأصل ، قال الحافظ ابن حجر في نكته على كتاب ابن الصلاح ، بعد ذكر نحو ماذكرنا : هذا من حيث الجملة ، أما من حيث التفصيل فيترجح كتاب البخاري على كتاب مسلم بأن الاسناد الصحيح مداره على اتصاله وعدالة الرواة ، وكتاب

المصنفة

البخارى أعدل رواة ، وأشد اتصالا . و بيانه : أن الذين انفرد لهم بالاخراج دون مسلم أربعمائة وخمسة وثلاثون رجلا ، المتكلم فيه بالضعف منهم نحو الثمانين . والذين انفرد مسلم بهم ستمائة وعشرون رجلا . المتكلم فيهم بالضعف منهم مائة وستون رجلا ، ولاشك أن من سلم من التكلم فيه رأسا أقوى ممن تُكُلِّم فيه . وإن لم يعول على ما تكلم به فيه ، على أن المتكلم فيهم فى البخارى لم يُكثر من تخريج أحاديثهم بخلاف مسلم ، وأيضا فأكثرهم شيوخه الذين هو أعرف بهم من غيره ، لكونه لقيهم وخبَرهم وخبرَ حديثهم ، وأما المتكلم فيهم فى مسلم فأكثرهم من المتقدمين الذين لم يخبرهم ، وأيضا فالبخارى غالبا إنما يخرج للمتكلم فيه فى المتابعات والشواهد ، بخلاف مسلم ، وأما ما يتعلق بالاتصال فمسلم كان مذهبه بل نقل فيه الاجماع فى أول صحيحه ـ : أن الاسناد المعنعن له حكم الاتصال إذا تعاصر المعنعن والمعنعن عنه ، و إن لم يثبت اجتماعهما . والبخارى لا يحمله على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما ولو مرة واحدة ، ومن ثم قال النووى : وهذا المذهب مما يرجح به كتاب البخارى . قال : وان كنا لا نحكم على مسلم بعمله بهذا المذهب فى صحيحه لكونه يجمع طرقا كثيرة يبعد معها وجود هذا الحكم الذى جوزه اه . وجمعه لتلك الطرق هو الغالب ، وفيما لم يجمع فيه طرقا جلالته قاضية بأنه إنما جرى على الاحوط من ثبوت الاتصال انتهى [1] ملخصا مع يسير زيادة * وقوله (المصنفة) اقتفى به أثر الامام الشافعى رضى الله عنه فى قوله « بعد كتاب الله » ليحترز بذلك عنه أيضا .

---

(١) أى كلام الحافظ ابن حجر فى النكت

٢ — وعن أمِّ المؤمنين أمِّ عبدِ اللهِ عائشةَ رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَغْزو جَيشٌ الـكَعْبَةَ .

(وعن أم المؤمنين) أى فى الاحترام والتعظيم وحرمة النـكاح ، دون نحو النظر والخلوة ، وكذا سائر أمهات المؤمنين ، وهو صلى الله عليه وسلم أب للمؤمنين فى الرأفة والرحمة ، والمراد من نفى أبوته فى الآية[1] أبوة النسب والتبنى (أم عبدالله) كناها صلى الله عليه وسلم بابن أختها أسماء «عبدالله بن الزبير» وقيل : بسقط لها منه ، واستبعد * (عائشة) الصديقة بنت أبى بكر الصديق ، عبد الله بن أبى قحافة عثمان (رضى الله عنها) وعن أبيها وجدها . تزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة وهى بنت ست سنين ، بعد تزوجه بسَوْدة بشهر ، وقبل الهجرة بثلاث سنين ، ودخل بها فى شوال مُنْصَرفه من بَدْرٍ سنة ثنتين من الهجرة ، وهى بنت تسع سنين ، وتوفى صلى الله عليه وسلم وهى بنت ثمانى عشرة سنة ، وعاشت بعده صلى الله عليه وسلم أربعين سنة وتوفيت سنة سبع أو ثمان وخمسين ، لثلاث عشرة بقيت من رمضان بعد الوتر ، وصلى عليها أبو هريرة ، لامارته على المدينة حينئذ من قِبل مروان ، روى لها ألفا حديث ومائتان وعشرة ، وقيل . ألف وعشرة ، اتفقا على مائة وأربعة وسبعين ، وانفرد البخارى بأربعة وستين ، ومسلم بثمانية وستين * (قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يغزو جيش الـكعبة) فى رواية مسلم «عَبَث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه[2] ، فقلنا له : صنعت شيئا لم تـكن تفعله ، قال : العجب ، إن أناسا من أمتى يؤمون هـذا البيت لرجل من قريش» . وزاد فى رواية أخرى :

(١) وهى قوله تعالى فى سورة الأحزاب (ما كان محمد أبا أحد من رجالـكم ولـكن رسول الله وخاتم النبيين) وقال فى أولها (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجهم وأمهاتهم)

(٢) قال النووى «عبث» بكسر الباء : اضطرب بجسمه . وقيل : حرك أطرافه كمن يأخذ شيئا أو يدفعه

فإذا كانوا بِبَيْدَاء مِن الأرْض يخسَفُ بأوَّلهم وآخِرِهم .

« أن أم سلمة قالت ذلك أيام ابن الزبير [١] » وفى أخرى « أن عبد الله ابن صفوان — أحد رواه الحديث عن أم سلمة — قال : والله ماهو هذا الجيش » قال القرطبي : ولقد ظهر ما قال . فان الجيش المرسل إلى ابن الزبير لم يخسف به اه قال العاقولى : والأولى إجراء الحديث على اطلاقه وعدم تقييده بأحد . « الكعبة » مأخوذة من كعّبته ، ربعته ، والكعبة : كل بيت مربع . كذا فى القاموس ، وفى كلامهم : أن إبراهيم بنى الكعبة مربعة ، ولا ينافيه اختلاف بُعد ما بين أركانها ، لأنه قليل لا ينافى التربيع ، وهذا — أعنى كون سبب تسميتها كعبة تربيعها — أوضح من جعل سببه ارتفاعها ، كما سمى كعب الرجل بذلك لارتفاعه . وأصوب من جعله : استدارتها ، إلا أن يريد قائله بالاستدارة : التربيع ، مجازا ، أو يكون أخذ الاستدارة فى الكعب سببا لتسميته ، لكنه مخالف لكلام أئمة اللغة * (فاذا كانوا ببيداء) فى رواية مسلم « بالبيداء » قال القرطبي : والبيداء أرض ملساء لا شىء فيها . وفى الصحاح : « البيداء » المفازة . والجمع « بِيد » وهل هى بيداء المدينة أولا ؟ فيه خلاف (من الأرض) فى محل الصفة لبيداء (يخسف بأولهم وآخرهم) زاد الترمذى فى حديث ضعيف « ولم ينج أوسطهم » وزاد مسلم فى حديث حَفْصة « يخسف بأوسطهم ، ثم ينادى أولهم آخرهم ، ثم يخسف بهم ، فلا يبقى إلا الشريد الذى يخبر عنهم » واستغنى بهذا عن تكلف

---

(١) هو جيش الحجاج بن يوسف الذى حارب عبد الله بن الزبير رضى الله عنه بمكة ، ورمى الكعبة بالمنجنيق فشبت فيها النار . وكان ابن الزبير قد بويع له بالخلافة فى أيام يزيد بن معاوية ، وبقى إلى خلافة عبد الملك بن مروان . فحاصره الحجاج بمكة أول ليلة من ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين . ولم يزل محاصره الى أن أخذه فقتله فى النصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين

قالت : قلتُ : يارسول الله ، كيف يُخْسَفُ بأولهم وآخرهم ، وفيهم أسْواقُهم ومَنْ ليس منهم ؟ قال : يُخْسَفُ بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نيّاتهم »
متفق عليه . هذا لفظ البخارى

الجواب عن حكم الأوسط : بأن العرف يقضى بدخوله فيمن هلك . ولكونه آخراً بالنسبة للأول ، وأولا بالنسبة للاخير . فيدخل * (قالت) عائشة متعجبة من وقوعِ العذاب على من لا إرادة له فى القتال الذى هو سبب العقوبة (قلت : يارسول الله ، كيف يخسف بأولهم وآخرهم ؟ » أى بجملتهم (وفيهم أسواقهم) كذا للبخارى بالمهملة والقاف ، جمع . والمعنى : أهل أسواقهم ، أو السُّوقَة منهم (و) فيهم (من ليس منهم) أى ممن خرج بقصد القتال ، وإنما وافقهم فى صحبة الطريق (قال) صلى الله عليه وسلم مجيبا عما سألت عنه : بأن العذاب يقع عاما لحضور آجالهم « ثم يبعثون على نياتهم» وقد روى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا . «إذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم » * (يخسف بأولهم وآخرهم) أى بجملة القوم تابعهم ومتبوعهم ، لشؤم الأشرار * (ثم يبعثون) ويعاملون عند الحساب (على نياتهم) فيعامل كل بقصده ، من الخير أو الشر * وفى الحديث : أن من كثّر سواد قوم فى المعصية مختاراً أن العقوبة تلزمه معهم * وفيه : أن الأعمال تعتبر بنية العامل * وفيه : التحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم ، إلا لمن اضطر إلى ذلك * (متفق عليه) ورواه أيضا غيرهما (وهذا) المذكور (لفظ البخارى) ولمسلم ألفاظ ، وهى بنحو ماذكر * فمن ألفاظه : «فقلنا : إن الطريق قد تجمع الناس . قال : نعم فيهم المستبصر لذلك » أى المستبين لذلك ، القاصد للمقاتلة «والمجبور » بالجيم والموحدة

٣ – وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال النبى صلى الله عليه وسلم
« لا هِجْرَةَ بعد الفَتْحِ

أى المكره [1] «وابن السبيل» أى سالك الطريق معهم ، وليس منهم . فقال « يهلكون مهلكا واحدا و يصدرون مصادر شتى ، يبعثهم الله على نياتهم »

(وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال النبى صلى الله عليه وسلم : لاهجرة) أى من مكة (بعد الفتح) أى فتحها . وجاء فى حديث للبخارى مرفوعا «لاهجرة بعد فتح مكة » وكان فى رمضان سنة ثمان من الهجرة . وذلك أن الهجرة — أى مفارقة دار الكفر إلى دار الاسلام — كانت واجبة على من بمكة ، فيجب على من أسلم بها أن يهاجر منها إلى المدينة . لكونها كانت دار كفر . فلما فتحت صارت دار إسلام . أما الهجرة من المواضع التى لايتأتى إقامة أمر الدين فيها فهى واجبة اتفاقا . وعلى ذلك يُحمل حديث « لا تنقطع الهجرة ماقوتل الكفار [2] » * قال الخطابى : كانت الهجرة على معنيين ، أحدهما : أنهم إذا أسلموا وأقاموا بين قومهم أُوذوا ، فأمروا بالهجرة ليسلم لهم دينهم ، ويزول عنهم الأذى . والآخر : الهجرة

---

(١) قال النووى فى شرح مسلم : يقال : أجبرته ، فهو مجبر . هذه اللغة المشهورة ويقال أيضاً : جبرته فهو مجبور . وجاء هذا الحديث على هذه اللغة .

(٢) رواه النسائى عن عبد الله بن وقدان الليثى قال « وفدنا على رسول الله كلنا يطلب حاجة . وكنت آخرهم دخولا على رسول الله . فقلت : يارسول الله ، إنى تركت من خلفى وهم يزعمون أن الهجرة قد انقطعت . قال : لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار » وروى أبو داود عن معاوية « لاتنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة . ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » قال المنذرى : وأخرجه النسائى . وقال الخطابى فى اسناده مقال .

من مكة إلى المدينة . لأن أهل الدين بالمدينة كانوا قليلين ضعيفين ، فكان الواجب على من أسلم أن يهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن حدث حادث استعان بهم فى ذلك ، فلما فتحت مكة استغنى عن ذلك ، إذ كان معظم الخوف من أهلها ، فأمر المسلمون أن يقيموا فى أوطانهم ، ويكونوا على نية الجهاد مستعدين لأن يَنفِروا إذا اسْتُنْفِروا [1] * قال المصنف رحمه الله تعالى : يتضمن

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (ج ٦ ص ٢٥) قال الخطابى وغيره : كانت الهجرة فرضا فى أول الاسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع . فلما فتح الله مكة دخل الناس فى دين الله أفواجا . فسقط فرض الهجرة إلى المدينة ، وبقى فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو اه . وكانت الحكمة أيضاً فى وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من أذى ذويه من الكفار . فانهم كانوا يعذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه . وفيهم نزلت (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) وهذه الهجرة باقية الحكم فى حق من أسلم فى دار الكفر وقدر على الخروج منها . وقد روى النسائى من طريق بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده مرفوعا « لا يقبل الله من مشرك عملا بعد ما أسلم أو يفارق المشركين » ولأبى داود من حديث سمرة مرفوعا « أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » وهذا محمول على من لم يأمن على دينه . وقال ابن العربى : الهجرة هى الخروج من دار الحرب إلى دار الاسلام . وكانت فرضا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم . واستمرت بعد لمن خاف على نفسه . والتى انقطعت أصلا : هى القصد إلى النبى صلى الله عليه وسلم حيث كان اه . وقال فى عون المعبود : قال الخطابى فى العالم : كانت الهجرة فى أول الاسلام فرضاً ثم صارت مندوبة . وذلك قوله تعالى (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة) نزلت حين اشتد أذى المشركين على المسلمين ثم وجبت الهجرة على المسلمين عند انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة . فلما فتحت مكة ارتفع وجوب الهجرة وعاد الأمر فيها إلى الندب . فالهجرة المنقطعة هى الفرض ، والباقية هى

ولـكن جهادٌ ونيَّةٌ ، وإذا اسْتُنْفِرْتُمْ فأَنفِرا » متفق عليه . ومعناه :
لاهجرة من مكة لأنها صارت دارَ إسلام

هذا الحديث على هذا القول معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وهى أن مكة تبقى دار إسلام لا يتصور منها الهجرة ، قال: وقيل معنى الحديث : لا هجرة بعد الفتح فضلُها كفضل الهجرة قبل الفتح ، قال تعالى ([٣ : ٩٥] لايستوى منكم من أنفق مِنْ قبلِ الفَتْحِ وقاتل أولئك أعظمُ درجةً من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا . وكُلاًّ وعدَ الله الحسْنَى وكان الله بما تعملون خبيرا) * (ولـكن جهاد ونية) قال الطيبى : معنى كلمة « لـكن » يقتضى مخالفة مابعدها لما قبلها ، أى المفارقة عن الأوطان المسماة بالهجرة المطلقة انقطعت ، لـكن المفارقة بسبب الجهاد باقية مدى الدهر . وكذا المفارقة بسبب نية خالصة لله تعالى ، كطاب العلم والفرار بدينه ونحوه * وقال المصنف : تحصيل الخير بسبب الهجرة قد انقطع بالفتح ، ولـكن حصلوه بالجهاد والنية * (وإذا استنفرتم) أى طلبكم الامام للخروج إلى الجهاد . ويحتمل العموم ، أى إذا استنفرتم إلى الجهاد ونحوه (فانفروا) بكسر الفاء على الأفصح . ويجوز ضمها . وبالأول جاء القرآن : أى اخرجوا * (متفق عليه) ورواه أبو داود ، وروى بعضه الامام أحمد وابن حبان وأبو عوانة والدارمى وابن الجارود . وقال الترمذى : انه حسن صحيح . نقله العزُّ بن فهد فى الأربعين التى خرجها فى الجهاد * (ومعناه لاهجرة من مكة) أى بعد الفتح واجبة . لأنها إنما وجبت منها أولا . لـكونها كانت داراً للـكفر . وقد زال بفتحها . فلا يجب منها (لأنها صارت دار إسلام) أو معناها

الندب . فهذا وجه الجمع بين الحديثين ، على أن بين الاسنادين ما بينهما اه باختصار (ج ٢ ص ٣١٢)

٤ — وعن أبى عبدِ الله ، جابر بن عبد الله الأنصاريّ ، رضى الله عنهما ، قال « كُنَّا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى غَزَاةٍ

معناه : كما يؤخذ من كلام الخطابى : لاهجرة إلى المدينة واجبة على من آمن وأمن على دينه بعد الفتح . لأنها إنما وجبت أولاً ، لكون المسلمين بالمدينة يومئذ كانوا قليلين ، فكان الواجب على من أسلم الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إعانة له . واستغنى عن ذلك بعد فتح مكة ، لأن معظم الخوف كان من أهلها.

(وعن أبى عبد الله جابر بن عبد الله الأنصارى) الخزرجى السلمى — بفتح اللام — لنسبته إلى سَلِمة بن سعد * روى عنه أنه قال : « غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة . لم أشهد بدراً ولا أحداً ، منعنى أبى ، فلما قتل أبى لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة قط » * وعنه قال « أنا وأبى وخالى من من أصحاب العقبة » وكان أبوه يومئذ أحد النقباء . وكان جابر من أصغر الصحابة سناً ، وكان من ساداتهم وفضلائهم المتحَفين بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم * روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف وخمسمائة وأربعون حديثا . اتفقا منها على ستين . وانفرد البخارى بستة عشر . ومسلم بمائة وستة وعشرين . توفى بالمدينة بعد أن كُفَّ بصره ، سنة ثلاث وسبعين وهو ابن أربع وتسعين سنة ، وصلى عليه أبانُ ابن عثمان . وكان والى المدينة . وجابر آخر الصحابة موتا بالمدينة * (رضى الله عنهما) أشار إلى أنه ينبغى لكل من ذكر صحابيا أبوه صحابى ، أى وقد ذكره ، أن يقول : رضى الله عنهما * (قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة) هى غزوة تبوك ، كما صرحت به رواية البخارى الآتية ، وفى النهاية : غزا يغزو غزوا فهو غاز « والغزوة » المرة من الغزو . والاسم « الغزاة » أي بفتح الغين . وجمع الغازى غُزاة — بضمها — وغُزَّى ، وغَزِىٌّ ، وغُزَّاة . كقضاة ، وسُبَّق ، وحجيج ، وفُسَّاق

فقال: إنّ بالمدينة لرجالاً ما سِرْتم مَسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، حَبَسَهم المرضُ»

٥ — وفى رواية «إلاّ شَرِكوكم فى الأجر» رواه مسلم

٦ — ورواه البخارى عن أنس رضى الله عنه

اهـ (فقال: إن بالمدينة لرجالا ماسرتم مسيراً) أى سيراً، أو فى مكان سير، فهو مصدر ميمى، أو اسم مكان (ولا قطعتم واديا) فيه إشارة إلى قوله تعالى ([٩: ١١٩] ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نَصَب ولا مَخْمَصة فى سبيل الله ولا يطئُون مَوْطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نَيْلا إلا كُتب لهم به عمل صالح. إن الله لا يضيع أجر المحسنين [١٢٠] ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) * (إلا كانوا معكم). أى شركوكم فى الأجر كما فى الرواية الثانية. وكان لهم مثل أجركم مضاعفا. لصحة نيتهم فى مباشرة كل ماباشره إخوانهم المجاهدون * (حبسهم) أى منعهم (المرض) فلصحة النية أعطاهم الله مثل أجر المباشر. كذا فى المفهم * (وفى رواية: إلا شركوكم) بكسر الراء (فى الأجر) بدل قوله «إلا كانوا معكم» * قال العاقولى فى شرح المصابيح: هذا دليل على أنهم شركاء فى الأجر. وعلى التساوى أيضاً. لأنه إذا قال الرجل لصاحبه: هذا لى ولك، حمل على المساواة، ولذلك تجعل الدار بينهما نصفين، إلا أنه يستدل بقوله تعالى ([٣: ٩٥] لا يستوى القاعدون ـ الآية) على ترجح جانب الغازى على جانب القاعد، فيحمل ذلك على القاعد من غير عذر، والتساوى المفهوم من الحديث: على القاعد بعذر. فلا معارضة بين الآية والحديث. وسيأتى زيادة تحقيق فى هذا المقام (رواه مسلم. ورواه البخارى عن أنس) عدل المصنف عن قوله متفق عليه، مع أنهما روياه لكن باختلاف يسير فى لفظه، وذلك الاختلاف لا يضر فى إطلاق الاتفاق، لاختلاف صحابى الحديث عندهما * وقد اختلف فى مثل ذلك، هل هو مما اتفقا عليه، و به قال ابن الجوزى، وقال جمهور

قال « رجعنا من غَزْوة تَبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أقواما خَلْفنابالمدينة ، ما سلكنا شِعْبا ، ولا واديا ، إلا وهم معنا . حَبسهم العُذرُ »

المحدثين : لا يطلق اتفاقهما إلا على ما اتفقا على إخراج إسناده ومتنه معا . نقله الحافظ ابن حجر فى نكته على كتاب ابن الصلاح * (قال : رجعنا من غزوة تبوك) بفتح الفوقية . وهى فى طرف الشأم من جهة القبلة ، بينها و بين المدينة النبوية نحو أربع عشرة مرحلة * وكانت غزوته صلى الله عليه وسلم تبوك فى سنة تسع من الهجرة ، وهى آخر غزواته . قال الأزهرى : أقام صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة يوما . والمشهور ترك صرف تبوك للتأنيث والعلمية . وفى رواية فى صحيح البخارى فى حديث كعب بن مالك ، أى الآتى فى باب التوبة « لم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوكا » بالصرف فى جميع النسخ باعتبار إرادة الموضع * (مع النبى صلى الله عليه وسلم) أى صحبته (فقال : إن أقواما) أى رجالا : بدليل الرواية السابقة ، ولأن القوم مختص بالرجال ، قال تعالى ([٤٩ : ١١] لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء — الآية) وقال الشاعر : * أقومٌ آلُ حِصْن أم نساء ؟ * (خلفنا) بسكون اللام أى وراءنا ، وفى نسخة بتشديدها ، من التخليف ، أى خلفنا خلفا (بالمدينة) علم بالغلبة على دار هجرته صلى الله عليه وسلم (ماسلكنا شعبا) بكسر الشين المعجمة . أى الطريق فى الجبل . كما قاله ابن السكّيت ، وقيل : الفُرجة النافذة بين الجبلين (ولا واديا) هو الموضع الذى يسيل فيه الماء . كذا فى مفردات الراغب (إلا وهم معنا) بفتح العين . والجملة حالية (حبسهم العذر) استئناف بيانى ، جوابا عن السؤال المقدر من حصول مثل ثواب المجاهد لهم مع قعودهم ، وقد جاء السؤال مصرحا به فى رواية

٧— وعن أبى يَزيد مَعْن بن يزيد بن الأخْنَس رضى الله عنهم — هو وأبوه وجده صحابيون — قال : « كان أبى يزيدُ أخْرَجَ دنانيرَ يَتَصَدَّقُ بها ، فوضَعها عند رجلٍ فى المسجد ،

أبى داود عن أنس . ولفظها : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لقد تركتم بالمدينة أقواماً ماسرتم مسيراً ، ولا أنفقتم من نفقة ، ولا قطعتم من وادٍ إلاوهم معكم . قالوا : يارسول الله ، وكيف يكونون معنا ، وهم بالمدينة ؟ قال صلى الله عليه وسلم : حبسهم العذر» والعذر ، بضم المهملة : وصف يعرض للمكلف ، يناسب التسهيل عليه

(وعن أبى يزيد معن) بفتح الميم وسكون المهملة آخره نون (بن يزيد بن الأخنس) بمعجمة فنون فمهملة (رضى الله عنهم) أتى بضمير الجمع وعلل الاتيان به كذلك بقوله (هو وأبوه وجده صحابيون) أى وما كان كذلك فينبغى أن يؤتى عند ذكرهم بالترضى عليهم بصيغة الجمع * والصحابى على الصحيح : من اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم حال حياته مؤمنا به ، ولو لحظة . ومات على الايمان . قيل : وقد شهد الثلاثة بدرا . قال الكرمانى : ولم يتفق ذلك لغيرهم ، وقيل : لم يشهدها معن . نزل معن الكوفة ، ثم مصر ، ثم الشام ، وقتل بمرج راهطٍ ، سنة أربع وستين ، فى دولة مروان . ذكره ابن الجوزى فى التلقيح فيمن له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أحاديث ، وقال ، قال البرقى : له حديثان . اه . انفرد البخارى بالرواية عنه عن مسلم للحديث الآتى . وروى عنه أبو داود * (قال) أى معن من جملة حديث (كان أبى) الأولى : « وكان أبى » بالواو ، تنبيها على أنه بعض حديث (يزيد) بالرفع عطف بيان لأبى ، أو بدل منه (أخرج دنانير يتصدق بها) ظاهره صدقة تطوع (فوضعها عند رجل فى المسجد) أى وأذن له أن يتصدق

فجئتُ فأخذتُها ، فأتيتُه بها . فقال : والله ما إيَّاكَ أردْتُ . فخاصمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : لكَ مانويتَ يايزيدُ ، ولك ما أخذْتَ يامعْنُ » رواه البخارى

٨ — وعن أبى إسحاق ، سعدِ بن أبى وَقَّاصٍ ، مالكِ بن أُهَيب بن عبد منَافٍ ابن زُهْرةَ بن كِلابِ

بها على المحتاج اليها * (فجئت) الرجلَ (فأخذتها) أى باختيار منه (فأتيته) ، أى أبى (بها) أى مصاحبا لها (فقال : والله ما إياك أردت) بهذه الدنانير المتصدق بها (فخاصمته) منتهيا (إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال) صلى الله عليه وسلم (لك ما نويت) أى ثوابه (يايزيد) لأنك نويت التصدق بها على محتاج ، وابنك محتاج وإن لم تنوه (ولك ما أخذت يامعن) لكونك قبضتها قبضا صحيحا (رواه البخارى)

(وعن أبى إسحاق سعد بن أبى وقاص) بتشديد القاف آخره مهملة (مالك) بالجر على العطف على «أبى» أو بدلا منه . ويجوز قطعه عنه مرفوعا بتقدير «هو» ومنصوبا بتقدير «أعنى» (بن أهيب) بضم الهمزة وفتح الهاء وسكون التحتية (بن عبدمناف) بفتح الميم (بن زُهرة) بضم الزاى (بن كلاب) بكسر الكاف . يحتمل أن يكون منقولا عن جمع «كلب» ، وأن يكون منقولا عن مصدر « كَالَبَ» وفى المواهب اللدنية : سئل أعرابى : لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء ، نحو كلب ، وذئب . وعبيدكم بأحسنها . نحو مرزوق ، ورباح ؟ فقال : إنا نسمى أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا . يريد : أن الأبناء عُدَّة للأعداء وسهام فى نحورهم ، فاختاروا لهم هذه الأسماء و«كلاب» هذا يجتمع فيه نسب أبى النبى صلى الله عليه وسلم وأمه . واسم كلاب[1] :

بن مُرَّة بن كَعْب بن لؤىّ ، القُرَشىّ الزُّهْرىّ ، رضى الله عنه ، أحدِ العشرة المشهود لهم بالجنة ، رضى الله عنهم

حكيم . وقيل : عروة (بن مرة) بضم الميم وتشديد الراء (بن كعب) وهو أول من جمع يوم العُروبة . كانت تجتمع إليه قريش فى هـذا اليوم ، فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، ويعلمهم أنه من ولده ، ويأمرهم باتباعه والايمان به (بن لؤى) بضم اللام وفتح الهمزة . وتقدم ما يتعلق به أول الباب (بن غالب القرشى الزهرى رضى الله عنه) أسلم سعد قديما ، وسبب إسلامه مذكور فى شرح الأذكار[1] ، وكان من المهاجرين الأولين . شهد بدرا وما بعدها ، وكان يقال له : فارس الاسلام (وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة) رضى الله عنهم . وقد جمع أسماءهم غير واحد ، كالحافظ زين الدين العراقى . فقال :

وأفضل أصحاب النبى مكانة ومنزلة مَنْ بُشِّروا بجنان

---

(١) قال ابن اسحاق « فلما أسلم أبو بكر رضى الله عنه أظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله . وكان أبو بكر رجلا مؤلفا محببا سهلا . وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر . وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته . فجعل يدعو إلى الله وإلى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه . فأسلم بدعائه عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف . وسعد بن أبى وقاص والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله اه باختصار . وقال ابن الأثير فى أسد الغابة : كان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة . وروى عنه أنه قال : « أسلمت قبل أن تفرض الصلاة » وهو أول من أراق دما فى الاسلام . كان أصحاب رسول الله إذا صلوا ذهبوا إلى الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم . فبينا سعد فى نفر من أصحاب رسول الله فى شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين فناكروهم وعابوا عليهم دينهم ، حتى قاتلوهم فاقتتلوا . فضرب سعد رجلا من المشركين

قال « جاءنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَعُودنى

سعيد ، زبير ، سعد ، عثمان ، عامر   على ، ابن عوف ، طلحة ، العمران

وأحد الستة أصحاب الشورى . كان يحرس النبى صلى الله عليه وسلم فى مغازيه ، وجمع له النبى صلى الله عليه وسلم أبويه فقال « فداك أبى وأمى أيها الغلام الحرور . اللهم سدد رميته وأجب دعوته[1] » . ثم قال لهم « هذا خالى فليأت كل رجل بخاله » وفى هذا المقام فى شرح الاذكار بسط فراجعه * ودعا له النبى صلى الله عليه وسلم بالشفاء من جرح كان به فشفى . وهو أول من أراق دما فى الاسلام وأول من رمى بسهم فى سبيل الله . وأخباره فى الشجاعة والشدة فى دين الله ، واتباع السنة ، والزهد والورع ، و إجابة الدعوة ، والصدق ، والتواضع : شهيرة * روى له عن النبى صلى الله عليه وسلم مائتان وسبعون حديثا . وفى التلقيح لابن الجوزى : مائتان و إحدى وسبعون حديثا . وقال أبو نعيم : أسند مائة حديث ونيفا سوى الطرق . وقال البرقى : الذى حُفظ عنه نحو من سبعين حديثا اه . اتفقا على خمسة عشر حديثا . وانفرد البخارى بخمسة عشر . ومسلم بثمانية عشر . توفى فى قصره بالعقيق على سبعة أميال من المدينة . وحمل على أعناق الرجال إلى المدينة . وصلى عليه والى المدينة مروان ابن الحكم . وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم . قيل : وكان آخر المهاجرين موتا بالمدينة . ولما حضرته الوفاة دعا بخَلَق جُبَّة له فقال « كفنونى فيها . فانى كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر . وكنت أخبؤها لهذا اليوم » وكانت وفاته سنة ثمان ، أو خمس ، وخمسين . وله بضع وستون أو سبعون ، أو ثمانون ، أو تسعون سنة *

بلحى جمل فشجه . فكان أول دم أهريق فى الاسلام . وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله اه . وروى عنه البخارى ومسلم « أنه مكث سبعة أيام وانه لثلث الاسلام » و «أهيب» جده هو عم آمنة بنت وهب أخو أبيها . ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم « هذا خالى » (١) رواه البخارى ومسلم عن جابر بن عبد الله

عامَ حجَّةِ الوَداع من وَجَع اشْتدّ بى . فقلتُ : يارسولَ اللهُ ، إنى قد بَلَغَ بى من الوجَع ما ترَى ، وأنا ذومالٍ ، ولا يَرِثُنى إلا ابْنَةٌ لى . أفأَتصدقُ بثُلُثَىْ

(قال : جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى) فيه : عيادة الكبير أتباعه . ففيه التواضع ولين الجانب (عام حجة الوداع) سميت بذلك لأنه صلى الله عليه وسلم ودعهم فيها . وهو بكسر الواو . ويجوز فتحها ، وتسمى بحجة البلاغ . لأنه صلى الله عليه وسلم قال لهم فيها « هل بلغت »[1] و بحجة الاسلام . لأنها الحجة التى حج فيها المسلمون . وليس فيها مشرك (من وجع اشتد بى) وفى رواية لهما « أشفيت منه على الموت » أى قاربته ، وأشرفت عليه (فقلت : يا رسول الله (إنى قد بلغ بى من الوجع ما ترى) فيه : جواز ذكر المريض ما يجده لغرض صحيح ، من نحو مداواة أو دعاء صالح ، أو وصية ، أو استفتاء عن حالة ، وكراهة ذلك محمولة على ما كان على وجه التسخط ونحوه . لكونه قادحا فى أجر مرضه (وأنا ذو مال) فيه دليل على إباحة جمع المال . لأن هذه الصيغة لاتستعمل فى العرف إلا لمال كثير (ولا يرثنى) من الولد ، أو خواص الورثة . وإلا فقد كان له عَصَبة ، وقيل : معناه : لايرثنى من أصحاب الفروض (إلا ابنة لى) اسمها « عائشة » ولم يكن له إذ ذاك سواها ، ثم جاء له بعد ذلك أولاد * وتعقب الحافظ ذلك فى الفتح ثم قال : والظاهر أن البنت المشار إليها هى أم الحكم الكبرى ، وأمها بنت شهاب ابن عبد الله بن الحارث ، قال الحافظ : ولم أر من حرر ذلك[2] (أفأتصدق بثلثى

---

(١) وذلك أنه صلى الله عليه وسلم خطب الناس فيها خطبة الوداع . جمع كل شرائع الاسلام . وكان عقب كل جملة يقول « هل بلغت ؟ » فيقولون « نشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة » فيرفع وجهه إلى السماء ويشير بأصبعه اليها ، ويقول « اللهم اشهد »

(٢) انظر الفتح (ج٥ ص٢٣٧ - ٢٢٣٨) فى كتاب الوصايا

مالى ؟ قال : لا. قلت : فالشَّطْرُ يارسولَ الله ؟ فقال : لا. قلت : فالثُّلثُ يا رسول الله ؟ قال : الثُّلُثُ ، والثلث كثير — أو كبير . إنك أن تَذَرَ وَرَثَتَكَ أغنياء

مالى ؟) يحتمل أنه أراد بالصدقة الوصية ، ويحتمل أنه أراد الصدقة : المنجزة ، وحكمهما سواء عندنا وعند العلماء كافة . لا ينفذ منهما مازاد على ثلث التركة إلا برضى الوارث * (قال : لا . قلت : فالشطر؟) أى فالنصف ، بالرفع على الابتداء ، أى أتصدق به ، أو على أنه فاعل لفعل مقدر ، أى أفيجوز الشطر ؟ وقال فى فتح البارى : هو بالنصب على تقدير فعل ، أى أسمى ، أو أعين الشطر . ثم قال : ويجوز الرفع (قال : لا . قلت : فالثلث ؟) بالرفع ، أو النصب (قال) صلى الله عليه وسلم (الثلث) بالرفع ، على تقدير أنه فاعل فعل محذوف ، أى يكفيك الثلث ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أى المشروع الثلث ، أو مبتدأ حذف خبره ، أى الثلث المشروع كافيك ، و بالنصب على الاغراء مضمر ، أى أعط الثلث (والثلث كثير) بمثلثة . وعليه اقتصر الشيخ زكريا فى تحفة القارى على البخارى (أو كبير) أى بموحدة . وقد حكاه مع ماقبله المصنف فى شرح مسلم روايتين . قال وكلاهما صحيح * قال فى فتح البارى : المحفوظ فى أكثر رواياته بالمثلثة . ومعناه : كثير بالنسبة إلى مادونه . قال : وهذا محتمل أن يكون مسوقا لبيان جواز التصدق بالثلث ، وأن الأولى النقص عنه . وهو مايتبادر إلى الفهم . ومحتمل أن يكون لبيان أن التصدق بالثلث من الأكمل ، أى كثير أجره ، أو كثير غير قليل . قال الشافعى رحمه الله تعالى : وهذا أولى معانيه ، يعنى أن الكثرة أمر نسبي اه * (إنك) يجوز فتح الهمزة وهو أوضح . لأنه علة لما تضمه قوله « والثلث كثير » من أنه لاينبغى أن يوصى بالثلث ، بل ينقص عنه شيئا قليلا . ويجوز كسرها استئنافا . وفيه الاشارة إلى تلك العلة أيضا (أن تذر ورثتك أغنياء) بفتح همزة « أن »

خيرٌ من أن تَذَرهم عَالةً يتَكَفَّفونَ الناسُ . وَإِنَّكَ لَنْ تُنفِق نَفَقَةً تَبْتغِي بها وَجهَ الله إلا أُجِرْتَ عليها ، حتى ما تَجعَلُ فِي فِي امرأتِك .

أى لأن تذر . فمحله جر ، أو نصب على الخلاف فى ذلك ، أوهومبتدأ ، فمحله رفع وخبره (خير) على الأول . فهو خبر ا « أن » . ويجوز كسر همزة «إن» وصحت به الرواية . قال ابن الجوزى : سمعناه من رواة الحديث بالكسر . ف« أن » فيه شرطية . وجوابها جملة صدرها مع فاء الجواب محذوف ، أى فهو خيْر . وبصحة الرواية اندفع ماقيل : حذف ذلك ضرروة (من أن تذرهم) أى تتركهم (عالة) بتخفيف اللام ، فقراء (يتكففون الناس) أى يسألونهم مافى أكفهم ، ففى الحديث : حث على صلة الأوحام والاحسان إلى الأقارب ، والشفقة على الورثة . وأن صلة القريب الأقرب أفضل من الأبعد (وإنك لن تنفق نفقة) معطوف على قوله « إنك أن تذر » إلى آخره . وهما علة للنهى عن الوصية بأكثر من الثلث . كأنه قال : لاتفعل . لأنك إن مت تركت ورثتك أغنياء وهو خير لك . وإن عشت تصدقت وأنفقت . فالأجر حاصل لك فى الحالين، وعبر «بتنفق» مع أن اشتراط الاخلاص لايختص به ، بل يجرى فى كل تصرف مالى أو فعلى : تفاؤلا . فان الانفاق إنما يقال فيما صرف فى الخير . وغيره يقال فيه : خسر ، وضيّع . وقال ابن أبى جَمرَة : نبَّه بالنفقة على ماسواها من عمل البر * (تبتغى بها وجه الله) أى ذاته وحده . كما دل عليه السياق (إلا أجرت) بالبناء للمجهول ، أى أجَرَكَ الله (عليها) وفى نسخة «بها» لأنه من العمل الصالح (حتى ما تجعل فى فى امرأتك) «حتى» عاطفة ، وما اسم موصول فى محل نصب عطفا على نفقة ويجوز الرفع على أنه مبتدأ ، أى إلا أجرت بالنفقة التى تبتغى بها وجه الله ، حتى بالشىء الذى تجعله فى فم امرأتك * ففى الحديث : أن الأعمال بالنيات . وإنما يثاب

قال : فقلت : يارسول الله، أُخَلَّف بعد أصحابى ؟

على عمله بنيته . وأن الانفاق على العيال يثاب عليه إذا قصد وجه الله تعالى به *
وفيه : أن المباح إذا قصد به وجه الله صار طاعة ويثاب عليه ، إذ وضعُ اللقمة فى
فم امرأته إنما يكون فى العادة عند الملاعبـة والملاطفة والتلذذ بالمباح ، فهذه الحالة
أبعد الأشياء عن الطاعة وأمور الآخرة . ومع ذلك فقـد أخبر الشارع بأن ذلك
يؤجر عليه بالقصد الجميل ، فغير هـذه الحالة أولى بحصول الأجر إذا قصد به وجه
الله * ويؤخذ من ذلك : أن الانسان إذا فعل مباحا : من أكل أو شرب ، وقصد
به وجه الله كالاستعانة بذلك على الطاعة ، وبالنوم على قيام الليل يثاب عليه *
ووجه عطف جملة « وإنك لن تنفق الخ » على « إنك » الأولى بيان سبب استكثار
الثلث ، ببيان مايتعلق به فى الدنيا والآخرة ، أى لاتستقل الثلث . فإنك إذا أخرجته
أُثبت الثواب العظيم ، وأبقيت لورثتك مايصونون به وجوههم عن ذل السؤال .
ومع ذلك تكون قد تداركت به مافرطت ، كما فى حديث « إن الله أعطى عبده
ثلث ماله فى آخر عمره ليتدارك به مافرط منه » * (قال : فقلت : يارسول الله ،
أخلف) بضم الهمزة وفتح اللام المشددة . وفى نسخة من البخارى « أأخلف » بهمزة
الاستفهام ، أى أأخلف فى مكة (بعد أصحابى) أى بعد انصرافهم معك . قال
القاضى عياض : قاله إما إشفاقا من موته بمكة . لكونه هاجر منها وتركها لله . فخشى
أن يقدح ذلك فى هجرته ، أو فى ثوابه ، أو خشى بقاءه بمكة بعد انصراف النبى
صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، وتخلفه عنهم بسبب المرض ، وكانوا يكرهون
الرجوع فيما تركوه لله ، ولذا جاء فى رواية أخرى «أخلف عن هجرتى» قال القاضى :
قيل : كان حكم الهجرة باقيا بعد الفتح لهذا الحديث ، وقيل : إنما كان ذلك لمن

فقال : إنك لَنْ تُخلّف ، فتعمل عَملاً تبتغى به وجهَ الله إلا ازْدَدْتَ به دَرجةً ورِفْعةً . ولَعلّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حتى ينْتفِعَ بك أقوامٌ ويُضرَّبكَ آخرون . اللهم أمْضِ لأصحابى هِجْرَتهم ، ولا تَرُدَّهم على أعقابهم . لكن البائسُ سَعْدُ بنُ خَوْلَة

هاجر قبل الفتح اه * (فقال : إنك لن تخلف) أى بأن يطول عمرك وبقاؤك فى الحياة بعد جماعات من أصحابك (فتعمل عملا تبتغى) تقصد (به وجه الله) وحده أى ذاته (إلا ازددت به درجة) فى الجنة (ورفعة) بكسر الراء ، ففى هذا فضيلة طول العمر ، للازدياد من العمل الصالح ، والحث على إرادة وجه الله تعالى بالأعمال (ولعلك أن تخلف) بأن يطول عمرك (حتى ينتفع بك أقوام) فى دينهم ودنياهم (ويضرّبك آخرون) هذا من جملة إخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات . فأنه عاش حتى فتح العراق وغيره وانتفع به قوم فى دينهم ودنياهم ، وتضرر به الكفار فى دينهم ودنياهم ، فانهم قتلوا إلى جهنم ، وسُبيت نساؤهم وأولادهم ، وغُنمت أموالهم وديارهم . وولى العراق فاهتدى على يديه خلائق ، وتضرر به خلائق باقامته الحق فيهم ، من كفار ونحوهم (اللهم) أصله : يا ألله . فحذف حرف النداء وعوض عنه الميم . ولهذا امتنع الجمع بينهما فى الاختيار . وبسطت الكلام فى تحقيق هذه الكلمة فى شرح الأذكار . قيل : وهو الاسم الأعظم (أمض) بفتح الهمزة ، أى أتم (لأصحابى هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم) قال القاضى عياض : استدل به بعضهم على أن بقاء المهاجر بمكة كيف كان : قادح فى هجرته . ولا دليل فيه عندى . لانه يحتمل أنه دعا لهم دعاء عاما . وتقدم معنى ذلك (لكن البائس) بموحدة وبالمد ، أى الذى آثر البؤس ، أى شدة الفقر والقلة (سعد بن خولة) بفتح

يَرْثِى له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنْ ماتَ بمكة » متفق عليه

٨ — وعن أبى هُريرةَ

الخاء المعجمة ، وهو زوج سُبَيعة الأسلمية (يرثى له) أى يرقّ له ويترحم له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن) بفتح الهمزة ، أى لأنه (مات بمكة) وهى الارض التى هاجر منها * قال العلماء : انتهى كلام النبى صلى الله عليه وسلم إلى قوله « لكن البائس سعد ابن خولة » وما بعده مدرج من الراوى . قيل : من سعد . وقد جاء مفسرا فى بعض الروايات . وقيل : أكثر ما جاء من كلام الزّهرى * واختلف فى قصة سعد بن خولة : فقيل : لم يهاجر من مكة حتى مات بها . وقيل : إنه هاجر وشهد بدرا . ثم انصرف الى مكة ومات بها . وقيل : هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية . وشهد بدراً وغيرها . وتوفى بمكة فى حجة الوداع سنة عشر . وقيل : توفى بمكة سنة سبع فى الهدنة ، خرج مختارا من المدينة إلى مكة * فعلى القول الأول : سبب بؤسه عدم هجرته . وعلى الثانى والاخير : سبب بؤسه سقوط هجرته ، لرجوعه مختارا وموته بها ، وعلى القول الثالث : سبب بؤسه موته بمكة على أى حال كان . وإن لم يكن باختياره . لما فاته من الأجر الكامل بالموت فى دار هجرته ، والغربة عن وطنه الذى هجره لله تعالى . ذكره المصنف فى شرح مسلم * (متفق عليه) ورواه مالك فى الموطأ ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى . كذا فى جامع الاصول لابن الأثير

(وعن أبى هريرة) جره بالكسرة هو الأصل . وصوبه جماعة . لأنه جزء علم واختار آخرون منع صرفه . كما هو شائع على ألسنة العلماء من المحدثين وغيرهم ، لأن الكل صار كالكلمة الواحدة . واعترض بأنه يلزم عليه رعاية الأصل والحال معا فى كلمة واحدة . بل فى لفظ « هريرة » إذا وقعت فاعلا مثلا ، فأنها تعرب إعراب المضاف إليه ، نظراً للاصل ، وتمنع من الصرف ، نظرا للحال ، ونظيره «خفّ» *

عبدِ الرَّحمٰن بن صَخْرٍ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ اللهَ لا يَنْظرُ إلى أجْسَامِكُمْ ولا إلى صُوَرِكُم

وأجيب : بأن الممتنع رعايتهما من جهة واحدة ، لا من جهتين ، كما هنا . وكأن الحامل عليه الخفة واشتهار هذه الكنية ، حتى نسى الاسم الأصلى ، بحيث اختلفوا فيه ، وفى اسم أبيه على خمسة وثلاثين قولا ، أصحها : عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه . وسبب تكنيته بذلك : مارواه ابن عبد البر عنه أنه قال « كنت أحمل يوما هرة فى كُمِّى . فرآنى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هذه ؟ فقلت : هِرَّة . فقال : يا أباهريرة» وفى رواية ابن اسحاق « وجدت هرة حملتها فى كمى . فقيل لى : ماهذه ؟ فقلت : هرة . فقيل : أنت أبو هريرة » ورجح بعضهم الأول ، وقيل : غير ذلك * أسلم عام خيبر . وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لازمه الملازمة التامة رغبة فى العلم ، راضيا بشبع بطنه . وكان يدور معه حيثما دار . ومن ثم كان أحفظ الصحابة ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حريص على العلم والحديث * يروِى عنه — كما قال البخارى — أكثر من ثمانمائة ، ما بين صحابى وتابعى . له خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا . اتفقا منها على ثلاثمائة . وانفرد البخارى بثلاثة وسبعين ، وكان ملازما لسكنى المدينة . وبها توفى فى سنة سبع ، أوثمان ، أوتسع ، وخمسين ، عن ثمان وسبعين سنة . ودفن بالبقيع . وما اشتهر أن قبره بقرب عسقلان لا أصل له ، إنما ذاك صحابى اسمه «حَيْدَرة» * (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم) أى لا يثيبكم عليها ، ولا يقربكم منه ذلك كما قال تعالى [٣٤ : ٣٧] وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زُلْفَى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضِّعْف بما عملوا وهم فى الغُرُفات آمنون) فمعنى نظر الله هنا : مجازاته وإثابته . وهذا بعينه يأتى فى قوله تعالى [٣ : ٧٧]

ولَـٰكِنْ ينظرُ إلى قلوبِكُمْ » رواه مسلم

٩ — وعن أبى موسى عبدِ الله بن قَيْسٍ الأشْعَرِىِّ

(ولا ينظر إليهم) وإلا فنظره تعالى الذى هو رؤيته للموجودات واطلاعـه عليها لايخص موجودا دون موجود ، بل يعم جميـع الأشياء . إذ لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء . والحاصل : أن الاثابة والتقريب ليسا باعتبار الأعمال الظاهرة . وإنما هى باعتبار مافى القلب . كما قال (وإنما ينظر إلى قلوبكم) * وفى الحديث : الاعتناء بحال القلب وصفاته ، بتحقيق علومه ، وتصحيح مقاصـده وعزومه ، وتطهيره عن كل وصف مذموم ، وتحليته بكل نعت محمود . فانه لما كان القلب محل نظر الرب حُقَّ على العالم بقدر اطلاع الله تعالى على قلبه : أن يفتش عن صفات قلبه وأحواله ، لامكان أن يكون فيه وصف مذموم يمقته الله بسببه * وفيه : أن الاعتناء باصلاح القلب وبصفاته مقدم على عمل الجوارح . لأن عمل القلب هو المصحح للأعمال الشرعية . إذ لايصح عمل شرعى إلا من مؤمن عالم بمن كلفه ، مخلص له فيما يعمله ، ثم لايكمل إلا بمراقبته تعالى فيه ، المعـبر عنها بالاحسان . وحيث كان عمل القلب مصححا للعمل الظاهر ، وعمل القلب غيب عنا ، فلا يقطع لذى عمل صالح بالخير . فلعل الله تعالى يعلم من قلبه وصفا مذموما لايصح معه ذلك العمل ، ولالذى معصية بالشر ، فلعله سبحانه يعلم من قلبه وصفا محمودا يغفر له بسببه ، والأعمال أمارات ظنية ، لاأدلة قطعية ، ويترتب على ذلك عدم الغلو فى تعظيم من رأينا عليه أفعالا صالحة ، وعدم الاحتقار لمسلم رأينا عليه أفعالا سيئة ، بل تحتقر تلك الحالة السيئة ، لاتلك الذات المسيئة . فتدبر ، هذا فانه نظر دقيق . لخص من المفهم للقرطبى (رواه مسلم) وابن ماجه أيضا

(وعن أبى موسى عبد الله) بالجر عطف بيان ، أو بدل من أبى موسى (بن قيس) بفتح القاف ، وسكون التحتية ، آخره مهملة (الأشعرى) نسبة إلى

رضى الله عنه قال « سُئِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وَسلم عن الرجلِ يُقاتلُ

«الأشعر» . قبيلة مشهورة باليمن . و«الأشعر» هو نَبْتُ أُدَدْ بن زيد بن يَشْجُب . و إنما قيل له : الأشعر. لأن أمه ولدته والشعر على بدنه . كذا فى لب اللباب * قدم أبو موسى (رضى الله عنه) مكة على النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة . فأسلم . ثم هاجر ، وقدم المدينة مع جعفر وأصحاب السفينة بعد خيبر ، وأسهم لهم صلى الله عليه وسلم منها كمن حضرها ، وقال : « لكم أهل السفينة هجرتان» وكان لأبى موسى ثلاث هجر : إلى مكة ، ثم إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة . ولاه صلى الله عليه وسلم على زبيد ، وعدن ، وساحل اليمن . وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه و يبجله ، وقال له « لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود [1] » وولاه الولايات . وقد ذكرت جملة من أحواله فى باب فضل الذكر من شرح الأذكار * روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة وستون حديثا . اتفقا منها على تسعة وأربعين حديثا ، وانفرد البخارى بأربعة . ومسلم بخمسة عشر . توفى بمكة . وقيل : بالكوفة سنة اثنتين ، أو أربع ، وأربعين عن ستين سنة * (قال : سئل) بالبناء للمجهول . والسائل هو «لاحق بن ضمرة الباهلى» . كما فى تحفة القارى (رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل) فى محل الصفة ، أو الحال من «الرجل» . لأن « أل » فيه جنسية . فهو نظير قوله تعالى ([٣٦ : ٣٧] وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) وقال الشاعر :

ولقد أمرُّ على اللئيم يَسُبُّنى   فمضيت ثُمَّتَ قلت : لا يعنينى

---

(١) رواه مسلم فى باب تحسين الصوت بالقرآن عن أبى بردة عن أبى موسى . وقال النووى : وآل داود هو داود نفسه . وآل فلان قد يطلق على نفسه . وكان داود عليه السلام حسن الصوت جداً

شَجَاعَةً ، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً ، ويقاتل رِياءً : أَيُّ ذلك فى سبيل الله ؟ فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَن قاتَلَ لِتَكُونَ كلمةُ اللهِ هى العُلْيَا، فهو فى سبيل الله » متفق عليه

(شجاعة) هى الاقدام على العدو عن روِيَّة . قال الشاعر :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول ، وهى المحل الثانى

(و) سئل عن الرجل (يقاتل حمية) بتشديد التحتية ، أى أَنَفَة ،وغيرة ومحاماة عن عشيرته (و) سئل عن الرجل(يقاتل رياء) أى ليرى الناس قتاله . ومثله القتال سمعة ، أى ليسمِّع الناس . وقوله « شجاعة » بالنصب . وكذا المذكورات فى الجمل المعطوفة بعده . وقد جاء فى رواية «سئل عن الرجل يقاتل للذِّكر » الحديث أى لأن يذكر بالشجاعة ،أى ملاحظة لنظر الخلق ، ليمدحوه و يقبلوا عليه . ف«شجاعةً » بالنصب ، وكذا المنصوبات فى الجمل المعطوفة بعده مفعول له (أيُّ ذلك) بالرفع مبتدأ . وهو اسم استفهام وخبره (فى سبيل الله) أى كائن فى طاعته (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمة الله) أى دين الإسلام . فان الاسلام ظهر بكلام الله الذى أظهره على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . وقيل: المراد من كلمة الله دعوته إلى الاسلام (هى العليا . فهو فى سبيل الله) يدخل فى الحديث: من قاتل لطلب ثواب الآخرة أو رضى الله . لأنه من إعلاء كلمة الله * وحاصل الجواب : أن القتال فى سبيل الله قتال منشؤه القوة العقلية، لا القوة الغضبية أو الشهوانية *قال المصنف رحمه الله : فى الحديث بيان أن الأعمال إنما تحسب بالنيات الصالحة ، وأن الفضل الوارد فى المجاهدين يختص بمن قاتل لاعلاء كلمة الله (متفق عليه) و رواه أبو داود والنسائى والترمذى .

١٠ — وعن أبي بَكْرَةَ نُفَيع بن الحارث الثقفيِّ رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال « إذا التَقَى المسلمان بسَيْفَيْهما فالقاتلُ والمقْتُولُ في النار. قلت: يارسول الله، هذا القاتلُ، فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حَريصاً على قتلِ صاحبِه »

(وعن أبي بكرة) بسكون الكاف. كُني بذلك لأنه تدلى بَبَكْرة من حصن الطائف إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما حاصر الطائف. ثالث ثلاثة وعشرين من عبيد أهل الطائف (نفيع) بضم النون وفتح القاف وسكون التحتية آخره مهملة، عطف بيان أو بدل من أبي بكرة، وقيل: اسمه: مسروح بمهملات. وقيل: اسم أبيه ذلك (ابن الحارث) بن كَلَدَة بفتحتين (الثقفي) نسبة لثقيف بوزن رَغيف. كان أبو بكرة (رضي الله عنه) من ذوي المزايا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. نزل البصرة، وشهد وقعة الجمل. ولم يقاتل فيها. واجتنب حروب الصحابة، روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة واثنان وثلاثون حديثاً. اتفقا على ثمانية منها. وانفرد البخاري بخمسة. ومسلم بواحد. توفي بالبصرة سنة إحدى — أو اثنتين وخمسين — (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال. إذا التقى المسلمان بسيفيهما) قاصداً كل منهما تلاف صاحبه (فالقاتل) بسبب مباشرته قتل صاحبه (والمقتول) لحرصه على ذلك كائنان (في النار) أي إن لم يعف الله عنهما (قلت: يارسول الله، هذا القاتل) أي حكمة دخوله النار، إن لم يعف الله عنه: ظاهرة. لأنه ظلم أخاه (فما بال المقتول) المظلوم؟ (قال: إنه) أي المقتول (كان) عاصيا لأنه كان (حريصاً على قتل صاحبه) ففي الحديث: العقاب على من عزم على المعصية بقلبه ووطّن نفسه عليها، ويحمل ماجاء في الأحاديث من العفو عن الخواطر على غير ذلك. بأن مرَّ ذلك بفكره من غير استقرار، ويسمى هَمًّا، ثم المعصية التي عزم عليها كما ذكر، تكتب سيئة، ويؤاخذ بها إن لم يعملها فإن عملها كتبت معصية ثانية، وإن تركها خوفاً من الله تعالى كتبت حسنة، وتمسك

متفق عليه

١١ — وعن أبى هريرةَ رَضِى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاةُ الرجل جماعةً تزيدُ على صلاته فى سُوقِهِ وَبَيْتِه

أبو بكرة بهذا الحديث فى ترك القتال فى الفتنة ، حتى نقل عنه أنه قال « لو دخل على أحد حتى يقتلنى لم أمنعه » * (متفق عليه) قال فى الجامع الصغير : ورواه أحمد وأبو داود والنسائى عن أبى بكرة . ورواه ابن ماجه عن أبى موسى

(وعن أبى هريرة) سبقت ترجمته (رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة الرجل جماعة) أى فى المسجد (تزيد على صلاته) أى الرجل (فى سوقه) سميت بذلك لأن الناس يسوقون إليها بضائعهم ، أو لأنهم يقفون فيها على ساق (و) تزيد على صلاته فى (بيته) جماعة كانت أو فرادي . صرح به الحافظ فى الفتح ، لكن قال المصنف : الصواب أن المراد منه صلاته فى بيته وسوقه منفردا ، وقيل فيه غير هذا . وهو قول باطل اه * وقال الحافظ : مقتضى الحديث : أن الصلاة فى المسجد جماعة تزيد على الصلاة فى البيت جماعة وفرادى . قال ابن دقيق العيد : والذى يظهر لى أن المراد بمقابل الجماعة فى المسجد : الصلاة فى غيره منفردا ، لكنه خرج مخرج ، الغالب فى أن من لم يحضر الجماعة فى المسجد صلى منفردا . قال : وبهذا يرتفع إشكال من استشكل تسوية الصلاة فى البيت والسوق اه * ولا يلزم من حمل الحديث على ظاهره التسوية المذكورة إذ لا يلزم من استوائهما فى المفضولية عن المسجد : ألا يكون أحدهما أفضل من الآخر . وكذا لا يلزم منه أن تكون الصلاة جماعة فى البيت والسوق لا فضل فيها على الصلاة منفردا . بل الظاهر أن التضعيف المذكور يختص بالجماعة فى المسجد ، والصلاة فى البيت مطلقا أولى منها في السوق ، لما ورد من كون الأسواق محلا للشياطين

بِضْعاً وعشرين درجة،وذلك : أنَّ أَحَدَهُمْ إذا توضَّأ فأَحْسنَ الوضوء ، ثم أتى المسجدَ ، لايُرِيدُ إلا الصلاة ، ولا يَنهزُه إلا الصَّلاةُ ، لم يخطُ خُطْوة

والصلاة جماعة فى السوق والبيت أفضل من الانفراد [1] (بضعا) بكسر الباء وفتحها وهو من الثلاثة إلى العشرة ، وقيل من ثلاث إلى تسع ،وقيل غيرذلك . والصحيح : الأول . والمراد منه : خمس أو ست أوسبع ، كما جاء مبينا فى روايات فى الصحيح (وعشرين درجة) أى يزيد ثواب الصلاة فى الجماعة فى المسجد على الصلاة فى البيت والسوق هذا القدر ، فيحصل له بالصلاة فى المسجد ثواب أزيد من ثواب ما لوصلى تلك الصلاة بعينها منفرداً بهما بضعاوعشرين درجة ، كما ذكره ابن دقيق العيد وغيره قال ابن الأثير : إنما قال « درجة » لأنه أراد الثواب من جهة العلو والارتفاع . وأن تلك فوق هذه بكذا درجة . لأن الدرجات إلى جهة فوق * (وذلك) إشارة إلى أن الأمور المذكورة بعدُ : علة للتضعيف ، والتقدير : وذلك لأنه . فكأنه يقول : سبب التضعيف المذكور (أن أحدهم) أى الواحد من الرجال المدلول عليه بلفظ «الرجل» . فأل فيه استغراقية (إذا توضأ فأحسن الوضوء) بضم الواو ، أى أسبغه وأتى بسننه وآدابه (ثم أتى المسجد) حال كونه (لا يريد) من إتيانه إياه (إلاالصلاة)أى ثواب الصلاة فى جماعة . فأل فيه عهدية ، وأوقع الفعل على الصلاة لأنها سبب ، وليس مفهوم « ثم » ـ وهو المهلة والتراخى ـ مراداً . بل المبادرة أولى : لقوله تعالى([٢٣: ٦١ أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون) وفى الحديث إشارة إلى اعتبار الاخلاص * (لا ينهزه الا الصلاة) هو بمعنى ما قبله (لم يخط) بفتح التحتية وضم الطاء المهملة (خطوة) قال الحافظ فى الفتح : ضبطناه بضم أوله

---

(١) انتهى كلام الحافظ ابن حجر . انظر الفتح (ج ٢ ص ٩٣)

إلا رُفع له بها درجةٌ ، وحُطَّ عنه بها خطيئةٌ ، حتى يدخلَ المسجِدَ ، فاذا دخل المسجدَ كان فى الصلاةِ ما كانت الصلاةُ هى تَحْبِسُهُ ، والملائـكةُ

ويجوز الفتح . قال الجوهرى : الخطوة بالضم ما بين القدمين . و بالفتح المرة الواحدة . وجزم اليعمرى أنها هنا بالفتح ، وقال القرطبى : إنها فى رواية مسلم بالضم (إلا رفع) بالبناء للمجهول ، ونائب الفاعل ضمير يعود إلى الرجل (بها) أى بسببها ، و (درجة) منصوب على الظرفية. والدرجة بفتح الدال : المرتبة والمنزلة . ثم يحتمل أن تـكون حسية فى الجنة . وأن تـكون معنوية ، بمعنى ارتفاع رتبته (وحط) أى وضع (عنه) أى عن الرجل المذكور ، بأن يمحى من صحيفته (بها) أى بسببها (خطيئة) أى ذنب (حتى) غاية لما قبله ، أى إلى أن (يدخل المسجد ، فاذا دخل المسجد) منتظراً للصلاة . بالنصب على الظرفية على سبيل التوسع ، و إلا فحقه ألا ينصب عليها ؛ لأنه اسم مكان مختص (كان) الرجل (فى الصلاة) أى فى ثوابها . وهذا مجاز . فان الصلاة أو ثوابها ليس ظرفا (ما كانت الصلاة هى تحبسه) « ما » فيه مصدرية ظرفية . ثم محله مالم يصرف جلوسه فى مصلاه لغرض آخر . وهل يحصل الثواب المذكور لمن نوى إيقاع الصلاة فى المسجد جماعة ، و إن لم يوقعها فيه أم لا ؟ قال القلقشندى [١] : الظاهر الثانى ، وقضية ما تقدم فى حديث المتخلفين عن تبوك من المعذورين من قول القرطبى : أنهم يثابون كالمباشر ، لصدق نيتهم ـ : أن يحصل له الثواب عند صدق النية (والملائـكة) قيل هم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل . وقيل : غير ذلك . وهل هى متحيزة أولا ؟ وهل يستقل العقل بمعرفتها أولا ؟ فيه خلاف

---

(١) فى نسخة « القشيرى »

يُصَلُّون على أَحَدِكم مادام فى مجلسه الَّذى صلّى فيه ؛ يقولون : اللَّهُم أُرْحمه، اللهم ّاغفِرله ، اللهم تُبْ عليه ، ما لم يُؤذِ فيه ، مالم يُحْدِث فيه»

تحقيقه فى علم الـكلام * (يصلون على أحدكم)أى يدعون له . وقابل صلاة الجماعة بصلاة الملائـكة ، ليتناسب العمل والثواب . وهؤلاء الملائـكة يجوز أن يكونوا الحَفَظة ، ويجوز أن يكونوا غيرهم (ما) مصدرية ظرفية أيضاً (دام فى مجلسه) أى مدة دوام كونه فى مجلسه (الذى صلى فيه) أى صلاة تامة، كما قال ابن أبى جمرة . قال القلقشندى(١) : والمراد ما دام فيه ينتظر الصلاة . وقد ورد كذلك صريحا عند مسـلم . ومقتضى هذا : أنه إذا انصرف عن مصلاه إلى موضع آخر فى المسجد أوغيره ، وهو ينتظر الصلاة ، أنه ينقطع ذلك ، وليس مرادا كما نبه عليه الحافظ فى الفتح . فقال الباجى : المنتظر فى غير مصلاه من المسجد يكون فى صلاة كالمنتظر فى مصلاه ، غير أن المنتظر فى مصلاه يختص بصلاة الملائـكة عليه * (يقولون) بيان ليصلون (اللهم ارحمه، اللهم اغفرله، اللهم تب عليه) فعلم أن المراد بصلاتهم الدعاء لا الاستغفار فقط . واستدل بالحديث على أفضلية الصلاة على غيرها من الأعمال . كما ذكر من دعاء الملائـكة للمصلى ، وعلى تفضيل صالحى الناس على الملائـكة . لأنهم يـكونون فى تحصيل الدرجات بعبادتهم ، والملائـكة مشغولون بالاستغفار والدعاء لهم (مالم يؤذ فيه مالم يحدث فيه) بسكون المهملة، كما قال الداودى، قال : وضبطها بعضهم بفتحها . وأراد: بغير ذكر الله . قيل : والمراد بالحدث فى الحديث الذى ذكره البخارى : الريح ونحوه ، كما فسره أبوهريرة راوى الحديث، وقيل : المراد أعم من ذلك . ويؤيده رواية مسلم هذه الجامعة بين الأذى والحدث . إن لم يكن الثانى تفسيراً للأول . فان كان تفسيراً له يؤخذ منه اجتناب حدث اللسان واليد من باب أولى فيهما . ويؤخذ منه : أن الحدث يقطع ذلك . ولو استمر جالسا فى مصلاه

(١) فى نسخة «القشيرى»

متفق عليه . وهذا لفظ مسلم

قوله صلى الله عليه وسلم «يَنهَزُه» هو بفتح الياء والهاء وبالزّاى. أى يُخرجه وينْهِضه

١٢ — وعن أبى العبّاس عبدِ الله بن عباس بنِ عبد المطَّلب ، رضى الله عنهما

وتأول أكثر العلماء الأذى : بالغيبة والضرب . فإن ذلك أعظم من أذى الحدث *
(متفق عليه وهذا لفظ مسلم) ورواه مالك ، وأحمد ، وأبو داود ، والترمذى، والنسائى
مقطعا . وكذا ابن ماجه والاسماعيلى ، وأبو عوانة ، وابن الجارود مختصرا والبُرْقانى
وأبو نعيم والبيهقى وغيرهم . كذا فى شرح عمدة الاحكام للقلقشندى (قوله صلى
الله عليه وسلم) كما فى نسخة (ينهزه : هو بفتح الياء والهاء) وحكى ضم الياء وكسر
الهاء (وبالزاى ، أى يخرجه وينهضه) وفى النهاية : النهز : الدفع يقال : نهزت الرجل
أنهزه نَهْزاً ، إذا أوقفته · ونهز رأسه ، إذا حركه

(وعن أبى العباس عبد الله بن عباس) عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
(بن عبد المطلب رضى الله عنهما) وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين بالشَّعب ، وبنو
هاشم محصورون فيه ، قبل خروجهم منه بيسير . وتُوفِّى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وقيل ابن خمس عشرة ، وقيل ابن عشر ، ويؤيد
الأول : ما صح عنه من قوله فى حجة الوِدَاع « وأنا يومئذ قد ناهزت سن
الاحتلام [1] » وصحّ أنه صلى الله عليه وسلم دعا له بقوله « اللهم فقّهه فى الدين

---

(١) رواه البخارى · وفى الصحيح عن ابن عباس أنه قال « قبض رسول الله
وأنا ختين » وفى رواية « كانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك » وفى أخرى « قبض
وأنا ابن عشر سنين »

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يَرْوِى عن رَبِّهُ ، تباركَ وتعالى —

وعَلّمه الحكمة والتأويل [١] » «اللهم علمه تأويل القرآن [٢] » « اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين » . «اللهم زده علما وفقها» * وثبت عنه أنه قال : «رأيت جبريل مرتين [٣] » وهذا سبب عماه فى آخر عمره . وفضائله شهيرة ومناقبه كثيرة * أوردت جملة صالحة منها فى كتاب فضل زمزم . روى له ألف حديث وستمائة وستون حديثا . اتفقا منها على خمسة وتسعين . وانفرد البخارى بثمانية وعشرين . ومسلم بتسعة وأربعين . مات بالطائف ودفن بها . سنة ثمان وخمسين فى خلافة ابن الزبير ، وقيل : سنة تسع . وصلى عليه محمد بن الحَنَفِيّة [٤] وقال : «مات رَبَّانى هذه الأمة» * (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه) أى روى عن أبى العباس أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ما يأتى ، حال كونه مندرجا فى الأحاديث القدسية . وهى التى يرويها (عن ربه ، تبارك) قال البيضاوى : أى تكاثر خيره ، من البركة ، وهى كثرة الخير ، أو تزايد عن كل شىء وتعالى عنه فى صفاته وأفعاله ، فان البركة تتضمن معنى الزيادة ، وقيل : دام . من بُروك الطير على الماء ، ومنه : البِرْكة ، لدوام الماء فيها ، وهو لا يتصرف فيه . ولا يستعمل إلا لله تعالى اه * وعلى الثانى مما قاله فيكون قوله : (وتعالى) أى تنزه عما لا يليق به ، مما يقوله الجاحدون والمبطلون — : إطنابا . ثم هذه عبارة السلف فى رواية الأحاديث القدسية ، فلذا آثرها المصنف ، رحمه الله تعالى . ولهم فى ذلك عبارة أخرى . وهى أن يقال : «قال الله تعالى فيما رواه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم»

---

(١) رواه البخارى

(٢) رواه ابن سعد عن طارق بن شهاب عن ابن عباس

(٣) رواه الترمذى

(٤) هو محمد بن على بن أبى طالب . وأمه كانت من بنى حنيفة

قال « إنَّ الله كَتَبَ الحسنات والسَّيئاتِ ، ثم بيَّن ذلك . فمَنْ هَمَّ بِحَسَنةٍ فلم يَعْمَلْها ، كتبها الله تعالى عنده

والمعنى واحد * وقد ذكرت ما افترق فيه القرآن والحديث القدسى فى شرح الأذكار . وسيأتى بعضه فى باب الصبر . وقيل : ليس من الأحاديث القدسية . بل المراد فيما يرويه عن فضل ربه ، أو حكمه ، أو نحو ذلك . وتُعُقِّبَ ذلك الجزم بأن كلا الأمرين محتمل ، والأقرب إلى السياق و إلى اصطلاح السلف ـ المذكور فى رواية الأحاديث القدسية ـ : أنه منها . وقد جاء فى بعض طرق الصحيحين ما يصرح بأنه منها . وهو : « يقول الله عز وجل : إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فان عملها فاكتبوها عليه بمثلها ، وإن تركها لأجلى فاكتبوها له حسنة ، و إذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة . و إذا عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها ، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ، مالم يعملها فاذا عملها فأنا أكتبها عليه بمثلها » * (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم ، ويصح عوده إلى الله ، وعليه فيكون من الاظهار فى محل الاضمار * قوله (إن الله كتب الحسنات والسيئات) أى أمر الحفظة بكتابتهما ، أو كتبهما ، فى علمه على وفق الواقع منهما ، أو قدر مبالغ تضعيفهما (ثم بين) أى الله تعالى ، وجَعْلُ الضمير له صلى الله عليه وسلم مبنى على مامر ، من أن المرادَ بـ « عن ربه » عن حكمته أو فضله . وقد علمت مافيه . و « ثم » للترتيب الذكرى (ذلك) للكتبة من الملائكة حتى عرفوه ، واستغنوا به عن الاستفسار : كل وقت كيف يكتبونه ؟ (فمن هَمَّ بحسنة) أى أرادها وترجّح فعلها عنده ، فعلم منه بالأولى : العزم . وهو الجزم بفعلها ، والتصميم عليه (فلم يعملها كتبها الله تعالي عنده) هى عندية شرف ومكانة ، لتنزهه تعالي عن عندية المكان .

حَسَنَةً كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشرَ حسنات إلى سبعمائة ضِعْفٍ ، إلى أضعاف كثيرة ،

(حسنة) لأن الهمَّ بالحسنة سبب إلى عملها . وسبب الخير خير ، أما الخَطْرة التى تخطر ثم تنفسخ من غير عزم ولا تصميم ، فليست كذلك . واستفيد من ذكر الحسنة هنا والمضاعفة فيما يأتى : اختصاص المضاعفة بمن عمل ، دون من نوى ، فهما فى الأصل سواء . وإن اختص العامل بالتضعيف * وقوله (كاملة) وصف «حسنة» وذكر لئلا يظن أنها لكونها مجرد هَمٍّ ينقص ثوابها * (وإن هم بها) أى بالحسنة (فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات) لأنه أخرجها من الهم إلى ديوان العمل ، فكتب له بالهم حسنة ، ثم ضوعفت فصارت عشرا . وهذا التضعيف لازم لكل حسنة تعمل ، قال الله تعالى ، ([٦ : ١٦٠] من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) ثم قد تضاعف بعدُ لمن شاء الله تعالى ([٢ : ٢٦١] والله يضاعف لمن يشاء) مضاعفة أخرى . (إلى سبعمائة ضعف) على حسب ما اقترن بها من إخلاص نيته وإيقاعها فى محلها الذى هى به أولى وأحْرى ، وفى رواية فى الصحيحين أيضا « إلى سبعمائة ضعف ، إلا الصيام ، فأنه لى وأنا أجزى به » وفيها دليل على أن الصوم لا يعلم قدر مضاعفة ثوابه إلا الله تعالى . لأنه أفضل أنواع الصبر ، وقد قال تعالى ([٣٩ : ١٠ إنما يُوفَّى الصابرون أجْرَهم بغير حساب) * (إلى أضعاف كثيرة) و « كثيرة » هذه وان كانت نكرة إلا أنها أشمل من المعرفة . فتقضى لهذا أن يحسب توجيه الكثرة على أكثر ما يمكن ، كتصدقٍ بحبة بُرٍّ ، مثلا ، تحسب له فى فضل الله تعالى أنه لو بذرها فى أزكى أرض مع عناية الريِّ والتعهُّد ، ثم حُصدت وبذر حاصلها فى أزكى أرض كذلك ، وهكذا إلى يوم القيامة ، جاءت تلك الحبة كأمثال الجبال الرواسى * وما ذكرته : من أن التضعيف بعشرة لابد منه لكل عامل حسنة ،

وإن هَمَّ بسيئةٍ فلم يعملْها ، كَتَبَهَا اللهُ تعالى عنده حسنةً كاملةً
وإن همَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كتبها الله سيئةً واحدةً »

وأن التضعيف بسبعمائة فأكثر إنما يحصل للبعض على حسب مشيئته تعالى : هو ماجزم به المصنف رحمه‌الله تعالى * (وإن هم بسيئة فلم يعملها) بأن ترك فعلها ، أو التلفظ بها لوجه الله تعالى . لا لنحوحياء أو خوف ذى شوكة ، أوعجز ، أو رياء ، بل قيل : يأثم حينئذ من حيث نحوالرياء .لأن تقديم خوف المخلوق على خوف الله محرم . وكذا الرياء * (كتبها الله عنده حسنة) لأن رجوعه عن العزم عليها خير أىّ خير .فجوزى فى مقابلته بحسنة. وأكّدت بقوله (كاملة) إشارة إلى نظير مامر فى « كاملة » فى الهم بالحسنة . لايقال : نظيرُ مامر ثَمّ أن الهم بالحسنة تكتب فيه حسنة : أن يكون بالسيئة تكتب فيه سيئة . فان الهم بالسوء من أعمال القلب . لانا نقول : قد تقرر أن الكفَّ عنها خيرأىّ خير ، وهو متأخر عن ذلك الهم . فيكون ناسخا له ([١١ : ١١٤] إن الحسنات يذهبن السيئات)وعند مسلم « يقول الله : إنما تركها من جرّاى » أى من أجلى [١] * (وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة) زاد أحمد « ولم تضاعف عليه » . ويدل له قوله تعالى (فلا يُجْزَى إلا مثلَها) نعم قد تعظم بشرف زمان أو مكان . كالأشهر الحرم ، ورمضان ، ومكة أو بشرف الفاعل لها ، وقوة معرفته بالله تعالى وقربه منه . فأن من عصى السلطان على بساطه أعظم جرما ممن عصاه على بعد * ثم قوله « وإن هم الخ » فيه دليل على أن العزم لايكتب معها ، لكن أفتى قاضى القضاة ابن رزين من أئمتنا : بأن من عزم عليها ففعلها ولم يتب منها . أوخذ بعزمه . لأنه إصرار ، وتناقض فيه كلام السبكى .

---

(١) يقال : فعلته من جراك . بفتحتين ، ومن جرائك . بفتحتين وبالهمزة ، ومن جراك بتشديد الراء من غير همز . والرواية هنا بالتشديد بلا همز .

ورجح ولده مايوافق كلام ابن رزين

« تنبيه » لم يقع من يوسف عليه السلام هَمٌّ بمعصية ، على ماقاله ابن أبى حاتم ومن وافقه . ومعنى الآية عندهم (وهمّ بهالولاأن رأى بُرْهَانَ ربه) أى لولا رؤية البرهان لَهَمَّ . لـكنه لم يهم لأنه رآه ، وعلى المشهور فى الآية : فالهم الواقع منه بمعنى حديث النفس المعفو عنه . * واعلم أن مايقع فى النفس من قصد المعصية على خمس مراتب * الأولى : الهاجس . وهو مايلقى فيها * ثم جريانه فيها . وهو الخاطر * ثم حديث النفس وهو مايقع فيها من التردد ، هل يفعل أولا؟ * ثم الهم وهو قصد ترجيح الفعل * ثم العزم . وهو قوة ذلك القصد والجزم به .

فالهاجس لا يؤاخذ به إجماعا . لأنه ليس من فعله ، وإنما هو شىء طرقه قهراً عليه ، وما بعده من الخاطر وحديث النفس — وإن قدر على دفعهما — مرفوعان بالحديث الصحيح . أى وهو قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله تجاوز عن أمتى ماحَدَّثت به أنفسها ، مالم تتكلم به » أى فى المعاصى القولية « أو تعمل به » أى فى المعاصى الفعلية ، لأن حديثها إذا ارتفع فما قبله أولى * وهذه المراتب لاأجر فيها فى الحسنات أيضا لعدم القصد . وأما الهم فقد بين الحديث الصحيح أنه بالحسنة يكتب حسنة . وبالسيئة لايكتب سيئة . ثم ينظر . فان تركه لله كتب حسنة وإن فعله كتب سيئة واحدة . والأصح فى معناه : أنه يكتب عليه الفعل وحده . وهو معنى قوله « واحدة » وأن الهم مرفوع . ومنه يعلم أن قوله فى حديث النفس مالم تتكلم أو تعمل به ليس له مفهوم ، حتى يقال : إنها إذا تكلمت أو عملت يكتب حديث النفس لأنه إذا كان الهمُّ لايكتب ، كما استفيذ من قوله «واحدة» — فحديث النفس أولى بذلك . كذا قاله السبكى فى الحلبيات . وخالف نفسه فى شرح المنهاج . وتبعه ولده * وعبارته فى منع الموانع : هنا دقيقة . وقد نبهنا عليها فى جمع الجوامع : هى أن عدم المؤاخذة بحديث النفس والهم ليس مطلقا ، بل بشرط عدم التكلم والعمل . حتى إذا عمل يؤاخذ بشيئين : همه ، وعمله . ولايكون هَمُّـه مغفورا ، ولا حديث

١٣ — وعن أبى عبدِ الرحمن عبدالله بن عُمَر بن الخطّاب. رضى الله عنهما

نفسه إلا إذا لم يُعقِبه العمل ، كما هو ظاهر الحديث . ثم حكى كلامى أبيه . ورجح المؤاخذة . وخالفه غيره فرجح عدمها . قال : و إلا يلزم أن يعاقب على المعصية عقو بتين ، ونظر بأنه لايلزم عليه ذلك . لأن الهم حينئذ صار معصية أخرى . ثم قال فى الحلبيات : وأما العزم فالمحققون على أنه يؤاخذ به ، وخالف بعضهم ، وقال : إنه من الهم المرفوع . واستدل له بما لايجدى . قال ابن رزين : والعزم على الكبيرة — و إن كان سيئة — فهو دون الكبيرة المعزوم عليها . والله أعلم (متفق عليه) .

(وعن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما) ولد قبل البعثة بسنة ، وأسلم مع أبيه بمكة . وهو صغير . وقيل : قبله . وهاجر معه . وقيل : قبله . ولم يشهد بَدْرا ؛ وكان عمره عام أُحدٍ أربعَ عَشْرةَ سنة . فاستصغره صلى الله عليه وسلم . ثم بلغ فى عام الخَنْدَق خمسَ عشرةَ سنة . فأجازه صلى الله عليه وسلم ؛ ثم لم يتخلف بعدُ عن سَرِيَّة من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم لشقيقته حفصة « إن أخاك رجل صالح ، لو أنه يقوم الليل [1] » فلم يترك قيامه بعده ، وكان من فقهاء الصحابة ومفتيهم

---

(١) فى الصحيحين عن سالم عن ابن عمر « كان من رأى رؤيا فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم قصها عليه . فتمنيت أن أرى رؤيا . وكنت غلاما شابا عزبا أنام فى المسجد . فرأيت فى المنام : كأن ملكين أتيانى ، فذهبا بى — الحديث » وفى آخره « فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله . فقال : نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل . فكان بعد لا ينام من الليل إلا القليل » وفى الصحيح

قال : سمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم

وزهادهم ، واعتزل الفتنة ، فلم يقاتل مع علىّ ولا مع معاوية ، وأُولع بالحج أيام الفتنة وبعدها . وكان من أعلم الناس بالمناسك ، قيل : وحج ستين حجة. وَاعتمر ألف عمرة . وأفتى فى الاسلام ستين سنة . وحمل على ألف فرس فى سبيل الله * روى له عن النبى صلى الله عليه وسلم ألف حديث وستمائة وثلاثون حديثا . اتفقا منها على مائة وسبعين . وانفرد البخارى بثمانين . ومسلم بأحد وثلاثين ، وقد ذكرت زيادة فى ترجمته فى شرح الأذكار . مات بمكة سنة ثلاث وسبعين شهيدا عن ست وثمانين سنة . وسبب موته : أنه سَفِه عليه الحجّاج ، فقال له عبد الله : إنك سفيه مُسَلَّط . فعزّ ذلك عليه . فأمر رجلا . فَسَمَّ زُجَّ رُمحه . فزَحَمَه فى الطواف . ووضع الزج على قدمه ، فمرض أياما . وتوفى . ودفن بذى طُوًى فى مقبرة المهاجرين . وقيل بفَخٍّ [1] * (قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

أيضا عن نافع عن ابن عمر « فرأيت سرقة من حرير ، فما أهوى بها إلى مكان من الجنة إلا طارت بى اليه . فقصصتها على حفصة . فقصتها حفصة على رسول الله . فقال : إن أخاك عبد الله رجل صالح »

(١) قال ابن الأثير فى أسد الغابة : وإنما فعل الحجاج ذلك . لأنه خطب يوما وأخر الصلاة . فقال له ابن عمر : إن الشمس لا تنتظرك . فقال له الحجاج : لقد هممت أن أضرب الذى فيه عيناك . قال : إن تفعل فانك سفيه مسلط . وقيل : لأن عبد الملك بن مروان أمر الحجاج أن يقتدى بابن عمر فى الحج . فكان ابن عمر يتقدم عليه فى المواقف بعرفة وغيرها . فكان ذلك يشق على الحجاج . فأمر رجلا معه حربة مسمومة فلصق بابن عمر عند دفع الناس . فوضع الحربة على ظهر قدمه . فمرض أياما فعاده الحجاج وقال : من فعل بك ؟ قال : وما تصنع ؟ قال : قتلنى الله إن لم أقتله . قال : ما أراك فاعلا . أنت أمرت الذى نخسنى بالحربة . فلبث أياما . ومات وصلى عليه الحجاج . وكان موته بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر

يقول، « انْطَلَقَ ثلاثةُ نَفَرٍ ممَّن كان قَبْلَـكم ، حتّى آواهُمُ المبيتُ إلى غارٍ ، فدَخلوه ، فانْحَدَرَتْ صَخرةٌ مِن الجبل ، فَسَدَّتْ عليهم الغارَ ، فقالوا : إنَّه لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هٰذه الصَّخْرَةِ إلاَّ أَنْ تَدْعوا اللهَ تعالى بصالِحِ أعمالِكُم

يقول : انطلق ثلاثة نفر) فى النهاية : هو اسم جمع ، يقع على عدد مخصوص من الرجال ، أى مابين الثلاثة إلى العشرة . ولا واحد له من لفظه (ممن كان) إفراد الضمير باعتبار لفظ «من» (قبلـكم) فى الزمان (حتى آواهم) «حتى» فيه عاطفة . والمعطوف عليه «انطلق» ويحتمل كونها جارّة ، غاية لمقدر ، أى فساروا إلى أن آواهم المبيت . و«آوى» بالمد فى الأفصح . لـكونه متعديا ، وجاء به القرآن بذلك قال تعالى ([٢٣ : ٥٠] وآويناهما إلى رَبْوَةٍ) و يجوز قصره . ومصدره « إيواء » بوزن « إكرام» ومصدر القاصر « أووى » على وزن فعول . قيل : قلبت الواو الثانية ياء و إدغامها فى الياء بعدها . وكسر الواو الأولى لمناسبة الياء ، والأفصح فى الفعل اللازم : القصر . وجاء فى القرآن بذلك ، قال تعالى ([١٨ : ٢٠] إذْ أوَى الفِتْيَةُ) * (المبيت) البيتوتة فاعل (إلى غارٍ) أى كهف . وجمعه «غِيران» بقلب الواو الساكنة ياء لـكسر ماقبلها . كما فى النهاية (فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت) بتشديد الدال (عليهم الغار) أى بابه ، أى صارت على باب الغار كالسد (فقالوا : إنه) الضمير للشأن (لاينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله) متوسلين إليه (بصالح أعمالـكم) أى بأعمالـكم الصـالحة . والواو من «تدعوا» ساكنة لأنها للجمع . والأصل بعد الاعلال «تدعون» حذفت النون للناصب . وهو «أن» . قال المصنف : واستدل أصحابنا بهذا — أى بقوله « لا ينجيكم الخ » — على أنه يستحب للانسان الدعاء فى حال كربه ، وفى حال

قال رَجُلٌ منهم : اللّٰهُمَّ كان لى أبوانِ شَيْخَان كَبيران . و كُنتُ لا أَغْبِقُ قَبْلَهما أهلاً ولا مالاً ، فنأى بِى

الاستسقاء وغيره بصالح عمله ، و يتوسل إلى الله تعالى بذلك . لأن هؤلاء فعلوه . فاستجيب لهم ، وذكره صلى الله عليه وسلم فى معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم * (قال رجل منهم) قدم على الرجلين بعده إشارة إلى شرف بر الوالدين . والاهتمام بشأنهما . فان التقديم فى الذكر يكون للاهتمام (اللهم) أى يا الله (كان لى أبوان) فيه تغليب الأب لشرفه ، على الأم . فهو نظير ([٦٧ : ١٢] وكانت من القانتين) و « كان » يحتمل كونها ناقصة . والظرف خبرا مقدما ، وكونها تامة ، والظرف فى محل الحال * (شيخان) بفتح الشين (كبيران) فى السن (وكنت) معطوف على «كان» قبله (لا أغْبِق) بفتح الهمزة وسكون الغين المعجمة . وضم الموحدة ، وكسرها * قال المصنف : هذا الذى ذكر من ضبطه متفق عليه فى كتب اللغة ، وكتب غريب الحديث والشروح وقد يصحفه بعض من لا أنس له فيقول : بضم الهمزة وكسر الموحدة . وهذا غلط اه . وقال الحافظ فى الفتح : ضبطوه بفتح الهمزة من الثلاثى، إلا الأُصَيلى . فضبطه من الرباعى ، وخطّؤوه اه * أى كنت لا أقدّم فى شرب الماء [1] (قبلهما أهلا) أى من زوج وولد (ولا مالا) أى من رقيق وخادم ، والغَبُوق شرب العَشِىّ ، والصَّبوح شرب الصباح . قال القرطبى : والحاس : هو الذى يؤتى به عند انفلاق الفجر * (فنأى) بتقديم

---

(١) الغبوق : شرب آخر النهار . وهو مقابل الصبوح : شرب أول النهار ، أى ما كنت أقدم عليهما أحدا فى شرب نصيبهما من اللبن الذى يشربانه . اه من النهاية . وفى القاموس : الغبوق : كصبور : مايشرب آخر النهار اه . ويؤخذ من هذا أنه لايكون إلا للبن ونحوه . أما الماء فلا يقال لشربه غبوق ولا صبوح

طَلَبُ الشَّجَرِ يومًا ، فلم أُرِحْ عليهما حتَّى ناما . فَحَلَبْتُ لهما غَبوقَهما ، فوجَدْتُهُمَا نائمين ، فَكَرِهْتُ أن أوقظَهُمَا ، وَأَنْ أَغْبِقَ قبلهما أَهلاً أو مالاً ، فَلَبِثْتُ والقَدَحُ على يدِى أَنتظرُ اسْتِيقاظَهَما ، حتى بَرَقَ الفجرُ

الهمزة بوزن « سعى » وفى رواية « فناءَ » بوزن « جاء » أى بعد . والنأي : البعد (بى طلب الشجر يوما) لترعى فيه المواشى (فلم أُرِحْ عليهما) بضم الهمزة وكسر الراء ، أى لم أرجع [١] (حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما) وفى نسخة من البخارى « فحملت » * (فوجدتهما نائمين) يحتمل أن يكون « وجد » فيه من أفعال القلوب ف « نائمين » مفعوله الثانى . وأن يكون بمعنى لقى . فنائمين حال من المفعول (فكرهت) قال فى تحفة القارى : وفى نسخة – أى من البخارى – « وكرهت » (أن أوقظهما وأن أغبق) بفتح أوله . كما تقدم (قبلهما أهلا أومالا ، فلبثت والقدح على يدى) جملة حالية من الفاعل . وكذا قوله (أنتظر استيقاظهما) ثم يحتمل أن يكون من فاعل « لبث » وأن يكون من الياء فى الجملة قبله [٢] وعليه فهى حال متداخلة (حتى برق الفجر) بفتح الراء وكسرها . أى تلألأ وظهر ضوءه

(تنبيه) فى آخر صفحة (٩٦) « والحاس » وهو خطأ . صوابه « والجاشر » كذا فى تاج العروس وغيره

(١) فى القاموس : أراح الابل ، أى ردها إلى مراحها بضم الميم ، أى مأواها . وفى النهاية : المراح – بالضم – الموضع الذى تروح إليه الماشية أى إما تأوى إليه ليلا وأما بالفتح : فهو الموضع الذى يروح إليه القوم أو يروحون منه ، كالمغدى ، للموضع الذى يغدون منه . ومنه حديث أم زرع « وأراح على نعما ثريا » أى أعطانى لأنها كانت هى مراحا لنعمه . وفى حديثها أيضا « وأعطانى من كل رائحة زوجا » أى مما يروح عليه من أصناف المال أعطانى نصيبا . وقوله « أرجع » من الثلاثى المتعدى أو من « أرجع » الرباعى – لغة هذيل . أى لم أرد عليهما الابل

(٢) أى من ياء المتكلم فى قوله « على يدى »

والصِّبْيةُ يَتَضَاغُوْنَ عند قدَمَىَّ ، فاستَيْقظا ، فشربا غَبوقهما . اللّهم إنْ كنتُ فعلتُ ذلك ابْتِغاء وَجْهكَ ففَرِّجْ عنَّا .

(والصبية يتضاغون) جملة حالية من فاعل «لبث» أيضا . و « يتضاغون » بالضاد والغين المعجمتين : يصيحون من الجوع ، و «الضُّغاء» ممدودمضموم الأول : صوت الذِّلةوالفاقة (عندقدمى) يحتمل أن يكون بفتح الميم وتشديد الياء مثنى ، وحذفت النون للاضافة ، وأن يكون بكسر الميم وسكون التحتية ، وهولكونه مفردامضافا يؤدى مؤدى الأول . وهو عند البخارى « عند رجلى » وضبط فى أصل صحيح منه بتشديد الياء ، وهو يؤيد الأول من الاحتمالين * فإن قلت : نفقة الفرع مقدمة على نفقة الأصل ، فلم تركهم جائعين ؟ قلت : قال الكرمانى : لعل فى شريعتهم [١] تقديم الأصل على الفرع أولى ، أو كانوا يطلبون الزائد على سدالرَّمَق ، والصياح لم يكن من الجوع اه * (فاستيقظا فشربا غبوقهما) بفتح الغين (اللهم إن كنت فعلت ذلك) المذكور : من السهر ، واللبث عليه ، وحمل القدح إلى قيامهما (ابتغاء وجهك) أى ذاتك ، لا لغرض آخر دنيوى ، كما يدل عليه السياق (ففرج عنا) بتشديد الراء ، دعاء من التفريج ، أى افتح ، ثم هو هكذا فى أصلين من الرياض . والذى فى الصحيحين « فافرج » وقضية كلام القرطبى فى المفهم : أنه بهمزة وصل وضم الراء من الثلاثى [٢] وعبارته « افرُج » افتح ، والفرجة بضم الفاء من

---

(١) فى نسخة «دينهم»

(٢) لم أجد فى المختار ولا فى اللسان ولا فى تاج العروس «يفرج» بضم الراء ولا يفرج ، بضم الياء وكسر الراء . وعبارة تاج العروس : (فرج الله الغم) من باب ضرب (يفرجه) بالكسر (كشفه ، كفرجه) مشددا ، فانفرج وتفرج ... (والفرجة — مثلثة — التفصى) أى الخلاص (من الهم) والفرجة بالفتح : الراحة من حزن أو

ما نحنُ فيه مِنْ هٰذِه الصخرة . فانفَرَجَتْ شيئًا لا يستطيعون الخروجَ منه . قال الآخر : اللهمَّ إنه كانتْ لِي ابْنةُ عمٍّ ، كانت أحبَّ الناس إليَّ — وفى رواية كنتُ أحبُّها كأَشَدِّ ما يُحبّ الرجالُ النساء — فأَردتُها على نفسها ، فامْتَنَعَتْ مِنِّي ، حتى أَلَمَّتْ

السعة . فاذا كان بمعنى الراحة ، قلت : فيه «فَرجة» بفتحها . وفعل كل واحد منهما «فَرَج» بالفتح والتخفيف يفرج بالضم لاغير . لكن قال الحافظ فى الفتح : إنه بهمزة الوصل وضم الراء ، وبهمزة القطع وكسر الراء من الفرج والافراج اه * (مانحن فيه من) كرب سدّ (هذه الصخرة . فانفرجت شيئا) أى يسيرا من الانفراج . وهو مفعول مطلق قائم مقام قوله «فرجة» الوارد فى رواية * (لا يستطيعون الخروج) أى منه (قال الآخر) بمد الهمزة وفتح الخاء المعجمة (اللهم كان) بالتذكير للفصل بقوله (لى) بينه و بين مرفوعه المؤنث الحقيقى ، وفى نسخة « كانت » وهو (ابنة عم ، كانت أحب الناس إلىَّ) بتشديد الياء والياء . المدغمة هى المنقلبة عن ألف «إلى» . والمدغم فيها ياء المتكلم (وفى رواية) أى فى الصحيحين (كنت أحبها كأشد) أى حبا مثل أشد (مايحب الرجال النساء) فالكاف فى «كأشد» صفة المصدر . وقال الكرمانى : هى زائدة . قال : والمراد تشبيه محبته بأشد المحبات (فأردتها) وفى نسخة «فراودتها» (على نفسها) هو كناية عن طلب الجماع (فامتنعت منى) أى من موافقتى على ماطلبته منها (حتى ألمت) أى إلى أن

مرض . . . (و) قيل الفرجة فى الأمر (وفرجة الحائط) والباب (بالضم) . . . (و) فرج بالكسر فرجا (والاسم الفرج محركة) اه .

بها سَنَةٌ من السنين . فجاءتْني ، فأَعطيتُهاعشرين ومائةَ دينارٍ على أَنْ تُخَلِّيَ بيني و بين نَفْسِها ، ففعَلتْ ، حتى إذَا قَدَرْتُ عليها — وفي رواية : فلما قعَدْتُ بين رجليها — قَالت : اتَّقِ الله ، ولا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إلا بحَقّه . فانْصَرفتُ عنها ، وهى أَحَبُّ النَّاسِ إِلىَّ ، وتَرَكْتُ الذَّهَبَ الذى أَعْطَيتُهَا

نزلت (بهاسنة من السنين) المقْحِطَة أى المجدِبَة التى لا تنبت فيها الأرض شيئا (فجاءتنى) عند نزول الشدة بها (فأعطيتها عشرين وَمائة دينار) لا ينافى مارواه البخارى فى رواية أخرى ومسلم : من أن جميع مادفعه لها مائة دينار ـ : لأن التخصيص بالعدد لا ينفى الزائد ، أو أن المائة كانت تطلبها والعشرين تبرع لها بها كرامة (على أن تخلى بينى و بين نفسها ففعلت) أى خلت . أو المفعول محذوف أى أوجدت التخلية (حتى إذا قدرت عليها) أى بالعقود الآتى بيانه فى الرواية الثانية ، ويحتمل أن يكون المراد بالقدرة عليها التمكن من الوقاع بها من غير معارض منها ، أو من غيرها (وفى رواية) للبخارى (فلما قعدتُ) وعند مسلم « فلما وقعت » (بين رجليها)أى وهى جلسة الجماع (قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه) « الفض » بالفاء والضاد المعجمة : الكسر والفتح . و يجوز فى آخر الفعل المذكور الحركات الثلاث . و«الخاتم» كناية عن الفرج وعذرة البكارة و « حقه » التزويج المشروع ، أى لا تزل بكارتى إلا بالتزويج * (فانصرفت عنها) إجلالا لله سبحانه وتعالى ، وخوفا منه ، كما يعلم مما يأتى . وقوله (وهى أحب الناس إلى) جملة فى محل الحال مسوقة لبيان تقديم خوف الله على هوى نفسه (وتركت الذهب الذى أعطيتها) معطوف على قوله « فانصرفت عنها » أو على الجملة الحالية ، فيكون فيه

اللَّهُمَّ إنْ كنتُ فعلتُ ذلك ابْتِغَاء وَجْهكَ فافْرُجْ عنا مانحن فيه ، فانفرَجَتِ الصَّخْرة ، غير أنهم لايَسْتَطِيعُون الخروجَ منها . وقال الثالثُ : اللَّهُمَّ اسْتأجَرْتُ أُجرَاء ، وأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهم غيرَرجلٍ واحدٍ ترك الذى له وذَهَبَ . فثَمَّرْتُ أجره ، حتى كَثُرتْ منه الأموالُ ، فجاءنى بعدَ حينٍ ، فقال : ياعبدَ اللهِ أدّ

زيادة فى مجاهدة النفس على ترك الهوى بتخلية المال * (اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك) أى طلب مرضات ذاتك ، لا لغرض آخر (فافرج) يجوز فى ضبطه الوجهان السابقان فى كلام الحافظ (عنا ما نحن فيه) أى من الكرب (فانفرجت الصخرة) أى فرجة زائدة على الفرجة الأولى (غير أنهم) مع ذلك (لا يستطيعون الخروج منها) لضيقها عن ذلك (وقال الثالث : اللهم إنى استأجرت أجراء) بضم الهمزة وفتح الجيم جمع «أجير» نحو شرفاء وشريف ، وسقط لفظ « إنى » فى هذا المقام فى بعض نسخ البخارى ، وجاء فى رواية فى الصحيحين « استأجرت أجراء على فَرَق من الطعام [1] » * (وأعطيتهم أجرهم) أى أجرتهم (غير رجل) بالنصب . وقوله (واحد) وصف «رجل» للتأكيد ، ودفعا لتوهم أن المراد منه الجنس نحو « تمرة خير من جرادة » (ترك الذى له) أى فى ذمة المستأجر (وذهب فثمّرت أجره) أى كثّرته (حتى كثرت) بضم المثلثة (منه) أى من أجره بالتجارة فيه (الأموال) أى أنواعها : من إبل ، وبقر ، وغنم ورقيق (فجاءنى) أى ذلك الرجل الأجير (بعد حين) أى زمن (فقال : يا عبد الله أدّ) بحذف الياء . ووقع فى بعض

(١) قال النهاية : الفرق - بالتحريك - مكيال يسع ستة عشر رطلا . وهى اثنا عشر مدا ، أو ثلاثة آصع عند أهل الحجاز . وقيل : الفرق خمسة أقساط . والقسط نصف صاع . فأما الفرق - بالسكون - فمائة وعشرون رطلا .

إلىَّ أجرِى . فقلتُ : كلُّ ما ترَى من أجرِك : من الإبلِ ، والبقرِ والغنمِ ، والرقيق . فقَال : ياعبدالله ،لاتَستَهزِىءْبى ،فقلتُ :لاأستَهزِىءُ بك ، فأخذَه كله ، فاستَاقَه ، فلم يَترُكْ منه شيئاً . اللهم إنْ كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءِ وجهك فافرُج عنّا مانحن فيه . فانْفَرَجت الصَّخْرَة ، فخرجوا يمشون » متفق عليه

نسخ البخارى إثباتها ، قال الشيخ زكريا فى تحفة القارىء : والوجه حذفها اه . أى ادفع (إلىّ) بتشديد الياء (أجرى ، فقلت له) مخلصا (كل ما ترى) من أنواع المال (من أجرك) وفى نسخة من البخارى « من أجلك » وهو خبر المبتدأ (وقوله من الإبل) بكسرتين ، أو بكسر فسكون ، وما بعده بيان لما قبله (والبقر) و يقال فيه « باقور » سمى بذلك لأنه يبقر الأرض ، أى يشقها للحرث (والغنم والرقيق . فقال) أى الأجير (ياعبد الله لا تستهزىء بى) فأن أجرى فى أصله لايقارب ذلك . وهو بسكون الهمزة (فقلت : لا أستهزىء بك ، فأخذه كله . فاستاقه)أى ذلك إلى رحله ومنزله (فلم يترك) أى يدع لى منه شيئا . (اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك) أى طلب مرضاتك وحدك لا غيرك (فافرج) بالوجهين السابقين (عنا ما نحن فيه) أى من الكرب (فانفرجت الصخرة) عن باب الغار (فخرجوا يمشون . متفق عليه) أى على أصل الحديث ، و إلا فبينهما اختلاف فى بعض ألفاظه .

قال المنذرى فى الترغيب ، بعد إيراده بنحوه من حديث ابن عمر : رواه الشيخان والنسائى . ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة باختصار . ولفظه بنحوه ، وفيه : أن كلا من الثلاثة قال « فان كنت تعلم أنما فعلت ذلك رجاء رحمتك وخشية عذابك فافرج عنا » وفيه عند دعاء كل من الأولين من

الثلاثة « فزال ثلث الحجر » وفى الثالث « فزال الحجر ، نخرجوا يتماشون » *

ثم فى الحديث استجاب الدعاء حال الكرب والتوسل بصالح العمل . كما تقدم وفيه فضيلة بر الوالدين وفضل خدمتهما و إيثارهما على من سواهما من الولد والزوجة * وفيه : فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات ، لا سيما بعد القدرة عليها . والهمّ بفعلها . وترك ذلك لله خالصا *

وفيه : جواز الاجارة بالطعام ، وفضل حسن العهد ، وأداء الأمانة ، والسماحة فى المعاملة ، وإثبات كرامات الأولياء . وهو مذهب أهل الحق . ولا حجة فيه على جواز بيع الفضولى . لأن ما ذكر فى شرع من قبلنا ، وفى كونه حجة : خلاف ، وعلى تقدير الحجية فلعله استأجره بأجرة فى الذمة ، كما أشرنا إليه . ولم يسلمها له ، بل عرضها عليه فلم يقبلها لرداءتها ، فبقيت على ملك المستأجر . لأن ما فى الذمة لا يتعين إلا بقبض صحيح ، ثم إن المستأجر تصرف فيه لبقائه على ملكه ، فصح تصرفه فيه . ثم تبرع بما اجتمع منه على الأجير بتراضيهما *

قال الخطابى : إنما تطوع به صاحبه تقرباً به إلى الله تعالى . ولذا توسل به للخلاص ، ولم يكن يلزمه فى الحكم أن يعطيه أكثر من القدر الذى استأجره عليه . فلذا حمد فعله . والله أعلم

باب التوبة

قال العلماءُ : التَّوْبَةُ واجبَةٌ من كل ذَنْبٍ . فان كانَتِ المَعْصِيَةُ بَيْنَ العبدِ وبين الله تعالى لاتَتعلَّق بحقٍّ آدَمِيٍّ ، فلها ثلاثة شروط :

« بابُ التوبة »

بالرفع خبر مبتدأ محذوف . أى هذا باب ، أو مبتدأ خبره محذوف . أى باب التوبة هذا ، ويجوز نصبه على تقدير : خذ باب التوبة

وهي لغة : الرجوع يقال « تاب ، وأناب ، وآب » بمعنى رجع ، فالتائب إلى الله تعالى هو الراجع من شيء إلى شيء . راجع من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف المحمودة . راجع عما نهى الله عنه إلى أمره ، وعن معصيته إلى طاعته ، وعما يكرهه إلى ما يرضاه . رجوعا من الأضداد إلى أسباب الوداد ، ورجوعا إليه تعالى بعد المفارقة ، وإلى طاعته بعد المخالفة . فمن رجع عن المخالفات خوفا من عذاب الله فهو تائب ، ومن رجع حياء منه فهو منيب . ومن رجع تعظيما لجلال الله سبحانه فهو أوَّاب .

والتوبة ، أحسن ما قيل فى تعريفها شرعاً : هى الرجوع من البعد عن الله إلى القرب إليه سبحانه وتعالى اه . ذكره الإيجي * قال القرطبى : أسَدُّ العبارات وأجمعها فى تعريفها : قول بعض المحققين : هى اجتناب ذنب سبق منك مثله حقيقة أو تقديرا

(قال العلماء : التوبة واجبة من كل ذنب) ووجوبها مجمع عليه . لا فرق بين الصغائر والكبائر ، الظاهرة والباطنة . كالحقد والحسد (فان كانت المعصية بين العبد و بين الله سبحانه وتعالى لاتتعلق بحق آدمى) عطف بيان على قوله « بين العبد و بين الله سبحانه وتعالى » * وقوله (فلها ثلاثة شروط) جواب « إن »

* أَحدها : أن يُقْلِعَ عن المعصية * والثانى : أَن يَنْدَمَ على فِعْلِهَا * والثالث : أن يَعْزِم على أَنْ لايَعودَ إليها أَبدًا

الشرطية (أحدها أن يقلع) بضم أوله ، أى يَكُفَّ وينقطع (عن المعصية) التى كان متلبسا بها . إذ تستحيل التوبة مع مباشرة الذنب . وهذا قد يترك اشتراطه. ويحمل على من يستحيل منه وقوع مثل تلك المعصية . كمن زنى فَجُبَّ . فهذا يستحيل منه الاقلاع المكتسب . وكذا العزم على ألاّ يفعله فى المستقبل . لأن فعله غير ممكن منه * قال الشيخ عِزُّ الدين بن عبد السلام فى أماليه : لا يجب على الانسان ترك الشىء إلا إذا كان يمكنه فعله . إذ لا تكليف بترك المستحيل* (والثانى) من الشروط (أن يندم على فعلها) من حيث إنها معصية ، فلو ندم عليه لا من هذه الحيثية ، بل لأجل تلك الوجوه الآتية فى الكلام على التوبة النَّصوح، لم يُعْتَدَّ بندَمه * ونازع الغزالى فى منهاج العابدين له . فى اشتراط الندم فى مفهوم التوبة . ثم قال : ولعل المراد اشتراط ما يؤدى إليه من تذكر الذنب وشؤمه وعذاب الله وعقابه ، ونحو ذلك . لأن هذا فى قدرته ومن كسبه . وهو يترتب عليه الندم الذى هو أمر طبيعى لا قدرة له على اكتسابه . والله تعالى أعلم * (والثالث أن يعزم على أن لا يعود إليها) أى إلى مثلها مطلقا (أبدا) فلا يعود التائب من الرياء الى مثله وهو الرياء . وإلا فالمعصية التى كان تَلَبّس بها انقضت وزالت . فلا يمكن العود إليها . * هذا .وزاد بعضهم : اشتراط عدم صحبة من ارتكب معه المعصية بعد التوبة ، وأن تكون التوبة لله تعالى خاصة * قال ابن عبد السلام : استدرك السيف الآمِدِىّ على الناس قيداً آخر فى التوبة التامة ، وهو أن يكون الندم لله تعالى ، احترازا مما إذا قتل شخص ولده . فإنه يندم على الماضى ، لأجل كونه ولده * وأجيب : بأن هذا ليس استدراكا . إذ الاخلاص شرط فى كل عبادة ، والناس يعنون بقولهم : للتوبة ثلاثة أركان ماعدا الاخلاص اهـ * وأدرج ابن حجر الهيتمى هذا القيد فى

* فانْ فُقِدَ أحدُ الثلاثةِ لم تَصِحَّ تَوْبَتُهُ

وإن كانَتِ المعصيةُ تَتَعَلَّقُ بآدَمِىّ فشُروطها أربعةٌ * هٰذه الثلاثة .

وأن يَبْرأ من حَقّ صاحِبِها . فان كانت مالاً أو نحوَه .

الشرط الأول . وهو الاقلاع . فقال : ترك الذنب لله . فلو تركه لخوف ، أو رياء أو غير ذلك ، من الأغراض التى لغير الله . لم يعتد بتركه * (فان فقد أحد هذه الثلاثة) أى واحد منها (لم تصح توبته) أى التامة. أما الناقصة فتصح مع فقد الاقلاع والعزم على عدم العود . كما تقدم تمثيله *قيل: وعلى ذلك يحمل حديث «الندم توبة»(١) وقيل : بل الحديث نظير حديث «الحج عرفة» أى ركنها الأعظم ذلك . والله أعلم* (وإن كانت المعصية) التى يريد التوبة منها (تتعلق بحق آدمى ، فشرطها أربعة) خبر عن قوله «شرطها» وجاز الاخبار عنه بذلك . لكونه مفردا مضافا إلى معرفة، وهو على الصحيح حيث لا عهد : للعموم الصالح للجمعية من حيث مدلول لفظه . إذ هو حينئذ المعنى الذى استغرقه لفظه الصالح له من غير حصر . وإن كان مدلوله فى التركيب كليا على الأصح ، أى محكوما فيه على كل فرد فرد مطابقةً لأنه فى قوة قضايا بعدد أفراده ، والصحيح فيها — بناء على ظاهر كلام النحاة ، وليست العبرة فى مطابقة المبتدأ للخبر إلا باصطلاحهم — أن مدلوله كلٌّ. أى محكوم فيه على مجموع الأفراد من حيث هو مجموع * (هذه الثلاثةُ) المذكورة (و) الرابع (أن يبرأ من حق صاحبها) . وزاد بعضهم شرطا خامسا ، وهو القول ، قال فيقول القاذف ، مع إبراء المقذوف : ما قلته باطل ، وأنا نادم عليه ، ولا أعود إليه . وكذا شهادة الزور * (فان كانت) أى المعصية المتعلقة بالآدمى (مالاً أو نحوه) من

---

(١) قال ابن كثير فى تفسير سورة التحريم : رواه الامام أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود

رَدَّه إليه . وإنْ كانَ حَدَّ قَذْفٍ ونحوَه . مَكَّنه منه ، أَو طلبَ عَفْوه ، وإن كانت غِيبةً اسْتَحَلَّهُ منها * ويجبُ أَن يتوبَ من جميع الذّنوبِ ،

اختصاص محترم (رده إليه) أى إلى صاحبه ، بعينه ، إن كان موجودا ، أو بدله عند تلفه : من قيمة ، أو مثل * (و إن كان) أى حق الآدمى (حد قذف ونحوه) أى نحو القذف . كالقتل ، والقطع قصاصا (مكنه) أى صاحبَ الحق (منه) أى من الحد ، أى استيفائه منه (أوطلب عفوه) باسقاط حقه * وظاهر كلامه : توقف صحة التوبة على ماذكر : من الرد والتمكين، أى إن أمكنه ذلك . و إلا نوى ذلك إذا قدر أو طلب العفو ، لكن ذهب الامام ـ وتبعه العِزُّ بن عبد السلام . وأقره المصنف ـ إلى صحة توبته . و إن لم يُسَلِّم نفسه بالنسبة لحق الله تعالى . ويبقى عليه حق الآدمى ، وإثم الامتناع . بل قال فى الشامل ، وتبعه جَمعٌ : إنه حيث ندم صحَّت توبته . و إن لم يَرُدَّ المظلمة ، وهو ظاهر . فيبرأ بالنسبة لحق الله تعالى . إن وجد الاقلاع ، و إلا فرد المغصوب ما دام باقيا . وقدر عليه فلا * (وإن كان) أى حق الآدمى . وفى نسخة « كانت » أى المعصية (غيبة) بكسر الغين المعجمة وسكون التحتية . وسيأتى ما يتعلق بها فى باب من الكتاب . قيل : ومثل الغيبة : القذف . وقد يقال : هو داخل فى مفهوم الغيبة . * واعتبر بعضهم فى التوبة من القذف ـ كما مر ـ أن يقول القاذف : ماقلته باطل . وأنا نادم عليه ولا أعود إليه . وكذا شاهد الزور (استحله منها) أى بأن يخبره بما قاله ، حتى يصح تحليله . لكن محل تعين الإخبار ، مالم يترتب عليه ضرر أعظم ، وإلا كأن يخشى قتله بذلك مثلا . فلا ، ومحل تعين الاخبار والاستحلال : إن بلغه الاغتياب ، و إلا كفى الاستغفار * (ويجب) سيما عندنا معاشر أهل السنة (أن يتوب من جميع الذنوب) أى ولو صغائر . قال تعالى ([٦٦ : ٨] توبوا إلى الله توبةً نَصُوحاً)

فإن تابَ من بَعْضِها صحَّتْ تَوْبَتُه عند أَهل الحقّ من ذٰلك الذَّنب ،
وَبَقِي عليه الباقي

وقد تظاهرتْ دَلائلُ الكتابِ والسُّنّةِ وإجماعِ الأُمَّةِ عَلَى وجوب
التَّوْبَةِ

قال الله تعالى([٢٤ : ٣١] وتُوبُوا إلى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَ المؤمنونَ
لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ)

([٢٤ : ٣١] وتوبوا إلى الله جميعاً) (فان) لم يتب من الجميع ، بل أصرّ على بعضها و(تاب من بعضها . صحَّت توبته عند أهل الحق) هم أهل السنة (من ذلك الذنب) الأنسب « من ذلك البعض » أى الذى تاب منه (و بقى عليه الباقى) أى تَبِعَته . ووجوب التوبة منه . قالوا : للاجماع على أن من أسلم تائبا عن كفره ، مع إصراره على بعض معاصيه · صح إسلامه وتوبته . لكون حقيقتها ليست إلا الرجوع والندم والعزم ، وقد وجدت * (وقد تظاهرت) بالظاء المعجمة من التظاهر . وهو التعاون (دلائل الكتاب والسنة و إجماع الأمة) إضافة « دلائل » لما بعدها من المتعاطفات ، إضافة بيانية (على وجوب التوبة) متعلق بـ « تظاهرت » * (قال الله تعالى) أى حال كونه متعاليا علو مكانة لاعلو مكان متقدسا عما لايليق به ، و يصح جعلها مستأنفة . والجملة إنشائية معنى . سيقت لما ذكر . كما تقدم بيانهما أول الكتاب * (وتو بوا إلى الله جميعا أَيُّهَ المؤمنون) مما وقع منكم من النظر الممنوع وغيره . وفى الآية تغليب الذكور على الاناث (لعلكم تفلحون) تنجون من ذلك ، بقبول التوبة منه . و « لعل » فى الأصل للرجاء . وفى كلامه تعالى للتحقيق . قال السيوطى فى التوشيح : كل وعد فى الكتاب أو السنة ، فواجب الوقوع . لوجوب سلامة خبر مَنْ ذكرهُ عن الخُلفِ

وقال تعالى) [١١ : ٣] اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ)

وقال تعالى ([٦٦ : ٨] يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا)

(وقال تعالى : استغفروا ربكم) من الشرك ، ومثله من غيره . والقصر عليه[١] لأنه الذنب المأمورون بالخروج عنه (إنه كان غَفَّارا[٢]) المبالغة باعتبار الكَمّ فلا تحصى عدة المغفور لهم ، و باعتبار الكَيْف: فيغفر الصغائر والكبائر. والفواحش ([٣٩ : ٥٣] إن الله يغفر الذنوب جميعا) وقوله إنه كان (غفارا) علة للأمر قبله

(وقال تعالى : ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله تو بة نصوحا) اختلفت عبارات السلف فى التوبة النصوح . ومرجعها إلى شىء واحد . قال عمر بن الخطاب، وأُبَيُّ بن كعب رضى الله عنهما : «التو بة النصوح : أن يتوب من الذنب ، ثم لا يعود إليه . كما لا يعود اللبن إلى الضَّرع[٣] » وقال الحسن البصرى « هى أن يكون العبد نادما على

---

(١) لأن الآيات فيه . قال تعالى فى سورة هود (الر . كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير . أن لا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير و بشير ، وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ـ الآية)

(٢) هذا ليس سياق آية سورة هود التى استشهد بها المصنف هنا . وكذا هو فى نسخ المتن التى بأيدينا . وما شرح عليه المصنف هو سياق الآية فى سورة نوح (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا)

(٣) ذكر الحافظ ابن كثير فى تفسير الآية ـ بعد أن ذكر أثر عمر ـ قال : وقد روى هذا مرفوعا من رواية الامام احمد بسنده الى ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التوبة من الذنب : أن يتوب منه ثم لا يعود فيه » تفرد به الامام احمد . من طريق ابراهيم بن مسلم الهجرى . وهو ضعيف . والموقوف أصح . والله أعلم . وقال الراغب فى مفرداته : (ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن

مامضى ، مجمعا على ألا يعود إليه » وقال الـكلبي « هى أن يستغفر باللسان ، ويندم بالقلب ، ويمسك بالبدن » ، وقال ابن المسيب « توبة نصوحا ، تنصحون بها أنفسكم » جعلها ناصحة للتائب كضروب بمعنى ضارب . والأولون جعلوها بمعنى المفعول ، أى قد نصح فيها التائب . ولم يشبها بغش . فهى إما بمعنى منصوح فيها كركوبة وحلوبة ، أى مركوبة ومحلوبة ، أو بمعنى ناصحة ، أى خالصة وصادقة . قاله بعض المحققين * وقال الزرعى (١) فى شرح المنازل : النصح فى التوبة يتضمن ثلاثة أشياء : أحدها : تعميم جميع الذنوب ، واستغراقها ، بحيث لا تدع ذنبا إلا تناولتـه . والثانى : إجماع العزم والصدق بكليته عليها ، بحيث لا يبقى عنده تردد ، ولا تـلوُّم ولا انتظار بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادراً بها . والثالث : تخليصها من الشوائب والعلل القادحة فى إخلاصها ، ووقوعها لمحض الخوف من الله تعـالى وخشيته ، والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده ، لا كمن يتوب لحفظ جاهه ، أو حرفته أو منصبه ، أو لحفظ حاله ، أو ماله ، أو استدعاء حمد الناس ، أو الهرب من ذمهم ، أو نحو ذلك من العلل التى تقدح فى صحتها وخلوصها لله تعالى * فالأول : يتعلق بما يتوب منه ، والثالث : بمن يتوب إليه ، والأوسط : يتعلق بذات التائب نفسه * ولا ريب أن التوبة

أنصح لـكم) هو من قولهم : نصحت الوادى : أى أخلصته . وناصح العسل : خالصه أو من قولهم نصحت الجلد : خطته . والناصح : الخياط . والنصاح ـ بكسر النون ـ الخيط . وقوله (توبوا إلى الله توبة نصوحا) فمن أحد هذين الأمرين : إما الاخلاص . وإما الاحكام . ويقال : نصوح ، ونصاح . نحو ذهوب وذهاب اهـ وفى النهاية : أصل النصح فى اللغة : الخلوص . يقال : نصحته ، ونصحت له . ـ إلى أن قال ـ وفى حديث أبى . « سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن التوبة النصوح . فقال : هى الخالصة ، التى لا يعاود بعدها الذنب » وفعول من أبنية المبالغة التى تقع على الذكر والأنثى . فكأن الانسان بالغ فى نصح نفسه بها . اهـ

(١) فى نسخة « وقال الزركشى »

١٤ — وعن أَبى هُرَيْرةَ رضى الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول « والله إنِّى لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وأتوبُ إليه فى اليومِ أكْثَرَ مِن سَبْعِين مرَّةً » رواه البخارى *

الجامعة لما ذكر تستلزم الغفران وتتضمنه ، وتمحق جميع الذنوب . وهى أكمل ما يكون من التوبة . انتهى ملخصًا

* (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : والله) فيه ندب الحلق لتأكيد الأمر وتقويته ، ليبادروا إلى الاتيان بذلك . (إنى لأستغفر الله) أى أطلب منه مغفرة تليق بمقامى المبرأ عن كل وصمة ذنب أو مخالفة . ولو سهوا وقبل النبوة (وأتوب إليه) أى أرجع إليه متنقلا من شهود فرق إلى شهود جمع . ثم الجملة جواب القسم (فى اليوم) وهو شرعاً : ما بين طلوع الفجر وغروب الشمس * قال السفاقسى : لم يرد ما فاؤه ياء ، وعينه واو : إلا هذا اللفظ . قيل : و « يوح » وهو من أسماء الشمس . وقيل : إنه بالموحدة* (أكثر من سبعين مرة) إنما لم يحده بعدد مخصوص : لما علمت أن موجب الاستغفار والتوبة اللائقين به لا ينحصر ، ولأنهما يتكرران بحسب الشهود والترقى * ثم فى هذا تحريض للأمة على التوبة والاستغفار . فانه صلى الله عليه وسلم — مع كونه معصوما وكونه خير الخلائق — يستغفر ويتوب سبعين مرة . واستغفاره صلى الله عليه وسلم ليس من الذنب ، بل من اعتقاده أن نفسه قاصرة فى العبودية عما يليق بحضرة ذى الجلال والاكرام * (رواه البخارى) وفى كتاب الأطراف بعد إخراجه لكن بلفظ « إنى لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة » : وأخرجه البخارى وأبو عبد الرحمن — يعنى النسائي — وأبو عيسى — يعنى

١٥ — وعن الأغرّ بن يَسَار المُزَنِيّ رضى الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « يأيُّهَا الناسُ تُوبوا إلى الله

الترمذى — وسيأتى فيه كلام فى باب الاستغفار أواخر الكتاب

(وعن الأغر) بفتح الهمزة والغين المعجمة وتشديد الراء (بن يسار) بفتح التحتية والمهملة (المزنى) ويقال : الجهنى . وفى الصحابة أيضا الأغر الغفارى . وجعلهما بعض الحفاظ إنسانا واحداً ، وقال الحافظ نور الدين الداودى : الحق أنهم ثلاثة . [1] وانفرد مسلم بالاخراج للأغر المزنى . وكذا أخرج عنه أبو داود والترمذى * (رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس توبوا إلى الله) أى ارجعوا إليه بامتثال ما أمركم به ، واجتناب مانهاكم

---

(١) ذكر الامام ابن الأثير فى أسد الغابة : الأغر الغفارى ، والأغر المزنى . والأغر بن يسار الجهنى . ثم ذكر فى آخر ترجمة الجهنى : قال أبو نعيم : وهذه الأحاديث الثلاثة - أى التى ذكرها - عن أبى بردة ، ومعاوية بن قرة ، وشبيب ابن روح - جمعتها فى ترجمة واحدة . ومن الناس من فرقها وجعلها ثلاث تراجم وهو عندى رجل واحد . هذا قول أبى نعيم : قلت : قد جعل ابن منده الأغر ثلاث تراجم . وهو المزنى والجهنى . والثالث لم ينسبه . وهو الأول الذى جعله أبو عمر ابن عبد البر غفاريا . وجعلهما أبو عمر ترجمتين . وهما الغفارى والذى لم ينسبه ابن منده . وهو الذى روى قراءة سورة الروم ، والمزنى . وقال : هو الجهنى . وله حجة أن الراوى عنهما واحد ، وهو ابن عمر ومعاوية بن قرة . وأما قول أبى نعيم : إن الثلاثة واحد . فهو بعيد . فان الذى يجعل التراجم واحدة . فانما يفعله لاتحاد النسبة أو الحديث ، أو الراوى . وربما اجتمعت فى شخص واحد . وهذه التراجم فليست كذلك . فان الغفارى لم يشارك فى النسبة ولا فى الراوى عنه ، ولا فى الحديث . فلا شك أنه صحيح . وأما الآخران ، فلاشتراكهما فى الرواية عنهما يوهم أنهما واحد . وقد ذكر أبو أحمد العسكرى ترجمة الأغر المزنى وذكر فيها حديث « انى لأستغفر الله سبعين مرة » وحديث الأوسق من التمر . والله أعلم .

واسْتَغفِروه ، فإنِّى أَتُوبُ فى اليوم مائة مَرَّةٍ » رَواهُ مسلم

١٦ — وَعَنْ أبى حَمْزَةَ أنَسِ بنِ مالكٍ الأنصارىّ ، خادِمِ رسولِ اللهصلى الله عليه وسلم ، رضى الله عنه

عنه ، ومما أمركم به التوبة . فهى واجبة من كل ذنب ، ولو صغيرة . إجماعاً ، كما تقدم * (فإنى أتوب) أى أرجع رجوعا يليق بى (إليه) أى إلى شهوده ، أو إلى سؤاله ، أوالحضور والصغار بين يديه (فى اليوم مائة مرة . رواه مسلم) فى أواخر صحيحه . قال فى السلاح : ليس للأغر فى الكتب الستة إلا هذا الحديث

* (وعن أبى حمزة) بالحاء المهملة المفتوحة . كُنى بذلك ببَقْلَة فيها حُموزةٌ أى حموضة — كان يحبها [1] (أنس) بفتح أوليه (بن مالك) بن النَّضر (الأنصارى) الخزرجى النَّجارى ، المدنى . ثم البصرى (خادم رسول الله صل الله عليه وسلم) حضراً وسفرا ، منذ قدم المدينة إلى أن تُوفِّى صلى الله عليه وسلم (رضى الله عنه) قال « قدم النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وأنا ابن عشر سنين ومات وأنا ابن عشرين سنة » غزا مع النبى صلى الله عليه وسلم ثمانَ غزوات ، وروى الكثير . وعدة ما رُوى له عن رسول الله صل الله عليه وسلم — كما فى مُسند بَقِيِّ بن مَخْلَدٍ — ألفا حديثٍ ومائتا حديث ، وستةوثمانون حديثاً . اتفق الشيخان منها على مائة وثمانية وستين حديثاً . وانفرد البخارى بثمانية . ومسلم بسبعين * روى عن عدة من الصحابة . وروى عنه كثير . وخرَّج عنه أصحاب المسانيد * ومن كراماته صلى الله عليه وسلم معه ما أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما عنه قال « دخل النبى صلى الله عليه عند أُم سُلَيم — يعنى أمه — فأتته بتمر وسمن . فقال : أعيدوا سمنكم فى سِقائه . وتمركم فى وِعائه . فانى صائم .

---

(١) فى أسد الغابة : كناه النبى صلى الله عليه وسلم «أبا حمزة» ببقلة كان يجتنيها

قالَ :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للهِ أفْرَحُ

ثم قام إلى ناحية البيت يصلى غير المكتوبة ، فدعا لأم سُليم وأهل بيتها ، فقالت : يارسول الله إن لى خُوَيصةً . قال : وما هى ؟ قالت : خادمك أنس ، ادع الله له . فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لى به : اللهم ارزقه مالا وولدا ، وبارك له ، قال : فانى لمن أكثرالأنصارمالا » وعنه قال : « رزقت لصلبى (١) سوى ولد ولدى خمسة وعشرين ومائة ، وإن أرضى لتثمر فى السنة مرتين » . وكان ريحان بستانه يشم منه رائحة المسك . وقد ذكرت زيادة فى مناقبه ومآثره فى شرح الأذكار * توفى على نحو فرسخ ونصف من البصرة فى موضع يعرف بقصر أنس . وهو آخر من مات بها من الصحابة . والصحيح أنه توفى سنة ثلاث وتسعين . وقد جاوز المائة ، ولما مات قال مُوَرِّق الْعِجْلِيُّ : « ذهب اليوم نصف العلم ، وذلك أن أهل الأهواء كانوا إذا خالفونا فى الحديث نقول لهم : تعالوا إلى من سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم » * (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لله) بفتح اللام ، جوابا للقسم المقدر ، أى والله لله (أفرح) أى أشد فرحا . والمراد منه هنا — لاستحالة قيام حقيقته . التى هى اهتزاز وطرب ، يجده الانسانُ من نفسه عند ظَفَره بعرَض يستكمل به نقصانه ، أو يسد به خَلَّتَهُ ، أى حاجته ، أو يدفع به عن نفسه ضررا أو نقصا ، بالبارى سبحانه — غايتَه : من الرضى . لان السرور يقارنه الرضى بالمسرور به ، أو هو تشبيه مركب عقلى من غير نظر إلى مفردات التركيب . بل تؤخذ الزبدة من المجموع ، فتكون غايته ونهايته وفائدة إبرازه فى صورة التشبيه : تقرير المعنى فى ذهن السامع . أو تمثيلى ، بأن

---

(١) فى بعض النسخ « دفنت » وكذلك هو فى الاصابة للحافظ ابن حجر : قال أنس « فلقد دفنت من صلبى سوى ولد ولدى : مائة وخمسة وعشرين » . ونسبه الحافظ إلى رواية الطبرانى

بِتَوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُم سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فى أَرْضِ فَلَاةٍ » متفق عليه

١٧ — وَفى روايةٍ لمسلم « للهُ أَشَدُّ فرحاً بتَوْبةِ عَبْدِهِ ، حِينَ يتوبُ إليه ، مِنْ أَحدِكم كَانَ عَلَى راحِلَتِهِ بأَرْضِ فلاةٍ ،

يتوهم للمشبه الحالات التى المشبه به، و ينتزع له منها ما يناسبه . فالحاصل : أن المراد بقوله «أفْرَحُ» أرضى[1] (بتوبة عبده من) فرح (أحدكم) حال كونه قد (سقط على بعيره) قال فى النهاية : أى يعثر على موضعه ويقع عليه ، كما يسقط الطائر على وَكْره اه . والمراد صادفه من غير قصد * (وقد أضله) أى ضيَّعه . جملة حالية من الضمير فى «سقط» فهى حال متداخلة (فى أرض فلاة) من إضافة الموصوف إلى الصفة ،أى فى أرض واسعة (متفق عليه * وفى رواية لمسلم) أى انفرد بلفظها عن البخارى (لله أشد فرحا بتوبة عبده) أى رجوعه إلى طاعته وامتثال أمره (حين يتوب) أى يرجع منتهيا (إليه) أى يخلص فى توبته ، بأن ينوى بها وجه الله لا غيره . وبه يعلم أن قوله «حين يتوب إليه» قيد لابد منه . لايغنى عنه قوله «بتوبة عبده» (من) فرح (أحدكم إذا كان) وفى نسخة «كان» (على راحلته) أى التى يركبها ، من ناقة أوغيرها (بأرض فلاة) قضية كلام فتح الاله : أنه بالاضافة . وضُبط بالقلم فى

---

(٢) لا شك عند من له مسكة من عقل وإيمان : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب وأبلغ من نطق بالضاد ، وأنه كان يعرف أن فى لغة قومه «أرضى» و «أفرح» فما عدل عن «أرضى» جهلا ولا نسيانا . حاشاه . ولو نسى هو . لما تركه ربه على ذلك النسيان . وإنما قال «أفرح» وهو صفة لله على غير ما يتصف به العبد . فهو على ما يليق بالله . نؤمن بها ولا نحرفها ولا نؤولها . ونقول (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) ولا حاجة إلى هذه المجازات والتشبيهات . والله أعلم بحقيقة ذلك وكنهه . وسبحان ربك رب العزة عما يصفون

فانْفَلَتَتْ منه ، وعَلَيْهَا طعَامُه وشرابُهُ فأَيِسَ منها ، فأَتى شَجَرَةً فاضْطَجَـع فى ظِلِّهَا ، وقدأَيِسَ مِن راحلَته . فَبَيْنَما هو كذلكإذا هُوَبها قائمة عنده

أصلٍ صحيح من الرياض بتنوين «أرض» (فانفلتت) أى الراحلة (منهو) الحال أن (عليها طعامه وشرابه) فله احتياج اليها لوجهين : ركوبها ، وكون زاده عليها (فأيس منها) لمبالغته فى لحوقها ، أو فى التفتيش عنها . فلم يقدر عليها (فأتىشجرة، فاضطجع فى ظلها) ليستريح مما حصل له من شدة التعب فى مزيد الطلب ، حال كونه (قد أيس من راحلته) أى من حصولها . وحينئـذ استسلم للموت ، لحضور أسبابه (فبينما) أصله «بين» و«ما» مزيدة لـكفّـها عن الاضافة إلى المفرد (هو كذلك) أى آيس ، أو المشار إليه مفهوم من سياق الـكلام . أى مستسـلم (إذا هو بها قائمة عنده) وفيه — على كون المشار إليه الأول — الاشارة إلى أن الفرج مع الـكرب ، وأن اليسر مع العسر ، قال تعالى ([٩٤ : ٥ ، ٦] فان مَعَ العُسرِ يسراً ، إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً) وقال صلى الله عليه وسلم «لن يغلب عسر يسرين[١] » وقال صلى الله عليه وسلم . « اشتَدّى أزْمَةُ تنفرَجى[٢] » * وعلى الثـانى : الاشارة إلى الاستسلام والخروج عن الحول والقوة سبب لحصول المطالب ، و بلوغ

---

(١) رواه الحاكم عن الحسن البصرى ، مرسلا . ورواه ابن جرير الطبرى فى تفسير سورة ألم نشرح وقال فى كشف الخفاء (ج ٢ص١٤٩) رواه الحاكم والبيهقى فى الشعب عن الحسن مرسلا . ورواه الطبرانى عن ، معمر والعسكرى فى الأمثال وابن مردويه عن جابر بسند ضعيف

(٢) قال فى كشف الخفاء قال السخاوى : هذا باطل بلاشك . لايجوز ذكره إلا للتنبيه على أنه باطل موضوع (ج ١ ص ١٢٨)

فأخذَ بخِطامها . ثم قال ، من شِدَّةِ الفَرَحِ : اللهم أَنْتَ عَبْدِى وأَنَا رَبُّكَ . أَخطأ من شِدَّةِ الفرحِ

المآرب ، وليس المراد ترك مزاولة الأسباب ، بل ترك الركون إليها ، والاعتماد عليها والله ولى التوفيق * (فأخذ بخطامها) فرحا بها ، فرحا لانهاية له . قال فى النهاية : وخطام البعير — أى بكسر المعجمة — أن يؤخذ حبل من لِيف أو شعَر أو كَتَّان ، فيجعل فى أحد طرفيه حلقة ، ثم يشد فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة ثم يقلّد البعير به . ثم يثنى على مُخَطَّمه اه . قال المصنف فى شرح مسلم — نقلا عن الغريبين للهروى ، نقلا عن الأزهرى — : فاذا ضفر من الأدم فهو جَرير اه قال فى النهاية : أما الذى يجعل فى الأنف دقيقا فهو الزّمام . وقال المؤلف ، نقلا عن صاحب المطالع : الزّمام للابل : بمايشدُّ به رءوسها : من حَبْل ، وسَيْرٍ ، ونحوه ، لتنقاد به اه * (ثم قال من) أجل (شدة الفرح) لدهَشِه ، بل ربما قُتل (اللهم أنت عبدى وأنا ربك) وقوله (أخطأ من شدة الفرح) استئناف بيانى . كأن قائلا يقول ماسبب خطئه ؟ فقال : أخطأ . أى تجاوز الصواب . وهو قوله « أنت ربى وأنا عبدك » أى ماقاله من الخطأ من أجل شدة الفرح . لما تقرر من أنه ربما اشتد حتى منع صاحبه من إدراك البديهيات . فضلا عن غيرها ، وجاء فى المعنى أحاديث أخر * منها ما أخرجه ابن عساكر فى أماليه عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا «لله أفرح بتوبة عبده من العقيم الوالد ، ومن الضال الواجد . ومن الظمآن الوارد» * ومنها ما أخرجه العباس بن تركان الهمذانى فى كتاب التائبين مرسلا « لله أفرح بتوبة التائب من الظمآن الوارد ، ومن العقيم الوالد ، ومن الضال الواجد ، فمن تاب توبة نصوحا أنسى الله حافظيه وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياه

١٨ — وعن أبي موسى عبد الله بن قَيْسٍ الأَشْعَرِيّ رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إنَّ الله تعالى يَبْسُطُ يَدَه بالليلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النهار ، وَيَبْسُطُ يده بالنهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ

وذنوبه » أوردهما السيوطى فى الجامع الصغير [١]

* (وعن أبى موسى عبدالله بن قيس الأشعرى رضى الله عنه) سبقت ترجمته فى باب الاخلاص (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله يبسط يده بالليل) فى المفاتيح : بسط اليد : عبارة عن الطلب . لأن عادة الناس إذا طلب أحدهم شيئا من أحد بسط كَفَّه ، أو هو عبارة عن الجود والتنزه عن المنع ، أو هو عبارة عن رحمة الله وكثرة تجاوزه عن الذنوب . وقال القرطبى فى المفهم : هذا الحديث أجرى مجرى المثل الذى يفهم منه قبول التوبة ، واستدامة اللطف والرحمة . وهو تنزُّلٌ عن مقتضى الغَنِيّ القوى القاهر ، إلى مقتضى اللطيف الرءوف الغافر . وقال الطيبي : لعله تمثيل . وشبه حال إرادته تعالى التوبة من عبده ، وأنها مما يحبه ويرضاه بحالة من ضاع له شيء نفيس لاغنى له عنه ، ثم وجده مع غيره . فانه يمدُّ يده إليه طالبا متضرعا . ثم استعمله فى جانب المستعار منه ، وهو بسط اليد ، مبالغة فى تناهى التشبيه ، وادعاء أن المشبه نوع من المشبه به [٢] وللمؤلف فيه كلام يأتى بما فيه * (ليتوب مسىء النهار . ويبسط يده بالنهار ، ليتوب مسىء الليل) أى إنه يوسع جوده وفضله على العصاة بالليل ليُلْهَموا التوبة بالنهار ، وبالنهار

---

(١) روى الأول عن أبى هريرة . والثانى عن أبى الجون مرسلا . وعلم عليهما (ض) وهى علامة الضعف الشديد الذى كثيرا ما يكون موضوعا .

(٢) مذهب السلف الصالح . أن « اليد » من صفات الله تعالى ، على ما جاء فى القرآن الكريم (يد الله فوق أيديهم) (بل يداه مبسوطتان) (لما خلقت بيدى)

حتى تَطْلُع الشمسُ من مَغْرِبِها » رواه مسلم

١٩ — وعن أبى هُرَيرة رضى اللهُ عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم « مَنْ تَابَ

ليلهموا التوبة بالليل . فَسَبْقُ ذلك الكرم والجود : علة للتوبة ، ما دام بابها مفتوحا * قال فى فتح الاله لابن حجر الهيتمى على المشكاة : وقولُ النووى : « يبسط يده كناية عن قبول التوبة . قال المازِرى : لأن العرب إذا رضى أحدهم الشىء بسط يده لقبوله ، و إذا كرهه قبض يده عنه ـ : لايناسبه قوله فى الحديث « ليتوب مسىء النهار الخ » لأن المعنى عليه ينحل إلى إنه يقبل التوبة بالليل ليتوب مسىء النهار الخ . وظاهر أنه ليس مراداً . إذ قبوله التوبة بالليل ليس علة لتوبة مسىء النهار وعكسه . لأنه لامعنى لقبول التوبة قبل وجودها ، و إنما المعنى : أنه تعالى يقبلها بالليل ليتوب مسيئه . وبالنهار ليتوب مسيئه اهـ * وقبول التوبة مستمر مادام بابها مفتوحا . وإليه الاشارة بقوله (حتى تطلع الشمس من مغربها) فحينئذ يغلق بابها . قال تعالى ([٦ : ١٥٨] يومَ يَأْتِى بعضُ آياتِ رَبِّك لايَنْفَعُ نفساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبلُ أَوْ كَسَبَتْ فى إيمانها خيرًا ، وكذا لاعبرة بالتوبة حال الغَرْغَرةِ والمعاينة . كما يأتى آنفا[1] قال تعالى ([٤٠ : ٨٥] فلم يَكُ يَنْفَعُهم إيمانُهم لَمَّا رأوا بأسَنَا ـ الآية) * (رواه مسلم) ورواه أحمد أيضا ، كما فى الجامع الصغير

* (وعن أبى هريرة رضى الله عنه) تقدمت ترجمته فى باب الإخلاص (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تاب) أى توبة صحيحة جامعة للشروط

وفى الأحاديث الصحيحة المتواترة وهى كبقية الصفات العليا والأسماء الحسنى على ما يليق بالذات الأقدس ، التى لايعلم كنهها إلا الله . ولا يقال : كيف ؟ وتعالى الله عن الشبيه والمثيل فى ذاته أو صفاته .

(١) قال الأزهرى : فعلت الشىء انفاً ، أى فى أول وقت يقرب منه

قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشمسُ مِن مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عليه» رواه مسلم

٢٠ — وَعَنْ أَبِى عبد الرحمن عبدِ الله بن عُمر بن الخطَّاب رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مالم يُغَرْغِرْ »

(قبل أن تطلع) بضم اللام (الشمس من مغربها) وتستمر طالعة إلى كَبِد السماء وحدِّ الاستواء ثم تعود لعادتها . ومن يومئذ يُغلَق باب التوبة . وتردد بعض المحققين فى أن هذا عام لمن وُجد قبل الطلوع كذلك وبعده ، أوخاص بالأول . لتقصيره بالتأخير، دون الثانى ﴿ (تاب الله عليه) أى قبِل توبتَه. قال المصنف: لايجب على الله تعالى قبول التوبة إذا وجدت بشروطها عقلا عند أهل السنة . لكنه سبحانه وتعالى يقبلها كرما منه وفضلا. وقد عرفنا قبولها بالشرع والاجماع . ثم توبة الكافر من كفره مقطوع بقبولها . وما سواها من أنواع التوبة، هل قبولها مقطوع به أو مظنون ؟ فيه خلاف لأهل السنة . اختار إمام الحرمين : أنه مظنون . وهو الأصح [(١)] اه (رواه مسلم)

(وعن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما) تقدمت ترجمته فى باب الاخلاص أيضا (عن النبى صلى الله عليه وسلم) فى محل الحال ، أى حال كونه نقلا عن النبى صلى الله عليه وسلم (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم. ويحتمل - على بُعْدٍ — عوده لابن عمر ، بيان للمنقول المرفوع (إن الله عز) جَدُّه (وجل) شأنه (يقبل توبة العبد) أى المذنب المكلف ، ذكرٍ أو أنثى، كرما منه وفضلا . كما سبق (مالم يغرغر) أى تصل روحه حلقومه ، من « الغَرْغَرة » وهى جعل الشراب فى الفم، ثم

---

(١) إذا قطع بقبول توبة الكافر ، فكيف لا يقطع بقبول توبة المؤمن من المعاصى ؟ والآيات القرآنية والأحاديث النبوية صريحة فى قبول التوبة ، إذا استكملت الشروط ، بفضل الله ورحمته

رواه الترمذى ،

ترديده إلى أصل حلقومه ، فلا يبلعه . وهذا مأخوذ من قوله تعالى ([٤ : ١٨] وليست التوبةُ للذين يعملون السيّئَاتِ حتى إذا حَضَرَ أَحَدَهُم الموتُ قال إنّى تُبْتُ الآن) وفسر ابن عباس حضوره بمعاينة ملك الموت . وقال غيره : مراده تيقّن الموت ، لاخصوص رؤية ملكه ، لأن كثيرا من الناس لايراه . وردَّ بأن قوله تعالى ([٣٢ : ١١] قلْ يَتوفّاكم مَلَكُ الموت الذى وُكِّلَ بكم) يدل على أن كل أحد يراه . فمدعى العدم يلزمه الدليل عليه * قلت : وفى الاستدلال مالا يخفى ، إذ لا يلزم من توفّيه لـكلٍّ رؤية كلٍّ منهم له * قيل : السر فى عدم قبولها حين اليأس : أن من شرطها عزمه على أن لا يعود . وذلك إنما يتحقق مع تمكن التائب من الذنب وبقاء أوان الاختيار . وقال فى فتح الاله ، بعد كلام قدمه : والحاصل أنه متى فرض الوصول لحالة لا يمكن الحياة بعدها عادة ، لا تصح منه حينئذ توبة ولا غيرها . وهذا مراد الحديث بـ « يغرغر » ، ومتى لم يصل لذلك صحت منه التوبة وغيرها اه * (رواه) الامام الحافظ أبو عيسى ، محمد بن عيسى ، بن سَوْرة (الترمذى) بضم المثناة وفتحها وكسرها . نسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بَلْخ ، الذى يقال له جَيْحون ، كذا فى لُبِّ اللباب للنيسابورى . وسكت عن بيان حركة ميمه . وَبَيَّنَهَا السَّمعانى (١) فقال : بكسر الفوقية والميم ، و بضمهما ، و بفتح الفوقية وكسر الميم اه * قال ابن سَيِّد الناس : المتداول بين أهل تلك المدينة فتح الفوقية وكسر الميم . والذى نعرفه قديما : كسرهما معا ، والذى يقوله المتقنون من أهل المعرفة : بضمهما اه * وهو الامام الحافظ أحد الأئمة الستة . قيل : كُفَّ فى آخر عمره . وقيل : إنه ولد أكْمَه ، قال ابن حِبَّان فى الثقات : كان ممن جمع وصنف ، وحفظ وذاكر . ولد سنة مائتين وتسع . قال

---

(١) فى كتاب الانساب

وَقال: حديثٌ حَسَنٌ

المستغفرى: وتوفى فى شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين. وهذا هو الصحيح. وقول الخليلي: إنه مات بعد الثمانين: ردّه العراقى وغيره. بل قال بعضهم: إنه باطل * ومن كمال حفظه: ما ذكره المروزى عنه قال: «كنت فى طريق مكة وكنت كتبت جزأين من أحاديث شيخٍ فمرّ بنا ذلك الشيخ. فذهبت إليه، وأنا أظن أن الجزأين معى، وحملت معى جزأين، كنت أظنهما إياهما. فسألته القراءة. فأجابنى، فأخذت الجزأين. فاذاهما بياض، فتحيّرت، فجعل الشيخ يقرأ علىّ من حفظه، ثم نظر، فرأى البياض فى يدى. فقال: أما تستحى؟ فقصصت عليه القصة. وقلت له: أحفظه كله، فقال: اقرأ، فقرأت جميع ما قرأه علىّ على الولاء. ولم أخطىء فى حرف منه، فقال: مامرّ بى مثلك قط» * ثم الحديث رواه أحمد، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والبيهقى، كما فى الجامع الصغير * (وقال) يعنى الترمذى (حديث حسن)

إن قلت: قد قال المصنف فى خطبة الكتاب: وألتزم فيه أن لا أذكر إلا حديثا صحيحا. قلت: يحتمل أن يراد من الصحيح فى كلامه السابق: المقبول، كما تقدم. فيشمل الحسن. وفى فتاوى الحافظ ابن حَجَر العسقلانى، التى جمعها تلميذه السخاوى: * ﴿مسألة﴾: هل يطلق الصحيح على الحسن، كما صنع النووىّ، حيث قال فى رياض الصالحين: «وألتزم أن لا أذكر إلا حديثا صحيحا» مع ذكره فيه الحسن؟ * ﴿الجواب﴾: الحسن يصح إطلاق الصحيح عليه، بشرط أن يكون حُسْنُه لذاته، بخلاف الذى حُسْنه لغيره. فانه لا يكون حسنا حتى يَنْجَبِرَ بمجيئه من طريق أخرى فصاعدا، فان كان فردا لم ينْجَبر. ولا يصير حسنا، بخلاف الحسن لذاته، فإنه إذا جاء من وجه آخر صحّ إطلاق الصحة عليه، بالنظر

٢١ – وعن زِرِّ بن حُبَيْشٍ قال «أتيتُ صَفوانَ بنَ عَسَّالٍ رضى الله عنه أسألُه عن المَسْحِ على الُخفين .

إلى المجموع ، وهو حسن فى حد ذاته . ومن أصحاب الحديث من أطلق الصحيح على كل ما يصلح للاحتجاج به ، سواء أكان من الصحيح أم من الحسن . وهذا ليس بشائع فى المتأخرين . وقد نبّه عليه ابن الصلاح فى علوم الحديث . فلعل النووى سلك ذلك . إن كان فى كتابه المذكور ماهو حسن لغيره اه(١) * قيل : والأولى : حمل قوله السابق « وألتزم الخ » على الغالب.

(وعن زر) بكسر الزاى وتشديد الراء (بن حبيش) بضم المهملة وفتح الموحدة وسكون التحتية ، آخره معجمة . و«زر» تابعى. قال فى الكاشف: أدرك الجاهلية سمع عمر ، وعليا . قال زر : قال لى أُبَىّ بن كعب « يا زر ، ماتريد أن تدع آية إلا سألتنى عنها؟» عاش مائة وعشرين سنة . وتوفى سنة اثنتين وثمانين اه * (قال : أتيت صفوان بن عسال) بفتح المهملة وسكون الفاء . و «عسال» بفتح المهملة الأولى ، وتشديد الثانية (رضى الله عنه) قال المصنف رحمه الله فى تهذيب الأسماء واللغات : «صفوان» مُرَادِىّ كوفى . غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة غزوة * ومن مناقبه : أن عبد الله بن مسعود روى عنه . وروى عنه جماعة من التابعين . قال ابن الجوزى فى المستخرج المليح من التلقيح : روى له عن النبى صلى الله عليه وسلم أحد وعشرون حديثا * (أسأله عن المسح على الخفين) استئناف

---

(١) وللعلامة المحقق ـ أخى فى الله ـ الشيخ احمد محمد شاكر بحث قيم فى قول الترمذى « هذا حسن صحيح » . فارجع إليه كتاب الباعث الحثيث ، وفى شرحه على الترمذى ، وفى شرحه لألفية السيوطى ، فلعلك لا تلقاه عند غيره .

فقال : ماجاء بك يازِرُّ ؟ فقلتُ : ابْتغاء العِلم . فقال : إن الملائكة تضَعُ أجْنِحتَها لطالب العلم ، رِضىً بما يَطلبُ . فقلت : إنه قدْ حَكَّ فى صَدْرِى المسحُ على الخفين بعد الغائِط والْبَوْلِ ، وكنتَ أمْرءًا

بيانى ، لسبب المجىء إليه ، أو حال من فاعل «أتيت» (فقال . ما جاء بك .) أى ما حملك على المجىء (يازرُّ ؟ فقلت : ابتغاء العلم) مفعول له [(١)] (فقال : إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم) حقيقة . وإن لم نشاهده ، للقاعدة المشهورة « أن كل ماورد وأمكن حمله على ظاهره حمل عليه ، مالم يرد مايصرفه عنه » أى تكفُّ أجنحتها عن الطيران وتنزل لسماع العلم . وقيل : هو مجاز ، إما عن التواضع . نظير ([٢٦ : ٢١٥] واخْفِضْ جَناحك لمن اتَّبعك من المؤمنين) أوعن المعونة وتيسير السعى فى طلب العلم . «والملائكة» يحتمل كونهم ملائكة الرحمة ونحوهم من الساعين فى مصالح بنى آدم . ويحتمل أنهم كلهم . قيل : والأول أنسب بالمعنى الحقيقى . والثانى : بالمعنى المجازى * (رضىً) منها (بما يطلب) أى من العلوم و«رضى» مفعول له . أى لأجل الرضى الحاصل منها ، أو لارضائها بما يطلب . و«ما» يحتمل أن تكون موصولة . والعائد محذوف . وأن تكون مصدرية (فقلت : انه قد حك) بفتح المهملة وتشديد الكاف ، أى أثَّر . وفى نسخة «حِيك» (فى صدرى المسح على الخفين) فاعل «حك» وقوله (بعد الغائط) وهو فى الأصل المكان المنخسف من الأرض . سمى به الخارج للمجاورة . حالٌ أو صفة (والبول ، وكنت) بفتح التاء للمخاطب حال ، و (امرأ) بفتح الراء ، تبعا لحركة آخره عند

---

(١) على تقدير : جئت ابتغاء العلم ، والأظهر أن يكون فاعلا . على تقدير : جاء بى ابتغاء العلم

من أَصحابِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فجئتُ أسأَلُكَ : هل سَمِعْتَه يذكرُ فى ذلكَ شيئاً ؟ قال : نعم . كَانَ يأمرُنا إذَا كُنَّا سَفْراً - أَوْ مُسَافِرِين أنْ لا نَنْزِعَ خِفافَنا ثلاثةَ أيّام وليَالِيَهُنَّ ، إلا من جَنَابة .

الكوفيين . ومنع البصريون ذلك ، أى شخصا (من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فجئت أسألك : هل سمعته يذكر فى ذلك شيئا ؟) والمسئول عنه : قدر مدته ، بدليل قوله فى الجواب (قال : نعم) أى سمعته يذكر فيه . ثم بيّن المسموع بقوله (كان يأمرنا إذا كنا سفرا) بفتح المهملة وسكون الفاء ، جمع « سافر » وقيل : اسم جمع له . إذلم ينطقوا به (أو) شك من الراوى (مسافرين) جمع «مسافر» شك ، هل قال «سفرا» أو قال «مسافرين» ؟ (ألا ننزع) بكسر الزاى مفعول «يأمرنا» (١) (خفافنا) بكسر المعجمة جمع « خُف » بضمها (ثلاثة أيام ولياليهن) أى فإنّ نزَع الخف ، والمراد به : ظهور شىء من محل الفرض من القدم : يُبطل المدة . فان كان مُحدثا توضأ وضوءا كاملا . وإن كان بطُهر المسح لزمه غسل قدميه فقط ، على الصحيح ، وكالنزع - فيما ذكر - : انقضاء المدة وبطلانها ، بنحو شك فى انقضائها وغيره . مما ذكروه فى الفروع * (إلا من جنابة) وكذا ما فى معناها مما يوجب الغسل : من حيض ، أو نفاس . فيلزم نزعه . ولو غسل القدم فى باطن الخف نزع الخف ولبسه على طهارة كاملة ، ثم يمسح على قدميه ، فوجوب النزع لصحة المسح ، لا لارتفاع الحدث وصحة الصلاة . وفارق الحدثُ الأكبرُ الأصغرَ : بأنه لايتكرر تكرره . فلا يشق النزع فيه . وكذا يلزمه النزع

---

(١) أى المصدر المؤول من « أن » المصدرية ومنصوبها المنفى .

لٰكنْ من غائطٍ وبَوْلٍ ونَوْمٍ . فقلتُ : هل سمعته يَذْكُرُ فى الهوَى شيئاً ؟ قال : نعم . كُنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سَفَرٍ . فبَيْنَا نحنُ عنده ، إذْ ناداه أعْرَابِىٌّ

فيما إذا تنجّست رجله فى الخف وتعذر تطهيرها فيه . وبه تبطل المدة * و (لـكن) مفادها مخالفة ماقبلها لما بعدها ، نفياً أو اثباتا ، مخففاً أو مثقلا ، وحينئذ فالتقدير : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا سفرا أن ننزع خفافنا من الجنابة فى المدة المذكورة ولـكن لاننزعها فيها (من غائط أو بول أو نوم) وزَعَمَ بعضهم ردَّ هذه الرواية . لأن ظاهرها ينافي العطف بـ«لـكن» — : ليس في محله . غاية مافيه : أنها تحتاج إلى تأويل ، حتى توافق تلك القاعدة * (فقلت : هل سمعته) أى النبىّ صلى الله عليه وسلم (يذكر فى الهوى) مقصورا . أى الحب . يقال . « هِوِىَ » كعلم ، يهوى هوًى (شيئا ؟ قال : نعم . كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فبينا) قيل : ألفه مزيدة . لـكفه عن الاضافة إلى المفرد . كما تقدم فى « بينما » لـكفها عن الاضافة للجملة ، إلا أن رفع مابعد « بينما » واجب . وبعد « بينا » جائز . بل الأحسن جر المصدر بعدها ، نظرا إلى أن ألفها ملحقة لاشباع الفتحة . وشذّ من قال : ألفها للتأنيث * وجملة (نحن عنده) فى محل الجر على الاضـافة ، على القول الأول (إذ) وذكر « إذ » هنا مع « بينا » يرد على الحريرى زعمه : أن « بينـا » لا تلتقى بها ولا باذا ، بخلاف « بينما » ويرد عليه الحديث الصحيح « بينا أنا نائم إذ جىء بمفاتيح الأرض ، فوُضِعَت فى يَدَىّ » * (ناداه أعربى) بفتح الهمزة ، اسم جمع . وهم سكان البوادى ، و« العرب » يعم ذلك وسكان القرى ، ونسب إلى الجمع . قيل : لأنه أجرى مجرى القبيلة . كأنْمَار . ولأنه لو نسب إلى الواحد ، أعنى لفظ « عرب » فقيل : عربى . اشتبه المعنى . إذ العربى كل من كان من ولد اسماعيل ، سواء كان

بصوتٍ له جَهْوَرِيٍّ : يا محمدُ . فأَجابَه رسولُ اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم نحواً من صوته : هَاؤُمْ ، فقلتُ له : وَيْحَكَ ،

حاضرا أو باديا . والأعرابى يختص بالأخير . وفى هذا المقام بسط أودعته فى باب المساجد من شرح الأذكار . وسيأتى فى باب الحلم إن شاء الله تعالى * (بصوت) متعلق بـ«نادى» (له جهورى) بفتح الجيم وإسكان الهاء ، والياء فيه للنسبة ، منسوب إلى جَهْوَرَ بصوته . كما فى النهاية ، والجهورى : الشديد العالى * (يا محمد) لعله قبل تحريم ندائه صلى الله عليه وسلم باسمه ، أو لم يكن يعلم . لكونه ببادية بعيدة (فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً) مفعول مطلق ، أى إجابة نحوا (من صوته) أى فى الرفع (هاؤم) قال أبو حيان فى النهر : قال الكسائى وابن السكيت يقال «هاء» للرجل . وللاثنين — رجلين أو امرأتين — «هاؤما» وللرجال «هاؤم» وللمرأة «هاءِ» بهمزة مكسورة بغير ياء ، وللنساء «هاؤنّ» ومعنى «هاؤم» خذوا . وقد ذكرنا فى شرح التسهيل فيها لغات . و «هاؤم» إن كان مدلولها تعالوا ، فهى متعدية للمفعول بواسطة «إلى» [1] اهـ * (فقلت له) أى للاعرابى (ويحك) بفتح الواو المهملة

---

(١) ذكر هذا أبو حيان فى تفسير قوله تعالى فى سورة الحاقة (هاؤم اقرأوا كتابيه) وقال : و هاؤم إن كان مدلولها « خذوا » فهى متسلطة على « كتابيه » بغير واسطة . وإن كان مدلولها « تعالوا » فهى متعدية إليه بواسطة « إلى » اهـ . وفى النهاية - فى مادة «هوم» « فأجابه النبى صلى الله عليه وسلم بنحو من صوته : هاؤم هاؤم » بمعنى : تعال ، وبمعنى : خذ . ويقال للجماعة : هاؤم . كقوله تعالى (هاؤم اقرأوا كتابيه) وإنما رفع صوته صلى الله عليه وسلم من طريق الشفقة عليه لئلا يحبط عمله من قوله تعالى (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) فعذره لجهله . ورفع النبى صوته ، حتى كان مثل صوته أو فوقه ، لفرط رأفته به اهـ . وهذان المعنيان

أُغْضُضْ من صَوْتِكَ . فإنَّكَ عندالنبى صلى الله عليه وسلم . وقد نهيتَ عن هذا ، فقال : والله لا أغْضُضُ . قال الأعرابى : المرء يُحبُّ القومَ ولمَّا يلْحَقْ بهم؟ قال النبيُّ صلى

و إسكان المثناة بينهما ، كلمة ترحم وتوجع ، تقال لمن وقع فى هلكة لا يستحقها . وقد تستعمل فى المدح . كما فى النهاية * (اغضض) أى انقص (من صوتك : فإنك عند النبى صلى الله عليه وسلم وقد نهيت عن هذا) أى عن رفع الصوت وعلوه بين يديه صلى الله عليه وسلم[1] (فقال) لما قام عنده من الحال المقتضى للجهر بالصوت (والله لا أغضض) أى من صوتى ، حذف لدلالة الكلام السابق عليه * (فقال الأعرابى) سائلا النبى صلى الله عليه وسلم (المرء) لغة فى «امرىء» أى الشخص . والمراد منه : ما يعمُّ المثنى والجمع . لتساوى الكل فى الحكم الآتى ، أو ما يقابلهما . وعلم حكمهما من تساويهما فى مثل هذه الأحكام (يحب القوم) أى الأخيار . أحياء وأمواتا (ولما يلحق بهم) أى فى الأعمال وطرق الكمال ، أى لم يعمل بعملهم . إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم . و «لما» لنفى الماضى المستمر . فتدل على نفيه فى الماضى والحال ، بخلاف «لم» فانها تدل على الماضى فقط (قال النبى صلى

«خذ ، وتعال» بعيدان هنا بعض البعد . لأن المفهوم من سياق الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم يجيبه : قد أجبتك ، أو هاأنا . ماذا تريد ؟ . والله أعلم

(١) قال الله تعالى فى سورة الحجرات (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم - الآية) وقال فى سورة النور (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أى لا تنادوه كما ينادى بعضكم بعضا «يا محمد» بل قولوا : يا رسول الله . فان الله ما خاطبه إلا بقوله (ياأيها النبى) (ياأيها الرسول) ولا ترفعوا صوتكم بشدة تنافى الاجلال والأدب معه صلى الله عليه وسلم .

اللّٰه عليه وسلم : المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يومَ القيامةِ . فما زالَ يُحَدِّثُنَا

اللّٰه عليه وسلم) جوابا من ذلك (المرء مع من أحب) فيه : فضل حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والأخيار ، أحياء وأمواتا . ومن فَضْلِ محبة الله ورسوله[1] : امتثال أمرهما ، واجتناب نهيهما ، والتزام الآداب الشرعية * ثم لا يلزم من كونه مع من أحب : أن تكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كل وجه * وقد جاء فى صحيح مسلم حديث لأنس فيه مثل هذه البشرى . وفيه قال أنس « ما فَرِحْنا بعدَ الاسلام فرحاً أشدَّ مما فرحنا بقول النبى صلى الله عليه وسلم : المرءُ مع من أحبَّ » قال القرطبي : وإنما كان فرحهم بهذا القول منه صلى الله عليه وسلم أشد من فرحهم بسائر أعمال البِر ، لأنهم لم يسمعوا أن فى أعمال البر ما يحصل به ذلك المعنى : من القرب من النبى صلى الله عليه وسلم ، والكون معه : إلا حب الله ورسوله ، فأَعْظِمْ بأمرٍ يُلحِق المقصر بالمشَمِّر ، والمتأخر بالمتقدم * ولما فهم أنس أن هذا اللفظ محمول على عمومه علق به رجاءه ، وحقق فيه ظنه . فقال « أنا أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ، فأرجو أن أكون معهم ، وإن لم أعمل بعملهم » والوجه الذى تمسك به أنس يشمل من المسلمين المحبين كل ذى نفس ، فلذا تعلقت أطماعنا بذلك ، وإن كنا مقصرين ، ورجونا رحمة الرحمن ، وإن كنا غير مستأهلين اه * (فمازال يحدثنا) إن كان من كلام صفوان — كما هو الظاهر — فالمحدث لهم النبى صلى الله عليه وسلم . وإن كان من كلام « زِرٍّ » فهو صفوان . ثم رأيت فى الترغيب ، بعد أن روى قوله « إن من قبل المغرب لبابا » — مرفوعا من طريق

(١) وفى نسخة « ومن أفضل » ومعناها : ومن أفضل ما يتحقق به محبة الله ورسوله الخ وعلى هذه النسخة . ولمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثمرات عظيمة وخيرات لا تحصى . فما تثمره هذه المحبة : امتثال أمر الله ورسوله الخ

حتَّى ذكر بابًا من المْغرِب مَسيرةُ عَرْضِهِ ـ أو يَسيرُ الرَّاكبُ في عرْضِهِ ـ أربعين ، أو سبعين ، عاما . قال سُفْيَانُ أحدُ الرواة ـ قِبَلَ الشَّأْم .

الترمذى [١] — : « وفى رواية للترمذى — وصححها أيضاً — قال ، يعنى زِرُّ بنُ حُبَيْشٍ — : فما برِح ، يعنى صفوانُ — يحدثنى حتى حدثنى بأن الله عز وجل جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاماً للتوبة . لا يُغلقُ مالم تَطْلُع الشمس من قبله . وذلك قول الله تعالى (يوم يأتى بعضُ آيات ربِّك لاينفع نفساً إيمانها — الآية) » . وليس فى هذه الروايات ، ولا الأولى ، تصريح برفعه [٢] . كما صرح به البيهقى . و إسناده صحيح أيضا اه * (حتى ذكر) فى حديثه (باباً من المغرب مسيرة عرضه) أى بين طرفيه (أو يسير الراكب فى عرضه) شكٌّ من الراوى (أربعين أو سبعين عاما) لـكمال سعته (قال سفيان) بتثليث السين وسكون الفاء . وهو ابن عيينة . كما صرح به المُزَنى فى أطرافه (أحد الرواة) لهذا الحديث . أى أحد رجال إسناده (قبل الشأم) بالهمز والقصر . ويجوز ترك الهمز . والمدّ ، مع فتح الشين : ضعيف . أى وهى غربى المدينة . وحدُّها طولا مابين العَريش والفُرات . وعرضاً من جبل طَىّ من نحو القِبْلة الى نحو أرض الروم . وما سامَتَ ذلك من البلاد . وقال

---

(١) أى مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم . لأن المنذرى رحمه الله قال : فى التوبة والترغيب المبادرة بها : وعن صفوان بن عسال عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : رواه الترمذى فى حديث . والبيهقى ، واللفظ له . وقال الترمذى : حسن صحيح . وفى رواية له ، أى للترمذى ، وصححها ، يعنى الترمذى ، أيضا . قال زر ـ يعنى ابن حبيش : فما برح إلى قوله : وإسناده صحيح

(٢) بل قوله « عن صفوان بن عسال عن النبى صلى الله عليه وسلم » فى الرواية الأولى : تصريح برفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم

خَلَقَهُ اللهُ تعالى يوم خلق السَّمٰوات والأرضَ ، مفتوحاً للتَّوْبَة ، لا يُغلَقُ حتَّى تَطْلع الشَّمْسُ منه » رواه الترمذى وغيره ، وقال : حديث حسنٌ صحيحٌ

ابن حبان : أوله نابلس . وآخره العريش اه * (خلقه الله تعالى) أى أوجده (يوم خلق) أى أوجد (السموات والأرض مفتوحاً) حال . ويحتمل أن يكون مفعولا ثانيا لـ «خلق» بتضمينه معنى « جعل » (للتوبة) أى لقبولها ، سواء كانت من الكفر ، أو من الذنب (لا يغلق) ذلك الباب المترتب عليه عدم قبولها (حتى تطلع الشمس منه) أى من المغرب . ويحتمل من ذلك الباب * قال فى المفاتيح : و إنما لم تقبل بعد طلوع الشمس من مغربها لأنه من علامات القيامة ، فحينئذ كأنها ظهرت الساعة . وظهور الساعة انقضاء التكليف اه . (رواه الترمذى) بكسر الفوقية والميم وقيل بضمهما . وقيل : بفتح ثم كسر ميمها ، مع إعجام الذال . نسبة لمدينة قديمة على طرف جَيحُون ، نهر بَلخ . كما تقدم قريبا فى ترجمته * ثم إنه روى الحديث بجملته فى الدعوات [١] . وفى الزهد من قوله «جاء أعرابى — إلى قوله : المرء مع من أحب» وفى الطهارة : قصة المسح (وغيره) فروى النسائى فى التفسير الحديثَ . وليس فيه قصة المسح . وفى الطهارة بقصة المسح ، و رواه ابن ماجه فى الطهارة بقصة المسح . وفى الفتن . و روى مسلم وغيره قوله صلى الله عليه وسلم « المرء مع من أحب » لـكن فى قصة أخرى [٢] . و روى البيهقى حـديث باب التوبة ، لـكن باللفظ الذى نقلته عن الترغيب . قال المنذرى : واسناده صحيح * (وقال) يعنى الترمذى (حديث حسن صحيح)

---

(١) فى باب ماجاء فى فضل التوبة و الاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده

(٢) عن أنس رضى الله عنه

قال الحافظ ابن حجر فى شرح نخبته : إذا جُمع الصحيح والحسن فى وصف واحد كقول الترمذى وغيره « حسن صحيح » فللتردد الحاصل من المجتهد فى الناقل : هل اجتمعت فيه شروط الصحة ، أو قصَّر عنها ؟ وهذا حيث يحصل منه التفرد بتلك الرواية * قال : ومحصل الجواب [1] : أن تردد أئمة الحديث فى حال ناقله اقتضى للمجتهد أن لا يصفه بأحد الوصفين ، فيقال فيه « حسن » أى باعتبار وصف ناقله عند قوم « صحيح » باعتبار وصفه عند قوم آخرين . وغاية ما فيه : أنه حذف منه حرف التردد . لأن حقه أن يقول « حسن أو صحيح » وهذا كما حذف منه حرف العطف فى الذى بعده [2] ، وعلى هذا ، فما قيل فيه « حسن صحيح » دون ما قيل فيه « صحيح » لأن الجزم أقوى من التردد ، وهذا حيث التفرد ، وإلا ، أى وإن لم يحصل التفرد . فإطلاق الوصفين معا على الحديث يكون باعتبار اسنادين ، أحدهما : صحيح . والآخر : حسن . وعلى هذا فما قيل فيه «حسن صحيح»

---

(١) اختصر المصنف كلام ابن حجر . وسياقه هكذا : بتلك الرواية . وعرف بهذا جواب من استشكل الجمع بين الوصفين . فقال : الحسن قاصر عن الصحيح ، كما عرف من حديهما . ففى الجمع بين الوصفين اثبات لذلك القصور ونفيه . ومحصل الجواب الخ

(٢) فى نسخة توجيه النظر شرح نخبة الفكر - وكلاهما لابن حجر - المطبوعة فى بلدة دهلى بالهند سنة ١٣٢٧ ، وعليها تعليقات كثيرة «وهذا كما حذف من الذى بعده» وقال الشيخ محمد عبد الله اللكنوى فى حاشيته عليها (قوله الذى يعد) هذا اللفظ إما على صيغة المضارع المجهول من العد ، كما فى نسخة الشارح . والمعنى على هذا : أن حذف حرف العطف ههنا كما يحذف من الشيء الذى يعد . فانه يقال : دار ، غلام ، جارية اه . ويجوز أن يكون (من الذى بعده) كما هنا ، وفى صلب النسخة الهندية . ويكون . معنى : كما حذف حرف العطف من القسم الذى سيذكر بعد هذا . وهو الذى قال فيه ابن حجر « وإلا . أى إذا لم يحصل التفرد الخ . والظاهر أن المعنى الأول أرجح وأولى .

٢٢ — وعن أَبي سعيدٍ سَعْدِ بن مالِك بن سِنان الْخُدْرِيِّ رضى الله عنه أن نَبِيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال

فوق ماقيل فيه «صحيح» فقط ، إذا كان فَرْداً . لأن كثرة الطرق تقوى اه .
* وقال الحافظ السيوطى : أو يكون المراد : أنه حسن لذاته ، صحيح لغيره ، أو أن المراد : حسن باعتبار إسناده ، صحيح . أى أنه أصح شىء ورد فى الباب ، فانه يقال : أصح ماورد كذا ، و إن كان حسنا أو ضعيفا ، والمراد : أرجحه وأقله ضعفا اه .

* (وعن أبى سعيد) كنية (سعد بن مالك بن سنان) بكسر السين المهملة و بنونين بينهما ألف (الخدرى) بضم المعجمة ، وسكون المهملة . نسبة إلى « خُـدْرة » بهذا الضبط ، وهو الأبْجَر — بالموحدة فالجيم — بطن من الخزرج . وقيل « خدره » أم الأبجر * ثم سعد وأبوه صحابيان . استشهد أبوه فى وقعة أُحُدٍ . وحينئـذ فلا يظهر إفراد الضمير . فى قول الشيخ (رضى الله عنه) وكان حقه « رضى الله عنهما » كما هو المطلوب عند ذكر صحابى ابن صحابى * روى لأبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم ألف ومائة وسبعون حديثا . اتفقا منها على ستة وأربعين . وانفرد البخارى بستة عشر . ومسلم باثنين وخمسين * عن حنظلة بن أبى سفيان الجُمَحِى عن أشياخه قالوا «لم يكن أحد من أحداث الصحابة أفقه من أبى سعيد » وفى رواية «أعلم» * ومناقبه كثيرة * توفى بالمدينة يوم الجمعة سنة أربع وستين وقيل: وسبعين . ودفن بالبقيع * (أن) بفتح الهمزة ، و يجوز كسرها بتقدير القول (نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال) مرغبًا فى التوبة والانابة إلى الله تعالى ، وموميًا إلى

« كان فِيمَنْ كانَ قَبْلَكُم رَجُلٌ قتلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً ، فسأل عن أَعْلَمِ أهلِ الأرْضِ ، فَدُلَّ عَلَى راهبٍ ، فأَتاه . فقال : إنه قَتَلَ تِسْعةً وتسعين نفسا . فهل له من تَوْبةٍ ؟ فَقَالَ : لا . فقتله ، فكمّل به مائة .

صغر الذنب — و إن عظم — فى جنب عفوه سبحانه (كان فيمن كان قبلكم[١]) أى من الأمم (رجل) اسم « كان» والظرف قبله حال منه . وقيل : الظرف صلة لـ«من» الموصولة. وقوله(قتل)خبر « كان» (تسعة وتسعين نفسا)أى على وجه العدوان . فهبت عليه نفحات الوصول ، وآن إبَّان ساعة الانابة والقبول (فسأل عن أعلم أهل الأرض) أى فى ذلك الوقت (فدل) بالبناء للمجهول (على راهب) أى عابد من عباد بنى إسرائيل (فأتاه فقال : إنه) عدل إليه عن حكاية لفظه ، وهو « إنى » بضمير المتكلم تنبيها على الأدب فى حكاية مثل ذلك ، مما يكره النطق به . فيؤتى فيه بضمير الغيبة . كما قال الحاكى للفظ أبى طالب عند موته . « فكان آخر ما كلمهم به : أنه على ملة عبدالمطلب» نبه عليه المؤلف فى ذلك المقام من شرح مسلم * (قتل تسعة وتسعين نفسا) عدوانا (فهل له من توبة) «من» مزيدة للتأكيد (فقال : لا . ف) لما أوقعه فى ميدان القنوط (قتله فكمل به مائة) من القتلى . قال القرطبى : وهذا من الراهب دليل على قلة علمه ، وعدم فطنته . حيث لم يصب وجه الفتيا . ولا سلك طريق التحرز فى نفسه ممن صار له القتل عادة معتادة ، فقد صار هذا مثل الأسد الذى لا يبالى بمن يفترسه . فكان حقه أن لا يشافهه بمنع التوبة ،

(١) وفى صحيح البخارى فى الحديث الثامن عشر من أحاديث بنى إسرائيل « كان فى بنى إسرائيل رجل »

ثُمَّ سأَلَ عن أعلم أهل الأرض ، فدُلَّ على رجُلٍ عالمٍ ، فقال : إنه قتل مائة نفسٍ ، فهل له من توبة ؟ فقال : نعم . ومَنْ يَحُول بينه وبين التَّوْبَةِ ؟

مداراة لدفع القتل عن نفسه . كما يدارى الأسد الضارى . لكنه أعان على نفسه فانه لما آيسه من التوبة قتله بحكم سَبُعيته ويأسه من رحمة الله وتوبته عليه (ثم) لما لم يزل لطف الله تعالى مصاحبا لذلك القاتل بقى فى نفسه الرغبة فى السؤال عن حاله ، فما زال يحثه على هذا الأمر حتى (سأل) ثانيا (عن أعلم أهل الأرض أى فى ذلك الزمن (فدل على رجل) أتى به توطئة لقوله (عالم . فقال) عطف على مقدر ، أى : فأتاه فقال . وحذف لذكره فى نظيره (إنه قتل مائة نفس . فهل له من توبة ؟) أى مقبولة (فقال) ناطقا بالحق والصواب مجيبا عن السؤال ، منكرا على من ينفيها عنه (نعم . ومن) استفهام إنكار ، أى شىء (يحول) بالحاء المهملة ، أى يكون حائلا وفاصلا (بينه) أى التائب من الذنب (وبين التوبة) وعبَّر بـ «من» تغليبا . أى لامانع بينك وبينها من شخص ولاغيره وأتى بضمير الغائب مراعاة لحسن الأدب فى الخطاب ، وهو أن لا يضاف مافيه لوم — ولو على سبيل الرمز — للمخاطب * وقبول توبة القاتل عمداً : مذهب أهل العلم ، وإجماعهم . ولم يخالف أحد منهم إلا ابن عباس . وما نقل عن بعض السلف من خلاف ذلك فمراد قائله : الزجر والتورية ، لا اعتقاد بطلان توبته . وهذا الحديث ظاهر فيما قاله أهل العلم . وهو — وإن كان شرعا لمن قبلنا ، وفى الاحتجاج به خلاف — فليس هذا من موضع الخلاف ، إنما موضعه إذا لم يرد شرعنا بموافقته وتقريره . فان ورد كان شرعا لنا بلا خلاف . وهذا ورد شرعنا به . قال تعالى ([٢٥ : ٦٨ - ٧٠] والذين لا يَدْعونَ مع اللهِ إلٰهًا آخرَ ولا

انْطَلِقْ إلى أرْضِ كذا وَكذا

يقتلون النفسَ التى حرَّم اللهُ إلا بالحقِّ ولا يَزْنون، وَمنْ يفعلْ ذلك يَلْقَ أثامًا . يُضاعَفْ له العذابُ يوم القيامةِ ويَخْلُدْ فيه مُهاناً إلا من تاب وآمنَ وعمل عملاً صالحاً فأولئك يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهم حَسناتٍ وكان الله غفوراً رحيما) . وجاءت أحاديث كثيرة بمعنى ذلك * وأما قوله تعالى ([٤ : ٩٣] ومن يقتلْ مؤمناً متعمِّداً فجزاؤه جَهَنَّمَ خالدا فيها وغَضِبَ اللهُ عليه وَلَعَنَه وأعدَّ له عذاباً عظيما) فالصواب فى معناه : أن جزاءه جهنم ، وقد يجازى بها . وقد يجازى بغيرها . وقد لا يجازى بل يعفى عنه . كذا فى شرح مسلم للمصنف [1] * ثم إن العالم دل السائل على ما فيه نفعه بقوله (انطلق إلى أرض كذا وكذا) اسمها « نصرة » واسم القرية التى كان بها « كفرة » رواه الطبرانى . ليفارق دار الفساد وأصحابه الذين كانوا يعينونه عليه ماداموا كذلك . قال القرطبى : وبهذا يعرف فضل العلم على العبادة . لأن الأول غلبت عليه الرهبانية واغتر بوصف الناس له بالعلم . فأفتى بغير علم ، فهلك فى

---

(١) قال النووى : ولا يلزم من كونه يستحق أن يجازى بعقوبة مخصوصة أن يتحتم ذلك الجزاء . وليس فى الآية إخبار بأن يخلد فى جهنم . وإنما فيها : أنها جزاؤه ، أى يستحق أن يجازى بذلك . وقيل : إن المراد من قتل مستحلا . وقيل : وردت فى رجل معين . وقيل : المراد بالخلود طول المدة ، لا الدوام . وقيل : معناها : هذا جزاؤه إن جازاه . وهذه الأقوال كلها ضعيفة أو فاسدة اه . والذى يظهر لى والله أعلم أن لامنافاة بين الآيتين فآية النساء لمن قتل مؤمنا عمدا . وآية الفرقان لمن أشرك وزنى وقتل . فجزاؤه كذلك إلا إن تاب . فكذلك آية النساء تقيد بهذه ، إلا من تاب . والآية تفيد أنه إنما تعمد قتله لايمانه ، لا لسبب آخر ، وهذا لايفعله مسلم مطلقا . فان وصف المقتول فى آية النساء غير وصفه فى آية الفرقان . فان الله حرم قتل المعاهد الذمى وإن لم يكن مسلما . والله أعلم .

فانَّ بها أُناساً يعبدون الله تعالى ، فاعْبُدِ الله معهم . ولا تَرْجعْ إلى أرضكِ فانها أرضُ سَوءٍ ، فانْطَلَقَ ، حتى إذا نَصَفَ الطَّريقَ ، أتاهُ المْوتُ ، فاخْتَصَمَتْ فيهِ ملائِكَةُ الرحْمَةِ وَملائِكَةُ العذابِ ، فقالتْ ملائكةُ الرحمة : جاء تائبا مُقْبلا بقلْبهِ إلى الله تعالى. وقالت ملائكةُ العذاب: إنه لم يعمل خيراً قطّ

نفسه ، وأهلك غيره . والثانى كان مشتغلا بالعلم . فوُفِّقَ للحق ، فأحياه الله وأحيى به اه * وقوله « كذا وكذا » كأن الراوىَ شكَّ فى اللفظ . فكنى عنه بذلك . وهى من ألفاظ الكنايات ، مثل « كَيْت وكيت » ومعناه : مثل ذا . قاله فى النهاية * وقوله (فان بها أناسا) بضم الهمزة (يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم) أتى بالمُظْهر ، والمقام للضمير : استلذاذا . فذكر المحبوب محبوب (ولا ترجع إلى أرضك) أى التى كنت بها زمن العصيان (فانها أرض سوء) بفتح المهملة * وفيه : تنبيه على وجه استبدال تلك الأرض بأرضه * وفيه : الانقطاع عن إخوان السوء ومقاطعتهم ماداموا على حالهم ، واستبدال صحبة أهل الخير والعلم والصلاح والعبادة والورع ، ومن يُقْتدى به وينْتفع بصحبته . لتتأكد بذلك توبته ، وتقوى أوْبته . فان كل قرين يقتدى بقرينه *(فانطلق) تائبا من زَلَّته ، مفارقا لمحلته ، قاصدا لما أمر بالرحلة إليه . واستمر كذلك (حتى إذا نصف الطريق) بتخفيف الصاد المهملة المفتوحة ، أى بلغ نصفها (أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى) قال القرطبى: هذا نص صريح فى أن الله تعالى أطلع ملائكة الرحمة على مافى قلبه من صحة قصده إلى التوبة ، وحرصه عليها ، وأن ذلك خفى على ملائكة العذاب ، حتى أخبر صلى الله عليه وسلم عنها بقوله (وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيرا قط) بضم الطاء ، ظرف لاستغراق الزمن الماضى . إذ لو اطّلعت

فأتاهم مَلَكٌ فى صورة آدَمِىٍّ ، فجعلوه بينهم ـ أى حَكَماً ـ فقال: «قِيسوا مابين الأرضين ، فإلَى أيتِهما كان أدْنَى فهو له ، فقاسوا ، فوجَدوهُ أدْنَى إلى الأرْض التى أرادَ . فقَبَضَتْه ملائكة الرحمة »

على مافى قلبه من التوبة لما صح لها أن تقول هذا . ولا أن تنازع ملائكة الرحمة فى قولها « إنه جاء تائبا الخ » بل كانت تشهد بما فى علمها . كما شهد الأولون بما تحققوه . ولما كانت شهادة ملائكة الرحمة على إثبات ، وملائكة العذاب على عدم وشهادة الاثبات مقدمة ، فلا جرم لَمَّا حصل التنازع بين الصنفين ، وخرج كلاهما عن الشهادة إلى الدعاوَى بعث الله إليهما ملكا حاكما يفصل بينهما ، كما قال (فأتاهم ملك فى صورة آدمى) صُوِّر بصورته إخفاء عن الملائكة وتنويها ببنى آدم ، وأن منهم من يصلح لأن يفصل بين الملائكة إذا تنازعوا (فجعلوه بينهم) حجةٌ لمن قال : بلزوم حكم المحكَّم للخصمين المتراضيين به (فقال : قيسوا مابين الأرضين) أى التى خرج منها والتى ذهب إليها (فالى أيتهما كان أدنى فهوله) أى لذلك الأدنى اليه منهما . أى الجنة أو العذاب * (فقاسوا) أى ملائكة الصنفين (فوجدوه) أى التائب (أدنى) أى أقرب (إلى) جهة (الأرض التى أراد . فقبضته ملائكة الرحمة) لكونه أقرب إلى أرض الصلاح * قال القرطبى : وفيه دليل على أن الحاكم إذا تعارضت الأقوال عنده ، وتعذرت الشهادة ، وأمكنه الاستدلال بالقرائن على ترجيح بعض الدعاوى . نفذ الحكم بذلك . كما فعله سليمان عليه السلام حيث قال : « ائتونى بالسكين أشقه بينكما[1] » * وقال المصنف : قياس الملائكة مابين القريتين ، وحكم الملك الذى جعلوه بينهم بذلك : محمول على أن الله تعالى أمرهم عند اشتباه الأمر عليهم واختلافهم فيه أن يحكموا

---

(١) رواه البخارى فى أحاديث الأنبياء فى الباب الأربعين . ومسلم فى الأقضية الحديث العشرين عن أبى هريرة رضى الله عنه

متفق عليه * وفى رواية فى الصحيح « فكان إلى القَرْيَة الصَّالِحَةِ أَقربَ بشِبْرٍ ، فَجُعِلَ من أَهْلها »

٢٣ — * وفى رواية فى الصحيح « فأَوحى الله تعالى إِلى هٰذه أَنْ تباعَدِى ، و إِلى هٰذه أَن تقَرَّبِى ، وقال : قيسوا ما بينهما . فوجدوه إِلى هذه أقرب بشبر . فغفر له »

رجلا ممن يمر بهم ، فمر الملك فى صورة رجل فحكم بذلك اه * (متفق عليه) رواه البخارى فى ذكر بنى اسرائيل ومسلم فى التوبة . ورواه ابن ماجه فى سنده * قال المزى : قلت : واللفظ المذكور لمسلم * (وفى رواية فى الصحيح) عند مسلم من حديث أبى سعيد أيضاً (فكان إلى القرية الصالحة) إسناد مجازى من إسناد الشىء إلى مكانه . كنهر جار ، أى الصالح مَنْ فيها ، وفيه إيماء إلى أن شرف المكان بشرف المكين ، وما أحسن ما قيل :

* بسكانها تغلو الديار وترخص *

وقول الآخر :

وما حبُّ الديار شَغَفْنَ قلبى ولكن حب مَنْ سكنَ الديارا

(أقرب بشبر) أى بعد الأمر للقرية الصالحة بأن تقرب ، فلا تخالف الرواية الآتية (فجعل من أهلها) أى الجنة . فأخذه أهلها . ففيه مجاز إطلاق اللازم و إرادة الملزوم * (وفى رواية) أخرى (فى الصحيح) هى عندهما واللفظ للبخارى (فأوحى الله تعالى) أى أشار (إلى هذه) أي أرض الفساد (أن تباعدي) أى تباعدى عن ذلك الانسان ، بأن ينضامَّ بعضها لبعض (و) أوحى ، أى أشار (إلى هذه) أى أرض الصلاح (أن تقربى) بانبساط أجزائها وامتدادها (وقال) أى الحكم (قيسوا ما بينهما ، فوجدوه إلى هذه) أى أرض الصلاح (أقرب بشبر) بسبب امتدادها وانبساطها . وانزواء تلك وانقباضها (فغفر له)فأخذته ملائكة الرحمة . ففيه مجاز .

٢٤— وفى روايةٍ « فناءَ بِصَدْرِهِ نحوَها »

٢٥— وعن عبدالله بن كَعْب بن مالك ـ وَكان قائدَ كعب رضى الله عنه من بَنِيهِ ، حين عَمِيَ ـ قال : « سمعتُ كعبَ بن مَالكٍ رضى الله عنه

كما تقدم فى نظيره * قال القرطبى : يفهم منـه أن الرجل كان أقرب إلى الأرض التى خرج منها ، فلو تركت الأرض على حالها لقبضته ملائـكة العذاب ، لـكن غمرته الألطاف الالهيّة ، وسبقت له العناية الأزلية . فقرَّبت البعيد ، وألانت الحديد * ويستفاد منه أن الذنوب — وإن عظمت — فعفو الله أعظم منها ، وأن من ألهمه الله صدق التوبة فقد سلك به طريق اللطف والقربة اه *

*(وفى رواية) أى فى الصحيح أيضا رواها مسلم (فناء) بتقديم الألف على الهمزة . وفى نسخة من مسلم « نأى » بتقديم الهمزة عليها . أى نهض مع ثقل ما أصابه من الموت (بصدره نحوها) وفيه دليل لصحة توبته وصدق رغبته .

* (وعن عبدالله بن كعب بن مالك) بن كعب الانصارى السلمى ، أى بفتحتين قال فى أسد الغابة : ذكره أبو أحمد العسكرى فيمن لحق بالنبى صلى الله عليه وسلم اه (وكان قائد كعب رضى الله عنه من) بين (بنيه) وهم : عبد الله هذا ، وعبد الرحمن ، وعبيدالله (حين) أى زمن (عمى) أى صار أعمى (قال) بيان للمروى عن عبد الله (سمعت كعب بن مالك رضى الله عنه) شهد العقبة والمشاهد كلها إلا بدرا ، وتبوك . وجُرح يوم أحد أحدَ عشر جُرحا فى سبيل الله . وهو أحد شعراء النبى صلى الله عليه وسلم المجاهدين بألسنتهم وأيديهم . وهم ثلاثة : حسان . وكعب ، وابن رَواحة . وكـان حسان يقع فى الانساب . وابن رواحة يعيِّرهم بالـكفر . وكعب يخوفهم وقائع السيف * روى له عن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم ثمانون حديثا . اتفقا على ثلاثة منها . وانفرد البخارى بحديث . ومسلم بحديثين .

يحدّث بحديثه ـ حين تخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غَزْوَة تَبُوكَ ـ قال كعبٌ : لم أَتخلّفْ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غَزْوَةٍ غزَاهَا قطُّ ، إلا فى غَزْوَةِ تبُوكَ ، غير أنى قد تَخَلَّفت فى غَزْوَةِ بَدْرٍ ،

توفى بالمدينة سنة خمسين رضى الله عنه * (يحدث حديثه) مفعول مطلق ، أو منصوب بنزع الخافض (حين تخلف عن) الخروج مع (النبى) وفى نسخة « عن رسول الله » (صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك) بفتح الفوقيـــة وضم الموحدة ، يصرف إن أريد به المكان . ولا يصرف إن أريد به البقعة . وكانت غزوة تبوك فى السنة التاسعة من الهجرة * قال الفنارى فى شرح الموطأ ، من رواية محمد بن الحسن : قيل : سميت بتبوك . لأنه صلى الله عليه وسلم رأى قوما من أصحابه يَبوكون عَين تبوك . أى يُدخلون فيها القَدَح و يحركونه ، ليخرج الماء . فقال « ما زلتم تبوكونها تبوكا» اه * (قال كعب) بيان لحديثه (لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط) وعدة الغزوات التى خرج فيهـا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه : سبع وعشرون . قاتل فى تسعة منها بنفسه : بدر ، وأحد ، وَالمُرَيْسيع ، والخَنْدَق ، وقُرَيْظَةَ ، وخَيبر ، وفتح مكة — على القول بأنها فتحت عنوة ، والصحيح عند أئمتنا خلافه ـ وحُنين ، والطائف * وقيل : إنه قاتل بنى النَّضير * وكانت سراياه التى بعث بها : سبعا وأربعين سرية * (إلا فى غزوة تبوك) ثم استثنى من قوله «لم أتخلف الخ» قوله (غير أنى قد تخلفت) أى عنه صلى الله عليه وسلم (فى غزوة بدر) قرية مشهورة تنسب إلى بَدْرِ بن مَخْـلد بن النَّضر بن كِنانة . كان نزلها ، وقيل بدر بن الحارث ، حافر بئرها ، وقيل : «بدر» اسم البئر التى فيها . سميت به لاستدارتها ، أو لصفائها ورؤية البدر فيها ، وحكى الواقدى

ولم يُعَاتَبْ أَحدٌ تخلَّف عنه ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عِيْرَ قُرَيْشٍ ، حتى جَمَعَ اللهُ تعالى بينهم وَبين عَدوِّهم على غير مِيعَادٍ ، ولقد شَهِدْتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لَيلَةَ العقبَة

عن غير واحد من شيوخ بنى غِفارٍ : إنكار هذا كله . قال : وإنما هى مالنا ومنازلنا . وماملكها أحدقط يقال له : بدر . وإنما هو علم عليها كغيرها من البلاد * والسبب فى ترك استثناء بدر مع تبوك بلفظ واحد ، كونه تخلف فى تبوك مختارا لذلك ، مع تقدم الطلب ، ووقوع العتاب على من تخلف . بخلاف بدر فى ذلك كله . فلذا غاير بين التخلفين . قاله الحافظ فى الفتح * (ولم يعاتب أحد) من المسلمين هو بفتح الفوقية مبنى للمجهول ، وفى رواية « لم يعاتب أحدا» (تخلف عنه) فيها (إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش) علة لعدم العتاب . «والعير» الابل التى عليها أحمالها * وذلك : أن أبا سفيان كان بالشأم فى ثلاثين راكبا ، منهم عمرو بن العاص . فأقبلوا فى قافلة عظيمة فيها أموال قريش ، حتى إذا كان قريبا من بَدْر بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ، فندب أصحابه إليهم ، وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو ، فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم الرَّوْحاء أتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن عيرهم ، فكان سبب الحرب المشار إليها بقوله (حتى جمع الله بينهم و بين عدوهم) أى من كفار قريش (على غير ميعاد) أى موعد (ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة)أى الليلة التى بايع النبى صلى الله عليه وسلم الأنصار فيها على الاسلام ، وأن يؤووه و ينصروه . وهى العقبة التى فى طرف مِنًى ، التى تضاف إليها جَمْرة العقبة . وكانت بيعة العقبة مرتين - فى السنة الأولى : كانوا اثنى عشر ، وفى السنة الثانية : سبعين . كلهم من الأنصار -

حين تَوَاثَقْنا على الإسلام ، وما أُحِبُّ أنَّ لى بها مَشْهَدَ بدرٍ ، وَإن كانت بدرٌ أَذكَرَ فى الناسِ منها ، وَكان مِنْ خَبَرِى — حين تَخَلَّفتُ عن رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فى غَزْوَةِ تبوكَ : أَنِّى لم أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى ، ولا أَيْسَرَ مِنِّى حين تَخَلَّفتُ عنه فى تلك الغزوة ، واللهِ ماجمعتُ قبلها رَاحِلَتين قط ، حتى جمعتهما

بمسجد بقرب العقبة المذكورة . وإذا أطلق ذكر العقبة فالمراد الأخيرة * (حين تواثقنا) بالمثلثة بعد الألف بدل من « ليلة » وتواثقنا (على الاسلام) أى تبايعنا عليه وتعاهدنا ، وأخذ بعضنا على بعض الميثاق . وفى بعض النسخ « توافقنا » بالفاء بدل المثلثة (وما أحب أن لى بها) أى بدل الليلة أو العقبة (مشهد بدر) بالنصب اسم « أن » أى ما أحب أنى شهدت بدراً ولم أشهدها . قال ذلك لما ظهر له بحسب نظره : أن ليلة العقبة كانت أفضل . لأنها وقعت قبل الهجرة ، والمسلمون قليل ، والاسلام ضعيف (وإن كانت بدر أذكر) بالنصب ، أى أشهر ذكراً (فى الناس منها) بالفضيلة ، وقد قدّموا فى عدّ طبقات الصحابة من شهد العقبة الثانية على من شهد بدراً *(فكان من خبرى حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة) باسكان الزاى . ويقال « غزاة » بفتح المعجمة والزاى وإبدال الواو ألفاً . فهما مفرد « غزوات » وعن ثعلب : « الغزوة » المرة . « والغزاة » عمل سنة كاملة . ذكره أول المغازى من الفتح * (تبوك أنى) بفتح الهمزة ، هى ومدخولها اسم « كان » (لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى) فيه تفضيل الشىء على نفسه باعتبار تعدد الزمان . كما فضل الكحل حال كونه فى عين زيد مثلا على نفسه حال كونه فى عين غيره ، باعتبار تعدد المكان فى قولهم « مارأيت أحداً أحسن فى عينه الكحل منه فى عين زيد » * (حين) أى زمن (تخلفت عنه فى تلك) الغزوة (والله ماجمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما

فى تلك الغزوة ، وَلم يَكُنْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُرِيد غزوة إلاَّ وَرَّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوةُ ، فغزاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى حَرٍّ شديد ، واستقبل سَفَراً بعيداً ومَفازاً . وَاسْتَقْبَلَ عَددًا كَثِيرًا ، فَجَلا للمسلمين أمْرَهم لِيتأهَّبوا أُهْبَةَ غَزْوِهم ، فأخبرَهم بِوَاجِهِهِمْ

فى تلك الغزوة) بيان لكونه : أيسر . وكذا لكونه : أقوى . إن أريد به القوة العارضية الحاصلة بالأسباب ، وإن أريد به القوة فى البدن فسكت عن ذكر مايبينه (ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها) أى أوهم . زاد أبوداود «وكان يقول : الحرب خِدْعة » * (حتى) غاية للتورية (كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد) يخاف منه الهلاك (واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً) ويقال « مفازة » أى برية طويلة قليلة ، وهو بفتح الميم .قيل مأخوذ من «فاز الرجل» إذا هلك ، وقيل : على سبيل التفاؤل بفوزه ونجاته منها . كما يقال لِلَّديغ : سليم (واستقبل عدداً كثيراً » وفى بعض نسخ الصحيح « عدواً » ، وكأن حكمة إعادة العامل : أن هذا نوع غير معمول « استقبل » المذكور أولا * (فجَلا للمسلمين أمرهم) بتخفيف اللام وتشديدها[١] ، أى كشفه وأوضحه ، وعرَّفهم ذلك من غير تورية (ليتأهبوا أهبة غزوهم) بضم الهمزة وإسكان الهاء ، أى ليستعدوا بما يحتاجون إليه فى سفرهم ذلك ، ثم هو هكذا فى نسخ الرياض بالمعجمة فالزاى . وهو كذلك فى صحيح مسلم . وفى صحيح البخارى «عدوهم» بالمهملتين وتشديد الواو (فأخبرهم بوجههم) أى بقصدهم ، وهو

---

(١) قال المصنف فى شرح مسلم . بتخفيف اللام . أى كشفه . ولم يذكر فيه التشديد .

الذى يُريدُ ، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرٌ . ولا يَجْمعهم كتابٌ حافظٌ .

كذلك بالموحدة أوله . فى بعض نسخ مسلم ، وفى غيره « تَوَجُّهَهم » بالفوقية بدل الموحدة ، أى مقصدهم (الذى يريد) وفى تلك «الذى يريدون» والعائد عليهما محذوف

* وسبب تلك الغزوة : أنه صلى الله عليه وسلم بلغه أن الروم تجمّعت بالشأم مع هِرَقْل ، أى لحربه . فنَدَبَ صلى الله عليه وسلم الناسَ إلى الخروج لذلك (والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير) جملة حالية من فاعل « غزا » . وعِدَّةُ من كان معه صلى الله عليه وسلم : ثلاثون ألفا . وعن أبى زُرعة سبعون ألفا . وفى رواية عنه ، أيضاً : أربعون ألفا(١) . ووجه الجمع : أن من قال : كانوا سبعين ألفاً عَدَّ التابع والمتبوع . ومن قال : ثلاثين ، أو أربعين عَدَّ المتبوعين . أو أهل القتال (ولا يجمعهم كتاب حافظ) حال متداخلة . ثم روى فى صحيح البخارى

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (ج ٨ ص ٨٠) وزاد فى رواية معقل : « يزيدون على عشرة آلاف . ولا يجمع ديوان حافظ » وللحاكم فى الاكليل ، من حديث معاذ «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفا» وبهذه العدة جزم ابن إسحاق . وأورده الواقدى بسند آخر موصولا . وزاد « أنه كان معهم عشرة آلاف فرس » فتحمل رواية معقل على إرادة عدد الفرسان . ولابن مردويه «ولا يجمعهم ديوان حافظ » يعنى كعب بذلك : الديوان . يقول : لا يجمعهم ديوان مكتوب . وهو يقوى رواية التنوين . وقد نقل عن أبى زرعة الرازى «أنهم كانوا فى غزوة تبوك أربعين ألفا» ولا تخالف الرواية التى فى الاكليل : « أكثر من ثلاثين ألفا » لاحتمال أن يكون من قال أربعين ألفا جبر الكسر . وقوله « يريد الديوان » هو كلام الزهرى . وأراد بذلك الاحتراز عما وقع فى حديث حذيفة « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اكتبوا لى من تلفظ بالاسلام » وقد ثبت أن أول من دون الديوان عمر رضى الله عنه

يريد بذلك الديوانَ ـ قالَ كعبٌ « فقلّ رجلٌ يريد أنْ يتغيّبَ إلا ظَنَّ أنّ ذلك سَيَخْفَى له ، مالم يَنْزِل فيه وَحْيٌ من الله تعالى ،وغزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزْوَة حين طابَتِ الثمارُ والظِّلاَل فأنَا إليها أصْعَرُ ، فتَجَهَّزَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، وَطفِقْتُ أغدو لِكَيْ أتجَهّزَ معه ، فأرجعُ ولم أقْضِ شيئًا .

بتنوينها . وفى صحيح مسلم بالاضافة * قال ابن شهاب الزُّهْرِيّ (٢) (يريد) أى كَعبٌ (بذلك) أى بالكتاب الحافظ (الديوان) بكسر الدال على المشهور . وحكى فتحها : فارسى معرب . وقيل : عربى (قال كعب : فقلّ رجل) وفى البخارى « فما رجل » (يريد أن يتغيب) أى يغيب (إلا ظن أن ذلك سيخفى له) وقع فى جميع نسخ مسلم باسقاط « إلا » . قال المصنف رحمه الله فى شرحه : والصواب إثباتها . قال القرطبى : هى لايجاب ماتضمنه « قلّ » من معنى النفى . لأن معنى « قل رجل » ما رجل ، فكأنه قال : ما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن اه * (مالم ينزل فيه وحى من الله عز وجل) منبه على تغيبه (وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار) أى أينعت ونضجت ، وآن وقت أكلها (و) طابت (الظلال) بكسر الظاء المعجمة جمع « ظل » (فأنا اليها أصعر) بالمهملتين ، أى أمْيل و « الصَّعَر » الميل (فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم و) تجهز (المسلمون معه وطفقت) من أفعال الشروع « جَعَلْتُ » . يقال : « طفق » بكسر الفاء وفتحها وبابدال الفاء بموحدة (أغدو لكى أتجهز معه ، فأرجع ولم أقض) شيئا من أمرى

---

(١) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحرث ابن زهرة ، الزهرى القرشى أحد الأئمة الأعلام . وعالم الحجاز والشام قال الليث ابن سعد : مارأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب . مات سنة ١٢٤

وأقولُ فى نفسى : أنا قادرٌ على ذٰلك إذا أردتُ ، فلم يزَلْ ذلك يَتمادَى بِى حتى استَمَرَّ بالناسِ الجِدُّ ، فأصْبَحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غادِياً والمسلمون معه . ولم أقضِ من جِهَازى شيئاً ، ثم غَدَوْتُ فرَجعْتُ ، ولم أقْضِ شيْئًا ، فلم يَزَلْ ذٰلك يتمادَى بِى حتّى أسْرَعوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ ، فَهَمَمْتُ أنْ أرْتَحِلَ فأُدْرِكَهم ، فيا لَيْتَنِى فعلتُ ، ثمَّ لم يُقَدَّرْ ذلك لى . فكنتُ إذا خرَجْتُ فى الناسِ

(وأقول فى نفسى أنا قادر على ذلك) أى على التجهز (إذا أردت) أى لسعة الوقت (فلم يزل ذلك) أى التسويف فى الأمر (يتمادى بى حتى استمر بالناس الجِدُّ) بكسر الجيم ، أى الاجتهاد فى أمر السفر وشأنه (فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا . و) أصبح (المسلمون معه) أى مصاحبين له فى السفر (ولم أقض من جهازى) بفتح الجيم وكسرها ، أى أهبة سفرى (شيئاً . ثم غدوت) أى سرت أول النهار (فرجعت) من غُدُوِّى (ولم أقض شيئا) أى من جهازى (فلم يزل ذلك) أى الغدو لقضاء الجهاز وعدم قضائه (يتمادى بى حتى أسرعوا) بالمهملات وَصَحَّفَهُ الكُشْمَيْهِنى . فرواه فى صحيح البخارى « شرعوا » بحذف الهمزة وإعجام الشين (وتفارط) بفوقية ففاء وراء وطاء ، مهملتين (الغزو) بإعجام الغين ، أى تقدم الغزاة . والفارط والفرط : المتقدم ، وجمعه : أفراط (فهممت أن أرتحل فأدركهم ، فيا) قوم (ليتنى فعلت) وخلصت من ورطة التخلف * وفيه الندم على مافات من عمل البر ، والنهى عنه على مافات : محمول على مافات من الأعراض الفانية (ثم لم يقدر أى الارتحال (لى) ومالم يقدر لا يكون (فطفقت إذا خرجت فى الناس) أى

بعدَ خروجِ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحْزِنُنِي أنِّي لا أرَى لى أُسْوَةً ؛ إلا رجلاً مَغْمُوصًا عليه فى النِّفاق ، أو رجلا مِمَّنْ عَذَرَ الله تعالى مِن الضُّعَفَاءِ ، ولم يَذْكُرْنِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم حتى بَلَغَ تَبُوكَ ؛ فقال ـ وهو جالسٌ فى القومِ بتبوكَ ـ ما فَعلَ كعبُ بنُ مالك ؟ فقال رجلٌ مِن بَنى سَلِمة : يَارَسُول الله ، حبَسه بُرْداه

المتخلفين من مؤمن معذور ، أو منافق مغرور (بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني) بفتح التحتية وضم الزاى ، من « حزن » ويجوز ضم التحتية وكسر الزاي ، من « أحزن » (أن) وفى نسخة « أنى » (لاأرى لى أسوة) فاعل « يحزن » . والظرف فى محل الحال من « أسوة » وهى بضم الهمزة وقد تكسر ، القدوة (إلا رجلا مغموصا) باعجام الغين وإهمال الصاد ، أى مطعونا (عليه) فى دينه ، محتقرا متهما (فى النفاق) أى إظهار الاسلام وإخفاء الكفر . ولايخفى ما اشتملت عليه هذه الجملة من الاستعارة المكنية . ومايتبعها من الاستعارة التخييلية (أو رجلا ممن عذر الله) أى عذره الله (من الضعفاء) بيان لـ«من» (ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك) هكذا فى نسخ الرياض ممنوع الصرف . على إرادة البقعة . قال المصنف : وهو فى أكثر نسخ الصحيحين « تبوكا » بالصرف . وكأنه صرفه لارادة المكان . دون البقعة (فقال — وهو جالس فى القوم — بتبوك : مافعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سلمة) بكسر اللام ، بطن من الأنصار . واسم ذلك الرجل : عبد الله بن أنيس ، كما قاله الواقدى فى المغازى [1] (يارسول الله حبسه برداه) بضم الباء ، يعنى الرداء والازار

---

(١) قال الحافظ فى الفتح : وفى رواية معمر « من قومى » وعند الواقدى : أنه عبد الله بن أنيس . وهذا غير الجهنى الصحابى المشهور . وقد ذكر الواقدى فيمن استشهد باليمامة : عبد الله بن أنيس السلمى ـ بفتحتين ـ فهو هذا .

والنظرُ في عِطْفَيه ، فقال له معاذُ بنُ جبل رضى الله عنه : بِئْسَما قلتَ .
والله يارسولَ الله ، ما عَلِمْنَا عليه إلاَّ خيراً ، فسكت رسولُ الله صلى
الله عليه وسلم . فبَيْنَا هو على ذلك رأى رَجُلاً مُبَيِّضًا يَزُولَ به السَّرَابُ
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُنْ أبَا خَيْثَمَةَ ،

أو الرداء والقميص ، وسماهما بردين لأن الازار والقميص قد يكونان من بُرُد ،
والبرود : ثياب من اليمن فيها خطوط ، ويحتمل أن أحدهما كان بُرْدا ، وتسميتهما
بردين على طريقة العمرين والقمرين (والنظر فى عِطْفيه) بكسر المهملة الأولى
أى جانبيه . كناية عن العُجب * قال القرطبي : وكأن هذا القائل كان فى
نفسه حقد على كعب . ولعله كان منافقا . فنسب كعبا إلى الزهو والكبر . وكانت
نسبة باطلة ، بدليل رد العدل الفاضل معاذ بن جبل عليه ، كما قال : (فقال له معاذ بن جبل
رضى الله عنه : بئسما) أى بئس هو قولا (قلت ، والله يارسول الله ، ماعلمنا عليه
إلا خيراً) ففيه جواز ذم المتكلم بالعيب والتقبيح فى حق المسلم ، ونصرة المسلم فى غيبته .
والرد عن عرضه اه * وما زعمه من احتمال نفاق القائل : فيه نظر . لأن عبد الله بن أنيس
لم يتهم بذلك ، والأولى : حمله على أنه صدر منه ذلك من غير فكر وَرَوِيَّة ،
وقصد إلى معايبه القبيحة الردية . والله تعالى أعلم بحقيقة الحال * (فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم) أى عن السؤال عن حال كعب . زاد مسلم على البخارى (فبينما
هو على ذلك رأى رجلا مبيضا) بكسر التحتية اسم فاعل من البياض . أى لابس
البياض . يقال : هم المبيِّضة والمسَوِّدة . بالكسر . أى لابسو البياض والسواد
(يزول) أى يتحرك و ينهض (به السراب) هو ما يظهر للانسان فى الهواجر فى البرارى
كأنه ماء (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أباخيثمة) لفظه لفظ الأمر .
ومعناه الدعاء . كما يقال « أسلم » أى سلمك الله . قاله السهيلي * وقال المصنف

فاذا هو أبو خَيْثَمة الأنصارىُّ ، وهو الذى تَصَدَّق بصاعِ التَّمر حين لَمزَهُ المنافقون ـ قال كعب : فلمّا بلغنى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم قد توَجَّهَ قافلاً من تبُوكَ حضرَنى بَثّى ؛ فَطَفِقتُ أتذكَّرُ الكَذِبَ وأقولُ : بمَا

رحمه الله فى شرح مسلم : قيل : معناه : أنت أبو خيثمة ، قال ثعلب : العرب تقول : كن زيداً ، أى أنت زيد ، قال القاضى عياض : والأشبه عندى : أن « كن » هنا للتحقيق والوجود ، أى : لتوجد ياهذا الشخص أبا خيثمة حقيقة ، وهذا الذى قاله القاضى هو الصواب . وهو معنى قول صاحب التحرير : تقديره : اللهم اجعله أبا خيثمة اه [(١)] (فاذا هو أبو خيثمة الأنصارى) « إذا » فجائية ، والجملة بعدها فى محل جر بالاضافة (و) أبو خيثمة (هو الذى تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون) واللمز الطعن والعيب . انتهت زيادة مسلم * واسم أبى خيثمة : عبد الله بن خيثمة . وقيل : مالك بن قيس . ولهم أبو خيثمة صحابى آخر ، اسمه : عبد الرحمن بن أبى سَبْرة الجُعْفِىّ (قال كعب : فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم) بفتح الهمزة هى ومعمولاها فاعل « بلغ » (قد توجه قافلا) أى راجعا (من تبوك) بالصرف وعدمه على ما تقدم (حضرنى بَثّى) جواب لـ « لما » وعند البخارى « حضرنى همّى » و« البث » أشد الحزن ، وبه يعلم أن عطف الحزن عليه فى قوله تعالى [١٢ : ٨٦] إنما أشكو بَثّى وَحُزْنِى إلى الله) من عطف العام على الخاص . لا المرادف . خلافا لما فى شرح « بانَتْ سُعاد » لابن هشام (فطفقت) أى أخذت من باب أفعال المقاربة . تقدمت لغاتها (أتذكر الكذب) أى مايقبله السامع من الآتى به . والجملة خبر « طفق » (وأقول) عطف على خبر « طفق » (بما) كذا هو بأثبات الألف

---

(١) أى كلام الامام النووى فى شرح مسلم . وقد شرح الحافظ فى الفتح هذه الجملة . فلعلها كانت فى نسخته من البخارى

أَخْرُجُ من سَخَطه غداً ، وأستعينُ عَلَى ذلك بكلِّ ذى رَأْيٍ من أَهْلِي ، فَلَما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أَظَلَّ قادِما زاحَ عَنِّى الباطلُ ،

فى الأصول المصححة ، ومقتضى قاعدة وجوب حذف ألف « ما » الاستفهامية إذا جُرَّت نحو « عَمَّ يتساءلون » أن يكون بحذفها ، ولعله جاء على الاستعمال القليل (١) أى أقول : بأى شىء من الأعذار مطابقاً للواقع أم لا . كما يدل عليه السياق (أخرج من سخطه) بفتحتين ، أو بضم فسكون ، أى من كراهيته لتخلُّفى ، وعدم رضاه به (غداً وأستعين) عطف على « أتذكر » (على ذلك) أى المخرج لى من سخطه وعدم رضاه (بكل ذى) أى صاحب (رأى من أهلى) ثم لايشكل ماذكره من تذكره الكذب والاستعانة عليه بما تقرر من عدالة الصحابة رضي الله عنهم . لأنه رأى جواز فعل ذلك ، لما فيه من ارتكاب أخفِّ الضررين دفعا لأشدهما . وهو سخطه صلى الله عليه وسلم ، على أن الله سبحانه وتعالى قد حفظه من فعل ذلك . وسلك به بمنه وكرمه بصدقه أحسن المسالك * (فلما قيل) أى تُحدِّث . وليس المراد منه تضعيف المخبر عنه (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم) بكسر الهمزة ، محكى بالقول . وهو نائب الفاعل . لأن الاسناد لفظى ، أى قيل هذا اللفظ (قد أظل) بالمعجمة المشالة ، أى أقبل ودنا . كأنه ألقى عليه ظله (قادما) حال من فاعل « أظل » (زاح عنى الباطل) أى زال وذهب ، ويقال «أزاح» أيضا . والمصدر «زوحا» قاله الأصمعى . و « زيحا » كما فى المصباح .

---

(١) الذى فى نسخة مسلم (طبع استامبول) « بم » وفى صحيح البخارى «بماذا» وعليهما لا إشكال ثم إن إثبات ألف « ما » المجرورة بالحرف حكاه الأخفش لغة . والمجرورة بالاسم جوزه الشاطبي ونقله عن سيبويه .

حتى عَرَفتُ أنّى لم أَنْـجُ منه بشىءٍ أبدا . فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ ، وَأَصْبَحَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم قادِمًا ، وكان إذاقدِم من سَفَر بدأ بالمَسجد ، فركعَ فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه الْمُخَلَّفون يعتذرون إليه ، ويَحْلِفون له ، وكانوا بِضْعًا

و « زيحانا» قاله الكسائى ، والمراد بالباطل : ما كان عزم عليه من التنصل من سخطه بالاخبار بغير مطابق للواقع * (حتى) استئنافية أو عاطفة (عرفت أنى لم أنج) بفتح الهمزة وسكون النون وضم الجيم (منه) أى من سخطه نجاة نافعة (بشىء)أى من الكذب . وفى نسخة «بشىء فيه كذب» (أبدا) أى لأ أنجو به نجاة أبدية . وإن نجوت به فى الحال . لكن يحصل خلافه عند كشف الله لنبيه عن حقيقة الأمر الحالى . كما جرى للمنافقين ، و«الأبد» الزمن المستقبل * (فأجمعت صدقه) أى عزمت عليه . يقال : أجمع أمره ، وعلى أمره ، وعزم عليه : بمعنى * (وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما . وكان إذا قدم) بكسر الدال مضارعه « يقدَم» بفتحها (من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين) تحية المسجد ، إنما كان يفعل ذلك ليبدأ بتعظيم بيت الله قبل بيته . وليقوم بشكر نعمة الله عليه فى سلامته . وليسن ذلك فى شرعه لأمته . كذا فى المفهم . ثم جملة «وكان» تحتمل العطف على جملة «أصبح» والحالية من فاعل « أصبح» * (ثم جلس للناس) أى ليسلموا عليه ، ويهنئوه بالسلامة (فلما فعل ذلك) أى المذكور ، من صلاة التحية والجلوس للناس معتكفا . كما يومىء إليه علو مقامه ، فلذا دارت أفعاله بين الوجوب والندب ، والاعتكاف يحصل بما زاد على الطمأنينة ، ولا يتوقف على الصوم (جاءه المخلَّفون) اسم مفعول . أى عن الخروج معه إلى تبوك * قال أبو حيان فى النهر : لفظ «المخلفون» يقتضى الذم والتحقير . وهى أمكن من لفظ «المتخلفين» إذ هم مفعول بهم ذلك اه * فطفقوا (يعتذرون إليه) من تخلفهم عنه (ويحلفون له) على ما يعتذرون به (وكانوا بضعا

وثمانين رجلا ، فقَبِل منهم عَلانِيَتَهم ، وبايَعهم ، واستغفر لهم ، وَوَكَل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئتُ

وثمانين رجلا) والبضع والبضعة — بكسر الباء الموحدة وسكون المعجمة — ما بين الثلاث إلى التسع من العدد . وفى هذا : الردُّ على منع استعماله فيما فوق العشرين . ثم منهم من اعتذر بالمرض . ومنهم من اعتذر بغيره مما هو كاذب فيه * (فقبل منهم علانيتهم) بتخفيف التحتية ، اسم مصدر من « عَلَن الأمر ، يَعْلُن علونا » كدخل . أو من « عَلِن يَعْلَن علنا » كطرب ، أى ما أظهروه ، إجراء للاحكام على ظاهر الأمر (و بايعهم) بالموحدة (واستغفر لهم) أى سأل الله غفر ذنب المتخلف عنه (ووكَل) بتخفيف الكاف (سرائرهم) جمع « سريرة » أى ما أخفوه من النفاق وقصد الاخبار بخلاف الواقع (إلى) علم (الله تعالى) وفى الحديث « إنما أحكم بالظواهر ، والله يتولَّى السرائر »[1] (حتى جئت) « حتى » حرف ابتداء ، لدخولها على الماضى . وليست حرف جر بعدها « ان »

---

(١) قال العجلونى فى كشف الخفا (ج ١ ص ١٩٢) قال السيوطى فى اللآلىء : هو عن ثابت بهذا اللفظ . ولعله مروى بالمعنى من أحاديث صحيحة . ذكرتها فى الأقضية من الذهب الابريز . وقال فى المقاصد : اشتهر بين الاصوليين والفقهاء بل وقع فى شرح مسلم للنووى فى قوله صلى الله عليه وسلم « إنى لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم » مانصه : معناه أنى أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر . كما قال النبى صلى الله عليه وسلم اه . قال : ولا وجود له فى كتب الحديث المشهورة ولا الأجزاء المنثورة . وجزم الحافظ العراقى بأنه لا أصل له . وكذا المزى وغيره وقال القارى : وممن أنكره الحافظ ابن الملقن فى تخريج أحاديث البيضاوى . وقال الزركشى : لا يعرف بهذا اللفظ . وقال الحافظ عماد الدين بن كثير فى تخريج أحاديث المختصر : لم أقف له على سند . ولكن فى صحيح البخارى عن عمر « إنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم » وقد أطال فى كشف الخفاء القول فى تحقيقه

فلما سَلَّمتُ تبَسَّم تبسُّم َالمُغْضَبِ ، ثم قال : تعالَ ، فَجِئتُ أمْشِى ، حتى جَلَسْتُ بين يَدَيه . فقال لى :

مضمرة ، خلافا لابن ، مالك فقد ردّه عليه ابن هشام : بأنه لايعرف له فيه سَلَفاً . ولاعاطفة . لأنها لاتعطف الجمل ، خلافا لابن السِّيد فى زعمه إجازة ذلك * قال فى المغنى : وذلك لأن شرط معطوفها أن يكون جزءا مما قبلها ، أو كجزئه . ولا يتأتى ذلك إلا فى المفردات اه . وحينئذ فالجملة مستأنفة * (فلما) الفاء فصيحة ، أى جئت فسلمت فلما (سلمت عليه تبسم تبسم المغضب) بفتح المهملة من الأول . فعل ماض جواب « لما » وضمها من الثانى مصدر مفعول مطلق « والمغضب » اسم مفعول ، أى الغضبانُ . وفى التعبير به دونه : ايماء إلى أن الغضب منه صلى الله عليه وسلم إنما يكون عارضا ، بسبب أمر يقتضيه ، و إلا فخُلُقه الكريم الرضى والعفو ، والصفح والتجاوز عما لامعصية فيه من الأمور . قال أنس « خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما قال لى لشىء فعلته : لم فعلته ؟ ولا لشىء تركته : لم تركته ؟[1] » (ثم قال : تعال) بفتح اللام (فجئت) أى عقب الأمر من غير تراخ . ففيه ما كان عليه الصحابة من البدار لأداء أوامره صلى الله عليه وسلم (أمشى) جملة حالية (حتى) غاية لما قبله (جلست[2] بين يديه فقال لى :

---

(١) رواه البخارى فى باب حسن الخلق والسخاء من كتاب الأدب عن أنس . بلفظ « فما قال لى : أف . ولا : لم صنعت . ولا : ألا صنعت ؟ » قال الحافظ فى الفتح (ج ١٠ ص ٣٥٤) وفى رواية مسلم من هذا الوجه « لشىء مما يصنعه الخادم » وفى رواية إسحاق بن أبى طلحة « ماعلمته قال لشىء صنعته : لم فعلت كذا وكذا ؟ ولا لشىء تركته : هلا فعلت كذا وكذا ؟ »

(٢) فى نسخة « سلمت عليه وجلست » وليس ذلك فى شىء من نسخ مسلم ولا البخارى ولا فى غيرهما . فالظاهر أنها خطأ

ما خَلَّفَكَ ؟ أَلَم تَكُنْ قد ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ قال : قلت : يارسول الله ، إِنِّى والله لو جَلَسْتُ عندَ غَيْرِكَ مِنْ أَهلِ الدُّنيا لرَأَيتُ أَنِّى سأَخرج من سَخَطِه بعُذْرٍ . لقد أُعْطِيتُ جَدَلا . ولٰكِنِّى والله لقد عَلِمتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليوم حَديثَ كَذِبٍ ترضَى به عَنِّى ، ليُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسخِطَكَ علىَّ ،

ماذا) أى ما الذى (خلَّفك) أى ما كان سبب تخلفك عن الخروج معنا لتبوك ؟ وإسناد التخلف إليه مجاز عقلى * (ألم تكن قد ابتعت) أى اشتريت (ظهرك) الظهر : هى الإبل التى تركب . وجمعه : ظُهران ، بالضم (قلت : يارسول الله ، إنى والله لوجلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بـ) ذكر (عذر) أبديه مورّيا أو موجها (لقد أعطيت) بالبناء للمجهول (جدلا) بفتح أوليه : الجيم فالمهملة ، أى فصاحة وقوة فى الكلام وبراعة ، بحيث أخرج عن عهدة ماينسب إلىّ إذا أردت ، ثم أكد ما قبله بقوله (ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب) بفتح فكسر (ترضى به عنى) لفصاحته وبراعته الموهمة أنه كذلك فى الواقع (ليوشكن الله أن يسخطك علىّ) « يوشك » بضم التحتية وكسر المعجمة ، مضارع « أوشك » وهو أكثر استعمالا منه . حتى أنكر الأصمعى مجيئه ماضيا ، وإن كان مردودا بمجيئه كذلك فى كلامهم ، وهو من أفعال المقاربة * ثم اللام فى «لقد علمت» لام جواب القسم . وفى «لئن» مؤذنة بقسم مقدر ، أتى به تأكيدا المقام ، وقوله «ليوشكن» جوابه ، واستغنى به عن جواب الشرط ، وجملة القسم وجوابه علق عنها فعل العلم . والقسم الأول وجوابه سادٌّ مَسَدَّ خبر «لكن» علة له ، والتقدير : لكنى مع الحال المذكورة لا أفعل ، لعلمى بأن الله يجلّى لك الأحوال ، ويظهر لك الصادق

وإنْ حَدَّثتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فيهِ إنِّي لأَرْجُو فيهِ عُقْبَى اللهِ عَزَّ وجَلّ، واللهِ ما كانَ لى من عُذْرٍ، واللهِ ما كنتُ قطُّ أَقْوَى ولا أَيْسَرَ مِنّى حين تخلَّفتُ عنك. فقال رسولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم: أَمَّا هـذا فقد صَدَقَ. فقُمْ، حتى يَقْضِيَ اللهُ فيك. فَقُمْتُ. وثارَ

والكاذب من المقال * ففيه التنبيه على اجتناب المعاصى. فانها، وإن كانت قد تحلو ساعة مباشرتها بتزيين الشيطان وإغوائه، إلا أنها مُرَّة الجنَى، منغصة فى المعنى لمن استنارت بصيرته، وجليت سريرته * (وإن حدثتك حديث صدق تجد) بكسر الجيم وتخفيف المهملة؛ أى تغضب (علىَّ فيه) أى لأنى ملوم بسببه. واقع فى المخالفة به. وهذه الجملة الشرطية معطوفة على الأولى الواقعة بعد اللام المؤذنة بالقسم * فقوله: (إنى لأرجو فيه) أى الصدق (عقبى الله عز وجل): جواب القسم، و«العقبى» بضم العين المهملة وسكون القاف، أى العاقبة الحسنة. أى أرجو من الله تعالى أن يعقبنى خيرا بتوبته على، وإرضاء نبيه صلى الله عليه وسلم، وقد حقق الله له رجاءه * (والله ما كان لى من) مزيدة لاستغراق النفى (عذر) أى حقيقى فى التخلف، فأعتذر به (والله ما كنت قط) بفتح القاف وتشديد المهملة المضمومة على الأفصح (أقوى) أى فى البدن (ولا أيسر) أى فى المال (منى) هو المفضل عليه، وتفضيل الشىء على نفسه باختلاف الزمان (حين) أى وقت (تخلفت عنك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما) بفتح الهمزة وتشديد الميم، حرف فيه معنى الشرط والتفصيل (هذا فقد صدق، فقم) الفاء فيه فصيحة، أى حيثما صدقت فقم (حتى يقضى الله) أى يبدى فى عالم الشهادة ماسبق به قضاؤه الأزلى (فيك) أى فى شأنك، أى من المؤاخذة بجريرة ذنب التخلف المحرّم من غير عذر، أو العفو عنه، أو التوبة عليه والرضى عنه. لما تجرعته من مرارة الصدق الشاق عليك لما ترتب عليه (فقمتُ وثار) بالمثلثة أى

رِجالٌ من بَنِى سَلِمةَ ، فاتَّبعونى ، فقالوا لى : وَاللهِ ما علمنَاكَ أَذْنَبْتَ ذنبًا قبل هذا ، لقد عَجَزتَ فى ألاَّ تكونَ اعتذرتَ إِلَى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المُخَلَّفونَ ، فقَد كان كافيكَ ذنبَكَ استغفارُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم لكَ . قال : فوالله مازالوا يُؤَنِّبونني حتى أَردتُ أَن أَرجعَ إِلى رسول اللهصلى الله عليه وسلم فأُكَذِّبَ نفسِى. قال : ثم قلتُ لهم : هل لَقِيَ هذا معىمِنْ أَحَدٍ ؟ .

وثب (رجالمن بنىسلمة) بفتح المهملة وكسراللام ، بطن من الأنصار (فاتبعونى فقالوا : واللهماعلمناكأذنبت ذنبًا) الجملةفىمحل المفعول الثانى لعلم (قبلهذا)التخلف (لقد عجزت) بفتح الجيم على الأفصح (فى) تعليلية نحو ([١٤:٢٤] لمسَّكم فيما أَفَضْتُمْ) * (ألا تكون اعتذرت) أى بسبب عدم اعتذارك (إلى رسول الله صلى الله عليهوسلمبما) أى بمثل الذى (اعتذربهإليه المخلفون) فان كان ذنبالكونه كذبانلمتورِّ (فقد كان كافيك) بالنصب خبر « كان » و (ذنبك) مفعوله الثانى ، أومنصوب على نزع الخافض (استغفار رسول الله صلىعليه وسلم لك) اسم « كان » وأعربه الحافظ فاعل الوصف . وعليه تكون « كان » تامة . والوصف فاعلها ، والاستغفار فاعله * (قال) كعب (فوالله مازالوا يؤنبوننى) بضم التحتية وفتحالهمزة ، ثم نون مشددة مكسورة . ثم موحدة ، أى يلوموننى أشد اللوم (حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم فأكذب نفسى) أى أقول : إنها كاذبة فى قولى السابق « ماكان لى من عذر » * (ثم قلت لهم : هل لقى هذا) أى الصدق فى المقال وذكر الواقع الذى لمتمونى به (معى من) مزيدة (أحـد) فيهون على

قالوا: نعم. لَقِيَه معك رجلان قالا مثلَ ماقلتَ. وقيل لهما مثل ما قيل لك. قال: قلتُ: مَنْ هُما؟ قالوا: مُرارة بن رَبيعةَ العامِرِىُّ، وهِلالُ ابن أُميَّةَ الواقفىُّ.

الأمر، وأجد لى مساويا فى ذلك (قالوا: نعم: لقيه رجلان قالا مثل ما قلت) أى من الاخبار بانتفاء العذر المانع من الخروج (وقيل لهما مثل ما قيل لك) أى من انتظار ظهور ما سبق به القضاء فى شأنهما (قال) كعب (قلت: من هما؟ قالوا) هما (مرارة) بضم الميم وتكرار الراء (ابن الربيع العامرى) هذا لفظ مسلم * قال المصنف رحمه الله فى شرحه: هكذا هو فى جميع نسخ مسلم «العامرى» وأنكره العلماء، وقالوا: هو غلط. إنما صوابه «العمرى» بفتح المهملة وإسكان الميم من بنى عمرو بن عوف. وكذا ذكره البخارى. وكذا نسبه محمد بن إسحاق وابن عبد البر، وغيرهما من الأئمة، قال القاضى عياض: هو الصواب. ووقع عند مسلم أيضاً فى النسخ «ربيعة» ووقع فى البخارى «ابن الربيع» [1] قال ابن عبد البر: يقال: بالوجهين * (وهلال) بوزن بلال (بن أمية) بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر ابن كعب بن واقف بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس (الواقفى) بقاف ففاء،

---

(١) قال النووى فى شرح مسلم: وأما قوله «ابن ربيعة» فكذا وقع فى نسخ مسلم. وكذا نقله القاضى عن نسخ مسلم، ووقع فى البخارى الخ اه. وقد ذكر الحافظ فى الفتح (ج ٨ ص ٨٢) عن ابن أبى حاتم من مرسل الحسن «أن سبب تخلف مرارة: أنه كان له حائط حين زهى. فقال فى نفسه: قد غزوت قبلها. فلو أقمت عامى هذا. فلما تذكر ذنبه قال: اللهم إنى أشهدك أنى تصدقت به فى سبيلك» وفيه «أن هلالا كان له أهل تفرقوا ثم اجتمعوا. فقال: لو أقمت هذا العام عندهم. فلما تذكر ذنبه قال: اللهم لك على أن لا أرجع إلى أهل ولا مال»

قال : فذكَرُوا لى رجلين صالحين ، قد شهدَا بَدْرًا ، فيهما أُسْوَةٌ . قال : فمَضيتُ حين ذكروهُما لى * ونَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيُّهَا الثلاثَةُ

منسوباً إلى بنى واقف المذكور فى النسب . واسمه : مالك ، بطن من الأنصار * (قال فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا) أى غزوة بدر الكبرى . وأهلها لهم الشرف الأعلى ، ثم ماذكره من شهودهما بدرا كذا فى الصحيحين * قال ابن الجوزى فى جامع المسانيد : إنه من أوهام الزهرى ، فلم يذكرهما أحد فى البدريين ، وقد سئل الشرف الدمياطى عن كلام ابن الجوزى هذا فأقره عليه وأيده ، نقله عنه ابن السبكى فى ترجمته من الطبقات الكبرى . وتعقبه الحافظ فى الفتح : بأن الظاهر من صنيع البخارى أن « قد شهدا بدراً » من كلام كعب . وممن جزم بأنهما شهداها الأثرم . وتعقبه ابن الجوزى . ونسبه إلى الغلط فلم يُصِبْ . واستدل بعضهم لكونهما لم يشهداها بما لا دليل فيه : من هجرانه صلى الله عليه وسلم لهما وترك مثل ذلك فى حق حاطب . وقد فعل ما فعل ، فقال فى حقه : « إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطّلع على أهل بدر ــ الحديث » فلو شهداها لصفح عنهما كحاطب . وليس ما يومىء إليه كلامه من عدم مؤاخذة البدرى بما يعمل : كذلك ، وإنما صفح عن حاطب لتبين عذره فى مكاتبته ، بخلاف كعب وصاحبيه . إذ لا عذر لهما فى التخلف انتهى ملخصاً [١] * (فقلت : لى فيهما أسوة) بضم الهمزة وكسرها ، أى قدوة . وفى العبارة تجريد ، إذ هما الأسوة * (قال) كعب (فمضيت) أى مصمما على ماوقع منى من الاخبار بالصدق (حين ذكروهما لى) بمثل ذلك (ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة [٢]) * ففيه وجوب هجران من ظهرت

---

(١) راجعه موضحا خيراً مما هنا فى الفتح (ج ٨ ص ٨٣)

مِنْ بينِ مَنْ تخلّفَ عنه . فاجْتَنَبنَا الناسُ — أوقال : تَغيَّروا لنا — حتى تَنَــكَّرَتْ لى فى نفسى الْأَرْضُ . فما هى بالأرْضِ التى أعْرِفُ . فلبِثْنَا على ذلك خمسين ليلةً ،

منه المعصية فلا يسلم عليه الى أن يقلع وتظهر توبته . كذا فى المفهم . « وأىّ » بالضم . « والثلاثة » مرفوع على الصفة . لأىّ ، تبعاً للفظها . ومحلها نصب على الاختصاص . حكى سيبويه عن العرب « اللهم اغفر لنا أيتها العصابة » وهذا مثله * (من بين) أى دون (من) أى سائر الذى (تخلف عنه) وذلك لرفع شأن هؤلاء الكرام . وإعراضه عن باقى المتخلفين لأنهم اعتذروا ، ومنهم المعذور حقيقة ، ومنهم المنافقون ، اعتذروا ظاهراً ، فقبل منهم ذلك . لأن الأحكام الشرعية مبناها عليه ، وقد فضح الله سرائرهم ، وأظهر للمؤمنين ضمائرهم . كما يأتى آخر الحديث * (قال فاجتنبنا) بفتح الموحدة (الناس) أى صاروا لنا مجانبين (أو) شك من الراوى (قال فتغيروا لنا) عما كنا نعهده من الانس والوداد منهم (حتى تنكرت) غاية لما قبلها . و « تنكرت » تغيرت (لى فى نفسى الأرض) فاعل « تنكر » والظرفان متعلقان به ، أى تغيرت لى لا لغيرى فى نفسى ، أى عندها لا فى نفس الأمر . وحاصله : أن تكدر الأحوال يوهم النفس تغير الدار ويخيل إليها مالم يقع بحال * (فماهى) أى الأرض الآن (بالأرض التى أعرف) والحاصل : أنه لعظم ما اشتد عليه الأمر . توهم أنه تغير عليه كل شىء حتى الأرض ، فانها توحّشت ، وصارت كأنها غير الأرض التى كان يعرفها قبل ذلك * (فلبثنا) أى أقمنا (على ذلك) المذكور من الانتظار لما يبدو فى عالم الشهادة مما سبق به القضاء ، وهجر الناس لنا (خمسين ليلة) أى ونهاراً ، وحذف اكتفاء بذكر

فأمَّا صاحِباىَ فاستَكانا ، وقعَدَا فى بيوتِهما يبْكِيانِ . وأمَّا أنا فكُنتُ أشَبَّ القومِ وأجْلَدَهم ، فكنتُ أخرجُ فأشْهَدُ الصلاةَ مع المسلمين وأطُوفُ فى الأسواقِ ، ولا يُكلِّمنى أحدٌ ، وآتِى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

قرينه ، للعلم به من السياق * (فأما) بفتح الهمزة ، تفصيل لبعض حاله وحال صاحبيه (صاحباى) أى المشاركان لى فى هذا الحال (فاستكانا) أى خضعا (وقعدا فى بيوتهما يبكيان) أى على خطيئتهما * ففيه بكاء الانسان على خطيئته . وفى الحديث « وَابْكِ على خطيئتك . وليَسَعْكَ بيتك » * (وأما أنا فكنت أشب القوم) بالمعجمة فالموحدة ، أى أصغرهم سنا (وأجلدهم) أى أقواهم (فكنت أخرج) إلى المسجد وغيره (فأشهد الصلاة) أى المفروضة (مع النبى صلى الله عليه وسلم) أى أشهد الجماعة فى الصلوات المكتوبات (وأطوف) بفتح الهمزة وبالمهملة ، أى أمشى دائرا (فى الأسواق) جمع سوق ، وتقدم : أنها سميت بذلك لسوق الناس بضائعهم إليها ، وقيل : للوقوف فيها على الساق . وَتُعقِّبَ باختلاف المادة . ولعل من حكمة طوفانه فى الأسواق : أنها من محالِّ كرم الله وجوده ، بتيسير تلك الأمور المباعة لطالبها ، وربح جالبها وصاحبها ، فتعرَّض فى محل الرحمات والفيوض المعنوية . وهى المساجد وشهوده الصلوات ، وفى محل الفضل والعطايا الدنيوية . وهى الأسواق ـ : لنفحات الرحمن ، لتعود عليه بالتوبة ، ويظفر بالمرام فى الأوْبة ، ويتنصل عما وقع فيه من الحَوْبة (ولا يكلمنى أحد) معطوفة على « وأطوف » ويصح كونها فى محل الحال (وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم) تشرفا برؤيته ، واستمطارا للفيوض الربانية من حضرته ، وإراحة

فَأسَلِّمُ عليه ، وهو فى مجلسه بعدَ الصلاةِ ، فأَقولُ فى نفسى : هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْه بردِّ السلامِ ، أمْ لا؟ ثم اصلِّى قريبا منه . وأسارِقُه النَّظَرَ ، فإذا أَقبلتُ على صلاتى نظرَ إلىّ . و إذا التَفتُّ نحوَه أعرضَ عَنِّى .

للقلب من ألم الكرب ، ففيه أن حبه له الأكيد لم يغيره عنه ماصدر من الأمر فيه بالتبعيد (فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة) فيه الجلوس عقب الصلاة فى المصلَّى للذكر والدعاء ، ونحوهما . والجملة فى محل الحال ، وأتردد هل رد — عليه الصلاة والسلام — بلسانه علىّ السلام (فأقول فى نفسى : هل حرك شفتيه) بفتح المعجمة ، أى أقول : هل حركهما ناطقا (برد السلام) علىّ ، كما هو قضية صفحه وعفوه . والانزجار : يحصل بعدوله عن الجهر بذلك إلى الاسرار (أم لا) لقضية ماصدر منى من العصيان المقتضى للهجران . و « أم » هنا منقطعة بمعنى « بل » لعدم تقدم الهمزة عليها * (ثم أصلى قريباً منه) للنافلة والرواتب (وأسارقه النظر) بالمهملة والقاف ، أى أنظر إليه فى خفية . ففيه : أن مسارقة النظر فى الصلاة ، وكذا الالتفات لا يبطلها (فاذا أقبلت على صلاتى أقبل على) لما ورد من إقبال المولى سبحانه علي المقبل بقلبه وقالبه على مولاه ، والمصطفى صلى الله عليه وسلم متخلق بأخلاق الله . ففيه أن الاقبال على مرضاة الله سبب لقبول أولياء الله * (وإذا التفت نحوه) فى صلاتى (أعرض عنى) إذ الالتفات فى الصلاة اختلاس من الشيطان ، كما ورد فى الحديث ، مع ماينبىء عنه من الغفلة الشاهد بها خبر « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه »(١) .

---

(١) قال فى الجامع الصغير : رواه الحكيم الترمذى عن أبى هريرة ، وعلم عليه علامة الضعف . ولكن روى الترمذى ـ وصححه ـ عن أنس « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إياك والالتفات فى الصلاة فانه هلكة فان كان لابد ففى التطوع لافى الفريضة » و روى أحمد والبخارى عن عائشة « سألت النبى صلى الله عليه وسلم

حتى إذا طالَ ذَلك عَلَيَّ من جفْوةِ المسلمينَ مَشيتُ حتى تَسَوَّرتُ جِدَارَ حائطِ أبى قَتادة — وهو ابنُ عَمِّى، وأحَبُّ الناس إلىَّ — فَسَلَّمتُ عليه ، فوالله مارد علىَّ السلام .

(حتى إذا طال علىّ ذلك) ابتدائية على الصحيح ، على ما فى المغنى ، أو غاية لمقدر . أى استمررت متصابرا ، حتى إذا طال على ذلك (من)بيانية لذلك (جفوة) بفتح الجيم وسكون الفاء ، أى إعراض (المسلمين) ويجوز أن يكون المشار إليه ماتقدم . و«من» ابتدائية أو تعليليه (مشيت) واستمررت فى المشى (حتى تسورت) بتشديد الواو ، أى علوت سور (جدار حائط) هو البستان إذا كان عليه دائر بناء . وفى الصحاح : التسوُّر النزول من الارتفاع ، ولا يكون إلا من فوق . ويقال : هو الصعود الى مكان مرتفع اهـ * وفيه جواز دخول الانسان دار صديقه وقريبه الذى يَدِلُّ عليه ، ويعرف أنه لا يكره ذلك بغير إذنه ، بشرط أن يعلم أنه ليس هناك نحو زوجة مكشوفة (أبى قتادة) بفتح القاف : الحارث بن رِبْعى — بكسر الراء وسكون الموحدة و بالمهملة — الأنصارى (وهو ابن عمى) أى بحائل . كذا قاله الكرمانى ، ووجهه : أنهما يجتمعان فى كعب بن سلمة ، وهو الجد الخامس لكعب . والسادس لأبى قتادة . وقيل : بل هو ابن عمه حقيقة ، وأن رِبْعيًّا والدَ أبى قتادة أخو مالك والد كعب * (وأحب الناس إلى) أى أكثرهم محبوبية إلىَّ لقرابته فى النسب ، أو لغير ذلك من السبب * (فسلمت عليه . فوالله ما رد على السلام) لعموم النهى عن كلام كعب وصاحبيه * ففيه عدم رد السلام على نحو المبتدع ، وأن السلام كلام ،

عن التلفت فى الصلاة . فقال : اختلاس يختلسه الشيطان » وروى أحمد وأبو داود والنسائى عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم « لايزال الله مقبلا على العبد فى صلاته مالم يلتفت . فاذا صرف وجهه انصرف عنه »

فقلتُ له : ياأَبا قتادةَ ، أَنْشُدُكَ باللهِ ، هلْ تَعْلَمُنى أُحِبّ الله ورسولَه؟[١] فسكتَ . فعُدْتُ ، فناشَدْتُه . فسكتَ ، فعدتُ فناشدته . فقال : اللهُ

فيحنث به من حلف لا يكلم فلانا فسلّم عليه ، أو رده عليه . وإن كان واجبا عليه . وإيثار طاعةً الله ورسوله على مَوَدَّة الصديق والقريب ونحوهما (فقلت له : ياأباقتادة أنشدك) بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة ، أى أسألك (بالله) وأصله من النشيد وهو الصوت (هل تعلمنى) أى بما تراه من الشواهد والآيات . فلا ينافى ما جاء من إنكاره صلى الله عليه وسلم على سعد بن أبى وقاص فى قوله « مالك عن فلان ، فانى لأرُاه مؤمنا » فقال صلى الله عليه وسلم «أومسلما» [٢] أى إن الايمان لكونه قلبيا لاسبيل إلى علمه والجزم به ؛ بخلاف الاسلام ، لتعلقه بالظاهر ؛ ولذا أجابه أبو قتادة بقوله : «اللهورسولهأعلم» * (أحب الله ورسوله) محبتهما : طاعة أمرهما . ومنها الايمان وفعل الطاعات ، وترك مخالفتهما . وماأحسن ماقيل:

تعصى الاله وأنت تُظهِر حبه ؟ هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

* (فسكت) عن الجواب لما تقدم (فعـدت) له (فناشدته) أى نشدته ، والاتيان به من باب المفاعلة للمبالغة (فسكت فعدت) إليه (فناشدته . فقال: الله

---

(١) هذا لفظ البخارى . وفى مسلم « هل تعلمنى أنى أحب الله ورسوله »

(٢) رواه البخارى فى باب إذا لم يكن الاسلام على الحقيقة . وقال الحافظ فى الفتح (ج ١ ص ٦٠) والرجل المتروك : اسمه جعيل بن سراقة الضمرى . سماه الواقدى فى المغازى اه ورواه مسلم

ورسولهأعلمُ ، ففاضَتْ عيناىَ . وتوَلَّيْتُ ، حتى تَسَوَّرْتُ الجِدارَ . فَبَيْنَا أنا أَمشِى فى سُوقِ المدينة إذا نَبَطِىٌّ من نبطِ

ورسوله أعلم) قال القاضي عياض : لعل أبا قتادة لم يقصد بهذا تكليمه به ، لانه منهى عن كلامه . وانما قال ذلك لنفسه لما ناشده بالله . فقال أبو قتادة ، مظهراً لاعتقاده ، لا ليسمعه ، إذ من حلف لايكلم فلانا فسأله عن شيء . فقال : الله أعلم ، يريد إسماعه وجوابه : حنث ، فان لم يرد ذلك فلاحنث اه * قال القرطبي فى المفهم : ويحتمل أن أبا قتادة فهم أن الكلام الذى نهى عنه إنما هو المقتضى للمباسطة وإفادة المعانى ، لامثل هذا ، المقتضى للابعاد والمنافرة . ألاترى أنه لم يرد عليه السلامَ ، ولاالتفت لحديثه ؟ اه * (ففاضت عيناى) مجاز عقلى من الاسناد للمكان . نحو « نهرجار » ومعنى « فاضت عيناى » أي كثرت دموع عينى (وتوليت) راجعا من حيث أتيت (حتى تسورت الجدار . فبينا) ألف الاشباع ، وقيل : هى كافّة لـ « بين » عن الاضافة . كما تقدم . وقيل : أصلها « بينما » بما الكافة ، فحذفت الميم تخفيفا (أنا أمشى فى سوق المدينة) علم بالغلبة على دار هجرته صلى الله عليه وسلم ، وسميت بذلك لأنها يطاع الله فيها . والدين الطاعة[١] (إذا نبطى) بفتح النون والموحدة : الفلاَّح ، سمى به لأنه يستنبط الماء أى يستخرجه ، وسيأتى فيه زيادة فى باب النهي عن تعذيب العبد والدابة [٢] (من نبط)

---

(١) قال فى القاموس : « مدن » أقام . فعل ممات . ومنه المدينة ، للحصن يبنى فى أصطمة - بضم الهمزة ثم سكون الصاد ثم ضم الطاء ثم تشديد الميم - أرض . والجمع : مدائن ومدن - بضم الميم والدال . ومدن - بفتحها . والمدينة : الأمة . وستة عشر بلدا . ومدن المدائن تمدينا : مصرها اه .

(٢) قال الحافظ فى الفتح : وهذا النبطى الشامى كان نصرانيا ، كما وقع فى رواية

أَهلِ الشأْمِ مِمَّن قَدِم بالطَّعام يبيعُهُ بالمدينة ، يقولُ : مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعبِ ابن مالك ؟ فَطَفِقَ الناس يُشيرون له إلىَّ . حتى جاءنى ، فدفع إلىَّ كِتَابًا من ملك غَسَّانَ — وكُنْتُ كاتبا —

بفتح أوليه ، أى فلاحى (أهل الشأم) بالهمزة الساكنة ويجوز تخفيفها . ويقال : الشآم بالهمزة بوزن يَمان . وهو مذكر على المشهور . وقال الجوهرى : يجوز تذكيره وتأنيثه . وسمى بذلك باسم سام بن نوح . واسمه بالسريانية «شام» . وعن ابن الكلبى سمى شاما بشامات له حمر وسود وبيض ، وقيل : سمى به لأنه عن شمال الأرض . وقيل : غير ذلك . وتقدم : أن حَدَّه من العريش إلى الفرات طولا . وقيل : إلى باياس [١] . وعرضا من جبل طَىّ من نحو القبلة ، إلى نحو أرض الروم ، وما سامت ذلك من البلاد . نقله المصنف فى التهذيب عن الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ممن قدم بالطعام) حال كونه (يبيعه بالمدينة) ويصح كونها استئنافا بيانياً (يقول) يجوز فيه ما فى الذى قبله ، والثانى أقرب (من يدل) بضم المهملة (على كعب بن مالك ، فطفق) أى أخذ (الناس يشيرون له إلى . حتى إذا جاءنى دفع إلى كتابا من ملك غسان) بفتح المعجمة وتشديد المهملة آخره نون — واسمه « جَبَلَة بن الأَيْهَم [٢] » وقيل « الحارث بن أبى شمَّر » (وكنت كاتباً)

معمر « إذا نصرانى جاء بطعام لربيعة » ولم أقف على اسم هذا النصرانى . ويقال : إن النبط ينسبون إلى نبط بن هانب بن أميم بن لاوز بن سام بن نوح

(٢) قرية شمال اسكندرونة قرب جبل اللكام . وفى القاموس : أنها بوزن سحاب . قال شارحه : ويروى فيه التشديد .

(٣) قال الحافظ فى الفتح : جزم بذلك ابن عائذ وعند الواقدى : الحارث بن أبى شمر وشمر — بفتح الشين المعجمة وتشديد الميم مفتوحة — ثم راء مهملة — اه . وفى النسخ « سمرة » وهو خطأ

فقرأته ، فاذا فيه : أَمَّا بعدُ ، فانه قد بَلَغَنَا أَنَّ صاحِبكَ قد جفاكَ ، ولم يَجْعَلْكَ اللهُ بِدار هَوانٍ ولا مَضْيَعَة . فالْحق بِنَا نُواسِكَ . فقلت — حين قَرَأْتُهَا — : وهٰذه أيضاً مِنْ البَلاء . فَتَيَمَّمْت بها التَّنُّورَ ، فَسَجَرْتُهَا . حتى إذا مضَتْ أربعون

أى قارئا من إطلاق اللازم و إرادة الملزوم (فقرأته فاذا فيه : أما بعد) بالبناء على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه (فانه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك) أى أعرض عنك (ولم يجعلك الله بدار هوان) أى منقطعاً بدارٍ تهان فيها (ولا بدار ، أو حال (مضيعة) بسكون المعجمة ، ويجوز كسرها مع فتح الميم فيهما ، أى فى دار ، أوحال يضاع فيها حقك ، أى فاذا حصل لك ما عرض حلوله بك (فالحق) بفتح المهملة (بنا نواسك) بضم النون و كسر المهملة ، من المواساة . وحذفت التحتية لأنه فى جواب الطاب. وفى بعض نسخ مسلم إثباتها ، وهو كما قال المصنف صحيح . أى ونحن نواسيك . قطعه عن جواب الأمر * (فقلت حين قرأتها) أى الكتابة المعبر عن جملتها بالكتاب ، أو التأنيث باعتبار المعنى . إذ هو فى معنى صحيفة * (وهذه) الواقعة (أيضا من البلاء) أى الابتلاء ، ليترتب عليه ما يليق ، مما يصدر عنه . من رسوخ قدم يحمد عليه ، أو أمر يوجب الندم (فتيممت) أى قصدت . ولمسلم «فتأممت[1]» وهى لغة (بها التنور) أنث الضمير فى «بها» وفى قوله (فسجرتها) بمهملة وجيم وراء . أى أوقدت الكتاب . لما ذكر آنفا ، والتنور الذى يخبز فيه * قال فى النهاية : يقال إنه فى جميع اللغات كذلك * (حتى إذا مضت أربعون) غاية لمقدر ، أى استمرت على ذلك الأمر المذكور من غير زيادة عليه حتى مضت

---

(١) كذا فى النسخ . والذى فى مسلم « فتيامت » قال النووى : هكذا هو فى جميع النسخ ببلادنا . وهى لغة فى « تيممت » ومعناهما : قصدت

من الخمسين ، واستَلْبَثَ الوَحْىُ ، إذا رَسُولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأْتِينِى . فقالَ : إنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلم يأْمُرُكَ أن تَعْتَزِلَ امْرَأَتك . فقلت : أُطَلِّقُها ،أَم ماذا

أربعون ليلة ويوما (من الخمسين . واستلبث) أى أبطأ ، وجملة «استلبث (الوحى) » من زيادة مسلم على البخارى * (إذا) فجائية (رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى رواية الواقدى « أنه خزيمة بن ثابت » قال : وهو الرسول إلى هلال ومرارة بذلك (يأتينى . فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك) وفى نسخة من التوشيح للحافظ السيوطى : هى عَمْرة بنت جُبَير بن صَخْر . اه . وفى نسخة من تحفة القارى على البخارى ، لشيخ الاسلام زكريا : هى عُميرة بنت جبير ابن صخر . اه . وفى الأصلين المذكورين تحريف من الناسخ فليحرر . ونقل بعضهم عن الحافظ ابن حجر أن اسمها جَبْرة . ثم رأيته قال فى الفتح : هى عمرة بنت جبير بن صخر بن أمية الأنصارية ،أم أولاده الثلاثة : عبدالله ، وعبيدالله ،ومعبد . و يقال : اسم امرأته التى كانت عنده يومئذ : خَيرة بالمعجمة ثم التحتانية اه . وراجعت أسد الغابة لابن الاثير فلم أجد فيه ذكراً لأحد من هؤلاء الثلاثة . والله أعلم [1] * (فقلت) ما المراد من اعتزالها ؟ (أطلقها) بضم الهمزة ، وهمزة الاستفهام مقدرة بدليل قوله (أم ماذا) .

---

(١) بل هى موجودة فى أسد الغابة فى آخر حرف الخاء من قسم النساء . قال « خيرة ، امرأة كعب بن مالك الأنصارى . أخبرنا يحى إجازة باسناده - إلى - الليث بن سعد عن رجل من ولد كعب بن مالك - يقال له عبد الله بن يحى — عن أبيه عن جدته خيرة امرأة كعب بن مالك : أنها أتت النبى صلى الله عليه وسلم بحلى لها - الحديث » ثم قال : أخرجه الثلاثة : ابن منده ، وأبو نعيم ، وابن عبد البر اه . وقد ذكرها الحافظ ابن حجر فى الاصابة فى اسم « خيرة » بالخاء المعجمة . قال ويقال : بالحاء المهملة

أفعلُ ؟ فقال : لا ، بل اعْتَزِلها . فلا تَقْرَبَنَّها . وأَرْسَلَ إلى صاحِبيَّ بمثلِ ذلك . فقلتُ لامرأتي : اَلحَقِي بأَهلِك . فكُونِي عندهم حتَّى يقضيَ الله في هذا الأمر . قال : فجاءت امرأةُ هِلالِ بنِ أُمَيَّةَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . فقالت له : يارسول الله ، إن هِلالَ ابنَ أُمَيَّةَ شَيخٌ ضائعٌ ، ليس له خادم . فهل

أى ما الذى (أفعل ؟ قال : لا) تطلقها (بل اعتزلها) أمر بترك مخالطتها مخالطة الزوجات من الجماع ومقدماته . كما فسره بقوله (فلا تقربنَّها . وأرسل) رسول الله صلى الله عليه وسلم (إلى صاحبيّ) بتشديد ياء المتكلم المدغم فيها ياء المثنى يأمرهما (بمثل ذلك) أى الاعتزال المفسر بعدم قرب الزوجة (فقلت لامرأتى : الحقى) بهمزة وصل وفتح المهملة بعدها قاف (بأهلك . فكونى عندهم ، حتى يقضى الله فى هذا الأمر) وقوله «الحقى بأهلك» من كنايات الطلاق . ولكونه لم ينوه به لم يقع عليه (فجاءت امرأة هلال بن أمية) هى : خولة بنت عاصم [(١)] . قاله الحافظ ابن حجر وقيل : اسمها عَمْرة بنت حبة بن صخر الانصارية ، قاله ابن عبد البر * (رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له) اللام للتبليغ (يارسول الله إن هلال بن أمية شيخ) أى ذوسن (ضائع) بالمعجمة . و بعد الألف همزة ، ثم عين مهملة . وفسرته بقولها (ليس له خادم) أى من يقوم بما يحتاجه من خدمة ، يقع على الذكر والأنثي بلفظ واحد . و يقال فى المؤنث : خادمة ، ومنه حديث البخارى « عن أبى سَهل أن امرأة أبى أُسيد كانت خادمتهم فى عُرسهم» فانه بالتاء فى معظم الأصول * (فهل

---

(١) ذكرها فى أسد الغابة ، والحافظ فى الاصابة وقالا : هى التى لاعنها ففرق بينهما النبى صلى الله عليه وسلم اه . وحديثه فى البخارى ومسلم فى باب اللعان

تَكْرهُ أنْ أَخْدُمَه ؟ قال : لا . ولٰكِنْ لايَقْرُبَنَّكِ . فقالت : إنه والله مابه حَرَكةٌ إلى شىء . ووالله مازالَ يَبْكِى مُنْذُ كان مِنْ أَمْرِه ما كان إلى يَوْمِهِ هَذا * قالَ : فقال لى بعضُ أَهْلى : لو استأذَنْتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك ، فقد أَذِنَ لامرأةِ هلال بن أُمَيَّةَ أنْ تَخْدُمه

تكره أن أخدُمه) بضم المهملة (قال : لا) أى لا أكره أن تخدميه (ولكن) استدراك لما قد يتوهم من شمول الخدمة للتمتع بها * (لايقربنك) بضم الراء وفتح الموحدة بعدها نون توكيد ، كناية عن الجماع (فقالت) لاحاجة إلى منعه من ذلك (إنه) أى الشأن ، أوهلال (والله) جملة قسمية ، أتى بها لتأكيد المقال (مابه حركة) وفى نسخة «من حركة» بزيادة «من» ، والحركة بفتحات ، أى داعية تحركه (إلى شىء) من الجماع ومقدماته ، لماهوفيه من الكرب ، ثم الجملة القسمية وجوابها : خبر «إن» وفى نسخة بتقديم القسم على «إن» وعليه ف«ان» واسمها وخبرها جواب القسم * (ووالله) يحتمل العطف على جملة القسم السابقة ، و يحتمل الاستئناف (ما زال يبكى) على تخلفه المتسبب عليه ما آل إليه أمره (منذ كان من أمره) أى شأنه (ما كان) من تخلفه عن الخروج وما ترتب عليه (إلى الآن) حال الاخبار . وفى نسخة « إلى يومه هذا» . وسكتت عما بعده . لأنه يحتمل استمراره عليه وتركه له ، لما يرد عليه مما يقتضى حالا من تلك الأحوال * (قال) كعب (فقال) أى أشار (إلى بعض أهلى) لماأمرْتُ امرأتى بالذهاب لأهلها . قال الحافظ : لم أقف على اسمه (لواستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك) أى فى خدمتها(فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه)وقد استشكل هذا بنهيه صلى الله عليه وسلم عن كلام الثلاثة ، وأجيب : بأنه يحتمل أنه عبر عن الاشارة بالقول . كما أشرت إليه ، أو أن

قال : فقلتُ لا أستأذِنُ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وَما يُدريني ماذا يقولُ رسول الله صلى الله عليهِ وَسلم إذا استأذَنْتُه فيها ، وأنا رَجُلٌ شابٌّ ؟ . قال : فلبِثتُ بذلك عَشْرَ ليالٍ ، فَكَمَلَ لنا خَمْسُونَ لَيْلَةً من حِينَ نُهِيَ عن كلامنا * قال : ثمَّ صَلَّيتُ صَلَاةَ الفَجْرِ صَبَاحَ خَمسين لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ من بيوتنا

النهى كان خاصا بالرجال . والقائل كان امرأة ، أو كان هذا الكلام ممن يخدم المنهى عن كلامه . فلم يدخل فى النهى . قال الحافظ فى الفتح : لعله بعض ولده ، أو من النساء . ولم يقع النهى عن كلام الثلاثة للنساء اللاتى فى بيوتهم ، أو أن الذى كلمه كان منافقا * (فقلت : لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم) وأشار إلى الفرق بين حاله وحال هلال بقوله (وما يدريني) بضم التحتية (ماذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها)أى من الاذن فى ذلك أو المنع منه (وأنا رجل شاب) جملة حاليةمن فاعل «يقول» . وأشار به إلى وجه احتمال منعه دون هلال . لكونه رجلا شابا . و يحتمل الاشارة به إلى خوف الوقوع معها لو أذن له فى مقامها عنده من حدة الشباب ، فيقع فى المحذور . أو إلى أنه ليس بضائع لقدرته على خدمة نفسه * (فلبثت) أى أقمت (بذلك) أى فى ذلك المذكور من إرسال الزوجة (عشر ليال) أى مع أيامها (فكمل) بتثليث الميم ، أى تمَّ بضمها إلى الأربعين السابقة على الأمر باعتزال الزوجة (خمسون ليلة)و يوما . واقتصر عليها فى جميع ماذكر لأنها الأصل والنهار تابع لها (من) ابتدائية (حين) بفتح النون لاضافته إلى جملة صدرها مبنى (نهى) بالبناء للمفعول ، أى وقع النهى للمسلمين غير من تقدم (عن كلامنا . ثم صليت صلاة الفجر صباح) منصوب على الظرفية . أى فى صباح تلك الليلة المكملة (خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا)

فَبَيْنَا أنا جالِسٌ عَلَى الحالِ التى ذَكَرَ اللهُ تعالى عَنَّا : قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نفسِي ، وضَاقَتْ عليَّ الأرْضُ بما رَحُبَتْ ، سَمِعْتُ صَوْتَ صارخٍ أوفَى على سَلْعٍ ، يقول بِأَعْلَى صوته : يا كَعْبُ بنَ مالكٍ ، أَبْشِرْ . فَخَرَرْتُ ساجداً ، وعَرَفتُ أنْ قد جاء فَرَجٌ * قال : فآذَنَ

الظرف الأول حال من فاعل «صلى» والثانى وصف ا«بيت» * (فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر) ها(الله تعالى عنا) أى عنا أيها الثلاثة . و بيّنها بقوله (قد ضاقت علىّ نفسى) أى قلبى من فرط الوحشة والغم ، بحيث لا يسعها أُنْس ولا سرور (وضاقت علىّ) بتشديد التحتية . وعند مسلم «وضاقت بى» (الأرض بما رحبت) أى برحبها ، فـ«ما» مصدرية . والرحب — بضم الراء وسكون الحاء المهملتين — السعة (إذ سمعت صوت صارخ) هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه كما فى التوشيح . وفى الفتح : أنه كذلك عند الواقدى . وأن أبا بكر صاح : «قد تاب الله على كعب» وحكاه ابن عائذ ، بلفظ «زعموا» * قلت : وما فى الصحيح مقدم عليه ، وأنه أسلمى (أوفَى) بالفاء أى صعد وارتفع (على سَلْع) بفتح السين وسكون اللام : جبل بالمدينة معروف (يقول) جاهرا (بأعلى صوته) من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وفيه المذهب للبصريين من التأويل ، والكوفيين من إبقائه على ظاهره (يا كعب بن مالك) بنصب «ابن» وفى «كعب» الضم والفتح (أبشر) حذف المفعول لتذهب النفس فى طرق السرور كل مسلك (فخررْتُ ساجدا) سجدة الشكر عَلَى اندفاع ما كان فيه من الحال ، و بلوغه إلى نعمة البشرى والاقبال . وفيه : أن سجدة الشكر كانت معلومة عندهم معمولا بها فيما بينهم * (وعرفت) من هذا التبشير (أنه قد جاء فرج . قال: فآذن) بالمد والقصر ،

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ بتَوْبةِ اللهِ علينا ، حينَ صَلَّى صلاةَ الفَجْرِ . فذهبَ النَّاسُ يُبَشِّرونَنا . فذهبَ قِبلَ صاحِبَيَّ مُبَشِّرُون . ورَكَضَ إليَّ رجلٌ فرساً ، وَسعى ساعٍ مِن أَسْلَمَ قِبَلِي . وأَوْفى على الجبل . فكان الصوتُ أَسْرَعَ من الفرسِ . فلمَّا جاءني الذى سمعتُ صوتَه يُبَشِّرنى

أى أعلم (رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا) أى بتوفيقه إيانا لها . أو بتبرئته إيانا عن غفلة الذنب (حين صلى صلاة الفجر) ظرف لا «آذن» (فذهب الناس يبشروننا) بالتوبة (فذهب قبل) بكسر ففتح ، أى جهة (صاحبى) هو بتشديد الياء (مبشِّرون) قال الفِرَبْرِىُّ فى الاقناع : وخرج سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل إلى هلال يبشره . فلما أخبره سجد . ولقيه الناس يهنئونه ، فما استطاع المشى ، لما ناله من الضعف والحزن والبكاء . حتى ركب حمارا . و بشَّر مرارةَ بن الربيع سَلْكانُ بن سلامة ، أو سَلَمَة بن سلامة ابن وَقْش . فأقبل ، حتى توافوا ـ يعنى الثلاثة ـ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ .* (وركض رجل) هو الزبير بن العوام . وقال الحافظ ابن حجر : يحتمل أن يكون أباقتادة ، لأنه كان فارس النبى صلى الله عليه وسلم . أى أجرى جريا شديداً (إلىّ فرسا ، وسعى ساع من أسلم) هو حمزة بن عمرو الأسلمى (قبلى ، وأوفى) بالفاء مقصورا ، أى أشرف وطلع (على الجبل ، فكان الصوت) أى وصول الصوت المذكور ، أى صوت الأسلمى المذكور بقرينة مجيئه له ، وطلبه شيئاً لبشارته (أسرع من) وصول صاحب (الفرس . فلما جاءنى) الأسلمى (الذى سمعت صوته يبشرنى) جملة فى محل الحال . ويجوز كونها مستأنفة استئنافا بيانيا . كأن

نَزَعْتُ له ثَوْبَيَّ ، فكَسَوْتُهما إيَّاه بِبُشْرَاه ، واللهِ ما أَملِكُ غيرهما يومئذٍ ، واستَعَرْتُ ثوبين . فلبِسْتُهما . وَانطَلقتُ أَتأمَّمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتَلَقَّاني الناسُ فَوْجًا فَوْجًا ، يُهَنِّئُونَني بالتوبة وَيقولون لى : لِتَهْنِكَ توبةُ الله عَلَيْكَ . حتى دخلتُ المسجدَ .

قائلا يقول : فبم سمعت صوته ؟ فقال : يبشرنى (نزعت له ثوبىّ) بتشديد التحتية (فكسوته إياهما ببشارته) ففيه استحباب إجازة البشير بخلعة . وإلا فبغيرها ، والخلعة أحسن . وهى المعتادة وفيه : كسوة البشير وإن لم يملك غيره . وفيه جواز إظهار الفرح بأمور الخير والدين . وجواز البذل والهبات عندها * (والله ما أملك غيرهما) أى من الثياب . كما فى رواية ابن أبى شيبة : « فوالله ما أملك ثوبين غيرهما » فلا ينافى قوله السابق « إن عندى راحلتين » وقوله الآتى « إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة » * (يومئذ) أى وقت كسوتى له (واستعرت ثوبين) زاد الواقدى : « من أبى قتادة » * (فلبستهما وانطلقت أتأمم) أى أقصد (رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتلقانى الناس فوجا) أى جماعة (فوجا) أى تلقونى زمرة بعد زمرة ، وجماعة بعد جماعة (يهنئوننى بالتوبة) أى بقبولها . أو بالتوفيق لها (ويقولون : لتهنك) بكسر النون . قال الحافظ : وزعم ابن التين ـ شارح البخارى ـ أنه بفتحها . قال لأنه من « الهناء » . وفيه نظر * (توبة الله عليك) فيه دليل على جواز التهنئة بأمور الخير ، بل على ندبها إذا كانت دينية . فانها إظهار السرور بما يسر به أخوه المسلم . وإظهار المحبة وتصفية القلب بالمودة * (حتى دخلت المسجد) غاية لمقدر . أى فسِرْتُ وحالى ماذكر ـ أى من تهنئة الناس لى ـ إلى أن دخلت المسجد ، والأصح : أنّ نصب « المسجد » لكونه اسم مكان مختص على التوسع

فاذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جَالِسٌ فى المسجد حولَه الناسُ ، فقام طَلْحَةُ بن عُبيد الله رضى الله عنه يُهَرْوِلُ ، حتَّى صافحَنى وَهَنَّأني ، والله ماقام رَجُلٌ من المهاجرين غيرهُ — فكان كَعبٌ لاَينْساهالطلحة * قال كعبٌ : فلمَّا سلَّمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — وهو يَبْرُق وَجْهُه من السُّرور — أَبْشِرْ بخَيْرِ يومٍ مرَّ عليك مُذْ وَلَدَتْكَ أمُّك .

(فاذا) فجائية (رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحوله الناس) الظرف لغو . و « حوله الناس » خبر بعد خبر (فقام إلىَّ طلحة بن عبيد الله) أحد العشرة المبشرين (رضى الله عنه يهرول حتى صافحنى وهنأنى) فيه استحباب مصافحة القادم . والقيام له إكراما . والهرولة إلى لقائه بشاشة به وفرحا . * قال كعب (والله ماقام رجل من المهاجرين غيره) بالرفع صفة « رجل » ويجوز نصبه على الحال . لتخصيصه بالوصف بالظرف (فكان كعب لاينساها) أى تلك الأفعال الجميلة : من القيام له ، والهرولة ، والمصافحة والتهنئة (لطلحة) قال القرطبى : أى إنها أكدت فى قلبه محبته وألزمته حرمته ، حتى عدها من الأيدى الجسيمة * (قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) أى بعد رد السلام (وهو يبرق) بضم الراء ، أى يلمع (وجهه) بالأنوار (من) تعليلية ، أى بسبب (السرور) بقبول الله تعالى توبتهم . ففيه : ما كان عليه النبى عليه الصلاة والسلام من الحبور عند ظفر أحد من أمته بنوع من الخيور . حال من فاعل « قال » ومقول القول (أبشر) بقطع الهمزة (بخير يوم مر عليك مذ ولدتك أمك) أى سوى يوم إسلامه ، وإنما لم يستثنه لأنه معلوم لا بد منه . وقيل : لا استثناء .

فقلتُ : أمِنْ عندكَ يارسول الله ، أمْ من عندِ الله ؟ قالَ . لا : بل من عندِ الله وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنارَ وَجْهُهُ ، حتى كأنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قمرٍ

لأن يوم توبته مكمل ليوم إسلامه . فهو خير من جميع أيامه . وإن كان يوم إسلامه خيرها ، فيوم توبته المضاف إلى يوم إسلامه خير من يوم إسلامه المجرد عنها * (فقلت : أ) هذا المبشر به (من عندك يا رسول الله) أى قلته اجتهاداً . لأنك رأيت حصول مقصود الزجر بما وقع فى هذه المدة (أم) هو وحى (من عند الله) عز وجل ؟ (قال : لا) أى ليس من عندى (بل من عند الله[1]) قال فى الاقناع بدل قوله « قال لا » : « قال من عند الله . وتلا عليهم الآيات » * (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر) من أمر (استنار وجهه) أى زاد نورا إلى نوره . وفى النهاية «كان إذا سر، فكأن وجهه المرآة. وكان الجدر يرى شخصها فى وجهه . لشدة نوره وصفائه » * (حتى كأنه قطعة قمر) غاية لما قبله . آثر ذكر القمر . لأنه يتمكن من النظر إليه ، ويؤنس من شاهده من غير أذى يتولد عنه ، بخلاف الشمس لأنها تُعشِى البصر . وتؤذى . ثم تشبيه بعض صفاته بنحو القمر والشمس جرى على عادة الشعراء والعرب فى ذلك ، أو على سبيل التقريب والتمثيل . وإلا فلاشىء يعادل شيئاً من أوصافه . قيل : شبه وجهه فى هذا الحديث بقطعة من القمر ، لا بكله ، مع أن المعهود فى التشبيه الثانى . لأن القصد الاشارة إلى موضع الاستنارة وهو الجبين ، وفيه يظهر السرور . فناسب أن يشبه ببعض القمر . قالت عائشة « مسروراً تبرق أسارير وجهه » ولكون مراد كعب رضى الله عنه تشبيه بعض وجهه صلى الله عليه وسلم ، وهو جبينه إذا سر : لم يشبهه بجميع القمر ، وجاء فى حديث آخر عنه تشبيه وجهه كله بدارة القمر . فلزمه تشبيه بعضه ببعضه ، وهذا أحسن

---

(١) فى الفتح زاد فى رواية ابن أبى شيبة « إنكم صدقتم الله فصدقكم »

قال : وكُنَّا نَعْرِفُ ذلك * قال : فلما جَلَسْتُ بينَ يديه . قلتُ : يارسولَ اللهِ ، إنَّ من تَوْبَتِى : أنْ أنْخَلِعَ من مالى صَدَقَةً إلى الله وإلى رسولِه فقال رسول الله

مما قيل : سبب الاقتصار فى التشبيه على بعض القمر : الاحتراز عما فيه من السواد . لأن كون وجه التشبيه بالقمر ما فيه من الاضاءة والملاحة : لا يخفى على أحد . ولا يتوهم من التشبيه خلافه ، فلا حاجة للاحتراز * (وكنا) معشر الصحابة المراقبين لمحاسن ذاته ، الملاحظين لأحواله (نعرف ذلك) أى الموضع الذى يتبين فيه السرور ، وهو جبينه . كما سبق من قول عائشة رضى الله عنها : « مسرورا تبرق أسارير وجهه » * . وفى البخارى « كان يُعرف ذلك (منه) » وفى نسخة « فيه » والضمير يعود إلى الوجه *(فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من)شكر(توبتى) أى من شكر الله على توبتى ، أى التوفيق لها وقبولها ، أى إن من علامة صدق توبتى : (أن أنخلع) أى أخرج (من مالى) أى من جميعه (صدقة) مفعول له ،أو مطلق ، على تقدير «أتصدق» أو فى معنى الحال . أى «متصدقا» أو على تضمين «أنخلع» معنى «أتصدق » أى أتصدق متقربا بها (إلى الله) تعالى (و إلى رسوله) أعاد الجار للاهتمام ، وتنبيها على أن التقرب إليه صلى الله عليه وسلم مطلوب على سبيل الاستقلال قال تعالى ([٣ : ٧٩] من يطع الرسول فقد أطاع الله) * وقال القرطبى : أى إنَّ علىَّ ذلك . فهى صيغة نذر ، والتزام . خرجت مخرج الشكر . وابتغاء الثواب . وأقره عليه النبى صلى الله عليه وسلم . فكان ذلك جائزا . ولم يدخل فى عموم النذر المنهى عنه ، وعلى مقتضى هذا اللفظ فقد وجب عليه إخراج كل ماله لكن لما كان ذلك يؤدي إلى أن يبقى فقيرا محتاجاً . وربما أفضى به إلى سؤال النـاس ، وإلى الدخول فى مفاسد : أمره بامساك البعض . كما قال كعب (فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : أَمْسِكْ بعضَ مالِكَ[١]، فهو خَيْرٌ لك . قال : فقلت إنى أُمْسِكُ سَهْمِي الذى بِخَيْبَرَ * قَالَ : وقلت : يارسولَ الله ، إنَّ الله تعالى إنَّما أنجَانِي بالصِّدْقِ ،

صلى الله عليه وسلم : أمسك بعض مالك) أى دفعاً لضرر التصدق بكله (فهو خير لك) قال القرطبى : البعض المأمور بامساكه من ماله هو الأكثر . والمتصدَّق به هو الأقل . كما قال فى حديث سعد : « الثلث ، والثلث كثير » . * وفيما ذكره نظر . فانه متوقف على نص يشهد به ، ولا دليل فى حديث سعد لما ذكره . لأن مافيه إنما هو لمن كان فى حال المرض ، مراعاة لمصلحة الورثة ، والقصد هنادفع ضرر الحاجة والفقر ، وهو قد يحصل بابقاء الأقل من ماله ، أو الشَّطر . كما وقع من عمر رضى الله تعالى عنه لما تصدق بشَطْر ماله . وأبقى الشطر الآخر لنفسه وأهله . والحديث فى مسلم وغيره * ثم رأيت فى الفتح للحافظ : أن عند أبى داود عن كعب «إن من توبتى أن أخرج من مالى كله إلى الله ورسوله صدقة ، قال لا . قلت : نصفه . قال : لا . قلت : فثلثه ، قال : نعم » * ولابن مَرْدُويه من طريق ابن عُيَيْنة عن الزُّهرى « فقال النبى صلى الله عليه وسلم يجزى عنك من ذلك الثلث » اه * وهو شاهد للقرطبى . قال المصنف فى شرح مسلم : ولا يخالف هذا — أى قوله «أمسك بعض مالك»ـ تصدق أبى بكر بجميع ماله . أى وقبوله صلى الله عليه وسلم له . فانه كان صابرا راضيا اه * (قال : فقلت : يا رسول الله ، إنى أمسكُ سَهْمِى الذى بخيبر) بفتح المعجمة وسكون التحتية وفتح الموحدة آخره راءمهملة — غيرمصروف فى أكثر الأصول ـ مرادابه البقعة (قال: وقلت : يا رسول الله ، إن الله تعالى إنما أنجانى) من وصمة إثم التخلف عن المأمور به (بالصدق)

---

(١) كذا فى مسلم . وعند البخارى « أمسك عليك بعض »

وإنَّ منْ تَوْبَتى أن لاأُحَدِّثَ إلاصدقاما بَقيتُ ، فواللهِ ماعلمتُ أحداً من المسلمين أبْلاهُ اللهُ تعالى فى صِدْقِ الحديثِ مُنْذُ ذكرتُ ذٰلك لرسول اللهِ صلى الله عليه وسلم أحسنَ مما أَبْلاَنِى الله . والله ماتَعَمَّدتُ كِذْبَةً

أى باخبارى بالخبر المطابق للواقع وإن ترتب عليه ماترتب (وإن من) شكر ، أو صدق (توبتى أن لا أحدث) أىَّ إنسان حديثا مّا فى أىّ شأن كان (إلا صدقا ما بقيت) أى مدة بقائى ، مالم يمنع من الصدق مانع . وإلا إن كان فيه إفساد مصلحة المسلمين فى حروبهم ، أو نحو ذلك ، فلا * وفى الحديث : المحافظة على سبب التوبة * (فوالله ماعلمت أحدا من المسلمين) وعند مسلم « ما أعلم أحدا » (أبلاه الله) أى أنعم عليه . ومنه قوله تعالى [٢ : ٤٩] (وفى ذلكم) أى الانجاء من فرعون (بلاء من ربكم عظيم) أى نعمة عظمى . والبلاء يستعمل أيضا فى الشر . كما قيل به فى الآية . بناء على أن المشار إليه مافعله بهم آل فرعون من قتل الأبناء ، واستحياء النساء . ولكن إذا أطلق كان غالبا للشر . فاذا أريد به الخير قيّد . كما قال فى الحديث « أحسن مما أبلانى الله » * (فى) ملازمة (صدق الحديث) مصدر مضاف إلى مفعوله (منذ ذكرت ذلك) الالتزام بملازمة الصدق (لرسول الله صلى الله عليه وسلم) إبلاء (أحسن مما أبلانى الله) أى بتيسير الدوام على ذلك ، والوفاء بالالتزام . * قال الحافظ : فيه وفى قوله الآتى « فوالله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هدانى الله للاسلام أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم » — شاهد على أن هذا السياق يورَد ويراد به نفى الأفضلية لا المساواة . لأن كعباً شاركه فى ذلك رفيقاه ، وقد نفى أن يكون أحد حصل له أحسن مما حصل له . وهو كذلك . لكنه لم ينف المساواة اه * (والله ما تعمدت كذبة) قال المصنف : بفتح الكاف وكسرها . كل ذلك مع إسكان الذال[1] . وفى المشارق : كذبة

(١) الذى فى شرح مسلم « كذبة » باسكان الذال وكسرها .

مُنْذُ قلتُ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يَوْمِى هذا ، وإنى لأرجو أنْ يَحفَظَنى الله تعالى فيما بقى * قال : فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ ([٩ : ١١٧ — ١١٩] لَقَدْ تابَ اللهُ على النَّبِيِّ والْمُهَاجِرِينَ والأنْصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوه فى سَاعَةِ العُسْرَةِ — حتى بلغَ — إِنَّهُ بهم رَؤُفٌ رَحِيمٌ . وعَلَى الثَّلاثةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إذا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأرْضُ بمَا رَحُبَتْ

بكسر الكاف ويقال بفتحها . وأنكر بعضهم الكسر . إلا إذا أراد الحالة ، والهيئة . وليس هذا موضعها اه . وهو فى البخارى « كذبا » بحذف الهاء * (منذ) أى من حين (قلت ذلك) الالتزام (لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا) وفيه : أن الخطأ والنسيان المحترز عنهما بالعمد غير مؤاخذ به الانسان ، وهما لاينقضان الالتزام * (وإنى لأرجو) من فضله تعالى (أن يحفظنى الله تعالى) من الكذب (فيما بقى) لأنه سبحانه كريم يستحى أن ينزع الستر من أهله ، قال تعالى ([١٣ : ١١] إن الله لايُغيِّر مابقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم) * (قال) أى كعب ، مبينا للآيات التى نزلت فيها التوبة عليه وعلى صاحبيه (فأنزل الله تعالى) على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهو فى بيت أم سَلَمَة ، حين بقى الثلث الأخير من الليل . كما جاء فى كتاب التفسير من صحيح البخارى (لقد تاب الله) أدام توبته . وهى بالنسبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم تشريف مكانته وإعلاء رتبته . لا أنه عن ذنب صدر من حضرته ، لعصمته ، وقال بعضهم : تاب الله (على النبى) أى تجاوز عنه (والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) بالعين المضمومة والسين الساكنة بعدها راء مهملات ، أى وقتها . وهى حالهم فى غزوة تَبُوك ، كان الرجلان يقتسمان التمرة . والعَشَرةُ يَعْتَقِبُون البعير الواحد . واشتد الحرُّ ، حتى

ـ حتى بلغ ـ اتقوا الله وكُونوا مع الصَّادِقينَ)

* قال كعب : واللهِ ما أنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِن نِعمةٍ قَطُّ

شربوا الفَرْثَ(١) (حتى بلغ) أى كعب فى قراءته (إنه بهم رءوف رحيم) أى قرأ الآية كلها : (من بعد ما كاد يزيغ) بالمثناة الفوقية والتحتية . أى تميل وتذهب (قلوب فريق منهم) عن اتباعه إلى التخلف ، لما هم فيه من الشدة (ثم تاب عليهم) بالثبات (إنه بهم رءوف رحيم) * (و) تاب (على الثلاثة الذين خلفوا) عن التوبة عليهم بقرينة (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) أى مع رحبها وسعتها . فلا يجدون مكانا يطمئنون إليه (وضاقت عليهم أنفسهم) قلوبهم للغمة والوحشة بتأخير توبتهم . فلا يسعها سرور ولا أنس (وظنوا) أى أيقنوا (أن لا ملجأ) يلجئون إليه (من الله إلا إليه) قال فى الكشاف : لاملجأ من سخط الله إلا إلى استغفاره (ثم تاب عليهم) ألهمهم أسباب التوبة ووفقهم لها (ليتوبوا) أى ليقبلها . وقيل : تاب عليهم ، قبل توبتهم . و « ليتوبوا » أى يدوموا عليها . وفى تفسير سورة البقرة من البيضاوى : أصل التوبة الرجوع . فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية إلى الطاعة . وإذا وصف بها البارىء تعالى أريد بها الرجوع عن العقوبة إلى المغفرة اهـ . (إنَّ اللهَ هو التوَّاب) على من تاب ، أى يقبل توبته الصحيحة ، فضلا منه (الرحيم . يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقُوا اللهَ) بترك معاصيه (وكُونوا مَعَ الصادقين) فى الايمان والعهود ، بأن تلزموا الصدق .

* (قال كعب) صرح بذكره للفصل بين سياق أحواله بذكر الآى القرآنية المنزلة فى توبته (والله ما أنعم الله عليَّ من) زائدة للاستغراق (نعمة قط) أى فى

---

(١) قال عمر : ـ فى وصف العسرة ـ وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ، ثم يجعل مابقى على كبده « أنظر تاريخ البداية والنهاية لابن كثير (ج ٥ ص ٩)

بَعْدَ إِذْ هَدانى الله للاسلام أعظمَ فى نَفْسى من صِدْقِي رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنْ لا أَكُونَ كَذَبتهُ فأَهلْكَ كما هَلَكَ الَّذين كَذَبُوا ،
إنَّ الله تعالى قال للَّذِين كَذبوا — حين أُنْزَل الوحْى — شَرَّ ماقال

الزمن الماضى (بعد إذ هدانى للاسلام) أى دلنى عليه ، وأوصلنى له . وفى نسخة « هدانى الله » (أعظم) وصف لـ « نعمة » . فتجوز قراءته منصوبا باعتبار محلها . لزيادة «من» ومجروراً باعتبار لفظها ، ويجوز رفعه ، بتقدير : هى أعظم (فى نفسى من صدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته) كذا فى الصحيحين عند جميع رواتهما إلا الأَصِيلِي ، من رواة البخارى . فقال « إلا أن أكون » وليس بشىء ، والصواب الأول وتخريجه : أن « لا » زائدة . كما قال القاضى عياض . وتبعه المصنف وغيره ، ومعناه : أن أكون كقوله تعالى ([٧ : ١٢] مامنعك أن لا تسجد) اهـ * وهذا بناء على أنه مستأنف عما قبله . وأظهر منه : ما ذكره الشيخ زكريا فى حاشيته على البخاري المسماة بتحفة القارى : من أنه بدل من «صدقى» أى أن «لا» نافية ، قال : والمعنى : ما أنعم الله علىَّ نعمة هى أعظم من عدم كذبى . فعدم هلاكى اهـ . « وكذبته » بفتح الذال المخففة . أى قلت له قولا كذبا * (فأهلك) بالنصب عطف على منصوب «أن» ، و «أهلك» بكسر اللام على الفصيح المشهور . وحكى فتحها ، وهو شاذ ضعيف (كما هلك الذين كذبوا) أى هلاكا كهلاك الذين كذبوا الله القول فى ادعاء الايمان من المنافقين ، فالمفعول الثانى محذوف . قال الراغب فى مفرداته : يقال كذبته حديثاً . ومنه ([٩ : ٩٠] كذبوا الله ورسوله) أى القول الذى قاله ، فيتعدى إلى مفعولين نحو «صدق» فى قوله تعالى ([٤٨ : ٢٧] لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) اهـ * (إن الله قال للذين كذبوا) أى عنهم (حين أُنزل على) نبيه (الوحى شر ما قال) أى

لأَحدٍ ، فقال الله تعالى ([٩ — ٩٥] سيَحْلِفُونَ باللهلكم إذاانْقلَبْتُمْ إليهم لتُعْرِضُوا عنهم ، فأَعْرِضوا عنهم إنَّهُمْ رِجْسٌ ومَأواهُمْ جَهَنَّم جزاءً بما كانوا يَكْسِبون [٩٦] يحلِفون لكم لِتَرْضَوْاعنهم . فانْ تَرْضَوا عنهم فإنَّ الله لا يرْضَى عن القوم الفاسِقين)

* قال كعب : كُنَّا خُلِّفنَا أَيُّها الثلاثةُ عن أَمْرِ أُولئك الذين قَبِلَ منهم رَسولُ الله

قولٍ . قال : ويجوز أن يكون موصولا إسميا ، أى ماقاله (لأحد) أى عن أحد . ثم بين ذلك القول المجمل المنزل فيهم بقوله (فقال الله تعالى : سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم) رجعتم (إليهم لتعرضوا عنهم) بترك المعاتبة (فأعرضوا عنهم) فأعطوهم طلبتهم (إنهم رجس) قذر ، لخبث باطنهم ، فلا يؤثر فيهم العقاب . بخلاف المؤمن إذا فَرَطَتْ مِنْهُ زلَّة فوُبِّخ عليها طَهَّره التوبيخ بالتوبة منها والاستغفار (ومأواهم جهنم) يعنى تكفيهم النار عتابا . فلا تتكلفوا عتابهم (جزاء بما كانوا يكسبون . يحلفون) أى بالله (لكم لترضوا عنهم) أي غرضهم بالحلف : طلب رضاكم . لينفعهم فى دنياهم (فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أى عنهم ، وأتى بالظاهر موضعه ، نداء عليهم بسوء وصفهم المقتضى لعدم رضاه عنهم أى ولا ينفعهم رضاكم عنهم ، مع سخط الله تعالى ، بل يكونون عرضة لعاجل عقوبته وآجلها * فى الكشاف ، قيل : وإنما قيل لهم ذلك لئلا يتوهم متوهم أن رضَى المؤمنين يقتضى رضَى الله عنهم * (قال كعب : وكنا خُلفنا) بالبناء للمجهول ، أَخُصُّ (أيها الثلاثة) بتأخير أمرنا ، وبيان شأننا ، فلم يقضَ فينا بشيء (عن أمر أولئك) المعتذرين (الذين) كذبوا الله ورسوله ، و (قبل منهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم حِينَ حَلَفُوا له . فبايَعَهُم ، واستغفر لهم . وأَرْجَأَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمْرَنا حتَّى قضى الله تعالى فيه . فبذلك قال الله تعالى (وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا) وليس الذى ذُكِرَ مما خلّفنا : تَخَلُّفَنا عن الغزْو ، وإنَّما هو تخليفه إيَّانا ، وإرجاؤه أمْرَنا عمّن حَلَفَ له ، وَاعْتذر إليه فقَبِلَ منه » متفق عليه

صلى الله عليه وسلم) عذرهم فى التخلف (حين حلفوا له) أنهم صادقون فيما اعتذروا به (فبايعهم) أى عاقدهم على الاسلام ، وعاهدهم عليه (واستغفر لهم) أى بنحو : غفر الله لكم (وأرجأ) أخر (رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا) فلم يقض فيه بشىء (حتى قضى الله) أى أبرز ماسبق به قضاؤه (فيه) وأنزل فيه الآية (فبذلك) أى فعن ذلك التخليف (قال الله تعالى : وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هو معنى ما تقدم فى تفسير الآية من قولنا : خُلِّفوا عن التوبة . أى عن قبولها حالا ، كما قبلت من المعذورين ، وأرجأ أمر هؤلاء الثلاثة (وليس الذى ذكر) بالبناء للمجهول (مما خلفنا) أى من تخليفنا المخبر عنه بقوله «خلفوا» (تخلفنا عن الغزو ، و إنما هو تخليفه صلى الله عليه وسلم إيانا) عمن قبله من أولئك المعتذرين (و إرجاؤه) تأخيره (أمرنا) أى بيانه و إيضاحه (عمن) أى عن أمر من (حلف له واعتذر إليه) من المعذورين (فقبل منه) أفرد الضمير باعتبار لفظ «من» * (متفق عليه) أى رواه الشيخان . وإن وقع بينهما اختلاف يسير فى زيادة كلمة أو نقصها . أو تقديم أو تأخير . وكذا أخرج الحديث أبو داود ، والترمذى ، والنسائى . كما فى جامع الأصول فى كتاب الجهاد

٢٦ — وفى رواية « أنَّ النبىَّ صلي الله عليه وسلم خَرَجَ فى غَزْوَةِ تَبُوكَ يومَ الخَمِيس ، وَكَانَ يُحِبّ أنْ يَخْرُجَ يومَ الخَمِيس » *

٢٧ — وَفى رواية « كَانَ لاَ يَقْدُمُ من سَفَرٍ إلا نهاراً فى الضُّحَى . فاذا قَدِمَ بدأ بالمَسْجدِ فصَلَّى فيه ركعتين ، ثم جلس فيه »

---

* وفى (رواية : أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج) من المدينة (فى غزوة تبوك يوم الخميس وكان يحب أن يخرج) لسفره (يوم الخميس) * وفى الصحيحين من حديث كعب « قلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرٍ إلا يوم الخميس » ورواه النسائى

* (وفى رواية) للبخارى من حديث كعب (كان لا يقدم من سفر إلا نهارا) ونهى عن طروق المسافر أهله ليلا [١] ما لم يشع خبر قدومه . كأن كان فى قفل وصلوا لقرب البلد نهارا ، وعلم وصول ذلك الخبر لأهل البلد . فلا بأس بالقدوم ليلا حينئذ (فى الضحى) لأنه أطيب مافى النهار ، لما فيه من حسن الهواء ، وزيادة الأضواء ، وخروج الناس للاجتماع واللقاء ، وللتبايع ونحوه ، ولذا شرعت فيه صلاة ، لئلا يستغرق الوقت بأمر الدنيا ، ويلهو باخوانه عن إصلاح شأنه (فاذا قدم) بكسر الدال (بدأ بالمسجد) قبل دخول منزله ، اهتماما به ، وتعظيما لشعائر الله تعالى ، وتقديما لحق الله تعالى على حق نفسه وأهله ، وشكراً لنعمته عليه بسلامته من وعثاء السفر (فصلى فيه ركعتين) تحية (ثم جلس فيه) ليسلم عليه الناس

* وفى الحديث فوائد أربعون ، بل أكثر * منها : إباحة الغنيمة لهذه الأمة . إذ قال « يريدون عيراً لقريش » * وفضيلة أهل بدر والعقبة . والمبايعة مع الامام . وجواز

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن جابر ، وحكمته « لتمتشط الشعثة ، وتستحد المغيبة »

٢٨ — وعن أبى نُجَيْدٍ — بضم النون وفتح الجيم — عِمرانَ ابن الْحُصَيْنِ

الحلف من غير استحلاف والتورية عن المقصد ، إلا إذا دعت إليه ضرورة. والتأسف على مافات من الخير . وتمنى المتأسَّف عليه . ورد الغيبة . وهجران أهل البدعة . وأن للامام أن يؤدب بعض أصحابه بامساك الكلام عنه . وترك قرب الزوجة . واستحباب صلاة القادم . ودخوله المسجد أولا . وتوجه الناس إليه عند قدومه . والحكم بالظاهر . وقبول المعاذير . واستحباب البكاء على نفسه . وأن مسارقة النظر فى الصلاة لا تبطلها . وفضيلة الصدق . وأن السلام وردّه كلام . وجواز دخول بستان صديقه بدون إذنه . وإن الكناية لايقع بها الطلاق ما لم ينوه . وإيثار طاعة الله ورسوله على مودة القريب . وخدمة المرأة لزوجها . والاحتياط بمجانبة ما يخاف منه الوقوع فى منهى عنه . إذ كعب لم يستأذن فى خدمة امرأته لذلك . وجواز إحراق ورقة فيها ذكر الله تعالى ، إذا كان لمصلحة . واستحباب التبشير عند تجدد النعمة واندفاع الكربة . واجتماع الناس عند الامام فى الأمور المهمة . وسروره بما يسر أصحابه . والتصدق بشىء عند ارتفاع الحزن . والنهى عن التصدق بكل المال عند خوف عدم الصبر . وإجازة البشير بخلعة . وتخصيص اليمين بالنية . وجواز العارية . ومصافحة القادم . والقيام له . واستحباب سجدة الشكر . والتزام مداومة الخير الذى انتفع به .

* (وعن أبى نجيد) بضم النون وفتح الجيم وسكون التحتية ، آخره دال مهملة . كنى باسم ابنه « نجيد » (عمران) بكسر العين المهملة (بن الحصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ، وإسكان التحتية ، بعدها نون : ابن عبيد بن خلف بن عبد نُهْم ابن حذَيفة بن جُهينة بن غاضرة بن حُبيشة بن كعب بن عمرو . كذا قاله ابن

الخزاعيّ ، رضى الله عنهما ، أنَّ امرأةً من جُهَيْنة أتتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهى حُبْلَى من الزِّنَى ، فقالت: يارسولَ الله ، أَصَبْتُ حَدًّا

مَنْدَهْ وأبو نعيم . وقال أبو عمر : عبدُ نهم بن سالم بن غاضرة (الخزاعى) الكعبى (رضى الله عنهما) أسلم عام خَيْبَر . وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوات . وبعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى البصرة ليفقه أهلها . قال محمد بن سِيرين : لم نر فى البصرة أحداً من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يفضُل على عمران بن الحصين . وكان مجاب الدعوة . ولم يشهد الفتنة . روى له عن النبى صلى الله عليه وسلم مائة وثمانون حديثاً . اتفق الشيخان منها على ثمانية . وانفرد البخارى بأربعة . ومسلم بتسعة . وكان تسلم عليه الملائكة فى مرضه ، فاكتوى ، ففقد ذلك ، ثم عادت إليه ، وكان به استسقاء طال به سنين ، وهو صابر عليه . وشُقَّ بطنه وأخذ منه شحم . وشُقَّ له سرير فبقى عليه ثلاثين سنة ، ودخل عليه رجل فقال : يا أبا نُجيد ، والله إنه ليمنعنى من عيادتك ما أرى بك . فقال : يا أخى ، فلاتجاس . فوالله إن أحبَّ ذلك إلىَّ أحبه إلى الله تعالى . توفِّى بالبصرة سنة اثنتين وخمسين * (أن امرأة من جهينة) وفى رواية أخرى لمسلم « جاءت امرأة من غامد » بغين معجمة وميم ودال مهملة . قال المصنف رحمه الله تعالى . وهى بطن من جُهينة . وقال الحافظ وَلِىُّ الدين العراقى فى مبهماته : اسمها « خولة بنت خُويلد » وفيها نزلت آية الظهار ، وفى كلام بعضهم : أن آية الظهار نزلت فى « خَوْلَةَ بنت ثعلبة » انتهى ملخصا . وقال ابن النحوى فى البدر المنير : اسم الغامدية « سُبَيعة » وقيل : « أبية بنت فرج » . حكاهما الخطيب فى مبهماته . وعدها أبو موسى الأصفهانى فى الصحابة * (أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حبلى من الزنى) « من » تعليلية . ويصح كونها ابتدائية (فقالت : يارسول الله ، أصبت حدا) أى ما يلزم به الحد . فيكون مجازاً

فأقِمْهُ عَلَيَّ . فدعا نَبِيُّ الله صلى الله عليه وسلم وَلِيَّهَا فقال : أحْسِن إليها ، فاذا وَضَعَتْ فأْتِنى ، ففعل ، فأَمَرَ بها نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم فَشُدَّتْ عليها ثِيابُها ،

مرسلا (فأقمه علىّ) أى لأطْهُرَ من تَبِعَتِه فى الآخرة ، وفى مسلم أيضاً فى حديث الغامدية « قالت : طَهِّرْنى » قال المصنف : فيه دليل على أن الحدّ يكفر ذنب المعصية التى حُدَّ لها . وقد جاء ذلك صريحا فى حديث عُبادة بن الصَّامِت : وهو قوله صلى الله عليه وسلم « ومن فعل شيئا من ذلك فعوقب به فى الدنيا فهو كفارته » ولا نعلم فيه خلافا ، وإنما لم تقنع بالتوبة — مع أنها محصلة لغرضها من سقوط الاثم — بل اختارت الرجم . لأن حصول البراءة به وسقوط الاثم متيقن على كل حال ، لاسيما و إقامة الحد بأمره صلى الله عليه وسلم . وأما التوبة فتخشى ألا تكون نَصوحا ، أو يختل بعض شروطها . فأرادت حصول البراءة بطريق متيقن ، دون ما يطرقه الاحتمال انتهى ملخصا (فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم) عبر هنا بنبى الله ، وأولا برسول الله : تفننا فى التعبير (وليها فقال : أحسن إليها) أمره بذلك خوفا عليها من أن تحمل أقاربها الغيرةُ ولحوق العار بهم على أن يؤذوها . ورحمة لها إذ تابت ، ولحملها لحرص عليه معها لما فى نفوس الناس من النفرة من مثلها و إسماعها الكلام المؤذى ونحو ذلك . فنهى عن ذلك كله لذلك * (فاذا وضعت) حملها (فائتنى بها) ففيه : تأخير حد الزنى عن الحامل إلى أن تضعَ وتسقيه اللبأ (١) . لئلا يموت الجنين وهو مجمع عليه . واختلف فى اعتبار استغنائه عنها بلبن غيرها . فالجمهور على اعتباره . فان كان حدها الجلد ، لم تجلد حتى تضع بالاجماع (ففعل) أى ما أمره به (فأمر بها النبى صلى الله عليه وسلم) أى بأن تهيأ للرجم ، لأنها كانت محصنة (فشدت عليها ثيابها) بالدال المهملة . كذا فى نسخ الرياض . قال المصنف فى شرح مسلم « فشُكَّت عليها ثيابها »

---

(١) هو أول مايدر به الثدى للرضيع

ثم أَمَرَ بِهافرُجِمَتْ ، ثم صَلَّى عليها . فقال له عُمر : تُصَلِّى عليها يارَسُولَ الله ، وقَدْ زَنَتْ ؟

كذا هو فى معظم النسخ « فشكت » وفى بعضها «فشدت» بالدال بدل الكاف وهو بمعنى الأول اه . ولم يذكر عياض فى مشارقه غير الكاف . قال : أى جمعت أطرافها لتستتر ، وخلت عليها بعيدان اه . وقيل : معناه أرسلت عليها ثيابها . و « الشَّكُّ » الاتصال واللصوق . و إنما فعل بها ذلك لئلا ينكشف ثوبهافى تقلبها وتكرر اضطرابها * (ثم) بعدأن شدت ثيابها(أمر بها فرجمت)فى عدم تعرضه لحضوره صلى الله عليه وسلم دلالة لمذهب الشافعى وموافقيه : أنه لا يلزم الامام حضور الرجم . وكذا لا يلزم الشهود ، إذا ثبت بشهادتهم . وقال أبو حنيفة وأحمد : يحضر الامام مطلقا . و يبدأ بالرجم ، إن ثبت بالاقرار . وجاء عند النسائى : « أنه صلى الله عليه وسلم حضر رجم الغامدية ورماها بحجر » قالا : وتحضر الشهود إن ثبت بشهادتهم و يبدؤون بالرجم » * (ثم) بعد غسلها وتكفينها (صلى) النبى صلى الله عليه وسلم (عليها) فيه دليل لمذهب الشافعى وآخرين : من أن الامام وأهل الفضل يصلون على المرجوم ، كما يصلى عليه غيرهم ، وما قيل : من أنَّ ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم ضعيف . لكون أكثر الرواة لم يذكرها ، أومن أنَّ « صلى » فيه مؤول بأنه أمر بها،أوأنه أريدبه المعنى اللغوى . أى دعا — ففاسد . لأن هذه الزيادة ثابتةفى الصحيح،وزيادةالثقةمقبولة. والتأويل خلاف الأصل . لايصار إليه إلاإذا ضطرت الأدلة لارتكابه.وليس هناشىءمن ذلك . فوجب حمله عَلَى ظاهره * (فقال له عمر) رضى الله عنه (تصلى عليها يارسول الله وقد زنت) أى أتصلى ؟ وهو استكشاف لحكمة صلاته صلى الله عليه وسلم عليها ، مع أنه وقع منها أمر يقتضى إهمال أمرها ، والاعراضَ عنها . وليس هوللانكار (فقال) مبدياً لما خفى

قال : لقد تابَتْ تَوبةً لو قُسِّمَتْ بين سَبْعِين مِنْ أهلِ المدينة لَوسِعَتْهُم ، وهَل وجَدَت أفضلَ منْ أن جادتْ بنفْسها للهِ عز وجل ؟ »
رواه مسلم

٢٩ — وعن ابن عباس ، وأَنس بن مالك ، رضى الله عنهم ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لو أَنَّ لابْنِ آدَمَ وادِيًا من ذَهَبٍ أَحَب

على عمر رضى الله تعالى عنه . فإنه نظر إلى ماصدر منها من الفعل القبيح ، وهو الزنى . وغفل عما ختمت به أمرها . وهو التوبة النصوح . فنبهه صلى الله عليه وسلم عليه بقوله (لقد تابت توبة) صحيحة نصوحا (لوقسمت) بكمالها (بين سبعين) عاصيا (من أهل المدينة) أى المنافقين الذين بها ، أى لو تاب المنافقون الذين بها يومئذ توبة صحيحة من نفاقهم كتوبتها (لوسعتهم) أى لكفتهم فى رفع آثامهم فاذا رفعت ذنب الكفر ، فما دونه أولى . ولعل هذا حكمة قوله صلى الله عليه وسلم « من أهل المدينة » قال البدر المنير : وعند الطبرانى « لقد تابت توبة لو تابها أهل المدينة لقبل منهم » * (وهل وجدت) شيئا تبذله فى مرضاة الله (أفضل) أى أعظم (من أن جادت بنفسها) ببذلها (لله) أى لمرضاته (عز وجل . رواه مسلم) ورواه أبو داود والترمذى والنسائى

* وفى الحديث : بيان عظم التوبة وأنها تَجُبُّ الذنبَ وتُلْحِق التائبَ بمن لم يَقْتَرف شيئا من الذنوب . وتكون سببا لحوزه أنواع الفضل . والله أعلم .

* (وعن ابن عباس وأنس بن مالك) تقدمت ترجمتهما فى باب الاخلاص (رضى الله عنهم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو) ثبت (أن لابن آدم واديا) مملوءا (من ذهب أحب) وفى نسخة « لاحب » أى من حرصه

أنْ يكونَ له واديان ، ولَنْ يَمْلأَ فاهُ إلا التُّرابُ ، ويتوبُ اللهُ على مَنْ تابَ » متفق عليه

الذى هو طبعه (أن يكون له واديان) أى آخران . كما هو الأنسب بحرصه . ويحتمل أن يراد واديان بما كان له أولا ، فيكون المطلوب واديا آخر . والأول أظهر (ولن يملأ جوفه إلا التراب) أى إنه لايزال حريصا على الدنيا حتى يموت ويمتلىء جوفه من تراب قبره . وهذا حكم غالب النوع الانسانى : الحرص على الدنيا . أما مَنْ لُطف به ، وحُفِظ من ذلك ابتداء أو بالتوبة منه فمستثنى . كما قال (ويتوب الله على من تاب) أى إن الله تعالى يقبل التوبة من الحرص المذموم وغيره من المذمومات * (متفق عليه) وفى الجامع الصغير للحافظ السيوطى بعد ذكر الحديث بنحوه ـ أخرجه أحمد والشيخان والترمذى ، عن أنس وأحمد والشيخان عن ابن عباس . والبخارى عن الزبير . وابن ماجه عن أبى هريرة . وأحمد عن أبى واقِدٍ . والبزار عن بُرَيدة . وأخرج أحمد وابن حبان عن جابر مرفوعاً « لو كان لابن آدم واد من نخل لتمنى مثله ، ثم لتمنى مثله ، حتى يتمنى أودية . ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب » اهـ * وفى الديباج للحافظ السيوطى : ورد فى حديث : أن الحديث المذكور كان فى آخر سورة : (لَمْ يَكُنْ) فأخرج أحمد والترمذى والحاكم ـ وصححاه ـ عن أُبَىّ بن كعب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن فقرأ (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) قال : فقرأ فيها : ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه لسأل ثانياً ، ولو سأل ثانيا فأعطيه لسأل ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب ، وإن ذات الدِّين عند الله الحنيفيةَّ ، غير المشركة ، ولا اليهودية ، ولا النصرانية ، ومن يفعل خيراً فلن يكفره » اهـ .

٣٠ — وعن أَبى هريرة رضى الله عنه : أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال « يَضْحَكُ الله سبحانه وتعالى إِلى رَجلين ، يَقْتل أَحَدُهُمَا الآخر ، يَدْخُلاَنِ الجنه : يقاتِل هذا فى سبيل الله ، فيُقْتلُ ، ثم يتوبُ الله عَلَى القاتل فيُسْلِمُ فَيُسْتَشْهَد »

* (وعن أبى هريرة رضى الله عنه) تقدمت ترجمته فى باب الاخلاص (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يضحك الله سبحانه إلى رجلين) قال القاضى عياض : الضحك فى حقه تعالى — لاستحالة قيام حقيقته بذاته سبحانه ، لكونه من أوصاف الحادث — مجاز عن الرضى بفعلهما ، والثواب عليه ، وحمد فعلهما ومحبته وتلقى رسله بذلك . لأن الضحك من أحدنا إنما يكون عند موافقة مايرضاه وسروره بمن يلقاه . قال : ويحتمل أن يكون المراد ضحك الملائكة الذين يوجهون لقبض روحهما وإدخالهما الجنة . كما يقال : قتل السلطان فلانا ، أى أمر به[1] اه * (يقتل أحدهما) أى الواحد منهما (الآخر) أى صاحبه ، ثم (يدخلان الجنة) ثم بين ذلك الاجمال بقوله : (يقاتل هذا) يعنى المسلم (فى سبيل الله) لاعلاء كلمة الله تعالى (فيُقتل) أى يقتله كافر * (ثم) للترتيب فى الاخبار ، أو يراد بها مجرد الترتيب من غير انضمام التراخى إليه . فلا يعتبر تراخى إسلام الكافر عن قتله ذلك المسلم . بل يحصل باسلامه عقبه * (يتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد) عطف الفعلين بالفاء إشارة إلى حصول الهداية عقب تعلق العناية بالعبد ، من غير تراخ . إذ لا مانع لما أراده سبحانه ، وإلى أنه لم يمكث بعد إسلامه زمناً يقترف فيه شيئاً من موبقات الذنوب ، بل عقب إسلامه استشهد . فعمل قليلا وحاز خيراً جزيلا : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء * ثم لا يلزم من تساويهما فى

---

(١) مذهب السلف الاسلم والأعلم والأحكم : أن ذلك على الحقيقة كما صح اللفظ عن رسول الله الذى هو أعلم بالله ، على مايليق بالله الذى ليس كمثله شىء .

دخول الجنة تساويهما فى المنزلة . فإن تفاوت مراتب الجنان على حسب تفاوت مراتب الأعمال (متفق عليه)

وفى ختم المصنف رحمه الله الباب بهذا الحديث : إشارة إلى أن الإنسان ينبغى له أن يتوب من الذنب الذى اقترفه ، وإن كان كبيرة ، ولا يؤيسه ذلك من رحمة الله تعالى . فإن الله هو التواب الرحيم ، والذنب - وإن عظم قدره ، كالكبائر ، وكثر عدده - إذا قوبل بفضل الله وعفوه كان حقيرا يسيرا قال تعالى ([٥٣ : ٣٢] إن ربك واسعُ المغفرة) قال الأبوصيرى :

يانفس لاتقْنطِى من زَلَّة عَظُمت إن الكَبَائِر فى الغُفران كاللَّمَمِ

باب الصبر

أى هذا باب بيان فضائل الصبر : من الآيات والأحاديث * قال الراغب فى مفرداته : الصبر : حبس النفس على ما يقتضيه العقل ، أو الشرع ، أو عما يقتضيان حبسها عنه اهـ * وقال ذو النون : هو التباعد عن المخالفات . والسكون عند تجرُّع غُصَص البلية . وإظهار الغنى عند حلول الفقر بساحة المعيشة * قال الراغب : وربما خولف بين أسمائه ، بحسب اختلاف مواقعه ، فإن كان حبس النفس لمصيبة ، سمى : صبراً . لاغير . ويضادُّه الجزَع ، وإن كان فى محاربة ، سمى : شجاعة . ويضاده الجُبْن . وإن كان فى نائبة مُضْجِرة ، سمى رَحْبَ الصدر . ويضاده الضَّجَر . وإن كان فى إمساك عن الكلام ، سمى كتمانا . ويضاده المَذْل[1] ، وقد سمى الله تعالى

(١) فى الأصول «الهجر» وهو خطأ . ومذل - كنصر ، وعلم - بسره : أفشاه

* قال الله تعالى ([٣ : ٢٠٠] يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا)

* وقال تعالى ([٢ : ١٥٥] ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين [١])

* وقال تعالى ([٣٩ : ١٠] إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)

كل ذلك صبرا . قال تعالى (اصبروا وصابروا) أى احبسوا أنفسكم على العبادة ، وجاهدوا أهواءكم . اه

* (قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على الطاعات والمصائب ، وعن المعاصى (وصابروا) الكفار أى غالبوهم بالصبر . فلا يكونوا أشد صبراً منكم (ورابطوا) أى أقيموا على الجهاد . وفى تفسير الكواشى : قال صلى الله عليه وسلم « رباطُ يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، والرَّوحة يروحها العبد ، أو الغَدْوَة خير من الدنيا وما عليها [٢] » قال أبو سلمة : « لم يكن فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه . ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة » [٣] .

* (وقال تعالى : إنما يُوَفَّى الصابرون) على الطاعة وما يُبْتَلَون به ، وترك ذكر الفاعل للعلم به سبحانه (أجرهم بغير حساب) أى بغير مكيال ولا وزن ، قال أبو

---

(١) هذه الآية ساقطة من جميع نسخ الشرح . ومع هذا فقد كان موضعها الأولى بها بين الآيتين الخامسة و السادسة

(٢) رواه البخارى ومسلم عن سهل بن سعد

(٣) رواه ابن أبى حاتم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة . ورواه ابن جرير عن داود بن صالح عن أبى سلمة من قوله

* وقال تعالى ([٤٢ : ٤٣] وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)

* وقال تعالى ([٢ : ١٥٣] اسْتَعِينوا بالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللهَ مع الصابرين [١])

عثمان المغربي : لاجزاء فوق جزاء الصبر * قال الكواشي في التفسير الكبير : المراد كل صابر على ترك أهل ووطن ، وعلى كل مكروه يعرض له لأجل الله * قال على رضى الله عنه : « كل مطيع يكال له كيلا ، و يوزن له وزنا إلا الصابرون . فانه يُحْثَي لهم حَثْياً » .

* (وقال تعالى : ولمن صبر) فلم ينتصر لنفسه بعد ظلمها (وغفر) تجاوز عن ظالمه (إن ذلك) المذكور : من الصبر والغَفْر (لمن عزم الأمور) أى منه . فحذف للعلم به ، كحذفه من قولهم « السَّمْن مَنَوانِ بدرهم » والمعنى : من الأمور التى أمر الله تعالى بها * وقال بعضهم : الصبر على المكاره من علامات الأنبياء . فمن صبر على مكروه أو مصيبة ولم يجزع ، أورثه الله حالة الرضى . وهى من أجلّ الأحوال ، ومن جزع من المصائب وشكا وكَلَهُ الله تعالى إلى نفسه . ولم تنفعه شكواه .

* (وقال تعالى : استعينوا) أى اطلبوا المعونة على أموركم (بالصبر) أى الحبس للنفس على ماتكره (والصلاة) أفردها بالذكر تعظيما لشأنها ، وفى الحديث « كان صلى الله عليه وسلم إذا حزَبه أمر بادر إلى الصلاة » وقيل : الخطاب لليهود . لمّا

---

(١) فى الأصول كلها « واستعينوا » بالواو . وهو غلط

* وقال تعالى ([٤٧ : ٣١] ولَنَبْلُوَنَّكُمْ حتى نَعْلَمَ المجاهدين مِنْكُمْ والصَّابِرِين)

* والآيات في الأَمر بالصَّبرِ ، وَبيان فَضْله : كثيرة معروفة

٣٠ — وعن أبى مالكٍ الحارثِ بن عاصِمٍ الأَشْعَرِىّ رضى الله عنه

عافهم عن الايمان : الشَّرَهُ وحبُّ الرياسة أُمروا بالصبر ، وهو الصوم . لأنه يكسر الشهوة والصلاة ، لأنها تورث الخشوع وتنفى الكِبْر .

* (وقال تعالى : ولنبلونكم) اللام فيه مؤذنة بقَسَم قبله ، أى والله لنختبرنكم ، بأن نأمركم بالجهاد ومشاقّ الدين . فيظهر لنا منكم الطائع والعاصى (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) المراد بالعلم هنا لازمه من الوجود . والمعنى : حتى تتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره ، أو حتى نعلم علم ظهور

* (والآيات) القرآنية (فى الأمر بالصبر و) فى (بيان فضله كثيرة) اهتماما بشأنه (معروفة)

* (وعن أبى مالك الحارث بن عاصم) هذا أحد أقوال عشرة فى اسمه . وقيل : كعب بن عاصم . وقيل : كعب بن كعب . وقيل : عبيد . وقيل : عمرو * قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى أماليه فى الأذكار : التحقيق أن أبا مالك الأشعرى ثلاثة : الحارث بن الحارث . وكعب بن عاصم . وهما مشهوران باسمهما . والثالث هو المختلف فى اسمه . وأكثر مايرد فى الروايات بكنيته . وهو راوى الحديث اه * (الأشعرى) نسبة الى الأشعر قبيلة مشهورة من اليمن ، و « الأشعر » هو نَبْت بن أُدد بن زيد بن يَشْجُب ، وقيل له الأشعر : لأن أمه ولدته والشعر على

بدنه * قدم أبو مالك (رضى الله عنه) مع الأشعريين على النبى صلى الله وسلم ، ويُعَدُّ فى الشاميين ، تُوفِّيَ فى خلافة عمر بالطاعون . وطُعن هو ومعاذ وأبو عبيدة ، وشُرَحبيل بن حَسَنَة فى يوم واحد(١) * روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة وعشرون حديثا . روى عنه مسلم حديثين ـ هذا الحديث . وبدأ به كتاب الطهارة من صحيحه ـ وحديث « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية » . وروى له البخارى على الشك ، فقال : عن أبى مالك . أو أبى عامر . وروى عنه أصحاب السنن الأربع * (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور) قال المصنف رحمه الله تعالى : بالضم ، على المختار . وهو قول الأكثر اه * والمراد به بالضم : الفعل وبالفتح الاسم . كالسَّحور ـ بالفتح ـ اسم لما يُتَسَحَّر به ، وقال الخليل والأزهرى : بالفتح فيهما ، بل أنكر الخليل الضم ، وحكى صاحب المطالع : الضم فيهما . وقال القرطبى : إنما روى بالفتح . إما على قول الخليل ، أو على تقدير مضاف . أى استعمال الطهور . واشتقاقه : من الطهارة . وهى لغة : النظافة حسية كانت أو معنوية . قال جماعة من أهل اللغة : هى حقيقة فى الصورية ، مجاز فى المعنوية . وقيل : يمكن أن يقال : إنها حقيقة فى القدر المشترك ، لرجحانه على المجاز والاشتراك . وشرعا : فعل ما يترتب عليه إباحة أو ثواب مجرد * (شَطْرْ) أى نصف (الايمان) أى ينتهى تضعيف أجره إلى نصف أجر الايمان ، فالمراد بالايمان : حقيقته * واعترض : بأن الصلاة أفضل من الوضوء . ولم يرد فيها ذلك . وأجيب : بالتزامه وإن لم يرد ومفهوم الاسم ضعيف * وقيل : المراد من الايمان الصلاه ، مثل ([٢ : ١٤٣] وما

---

(١) كان طاعون عمواس هذا فى سنة ثمان عشرة

والحمدُ لله تَمْلأُ الميزانَ . و سبُحانَ الله

كان اللهليضيع إيمانـكم) وهى لاتصح إلا بطهر . فكان كالشطر ، ورجحه المصنف رحمه الله بأنه أقرب الأقوال . وأيده بعض محققى المتأخرين . وأجاب عمااعترض به عليه بكلام ذكرته فى شرح الأذكار * (والحمد لله) أى هذه الجملة بخصوصهالأنها أفضل صيغ الحمد . ولذا بدىء بها الـكتاب العزيز ، أو هى وما يؤدى مؤداها من الثناء على الله سبحانه وتعالى بصفات كماله ، ورجح بعضهم الأخير * (تملاء) بالفوقية ، أى هذه الـكلمة بالمعنى اللغوى ، أو الجملة لو جُسِّمت . أوبالتحتية . أى يملأ هذا المبنى . وكذا ما أفاد مفاده لو كان جسما (الميزان) باعتبار ثواب التلفظ بذلك ، مع استحضار معناه ، أي الثناء على الله بالجميل الاختيارى . والاذعان له ، و«الميزان» : المراد منه : حقيقته ، أى ماتوزن به الأعمال : إما بأن تُجسّم . أوتوزن صحائفها ، فيطيش بالسيئة . ويثقل بالحسنة . و إنماملأ ثواب هذهالجملة كِفةَّالميزان ـ مع سعتهاالمفرطة ـ لأن معانى الباقيات الصالحات فى ضمنها . ذكره العلائى فى الجزء الذى ألفه فى شرح هذا الحديث . ولذلك قال على رضى الله عنه « لو شئت أن أُوْقِرَ بعيراً منها لفعلت» . وذلك لأن الثناء تارة يكون بإثبات الـكمال . وتارة بنفى النقص . وتارة بالاعتراف بالعجز عن الإدراك . وتارة بالتفرد بأعلى المراتب . والألف واللام فى « الحمد » لاستغراق جنس المدح . والحمد مما علمناه وجهلناه . و إنما يستحق الالهية من انصف بذلك . فاندرج الجميع تحت الحمد لله . ذكره العلائى فى أثناء كلام له *(وسبحان الله)منصوب على المصدر . وقيل : اسم مصدر . وقال الزمخشرى هو علم على التسبيح . وانتصب بفعل مضمر ، أى « أسبحه سبحان » ثم نُزِّل منزلة الفعل . فسَدَّ مَسَدَّه اه * وظاهره : أنه علم أضيف ، أو قطع عنها ، وأن إضافته للبيان ، لاللتعريف . كزيدِ الخيل ، وهذا ظاهر قول الأخفش : إنه معرفة .

والحمدُ لله تملآنِ — أو يَملأُ — ما بَيْنَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ ،

وضع لهذا المعنى . ولذا امتنع صرفه للعلمية وزياده الالف والنون · والمحققون على أن تعريفه بالاضافة . و « التسبيح » تنزيه الله عن السوء والنقائص . وتبعيده منها (والحمد لله) معطوف على ما قبله . أى هاتان الكلمتان (تملآن) بالفوقية (أو) شك من الراوى (يملأ) بالتحتية ، أى المذكور منهما ، أو أجرهما . قيل : ويحتمل أن يراد أحدهما . فيكون المشكوك فيه أنهما معاً يملآن ما بين السموات والارض ، أو أحدهما . أو بالفوقية ، أى الكلمة الشاملة لهما . وقال العاقولى ، فى شرح المصابيح : يروى بالمثناة الفوقية (مابين) طبقات (السموات) السبع . وفى السلاح «السماء» بالافراد . وعزاه لمسلم ، وكأنه باعتبار أصله . وإلا فالذى عندى بأصل مصحح « السموات » بالجمع . وكذا هو فى الكتب الحديثية (والارض) أفرده . والمراد به الجمع . أى الأرضون . ولعل ذلك لأن طباق الأرض متلاصقة لاخلاء بينها . بخلاف طباق السموات . وقال البيضاوى فى التفسير : إنما جمع السموات وأفرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات ، مختلفة فى الحقيقة . بخلاف الأرضين اه وإنما ملأ ثواب ما ذكر : ما بين المذكورات التى لا يحيط بسعتها إلا خالقها سبحانه وتعالى : لان العالم كله شاهد بأن الله هو خالقة ، والقائم بتدبيره ، وبأنه لا يجوز أن يكون له فيه شريك ولا معين ، وبأنه واجب الاتصاف بصفات الكمال . منزه عن مشابهة الحادثات . إذ الالهية إنما تتم بذلك * قيل : وإلى هذه الشهادة يشير قوله تعالى ([١٧ : ٤٤] وإن من شىء إلا يُسَبِّح بحمده) «فسبحان الله والحمد لله » يتضمنان إثبات الرب الواحد ، وجميع صفات الجلال والكمال له . ونفى جميع النقائص عنه . فكأن قائلها شاهد لله بذلك . وعلى جميع العالم بأنه مربوب مخلوق فى قهره وتدبيره . لا منعم عليه ، ولا قادر ، ولا مالك بالحقيقة سواه . فله من الأجر

بقدرماشهدبهمن الحق ، فملأ أجرهما ما بين السموات والارض . نقله العلائى عن ابن برجان فى الـكلام على « لاإله إلا الله » قال العلائى : ويصح نقله إلى هنا * * (والصلاة) سيأتى معناها لغة وشرعا إن شاء الله تعالى (نور) أى محسوس ، أى إن الصلاة نفسها تضىء لصاحبها فى ظلمات الموقف بين يديه . ولم يجىء فى فعل متعبَّدٍ به : أنه نوربنفسه ، سوى الصلاة . فالظاهرأن هذا النورخاص بها . وأصرح منه مالأحمد بسند صالح عن ابن عَمرو : قال صلى الله عليه وسلم « من حافظ على الصلاة كانت له نورا و برهانا و نجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراولا برها ولا نجاة يوم القيامة . وكان معْ قارون وفرعون وهامان وأبَىِّ بن خَلَفٍ » * وقيل : النور أجرها . لاهى . فتكون على تقدير مضاف . وقيل : نورظاهر على وجه المؤمن يوم القيامة . فالمرادبها ،أى بسببها : يعلو النوروجه المؤمن . فالاسنادمجازى من الاسناد للسبب . وقيل : النورمعنوى . لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر . وتهدى الى الصواب ، فتصدُّ عن المهالك . وتوصل إلى طريق السلامة ، كما يستضاء بالنور . وقيل : نور القلب بسببها . لا شتمالها على مالم يجتمع فى غيرها من أعمال القلوب والألسن والجوارح : فرضا ونفلا . فالصلاة الـكاملة يحصل بها من النور الالهىّ فى القلب مالا يعبَّر عنه . قيل : ويمكن حمل النور على جميع ما تقدم من حقيقة اللفظ ومجازه على قاعدة الشافعى * (والصدقة برهان) أى حجة على إيمان مؤديها . وقيل : على أنه ليس من المنافقين الذين يلمزون المطَّوعين من المؤمنين فى الصدقات . وقيل : على حبه لله ورسوله . فانه آثر رضاهما على المال الذى جبل على حبه . وقيل : برهان له يوم القيامة إذا سئل عن ماله : فيمَ أنفقه ؟ يقول : تصدقت به . وقال صاحب التحرير : يجوز أن المتصدق يوسم يوم القيامة بسِيمْاء

والصَّبْرُ ضِياءٌ ، والقرآن حُجَّةٌ لك أو عَليك ،

يعرف بها ، فتكون برهاناله على حاله . ولا يسأل عن مصرف ماله . وأُيِّد بحديث أبى داود عن عُقبة بن عامر مرفوعا « كل امرىء فى ظِلّ صدقته يوم القيامة ، حتى يُقضَى بين الناس » فيكون هذا الظل برهانا على صدق إيمانه ، أو على إخلاصه * (والصبر ضياء) قيل : المر د هنا بالصبر : الأعم من الصبر على طاعة الله . وعن معصيته . وعلى المكاره . ومنه الصوم . وقيل : المراد به : صبر خاص . وهو الصوم . ورجحه صاحب مطالع الأنوار : بأنه صرح به فى رواية ، ورجّحه غيره : باقترانه بالصلاة والصدقة فكشفها وبين خصوصياتها ، وأن من استجمعها حصل له نور فى بياض انتشر له ضياء . وهو من الاضاءة : انتشار النور . وهذا أكمل أحوال النور . قال تعالى ([١٠ : ٥] هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا) وقال القرطبى : إن فسر الصبر بالصوم ، فالضياء النور ، وإن اختلف لفظهما . و إن فسر بالأعم ، فهو إضاءة عواقب الأحوال . وحسنها فى المآل اه * قال الفاكهانى : ولم أرَ مَنْ فرَّق بين الضياء والنور . وقد فسر صاحب الصحاح النور بالضياء والضياء بالنور . ورُدَّ بأن كون الضياء هو النور لانه خصوصية فى النور وزائد عليه وأبلغ منه . قال : والحاصل أن النور الحادث قد يخلق كامل الضياء ، كالشمس . ودون ذلك كالقمر ، و إنما سوّى القرطبى بينهما لئلا يلزم تفضيل الصوم على الصلاة . وليس بلازم . لأن مناط الفضل ليس منحصرا . بل له أسباب كثيرة ، واعتبارات متنوعة . فيكون المفضول فاضلا فى وقت وبالعكس اه * (والقرآن) أى كلام الله المنزل على حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ، بقصد الاعجاز . المتعبّد بتلاوته (حجة لك) إن امتثلت أوامره ، واجتنبت نواهية . فتحتج به فى المواقف التى تسأل فيها عنه ، كمسائل الملكين فى القبر ، وكالمسألة عند الميزان وعند الصراط (أو) حجة (عليك) إن لم تمتثل أوامره ولم تجتنب نواهيه . وقيل : حجة لك فى الدنيا على المطالب

كلُّ الناس يَغْدُو ، فَبائِعٌ نَفْسَهُ فمُعْتِقها ، أو مُوبِقُها »

الشرعية والأحكام . أو حجة عليك لخصمك المحق . فالمرجع إليه عند التنازع .
وهو دال على اتباع السنة . وهى : على حجية القياس . والـكتاب والسنة : دالان
على حجية الاجماع . فصار القرآن مرجع جميع الأحكام . لـكن بواسطة تارة .
و بغيرها أخرى * قال الفاكهانى : والأول أظهر . وقال العلائى : والآثار شاهدة
به . ثم ساق أحاديث * منها للبيهقى بسند غريب عن جابر مرفوعا «القرآن شافع
مُشَفَّع ، وماحِلٌ مُصَدَّق ، فمن جعله إمامه قاده إلى الجنة . ومن جعله خلفه ساقه
إلى النار[1] » * ومنها عن أبى أمامة مرفوعا «اقرأوا القرآن . فانه يأتى شفيعا لأصحابه
يوم القيامة»[2] قال العلائى ، بعد إيراده جملة من الأحاديث : ورجح الزِّملـكانى
القول بذلك . لهذه الآثار ، والحمل على مقتضى القولين أولى . تـكثيراً للفائدة * ثم لما
بيَّن فضل هذه القربات ورغب فيها وكان إعمال النفس لها يقتضى سعيا أتبع ذلك
بأن أحداً لايترك نفسه همَلا عاطلة ؛ بل لابد له من عمل يغدوله . فقال (كل الناس
يغدو) أى يبكر فى مصالحه (فبائع نفسه) من الله (فمعتقها) من العذاب وناهيك
بها صفقة اغتنام . إذ كان الثمن فيها دار السلام ، والنظر إلى وجه الملك العلام ،
قال الله تعالى [٩ : ١٩٧] إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ـ الآية) وهؤلاء
سعوا فى خلاص نفوسهم ، وتوجهوا بقلبهم إلى ربهم . وطلب ماعنده (أو) بائع
نفسه لغير ربه ، من هواه أو الشيطان ، فهو (موبقها) أى مهلـكها بالطرد عن ساحة
الرضوان ، و بالبعد والحرمان . نعوذ بالله من سخطه وأليم عقابه . ويحتمل أن
يـكون المراد ببائع : مشتر ، أى كلهم يسعى . فمنهم من يشترى نفسه بالأعمال
الصالحة ، فيعتقها من العذاب . ومنهم من يعرضها للعذاب باكتساب المآثم .
فيوبقها . ورجح : بأن نفسه ليست ملـكه فيبيعها . بل مملوكة لله مرتهنة بأعمالها

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه . و « ماحل » أى ساع . وقيل خصم مجادل
(٢) رواه مسلم

رواه مسلم

٣١ — وعن أبى سعيد : سَعْدِ بن مالك بن سنان الخُدرىّ رضى الله عنه « أنّ ناساً

حتى يخلصها . واختار القاضى عياض حمله على المعنيين . أى من اشتراها بالأعمال الصالحة أعتقها . ومن باعها فى الأعمال السيئة أوبقها . كما قيل فى : ([١٠٢:٢] ولَبئس ما شَرَوا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) وهذا على قاعدة الشافعى فى حمل المشترك على معنييه . وردّ كل جملة إلى معنى ، وهو نوع من الإيجاز بديع ، عند أرباب البيان ، لخصت معظم ما ذكرته فى هذا الحديث من شرحه فقط للعلامة العلائى * (رواه مسلم) ورواه أحمد ، والدارمى فى مسنده ، وأبو عوانة فى صحيحه ، والترمذى فى الدعوات من جامعه . وقال : إنه حسن صحيح ، والنسائى فى عمل اليوم والليلة . وسها ابن عساكر ، وتبعه المِزّى ، فأغفلا فى أطرافهما عَزْو هذا الحديث للترمذى . وأخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير . ووقع فى رواية أبى سلاّم عن أبى مالك الأشعرى اختلاف . فمن ذكرناهم رووه عنه عن أبى مالك ، بلا واسطة . ورواه ابن ماجه وآخرون عنه عن عبد الرحمن بن غَنْم عن أبى مالك . قال الحافظ السخاوى ، فى تخريج الأربعين للمصنف ، بعد كلام طويل نقله فى ذلك عن شيخه الحافظ ابن حجر : وبالجملة فالطريق الأُولى ـ أعنى كون أبى سلاّم سمعه من كل منهما ، وكون الصحابى فى الطريقين واحدا ـ : أوْلى

* (وعن أبى سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى رضى الله عنه) الأولى عنهما لما سبق فى ترجمته فى باب التوبة من أنه وأباه كانا صحابيين (أن ناسا) فى تفسير البيضاوى : أصله « أناس » لقولهم : إنسان ، وإنس ، وأناسِىّ ،

من الأنصار سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، حتى نَفِدَ ما عندَه ، فقال لهم — حين أنفق كلَّ شيء بيدِه : — ما يَكُنْ

فحذفت الهمزة حذفها في «أُوقة[1]» وعُوِّض عنها حرف التعريف . ولذا لا يكاد يجمع بينهما ، مأخوذ من « أنِس » بوزن « فرح » لأنهم يستأنسون بأمثالهم أو من « آنسَ » كذلك لأنهم ظاهرون مبصرون اهـ . وقيل : مقلوب «نَسى» . وقيل : مأخوذ من «ناسَ يَنُوس» إذا اضطرب وتحرك . قال الحافظ ابن حجر في فتح البارى : لم يتعين لى أسماؤهم ، إلا أن النسائى روى عن أبى سعيد ما يدل على أنه منهم . وذلك أنه قال « سَرَّحَتْنى أمِّى إلى النبى صلى الله عليه وسلم . يعنى لأسأله من حاجة شديدة . فأتيته ، وقعدت . فاستقبلنى ، وقال : من استغنى أغناه الله — الحديث » وزاد فيه «ومن سأل وله أُوقيَّة فقد ألْحفَ ، فقلت : ناقتى خير من أوقية . فرجعت ولم أسأله » اهـ * (من الأنصار) بفتح الهمزة اسم اسلامى ، علم بالغلبة على أولاد الأوس والخزرج ، سُمُّوا به لنُصرتهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ودينه (سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم) حذف المفعول الثانى لعدم تعلق الغرض به (فأعطاهم) أى عقب سؤالهم . ولم يتوانَ ، لما جُبل عليه من مكارم الأخلاق والسماحة (ثم سألوه فأعطاهم) فتكرر منهم السؤال مرتين . ومنه الإعطاء عقب كل مرة (حتى نفد) بكسر الفاء وبالدال المهملة . ففى الصحاح : نَفِد الشيء يَنْفَدُ ، نفاداً : فنى * (ما عنده) أى ذهب بالإنفاق جميع ما عنده (فقال) عقب نفاده ، تنفيراً لهم من الاستكثار مما زاد على الحاجة من الدنيا ، وتحريضاً على القناعة ، وحثًّا على الاستعفاف ، واللام فى (لهم) هى لام المبالغة (حين أنفق) هو مختص بإخراج الشيء فى الخير (كل شيء) معدٍّ للانفاق كائن (بيده : ما يكن) كذا هو بالجزم فيما وقفت عليه من نسخ مصححة من الرياض .

---

(١) اللوقة : وبقال . ألوقة — : طعام طيب ، أو زبد برطب

مِنْ خيرٍ فلن أَدَّخِرَه عنكم ، ومَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّه الله ، ومَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِه الله ، ومن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْه الله ، وما أُعطِيَ أحدٌ عطاءً خيراً

وهو كذلك فى أصلٍ مصحح عندى من صحيح مسلم . فتكون «ما» شرطية . وفى البخارى «مايكون» بالرفع . قال الشيخ زكريا : فـ « ما » موصول متضمن معنى الشرط . وجوابه على الوجهين قوله « فلن أدخره عنكم » ، و (من) بيانية خبر (فلن أدخره) بتشديد الدال المهملة ، وجاء إعجامها مدغما وغير مدغم . وأصله « ادتخر » فقلبت التاء دالا على اللغة الأولى ، وذالا على اللغة الثانية . والمعنى : لا أجعله ذخيرة لغيركم معرضا عنكم ، أو فلا أخبؤه ، وأمنعكم إياه * (ومن يستعفف) بفك الادغام . فالفعل مجزوم بالسكون لفظاً . أى من طلب العفة عن سؤال الناس والاستشراف إلى ما فى أيديهم (يعفه الله) أى يرزقه العفة . فيصير عفيفا قنوعا . وفى النهاية : وقيل : الاستعفاف الصبر والنزاهة عن الشىء . يقال : عَفَّ يَعِفُّ عِفَّة ، فهو عفيف . وهو بفتح الفاء . لأنها أخف الحركات ، أو بكسرها . لأنها الأصل فى التخلص من التقاء الساكنين * (ومن يستغن) أى يظهر الغنى بالتعفف عما فى أيدى الناس (يغنه الله) أى يجعله غنى النفس . ولا غنى إلا غناها * (ومن يتصبر) أى يتكلف الصبر على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا ، بأن يتجرَّع مرارة ذلك ولا يشكو لغير مولاه (يصبره الله) أى يعطيه من حقائق الصبر الموصلة للرضى ما يهون عليه كل مُشِقٍّ وَمُكَدِّرٍ ، ولشرف مقام الصبر وعلوه ـ لأنه جامع لمكارم الأخلاق ، ومعالى الصفات فلا ينال شيئاً منها إلا من تَحَلَّى به ـ عقبه بقوله (وما أعطى أحد عطاء) مفعول ثان لـ « أعطى » أى ما أعطى أحد من خلق ولا مقام عطاء (خيراً) كذا هو بالنصب فى النسخ . وهو فى البخارى : «هو خير» ، وفى مسلم : « خير »

وأَوْسَعَ من الصَّبْرِ » متفق عليه

٣٢ — وعن أبى يحيى صُهَيْبِ بنِ سِنانٍ

بحذف «هو» فى رواية ، وفى رواية بنصب « خير» * (وأوسع من الصبر) قال الشيخ زكريا : « خيراً » هنا ليس بأفعل تفضيل . بل هو كقوله تعالى([٢٥:٢٤] أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) اه * ومعنى كونه أوسع : أن به تتسع المعارف والمشاهد والمقاصد * فان قلت : مقام الرضى أفضل منه ، كما صرحوا به . قلت : هو غايته لأنه لا يُعتَدُّ به إلا معه . فليس أجنبياً عنه ، إذ الصبر من غير رضى مقام ناقص جداً * (متفق عليه) وكذا أخرجه أصحاب السنن الأربع . وزاد رَزِين « وقد أفلح من أسلم ورُزِق كَفَافا وَقنَّعه الله بما آتاه » وهذه الزيادة أخرجها مسلم والترمذى من رواية عمرو بن العاص . كذا فى التيسير للدَّيْبَع *

* (وعن أبى يحيى صهيب) بضم المهملة وفتح الهاء بعدها تحتية ساكنة فموحدة (بن سنان) بكسر المهملة ونونين بينهما ألف : ابن مالك ، بن عبد عمرو بن عُقَيل ، بن عامر ، ابن جَنْدلة ، بن جَذِيمة ، بن كعب ، بن سَعد ، بن أسلم ، بن أوس مَناة ، بن النَّمِر ابن قاسِط بن هُنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِى ، بن جَديلة ، بن أسد بن ربيعة بن نِزار الرَّبَعى النَّمِرَى . كذا نسبه الكلبى وأبو نعيم . وَصدَّر به ابن الأثير فى أُسْد الغابة . ثم حكى فى نسبه قولين آخرين * كناه صلى الله عليه وسلم بأبى يحيى وإنما قيل له « الرومى » لأن الروم سبوه صغيرا . فابتاعه منهم كَلْب ، ثم قدموا به مكة فاشتراه عبد الله بن جُدْعان منهم فأعتقه . وأقام معه إلى أن هلك عبد الله وقيل : إنه هرب من الروم لما كَبِر وعقَل . فقدم مكة وحالف ابن جُدْعان . ولما بُعِث النبى صلى الله عليه وسلم أسلم . وكان من السابقين إلى الاسلام . قال الواقدى : أسلم هو وعمار فى يوم واحد [١] . وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين

(١) قال الواقدى : أسلموا فى دار الأرقم

رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عَجَبًا لأَمْرِ المؤمنِ ! إنّ أمْرَه كُلَّه له خيرٌ ، وليس ذلك لأحَدٍ إلاَّ للمؤمن : إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ ، فكان

رجلا . وكان من المستضعفين بمكة الذين عذبوا . وقدم المدينة مع على بن أبى طالب فى النصف من ربيع الأول ، وَالنبىُّ صلى الله عليه وسلم فى قُبَاءَ لم يَرِمْ ، أي لم يَبْرح من مكانه بعد . وآخَى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين الحارث بن الصِّمَّة . شهد المشاهد كلها مع النبى صلى الله عليه وسلم . وعن أنس — مرفوعا — «السُّبّاق أربعة : أنا سابق العرب وصُهيب سابق الروم ، وسلمان سابق فارس وبلال سابق الحبش » . وكان عُمر محِبًّا لصهيب ، حَسَنَ الظن به . حتى إنه لما ضُرِب أوصَى أن يُصَلِّى عليه صهيب ، وأن يصلى بالمسلمين حتى يتفق أهل الشُّورى على شخص * رُوى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثون حديثاً . أخرج له مسلم ثلاثة أحاديث . ولم يُخْرِج له البخارى شيئاً . توفِّى بالمدينة سنة ثمان وثلاثين . وقيل : تسع وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة . وقيل : ابن سبعين . ودفن بالمدينة * (رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عجباً») مفعول مطلق . أى أعجب عجباً . وَتعجَّب ابنُ آدم من الشىء ، إذا عَظُم موقعه عنده ، وخَفى عليه سببه . كما فى النهاية (لأمر المؤمن) أى الكامل . وهو العالم بالله ، الراضى بأحكامه ؛ العامل على تصديق موعوده (إن أمره) أى شأنه (كله) بالنصب تأكيد ، وبالرفع مبتدأ ، خبره : (له خير) والجملة خبر « إن » (وليس ذلك) الخير فى كل شأن (لأحد إلا للمؤمن) الكامل . ووضع الظاهر موضع المضمر دفعاً للوهَم ، وليُشعِر بالعِلّية ، أى أن إيمانه الكامل سبب خيريته فى كل حال * (إن أصابته سراء) بفتح السين وتشديد الراء المهملتين . أى ما يسره (شكر) أى عرف قدر نعمة مولاه فشكر (فكان)

خيراً له . وإن أصابَتْهُ ضرّاء صَبَر . فـكان خيرا له » رواه مسلم

٣٣ — وعن أنسٍ رضى الله عنه قال : « لما ثَقُل النبيُّ صلى الله عليه وسلم جعَلَ يتغَشّاه الـكَرْبُ ، فقالت فاطمةُ

شكره (خيرا له) من السراء التى نالها ، لـكونه ثوابا أخرويا (و إن أصابته ضراء) أى ما يضره فى بدنه ، أو ما يتعلق به من أهل أو ولد أومال (صبر) واحتسب ذلك عند الله ، رجاء ثوابه ، ورضى به . نظرا لـكونه ِفعْل مولاه الذى هو أرحم به (فـكان) صبره فى الضراء (خيرا له) لانه حصل له بذلك خير الدارين . أما غير كامل الايمان فانه يتضجَّر و يتسخَّط من المصيبة . فيجتمع عليه نَصَبها ووِزْر سخَطه . ولا يعرف للنعمة قدرها . فلا يقوم بحقها . ولا يشكرها . فتنقلب النعمة فى حقه نقمة . وينعكس عليه الحال . نعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة ومن الحوْرِ بعد الـكَوْرِ * (رواه مسلم) وكذا رواه الامام أحمد من حديث صهيب أيضا . كما فى الجامع الصغير

* (وعن أنس رضى الله عنه) تقدمت ترجمته (قال : لما ثقل النبى صلى الله عليه وسلم) بضم القاف من شدة المرض . ورواه الدبيع فى التيسير بلفظ « لما احتُضِر » بالبناء للمجهول من الاحتضار . لـكن فى أصله جامع الأصول . كما هنا ولعل ما عند الدَّيْبَع لفظ النسأى * (جعل) من أفعال الشروع (يتغشاه) أى يغشاه (الـكرب) على وزن الضرب ، أى الشدة من سكرات الموت لعلو درجته وشرف رتبته . وفى الحديث « أشد الناس بلاء الأنبياء . ثم الأولياء . ثم الأمثل فالأمثل » وقد أفرد بعض العارفين فى هذا المعنى مؤلفا سماه « القول الاجل فى حكمة كرب المصطفى عند حلول الأجل » * وقد أوردته بجملته فى شرح الأذكار * (فقالت فاطمة

رضى الله عنها : وَا كَرْبَ أبَتَاهْ . فقال : ليس على أبيكِ كَربٌ بعد اليوم. فلمَّامات . قالت : ياأبَتَاهْ أجابَ ربًّا دعاه ، يا أبتاهْ

رضى الله عنها : وا) للندبة (كرب أبتاه) قالته لما رأته حلّ به صلى الله عليه وسلم فتألم قلبها و باح بما فيه لسانها ، مع كمال صبرها ورضاها بفعل ربها . ومثل ذلك لايقدح فى الكمال . ففى الحديث « العين تدمع . والقلب يَحْزَع . ولا نقول إلا ما يرضى الرب » . وهذا محمول على أنها لم ترفع صوتها بذلك . و إلا لكان ينهاها ، ثم عند النسائى عن ثابت بدل « وا كرب أبتاه » « وا كرباه » والأول أصوب لقوله فى نفس الخبر (فقال) أى النبي صلى الله عليه وسلم (ليس على أبيك) أتى بالمظهر إيماء إلى أن سبب صدور ماتقدم من السيدة فاطمة رضى الله عنها هوالبعضية وكونه صلى الله عليه وسلم أصلا لها (كرب بعد اليوم) أى لايصيبه نَصَب ولا وَصَب ، يجدله ألماً بعداليوم . لأنه ينتقل من دار الأكدار إلى دار الآخرة . والسلامة الدائمة ، إلى مالا يعلم بأدناه من العطايا السنية ، والمراتب العلية ، فضلا عن أعلاه — إلا من منحه وأولاه . وقد ورد « لاراحة للمؤمن دون لقاء ربه [1] » فكيف بسيد السادات . فقد انتقل لمحل قُرَّة عينه ، وراحة نفسه ، ودوام أنسه * (فلما مات قالت) فاطمة (يا) حرف نُدْبة (أبتاه) باسكان الهاء . وأصله : يا أبى . فأبدلت الفوقية من التحتية . لأنهما من الحروف الزوائد ، والألف هى التى تلحق آخر الاسم عند النُّدْبة . وكذا الهاء وتسمى هاء السكت . لحقت آخر المندوب للوقف عليها . ورأيته بضم الهاء فى نسخ الرياض . ولم يظهر لى وجهه . لأن الهاء لا تلحق المندوب إلا فى الوقف ، وهى فيه ساكنة . وتحذف وصلا ، فالظاهر أن الضبط المذكور من بعض الكتَّاب * (أجاب ربًّا دعاه) إلى لقائه (يا أبتاه من) أى الذى . وحكى الطيبى عن نسخة من المصابيح كسر الميم على أنها حرف جر .

---

(١) ذكره فى كشف الخفاء . رقم (٣٠٦٦) من قول ابن مسعود وأبى هريرة

جَنَّةُ الفِرْدوسِ مَأواه، يا أَبتاه إِلى جِبريل نَنعاهْ. فلما دفِنَ قالت فاطمة رضى الله

والأول : أولى ، وفى نسخة من الرياض حذف « من » (جنة الفردوس) مبتدأ و « الفردوس » بستان يجمع كل ما فى البساتين من شجر وزهر ونبات ، قيل : وهى رومية معربة ، كذا فى تحفة القارى . وفى الجامع الصغير : حديث « إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس . فانه سُرّةُ الجنة » رواه الطبرانى عن العِرْباض مرفوعا . و « السر » بالضم الوسط . بمعنى الخيار . لما فى حديث آخر عند البخارى فى كتاب الجهاد « إنه وسط الجنة ، وإنه أعلى الجنة ، و إن سقفه عرش الرحمن » وخبر المبتدأ قوله (مأواه) أى منزله . وعلى كسر الميم ، فهو مبتدأ خبره الظرف قبله * (يا أبتاه إلى جبريل) بكسر الجيم والراء وإسكان الموحدة والتحتية بعدها لام . وهواسم عبرانى . قيل : معناه عبدالرحمن · وقيل : عبدالله . وفى «جبريل» إحدى عشرة لغة ، ذكرتها فى أوائل شرح الأذكار . والظرف متعلق بقوله :(ننعاه) أى نرفع خبره إليه . لأن الانسان يذكر ما ينزل به من الأحوال لأحبابه على وجه الاخبار عما نزل . ولا يضر فى الكمال ، إذا لم يكن فيه تسخُّط من القدر الالهى . ولا تجزع بحال * قال العلقمى ، نقلا عن الحافظ . زاد الطبرانى فى هذا الحديث « يا أبتاه من ربه ما أدناه » . و يؤخذ من الحديث : جواز التوجع للميت عند احتضاره · مثل قول فاطمة « وا كرب أبتاه » وأنه ليس من النياحة لأنه صلى الله عليه وسلم أقرّها على ذلك . وأما قولها بعد أن قبض «وا أبتاه الخ» فيؤخذ منه : أن تلك الألفاظ إذا كان الميت متصفاً بها لا يمنع ذكره بها بعد موته ، بخلاف ما إذا كانت فيه ظاهراً ، وهو فى الباطن بخلاف ذلك ، أو لا يتحقق اتصافه بها ، فيدخل فى المنع اهـ * (فلما دفن) بالبناء للمجهول (قالت فاطمة رضى الله

عنها : ياأنسُ ، أطابتْ أنفسُكم أنْ تحثُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم الترابَ » رواه البخارى

عنها) جملة دعائية مستأنفة ، وعبر عنه بالماضى تفاؤلا بتحققه . وأعاد ذكرها لطول الكلام بينه وبين ذكرها أولا . ونظيره قوله تعالى ([٢٣ : ٣٥] أنَّكم إذا مِتُّمْ وكُنْتُم تُراباً وَعِظاماً أنَّكم مُخْرَجُون) * (يا أنس أطابت أنفسكم)وعند الدبيع « كيف طابت أنفسكم» (أن تحثوا) أى بأن تحثوا (على) قبر (رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب) قال الحافظ : أشارت بذلك إلى عتابهم على إقدامهم على ذلك . لأنه يدل على خلاف ما عرفته فيهم من رِقَّة قلوبهم عليه لِشِدَّة محبتهم له وسكت أنس عن جوابها ، رعاية لها . ولسان حاله يقول : لم تطب أنفسنا بذلك ، إلا أنا قهرناها على فعله امتثالا لأمره . اه . وروى أنها أنشدت :

ماذا على من شَمَّ تُربةَ أحمدٍ ألاَّ يَشُمَّ مَدَى الزمانِ غَواليا
صُبَّتْ علىَّ مصائبٌ لو أنها صُبَّتْ على الأيَّام عُدْنَ لَيَالِيا

* (رواه البخارى) فى آخر المغازى من صحيحه . وكذا رواه النسائى وابن ماجه فى الجنائز . وأخرجه ابن ماجه أيضا ، والترمذى فى الشمائل بلفظ « لما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرب الموت ما وجد ، قالت فاطمة : وا كرباه» الحديث . كذا فى الأطراف * ومناسبة إيراده فى باب الصبر : صبره صلى الله عليه وسلم على ماهو فيه من سَكَرَات الموت وشدائده ورضاه بذلك ، وتسكين ما نزل بالسيدة فاطمة من مشاهدة ذلك بقوله : « لا كرب على أبيك بعد اليوم » أى فهذا التعب الشديد يُحتمل لقصر زمانه ، بل هو محبوب ، لكونه فعل الله سبحانه ، ولما يترتب عليه من الوصول إلى منازل الأحباب . ونُزُل الكريم التى أعدها لنبيه ، فلا يعلم أدناها فضلا عن أعلاها غير من أولاه إياها

٣٤ — وعن أبي زيدٍ : أسامةَ ، بنِ زيدِ بن حَارثةَ ، مَوْلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلمَ ، وحِبِّه وابنِ حِبّه رضى الله عنهما

* (وعن أبي زيد) وقيل : كنيته « أبو محمد » وقيل : « أبو يزيد » وقيل : أبو «خارجة» (أسامة) بضم الهمزة بعدها سين مهملة (ابن زيد بن حارثة) بمهملتين بينهما ألف . و بعد الثانية مثلثة . ابن شراحيل بن كعب بن عبد العُزَّى بن زيد بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر عبد عبدوُدٍّ بن عوف بن كنانة بن بكر ابن عوف بن عُذْرة بن زيد اللاَّت بن رُفَيدة بن ثَوْر بن كلب بن وَبْرَة الكلبى نسبا ، الهاشمى ولاء . كما قال المصنف رحمه الله تعالى(مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) ولاء عَتاقة منه صلى الله عليه وسلم على أبيه ، وسَرى منه لابنه (وحبه وابن حبه) بكسر الحاء فيهما ، أى حبيبه . فى الصحاح : الحِبُّ ؛ الحبيب ، مثل خِدْن وخَدين اهـ * روى ابن عبد البر : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن أسامة لأحبُّ الناس إلىَّ — أو من أحب الناس إلى — وإنى لأرجو أن يكون من صالحيكم . فاستوصوا به خيرا » . وفى أُسْد الغابة «أن عمر رضى الله عنه لما فرض العطاء جعل لابنه عبد الله ألفين . ولأسامة خمسة آلاف . فقال له فى ذلك عبد الله . فقال عمر: فضّلته لأنه كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك . وكان أبوه أحب إليه من أبيك» . زاد صاحب الشفاء « فقدمتُ حِبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم» * (رضى الله عنهما) الأولى رضى الله عنهم . لأن حارثة والد زيد صحابى أيضا . وفى أسد الغابة : روى أسامة بن زيد بن حارثة « أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا حارثة إلى الاسلام فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» أخرجه ابن مَنْدَهْ وأبو نعيم [١] اهـ * وأم أسامة : هى بَرَكَةُ الحبشية ، أُمُّ أَيْمَن ، مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضِنته . فأَيْمن أخو أسامة لأمه . وأمَّر صلى الله عليه

(١) ذكره ترجمة حارثة بن شراحيل

قال : « أرسَلَتْ بنْتُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم : إنَّ ابْنِي قد احتُضِر ،

وسلم أسامة على جيش فيهم عمر بن الخطاب ، وأمره بالمسير إلى الشام ، فلما اشتد المرض بالنبى صلى الله عليه وسلم أوصى أن يُسَيَّر جيش أسامة ، فساروا بعد موته . وقول ابن منده « أن النبى صلى الله عليه وسلم أمّر أسامة فى غزوة مؤتة » غلط * روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وثمانية وعشرون حديثا . أخرج له منها فى الصحيحين سبعة عشر حديثا . اتفقا منها على خمسة عشر . وانفرد البخارى بحديثين . توفىّ بالجُرْف بعد قتل عثمان . وحُمل إلى المدينة . قال أبو عمر : الأصح عندى : أنه توفى فى سنة أربع وخمسين . وقيل : سنة ثمان . وقيل : سنة تسع . وخمسين * (قال) أسامة (أرسلتْ بنت النبى صلى الله عليه وسلم) هى زينب ، كما فى مصنف ابن أبى شيبة إليه (إن ابنى) الذى استظهره الحافظ ابن حجر ، فى فتح البارى ــ وقال : إنه الصواب ــ : أن المراد منه أمامة بنتُ زينب . كما ثبت فى مسند الامام أحمد بسند الحديث المذكور عند البخارى . ولفظه : « أُتِى النبى صلى الله عليه وسلم بأمامة بنتِ زينب » ولا يشكل عليه : أن أمامة عاشت بعده صلى الله عليه وسلم حتى تزوجها علىّ بن أبى طالب . وقتل معها . لأنه ليس فى حديث الباب مايدل على أنها قُبضَت حينئذ . قال الحافظ ابن حجر : ولعل الله أكرم نبيه لامتثاله لأمر ربه وصبر ابنته ولم يملك مع ذلك عينيه من الرحمة والشفقة : بأن عافى ابنة ابنته فى ذلك الوقت ، فعاشت تلك المدة . وهذا ينبغى أن يذكر فى دلائل النبوة اه . وعلى كونه صبيا ذكرا : فيحتمل أنه ولد زينب . واسمه « على » أو « عبد الله بن عثمان » من رُقَيَّة . أو « مُحسن بن على » من فاطمة . قال الحافظ وهذا ــ أعنى تقدير كونه ذكراً ــ أقرب * (قد احتضر) بالبناء للمجهول

فاشْهَدْنا . فأرْسَلَ يَقْرِئُ السلامَ ، ويقول : إن للهِ ماأخَذَ وله ماأعطَى ، وكُلُّ شيءٍ عنده بأجَلٍ مُسمًّى ، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ . فأرْسَلَت إليه تُقْسِمُ عليه لَيَأْتِيَنَّهَا ،

أى حضرته مقدمات الموت (فاشهدنا) أى احضُرنا (فأرسل يقرىء السلام) بضم أوله ، وهو مهموز . والجملة المضارعية حال من فاعل « أرسل » (ويقول : إن لله ما أخذ) فلا ينبغى الجزع من أخذه . لأن صاحب الحق إذا أخذ حقه لا يُجزع منه ، وقدم ذكر الأخذ على الإعطاء ، وإن كان متأخراً فى الواقع : اهتماما بما يقتضيه المقام (وله ما أعطى) يعنى أن الله تعالى إذا أعطى عباده شيئا فلا يخرج بذلك الاعطاء عن ملكه ، بل هو باق عليه ، بخلاف إعطاء المخلوق لمثله . قيل : ويحتمل أن يراد بقوله « ما أعطى » ما أعطاه من الثواب على المصيبة ، أو الحياة لمن بقى بعد الموت ، أو ما هو أعم من ذلك . و « ما » فى الموضعين مصدرية . أى لله الأخذ والاعطاء ، ويحتمل أن تكون موصولا اسميا . فيكون العائد محذوفا . أى ما أخذه وما أعطاه * (وكل شىء) بالرفع جملة ابتدائية معطوفة على الجملة قبلها ، ويجوز النصب عطفاً على اسم « إن » فينسحب التأكيد عليه ، وقوله « كل شىء » أى من الأخذ والاعطاء ، أو الأنفس ، أو ما هو أعم من ذلك (عنده) والمراد منه : عندية العلم مجازا للملازمة بينهما (بأجل مسمى) أى معلوم مقدر . فمحال أن يتقدم عليه أو يتأخر عنه . و « الأجل » يطلق على الجزء الأخير ، وعلى مجموع العمر (فلتصبر) على مقادير الله (ولتحتسب) أى تنوينَّ بصبرها طلب الثواب من ربها ، ليحتسب لها ذلك من عملها الصالح * (فأرسلت إليه) أى عقب وصول رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها ، كما يدل عليه العطف بالفاء التعقيبية (تقسم عليه ليأتينها) جاء فى حديث عبدالرحمن بن عوف : « أنها راجعته مرتين ، وأنه

فقام — ومعه سَعْدُ بن عُبَادَةَ ، ومُعاذ بنَ جَبَل ، وأُبَىٌّ بن كَعْبٍ ، وزيدُ بن ثابتٍ ، ورجالٌ — رضى الله عنهم — فرُفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبىُّ ، فأقعده فى حِجْره وَنَفْسُه تَقَعْقَعُ ، ففاضت عيناه . فقال سعدٌ :

قام فى ثالث مرة » وكأنها أَلَحَّت فى ذلك لما ترجوه من دفع ماتجده من الألم عند حضوره ، ببركة حضوره صلى الله عليه وسلم ، وقد حقق الله رجاءها ، وكان امتناعه صلى الله عليه وسلم أولاً ، للمبالغة فى إظهار التسليم لأمر الله ، ولبيان الجواز فى أن من دُعى لمثل ذلك لاتجب عليه الإجابة ، بخلاف الوليمة * (فقام ومعه سعدبن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورجال رضى الله عنهم) الجملة حال من فاعل «قام» وجملة « رضى الله عنهم» مستأنفة ، وقد سمى منهم غير من ذكر فى هذه الرواية « عبادة بن الصامت ، وأسامة ـ راوى الحديث — وعبد الرحمن بن عوف » * (فرفع) بالراء مبنى للمجهول . وفى الكلام حذف دل عليه المقام ، إذ تقدير الكلام : فمشوا إلى أن وصلوا إلى بيتها واستأذنوا فأذن لهم . فدخلوا . فرفع (إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبى فأقعده) أى وضعه (فى حجره) بفتح الحاء وكسرها وسكون الجيم ، الحضن (ونفسه تقعقع) بفتح التاء والقافين ، أى تضطرب وتتحرك ، زاد فى رواية للبخارى « كأنها شَنٌّ » وفى لفظ آخر « كأنها فى شنة » (ففاضت عيناه) أى النبى صلى الله عليه وسلم . وجاء التصريح به فى رواية شُعبة * (فقال سعد) أى ابن عبادة ، مستبعدا مارآه منه ، لما يعلمه من عادته صلى الله عليه وسلم من مقاومة المصيبة والصبر عليها . ووقع عند ابن ماجه : « فقال عبادة بن الصامت » والصواب ما فى الصحيح ، إن أخذ بالترجيح ، وإلا فلا منافاة ، لإمكان

يارسولَ الله ، ما هذا ؟ فقال: هذه رَحْمَةٌ جعلَها اللهُ تعالى فى قُلوب عِبادِهِ — وفى رواية : فى قُلوبِ مَنْ شاء مِنْ عِباده — وإِنَّما يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عبادِهِ الرُّحَماءَ » متفق عليه * ومعنى « تَقَعْقَعُ »

صدوره من كل منهما * (يارسول الله ، ما هذا) أى فيضُ الدمع . وجاء فى رواية : « فقال سعد بن عبادة : أتبكى ؟ » زاد أبو نعيم فى المستخرج : « وتنهى عن البكاء » * (فقال) صلى الله عليه وسلم (هذه) أى الدمعة أثر (رحمة جعلها الله فى قلوب عباده) . أى بعض عباده ، بدليل قوله * (وفى رواية : فى قلوب من شاء من عباده) أى ومثل هذا الفيضان الناشىء عن حزن القلب ، من غير تعمد من صاحبه ، ولا استدعاء : لا مؤاخذة عليه فيه ، إنما المنهى عنه : الجزع وعدم الصبر ، أو ما كان مع نَوْح أو نَدْب (وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) بالنصب على أن « ما » فى « إنما » كافة ، وبالرفع على أنها موصولة . و « الرحماء » جمع « رحيم » وهو من صيغ المبالغة ، وقضيته : أن رحمة الله تعالى تختص بمن اتصف بالرحمة الكاملة . بخلاف من فيه رحمة مَّا ، لكن قضية خبر أبى داود وغيره « الراحمون يرحمهم الرحمن » : أنها تشمل كل من فيه رحمة مَّا . إذ « الراحمون » جمع « راحم » وهذا هو الأوجه ، وإنما بُولغ فى الأول لأن القصد به الرد على من استبعد جواز فيض الدمع ، ولأن لفظ الجلالة فيه : دال على العظمة . فناسب فيه التعظيم والمبالغة ، ولما كان « الرحمن » يدل على المبالغة فى العفو : ذكر مع كل ذى رحمة ، وإن قَلَّت . قاله ابن الحوفى * (متفق عليه) عند الديبع — بعد إخراج الحديث إلى قوله — « ولتحتسب » مالفظه : « أخرجه الخمسة إلا الترمذى » (ومعنى تقعقع) بفتح

تتحركُ وتَضْطَربُ

٣٥ — وعن صُهيب رضى الله عنه : أَنَّ رسول الله صلى لله عليه وسلم قال « كان مَلِكٌ فيمن كان قَبْلَـكم ، وكان له ساحِرٌ ، فلما كَبِر قال للملك : إنِّي قد كَبِرتُ . فابعثْ إلىّ غلاماً أعلمهُ السِّحْرَ . فبعث إليه غلاما يعلمه ،

الفوقية والقافين مضارع ، حذفت إحدى تاءيه تخفيفا (تتحرك وتضطرب) والقعقعة : حكاية صوت الشىء اليابس إذا حُرِّك . والله تعالى أعلم بالصواب

* (وعن صهيب) بضم المهملة وفتح الهاء وسكون التحتية مصغر . تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى الحديث الثانى من أحاديث الباب (أن) بفتح الهمزة . هى ومدخولها فى تأويل مصدر : مبتدأ خبره الظرف قبله ، أى عن صهيب قولُ رسول الله . ويجوز الكسر على إضمار القول . أى أروى عن صهيب حال كونه قائلا إن (رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان ملك) بكسر اللام . أى ذو مُلك بضم الميم (فيمن كان قبلكم) من الأمم السابقة (وكان له ساحر) وعند الترمذى « كان لبعض الملوك كاهن يتكهن له » أى والروايات يفسر بعضها بعضا (فلما كبر) بكسر الموحدة . أى كبرت سنه ، أما « كَبُر » بضم الموحدة فى القدْر . قال تعالى ([١٨:٥] كَبُرت كلمةً)* (قال للملك إنى قد كبرت فابعث) أى أرسل (إلىّ غلاما) زاد فى رواية الترمذى « فَهِماً » . أو قال « فَطِناً » لغتان ، « والغلام » لغة : الصبى من الفطام إلى البلوغ (أعلمه السحر) جملة مستأنفة جواباً للسؤال المقدر . وهو : ماتفعل به ؟ وعند الترمذى « أعلمه علمى . فانى أخاف أن أموت ، وينقطع عنكم هذا العلم . ولا يكون فيكم من يعلمه . قال : فنظروا له على ماوصف »

* (فبعث إليه غلاما يعلمه) ذكر القرطبى فى التفسير : أن الضحاك روى عن

وكان فى طريقه إذا سلكَ راهبٌ ، فقعدَ إليه وسمع كلامه . وكان إذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا خَشيتَ الساحر فقل : حبَسنى أهلى . وإذا خَشِيت أهلك فقل : حبسنى الساحرُ فبَيْنَمَا هو على ذلك إذ أتى على دابّة عظيمة

ابن عباس « كان ملك بنجران وفى رعيته رجل له ابن . واسم الغلام : عبد الله بن التامر » ثم ساق القصة بنحو ما عند مسلم (١) * (وكان فى طريقه) أى الغلام (إذا سلك) إلى الساحر (راهب) هو المتعبد من النصارى ، المتخلى من أشغال الدنيا ، التارك لملاذها بالزهد فيها . الصابر على مشاقّها ، المعتزل عن أهلها * (فقعد) الغلام (إليه) أى إلى الراهب (وسمع كلامه فأعجبه) زاد الضحاك فى ر وايته « فدخل فى دين الراهب » وعند الترمذى « فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب عن معبوده كلما مر به ، فلم يزل حتى أخبره ، فقال : إنما أعبد الله » * (وكان) الغلام (إذا أتى) أى أراد أن يصل (إلى الساحر مر بالراهب) لكونه فى طريقه (وقعد إليه) لمحبته لنهجه (فاذا أتى الساحر) ووصل إليه (ضربه) وعند الترمذى « أن الكاهن أرسل إلى أهل الغلام : إنه لا يكاد يحضرنى » * (فشكا ذلك إلى الراهب فقال) أى الراهب (إذا خشيت الساحر) لتخلفك عندى فى الذهاب إليه (فقل حبسنى) أى منعنى (أهلى) أى شغلهم . وَجُوِّز ذلك — إن قيل باسلامه واستقامته — لأنه رأى أن مصلحة تخلفه عنده تزيد على مفسدة تلك الكذبة ، فهو نظير الكذب لاصلاح الخصمين ، أو أنه من باب الكذب لانقاذ المحترم من التعدى عليه بالضرب * (و إذا خشيت أهلك) لتخلفك عندى فى العود من عند الساحر (فقل : حبسنى الساحر . فبينما هو على ذلك) المذكور من التردد بين الرجلين (إذ أتى على دابة عظيمة) عند الترمذى « فقال بعضهم : إن تلك الدابة كانت أسدا »

(١) أنظر البداية والنهاية (ج ٢ ص ٢٩ - ١٣٢) والتفسير لابن كثير

قد حَبسَت الناسَ ، فقال: اليومَ أعلمُ الساحرُ أفضلُ أم الراهبُ أفضل ؟ فأَخذ حَجَرا ، فقال : اللهم إن كان أمْرُ الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابَّة حتى يمضىَ الناسُ ، فرماها . فقتلها . ومضى الناس ، فأتى الراهبَ فأَخبره ، فقال له الراهب : أىْ بُنىَّ ، أنت اليومَ أفضلُ منى ، قد بلغ من أمرك ما أرى ،

---

* (قد حبست الناس) أى منعتهم من المرور لخوفهم من صولتها (فقال) الغلام اليوم أعلم : الساحر . أفضل أم الراهب أفضل ؟) أى ينكشف لى ذلك (فأخذ) الغلام (حجرا ، فقال : اللهم إن كان أمر الراهب) أى ما هو فيه من الشؤون والأمور (أحب إليك من أمر) أى حال وشأن (الساحر فاقتل هذه الدابة) أى عقب وصول الحجر إليها ، ليكون ذلك آية على أحبية الراهب عندك * وقوله (حتى يمضى الناس) يصح أن يكون غاية مترتبة على السؤال وأن يكون علة له * (فرماها) الغلام (فقتلها) بتلك الرمية . وإسناد القتل إليه مجاز عقلى . لكونه السبب الصورى فى ذلك . والفاعل حقيقة : هو الله سبحانه وتعالى . وفى الحديث إثبات كرامات الأولياء ، وإهانة أعداء الله الأغبياء * (ومضى الناس) أى انطلقت ألسنتهم بالثناء عليه بالعلم . وعند الترمذى « ففزع الناس ، وقالوا : قد علم هذا الغلام علما لم يعلمه أحد » ويحتمل أن يكون المراد : فمضى الناس فى تلك السبيل ، لزوال المانع من سلوكها * (فأتى) الغلام (الراهب فأخبره) . فيه وفيما بعده من جهة حكايته صلى الله عليه وسلم له وعدم إنكاره : أنه لا بأس بذكر الانسان مفاخره ، وحمد الناس له ، والثناء عليه بحضوره ، إذا لم يترتب عليه فتنة من نحو عُجْب (فقال له الراهب : أى بنىَّ ، أنت اليوم) المراد منه الحين كما فى «يومئذ» (أفضل منى . قد بلغ من أمرك ما أرى) أى من كمال اليقين

وإنك ستُبتَلى ، فان ابتُليتَ فلا تَدُلَّ علىَّ ، وكان الغلامُ يُبرِئ الأكْمَهَ والأَبْرَص ، ويداوى الناسَ من سائر الأدواء . فسمع جليسٌ للملك كان قد عَمِىَ . فأتاه بهدايا كثيرةٍ ، فقال : ما هٰهُنا لكَ

وصدق الاعتقاد . وقوله «قد بلغ الخ» كالتعليل لماقبله (و إنك ستبتلى) بالبناء للمجهول . ثم يحتمل أن يكون هذا منه بطريق الكشف فيكون كرامة ، أو بطريق الفراسة أو بطريق العادة والتجربة . إذ من خالف الناس فى منهجهم ابتلوه وآذوه * (فان ابتليت) بالبناء للمجهول ، وأتى بحرف الشك ثانياً مع تحقيقه ذلك أولا ، وتأكيده . لأن ذلك بحسب ما قام عنده مما يقتضى وقوع ذلك ، حتى جزم به وأخبر عما عنده منه . وما هنا باعتبار الواقع وما يبرز فى عالم الشهادة . فان الفراسة قد تخطىء ، والتجربة قد تتخلف ، والكشف قد يعارض . أو قصد به التخفيف عن الغلام فلا يخاطبه بجملتين تدلان يقينا على الابتلاء . لئلا يصير فى الكرب قبل حلول البلاء (فلا تدل) بضم المهملة (علىّ) بتشديد الياء * (وكان) أى صار (الغلام يبرىء الأكمه) أى يحصل البرء عقب علاجه . فالاسناد إليه مجاز عقلى . و «الأكمه» بفتح الهمزة وسكون الكاف هو الذى ولد أعمى (والأبرص) أى من وقع به البرص . داء معروف (ويداوى الناس من سائر) أى جميع (الأدواء) أى الأمراض والأسقام . جمع « داء » والجملة معطوفة على « يبرىء الخ » عطف عام على خاص . وخصا بالذكر لأنهما داءا عياء * (فسمع) أى به . وهى ثابتة فى الحديث فى نسخة مصححة من التيسير للديبع ، غير أنى لم أر ذلك فى أصله جامع الأصول . فلعله من الكتّاب (جليس للملك كان قد عمى فأتاه) أى فأتى الجليس الغلام (بهدايا كثيرة) (فقال) الجليس (ما) أى الذى (ها هنا) أى فى هذا المكان من الهدايا كائن (لك أجمع) تأكيد لـ « ما » أو للضمير المنتقل للظرف المستقر ، و « ما » مبتدأ خبره

إن أنت شفَيتني ، فقال: إنى لا أشْفى أحداً . إنما يَشْفِى الله تعالى ، فان آمنْتَ بالله تعالى دعوتُ الله فشفاك ، فآمنَ بالله تعالى ، فشفاه الله تعالى ، فأتى الملكَ ، فجلس إليه كما كان يجلس. فقال له الملك : من رَدَّ عليك بصَرك ؟

«لك» ، و «هاهنا» صلة الموصول ، ورواه الدَّيبع بلفظ «هى لك» . ولعل نسخته من مسلم كانت كذلك * (إن أنت شفيتنى) أى إن شفيتنى أنت لا غيرك . كما يؤذن به المقام ، فـ «ان» شرطية وفعل الشرط محذوف . ولما حذف انفصل الضمير المتصل به . وقوله «شفيتنى» تفسير لفعل الشرط المحذوف . وجواب الشرط محذوف لدلالة سابق الكلام عليه . أى إن شفيتنى فلك جميع ما هاهنا * (فقال) الغلام (إنى لا أشفى أحداً إنما يشفى الله تعالى) بفتح حرف المضارعة فيهما ، والجملة الثانية مؤكدة لمضمون ما قبلها ، أى إذا كان لا يشفى أحد إلا الله فلا أشفى أحداً . إذ لا شفاء إلا شفاؤه سبحانه ، وحذف المفعول من «يشفى» لعدم تعلق الغرض به . نحو : زيد يعطى ويمنع . لبيان أنه يقع منه هذان الصنفان من غير تعرض لبيان المعطَى والممنوع ، أو للتعميم * (فان آمنت بالله دعوت الله فشفاك) من عماك الحسى ، كما شفاك بالايمان من عماك المعنوى (فآمن) أي الجليس (بالله تعالى) عقب قول الغلام ، لسبق العناية به ، وليترتب عليه ما سبق ترتبه عليه فى علم الله سبحانه (فشفاه الله) أى حصل له الشفاء الموعود بترتبه على الايمان ليزداد يقينه ، وزاد الترمذى « أنه أخذ عليه العهد إن رجع إليه بصره ، أن يؤمن بالذى رده عليه ، فقال : نعم ، فدعا الله تعالى ، فرد عليه بصره ، فآمن الأعمى » وما فى الصحيح مقدم على ما فى غيره عند التعارض * (فأتى) الجليس (الملك) بكسر اللام (فجلس) مفضيا (إليه) جلوسا (كما كان يجلس) أى إن جلوسه بعد شفائه مماثل لجلوسه قبل حلول دائه * (فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟) أى إدراكك

قال : ربِّى . قال : أَوَلك ربٌّ غــيرى ؟ قال : ربى وربك الله . فأخذه ، فلم يزلْ يُعَذّبه حتى دَلّ على الغلامِ . فجىء بالغلام ، فقال له الملك : أى بُنَىَّ ، قد بلغ من سِحْرِكَ ما تُبرىء الأكْمَهَ والأبرص ، وتفعلُ وتفعل ؟ فقال : إنى لا أشفى أحداً ، إنما يَشفى الله تعالى ،

للمبصرات (قال: ربى) أى رده ربى ، أو ربى رده . فالأول مراعاة للخبر. والثانى للمبتدأ * (قال) يعنى الملك (ولك رب غيرى ؟) بتقدير همزة الاستفهام الانكارى قبل العاطف ، أى أو لك رب غيرى ؟ (قال) يعنى الجليس (ربى) أى مالكى ومُرَبِّىَّ بألطافه (وربك) كذلك (الله) خبر عن قوله «ربى» .لأن المختلف فيه بينهما. تعيينه : ففيه قَصْرُ قلبٍ * (فأخذه فلم يزل) الملك (يعذبه) بتشديد الذال والتضعيف : إما باعتبار أنواع العذاب ، أو باعتبار شدته وغلظه ، ليدل على من علمه ماهو فيه (حتى)غائية (دل على الغلام فجىء بالغلام) أى فأمر بالغلام فجىء به ، ووضع الظاهر موضع المضمر ، دفعا لايهامه أن المراد: فأتى بالجليس (فقال له الملك : أى بنى) بضم الموحدة وفتح النون وكسر التحتية المشددة ويجوز فتحها أصله« بُنَيْو » اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداها بالسكون ،فأبدلت الواو ياء وأدغمت فى مثلها .ثم أضيف للياء . فاجتمعت ثلاث ياءات . فحذفت الثالثة تخفيفا ، وكسرت الثانية فى لغة للدلالة على المحذوفة ، وفتحت وسكنت فى أخرى تخفيفا . قاله على سبيل التلطف به أو على ماجرت به العادة من مخاطبة الكبير للصغير * (قد بلغ من سحرك ما) موصول إسْمىٌّ أو نكرة موصوفة (تبرىء الأكمه والأبرص ؟ وتفعل وتفعل ؟) كناية عن كثرة تصرفاته ومزيد أعماله ، وفى نسخة : « وتفعل ماتفعل » (فقال: إنى لاأشفى أحدا) رد لمايفهم من كلام الملك ، حيث نسب اليه إبراء المريض ، دون الله عز وجل ، ثم أثبت الغلام ذلك لله وحده بقوله (إنما يشفى الله تعالى)

فأخذه ، فلم يزل يعذّبه حتى دَلَّ على الراهب ، فجئ بالراهب . فقيل له : ارجعْ عن دينك ، فأَبى ، فدعا بالمِئْشَارِ ، فوُضِعَ المِئْشارُ في مَفْرِقِ رأسه ، فشقَّه حتى وقع شِقَّاه ، ثم جئ بجليس الملك . فقيل له : ارجع عن دينك . فأَبى ، فوُضِعَ المِئْشارُ في مَفْرِقِ رأسه ، فشقَّه بهِ حتى وقعَ شقَّاه ، ثم جِئ بالغلام ، فقيل له : ارجع عن دينك، فأَبى ، فدفعه إلى نَفَرٍ من أصحابه ،

فهو قصر قَلْبَ . و « ما » كافة . و «إنما» اداة حصر على الصحيح . كما تقرر فى الأصول * (فأخذه) أخذ الملك الصبى (فلم يزل يعذبه) ليدل على من علَّمه ماهوفيه (حتى) غائية. أى كان غاية تعذيبه أن (دله على الراهب ، فجئ بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك) حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض به ، ودينه : هو مادل عليه كلامه . وصرح به من عبادة الله عز وجل (فأبى) أى امتنع أشد الامتناع (فدعى بالمئْشار) بالهمزة فى رواية الأكثرين . وهو الأفصح . ويجوز تخفيف الهمزة وقلبها ياء. وروى « بالمنشار » بالنون ، لغتان صحيحتان . إذ يقال : أَشَرْتُ الخشبة ، ونشرتها (فوضع المئشار) بالبناء للمجهول (فى مفرق رأسه) بكسر الراء ، وسطه (فشقه حتى وقع شقاه) على الأرض * (ثم جئ بجليس الملك ، فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى) أى امتنع أشد امتناع (فوضع المئشار) بالهمزة وبالنون (فى مفرق) بفتح الميم وكسر الراء أى مكان فَرْق شَعَر (رأسه ، فشقه) مستعينا (به) أى بالمئشار واستمر يشقه (حتى وقع شقاه) بكسر الشين المعجمة أى جانباه على الأرض * (ثم جئ بالغلام) ولعل تأخيره حتى يرى ما فعل بصاحبيه فيرجع عما هوعليه (فقيل له : ارجع عن دينك فأبى . فدفعه إلى نفر) بفتح أوليه اسم جمع ، يقع على جماعة من الرجال خاصة . مابين الثلاثة إلى العشرة . ولا واحد له من لفظه (من أصحابه) أى الملك ، أتباعه وخدمه. أو

فقال . اذْهبوا به إلى جبَلِ كذا وكذا ، فاصْعَدُوا بهِ الجبلَ ، فاذا بلغتم ذِرْوَتَه ، فان رَجَعَ عن دينه وإلاّ فاطْرَحُوه ، فذَهبُوا به فصَعِدوا به الجبلَ ، فقال : اللهم اكْفِنِيهِمْ بما شئتَ . فرجَفَ بهم الجبلُ ، فسَقَطُوا . وجاء يَمْشِي إلى الملك ، فقال له الملكُ : مافعل أصحابُك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى ، فدفعه إلى نَفَرٍ من أصحابه : فقال : اذهبوا به فاحْمِلُوه فى قُرْقُور ، وتَوسَّطوا به البحرَ

من أصحاب الغلام . ويؤيده قوله فيما يأتى « مافعل أصحابك ؟ » فقصد به زجرهم عن أن يقعوا فيما تسبب عنه عذابه (فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا) من ألفاظ الكنايات ، يكنى بها عن المجهول ، وعمّا لا يراد التصريح به قاله فى النهاية * (فاصعدوا به الجبل ، فاذا بلغتم ذِروته فان رجع عن دينه) فاتركوه ، بدليل (وإلا فاطرحوه) أى وإلا يرجع فاطرحوه . فحذف فعل الشرط لدلالة سابق الكلام عليه * (فذهبوا به فصعدوا) بكسر العين المهملة (به) أى جعلوه صاعداً ، أو صعدوا بسببه ، أو معه (الجبل فقال) الغلام (اللهم اكفنيهم بما شئت) أى بمشيئتك ، فـ «ما» مصدرية ، أوموصول ، أى بالذى شئت من أنواع الكفاية ، إما باهلاكهم ، أو بغيره * (فرجف) بفتح أوليه أى الراء فالجيم ، أى تحرك واضطرب (بهم الجبل فسقطوا) أى بسبب اضطرابه . وفيه : نصرُ من توكل على الله سبحانه وانتصر به ، وخرج عن حول نفسه وقواها * (وجاء الغلام يمشى إلى الملك) ليريه آية الله تعالى بنصر أهل دينه ، لينكشف عن قلبه حُجُب الغواية ، فيرجع إلى الإيمان (فقال الملك : مافعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى) وحاق سوء فعلهم بهم (فدفعه إلى نفر) آخرين (من أصحابه ، فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور) فى النهاية هى السفينة العظيمة وجمعها قراقير (وتوسطوا به البحر) أى ليبعد الغور

فان رَجَعَ عن دينه وإلاَّ فَاقْذِفُوه ، فذهبوا به ، فقال : اللهم اكْفِنيهم بما شئتَ ، فانْكَفأَتْ بهم السَّفِينَةُ . فغَرِقُوا ، وجاء يمشى إلى الملك ، فقال له الملك : مافعلَ أَصحابك ؟ فقال : كفانيهم اللهُ تعالى ، فقال للملك : إنك لسْتَ بقاتلى حتى تَفْعَلَ ما آمُرُكَ به . قال : ما هو ؟ قال : تجمعُ الناسَ فى صَعيدٍ واحدٍ وَتصْلُبُنى على جِذْعٍ ، ثم خُذْ سَهْماً من كِنانَتى ،

فيتعذر الخلاص (فان رجع عن دينه) فاتركوه (وإلا) أى وإلا يرجع عنه (فاقذفوه) بكسر الذال المعجمة ، أى ارموه بقوة (فذهبوا به) حتى بلغوا وسط البحر (فقال) الغلام (اللهم اكفنيهم بما شئت . فانكفأت بهم السفينة) أى انقلبت بهم (فغرقوا) يحتمل أنه كان معهم فى القُرقور ، فنجاته دونهم آية . وهذا هو الأقرب . ويحتمل أنه كان فى قُرقور آخر . فغرق قُرقورهم ونجا ما كان هو فيه (وجاء) الغلام (يمشى إلى الملك) ليريه الآيات الكبرى ، المرة بعد الأخرى ، ليبصر ضياء الايمان ، ولكن لاتبصرُ أعينُ العميان (فقال له الملك : مافعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله تعالى . فقال) الغلام (للملك : إنك لست بقاتلى) أي فى أى حال من الأحوال ، كما يقتضيه تأكيد النفى بزيادة الباء فى الخبر (حتى تفعل) أى إلا فى حال أن تفعل (ما آمرك به . قال) الملك (ما هو) أى أى شىء الأمر الذى تأمرنى به ؟ . (قال : أن تجمع الناس فى صعيد واحد) أى أرض واحدة ومقام واحد (وتصلبنى) بضم اللام ، من الصلب . وهو تعليق الإنسان للقتل ، وقيل : شد صُلبه على خشبة . كذا فى مفردات الراغب (على جذع) بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ، أى عود من أعواد النخل ، وجمعه جُذوع (ثم خذ سهما من كنانتى) بكسر الكاف وبنونين بينهما ألف : بيت

ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فى كَبِدِ الْقَوْسِ ، ثم قُلْ : باسْمِ اللهِ رَبِّ الغلامِ ، ثم ارْمِ . فإنَّكَ إذا فعلت ذلك قتلتنى . فَجَمَعَ الناس صَعيدٍ واحد وصَلَبه على جِذْعٍ ، ثم أَخذ سَهْمًا من كِنَانته ، ثم وَضَعَ السهمَ فى كَبِدِ القوسِ ، ثم قال : باسْمِ الله ربِّ الغلام ،

السهام (ثم ضع السهم فى كبد) بفتح فكسر ، أو بفتح أو كسر مع سكون للثانى فيهما ، أى وسط (القوس ، ثم قل) أتى بـ «ثم» لتفاوت منزلة ما بعدها وما قبلها ، وهى قد تستعار لذلك ، كما فى الكشاف فى قوله تعالى ([٢ : ١٩٩] ثم أفيضوا من حيثُ أفاض الناس) وإلا فمقتضى المقام : الاتيان بالفاء . لأن ذلك الذكر مطلوب منه عقب وضع السهم فى كبد القوس بلا مهلة (باسم الله) قال المصنف فى شرح مسلم ـ نقلا عن الكتاب ـ إنها تكتب فى هذا وأمثاله باثبات الألف بعد الموحدة . قال : وإنما تحذف إذا كانت البسملة بجملتها . لكثرته كذلك . فخفف بحذفها (رب الغلام) تمم به الغلام لئلا يوهم الملك الحاضرين أن الغلام أراد بقوله «باسم الله» معبود ذلك الملك أو الملك ، وإن كان لفظ الجلالة لم يسم به غير الله تعالى . ونظيره : ما حكى عن السحرة ([٧ : ١٢١ ، ١٢٢] قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهٰرون) وإلا فالجلالة أعرف الأسماء ومتعلق الأوصاف الحسنى (ثم ارم فإنك إذا فعلت ذلك) المذكور (قتلتنى) إسناد القتل إليه مجاز عقلى ، أى أتيت بما جعله الله سببا لقتلى . وقصد الغلام من هذا الكلام إفشاء توحيد الله تعالى بين الناس ، وإظهار أن لا مؤثر فى شىء سواه ، ولم يفطن الملك لذلك ، لفرط غباوته * (فجمع) الملك (الناس فى صعيد) مقام (واحد وصلبه) الضمير المستكن يعود للملك والبارز للغلام (على جذع ثم أخذ سهما من كنانتِهِ) أى كنانة الغلام (ثم وضع السهم فى كبد) وَتَرِ (القوس ، ثم قال : باسم الله رب الغلام) أى أرميه

ثم رماه ، فوقعَ السهمُ فى صُدْغِه ، فوَضَعَ يده فى صدغه فمات . فقال الناسُ : آمنَّا بربِّ الغلام . فأُتِىَ الملكُ ، فقيل له : أرأيتَ ما كنتَ تحْذَر ؟ قَدْ والله نزل بك حَذَرك . قد آمَنَ الناسُ . فأَمَرَ بالأُخدودِ بأفواه السِّكَكْ نُخدَّتْ ، وأضرم فيها النِّيرانُ ، وقال : من لَمْ يَرْجِعْ عن دينه فأقْحِموه فيها ـ أو قيل له :

لأقتله * (ثم رماه فوقع السهم فى صدغه) بضم الصاد وسكون الدال المهملتين ، هو ما بين العين إلى شَحْمَة الاذن * (فوضع الغلام يده فى) أى على (صدغه) لتألمه من السهم (فمات. فقال الناس) لما رأوا الآية العظمى الشاهدة لله تعالى بالوحدانية وأنه الفاعل المختار ، ولا فاعل سواه ، وأنه هو الاله (آمنا برب الغلام ، فأتى) بصيغة المجهول (الملك) أى حين وقع فيما حـذر منه من توحيد الله تعالى والايمان به * (فقيل له : أرأيت) بفتح التاء ، أى أخبرنى (ما كنت تحذر) «ما» مبتدأ والجملة صلته والعائد محذوف ، أى تحذره ، والخبر : (قد والله نزل بك حذرك) أى ما كنت تحذر منه من إيمان الناس وقع بك ، والفصل بين «قد» و مدخولها بالقسم للتأكيد والاهتمام الذى يقتضيه المقام (قد آمن الناس) تفسير للذى كان يحذر منه * (فأمر) بالبناء للفاعل أى الملك ، أو بالبناء للمفعول (بالاخدود) بضم الهمزة والدال المهملة الأولى وسكون المعجمة بينهما والواو بين الدالين (بأفواه السكك) الأفواه جمع « فوه » والسكك بكسر أوله المهمل وفتح ثانيه جمع «سكة» . وهى الطرق ، والمراد من أفواهها : أبوابها (نخدّت) بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة ، أى شُقَّت الأخاديد (وأضرم) بالبناء للمجهول (فيها) أى فى الاخدود (النيران) جمع نار (وقال) أى الملك (من لم يرجع عن دينه) أى الايمان الذى صار اليه (فأحموه) بهمزة القطع ، أى ألقوه كرها (فيها ، أو) شك من الراوى (قيل له)

اُقْتَحِمْ - ففعلوا ، حتى جاءت امرأةٌ ومعها صَبِيٌّ لها ، فتقاعَسَتْ أَنْ تقعَ فيها .

أى لمن لم يرجع عن دينه (اقتحم) أى النار . فالمفعول محذوف ، والمراد : أنه شك : هل أمرهم بالقاء من أبى ، أو بأمره أن يلقى نفسه فيها ؟ (ففعلوا) أى ما أمروا به من الاخدود وما بعده ، واستمروا كذلك (حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها) أى فى غير أوان الكلام كما أشار إليه المصنف . وزاد «إنه كان سنُّه أكبر من سن صاحب المهد ، و إن كان صغيراً » * قلت : جاء فى رواية عند ابن قُتَيبة : أنه كان ابن سبعة أشهر . ولم يذكره صاحب الابتهاج فى المعراج (١) . وذكر ابن الماشطة ، وشاهد يوسف ، وصاحب جُريج ، وعيسى ابن مريم . وقال غيره : قد تكلم فى الصغر جماعة . و بلغ عدُّهم عشرة ، ولا ينافى خبر الصحيحين « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة » وذكر عيسى ، وصاحب جُرَيْج ، وابن المرأة التى مُرَّ عليها بامرأة يقال لها زنيت ، لاحتمال أنه قاله قبل أن يعلم الزيادة ، أو أن المراد : من بنى إسرائيل . وقد نظم الحافظ جلال الدين السيوطى أسماءهم فقال :

تكلم فى المهد النبىُّ محمد ... ويحيى ، وعيسى . والخليل ، ومريم
ومُبرى جُرَيْج ، ثم شاهد يوسف ... وطفلٌ لدى الأخدود ، يرويه مسلم
وطفل عليه مُرَّ بالأمة التى ... يقال لها ، تزنى . ولا تتكلم
وماشطة فى عهد فرعون طفلها ... وفى زمن الهادى المبارك (٢) يختم

قلت : وقد نظمت أسماءهم فى أبيات ستأتى إن شاء الله تعالى فى باب فضل ضَعَفة المسلمين * (فتقاعست) أى توقفت ، ولزمت موضعها . وكرهت (أن تقع فيها)

---

(١) فى نسخة : وذكر صاحب الابتهاج فى المعراج ، أى فلا ينافى الحصر فى قوله صلى الله عليه وسلم « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة » فذكر ابن الماشطة ، وشاهد يوسف . وصاحب جريج . وقال غيره : الخ

(٢) هو مبارك اليمامة : وقصته فى دلائل النبوة كما ذكر ابن حجر فى الفتح

فقال لها الغلامُ : يا أُمَّهْ ، اصْبِرى . فانكِ عَلَى الحق » رواه مسلم

*«ذِرْوة الجبل» أعلاه . وهى بكسر الذال المعجمة وضمها . و«القرقُور» بضم القافين : نوع من السفن . و « الصعيد » هنا : الأرض البارزة . « والأخدود » الشقوق فى الارض كالنهر الصغير . و« أَضرم » أوقد

أى فى النار (فقال لها الغلام) بلسانه (يا أماه) بسكون الهاء . وهى للوقف ، لحقت آخر المندوب المتفجع عليه (اصبرى) أى على هذا العذاب ، فأنه يؤول إلى جزيل الثواب (فانك على) الدين (الحق) أى الايمان . وفى الكشاف : وقيل : قال لها «قَعى ولا تقاعَسى» وقيل : ماهى إلا غميضة . فصبرت * (رواه مسلم) وكذا رواه الترمذى . وفيه بعض اختلاف وزيادة ونقص * وقوله فى الحديث (ذروته : أي أعلاه . وهى بكسر الذال المعجمة وضمها) وجمعها « ذُرًى » بضم ففتح (والقرقور بضم القافين) وإسكان الراء المهملة بينهما (نوع من السفن) تقدم عن النهاية : أنه السفينة العظيمة (وانكفأت) السفينة أى انقلبت (وتقاعست) بالقاف والعين والسين المهملتين (توقفت وجبنت) عن ولوج الأخدود وقضية مراعاة سياق الحديث ذكر هذه المادة آخر ما يذكر من غريب الحديث . وقد وجد كذلك فى أصل قديم * (والصعيد هنا) أى فى قوله فى « صعيد واحد » : (الأرض البارزة) ومن هذه المادة قوله فى الحديث القدسى « لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد ـ الحديث » وقيده بقوله «هنا» احترازاً عنه فى نحو قوله تعالى (فتيمموا صعيداً طيبا) [٤ : ٤٣] فان المراد منه : التراب (والأخدود بضم الهمزة الشقوق) بضم أوليه جمع : شَقّ (فى الأرض كالنهر الصغير . وأضرم) بالضاد المعجمة (أوقد)

* وفى الحديث : بيان شرف الصبر ، وأنه وإن عظم فى الألم ، وتحمل الشدائد ، فهو سهل فى جنب ما أُعِدَّ لصاحبه من الثواب * وفيه : فضل الثبات على الدين وإن عُذِّبَ بأنواع العذاب . كما وقع من بلال فى أول الاسلام ، وإن كان يجوز

و « انكَفأتْ » أى انقلبت . « وتقاعَسَتْ » توقَّفت وجبُنَتْ

٣٦ — وعن أنس رضى الله عنه قال « مَرَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم على امرأة تبْكِي عِندَ قَبْرٍ، فقال : اتقِي اللهَ واصْبِرى . فقالت : إليكَ

في مثل هذه الحالة الاتيان بألفاظ الكفر مع الإيمان القلبى ، لعذر الإكراه . كما وقع من عمَّار بن ياسر [1] ، إلا أن ما وقع من بلال أفضل ، لما فى الحديث «أن مُسَيلمة أخذ أسيرين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لأحدهما : ما تقول فى محمد ؟ فقال : رسول الله ، فقال : وماتقول فيَّ ؟ فقال : وأنت . فأرسله ، وقال للآخر : ما تقول فى محمد ؟ فقال : رسول الله . فقال : وما تقول فيَّ ؟ فقال : لاأدرى ، فلم يزل يسأله وهو يجيبه بذلك ، حتى قطعه إرْباً إرْباً . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أما أحدهما فقد أخذ برخصة الله ، وأما الثانى فقد صدع بالحق، فهنيئاً له » وأورد الحديث ابن كثير وغيره فى تفاسيرهم [2]

* (وعن أنس رضى الله عنه قال : مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكى عند قبر) قال فى فتح البارى : لم أقف على اسم المرأة ، ولا على اسم صاحب القبر ، وفى رواية مسلم : مايُشعر بأنه ولدُها . وصرح به فى مرسل يحيى بن أبى كثير عند عبد الرزاق فقال: «قد أصيبت بولدها » *(فقال لها : اتقى الله واصبرى) وفى رواية أبى نُعيم فى المستخرج « فقال : يا أمة الله اتقى الله » قال القرطبى : الظاهر أنها كان فى بكائها قَدْر زائد : من نوح ، أوغيره ، ولهذا أمرها بالتقوى ، قال فى فتح الباري : ويؤيده أن فى مرسل يحيى بن أبى كثير المذكور « فسمع منها ما يكره . فوقف عليها » وقال الطِّيبى : قوله « اتقى الله » توطئة لقوله « واصبرى » كأنه قال لها : خافى غضب الله إن لم تصبرى ، واصبرى ليحصل لك الثواب *(فقالت: إليك)

(١) ذكر ابن كثير فى تفسير سورة النحل : أن ابن جرير والبيهقى روياه
(٢) وسمى ابن كثير الصابر : حبيب بن زيد الأنصارى

عَنِّى ، فَإنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِى . ولم تَعْرِفه . فَقِيلَ لها : إنَّه النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم . فأَتت بابَ النبي صلى الله عليه وسلم . فلم تجد عنده بَوَّابِين فقالت : لم أعرفك . فقال : إنما الصَّبْرُ عند الصَّدْمَةِ الأُولَى »

اسم فعل بمعنى : تَنَحَّ وأبعد (عنى ، فانك لم تصب) بالبناء للمجهول (بمصيبتى) وفى رواية للبخارى « فانك خِلْوٌ من مُصيبتى » وهو بكسر الخاء وسكون اللام ، ولمسلم « ما تبالى بمصيبتى » ولأبى يَعْلَى من حديث أبى هريرة « أنها قالت : يا عبد الله إنى الحَرَّى الثَّكْلَى ، ولو كنتَ مصاباً عذرتنى » (ولم تعرفه) جملة حالية ، أى خاطبته بذلك غير عارفة أنه النبى صلى الله عليه وسلم * (فقيل لها : إنه النبى صلى الله عليه وسلم) وفى رواية لأبى يعلى « فمر بها رجل . فقال : لها هل تعرفينه ؟ قالت : لا » وللطبرانى فى الأوسط من طريق عطية عن أنس : « أن الذى سألها هو الفضل بن العباس » . وزاد مسلم فى رواية له «فأخذها مثل الموت» أى من شدة الكرب الذى أصابها ، لما عرفت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه ومهابة * (فأتت) للاعتذار (باب النبى صلى الله عليه وسلم . فلم تجد عنده بوابين) قال الطيبى : فائدة هذه الجملة : أنه لما قيل لها : إنه النبى صلى الله عليه وسلم استشعرت خوفا وهيبة فى نفسها ، وتصورت أنه مثل الملوك له حاجب أو بواب يمنع الناس من الوصول إليه ، فوجدت الأمر بخلاف ما تصورته * (فقالت : لم أعرفك) فى حديث أبى هريرة : « والله ما عرفتك » (فقال) صلى الله عليه وسلم (إنما الصبر) أى الذى يحمد عليه صاحبه كل الحمد ما كان (عند الصدمة الأولى) أى عند مفاجأة المصيبة ، بخلاف ما بعدها . فانه على عود الأيام يسلو . قاله الخطابى ، وقال الطيبى : صدر الجواب منه صلى الله عليه وسلم بهذا عن قولها « لم أعرفك » على أسلوب الحكيم ، كأنه قال لها : ادعى الاعتذار .

متفق عليه

٣٧ — وفي رواية لمسلم « تَبكِي عَلَى صَبِيّ لها »

٣٨ — وعن أَبى هُريرة رضى الله عنه : أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يقولُ اللهُ تعالى :

فانى لا أغضب لغير الله ، وانظرى إلى نفسك فى تفويتك الثواب الجزيل ، بعدم الصبر عند مفاجأة المصيبة . وقال ابن المُنيِّر : فائدة جواب المرأة بذلك : أنها لما جاءت طائعة لما أمرها به من التقوى والصبر ، معتذرة من قولها الصادر عن الحزن ، بيَّن لها أن حق هذا الصبر أن يكون فى أول الحال . فهو الذى يترتب عليه الثواب اهـ أى كاله * (متفق عليه) وكذا أخرجه الترمذى والنسائى . كما فى أمالى الأذكار للحافظ ابن حجر ، لكن فى تيسير الوصول للدَّيبع ، أخرجه الخمسة إلا النسائى ، يعنى الشيخين وأباداود والترمذى . فليحرر ذلك .

* (وفى رواية) أى أخرى (لمسلم تبكى على صبى لها) وهذه الرواية هى المشار إليها فى كلام فتح البارى السابق ، المشعرة بأن صاحب القبر كان ابنا للباكية

* (وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى) هذا من الأحاديث القدسية . وهى أكثر من مائة حديث . جمعها بعضهم فى جزء كبير ، والفرق بينه و بين القرآن : أن القرآن : اللفظ المنزل للاعجاز . والقدسى : ما أخبر الله به نبيَّه بالالهام ، أو رؤيا المنام ، أو غيره من كيفيات الوحى ، فعبر عنه صلى الله عليه وسلم بعبارته ، فلا يكون معجزاً ولا متواتراً كالقرآن ، ولذا لم يثبت له شىء من أحكامه : من حرمة حَمْله ومَسّه على المحدِث ، وقراءته على الجنب ، و بيعه ، فى رواية عن أحمد ، وكراهته عندنا ، وحصول الثواب على كل حرف منه لقارئه بعشر حسنات وغير ذلك . ثم لروايته صيغتان ، تقدم ذكرهما فى باب الإخلاص * وما

مالِعَبْدِى المؤمنِ عندِى جزاءٌ إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ من أهل الدُّنيا ثم احْتَسَبَهُ إلا الجنةَ » رواه البخارى

٣٩ — وعن عائشة رضى الله عنها : « أنها سألَتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الطَّاعُونِ ، فأَخبرها : أنه كان عذَابًا يَبْعَثُهُ الله تعالى عَلَى مَنْ يَشَاء ، فَجَعَلَهُ اللهُ تعَالَى رَحْمَةً لِلمؤمنين ،

عبَّر به فى هذه الرواية فهو قريب من العبارة الأولى . وهى عبارة السلف التى عبر بها المصنف رحمه الله تعالى ثَمَّةَ . والله أعلم * (مالعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت) بفتح الموحدة (صفيه) أى حبيبه ؛ لأنه يصافيه وُدَّه ؛ ويُخاصه محبته . فعيل . بمعنى فاعل . أو مفعول (من أهل الدنيا) بيان للواقع (ثم احتسبه) بأن يرجو ثوابه ويدَّخره عند الله تعالى . وذلك ينبىء عن الصبر والتسليم (إلا الجنة) أى دخولها مع الناجين . وذلك لا ينافى الورود تَحِلَّةَ القَسَم * (رواه البخارى) فى كتاب الرقاق من صحيحه .

* (وعن عائشة رضى الله عنها) جملة دعائية مستأنفة ، أو خبرية ، فى محل الحال ونظيره فيهما : جملة « صلى الله عليه وسلم » و ينبغى أن يراد بهما الأول منهما . لاحراز ثواب الدعاء به (أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن) شأن (الطاعون) وحقيقته ـ كما يؤخذ من الأحاديث ـ بَثْرٌ مؤلم ، يخرج غالبا فى الآباط ، مع لهب ، واسوداد حواليه . وخفقان القلب والقَيْء ، وهو كما قال الحافظ ابن حجر : أخصُّ من الوَباء ، لأنه وَخزُ الجن ، والوباء : المرض العام * (فأخبرها أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء) فى نسخة من البخارى « على من شاء » أى من كافر أو عاص بارتكاب كبيرة ، أو إصرار على صغيرة (وجعله رحمة للمؤمنين) قال الشيخ زكريا فى حاشيته على البخاري :

فليس مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فى الطَّاعُونُ، فيَمْكُثُ فِى بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّه لا يُصيبُهُ إلاَّ ما كَتَبَ اللهُ له، إلاَّ كان لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهيدِ »

رواه البخارى

أى غير مرتكبى الكبائر. والتخصيص يحتاج للتوقيف * (فليس من عبد يقع فى الطاعون) أى به، أو فى بلده. أو هو من قبيل التجريد نحو ([٣٣:٢١] لكم فى رسول الله أُسْوَة حسنة) وفى رواية بحذف «فى» (فيمكث فى بلده) التى وقع بها الطاعون (صابراً) على ما نزل به أو ببلده (محتسبا) أى راجيا للأجر والثواب من الله * (يعلم أنه لا يصيبه شىء (إلا ما كتب الله له) العائد على «ما» محذوف (إلا كان له مثل أجر الشهيد) وإن مات بغير الطاعون، فانه حيث كان موصوفا بما أشار إليه الحديث: من قصده ثواب الله، ورجائه موعوده، عارفا أنه لو وقع به فبتقدير الله. وإن صُرف عنه فكذلك. وهو غير مُتَضَجِّر لو وقع به، معتمداً على ربه فى حال صحته وسَقَمه: ومات بغير الطاعون فظاهر الحديث أن له أجر الشهيد * ويؤيده رواية «من مات فى الطاعون فهو شهيد» ولم يقل بالطاعون. وكذا لو وجد من اتصف بهذه الصفات ثم مات بعد انقضاء زمن الطاعون، فان ظاهر الحديث: أنه شهيد، و «نِيَّة المؤمن أبلغ من عمله[1]» أما من لم يتصف بالصفات المذكورة فان مفهوم الحديث أنه لا يكون شهيداً وإن مات بالطاعون * ومما يستفاد من هذا الحديث: أن الصابر فى الطاعون، المتصف بالصفات المذكورة يأمن من فَتَّان القبر. لأنه نظير المرابطة فى سبيل الله. وقد صح ذلك فى المرابط. كما فى حديث مسلم وغيره اه. ملخصا من فتح البارى * (رواه البخارى) وكذا أحمد والنسائى

---

(١) رواه الطبرانى عن سهل بن سعد. وفيه «خير من عمله»

٤٠ — وعن أنس رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ قال : إذا ابتَلَيْتُ عبدِى بِحَبِيبَتيهِ فصَبر ، عوَّضْتُه منهما الجنةَ » يريد عينيه ، رواه البخارى

٤١ — وعن عَطاء بن أبى رَباح

---

* (وعن أنس رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول) جملة حالية من مفعول «سمعت» وأتى بها مضارعة بعد «سمع» حكاية للحال الماضية (إن الله عز وجل) أى عز شأنه ، وجل برهانه ، وأتى بهما — وإن كانا فى المعنى متقاربين — لأن مقام الثناء مقام إطناب ، وهذا حديث قُدسى . لأنه صلى الله عليه وسلم روى عن ربه سبحانه أنه (قال) أى بكلامه النفسى الذى هو صفة ذاته (إذا ابتليت عبدى) أى عاملته معاملة المبتلى ، أى المختبر . فان الابتلاء إنما يكون من الجاهل بعواقب الأحوال . والله بكل شىء عليم . وهو يستعمل فى الخير والشر (بحبيبتيه فصبر) على فقدهما محتسبا لأجرهما ، مدخراً له عند الله تعالى (عوضته منهما) أى بدلهما فهو كقوله تعالى ([٩ : ٣٨] أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) * (الجنة) أى مع الفائزين ، أو منازل مخصوصة منها * (يريد) أى النبى صلى الله عليه وسلم بحبيبتيه (عينيه) خصهما بذلك . لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه (رواه البخارى) وأخرج الترمذى — وصححه — من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل : من أذهبت حبيبتيه ، فصبرَ واحتسب . لم أرض له ثوابا دون الجنة » ووجه هذا الجزاء : أن فاقدهما حبيس . فالدنيا سجنه ، حتى يُدخل الجنة على ما ورد فى الحديث « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »

* (وعن عطاء) بالمهملتين المفتوحتين والمد (ابن أبى رباح) بالراء المفتوحة

قال : قال لى ابنُ عباس رضى الله عنهما : « ألاَ أريكَ أمرأةً من أهل الجنةِ ؟ فقلت : بلَى . قال : هذه المرأةُ السَّودَاء ، أَتَتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقالت : إنِّى أُصْرَعُ ، وَإنِّى أتَكَشَّفُ ، فَادعُ اللهَ تعالى لى . قال : إنْ شئِتِ صَبَرتِ ، ولكِ الجنةُ ،

وبالموحدة وبالمهملة . فى الكاشف للذهبى : عطاء بن أبى رباح . هو أبو محمد القرشى ، مولاهم ، المكى . أحد الأعلام ، روى عن عائشة وأبى هريرة ، وعنه الأوزاعى وابن جُريج ، وأبو حنيفة ، والليث ، خرَّج عنه الستة ، أى وغيرهم ، عاش ثمانين سنة . ومات سنة مائة وأربع عشرة . وقيل : خمس عشرة اه . وسأذكر زيادة على هذا فى الكلام على ترجمته فى رجال الشمائل . أعاننى الله على إتمامه *

(قال) عطاء (قال لى) اللام لام التبليغ (ابن عباس رضى الله عنهما : ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام ، أداة عَرْض ، بدىء بها ليتوجه السامع لما بعدها (أريك امرأة) من الاراءة البصرية . ولذا عدت لمفعولين فقط (من أهل الجنة) فى محل الصفة لامرأة (فقلت : بلى . قال : هذه المرأة السوداء) اسمها « سُعيرة » بضم المهملة الأولى ، وفتح الثانية وسكون التحتية — الأسدية ، وكنيتها « أم زُفَر » بضم الزاى وفتح الفاء والراء آخره * (أتت النبى صلى الله عليه وسلم . فقالت) مخبرة عما نزل بها ، من غير تبرم ولا تضجر . لأن البِرَّ يهدى إلى البر ، طالبة منه الدعاء برفع دائها (إنى أصرع) بضم الهمزة من « الصَّرْع » علة معروفة (وإنى أتكشف) من التفعل ، وفى نسخة من الانفعال ، أى ينكشف بعض بدنى من الصرع (فادع الله لى) أى برفع الصرع الناشىء عنه التكشف (قال إن شئت صبرت) بكسر تاء الخطاب فيهما . و « صبرت » مفعول « شاء » أى الصبر على هذا الداء ، محتسبةً (ولك الجنة) وفى نسخة « الأجر » جملة حالية أفادت فضل الصبر ، وجواب الشرط

وإنْ شئتِ دعوتُ الله تعالى أن يعافيَكِ . فقالت : أصبرُ . وقالت : إنِّي أتَكَشَّفُ فادْعُ الله أنْ لاَ أتَكَشَّفَ ، فدعالها » متفق عليه

٤٢ — وعن أبي عبد الرحمن عبدِ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه

محذوف، أي فاصبري، و يجوز أن تكون جملة « صبرت » جواب الشرط ومفعول « شاء » محذوف، أي إن شئت جزيل الأجر صبرت . ومثل هذا الاعراب يجري في قوله (و إن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك ، فقالت) مختارة للبلاء والصبر عليه لجزيل الثواب المرتب عليه (أصبر) أي على الصرع . لأنه يرجع إلى النفس، (و) لما كان التكشف راجعا لحق الله تعالى ، إذ هي مأمورة بستر جميع البدن لكونه عورة (قالت : إني أتكشف . فادع الله لي أن لا أتكشف . فدعا لها) فهي من أهل الجنة بوعد الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم (متفق عليه)

* قيل : أحاديث الباب تشعر بأن نفس المصائب لا ثواب فيها . إنما الثواب على الصبر عليها والاحتساب ، وقد بسطت الكلام على ذلك في باب أذكار المريض من شرح الأذكار

*(وعن أبي عبد الرحمن) كنية (عبد الله بن مسعود رضي الله عنه) ابن غافل — بمعجمة وفاء — ابن حبيب الْهُذَلي . وكان أبوه مسعود حالَف في الجاهلية عبد الحارث ابنَ زُهْرة . أسلم عبد الله قديما بمكة ، سادس ستة ، لما مرّ به صلى الله عليه وسلم وهو يرعَى غنماً لعُقبَة بن أبي مُعَيْطٍ . فأراه معجزة . فأسلم ، ثم هاجر إلى الحبشة . ثم إلى المدينة . وشهد بَدْرًا وبَيعة الرِّضوان . والمشاهد كلها . وصلى للقبلتين . وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويُدْنيه ولا يَحْجُبه . وكان مشهوراً بين الصحابة بأنه صاحب سِرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسِواكِه وَنعليه وَطَهوره في السفر . وبَشَّره صلى الله عليه وسلم بالجنة . وقال « رضيتُ لأُمتي مارضي لها

قال : كأنى أنظرُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يَحْكِي نَبِيًّا من الأنبياءِ صلواتُ الله وسلامه عليهم ضَربه قومُه، فأَدْمَوْه وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجْهِهِ ، وهو يقولُ : اللهم اغفِرْ لقومِى ، فإنهم لا يعلمون»

ابنُ أمِّ عَبْدٍ وسخطت لها ماسخط لها ابن أم عبد» وكان يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فى هَدْيه وَسَمْتِه . ولِىَ قضاء الكوفة وما لَهَا فى خلافة عمر . وصَدْراً من خلافة عثمان . ثم رجع إلى المدينة ومات بها . وقيل : بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين ، عن بضع وستين سنة ، وصلى عليه الزبير ليلاً ، ودفنه بالبقيع بايصائه له بذلك . لكونه صلى الله عليه وسلم كان قد آخى بينهما . رُوِى له ثمانمائة حديث وثمانية وأربعون حديثا . أخرجا منها أربعة وستين . وانفرد البخارى بأحدوعشرين ، ومسلم بخمسة وثلاثين * (قال : كأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى نبياً من الأنبياء) جملة حالية ، أتى بها بصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية ، وبقوله : «كأنى أنظر الخ» إشارة لكمال استحضاره لها . قال مجاهد : وذلك النبىُّ المحكى : هو نُوح عليه السلام ، لكن تعقبه الحافظ فى الفتح : بأن ظاهر صنيع البخارى ، إذ أورد الحديث فى أحاديث ترجمة ذكر بنى إسرائيل : أن النبى من أنبيائهم ، فليحمل عليه * (صلوات الله وسلامه عليهم) وقوله (ضربه قومه فأدموه) بيان للمحكى . ويحتمل — على بُعْدٍ — كونه بيانا للحكاية . فتكون الحكاية للفعل ، أى أتى بفعل مثل فعل ذلك النبى المحكى فعله ، والمحكى به ما وقع له صلى الله عليه وسلم بأُحُدٍ من شَجِّ رأسه ، وكَسْرِ رَبَاعِيَتِه (وهو) أى ذلك النبى المحكى عنه ، أو رسول الله صلى الله عليه وسلم (يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون) وفى هذه الجملة أنواع من الصبر والحلم ، الأول : أنه مسح دمه لئلا يصيب الأرض فيحل بهم البلاء *

متفق عليه

٤٣ — وَعن أَبى سعيدٍ وأبى هريرة ، رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مايُصيبُ المسلمَ مِن نَصَبٍ وَلا وَصَب

---

* الثانى : أنه قابل جهلهم بفضله . فدعا لهم بالغفران . والمراد غفران ذنب تلك الجريمة منهم . إن كان الدعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مطلقا . وإلا لآمنوا عن آخرهم . إذ هو صلى الله عليه وسلم مجاب الدعوة * الثالث : أنه اعتذر عن سوء فعلهم بعدم علمهم . ولا تنافى بين الدعاء بما ذكر — إن كان من نوح — وقوله ([٧١ : ٢٦] رَبِّ لا تَذَرْ على الأرض من الـكافرين دَيَّارا) لإمكان حمل ما فى حديث الباب على ما قبل إياسه من إيمانهم . وما فى الآية على ما بعده * (متفق عليه) وينبغى للسالك التحلى بما فيه . كما روى أن جُنديا ضرب بعض العارفين وهو لا يعرفه ، فقيل له: إنه فلان ، فعاد إليه معتذراً ، فقال : إنى قد أبرأت ذمتك ودعوت لك لما ضربتنى ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنك كنت سبباً لدخولى الجنة ، فلا أكون سبباً لعذابك . فأكبّ على الشيخ وتاب .

* (وعن أبى سعيد) الخُدْرى سعد بن مالك بن سِنان (وأبى هريرة) الدَّوْسِى عبدِ الرحمن بن صَخْر (رضى الله عنهما) حال كونهما راويين (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال) بيان للمروى (ما يصيب) بضم أوله (المسلم) حقيقة . وخص لأن الثواب الأخروى خاص به . وهو مفعول الفعـل (من نَصَبٍ) بفتحتين ، التعب . و « من » صلة . و « نصب » فاعله (ولا وَصَبَ) بفتحتين : وجع دائم ، خاص بعد عام ، لما فى الوجع كذلك من الشدة المؤدية إلى التضجر والسخط بالقضاء المحبط للثواب أو الاسلام والعياذ بالله ، أو تأكيد ، بعطف مترادفات أو قريبة من الترادف ، اهتماما بهذا المقام الخطير . ليـكون العلم بعظم الثواب مانعا من

ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أَذًى ولا غَمٍّ ، حتى الشَّوْكَة يُشاكُها إلا كَفَّر الله بها من خطاياه » متفق عليه * « وَالوَصَبُ » المرض .

الوقوع فى ورطة خطر الضجر * (ولاهَمٍّ ولا حَزَن) فُرِّق بينهما : بأن الأول للمستقبل . والثانى للماضى ، وقيل : غير ذلك ، مما بينته فى باب أذكار المساء والصباح من شرح الأذكار . وقال وَكيع : لم يُسمع فى الهمّ أنه كفارة إلا فى هذا الحديث * (ولاأذًى) هو كل مالا يلائم النفس . فهو أعم الكل (ولاغم) هو أبلغ من الحزَن . لأنه حزن يشتد بمن قام به حتى يصير بحيث يغْمَى عليه (حتى) ابتدائية أو عاطفة . أو بمعنى « إلى » الغائية . بيان وتقريب لأدنى مراتب الأذى (الشَّوكة) بالرفع أو الجر (يشاكها) خبر ، أو حال ، والضمير البارز هو المفعول الثانى ، على تقدير الجار ، والنصب كذلك سماعى . وهذا منه ، أو على تضمين فعل متعد لاثنين ، أى يذاقها ، والأول : مضمر نائب الفاعل ، يعود على المسلم . من « شِكْته » أدخلت فى جسده شوكة (إلا كفرالله) استثناء من أعم الأحوال المقدرة ، أى ما حصل للانسان فى حال المصيبة حال من الأحوال إلا الحالة التى يكفر الله (بها) أى بسببها (من خطاياه) ابتدائية أو تبعيضيه ، قيل : وهو أولى . لأن بعض الذنوب لا تكفر بذلك. كحق الآدمى والكبائر * (متفق عليه) وأخرجه الترمذى * وفيه : أن الأمراض وغيرها من المؤذيات التى تصيب المؤمن مطهرة له من الذنوب . وأنه ينبغى للانسان أن لا يجمع على نفسه بين ضررين عظيمين : الأذى الحاصل ، وتفويت ثوابه . وقد ورد مرفوعا : « المصابُ من حُرِمَ الثواب » * (والوصب : المرض) أى الدائم كما تقدم ، أو الشديد الكثير الاوجاع ، قال فى الصحاح : قد وَصِب الرجل يَوْصَب فهو وَصِبٌ ، وأوصبه الله ، فهو مُوصَب . والوصَبُ . المرض الشديد الكثير الاوجاع اهـ

٤٤ — وعن ابن مسعُود رضى الله عنه قال « دخلتُ على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهو يُوعَك . فقلتُ : يارسولَ الله ، إنَّكَ تُوْعَكُ وَعْـكاً شديداً ، قال : أَجَلْ ، إِنِّى أُوْعَك كما يُوعكُ رجلان منكم . قلتُ : ذلكَ أَنَّ لك أجرين ؟ قال : أَجَلْ ذلك كذلك . ما مِنْ مسلم يُصيبه أذًى : شَوكَةٌ

---

* (وعن) عبد الله (بن مسعود رضى الله عنه قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم) عائدا (وهو يوعك) بالبناء للمجهول ، من الوعْك . وسيأتى تفسيره فى الأصل (فقلت : يارسول الله إنك توعك) بالفوقية مبنى للمجهول (وعْـكا شديدا) يحتمل أنه عرف ذلك من لمس بعض أعضائه صلى الله عليه وسلم ، أو من ظهور الآثار عليه (قال : أجل) بفتحتين ، وثانيه جيم ، وآخره لام ساكنة ، وتبدل الهمزة موحدة ، فيقال « بجل » فى الصحاح : « أجل » جواب مثل نعم . قال الاخفش : إلا أنه أحسن من نعم فى التصديق . ونعم أحسن منه فى الاستفهام اه * (إنى) بيان للاجمال فى قوله « أجل » (أوعك) بالبناء للمجهول (كما يوعك رجلان منكم) فالكاف مفعول مطلق . واحترز بقوله « منكم » عن نحو الأنبياء فإنه يحتمل أنه و إن وعك أشد من وعكهم ـ زيادة فى علو درجته المقتضية لمزيد الابتلاء الشاهد به « أشدكم بلاء الأنبياء ـ الحديث » ـ إلا أنه لا يكون وعكه كوعك اثنين منهم اه . والله أعلم * (قلت : ذلك) أى زيادة الوعك (أن لك) بفتح الهمزة ، أى لأن لك (أجرين . قال : أجل ، ذلك) أى تضاعف الأجر (كذلك) أى كتضاعف المرض . ثم ذكر الدليل على ترتب الثواب على أنواع البلاء عند حصول الصبر ، فقال (ما من مسلم) « من » مزيدة للاستغراق . فيدخل فيه الكامل وغيره (يصيبه) بضم أوله (أذى) أى مايتأذى به (شوكة) بدل من « أذى »

فما فَوْقَهَا، إلا كفَّرَ الله بها سيئاته [وحُطَّتْ عنه ذُنوبُه] (١) كما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ ورَقَها» متفق عليه * «والوعْك» مَغْث الحمى . وقيل : الحمى

٤٥ — وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم «من يُرِدِ اللهُ به خيراً يُصِبْ منه»

وذكرها لأنها أخف أنواعه، ولما كان مافوقها تعجز العباة عن تفصيل جميعه أجمله بقوله (فما فوقها، إلا كفرالله بهاسيئاته) أى الصغائر المتعلقة بحقوق الله تعالى (كما تحط الشجرة ورقها . متفق عليه) وكذا رواه أحمد . كما قال الحافظ . وكذا رواه النسائى * وأخرج ابن سعد فى الطبقات، والبخارى فى الأدب المفرد، وابن ماجه والحاكم، وصححه، والبيهقى فى الشُّعَب : عن أبى سعيد قال «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو محموم، فوضعت يدى فوق القطيفة، فوجدت حرارة الحمّى فوق القطيفة، فقلت : ماأشدَّ حُمَّاك يارسول الله ! قال : إنا كذلك معشر الأنبياء، يضاعف علينا الوجع ليضاعف الأجر — الحديث» ذكره صاحب المرقاة فى شرح المشكاة * (الوعك) باسكان المهملة (مغث الحمى) أى حرارتها . ووهنها للبدن . وإضعافها إياه . وفى مختصر النهاية للسيوطى : إنه ألم الحمى (وقيل : الحمى)

وهذا الحديث يشهد للقول المختار من حصول الأجر على الأمراض والأعراض، أى بشرط الصبر، وعدم التبرم من القَدَر، والسخط منه، وقد بسطت هذا المقام فى شرح الأذكار .

* (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يرد الله به خيرا) حالا ومآلا (يصب منه) إمافى بدنه أوماله أو محبوبه . وفى الحديث

---

(١) هذه الجملة ليست فى شىء من نسخ الشرح، ولا المتن الخطية، ولا فى صحيح البخارى . وهى موجودة فى المطبوعة من نسخ المتن

رواه البخارى * وضبطوا « يصب » بفتح الصاد وكسرها

٤٦ — وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يَتَمَنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ لضُرٍّ أصابَهُ ، فإنْ كان لا بُدَّ فاعلاً ، فلْيَقُلْ : اللهم

« المؤمن لا يخلو من علة ، أو قِلَّة ، أو ذِلَّة » وإنما كان خيراً حالاً . لما فيه من الالتجاء إلى المولى ، ومآلاً . لما فيه من تكفير السيئات أو كَتْبِ الحسنات ، أو هما جميعاً (رواه البخارى) فى صحيحه . ورواه الامام أحمد (وضبطوا) أى شراح الحديث الصحيح (يصب) المذكور فى الحديث (بفتح الصاد) أى المهملة على البناء المفعول . ولم يذكر الفاعل للعلم به ، وأنه الله سبحانه (وكسرها) على البناء للفاعل .

* (وعن أنس) بن مالك رضى الله عنه (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين) بتشديد النون (أحدكم) أى الواحد منكم (الموت) وفى التعبير بـ « يتمنى » دون « يسأل » إيماء إلى أنه قد يكون من المستحيل ، لعدم مجىء حينه . فحصوله حينئذ محال . وإن كان بأنواع السؤال . فسوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار . والمنهى عنه على وجه التنزيه : تمنى الموت (لضر) بفتح الضاد المعجمة وتضم ، وضبط هنا بذلك ضد النفع (أصابه) فى نفسه أو ماله ، أو من يلوذ به أو نحوه . لما يدل عليه من الجزع فى البلاء ، وعدم الرضا بالقضاء ، أما تمنيه شوقا للقاء رب العالمين ، أو شهادة فى سبيل الله تعالى ، أو ليدفن ببلد شريف ، أو لخوف فتنه فى الدين . فلا كراهة فيه . وعليه يحمل ما جاء عن كثيرين * (فان كان) من أصابه الضر (لا بد) أى لا فراق ولا محالة ، كما فى القاموس (فاعلا) لتمنى الموت ، لما قاساه من المحن الدنيوية ، التى لو كُشف له عن حقائق اللطف فيها لرآها من المِنَح الهنيَّة ، ولو لم يكن فيها إلا رجوع العبد إلى مولاه ، وخروجه عن حوله وقواه ، لكفاه . فكيف وهى سبب لتكفير الخطايا ، ورفع الدرجات * (فليقل : اللهم) يا الله . فالميم عوض

أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحياةُ خيراً لى ، وَتَوَفَّنِى إذا كَانت الوفاةُ خيراً لى »
متفق عليه

٤٧ — وعن أبى عبد الله خَبَّابِ بن الأَرَتّ رضى الله عنه

من حرف النداء ، ولذا امتنع جمعهما ، إلا فى ضرورة كقوله * أقول يا اللهم يا اللهما * وقد بسطت الكلام فيما يتعلق بها فى باب مايقول إذا توجه إلى المسجد من شرح الأذكار * (أحيني) بقطع الهمزة ، أى أدم لى الحياة الحسية (ما كانت الحياة) المسئولة بقولى «أحيني» و «ما» مصدرية ظرفية ، أى مدة كون الحياة (خيرا لى) بأن أوفق لمرضاة الله تعالى ، وأداء عبادته ، وأسلم من الخذلان والغفلة والنسيان (وتوفنى) أى أمتنى (إذا كانت الوفاة خيرا لى) بأن انعكس الأمر (متفق عليه) وأخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من طرق ، وزاد فى بعضها «لضر نزل به فى الدنيا» * واختلف الصوفية فى الأفضل : من طلب الحياة ، لما ورد من حديث «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله» ولرجاء التوبة ، وحسن العمل وحصول الأمل . أو طلب الموت ، نظراً إلى الشوق إلى الله وحصول لقياه ، وقد ورد « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » وخوفا من التغير ولقاء المحن ، والوقوع فى الفتن . والمختار : التفويض والتسليم . كما دل عليه الحديث الشريف . والله أعلم . *

(وعن أبى عبد الله) كنية (خَبَّاب) بفتح المعجمة وتشديد الموحدة الأولى ، وقيل : كنيته أبو محمد . وقيل : أبو يحيى (ابن الأرتّ) بفتح الهمزة والراء وتشديد الفوقية آخره ، ابن جَنْدَلَة بن سَعْد بن خُزَيْمة بن كَعْب بن زَيد مَناة بن تميم . فهو (رضى الله عنه) تميمى فى قول الأكثر ، وقيل : خُزاعى ، وقال بعضهم : إنه تميمى النسب ، خُزاعى الولاء . زُهْرى الحِلف . لأن مولاته أم أنْمار بنت سباع الخزاعية من حلفاء عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث

ابن زُهرة * وهو من السابقين إلى الاسلام . وكان سادس ستة فيه . وَعُذِّب فى الله تعالى . قال مجاهد : « أول من أظهر إسلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وخَبَّاب ، وَصُهَيبُ ، و بلال ، وَعَمَّارٌ ، وسُمَيَّةُ أم عمار . فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبى طالب ، وأما أبو بكر فمنعه قومه ، وأما الآخرون فألبسوهم أدرع الحديد ، ثم صهروهم فى الشمس . فبلغ منهم الجهد ماشاء الله أن يبلغ من حر الحديد والشمس » . وقال الشعبى : « سأل عمر بن الخطاب خَبَّاباعما لقى من المشركين ؟ فقال : يا أميرالمؤمنين ، انظر إلى ظهرى ، فنظر فقال : ما رأيت كاليوم ظهر رجل ، قال خباب : لقد أوقدت نار ، وسُحِبتُ عليها . فما أطفأها إلا وَدَكُ ظهرى » شهد بدرا والمشاهد كلها . ولما هاجر آخَى صلى الله عليه وسلم بينه و بين تميم ، مولى خِراش بن الصِّمة ، وقيل : آخى بينه و بين جَبْر بن عُتيك . مرض خبَاب مرضاً شديداً ، رُوى عن قيس بن أبى حازم قال : «دخلنا على خباب ، وقد اكتوى سبع كَيَّات . فقال : لولا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به » . ونزل الكوفة ومات بها . وهو أول من دُفن بظهر الكوفة من الصحابة ، وكان موته سنة سبع وثلاثين . وقال علىّ رضى الله عنه لما نُعى له « رحم الله خبَّابا . أسلم راغباً ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، وابْتُلِي فى جسمه . ولن يضيِّع الله أجر من أحسن عملا » وكان سنه حين موته ثلاثاً وسبعين سنة . رُوى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنان وثلاثون حديثاً . اتفقا على ثلاثة منها . وانفرد البخارى باثنين . ومسلم بواحد . وخرَّج عنه أصحاب السنن * (قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي ما بنا من أذى الكفار وعذابهم . بدليل قوله فى الرواية الثانية : « وقد لقينا من المشركين

وهو مُتوَسِّدٌ بُرْدَةً له فى ظلِّ الكَعْبَةِ ، فقلنا : ألا تَسْتَنْصِرَ لَنا، ألا تدعو لنا ؟ فقال : قد كان مَنْ قبْلكُم يُؤْخَذُ الرجلُ ، فيحفَرُ له فى الأرض ، فيجعلُ فيها ، ثم يؤتَى بالمِئْشارِ ، فيوضَعُ على رأسه ، فيجعلُ نصفين ، ويُمْشَطُ بأمشاط الحديدِ مادُونَ لحَمِهِ وعَظْمه ،

شدة » * (وهو متوسد بردة له) أى جاعلها تحت رأسه · والبردة – بضم الموحدة – الشملة المخططة · وقيل : كساء أسود مربع ، فيه صور . والبردة واحد البُرُد · وجمعه أبراد . وأبرد . وبرود ، كما فى القاموس . والجملة حالية من « رسول الله صلى الله عليه وسلم » وكذا قوله (فى ظل الكعبة) ، ويصح أن تكون الثانية حالا من الضمير فى « متوسد » فتكون متداخلة (فقلنا) بيان لشكواهم إليه (ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام ، أداة استفتاح ، أو عرْض (تستنصر) أى تسأل الله النصر (لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟) أى بذلك أو نحوه ، من كفِّهم عنا ، ومنعهم من أذانا (فقال) محرضا لهم على الصبر (قد كان من) بفتح الميم أى الذين (قبلكم) من الامم (يؤخذ الرجل) أى المؤمن منهم . فالجملة خبر . والرابط محذوف . أى كان الذين قبلكم يؤخذ الرجل الذى آمن منهم ليعذب ، فيرجع عن إيمانه ، فما يرجع (فيحفر له فى الأرض) بالبناء للمفعول ، والظرف نائب الفاعل · وحذف الفاعل لعدم تعلق الغرض بعينه · ويحتمل أنه مبنى للفاعل ، أى يحفر الآخذ . والظرف الثانى حال ، أو صلة « يحفر » * (فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار) روى بالنون ، من نشرت الخشبة · قال الحافظ فى الفتح : وهى أشهر فى الاستعمال . وبالهمزة من أشرت الخشبة بالمئشار وبابدالها ياء · إما تخفيفا أو من وَشَرْت ، ذكره ابن التِّين (فيوضع) أى المئشار (على رأسه) فيؤشر (فيجعل) أى يصير (نصفين ويمشط) أى يعذب (بأمشاط) جمع مِشْط ، معروف (الحديد) أى يعذب بها (مادون لحمه وعظمه) زيادة فى تعذيبه

ما يَصُدُّه ذلك عن دينه : والله لَيُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتَّى يَسيرَ الرَّاكِبُ من صَنعاء إلى حَضْرَمَوْتَ لايخافُ إلا الله ، والذئبَ على غَنَمِهِ ،

ليرجع عن إيمانه . وفى نسخة من البخارى «ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظم أو عصب» * (مايصده) أى يمنعه أو يصرفه (ذلك) المذكور من أنواع العذاب . واستعمل فيه اسم الاشارة الموضوع للبعيد مع قربه . لأن الملفوظ به لكونه عرضا لا يبقى زمانين كالبعيد . فأشار إليه بما يشار به للبعيد (عن دينه) والثبات عليه . وفيه : مدح الصبر على العذاب على الدين ، وعدم إقرار عين الكافر بالتلفظ بكلمة الكفر ، وإن كانت جائزة حينئذ للاكراه كما تقدم * (والله) فيه الحلف من غير استحلاف ، وهو مندوب لتأكيد مايحتاج لتأكيده (ليتمن) بفتح التحتية (هذا الأمر) بالرفع فاعل «يتم» وفى نسخة بضم التحتية ونصب «الأمر» على أنه مفعول «يتم» أى ليتمن الله هذا الأمر أى دين الإسلام (حتى يسير) بالنصب ، لأنه مستقبل بالنسبة لما قبل زمن التكلم به (الراكب) التقييد به جرى على الغالب من أن المسافر يكون راكبا ، فلامفهوم له . والمراد الجنس . فيشمل مافوق الواحد ، أو يفهم مافوقه من باب أولى . لأنه إذا أمن الواحد مع انفراده فالعدد أولى (من صنعاء) بالمد ، مدينة عظيمة باليمن ، وقيل : إنها مدينة بالشام (إلى حضرموت) مدينة بقرب اليمن ، وهو مركب مَزْجى غير مصروف لذلك وللعلمية (لايخاف) أحدا (إلا الله) جملة حالية من فاعل «يسير» والمعنى : أن الإسلام يعم النواحى فيسير المسافر لايخشى أحدا يعذبه على إيمانه ، ولا يفتنه فى دينه فلا يخاف إلا الله سبحانه وتعالى (و) لا يخاف إلا من الأسباب العادية على أموره الدنيوية ، فيخاف (الذئب) بكسر المعجمة بعدها تحتية بهمزة على الأصل . وقد لاتهمز : سَبُع معروف : أن يعدو (على غنمه) والسارق أن يغير على ماله ونعمه (و) تمام هذا الأمر ، أى الاسلام

وَلٰـكِنَّـكُم تَستَعْجِلُون» رواه البخارى

٤٨ — (وفى رواية) «وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً ، وقد لَقِينا مِنَ المشركين شِدَّةً»

وظهوره على سائر الأديان كائن ألبتة (لـكنكم تستعجلون) أى تطلبون العجلة فى الأمور . ولـكل شىء فى علم الله أوان ، و إذا جاء الأوان يجىء . وقد وقع ما أخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كما أخبر ، فعم الاسلام وظهر . وصار الراكب لا يخشى من يفتنه ويصده عن دينه إنما يخشى بوائق الحدثان . و بالله المستعان . فهو من جملة علامات نبوته صلى الله عليه وسلم . ولا يخالف هذا الحديث ما نقله ابن الأثير فى أُسْدِ الغابة عن أبى صالح قال «كان خَبَّاب قَيْنا يصنع السيوف . وكان رسول الله الله صلى الله عليه وسلم يألفه و يأتيه . فأُخْبِرَتْ مولاته بذلك ، فـكانت تأخذ الحديدة المحماة فتضعها على رأسه . فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اللهم انصر خبَّاباً . فاشتكت مولاته أمُّ أنمار رأسها ، فـكانت تعوى مثل الـكلاب . فقيل لها : اكتوى ، فكان خباب يأخذ الحـديدة المحماة فيكوى بها رأسها » اه : لتعدد الوقعات . واختلاف الأقوال لاختلاف الأحوال . والله أعلم * (رواه البخارى) فى علامات النبوة . وفيما يأتى آنفا . وفى كتاب الاكراه ورواه أبو داود والنسائى *

(وفى رواية) أى للبخارى فى باب مالقى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة (وهو متوسد بردة) وفى نسخة «ببرد» أتى بها مع أنها فى الرواية السابقة ليبين بها محل قوله (وقد لقينا) أى معشر ضعفاء المسلمين (من المشركين شدة) أى عظيمة ، كما يؤذن به التنوين ، فكانوا يُلقون بلالاً على قفاه فى وقت الظهيرة ، و يجعلون على صدره الصَّخْرة العظيمة ، وكانوا يُلقون خَبَّابا على ظهره على النار . وجعلوا سُمَيَّةَ أمَّ

٤٩ — وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : «لما كَانَ يومُ حُنينٍ آثرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نَاسًا فى القِسمَةِ ، فأَعْطَى الاقْرَعَ ابنَ حابِسٍ

عمار بين جملين وأدخلوا فى قبُلها رُمْحاً . فماتت . رضى الله عنهم أجمعين * ثم هذه الشدائد التى حلَّت بأولئك الأماجد ، لكمال استعدادهم ، زيادة فى علو درجاتهم ورفع شأنهم ، وفى الحديث الشريف : «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل » وعلى قدر المقام يكون الابتلاء ، وقد كانت قلوبهم راضية، وأنفسهم بذلك مطمئنة ، حتى لقد ردَّ بعضهم جوار أقاربه الكفار ، ورضى أن يعذب فى الله ، ويبتلى فيه مع الأخيار . وشكواهم ليست عن تضجُّر ولا تَبَرُّم . وإنما هى لأنهم رأوا أن فى السلامة من ذلك تفرغا للعبادة ، وتوجُّها إلى كمال السعادة ، فأرشدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أن غاية الأدب الصبر على مراد الله . والرضى بقضاء الله

لاينعم المرء بمحبوبه حتى يرى الراحة فيما قضى

* (وعن) عبد الله (بن مسعود) الهذلى ، وهو المراد إذا أطلق « ابن مسعود » (رضىالله عنه قال : لما كان يوم حُنين) أى زمن غزوتها ، وهى وادٍ بين مكة والطائف ، وراء عرفات ، بينه وبين مكة بضْعة عشر ميلا . وهو معروف وكانت وَقْعة حنين فى شوال سنة ثمان من الهجرة ، عقب فتح مكة * (آثر) بالمد أى أعطى (رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا) من المؤلفة ومن الطُّلقاء ومن رؤساء العرب يتألَّفهم (فى القسمة) لغنائم هوزان (فأعطى الأقرع) بالقاف الساكنة بعدها مهملتان ، لُقِّب به لقَرَع كان فى رأسه (ابن حابس) بالمهمله أوله وآخره . وبعد الألف موحدة ، وهو من سادات تميم ، كان

مائةً من الإبل، وأَعطى عُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ مِثلَ ذٰلك ، وأعطَى ناساً من أَشراف العربِ ، وآثَرَهُمْ يومئذٍ فى القِسمةِ ، فقال رجلٌ :

شريفا فى الجاهلية والاسلام (مائة من الابل . وأعطى عُيينة) بضم المهملة وفتح التحتية الأولى (ابن حصن) بكسر المهملة الأولى وسكون الثانية بعدها نون ، ابن بَدْرٍ الفَزارى (مثل ذلك) مفعول ثان ، ويحتمل أن يكون مفعولا مطلقا ، أى إعطاء مثل ذلك الاعطاء ، والأول أقرب (وأعطى ناسا من أشراف العرب) والطلقاء وضعفاء الايمان (وآثر هم) أى أعطاهم عطايا نفيسة (يومئذ) أى يوم حنين (فى القسمة) لغنائمها ، تألُّفا لهم ، وترك أقواما اعتمادا على ماوَقَرَ فى قلوبهم من نور الايمان، وشمس العرفان . وفى الحديث الصحيح عن سعد مرفوعا « إنى لأعطى الرجل وغيره أحبُّ إلىَّ منه ، مخافة أن يَكُبَّه الله فى النار على وجهه» و«الناس» قال الراغب فى مفرداته : قيل : أصله « أناس » فحذف فاؤه لما أدخل عليه أل . قلت : وتقدم مثله عن البيضاوى ، و « الناس » قد يذكر ويراد به الفضلاء دون من يتناوله إسم الناس تجوزا . وذلك إذا اعتبر معنى الانسانية . وهو وجود العقل والذكر ، وسائر القوى المختصة به . فان كل شىء عدم وصفه المختص به لايكاد يستحق اسمه اه . *(فقال رجل) هذا لفظ مسلم . وعند البخارى « فقال رجل من الأنصار : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . فقال صلى الله عليه وسلم : لقد أوذى موسى بأكثر من هـذا ، فصبر » قال ابن الملَقَّن : وقوله فى البخارى « إنه من الأنصار » غريب . قلت : قال الشيخ زكريا فى تحفة القارى : اسمه مُعَتِّب بن قُشَيْر اه . وهو بضم الميم وفتح المهملة وتشديد الفوقية آخره موحدة . وهو من الأنصار أى من قبيلتهم ، وهو الذى روى عنه الزبير أنه قال : « لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا هاهنا » . أما الذى قال « أعدل يارسول الله » فاسمه : ذو الخُوَيْصِرَة . وهو أبو الخوارج ، وظاهر كلام عياض فى شرح مسلم : أنه هو

واللهِ إنَّ هذهِ قِسمةٌ ماعُدِل فيها . وَما أُريدَ بها وجهُ الله . فقلتُ : والله لأُخْبِرَنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فَأَتيْتُه فأَخبرتُه بما قال . فتغيَّر وَجْهُهُ ، حتى كان كالصِّرْف ، ثم قال : فَمَنْ يعْدِلُ إذَا لَمْ

القائل عن النبي صلى الله عليه وسلم ماذكر فى هذا الخبر ، والله أعلم . فان صح ذلك ، فيكون معنى قوله : « إنه من الأنصار » . أى حِلفاً أو وَلاء * (والله إن هذه لقسمة ماعدل فيها وما أريد بها وجه الله) الأوجه : أنه صلى الله عليه وسلم إنما ترك قتل قائل هـذا الـكلام ــ مع أن سبَّه صلى الله عليه وسلم كفر يقتل به فاعله ــ : لئلا يتحدث الناس بأنه صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه ، فينفروا عن الاسلام . فعامله معاملة غيره من المنافقين . قال القاضى عياض : وقد رأى الناس هذا الصنف فى جماعتهم وعدوه من جملتهم . قال ابن مسعود (فقلت : والله لأخبرن رسول صلى الله عليه وسلم) ليحذر منه ، وليعلم ماأخفاه من حاله . وليس هذا من باب نقل المجالس ، وهى بالأمانة . لأن ذاك فى غير نحو هـذا . أما هذا فمن النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين * (فأتيته فأخبرته بمـا قال) مما يدل على حَجْب بصيرة قائله عن مشكاة أنواره صلى الله عليه وسلم ، وإلا فلو أشرق فيه بعض ذلك النور ، لامتلأ قلبه من الخيور ، وعلم أنه صلى الله عليه وسلم الطبيب الحاذق ، الذى يداوى كل سقمَ ، ويذهب كل ضَير وألم ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . * قال ابن مسعود (فتغير وجهه) صلى الله عليه وسلم كما هو قضية طبع البشر عند حصول مؤذ للنفس (حتى كان) أى صار (كالصرف) هـذا لفظ رواية مسلم . وفى رواية للبخارى فى باب بدء الخلق « فغضب حتى رأيت الغضب فى وجهه » * (ثم قال) رادًّا عليه ما نسبه إليه من عدم العدل : (فمن يعدل ؟) استفهام إنكار . فهو فى معنى : مايعدل أحد (إذا لم

يعْدِلْ اللهُ ورَسُولهُ . ثم قال : يرحمُ اللهُ موسَى ، قد أُوذِيَ بأَكْثرَ مِن هذا فصبَرَ . فقلت : لا جرَمَ ، لا أَرفعُ إِليه بعدها حديثاً » متفق عليه

يعدل الله ورسوله . ثم قال) مبينا أن الصفح عن عثرات اللئام سنة قديمة فى الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام (يرحم الله موسى) أتى به ، مع أن الأكثر من هديه صلى الله عليه وسلم فى الدعاء ـ أى عند ذكر أحد من الأنبياء كما قيده به الدميرى فى الديباجة ـ أن يبدأ بنفسه فيقول مثلا « غفر الله لنا ولفلان » ـ : اهتمامابشأنه . لأنه ذكر فى مقام المدحة له والتأسى به * (قد أوذى بأكثر من هذا) أى من أذى السفهاء والجهال له صلى الله عليه وسلم . فقالوا : إنه آدَرُ ، وذلك منهم غاية العتو ونهاية الاختلاق . قاله العراقى فى شرح التقريب * (فصبر) على أذاهم . وقابل جهلهم بحلمه . وهو صلى الله عليه وسلم المقتبس من مشكاته كل خلق حسن * (فقلت : لاجرم) مذهب الخليل وسيبويه أنهما ركبا من «لا» و «جرم» وبنيا ، والمعنى : حق ، ومابعده رفع به عَلَى الفاعلية. وقال الكسائى : معناها لاصَدَّ ، ولا منع . فيكون «جرم» اسم «لا» وهومبنى على الفتح ، وقيل غيرذلك . وعلى القول الأول : فالتقدير . حق أن (لا أرفع إليه بعدها) أى هذه المرة (حديثا) يقع من أولئك فيه نَفَثات ألسنتهم بما تُخفيه صدورهم أى مما لايعود بضرر على النبى صلى الله عليه وسلم . ولا على الاسلام . وإنما رأى ذلك لأنه رأى أن كلامه حصل منه بعض التعب للنبى صلى الله عليه وسلم ، حتى رأى أثر الغضب من تلك الحمرة فى بَشَرَته الشريفة ، ومع ذلك صفح عن ذلك القائل ، كيلا يقول الناس : إن محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه * (متفق عليه) رواه البخارى فى أبواب الخُمْس ، وفى الأنبياء ، وفى الدعوات ، وفى الأدب.

وقوله « كالصِرف » هو بكسر الصادالمهملة ، وهو صِبْغٌ أحمر

٥٠ — وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبدِهِ الخيرَ عَجَّل له العقوبة فى الدنيا ، وإذا أرادَ الله بعبده الشَّرَّ أمْسَكَ عنه بذَنْبِهِ ، حتى يُوافىَ به يومَ القيامة »

رووا همسلم فى الزكاة * (وقوله) فى الحديث (كالصرف هو بكسر الصادالمهملة) وَسكون الراء آخره فاء (وهوصبغ أحمر) زاد فى شرح مسلم يُصبغ به الجلود . قال ابن دُريد : وقد يسمى الدم أيضا صِرفا اه .

* (وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أرادالله بعبده) المراد عقابه (الخير عجل له) فى جزاء سيئاته (العقوبة فى الدنيـا) ببلاء فى نفسه ، أو بموت صديقه ، أو بفقد ماله ونحوه ، فيكون ذلك إذا سَلِم من التبرُّم من الأقدار كفارةً لجناياته . فيوافى القيامة وقد خلص من تبعة الذنب ودَرْكه ، فان لم يكن من أرباب المخالفات ونزل به بلاء ، كان زيادة فى درجاته ، وعليه يحمل حديث : «أشدالناس بلاءالأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل » *(و إذا أراد الله بعده) المذكور (الشر) من العقاب والعذاب (أمسك عنه) الأذى (بذنبه) البـاء بمعنى «فى» أو سببية ، يعنى أن تأخير ماذكر عنه و بقاءه فى تبعات ذنبـه من أسباب ذنبه ، ففيه استدراجه من حديث لايشعر * (حتى يوافى به) أي بذنبه حاملا له على كاهله (يوم القيامة) فيجازى به ، وأين جميع أهوال الدنيا ومضايقها من ساعة من عذاب النار ، ومافيها من الأغلال والأنـكال ؟ * وفى الحديث : الحث على الصبر على ما تجرى به الأقدار ، وأنه خير للناس فى الحال والمـآل ، فمن صبر فاز ، ومن تبرَّم بالأقدار فقدرُ الله لايرد ، وفات المتبرم أعالى الدرجات ، وتـكفير السيئات والله ولى التوفيق

٥١ — وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إنَّ عِظَمَ الجزاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاء ، وإن الله تعالى إذا أحَبَّ قوماً ابتلاهم ، فمَنْ رَضِى فَلَهُ الرِّضا ، ومن سَخِطَ فله السَّخَط » .

---

* (و) عن أنس (قال النبى صلى الله عليه وسلم) مؤكداً لما دلَّ عليه ماقبله . مبيناله (إن عظم) بكسر المهملة وفتح المعجمة فى المعانى[1] (الجزاء) أى الثواب فى الآخرة كائن (مع عظم البلاء) فمن حلَّ به خلافُ ما يهواه الإنسان بالطبع من الشدائد فليفرح بها ، لما فيها من التخصيص و إجزاء العطاء ، فإن لم يكن من أهل مقام الرضا . فلا أقل من أن يكون من أهل مقام الصبر * (و إن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم) لأنه لو تركهم و زهرات الدنيا ربما استغرقت فيها قلوبهم ، فاشتغلوا بها عن مربوبهم . كما وقع ذلك للكفار . وأرباب الغفلات . فمن أراد الله سبحانه إقباله عليه . قطع عنه العلائق . وأنزل به أنواع البلايا . لتقوده إلى الرجوع إلى مولاه فى كل ساعة . وأىُّ نعيم يُوازى نعيم الشهود ؟ وأى جحيم يساوى الغفلة والتبعيد ؟ * (فمن رضى) بما جرى به القدر ولم يتبرم ولم يتضجر (فله الرضا) بالاختصاص الالهى ، والفيض الربانى ، والثواب الجزيل ، والأجر الجميل . قال تعالى ([٥٥ : ٦٠] هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) * (ومن سخط) من ذلك وتبرم من تلك المقادير (جرى المقدور[2]) إذ لامانع لما أراد سبحانه (وله) أى الساخط (السخط) بفتحتين ، أو بضم فسكون : الانتقام ، أو إرادته : لما فيه من معارضة الأقدار الالهية ، والاعتراض على الأحكام الربانية . وليس ذلك

---

(١) ضبط فى الترمذى ـ طبع الهند ـ بضم العين . وبهامشه عن المرقاة : بضم العين . وسكون الظاء . وقيل بكسرها وفتح الظاء . (٢) هذه الجملة ليست فى شىء من نسخ الترمذى ولا من الرياض .

رواه الترمذى [1] وقال : حديث حسن

٥٢ — وعن أنس رضى الله عنه قال « كان ابنٌ لأبى طَلْحَةَ ، رضى الله عنه ، يَشْتَكى ، فخرجَ أبو طَلحَةَ ،

من شأن العبيد ، والله يفعل مايريد (رواه الترمذى) فى جامعه (وقال حديث حسن) هو مارواه العدل الضابط . غيرتامّهما . أوالمستور . وانجبر . وقد سلم من الشذوذ والعلة * وفى معنى حديث الباب : ما أخرجه الترمذى أيضا عن جابر قال : قال رسول الله صل الله عليه وسلم «يَودُّ أهل العافية ـ يوم القيامة حين يُعطَى أهل البلاءِ الثوابَ ـ : أن لو كانتْ جُلودهم قُرِضَتْ فى الدنيا بالمقاريض »

* (وعن أنس) الأخصر : « وعنه » رضى الله عنه (قال : كان ابن) هو الذى قال صلى الله عليه وسلم « يا أبا عُمير . مافعل النُّغَير ؟ » وحديثه ذلك عند الترمذى فى شمائله . قيل : كناه صلى الله عليه وسلم بما ذكر إشارة إلى قصر عمره . وعند ابن ماجه حديث فى قصة تزويج أم سليم بأبى طلحة بشرط أن يُسلِمَ وقال فيه « فحملت ، فولدت غلاما صحيحا ، فكان أبو طلحة يحبه حبا شديدا ، فعاش حتى تحرك ، فمرض ، فحزن أبو طلحة عليه حزنا شديداً ، حتى تَضَعْضَعَ ، وأبو طلحة يغدو ، ويروح على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فراحَ روحةً فمات الصبى » * (لأبى طلحة) اسمه : زَيْد بن سَهْل الأنصارى . والابن : أخ لانس من أمه : أم سُليم (رضى الله عنه) الأولى رضى الله عنهما . لأنه ذكر صحابيان الابن وأبوه (يشتكى) أى مريض . وليس المراد : أنه صدرت منه شكوى . لكن لما كان المريض يحصل منه ذلك استعمل فى كل مريض (فخرج أبو طلحة)

---

(١) الأولى أن يقول : رواهما . لان الترمذى قال بعد الاول : وبهذا الاسناد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ثم قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه

فَقُبِض الصَّبِيُّ ، فلما رجعَ أبو طلحة قال : ما فَعَلَ ابْنِي ؟ قالت أمُّ سُلَيم – وهي أمُّ الصبي – : هُو أَسْكَنُ ما كان . فقرَّبتْ له العشاءَ فَتَعشَّى ، ثم أصابَ منها ، فلما فَرَغَ قالت : وَارُوا الصَّبِيَّ . فلما أصبَح أبو طلحةَ أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : أعْرَسْتُمُ الليلةَ ؟ قال : نعم .

أى إلى النبى صلى الله عليه وسلم (فقبض) بالبناء للمجهول (الصبى) زاد الاسماعيلى فى روايته « فأمرت أمه أنسا أن يدعو أبا طلحة ، وألا يخبره بموت ابنه » * (فلما رجع أبو طلحة) إلى بيته . جاء فى رواية الاسماعيلى « وكان أبو طلحة صائما » (قال : مافعل ابنى) أى ماقام به من صحة أو زيادة مرض (قالت أم سُليم) بضم المهملة مصغرا . واختلف فى اسمها فقيل : سهلة . وقيل : رُميثة . ومُليكة . والغُميصاء ، والرُّميصاء (وهى أم الصبى) جملة معترضة (هو أسكن ما كان) أى أسكن أكوانه . فانه كان فى القلق والاضطراب للنزع . فذهب ذلك حينئذ ، وظن أبو طلحة أنها أرادت : هو أسكن من الألم ، لحصول العافية . وفى عبارتها التوجيه * (فقرَّبت له العشاء) بفتح المهملة ممدودا : الطعام الذى يؤكل عند العِشاء . وهو مابين المغرب والعَتَمة (فتعشى ثم أصاب منها) أى جامعها . وفى رواية تأتى « أنها تصنعت له أحسن ما كانت تصنَّع قبل ذلك فوقع بها » * (فلما فرغ) من حاجته (قالت : واروا) أى استروا (الصبى) بالدفن (فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره) أى بما عدا الجماع ، بدليل قوله (فقال : أعرستم الليلة) المراد منه هنا الوطء . وسماه إعراسا . لأنه من توابع الاعراس ، ولا يقال فيه بالتشديد . كذا فى النهاية . وهمزة الاستفهام مقدرة (قال : نعم) بفتح أوليه وسكون ثالثة .

وبعث معه بتَمَرَاتٍ ، فقال : أمعه شيء ؟ قال : نعم ، تمرَاتٌ . فأخذها النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فمَضَغَهَا ، ثم أخَذَها مِن فِيهِ ، فجعلَها في فِي الصَّبِيِّ ، ثم حنَّكه ، وسماه عبدَاللهِ » متفق عليه

٥٢ — وفي رواية للبخاري : قال ابن عُيَيْنَة : فقال رجل من الأنصار :

(وبعث معه بتمَرات) بفتح الميم ليحنكه بها . والتحنيك بالتمر تفاؤل بالايمان : لأنها ثمرة الشجرة التي شبهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤمن . ولحلاوتها أيضا * (فقال) أي النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي الكلام حذف تقديره : فحملته ، حتى أتيت به النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : (أمعه شيء) أي يحنك به (قال) أنس (نعم) بفتحتين فسكون (تَمرات) مبتدأ خبره محذوف ، اكتفاء بذكره في السؤال ، أي معه تمرات (فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فمضغها) لتختلط بريقه الشريف . ويقدر الصبي على إساغتها ، فيكون أول مايدخل جوفه المتضغ بريق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فيسعد ويبارك فيه * (ثم أخذها) أي التمرات الممضوغات (من فيه فجعلها في في الصبي) أي في فمه ، ولا يخفى ما فيه من الجناس التام (ثم حنكه) في الصحاح : حنَّكتُ الصبي ، وحَنَكته ، إذا مضغت تمرا أو غيره ثم دلكته بحنكه . والصبي : محنوك ، ومحنَّك اهـ * (وسماه عبدالله) أي وضع له هذا الاسم . ففيه فضل التسمية بذلك (متفق عليه) في فتح الباري : وأخرجه ابن حبان ، والطيالسي . هذا ما اتفقا عليه * (و) زاد (في رواية للبخاري : قال) سفيان (ابن عيينة) بضم المهملة وبكسرها اتباعا للياء بعدها ، وفتح التحتية الأولى وسكون الثانية ـ الهلالي ، قرين الامام مالك ، من تابعي التابعين (فقال رجل من الأنصار) هو عَباية بن رفاعة ، كما أخرجه سعيد بن منصور

« فرأيت تسعة أولاد ، كلُّهم قد قرأُوا القرآن » يعنى من أولاد عبد الله المولود

٥٣ — وفى رواية لمسلم « مات ابنٌ لأبى طَلْحَةَ مِن أم سُلَيم ، فقالتْ لأهلها : لا تُحَدِّثوا أبا طَلْحَةَ

ومسدد ، وابن سعدوغيرهم ، وسبق أن الأنصار لفظ إسلامى صار علما على أولاد الأوس والخزرج الذين نصروا النبى صلى الله عليه وسلم والاسلام * (فرأيت تسعة أولاد كلهم) بالرفع مبتدأ خبره جملة (قد قرأوا القرآن) ويجوز أن يكون « كل » تأكيد « تسعة » وأتى بها لئلا يتوهم أنه رأى بعضا دون بعض ، وحينئذ فجملة « قرأوا القرآن » حالية * (يعنى) هذا لفظ أحد الرواة عن سفيان ، لبيان أن الأولاد المرئيين (من أولاد عبد الله) بن أبى طلحة (المولود) من تلك الاصابة ، المدعو لها بالبركة ، ووقع فى رواية عن سفيان «أنهم سبعة» بتقديم السين . قال فى فتح البارى : وقيل : إن فى إحداهما تصحيفا . أو أن المراد بالسبعة من ختم القرآن كله . و بالتسعة من قرأ معظمه * وله من الولد فيما ذكر ابن سعد وغيره من علماء الانساب : اسحاق ، واسماعيل ، وعبدالله ، و يعقوب ، وعمر ، والقاسم ، وعمارة ، وابراهيم ، وعمير ، وزيد ، ومحمد . وأربع من البنات . ويؤخذ من قول سفيان المذكور : أن فى قوله صلى الله عليه وسلم «لكما» تجوزا لأن ظاهره أنها فى ولدهما من غير واسطة . و إنما المراد : من أولاد ولدهما المدعو له بالبركة . وهو عبد الله اه

*(وفى رواية) أخرى (لمسلم) فى صحيحه (مات ابن لأبى طلحة من أم سليم) الظرف الأول صفة لـ « ابن » والثانى محتمل لها والحالية (فقالت لأهلها) أى لقرابتها الذين عندها وشعروا بوفاة ابنها (لاتحدثوا أبا طلحة) عند مجيئه المنزل

بابنه ، حتى أكونَ أنا أُحَدّثه ، فجاء ، فقرَّبَتْ إليه عَشاءً ، فأكل وشَرِبَ ، ثم تصَنَّعَتْ له أحسَنَ ما كانتْ تصنَّعُ قبل ذلك ، فوَقَع بها . فلما أنْ رأتْ أنه قد شبِعَ وأصاب منها . قالت : يا أبا طَلْحةَ ، أرأيتَ لَوْ أنَّ قوماً أعاروا عاريَتهم أهْلَ بيتٍ ، فطلبوا عارِيتهمْ ، ألَهُمْ أنْ يَمْنَعُوهُمْ ؟

(ب) وفاة (ابنه) لئلا يتنغص عيشه وهو صائم ، فلا ينال حاجته من الطعام (حتى) تعليلية ، أو غائية (أكون أنا) تأكيد للضمير المستكن (أحدثه ، فجاء فقربت إليه عشاء) عبر هنا بـ « إلى » لأنه منتهى التقريب ، وفيما تقدم باللام ، إشارة إلى أنه مقصود بذلك العشاء مهيأ له ، كما أشار البيضاوى إلى نحوه فى سورة يونس فى تعدية « يهدى » بإلى تارة ، وباللام أخرى * فأكل وشرب ، ثم تصنعت له) بتحسين الهيئة بالحلى ونحوه (أحسن ما كانت تصنع) بنصب « أحسن » مفعول مطلق . وأصل « تصنع » تتصنع ، فأدغمت إحدى التاءين فى الصاد المهملة . هذا إن قرىء بتشديدها. فان كانت مخففة فإحدى التاءين محذوفة دفعا للثقل (قبل ذلك) الوقت . هذا يدل على كمال يقينها وقوة صبرها (فوقع بها) أى جامعها (فلما أن) زائدة (رأت أنه قد شبع)من الطعام (وأصاب منها) بالجماع (قالت) منبهة له على أنه لاينبغى له الحزن على موت ولده عند اطلاعه عليه . لأنه وديعة بصدد الاسترداد (ياأبا طلحة أرأيت) أخبرنى (لو) ثبت (أن قوما) هو فى الأصل جماعة الرجال . والأكثر فى استعمال الشرع أن يراد به ما يشملهم والنساء . قاله الراغب فى مفرداته (أعاروا عاريتهم) مفعول ثان لـ« أعار» (أهل بيت) مفعوله الأول (فطلبوا عاريتهم ، ألهم) أى لأهل البيت المستعيرين . والظرف خبر مقدم ، مبتدؤه (أن يمنعوهم ؟) أى منعهم ويصح أن

قال : لا . فقالت: فاحْتَسِبْ ابنَكَ . قال : فغضِبَ ، ثم قال : تركْتِنِى حتَّى إذا تَلَطَّخَتُ ، ثمَّ أخبرْتِنى بابْنِى ، فانطَلَق حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخْبَره بما كان ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : باركَ الله فى لَيْلتِكما . قال : فحملتْ . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سَفرٍ ، وهى مَعَهُ ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا أَتَى المدينةَ

تعرب « أن » ومدخولها فاعلا للظرف ، لاعتماده على الاستفهام (قال : لا) أى ليس لهم منعهم . لأن الاعارة إباحة منافع المعار ، والمعار باق على ملك المعير . فله استرداده متى شاء * (قالت فاحتسب ابنك) أى اطلب ثواب ابنك وأجر مصيبتك فيه من الله . ولا تدنسهابما يحبط الثواب . فانه كان عندك عارية استرده مالكه * (قال) أنس (فغضب) أبو طلحة (وقال) لأم سليم (تركتنى) بكسر التاء للمخاطبة (حتى إذا) وَقْتِيَّة (تلطخت) بفتح الفوقية واللام وتشديد الطاء المهملة وسكون المعجمة ، أى تقذرت بالجماع . يقال : رجل لَطِخ ، أى قذر (ثم أخبرتنى) بكسر التاء (بابنى؟)أى بموته (فانطلق) يمشى (حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرله ذلك) أى المذكور من فعل أم سليم ، الدال على كمال يقينها وحسن صبرها ، مما يعجز عنه كثير من الرجال * (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) داعيا لهما بما يعود نفعه عليهما لجميل فعلهما (بارك الله لكما فى ليلتكما) أى فيما فعلتماه فيها من الاعراس ، بأن يجعله نتاجا طيبا وثمرة حسنة * (قال) أنس (فحملت) أم سليم ، إجابة لدعائه صلى الله عليه وسلم بالبركة بما كان منه قوم صالحون ، كما تقدم عن ابن عينية * (قال) أنس (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، وهى معه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى المدينة

من سَفَرٍ لا يَطْرُقُهَا طُرُوقاً . فَدَنوا من المدينهِ ، فَضَرَبَهَا المَخَاضُ ، فاحْتُبِس عَليهاأبو طَلْحة . وانْطَلَقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - * قال : يقول أبو طلحة : إنك لَتعلمُ يارب ِّ أنه يُعجبُنى أنْ أخْرُجَ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إذا خرجَ ، وأدخلَ معه إذا دَخَلَ ،

من سفر) بفتح أوليه ، سمى بذلك لأنه يسفر عن أخلاق الرجال · وسفره صلى الله عليه وسلم من المدينة إنما كان لأداء النسك أو الجهاد (لا يطرقها) بضم الراء (طروقا) بضم أوليه المهملتين ، أى لا يأتيها ليلا ، وكل آت بالليل طارق . ونهى عن طروق المسافرأهله ليلا . لئلا يرى منهم ماقد يكره . وأيضا فاذا وصلوا البلد نهارا وسمع بهم أهلهم تَصَنَّعَتِ المرأة لبَعْلها فيراها بمنظرحسن ، بخلاف ما إذا فجأها وهى شعثة ، ربما كانت رؤياها كذلك سببا لفراقه لها.وهذاإذا لم يترقب أهلهقدومه عليهم ليلا ، وإلا ، كأن بلغهم خبر قدومه من أول النهار ، فلابأس بالطروق حينئذ * (فدنوا) قربوا (من المدينةفضربها المخاض) بفتح الميم . وقرىء بكسرها فى الشواذ . وهو وجع الولادة (فاحتبس عليها أبو طلحة) أى حبس نفسه عليها لاشتغاله بشأنهاوانطلق رسول اللهصلى اللهعليهوسلم) فى مسيرهالى المدينة * (قال)أنس (يقول أبو طلحة) أتى بلفظ المضارع لحكاية الحال الماضية ، إشارة لكمال استحضاره للقصة وإتقانه لها (إنك لتعلم يارب) بكسر الباء ، دليلا على التحتية ، ويجوزفتحها على أن المحذوفة الالف المنقلبة عن الياء ؛ وضمها بناء على قطعه عن الاضافة . وجملة النداء معترضة بين الفعل وما سَدَّ مَسَدَّ مفعوليه ، وهو قوله (إنه يعجبنى) بضم التحتية (أن أخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج) من المدينة لسفر (وأدخل معه) المدينة ، وهو بالنصب عطف على « أخرج» (إذادخل) أى دخلها .

وقد احْتُبِسْتُ بما تَرَى - تقول أمُّ سُلَيْم : يا أبا طَلْحَةَ ماأجِدُ الذى كنتُ أجِدُ ، انْطَلِقْ . فانْطَلَقْنَا ، وضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا ، فولَدَتْ غلامًا ، فقالَتْ لى أُمِّى : يا أَنَس ، لا يُرْضِعْهُ أحَدٌ حتَّى تَغْدُوَ به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فالمفعول محذوف ، لدلالة السياق عليه * (وقد احتبست) أى منعت من الدخول (بما ترى) مما نزل بأم سُلَيم ، فأجاب الله دعوته . وكشف كربته * (قال) أنس مخبرا عن ذلك (تقول أم سليم)أى قالت أم سليم . وعدل عنه إلى المضارع ، لما ذكرآنفا (ياأباطلحه ، ماأجدالذى كنت أجد) العائد محذوف ، التقدير أجده ، أى ما أجد ألم الوضع الذى كنت أجده قبل (انطلق) أمر له . لأن سبب التخلف زال * (قال) أنس (فانطلقنا وضربها المخاض حين قدما) بكسر الدال ، أى وقت قدوم أبى طلحة وأم سليم المدينة . مع المصطفى صلى الله عليه وسلم (فولدت غلاما) هو المسمى بعبد الله (فقالت لى أمى) أم سليم ، أم عبد الله المذكور . فهو أخو أنس لأمه . كما تقدم (ياأنس ، لايرضعه) بضم التحتية وسكون المهملة على أن « لا » ناهية (أحد) أى ليكون أول شيء يشق جوفه ، ويدخل أمعاءه الممزوج بريق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فيعود عليه بخير الدارين . كما ظهر أثره فى هذا الغلام بتكثير بنيه الصالحين الأتقياء الفالحين . قال الشاعر :

نِعَمُ الإلهَ على العباد كثيرة   وأجَلُّهُن : نَجابة الأولاد

* (حتى تغدو به) وتعرضه (على رسول الله صلى الله عليه وسلم) والغدوُّ : سَيْرُ أول النهار . والرواح : السير بعد الزوال . هذا هو الأصل فيهما . وقد يُتَجَوَّزُ فى ذلك . ومنه حديث « من راح إلى الجمعة فى الساعة الأولى » على أحد الأقوال فيه . وعُدِّى بـ « على » إلى أن القصد من الوصول به إليه : عرضه عليه

فلما أصبحَ احْتَمَلتْهُ ، فانطلقتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه سلم »
وذكر تمام الحديث

٥٤ — وعن أبي هريرة رضى الله عنه : أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ ، إِنَّمَا الشديدُ الذي يَمْلِكُ

ليحل عليه نظره السعيد فيفوز بالخير المديد . وقد حقق الله ما أرادت * (فلما أصبح) أى دخل وقت الصباح . ومنه قوله تعالى([٣٠ : ١٧] فسُبحان الله حين تُمْسون وحين تُصْبحون) * (احتملته ، فانطلقت) أمشى (به) منتهياً (إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم — وذكر تمام الحديث) وفيه نحو مما فى حديث البخارى السابق « أنه حنَّكه بالتمر وسماه عبد الله » * قال فى فتح البارى : وفى الحديث فوائد : جواز الأخذ بالشدة وترك الرخصة مع القدرة عليها، والتسلية عن المصائب ، وتزين المرأة لزوجها وتعرضها لطلب الجماع منه ، واجتهادها فى عمل مصالحه . ومشروعية المعاريض الموهمة إذا دعت الضرورة إليها ، ولم يترتب عليها إبطال حق مسلم . والحامل لأم سليم عليه : المبالغة فى الصبر والتسليم لأمر الله تعالى . ورجاء إخلافه عليها ما فات منها . إذ لو أعلمت أبا طلحة بالأمر فى أول الحال تنكَّد عليه وقته . ولم تبلغ الغرض الذى أرادته . فلما علم الله تعالى صدق نيتها بلَّغها مُناها . وأصلح لها ذريتها . وفيه : إجابة دعوة النبى صلى الله عليه وسلم . وأن من ترك شيئا لله عوَّضه خيرا منه . وكان لأم سُلَيم من قوة القلب وثبات الجنان الغاية القصوى . فكانت تشهد الحرب وتداوي الجرحى اهـ .

* (وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس الشديد) المحمودة شدته شرعا (بالصرعة . إنما الشديد) الممدوحة شدته شرعا (الذى يملك نفسه) من الوقوع فى المنهيات (عند) وجود (الغضب) وقيامه

نَفْسَهُ عند الغَضَبِ» متفق عليه * و « الصرعة » بضم الصاد وفتح الراء ، وأَصلُه عندالعرب : من يَصْرَعُ الناس كثيرا

٥٥ — وعن سليمانَ بن صُرَدٍ رضى الله عنه

به . وذلك إنما يكون لمن راض نفسه بسياسة الاتباع . واقتدى بالمصطفى فى سائر الأحوال . فلم يحمله الغضب على الوقوع فى أسباب الهلاك فى دينه . و«الغضب» بالتحريك لغة : ضد الرضا . وسببه : حصول مخالف لمراد الانسان ممن هو دونه . وتحت يده . فيحصل منه تلك الحالة المقتضية لفعل مالا يجوز : من قتل ، أو ضرب ، أو سب . فمن حفظ نفسه عن ذلك ، وقادها بزمام الشريعة ، وكظم غيظه ، وعفا . فاز بالدرجة العليا . وكان محموداً شرعا ، وإن انتقم بقدرماأذِن فيه الشرع من التأديب . فلا بأس *(متفق عليه) ورواه الإمام أحمد من حديث أبى هريرة أيضا *(والصرعة بضم الصاد وفتح الراء) المهملتين بعدهما مهملة مفتوحة (وأصله عندالعرب : مَنْ يصرعُ الناس كثيرا) فان « فُعَلَة » بضم ففتح : لمن يكثرمنه الفعل . و « فُعْلة» بضم فسكون لمن يعتاد فعل ذلك الشىء به . فضُحَكة — بوزن هُمَزة — بمعنى الفاعل لمن يُكثر الضحك من الناس، وضُحْكة — بوزن رُكْبة — بمعنى المفعول . لمن يكثرضحك الناس عليه ، وسخريتهم به . ذكره الكرمانى . وقد بسطت ذلك فى شرح الأذكار * وفى الحديث : أن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو . وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه لماعادوا من بعض الغزوات « رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » .

*(وعن سليمان بن صُرَد) زاد فى الأذكار فقال «الصحابى» (رضى الله عنه) وصُرَد بضم ففتح لأوليه . وجميع حروفه مهملة . وهو خُزاعى . كان اسم سليمان فى الجاهلية « يسار » فسماه صلى الله عليه وسلم « سليمان » وكان خيِّراً

قال « كُنتُ جَالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وَرُجُلان يَستَبَّانِ ، وأحَدُهُما قد احْمَرَّ وجهُهُ وانْتَفَخَتْ أوْداجُهُ. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنِى لأَعْلَمُ كَلِمةً

دينا . فاضلا ذا دين وعبادة وشرف فى قومه . نزل الكوفة أول ما كوّفها سَعْد وقُتِل فى حربٍ . بينت سببه فى شرح الأذكار[1] . وحمل رأسه إلى مروان بن الحكم بالشأم . وكان عمره حين قتل : ثلاثا وتسعين سنة . روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر حديثا . اتفقا منها على هذا الحديث . وانفرد البخارى عنه بحديث واحد . هو قوله صلى الله عليه وسلم « اليوم نغزوهم ولا يغزونا » فليس له فى الصحيحين سوى حديثين . وخرَّج عنه أصحاب السنن الأربع * (قال كنت جالساً مع النبى صلى الله عليه وسلم ورجلان يَسْتَبَّان) بفتح التحتية وسكون المهملة . وفتح الفوقية ، وتشديد الموحدة ، افتعال . من السَّبِّ ، أى يَسُبُّ كل منهما صاحبه (وأحدهما) قال ابن حجر الهيتمى قيل : إنه كان معاذ ، فان صح ـ وأنه ابن جَبل ـ تعين تأويل ماوقع منه من قوله «هل بى من جنون؟ » على أنه قاله من سَوْرة الغضب من غير تأمل ، قيل : وهو الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم « أوصنى » الحديث الآتى ، ففيه أن معاذا كان عنده سَوْرة من الغضب * (قد احمر) بتشديد الراء (وجهه ، وانتفخت أوداجه) فى النهاية : الأوداج : ما أحاط بالعنق من العروق التى يقطعها الذابح . واحدها : وَدَج ، وقيل : الودجان : عرقان غليظان عن جانبى ثَغْرة النَّحر ، ومنه الحديث اه . * (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأعلم كلمة) المراد منها معناها اللغوى ، وهى

(١) كان ممن كتب للحسين بن على مع جماعة يستقدمونه إلى الكوفة . ثم خذلوه . ثم ندموا ، وسموا أنفسهم التوابين . فخرجوا فى أربعة آلاف بأمرة سليمان للأخذ بثار الحسين . فلقيهم جيش عبد الله بن زياد فى عين الورد

لَوْ قالها لَذَهَبَ عنه ما يجدُ . لو قال : أعوذُ بالله من الشيطان الرَّجيم ذهَبَ عنه مايجدُ . فقالوا له : إنالنبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : تَعوَّذْ بالله من الشَّيْطانِ الرجيم » متفق عليه

٥٦ — وعن مُعاذِ بنأنس رضى الله عنه

الجمل المفيدة (لو قالها) بصدق ويقين ، ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم أن ذلك الرجل لو قالها مطلقا (لذهب عنهما يجد) من شدة الغضب ببركة الكلمات . وتأثير همته الشريفة فى دفع ذلك عنه * ثم هذا الحديث الشريف مستمد من قوله تعالى ([٧ : ٢٠٠] وإمَّا يَنزَغَنَّكَ من الشيطان نَزْغٌ فاسْتَعِذْ بالله إنه سميع عليم) * (لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم · ذهب عنه ما يجد)من شدة الغضب وشَرِّه ، والجملة بيان لما قبلها ، و« أعوذ » معناه : ألجأ وأعتصم ، و« الشيطان » العاتى المتمرد ، من «شاط» احترق ، أو من « شطَن » بعد ، و«الرجيم » فعيل بمعنى مفعول ، أى المبْعَدمن رحمة الله ، واللام محذوفة من ا « ذهب » تفننا فى التعبير (فقالوا له) أى قال الصحابة لذلك الرجل المغضب (إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : تعوذ بالله من الشيطان الرجيم) هـذا منهم رواية للحديث بالمعنى ، لا بخصوص اللفظ والمبنى ، ففيه نص على جواز ذلك للعارف به . وفى الحديث تتمة ، سكت عنها المصنفهنا . وهى أنه لما قيل لهذلك قال «وهل بى منجنون ؟» وفيه : أنالغضب إنما يثير نارَه ، ويشعلُ لُهبَهَ الشيطانُ لما يترتب عليه من الضرائر فى الدين والدنيا . فلذا كان دواؤه قطعَ سبب مادته وهو وسواس الشيطان الرجيم بالاستعاذة منه * (متفق عليه) ورواه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وفىرواية لأبى داود والترمذى والنسائى ، من حديث معاذ « اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم » كذا فى سلاح المؤمن .

* (وعن معاذ) بضم الميم بعدها مهملة (ابن أنس رضى الله عنه) هو الُجهنى

أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مَن كَظَمَ غيظاً ، وهو قادرٌ على أن يُنْفِذَهُ ، دعاه اللهُ سُبْحانه على رُءوس الخلائق يوم القيامة حتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الحُورِ العِينِ ما شاء » رواه أبودواد والترمذى . وقال : حديث حسن

سكن مصر . روى عنه ابنه سَهْل . له نسخة كبيرة عند ابنه ، سهل أورد منها أحمد ابن حنبل فى مسنده . وأبو داود والنسائى ، والترمذى . وابن ماجه . والأئمة بعدهم فى كتبهم . روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثون حديثا * (أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من كظَم غيظا) تجرَّعه ، واحتمل سببه وصبر عليه ، والغيظ : تغير الانسان عند احتداده . وظاهر عموم تنكير «غيظا» حصول الثواب على كظم الغيظ ، مع القدرة على إنفاذه ، وإن قلَّ (وهو قادر على أن ينفذه) بضم التحتية ، أى يقضى ويعمل بما يدعو إليه : من ضرب المغتاظ منه . أو قتله ، أو نحوه . لسَطْوته على المغتاظ منه ، بملك أو نحوه . وهو قَيْدٌ فى حصول ثواب كظم الغيظ المذكور * (دعاه الله سبحانه) تنزيها له عما لا يليق بشأنه (وتعالى) عن ذلك . فهو كالاطناب كما سبق (على رءوس الخلائق) تنويها بشأنه وإعلاما بعلو مكانه (يوم القيامة) ظرف ا « دعاه» (حتى يخيِّره) بضم التحتية الأولى وتشديد الثانية (من الحور) بضم المهملة وسكون الواو آخره راء ، أى شديدات سواد العيون و بياضها (العين) ضخام العيون . كسرت عينه بدل ضمها لمجانسة الياء ، مفرده «عيناء» كحمراء (ماشاء) مفعول ثان ا«يخير»* (رواه أبو داود والترمذى) ورواه ابن ماجه * (وقال) يعنى الترمذى (حديث حسن)

* وعند ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الغضب من حديث أبى هريرة مرفوعا «من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا » وعنده أيضا من حديث ابن عمر « من كفَّ غضبه ستر الله عورته » اهـ * وقد روى أن الحسين بن على رضى الله

٥٧ — وعن أبى هريرة رضى الله عنه « أن رجلا قال للنبى صلى الله

عنهما كان له عبدٌ يقوم بخدمته ، ويُقَرِّب إليه طَهوره ، فقرَّب إليه طهوره ذات يوم فى كُوز ، فلما فرغ الحسين من طُهوره رفع العبد الكوز من بين يديه . فأصاب فمُ الكوزَ باعية الحسين ، فكسرها ، فنظر إليه الحسين ، فقال:(والكاظمين الغيظ) قال : « قد كظمت غيظى) . فقال : (والعافين عن الناس) . قال : قد عفوت عنك . قال : (والله يحب المحسنين) . قال : اذهب . فأنت حر لوجه الله تعالى . قال : وما جواز عتقى ؟ . قال : السيف والدَرَقة . فانى لا أعلم فى البيت غيرهما اه .

* (وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا)قال الشيخ زكريا فى تحفة القارى : هو «جارية» بالجيم ، ابن قُدامة . ومنه أخذ جمع أنه صحابى . واعتمده الحافظ ابن حجر . وقيل : إنه تابعى ، وأن ماجاء فى رواية خرَّجها أحمد عنه « أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم » — : وَهَم . وقيل : إنه سفيان بن عبدالله الثقفى ، فقدورد عنه أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم . فأجابه بذلك . فردد عليه مراراً يسأله عن ذلك . يقول له نبى الله : « لاتغضب » رواه العراقى فى أماليه . وقال : إنه حسن من هذا الوجه . قال : والحديث صحيح من وجه آخر — يعنى به حديث البخارى هذا — . قال : وإنما أوردته من حديث سفيان لفائدة كونه هو السائل . قال : وقد روينا فى أحاديث عن ابن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وأبى الدرداء ، وجارية ابن قدامة : أن كلاً منهم سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك . فقال له «لاتغضب» اه . وجاء عن جابر ، وعن جارية كذلك ، وتقدم عن شرح المشكاة لابن حجر : أنه معاذ بن جبل . فلعله صدر من كل منهم * (قال للنبى صلى الله

عليه وسلم : أوْصِنِى. قال : لاتَغْضَبْ . فردَّدَ مِراراً ، قال : لا تغضب»
رواه البخارى

٥٨ — وعن أَبى هريرة رضى الله عنهقال :

عليه وسلم : أوصنى) بوصية جامعة لخير الدارين . كما يدل عليه التعميم بحذف المفعول . وجاء فى رواية عن أبى سعيد الخدرى ، وأبى هريرة « أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ولاتكثر علىّ لعلّىِ أعقله » * (قال : لاتغضب) لما كان الغضب من نزغات الشيطان . ولذا يخرج الانسان عن اعتداله . فيتكلم بالباطل . و يفعل المذموم . قال له . لما قال « أوصنى : لاتغضب » (فردد) السائل قوله «أوصنى» (مراراً . قال) لهصلى الله عليه وسلم فى جواب كل مرة (لاتغضب) ولم يزد عليه. ففيه دليل على عظم مفسدة الغضب وما ينشأ منه ، وعند الخرائطى زيادة « قال الرجل السائل : ففكرت حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقال . فاذا الغضب يجمع الشر كله » * (رواه البخارى) فى صحيحه من حديث أبى هريرة . وكذا رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح غريب من هذا الوجه . ورواه المحاملى عن أبى سعيد وأبى هريرة . ورواه ابن حبان فى روضة العقلاء له عن أبى هريرة ، أو جابر . ورواية البخارى المذكورة رافعة للشك . ورواه مُسَدَّد فى مسنده عن أبى سعيد من غير تردد * وحديث أبى هريرة صحيح . وهو من أفراد البخارى ، أى بالنسبة لمسلم . وأصح من حديث أبى سعيد . وروى من حديث جابر وابن عمر ، وابن عمرو ، وأبى الدرداء ، وجارية بن قدامة ، وطرق الحديث استَوْعَبَ جملة منها السَّخَاوِىُّ فى تخريج الأربعين التى جمعها المؤلف نفع الله به . يأتى نقلها عنه ملخصا فى باب الحلم

* (وعن أبى هريرة) الأخصر « وعنه » (رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما يَزالُ البَلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنةِ : فى نَفْسِهِ، وولَدِه، وماله ، حتى يَلْقَى اللهَ تعالى وما عليه خَطيئةٌ » رواه الترمذىُّ . وقال : حديث حسن صحيح

٥٩ — وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال « قَدِمَ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يزال البلاء) بالمصائب والمتاعب نازلا (بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه) بالمرض ، والفقر ، والغربة ، التى هى فى الظاهر كربة ، وإن نظرت إليها وأنها واردة إليك من أرحم الراحمين ، انقلبت من كونها محنة ، إلى كونها منحة (وولده) بالموت والمرض أو عدم الاستقامة ، أو نحوه مما يؤلم الوالد بحسب الطبع البشرى (وماله) بالتلف ببعض الأسباب : من حرق ، أو سرقة ، أو نحو ذلك (حتى) غاية لنزول البلاء بأرباب الايمان ، أى إن البلاء لايزال بالانسان — أى الصابر كما يدل عليه لفظ « المؤمن والمؤمنة » : المحمول على الفرد الكامل — إلى أن يغفر الله له به الخطايا . ف(يلقى) أى المبتلى ، ليشمل كلا منهما . (الله تعالى) ولقاء الله كناية عن الموت (وما عليه خطيئة) أى ذنب جملة حالية ، وقوله «خطيئة» ظاهر عمومه : شمول الكبائر والتبعات ، فان ثبت ذلك وأنه مراد ، فذلك من محض فضل الكريم الجواد . إذ صالح العمل ـ ومنه الصبر والاحتساب ـ إنما يكفر الصغائر المتعلقة بحقوق الله تعالى * (رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح) يحتمل أن يكون على تقدير واو العطف ، إن كان له إسنادان أحدهما صحيح والآخر حسن ، وأن يكون على تقدير «أو» إن كان سنده فرداً واختلف فى حاله . وقد تقدم بسط فى هذا المقام فى باب التوبة . والحديث رواه أيضا مالك .

* (وعن) عبد الله (ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم) بكسر الدال

عُيَيْنَة بنُ حِصْنٍ ، فنزل على ابن أخيهِ الْحُرِّ بن قَيسٍ ـ وكان من النَفَر الذين يُدْنِيهِمْ عُمر ، رضى الله عنه ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصحابَ مجلِس عمرَ رضى الله عنه ، وَمُشَاوَرَتِه ـ كُهولاً كانوا أو شُبَّانًا ـ

(عيينة) بضم أوله المهمل ، وفتح التحتية الأولى ، وسكون الثانية بعدها نون فهاء (ابن حصن) بكسر فسكون لأوليه المهملين ، الفزارى . أسلم يوم الفتح . وقيل قبله وكان من المؤلَّفة قلوبهم . ومن الأعراب الجفاة . ارتدَّ وأُتِى به أسيرا إلى الصديق فأسلم ، فأطلقه . فقدم ابن حصن المدينة (فنزل على ابن أخيه الحر) بضم الحاء وتشديد الراء المهملتين (ابن قيس) ابن حصن الفزارى ، صحابى ، وهو الذى تمارَى مع ابن عباس فى صاحب موسى ، الذى سأل موسى السبيل الى لُقِيِّه ـ فقال ابن عباس: هو الخضر. فسأل عنه أُبَيًّا . فذكر فيه خبرا مرفوعا . كما قال ابن عباس . وقد أخرجه كذلك البخارى فى كتاب العلم من صحيحه * (وكان) الحر (من النفر) بفتح أوليه الناس كلهم ، أو ما دون العشرة من الرجال ، وجمعه أنفار . كذا فى مختصر القاموس (الذين يدنيهم) بضم أوله ، أى يقربهم (عمر) بن الخطاب (رضى الله عنه) لكونه من الفقهاء القراء (وكان القراء) جمع قارىء . والمراد منهم : القارىء للقرآن المتفهم لمعانيه . فان عادتهم حينئذ كانت كذلك ، حتى لقد قرأ عمر رضى الله عنه سورة البقرة فى سبع سنين لذلك * (أصحاب) أى ملازمى (مجلس عمر رضى الله عنه) لينبهوه إذا سها ، ويذكروه إذا نسى (ومشاورته) يحتمل أن يكون بالفوقية بعد الراء المهملة ، فيكون معطوفا على مجلس . ويحتمل أن يكون بالتحتية جمع مذكر سالم فيكون معطوفا على أصحاب (كهولا كانو أو شبانا) الكهل الذى جاوز الثلاثين ووخَطَه الشيب ، وقال ابن فارس ، قال المبرد : هو ابن ثلاث وثلاثين سنة ؛ وفى تحفة القارى : سن الشباب : خمس وثلاثون سنة . وسن الكهولة : خمسون سنة

فقال عُيَيْنَةُ لابن أخيه : ياابنَ أخِى ، لكَ وَجه عند هذا الأمير. فاستأذِنْ لى عليه . فاستأذَن ، فأذِنَ له عُمَرُ ، فلما دخلَ ، قال : « هِيْ ياابنَ الخطَّابِ ، فو الله مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ ، ولا تَحْكُمُ فينا بِالعَدْلِ . فغضبَ عمر رضى اللهُ عنه ، حتى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ به ،

وسن الشيخوخة ستون سنة اهـ . وبه يعلم أن الثلاث والثلاثين ابتداء الكهولة وتستمر إلى الخمسين . وماقبل ذلك من بعد البلوغ فسن الشباب ، و«الشبان» بضم المعجمة وتشديد الموحدة آخره نون جمع «شاب» وفى نسخة بفتح أوليه وآخره موحدة أيضا (فقال عيينه لابن أخيه ياابن أخى لك وجه) أى جاه (عند هـذا الأمير) أى عمر بن الخطاب رضى الله عنه (فاستأذن لى) أى اسأل لى الاذن فى الدخول (عليه فاستأذن) أى الحرّ لعيينة (فأذن عمر له) أى لعيينة فى الوصول إليه (فلما دخل) معطوف على مقدر ، أى فدخل فلمادخل (قال : هِيْ) بكسر الهاء وسكون التحتية كلمة تهديد ، وقيل هى ضمير . وثَمَّ محذوف ، أى هى داهية، وفى البخارى « هيه » بهاء السكت فى آخره ، وفى ،أخرى منه «إيه» بالهمزة بدل الهاء وهما بمعنى . كما قال ابن الأثير . فمعناهما بلاتنوين : زدنى من الحديث المعهود ، وبالتنوين من أى حديث كان (ياابن الخطاب ، فوالله ماتعطينا الجزل) بالنصب مفعول به أو مطلق ، أى ماتعطينا الشىء الكثير ، أو العطاء الكثير ، وأصل « الجزل » ماعظم من الحطَبِ . وكأنه أراد أنه يستأثر به عن مستحقيه (ولا تحكم فينا بالعدل) وهو ماجاء به الكتاب والسنة نصا أواستنباطا * (فغضب عمر رضى الله عنه) أى لما رماه به من منع المال عن مستحقه من الأنام ، وعدم العدل فى الأحكام (حتى همّ) بتشديد الميم ، أى أراد (أن يوقع به) بضم التحتية وكسر القاف . والمفعول محذوف . أى شيئا من العقوبة . وذلك لجفائه وسوء

فقال له الحرُّ : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ([٧ : ١١٩] خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بالعُرْفِ ، وَأَعْرِضْ عن الجاهلين) وإنَّ هذا من الجاهلين . والله ما جاوزَها عمرُ حين تَلاها . وكان وَقّافاً عند كِتابِ الله تعالى »

أدبه معــه (فقال له) أى لعمر ، وقدَّمه على الفاعل اهتماما به (الحر : يا أمير المؤمنين) تقدم أولَ الـكتاب أنه أول من لُقِّب به من الخلفاء (إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم) محرضا له على الحلم والصفح ، أى ولـكم فى رسول الله أسوة حسنة : (خذ العفو) التيسير من أخلاق الناس ، ولا تبحث عنها . وفى البخارى عن عبد الله بن الزبير « مانزلت : (خذ العفو وأْمر بالعرف) إلا فى أخلاق الناس » وفى رواية قال « أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس » وكذا فى جامع الأصول . (وأمر بالعرف) أى المعروف (وأعرض عن الجاهلين) فلا تقابلهم بسفههم . روى أنه : لمـا نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : « ماهذا ؟ قال : لاأدرى حتى أسأل . ثم رجع . فقال : إن ربك يأمرك أن تصِل من قَطعك . وتعطى من حَرَمك . وتعفو عمّن ظلمك . » ذكره البغوى فى تفسيره بلا سند . قال جعفر الصادق : « ليس فى القرآن آية أجمع لمـكارم الأخلاق من هذه » * (وإن هذا من الجاهلين) المأمور صلى الله عليه وسلم بالصفح عنهم والتجاوز عن سوء فعلهم . والخطاب له صلى الله عليه وسلم يدخل فى حكمه أمته ، إلا ماقام الدليل على اختصاصه به * (والله ماجاوزها) أى الآية (عمر) أى ما خرج عما تضمنته من الصفح والتجاوز (حين تلاها) الحر عليــه (وكان وقافا عنــد) حدود (كتاب الله) كناية عن امتثاله لهـا والاهتمام بأمرها ، وعدم تجاوز ذلك .

رواه البخاري

٦٠ — وعن ابن مسعود رضى الله عنه : أن رسولَ الله صلى الله وسلم قال « إنها ستكونُ بَعْدِى أَثَرَةٌ وأمورٌ تُنكِرُونَهَا . قالوا : يارسولَ الله ، فماتأمرُنا ؟ قال : تؤَدُّونَ الحقَّ الذى عليكم ، وتسألونَ الله الذي لَكُمْ » متفق عليه * « والأثرة »

والوقاف : بالتشديد للثانى : من الوقوف . كذا فى النهاية (رواه البخارى) فى التفسير وفى الاعتصام

* (وعن) عبد الله (بن مسعود رضى الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنها ستكون) تحصل (بعدى) أى بعد وفاتى بمدة كما تومىء إليه السين (أثرة) بالمثلثة والراء . اسم مصدر « استأثر » أو اسم مصدر « آثر » يؤثر . أى يستأثر عليكم ، أى يفضِّل غيركم فى نصيبه من الفىء ، والاستئثار : الانفراد بالشىء (وأمور تنكرونها) كما وقع من تأخير الصلوات و بعض المنكرات (قالوا : يا رسول الله ، فما تأمرنا) نفعله حينئذ ؟ (قال تؤدون) بضم الفوقية وفتح الهمزة وتشديد المهملة ، أى تعطون (الحق الذى) كتب (عليكم) من الانقياد لهم ، وعدم الخروج عليهم (وتسألون الله الذى لكم) من الحق فى بيت مال المسلمين ، أى تطلبون منه ذلك ، وهو يسخِّر قلوبهم لأداء ذلك ، أو يعوضكم عنه ، ولا يجوز لكم الخروج عليهم ، لمنع أداء الحق الواجب عليهم . وما نقل عن بعض السلف من الخروج على وُلاة ، زمنه فذاك اجتهاد له * وفى الحديث : الصبر على المقدور ، والرضا بالقضاء حلوه ومُرّه ، والتسليم لمراد الرب العليم الحكيم * (متفق عليه) رواه البخارى فى علامات النبوة وفى الفتن . ورواه مسلم فى المغازى . ورواه الترمذى فى جامعه ، وقال : حسن صحيح * (والأثرة) بفتح أوليه . ويقال : «الأثرة»

الانفراد بالشيء عمن له فيه حق

٦١ — وعن أبي يَحَيَ أُسَيْدِ بن حُضَير رضي الله عنه ، أنَّ رجلاً من الأَنصارِ

بضم الهمزة وبالكسر وسكون المثلثة ، وكالحسنى . كذا فى مختصر القاموس (الانفراد بالشيء) أى الاختصاص به أو ببعضه (عمن له فيه حق) فهو منع المستحق من نصيبه مثلا ، أو من بعضه . والله أعلم .

* (وعن أبي يحيى) كُنِى بابنه يحيى . وقيل : كنيته أبو عيسى . كناه بها النبى صلى الله عليه وسلم . وقيل : أبو عَتيك . وقيل : أبو حُضير . وقيل : أبو عمرو (أسيد بن حضير) وسيأتى ضبط هذين الاسمين . وأسيد بن حضير (رضى الله عنه) أنصارى أَوْسِىٌّ أَشْهَلىٌّ ، أسلم قبل سعد بن مُعاذ على يد مُصْعَب بن عُمير بالمدينة ، بعد العقَبة الأولى . وقيل : الثانية . وكان الصدّيق يكرمه . ولا يقدم عليه أحدا . ويقول : إنه لا خلاف عنده ، وشهد العقَبة الثانية . وكان نقيباً لبنى عبد الأشهل ، واختلف فى شهوده بَدراً . وشهد أُحداً وما بعدها . آخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين زَيد بن حارثة ، وكان من أحسن الصحابة صوتا بالقرآن ، وكان أحد العقلاء الكُمَّل أصحاب الرأى . وأخرج فى أسد الغابة عن أبى هريرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « نعم الرجلُ أسيد بن حضير » . رُوى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر حديثا . قاله ابن حَزْم فى سيرته . اتفقا منها على حديث واحد . وهو هذا . وانفرد البخارى عنه بحديث آخر . أخرجه تعليقا . تُوُفِّى أسيد فى شعبان سنة عشرين . وحَمل عمر رضى الله عنه السرير حتى وضعه بالبَقيع وصلى عليه ، وكان قد أوصى إلى عمر فى وفاء دينه ، فوجد عليه أربعة آلاف دينار . فسدَّه من ثمر نخله ، باعه بذلك أربع سنين * (أن رجلا من الأنصار) قال الشيخ زكريا : قيل : هو

قال : يارسولَ الله ، ألا تَسْتَعْمِلُنى ، كما اسْتَعْمَلْتَ فُلانا ؟ فقال : إنكم سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً ، فاصبِروا حتى تَلْقَوْنِى على الحَوْضِ »

أسيد بن حضير الراوى اه . قال السيوطى : ولا بِدْعَ أن الراوى يُبْهِم نفسه . كما سيأتى فى حديث أبى سعيد فى قصة الرُّقْيَةِ بالفاتحة * (قال : يارسول الله ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام أداة عَرْض (تستعملنى) أى تصير نى عاملا فى بلاد ونحوها (كما استعملت فلانا) هو عمرو بن العاص (وفلانا) أي استعمالا كاستعمال فلان وفلان . قال ابن السراج : لفظ « فلان » يكنى به عن اسم سمى به المحدث عنه ، خاص بالناس غالبا ، و يقال فى النداء : يا فُلُ ، بحذف الألف والنون . وقد يحذفان فى غير النداء ضرورة . ويقال فى غير الناس : الفلان والفلانة بأل . هذا ما ذكره الجوهرى . قال المصنف فى التهذيب : ورد عن أبى يَعْلَى فى مسنده باسناد على شرط مسلم عن ابن عباس قال « ماتت شاة لسَوْدة بنت زَمْعَة فقالت : يارسول الله ، ماتت فلانة — تعنى الشاة » الحديث . قال : كذا هو فى كل النسخ المعتمدة « فلانة » من غير « أل » . وهذا تصريح بجوازه . فهما لغتان اه . * (فقال : إنكم) أى يا معشر الأنصار (ستلقون بعدى أَثَرَة) تقدم ما فيه من اللغات . والمعنى المراد منه (فاصبروا) على استئثارهم عليكم بما تستحقونه (حتى تلقونى على الحوض) أى إلى الموت الكائن بعد البعث منه لقاؤهم له صلى الله عليه وسلم على الحوض *
فان قلت : ما وجه المناسبة بين قوله « إنكم ستلقون الخ » وما سأله عن العمل ؟ قلت : لعله أن من شأن العامل الاستئثار إلا من عصم الله ، فأشفق عليه صلى الله عليه وسلم من أن يقع فيما يقع فيه بعض من يأتى بعده من الملوك ، فيستأثر على ذوى الحقوق ويمنعهم منه . وهذا من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم . فقد وقع كما أخبر . وفى الحديث : إيماء إلى أن الخلافة بعده صلى الله عليه و سلم . لا تكون فيهم ،

متفق عليه * « وأسيد » بضم الهمزة و« حُضير » بحاء مهملة مضمومة وضاد معجمة مفتوحة . والله أعلم

٦٢ — وعن أبى إبراهيم عبدِ الله بن أبى أوْفى رضى الله عنهما ، أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى بَعْض أيَّامِهِ التى لَقِىَ فيها العَدُوَّ

وقد أوصى عليهم صلى الله عليه وسلم * (متفق عليه . وأسيد بضم الهمزة) وفتح السين المهملة وسكون التحتية ، آخره دال مهملة (وحضير بالحاء المهملة المضمومة فضاد معجمة مفتوحة) عرَّف الحاء ونكر الضاد تفننا فى التعبير ، و بعد الضاد تحتية ساكنة فراء مهملة

* (وعن أبى إبراهيم) وقيل : أبو معاوية . وقيل : أبو محمد (عبد الله ابن أبى أوفى) واسم أبى أوفَى : عَلْقمة ، بن خالد بن الحارث بن أبى أسيد بن رفاعة ابن ثعلبة بن هوازن بن أسلم الأسلمى . هو وأبوه صحابيان (رضى الله عنهما) بايع عبد الله بَيعة الرضوان ، وشهد خَيبر وما بعدها من المشاهد . ولم يزل بالمدينة حتى قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم تحول إلى الكوفة . وهو آخر من توفى بها من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . أخرج ابن الأثير فى أُسْد الغابة عنه « أنه سئل عن أكل الجراد . فقال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستّ غزوات نأكل الجراد » رُوى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وتسعون حديثا . اتفقا منها على عشرة . وانفرد البخارى بخمسة ، ومسلم بواحد . تُوفىّ عبد الله بالكوفة سنة ست . وقيل : سبع وثمانين ، بعد ما كُفَّ بصره رضى الله عنه * (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أيامه) أى أيام غزواته وحروبه . وهو متعلق بقوله الآتى « انتظر » (التى لقى فيها العدو) وتقدم فى باب التوبة : أن عدد المغازى التى خرج لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبع وعشرون ، قاتل فى تسع منها بنفسه ، تقدم بيانها ثَمَّة . و« العدو » بفتح

انتَظَرَ ، حتى إذا مالَتِ الشَّمْسُ قامَ فيهم ،فقال : ياأَيُّهَا الناسُ لاَ تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ ، واسْأَلوا اللهَ العافِيَةَ ،

العين فضم الدال المهملتين و تشديد الواو . يطلق على الواحد والجمع . والمراد منه الكفار * (انتظر) أى أخَّر قتالهم (حتى إذا مالت الشمس) عن كَبِد السماء إلى جهة المغرب . وهو وقت الزوال ، أى كان يؤخر القتال إلى مَيل الشمس ، ليبرُد الوقت على المقاتلة ، وَيَخِفَّ عليهم حمل السلاح التى يؤلم حملها فى شدة الهاجرة ، وقيل : بل كان يفعل ذلك لانتظار هبوب ريح النصر التى نُصر بها ، وفى حديث عند أبى داود « كان صلى الله عليه وسلم ينتظر حتى تزول الشمس ، وتهُبَّ رياح النصر » (قام فيهم) و « حتى » لبيان غاية الانتظار . أى مازال منتظراً إلى ميل الشمس . و « قام » جواب « إذا » والظرف حال من الضمير فى «قام» أى قام فيهم منبها لهم على مافيه صلاحهم * (فقال : ياأيها الناس لاتتمنوا لقاء العدو) زاد فى رواية « فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم » وحكمة النهى — كما قاله ابن بَطَّال : أن المرء لا يعرف مآل أمره . وهو نظير سؤال العافية من الفتن . وقال الصدِّيق « لأن أُعافَى فأشكر أحب إلى من أن أُبْتلَى فأصْبِرَ » وقيل : إنما نهى عنه لما فيه من صورة الإعجاب والاتكال على القوة والوثوق بها . وقلة الاهتمام بأمر العدو . وكل ذلك مباين للاحتياط والأخذ بالحزم . زاد المصنف : وهو نوع بَغْى . وقد وعد الله من بغى عليه بالنصر . وقيل : إن ذلك للخوف من إدالة العدو على المسلمين وظفره بهم . وقد جاء فى هذا الحديث « فإنهم ينصرون كما تنصرون » وفى هذا المحل بسط تام فى شرح الأذكار فراجعه * (واسألوا الله العافية) قال المصنف : كثرت الأحاديث فى الأمر بسؤال العافية . وهى من الألفاظ المتناولة لدفع جميع الآفات فى البدن فى

فاذا لَقِيتُمُوهم فاصْبِروا ، وَاعْلَمُوا أَن الْجَنَّةَ تحتَ ظِلالِ السُّيوفِ . ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم :

الظاهر والباطن فى الدين والدنيا والآخرة * (فاذا لقيتموهم) أى العدو (فاصبروا) على قتالهم ، ولا تَجبُنوا عن حربهم . فانه تعالى مع الصابرين بالمعونة . وقد وعد جنده بالظفر فقال ([٣٧ : ١٧١ ـ ١٧٣] ولقد سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإنّ جُنْدَنا لهمُ الغالبون) ففيه : الحث على الصبر . وهو من أهم المطلوب فى الجهاد (واعلموا أن الجنة تحت ظلال) بكسر الظاء المعجمة ، جمع ظل (السيوف) أى حاصلة بها . قال التُّورِبشْتى : معناه ثواب الله . والسبب الموصل إلى الجنة عند الضرب بالسيف . ومشى المجاهد فى سبيل الله ، فاحْضُروا بصدق نية واثبتوا . وقال القرطبى : هذا من الكلام النفيس البديع . الذى جمع ضروب البلاغة : من جزالة اللفظ ، وعذوبته ، وحسن استعارته ، وشمول المعانى الكثيرة مع الألفاظ المقبولة الوجيزة ، بحيث تعجز الفصحاء اللُّسُن البلغاء عن إيراد مثله . وأن يأتوا بنظيره وشكله . فانه استفيد منه مع ـ وجازته ـ الحض على الجهاد والاخبار بالثواب عليه . والحض على مقاربة العدو . واستعمال السيوف والاعتماد عليها . واجتماع المقاتلين حين الزحف بعضهم ببعض ، حتى تكون سيوفهم بعضها يقع على العدو . ويرتفع عليهم ، حتى كأن السيوف أظلت الضاربين بها . ويعنى أن الضارب بالسيف فى سبيل الله يدخل الجنة بذلك . وهذا كما قال فى الحديث الآخر « الجنة تحت أقدام الأمهات » يعنى أن من برّ أمه وقام بحقها دخل الجنة * (ثم قال) داعيا بالنصر ، وقدَّم الثناء عليه تعليما للأدب فيه ، وهو أن يقدم الداعى أمام دعائه ذكر بعض أسمائه تعالى ، وأوصافه ، مما يناسب حاجته ومطلوبه ، لأنه (صلى الله عليه وسلم) مطلوبه هنا النصرة ، وهى من آثار

اللّٰهُمَّ مُنْزِلَ الـكتابِ ، ومُجْرِيَ السَّحَابِ ، وهَازِمَ الأحْزابِ .اهْزِمْهُمْ وانْصُرْنَا عليهم »

القدرة ، والمذكور يناسبها أىّ مناسبة (اللهم) يا (منزل الـكتاب) « أل » فيه للجنس . والـكتب المنزلة إلى الدنيا بتخفيف الزاى . ويجوز تشديدها ـ : مائة وأربعة : ستون صحف شِيث ، وثلاثون صحف إبراهيم ، وعشر : صحف موسى ، قبل التوراة ، والتوراة ، والانجيـل ، والزبور ، والفرقان . و يجوز أن تكون « أل » للعهد ، والمراد به القرآن ، وفى ذكره إيمـاء إلى وعده بنحو قوله ([٢١ : ١٠٥] ولقد كتبنا فى الزَّبور من بعـد الذِّكر : أن الأرض يرثها عبادىَ الصالحون) ولذا جاء عنه صلى الله عليه وسلم « لاإله إلا الله وحـده ، صدق وعده ، ونصر عبـده » * (ومجرى السحاب) باثبات واو العطف . ووقع فى بعض نسخ الحصن حذفها . والذى فى الصحيح إثباتها (وهازم الأحزاب) الطوائف من الـكفار الذين تحزَّبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحده « حِزب » بالـكسر ، وكانت وقعة الأحزاب فى السنة الخامسة من الهجرة ، وقيل : فى الرابعة منها ، وإنما خُصت بالذكر لأن هَزْمهم فيها مع كثرة عددهم وعُدَدهم ، إنما كان بمحض القدرة الإلهية . لادخل فيـه لمباشرة الأسباب ، بخلاف باقى الحروب . فانه كان عقب مقاتلتهم ، بل وأعجب من ذلك : أن هزمهم كان بما يستراح به عادة . وهى ريح الصبا التى تستريح بها النفوس ، ويرتاح بها المأنوس . فـكان ذلك لهم دافعا ، ولـكيدهم مانعا (وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا) * (اهزمهم) أى القوم المحاربين حينئذ ، أى اغلبهم (وانصرنا عليهم) أى عجل به وإلا فرسل الله هم المنصورون . وجند الله هم الغالبون . وخص الدعاء عليهم بما ذكر ، دون الاهلاك . لأن فيه سـلامة نفوسهم . وقد يكون

متفق عليه . وبالله التوفيق

فيها رجاء لإسلامهم ، بخلاف الاهلاك . وفى الحديث : استعمال السجع فى الدعاء . قال المصنف وغيره : والسجع المذموم فى الدعاء هو المتكلف . لأنه يذهب الخشوع والخضوع . والاخلاص ، ويلهى عن الضراعة والافتقار . وفراغ القلب . أماما حصل بلا كلفة ولا إعمال فكر ، لكمال فصاحة الداعى ونحو ذلك ، أو لكونه محفوظا فلا بأس به ، بل هو حسن اه . وفى الحديث : الدعاء حال الشدائد والخروج من الحول والقوة . وذلك من أعظم الأسباب لبلوغ المآرب . ونيل المطالب وفى الحديث « لاحول ولاقوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهمُّ » والله أعلم * وفى فعله صلى الله عليه وسلم جمع بين الحقيقة والشريعة . فالشريعة أخذه العدة من السلاح وغيره ، والخروج للقتال ، وتحريض الصحابة على ذلك . والحقيقة هى دعاؤه صلى الله عليه وسلم وإظهاره للافتقار . وتعلقه بربه . وكذا كان عليه الصلاة والسلام يفعل فى جميع أموره . يبالغ فى امتثال الحكمة . ثم بعد ذلك يرجع إلى الحقيقة . فيتعلق بالله تعالى . ويرد الأمر إليه *(متفق عليه) ورواه أحمد وأبو داود . وقال العارف بالله ابن أبى جمرة : قيل : فى الحديث دليل للصوفية فى المجاهدة التى يأخذون بها أنفسهم فى كل ممكن يمكنهم : بالمال ، وبالأيدى ، وبالألسنة . لأنه إذا فعل ذلك فى الجهاد الأصغر فكيف به فى الجهاد الأكبر . وكيفيته فى الجهاد الأكبر : أن لايتصرف فى شيء من ذلك إلا باتباع أمر الله تعالى . واجتناب نهيه ، وفيه أيضا : دليل لهم فى كونهم يطلبون العافية لأنفسهم ، ولا يعرضون بأنفسهم إلى المجاهدة التى لاقدرة لهم عليها إلا أن يضطروا إلى ذلك . فيفعلونه للاضطرار . لأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن تمنى لقاء العدو فى الجهاد الأصغر ، وأمر بطلب العافية ، فكيف به فى الجهاد الأكبر . فعلى هذا فشأنُ المرء:

(باب الصدق)

* قال الله تعالى([٩ : ١١٩] يا أيُّها الذين آمنُوا اتقُّوا الله وكُونُوا مَعَ الصَّادِقينَ) .

أنْ يطلب العافيةَ فى كل الأشياء . ولا يعرِّض نفسه لشىء ، وهو لا يقدر عليه . اللهم إلا إن أتاه أمر ، وفاجأه ، فوظيفته إذ ذاك : الصبر والتثبُّت . والأدب فيما أُقيم فيه . اه والله أعلم

(باب الصدق)

قال العلامة ابن أبى شريف فى حواشى شرح العقائد : « الصدقُ » استعمله الصوفية بمعنى استواء السِّر والعلانية ، والظاهر والباطن ، بأن لا تُكَذِّبَ أحوالُ العبد أعماله ، ولا أعمالُه أحوالَه ، وجعلوا الاخلاص لازما أعم ، فقالوا : كل صادق مخلص ، وليس كل مخلص صادقا اه . وفى شرح رسالة القُشيرى للشيخ زكريا : سئل الشيخ الجنيد : أهما واحدٌ ، أم بينهما فرق ؟ فقال : بينهما فرق . الصدق أصلٌ . والاخلاص فرع ، والصدق أصل كل شىء . والاخلاص لا يكون إلا بعد الدخول فى الأعمال ، والأعمال لا تكون مقبولة إلا بهما اه .

*(قال الله عز) أى غلب على مراده (وجل) عما لا يليق بشأْنه . ويجوز فيهما من الحالية والاستئناف ماسبق فى جملة «تعالى» * (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) بترك معاصيه (وكونوا مع الصادقين) فى الإيمان والعهود . بأن تلزموا الصدق . وقال بعضهم « مع الصادقين » المقيمين على منهاج الحق . وقال بعضهم : مع من تُرتَضى حاله سرا وإعلانا . ظاهرا وباطنا ، وقال بعضهم « كونوا مع الصادقين » أى الذين لم يخالفوا الميثاق الأول . فانها أصدق كلمة . قال أبو سليمان : الصحبة على

* وقال تعالى ([٣٣ : ٣٥] والصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ)

* وقال تعالى ([٤٧ : ٢١] فَلَوْ صَدَقُوا اللّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ)

وأما الأحاديث : —

٦٣ — فالأول . عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إِنَّ الصِّدقَ يَهدِى إِلى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلى الجنةِ . و إِنَّ الرجلَ

الصدق والوفاء تنفى كل علة من المصطحبين ، إذا قاما وثبتا على منهاج الصدق . لأن الله تعالى يقول (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

* (وقال تعالى) فى تعدد محاسن الأوصاف التى قيل إنها التى ابتلى بها ابراهيم صلى الله عليه وسلم (والصادقين) فى الايمان (والصادقات) فيه . وقيل : فى القول والعمل .

* (وقال تعالى : فلو صدقوا الله) فى الايمان والطاعة (لكان) الصدق (خيراً لهم)

* (وأما الاحاديث) النبوية (ف)الحديث (الأول : عن)عبدالله (بن مسعود) ابن غافل الهذلى (رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم) حال كونه قد (قال : إن الصدق)أى تحريه فى الأقوال (يهدى) بفتح أوله أى يرشد ويوصل (إلى البر) أى العمل الصالح الخالص من كل مذموم . و« البر » اسم جامع للخير كله ، وقيل: البر : الجنة ، ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة . كذا قال المصنف . وفيه: أن تفسير البرِّ هنا بالجنة يأباه قوله : (وأن البر يهدى الى الجنة) فالتفسير الأول هنا متعين *(وإن الرجل) أل فيه للجنس . وذكره لأنه الأشرف ، وإلا فذلك

لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عند اللهِ صِدِّيقًا . وإنَّ الكَذِبَ يَهْدِى إلى الفُجُورِ ، وَإن الفُجورَ يهدِى إلى النارِ ، وإن الرجلَ لَيَكْذِبُ حتى يُكْتَبَ عند اللهِ كَذَّابًا » متفق عليه

جار فى المرأة أيضا (لَيَصْدُقُ) أى يلازمه ويتحرّاه . وفى رواية فى الصحيح «ليتحرَّى الصدق » (حتى يكتب عند الله صِدِّيقا) من أبنية المبالغة وهو من يتكرر منه الصدق : حتى يصير سَجِيَّةً له وخُلُقا (وإن الكذب يهدى) يوصل (إلى الفجور) الأعمال السيئة (وإن الفجور يهدى) يوصل (إلى النار) لأن المعاصى يقود بعضها إلى بعض ، وهى سبب الوصول إلى النار (وإن الرجل ليكذب) وفى رواية فى الصحيح «ليتحرَّى الكذب » (حتى يكتب عند الله كذابا) أى يحكم له بتحقق مبالغة الكذب منه ، وأنها الصفة المميزة له مبالغة فى كذبه فهو ضد الصدِّيق قال المصنف : رحمه الله : ومعنى « يكتب » هنا يحكم له بذلك . ويستحق الوصف بمنزلة الصدِّيقين وثوابهم ، أو بصفة الكاذبين وعقابهم ، والمراد : إظهار ذلك للمخلوقين : إما بأن يكتبه فى ذلك ليشتهر بحظه من الصفتين فى الملأ الأعلى . وإما بأن يُلْقِى ذلك فى قلوب الناس وألسنتهم ، كما يوضع له القبولُ أو البغضاء . وإلا فقَدَرُ الله سبحانه وتعالى وكتابهُ السابق قد سبَقَ بكل ذلك اهـ * قال القرطبى : حق على كل من فَهِمَ عن الله : أن يلازم الصدق فى الأقوال ، والإخلاص فى الأعمال ، والصفاء فى الأحوال ، فمن كان كذلك لَحِقَ بالأبرار ، ووصل إلى رضا الغفار . وقد أرشد تعالى إلى ذلك كله بقوله عند ذكر أحوال الثلاثة التائبين (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) والقول فى الكذب الحذر عنه على الضد من ذلك . اهـ * (متفق عليه) ورواه بنحوه من حديث ابن مسعود : أحمدُ والبخارىُّ فى الأدبِ ، والترمذى . وفى أوله عندهم « عَلَيْكُم بالصدقِ ـ

٦٤ — الثانى : عن أبى محمدٍ الحسنِ بن علىٍّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنهما

فان الصدق يهدى إلى البر . وإياكم والكذب — الحديث »

* (الثانى عن أبى محمد الحسن) كناه وسماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهما) أمه فاطمةُ الزَّهراء . رضى الله عنها . قال أبو أحمد العسكرى : سماه النبى صلى الله عليه وسلم الحسن . وكناه أبا محمد . قال : ولم يكن هذا الاسم يعرف فى الجاهلية ، ثم روى عن ابن الأعرابى عن المفَضَّل قال : إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سمى بهما النبى صلى الله عليه وسلم ابنيه ، قال قلت : فالذى باليمن ، قال ذاك حُسْن ، بإسكان السين . وحَسِين بفتح الحاء وكسر السين * ولد منتصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، على الأصح ، ومات مسموما من زوجته بارشاء يزيد بن معاوية لها على ذلك ، على ماقيل سنة أربع ، أو خمس ، أو تسع وأربعين ، أو خمسين ، أو إحدى وخمسين ، أو ثمان وخمسين ، ودفن بالبقيع ، وصلى عليه سعيد بن العاص . وقبره مشهور فيه ، ويكفيك فى فضله الحديث الصحيح « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطبُ فرقَى إليه الحسن ، فأمسكه صلى الله عليه وسلم وَالتفت إلى الناس . ثم قال : إن ابنى هذا سَيِّدٌ . ولعل الله أن يُصْلِحَ به بين فِئَتين عظيمتين من المسلمين » فكان كذلك ، فانه لما استُخْلِفَ بعد موت أبيه . وخرج لقتال معاوية وعرَف أنه لايَخْلُص الأمر لأحد حتى يقتلَ جمعٌ كثير من الجانبين ، امتثل إشارة جده صلى الله عليه وسلم ، ورغِبَ عن الخلافة . ونزل عنها لمعاوية ، وسلمها له طوعا وزهدا . وحقنا لدماء المسلمين وأموالهم ، على شروط . وَفَى له معاوية بمعظمها . ومناقبه كثيرة وفضائله جمة شهيرة . وهو من الحكماء الكرماء الأسخياء . رُوى

قال « حَفِظْتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم : دَعْ مَا يَرِيبُكَ ، إلَى مَالاَ يَرِيبُكَ . فَإِنّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ » رواه الترمذى وقال: حديث صحيح

له عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر حديثا . وروى له أصحاب السنن الأربعة * (قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : دع) أمر ندب . لأنَّ تَوَقِّي الشبهات مندوب على الأصح (ما يريبك إلى مالا يريبك . فان الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة) وعند ابن حبان « فان الخير طمأنينة وإن الشر ريبة » وهو كالتمهيد لماقبله ، والتقدير . إذا وجدت نفسك ترتاب فى الشىء فاتركه . فان نفس المؤمن جُبلت على أنها تطمئن إلى الصدق وتَنْفُر من الكذب . وإن لم تعلم أن الذى اطمأنت إليه كذلك فى نفس الأمر ، وإذا جُبلت على ذلك . فعيك أن تأخذ برغبتها ورَهْبتها . إذا جرَّبت منها الإصابة . كما هو شأن كثير من النفوس الصافية . لأن الله أطلعهم على حقائق الوجود ؛ وهم فى أمان كنهم بإلقاء مايُحب . وقال بعضهم : لما علم الله أن قلب المؤمن الكامل ذى النفس الزكية ، المطهرة من ردىء أخلاقها يميل ويطمئن إلى كل كمال . ومنه كون القول أو الفعل صدقا أو حقا ، ويَنْفُرُ من كون أحدهما كذبا أو باطلا ، جعل مَيله وطمأنينته علامة واضحة على الحِلِّ ، وانزعاجَه ونُفرته علامةً على الحرام . وأمر فى الأول بمباشرة الفعل . وفى الثانى بالاعراض عنه ما أمكن . اهـ * (رواه الترمذى) ورواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم (وقال) الترمذى (حديث حسن صحيح) ولا يضر توقف أحمد فى أبى الجَوْزاء[1] راويه عن الحسن . فقد وثَّقه النسائى وابن حِبَّان . وبه يندفع قول بعضهم : إنه مجهول لايعرف ، وقد أخرجه أحمد أيضاً عن أنس ، والطبرانى عن ابن عمر مرفوعا ، وبه يُرَدُّ قول الدار قطنى : إنما روى

(١) هو أوس بن عبد الله الربعى - بفتح الراء والباء

* قوله « يَرِيبك » هو بفتح الياء وضمها. ومعناه : اتركْ ماتَشُكّ في حلِّه ، واعْدِلْ إلى مالاَ تَشُكُّ فيه

٦٥ — الثالث : عن أبى سُفْيَانَ صَخْرِ بن حَرْبٍ رضى الله عنه —

هذا من قول ابن عمر . وروى عن الامام مالك من قوله . وروى بإسناد ضعيف عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل « دَعْ مايَرِيبك إلى مالا يريبك . فقال : وكيف لى بالعلم بذلك ؟ قال : إذا أردت أمراً فضَعْ يدك على صدرك . فانَّ القلبَ يضطرب للحرام ، ويَسْكُنُ للحلال ، وإن المسلم الورِعَ يَدَعُ الصغيرة مخافة الكبيرة » زاد الطبرانى « قيل له : فمن الورع ؟ قال : الذى يقف عند الشبهة » * (قوله) صلى الله عليه وسلم (يريبك بفتح الياء) التحتية (وضمها) والفتح أفصح . وأشهر . من « رابَ » «وأراب» بمعنى : شك ، وقيل «راب» لماتتيقن فيه الريبة و«أراب» لماتتوهم منه* (ومعناه) أى معنى قوله «دع ما يريبك الخ » : (اترك) ندبا (ماتشك فى حله، واعدل الى مالا تشك فيه) أى فى حله ؛ قيل : وهذا نظير مافى الحديث الآخر « ومن اتَّقى الشبهات فقد استَبْرَأ لدينه وعرضه » وحاصله : التنزه عن الشبه وورود صافى الحلال البين

* (الثالث عن أبى سفيان صخر) بفتح المهملة فسكون المعجمة بعدها راء مهملة (ابن حرب) بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف ، القُرشى الأموى ، المكى (رضى الله عنه) ولد قبل الفيل بعشر سنين . وأسلم ليلة الفتح . وكان من المؤلَّفة ، ثم حسُن إسلامه . وشهد حُنَيْناً . وأعطاه صلى الله عليه وسلم من غنائمها مائة بعير ، وأربعين أُوقيَّة . وأعطى لابنيه : يزيد ، ومعاوية ، فقال أبو سفيان « والله إنك الكريم ، فِداكَ أبى وأمى . ولقد حاربتك .فنعم المحارب كنت . ولقد سالمتك ،

فى حديثه الطويل ، فى قصةِ هِرَقْلَ « قال هرقلُ : بماذا يأمركم ؟ — يعنى النبىَّ صلى الله عليه وسلم — قال أبو سفيان : قلت : يقول : اعْبُدوا الله وحْدَهُ

فنعم المسالم أنت . فجزاك الله خيرا » ثم شهد الطائف . وفُقِئَت عينه يومئذ . وفُقِئَت عينه الأخرى يوم اليُرمُوك ، استعمله النبى صلى الله عليه وسلم على نَجْران فمات النبى صلى الله عليه وسلم وهو عليها . روى له حديث هِرَقْل بطوله . أخرج الشيخان الحديث بطوله عنه . المذكور بعضه هنا ، فأخرجه البخارى كذلك فى بَدْء الوحى . وفى الجهاد . وأخرجه فى الايمان والجهاد ببعضه . وفى التفسير ، والاستئذان مختصرا ، وأخرجه مسلم فى المغازى بتمامه . ورواه أبو داود مختصرا . وكذا الترمذى . وقال : حسن صحيح . ورواه النسائى بتمامه . انتهى ملخصا من الأطراف لِلمزِّى . مات بالمدينة سنة إحدى أو اثنين وثلاثين . وله ثمان وثمانون . أو ثلاث وتسعون سنة . وصلى عليه عثمان رضى الله عنه * (فى حديثه الطويل ، فى قصة هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ، وهو ملك الروم . ولقبه : قَيْصَرَ . كما يُلَقَّب ملك الفرس بـكِسْرى ، أى فى قصته لما كَتب إليه صلى الله عليه وسلم يدعوه للاسلام فأرسل إلى مَنْ بالشأم من قريش ، وكان أقربهم منه صلى الله عليه وسلم أبا سفيان ، وكان ذلك فى سنة ستٍّ من الهجرة * (قال هرقل) متعرفا أحوال النبى صلى الله عليه وسلم (بماذا يأمركم ؟) يدل على أن الرسول من شأنه أن يأمر قومه . والأصل : ماذا يأمركم به (يعنى النبى صلى الله عليه وسلم) هذا مدرج لبيان المستفهم عنه * (قال أبو سفيان : قلت : يقول : اعبدوا الله وحده) فيه أن للأمر صيغة معروفة . لأنه أتى بقول « اعبدوا الله » فى جواب « ما يأمركم » وهو من أحسن الأدلة . لأن أبا سفيان من أهل اللسان . وكذا الراوى عنهُ ابنُ عباس . بل

لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، واتْرُكوا ما يقولُ آباؤكم . ويأمرُنا بالصَّلَاةِ وَالصِّدقِ ، وَالعَفَاف

هو من أفصحهم . وقد رواه عنه مُقرًّا له * (لا تشركوا به شيئا) كذا هو فى الرياض ، بحذف الواو ' وهى رواية الْمُسْتَمْلِي. فيكون تأكيداً لقوله « وحده » وفى رواية لهما باثباتها . فيكون كالعطف التفسيرى . قال البرماوى : قوله «اعبدوا الله الخ » هو والجملتان بعده بمعنى . وقال الشيخ زكريا : متلازمان . قالا: و بالغ أبوسفيان فى ذلك . لأنه أشد الأشياء عليه . والابعاد منها أهمّ ، أو أنه فهم أن هرقل من الذين يقولون من النصارى بالاشراك . فأراد تنفيره من دين التوحيد * (واتركوا ما يقول آباؤكم) أى مقولهم ، أو ما يقوله آباؤكم . وهى كلمة جامعة لترك ما كانوا عليه فى الجاهلية . و إنما ذكر الآباء تنبيها على عذرهم فى مخالفتهم له · لأن الآباء قدوة عند الفريقين ، أى عَبَدة الأوثان والنصارى * (و يأمرنا بالصلاة) أى باقامتها (والصدق) وفى رواية للبخارى «الصدقة» بدل «الصدق» ورجحها السِّراج البُلْقينى قال الحافظ ابن حجر : ويقويها رواية المؤلف ـ يعنى البخارى ـ فى التفسير « الزكاة » قلت : وكذا هو عند مسلم . قال : واقتران الصلاة بالزكاة معتاد فى الشرع ، ويرجحها أيضا : أنهم كانوا يستقبحون الكذب · فذِكْرُ مالم يألفوه أولى . قلت : وفى الجملة ليس الأمر بذلك ممتنعا ، كما فى أمرهم بوفاء العهد ، وأداء الأمانة · وقد كانا من مألوفاتهم ، وقد ثبتا عند المؤلف فى الجهاد من رواية أبى ذَرٍّ عن شيخه الكُشْمِيْهَنى ، والسَّرخسى . قال « بالصلاة والصدق والصدقة » وفى قوله « ويأمرنا » بعد قوله « يقول اعبدوا الله » إشارة إلى المغايرة بين الأمرين لما يترتب على مخالفتهما . إذ مخالف الأول كافر : والثانى عاص اهـ * (والعفاف) الكف عن المحارم وخوارم المروءة . قال فى المحكم : العفة : الكف عما لا يحل

والصلةِ » متفق عليه

٦٦—الرابع عن أبى ثابتٍ ، وَقيل: أبى سَعيدٍ، وَقيل: أَبى الوليد ، سَهْلِ بن حُنَيْفٍ — وَهو بَدْرِىٌّ . رضى الله عنه — أَنَّ النبىَّ صلى الله عليه وَسلم قال « مَنْ سأَلَ اللهَ تعالى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بلَّغَهُ اللهُ منازِلَ الشُّهداء

ولا يجمُل (والصلة) أى صلة الأرحام ، وكل ما أمر الله به أن يوصل . وذلك بالبر والاكرام . وحسن المراعاة (متفق عليه)

* (الرابع عن أبى ثابت) بالمثلثة ، وبعد الألف موحدة . فمثناة (وقيل) يُكْنَى بـ(أبى سعيد) وقيل : بأبى سعد (وقيل) بـ (أبى الوليد) بفتح الواو وكسر اللام . وقيل : أبى عبد الله (سهل) بفتح أوله المهمل وسكون ثانيه (ابن حنيف) بضم المهمله ففتح النون فسكون التحتية . آخره فاء (وهو بدرى) مدنى (رضى الله عنه) شهد بَدْراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثبت يوم أُحُدٍ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انهزم الناسُ . وكان بايعه فى يومئذٍ على الموت ، ثم صحب سهلٌ علياً . فاستخلفَه على المدينة ، حين سار إلى البصرة . وشهد معه صِفِّين ، وولاّه بلاد فارس . فأخرجه أهلها ، فاستعمل عليهم زِيادَ بن أبيه . فصالحوه وأدُّواله الخراج ، مات سهل بالكوفة سنة ثمان وثلاثين . وصلى عليه علىٌّ ، وكبر عليه ستا . وقال : إنه بَدْرى . رُوى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعون حديثا . اتفق الشيخان منها على أربعة . وانفرد مسلم باثنين . وخرّج له أصحاب السنن الأربع * (قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سأل الله تعالى الشهادة) أى إنالته إياها (بصدق) أى حال كونه صادقا فى سؤالها (بلغه الله) بنيته الصادقة (منازل الشهداء) العليا و إن مات

وَإِن ماتَ عَلَى فِراشه » رواه مسلم

٦٧ — الخامس : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى عَلَيه وسلم « غَزَا نَبِىٌّ من الأنبياء ـ صلواتُ الله وَسلامه عليهم ـ فقال لقومهِ : لا يَتْبَعنِى رجلٌ مَلَكَ بُضْعَ امرأةٍ ، وهو يُرِيدُ أَنْ يَبْنِي بهَا ، ولَمَّا يَبْن بها ، ولا أحدٌ بَنَى بُيُوتاً لم يرْفَعْ سُقوفهَا ، ولا أَحدٌ اشتَرَى غَنَماً ، أو خَلِفاتٍ

على فراشه) ففى الحديث : أن صدق القلب سبب لبلوغ الأرب، وأن من نوى شيئا من عمل البر أثيب عليه ، و إن لم يتفق له عمله، كما تقدم فى حديث « إن بالمدينة لرجالا ماسرتم مسيراً ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم . حبسهم العذر »

* قال المصنف : فى الحديث استحباب طلب الشهادة . واستحباب نية الخير

* (رواه مسلم) قال الحافظ ابن حجر فى أمالى الأذكار : وأخرجه أبو عوانة ، وأبو داود ، والنسائى وابن ماجه . وفى الجامع الصغير : أخرجه مسلم والأربعة . ومثله فى التيسير للدَّيبع . فقال : أخرجه الخمسة

*(الخامس : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غزا نبى من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) قال السيوطى فى التوشيح : هو يُوشَع بن نون (فقال لقومه : لا يتبعنى) فى الخروج للحرب (رجل ملك بضع امرأة) بضم الباء وسكون المعجمة . يطلق على الفرج ، والنكاح والجماع (وهو يريد أن يبنى بها . ولما) بتشديد الميم (يبن) أى يدخل (بها) وكان عادة العرب : إذا دخل الزوج على المرأة بنى عليها قُبَّة من شَعَر ونحوه . فأطلق البناء ، وأريد به الدخول . من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم * (ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها) أى لم يتم عملها * (ولا أحد اشترى غنما) أى حوامل بدليل مابعده (أو خلفات

وهو يَنْتَظِر وِلَادَهَا ، فغَزا . فدَنا من القَرْيَةِ صلاةَ العصر ، أو قريباً من ذلك ، فقال للشمسِ : إِنَّكِ مأمُورَةٌ وأنا مأمورٌ . اللهمَّ احْبِسْها علينا . فحُبِسَتْ

وهو ينتظر ولادها) ويحتمل أن هذا خاص بالابل . وأن شراء الغنم عذر فى التخلف لاشتغال قلب صاحبها بها . وإن لم تكن حوامل ، لضعفها وحاجتها إلى القائم بأمرها ولا كذلك الابل . قال القرطبي : نهى النبي قومه عن اتباعه على أحد هذه الأحوال . لأن أصحابها يكونون متعلقى النفوس بهذه الأسباب . فتضعف عزائمهم وتفتر رغباتهم فى الجهاد والشهادة ، وربما يفرط ذلك التعلق ، فيُفْضى إلى كراهة الجهاد وأعمال الخير . ومقصود هذا النبي صلى الله عليه وسلم : تفرغهم من العوائق والاشتغال إلى تمنى الشهادة بنية صادقة ، وعزم حازم ، ليحصلوا على الحظ الأوفر والأجر الأكبر اه * (فغزا . فدنا من القرية)وقع فى جميع نسخ مسلم « أدنى » رباعيا. قال المصنف : وهو إما أن يكون تعدية ا « دنا » أى « قرب » فمعناه : أدنى جيوشه وجموعه للقرية ، وإما أن يكون « أدنى » بمعنى حان أو قرب فتحها . من قولهم : أَدْنَتِ الناقة ، إذا حان نتاجها . ولم يقولوه فى غير الناقة اه * قال القرطبى : والذى يظهر لى : أن هذا من باب « أنجد ، وأغار » فيكون معنى « أدنى » دخل فى الموضع الدانى منها اه . ومنه يعلم أن اللفظ المذكور : للبخارى . والقرية هى « أرِيحاء » * (صلاة العصر أو قريبا من ذلك . فقال للشمس : إنك) وعند مسلم « أنت » (مأمورة) أى مسخرة بأمر الله عز وجل (وأنا مأمور) أى مسخر كذلك وكذا جميع الكائنات ، غير أن أمر الجمادات أمر تسخير وتكوين . وأمر العقلاء أمر تكليف (اللهم احبسها علينا ، فحبست) معجزة له . وقد حبست لنبينا صلى الله عليه وسلم فى قصة الإسراء ، وفى حَفْرِ الْخَنْدَق . قال القاضى عياض : وقد اختُلِف هل

حتَّى فتحَ اللهُ عليه ، فجمع الغنائِمَ ، فجاءتْ — يعنى النَّارَ لتأكُلَها — . فلم تَطْعَمْها ، فقال : إنَّ فيكم غُلولاً . فليُبايِعْني مِنْ كُلِّ قبيلةٍ رجلٌ . فَلَزِقَتْ يَدُ رجلٍ بيده ، فقال : فِيكُمْ الغُلولُ ، فَلْتُبَايِعْنِي قبيلتُكَ . فلزِقَتْ يدُ رَجُلَين ، أو ثلاثةٍ بيده . فقال : فيكم الغلولُ . فجاءوا برأسٍ مثلِ رأسِ بقَرَةٍ من الذَّهبِ ، فوضَعَها ، فجاءت النارُ

رُدَّت على أدراجها ، أووقفت ، أو بطئت حركتها ؟ وعلى كل : فهو من معجزات النبوة (حتى فتح الله عليه) البلاد . وفى نسخة « فتح عليه » بالبناء للمفعول * (فجمع الغنائم . فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها) وعند مسلم « فجمعوا ماغنموا . فأقبلت النار لتأكله . فلم تطعمه » وهذه كانت عادة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم فى الغنائم : أن يجمعوها ، فتجيء نار من السماء فتأكلها . فيكون ذلك علامة قبولها ، وعدم الغلول فيها . فلما جاءت هذه النار فلم تأكلها علم أن فيها غلولا ، قال الكرمانى : وعبر بـ« لم تطعمها » دون « لم تأكلها » للمبالغة . إذ معناه . لم تذق طعمها . كما فى قوله تعالى (٢ : ٢٤٩ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فانه منى) * (فقال : إن فيكم غلولا) بضم أوليه المعجمة فاللام : الخيانة فى المغنم (فليبايعنى من كل قبيلة رجل) لعسر مبايعة كل واحد واحد ، لكمال كثرتهم ، فانهم كانوا نحو سبعين ألفا ، كما ذكره بعضهم *(فلزقت يد رجل) منهم (بيده) إعلاما بأنه ممن غَلَّ قومُه فلذا قال (فقال فيكم) القبيلة التى منها ذلك الرجل (الغلول . فلتبايعنى قبيلتك) أى كل فرد منهم (فلزقت يد رجلين أوثلاثة) وكان علامة الغلول عندهم : التصاق يد الغالِّ (بيده ، فقال) النبي (فيكم) أى عندكم (الغلول ، فجاء) أى الغال المذكور (برأس مثل رأس بقرة من الذهب) بيان لـ « رأس » (فوضعها) فى جملة الغنيمة * (فجاءت النار)

فأَكلتها ، فلم تَحِلَّ الغنائم لأحدٍ قبلَنَا ، ثم أَحَلَّ اللهُ لنا الغنائِمَ ، لَمَّا رأى ضَعفَنا وَعجزَنَا . فأَحلَّها لنا » متفق عليه

* « الخَلِفات » بفتح الخاء المعجمة وكسْر اللام : جمع خَلِفة ، وهى النَّاقةُ الحامِلُ .

٦٨ — السادس : عن أَبى خالدٍ حَكِيم بن حِزامٍ رضى الله عنه —

المؤذن أكلها بالقبول * (فأكلتها . فلم تحل الغنائم) بفتح الفوقية وكسر الحاء المهملة على البناء للفاعل . ويجوز ضم المثناة وفتح المهملة للبناء للمفعول (لأحدٍ قبلنا) من سائر الأنبياء والامم السابقين (ثم أحل الله لنا الغنائم) أى للنبى صلى الله عليه وسلم . كما فى الحديث الآخر « وأحلت لى الغنائم ، ولم تَحِلَّ لأحدٍ قبلى » ولأمته . ولم تحل لأحد غيرهم أصلا (لما رأى) علم (ضعفنا) فى الأبدان (وعجزنا) عن قوى الأعمال (فأحلها) أى الغنائم (لنا) أورده الديبَع فى التيسير بلفظ « ثم أحلَّ الله لنا الغنائم ، لَمَّا رأى عجزنا وضعفنا . فأحلها لنا » وقال : أخرجاه * وقوله « فأحلها » يحتمل أن يكون جواب « لما » دخلت فيه الفاء . كما أجازه بعض النحاة . ويحتمل أن جوابها محذوف ، لدلالة ما قبلها عليه . وما بعد الفاء معطوف * (متفق عليه « الخلفات ») بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام أيضا . ويجمع على « خَلَف » كذلك بحذف الهاء . كما فى مختصر القاموس . وعلى « خلائف » كما فى مختصر النهاية (وهى الناقة الحامل) كذا فى النهاية وغيرها ، وقال القرطبي : هى الناقة التى دنا ولادها

* و (السادس عن أبى خالد حكيم) بفتح المهملة وكسر الكاف (ابن حزام) بكسر المهملة بعدها الزاى ، وهذا الضبط فى كل ماجاء على هذه الصورة من أسماء قريش وما جاء منه فى أسماء الأنصار فهو بالمهملتين المفتوحتين ، ابن خُويلد بن أسد بن عبد العزَّى بن قُصَيٍّ القرشى الأسَدى (رضى الله عنه) ولد فى الكعبة .

سْلَمَ عامَ الْفَتْحِ وأبوهُ مِنْ سادة قريش ، جاهِلِيَّة وإسلاماً — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البَيِّعَانِ بالخيَارِ ، مالَمْ يَتَفَرَّقا . فان صَدَقَا

ولم يتفق ذلك لغيره . وهو من مسلمة الفتح . وكان من أشراف قريش ووجوهها فى الجاهلية والاسلام ، وكان من المؤلفة ، أعطاه صلى الله عليه وسلم يوم حُنَين مائة بعير . حَسُنَ إسلامه . ولم يصنع شيئا من المعروف فى الجاهلية إلا صنع مثله فى الاسلام ، وكانت بيده دارُ النَّدوة . فباعها من معاوية بمائة ألف درهم . فقال له ابنُ الزبير : « بعتَ مَكْرُمة قريش » . فقال حكيم « ذهبت المكارم إلا التقوى » وتصدَّق بثمنها ، وحجَّ فى الاسلام ومعه مائة بَدَنَة قد جَلَّلها بالحِبَرَة . أهداها ، ووقف فيها بمائة وَصيف بعرفة فى أعناقهم أطواق الفضة . منقوش فيها : « عتقاء الله عن حكيم بن حزام » ، وأهدى ألف شاة . وكان جوادا ، وكُفَّ قبل موته ، وعاش مائة وعشرين سنة . نصفها فى الجاهلية ونصفها فى الاسلام ، ونَظَّر فيه ابن الأثير فى أُسْد الغابة . وتُوفِّى سنة أربع وخمسين . أيام معاوية . وقيل : سنة ثمان وخمسين . روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعون حديثا . أخرج منها الشيخان أربعة أحاديث . اتفقا عليها . وسيأتى إن شاء الله فى باب القناعة والاقتصاد مزيد فى ترجمته * (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : البيعان) بتشديد التحتية (بالخيار) بكسر الخاء المعجمة ، اسم من الاختيار ، والتخيير . وهو طلب خير الأمرين : من الفسخ ، والاجازة (مالم يتفرقا) قال الفضل بن سَلَمَة : افترقا بالكلام ، وتفرقا بالأبدان (فان صدقا) فيما يخبران به : البائع فى المبيع ، والمشترى فى الثمن ، قَدراً وصفة ، وأنَّ الثمن انتهت الرغبات فيه إلى كذا ، ويخبر بما يترتب عليه تفاوت الرغبات ، من

وَبَيَّنَا بُورِكَ لهما فى بَيْعِهِمَا ، وإن كَتَمَا وكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا » .
متفق عليه

عَيبٍ ونحوه * (وبيَّنا) البائع مافى المبيع والمشترى مافى الثمن : من غش ، وشبهة قوية قامت قرائن أحوال أحدها : أنه إذا اطَّلع على مثلها لا يأخذه * (بورك لهما فى بيعهما) وشرائهما ، بتسهيل الأسباب المقتضية لزيادة الربح ، من كثرة الراغبين ، وحسن المعاملين ، ومنع الخيانة فى المبتاع ، والحسد والعداوة المقتضية للخسران * (وإن كتما) مافى السلعة من العيوب ونحوها (وكذبا) فيما يمدحانها به (مُحقت) ذهبت وتلفت (بركة بيعهما) فلم يحصلا منه إلا على مجرد التعب (متفق عليه) وكذا أخرجه أصحاب السنن الأربع ، غير ابن ماجه

* وفى رواية « فان صدق البيعان وبَيَّنا بورك لهما فى بيعها ، وإن كذبا وكتما ، فعسى أن يربحا ربحا ما ، ويمحقا بركة بيعهما . اليمين الفاجرة مَنْفَقَةَ للسِّلعة مَمْحَقَةَ للربح » أخرجه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى . كذا فى التيسير ، مع تصرف يسير

* « فائدة » كما أن التاجر إذا صدق فى سلعته ولم يَغُشَّ بورك له فى معاملته . كذلك العبد إذا صدق فى معاملته مع رَبِّه ولم يُغشَّ فى أداء حق عبوديته برِياَء أو سُمعة أو نظر لعمله . بورك له فى تلك المعاملة ، وَأُعْطِىَ أمله ([٩ : ١١١] إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة) ولكون صدق المعاملة مبنيا على كمال المراقبة تارة ، ومحصلا له أخرى . كما تقدم ، وأن البِرَّ يهدى إلى الجنة ، عَقَّبَ باب الصدق به . فقال :

(باب المراقبة)

قال الله تعالى : ([٢٦ : ٢١٨ ، ٢١٩] الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فى السَّاجِدِين)

* وقال تعالى ([٧٥ : ٤] وهو مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتم)

(باب المراقبة)

هو أحد مَقامي الاحسان ، المشار إليه فى حديث جبريل الآتى بقوله « فان لم تكن تراه فانه يراك »

* وفى الحديث عن عُبادة بن الصَّامت قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم « أفضل إيمان المرء أنْ يعلمَ أنَّ الله معه حيث كان » وما أحسن ماقيل :

كان رقيباً منك يَرْعَى خَواطرى   وآخرَ يرعَى ناظرى وجَنانى

وقال ابن عطاء فى الحكم « إلهى ، عَمِيتْ عينٌ لاتراك عليها رقيباً »

* (قال الله تعالى) مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم (الذى يراك حين تقوم) إلى الصلاة (وتقلبك) فى أركان الصلاة قائما وقاعدا ، وراكعا وساجدا (فى الساجدين) أى المصلين . وقال الواسطى : فى أصلاب الأنبياء والمرسلين . وقيل : تقلب سرك فى القربة ؛ فان السجود محل القربة والاقتراب . وقيل : فى الآية إشارة إلى أن من لزم الاقبال عليه بنحو الصلاة سارعت إليه العناية به ، ومن خصوصياته صلي الله عليه وسلم : أنه كان يرى من خلفه . والآية محتملة لافادة هذه الخصوصية

* (وقال تعالى : وهو معكم) بعلمه (أينما كنتم) لايحجبه مكان . ولا يخفى عليه شأن قال تعالى ([٦٧ : ١٣ ، ١٤] وأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أواجهروا به إنه

* وقال تعالى ([٣ : ٥] إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عليه شيء في الأرْضِ وَلاَ فِي السَّماءِ)

* وقال تعالى ([٨٩ : ١٤] إِن رَبَّكَ لبالمِرْصادِ)

* وقال تعالى ([٤٠ : ١٩ يعلمُ خَائِنةَ الاعْيُنِ وما تُخْفِى الصُّدُورُ)

والأيات في الباب كثيرة معلومة

* وأما الأحاديث : —

عليم بذات الصدور . ألا يَعْلمُ مَن خَلَقَ وهو اللطيف الخبير)

* (وقال تعالى : إن الله لايخفى عليه شيء) كائن (في الأرض ولا في السماء) لعلمه بما يقع في العالم من كلى وجزئى . وَخَصَّهما بالذكر . لأن الحس لا يتجاوزهما ، وقيل فيه : لا يخفى عليه شيء ، فطالعوا هومكم أن تكون خالية عن الأهواء والشبه . وطالعو أسراركم لا يكون فيها شيء غير الحق والتعلق به . فانه لا يخفى عليه شيء وقال جعفر في قوله تعالى (إن الله لا يخفى عليه شيء) لايطلعنَّ عليك فيرى في قلبك سواه فيمقتك

* (وقال تعالى : إن ربك لبالمرصاد) يرصد أعمال العباد ، لا يفوته منها شيء

* (وقال تعالى : يعلم) أى الله (خائنة الأعين) بمسارقتها النظر إلى محرم (وما تُخفي الصدور) أى القلوب . قيل : فيه إشارة إلى التذكير بصغائر الذنوب فكيف بالكبائر ؟ وأنه تعالى يعلم البواطن ، أى ومن علم ذلك علم الظواهر بالقياس العادى

* (والآيات في الباب كثيرة معلومة) كقوله تعالى ([١٠ : ٦١] وما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مثقال ذَرَّةٍ في الأرضِ ولا في السماء ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ إلا في كتاب مبين)

* (وأما الأحاديث) جمع أحدوثة ، بمعنى الحديث . ويجوز أن يكون جمع حديث

٦٩ —فالاولُ : عن عُمرَ بنِ الخطَّابِ رضى الله عنه قال « بَيْنَمَا نَحْنُ جُلوسٌ عندَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يومٍ ، إذْ طَلَعَ علينا رجلٌ شَديدُ بَياضِ الثِّيابِ شَدِيدُ سوادِ الشَّعَرِ ، لا يُرى عليه أثَرُ السَّفَرِ ، ولا يَعرِفه منَّا أَحدٌ

على غير قياس . كما تقدم . أى الاحاديث النبوية

* (فالأول) منها : عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم) «بينما» كـ« بيناً » ظرفا زمان ، فيهما معنى المفاجأة ومعنى الشرط . ولذا استدعيا جواباً ، وأصلهما «بين» التى هى ظرف بمعنى : وسط ، دخلت عليها «ما» الكافة عن الجر . وأشبعت أخرى فتحة النون فصارت ألفا . والعامل فيها هنا معنى المفاجأة فى قوله (إذ طلع علينا رجل) والمعنى وقت حضورنا فى إشرف مجلس فاجأنا طلوع ذلك الرجل * وقال ابن جنى: عامل «بيننا» محذوف . و«طلع» عامل فى «إذا» بناء على عدم إضافتها إليه ، وقال الشلوبين : عامل « بينا » محـذوف ، و « إذا» بدل منه . والجملة فى محل جر باضافة « إذ » إليها ، وقيل «إذ» مبتدأ خـبره « ذات يوم » أى طلوع ذلك الرجل وقع بين تلك الأحوال ،و « ذات يوم » ظرف . و يجوز أن يكون «ذات» صلة . أى نحن عنده يوما . والإتيان بها للتوكيد ، ودفع توهم أنه تَجوَّز باليوم عن مطلق الزمان . وقوله «إذ طلع» هو مستعار من طلعت الشمس . لا يذكر إلا فيما له شأن ، كما حققه فى الـكشَّاف فى قوله تعالى ([١٩ : ٧٩] أَطَّلَعَ الْغَيْبَ) * (شديدُ بياض الثوب . شديد سواد الشعَر . لايرى) بضم التحتية بالبناء للمجهول ، و بفتح النون للمتكلم ومعه غير مبنى للفاعل (عليه أثر السفر . ولا يعرفه منا أحد) معناه : التعجب المتضمن لدعوى كونه مَلَكا . إذ لو كان غريبا لَـكان عليه أثرُ

حتى جَلس إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فأسْنَدَ رُكبَتَيْهِ إلى رُكبَتيه ، وَوَضَعَ كَفَّيْه عَلَى فَخِذَيْه

السفر وشَعَثُه . ولو كان مَدَنيًّا لعرفوه ، واستُدِلَّ به على نَدْب حسن الهيئة . قال بعض المحققين : طلوعه كذلك يقوى معنى قولهم « حسنُ الأدب فى الظاهر عنوان حسن الأدب فى الباطن » ولذا استحب التزيُّن فى الجمعة والعيد . و « شديد » صفة لـ « رجل » ، و « أل » فى المضاف إليه أغنت عن الضمير العائد منه إليه . والأصل : شديد بياض ثيابه . شديد سواد شعره ، واختار قوله « ولا يعرفه منا أحد » على قوله : « لا نعرفه » . لأنه آكد فى تنكيره * (حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم) قيل : يتعلق بمحذوف . تقديره : استأذن وأتى ، حتى جلس . قال العاقولى فى شرح المصابيح : وفيه نظر . لأن الكلام مستقيم من دون هذا التقدير . لأن معنى « طلع علينا » أتانا . والاستئذان لاحاجة للملك إليه ، بل معنى المفاجأة يدل على عدمه اهـ . وفيه : أن الاستئذان للدنو . وقد جاء التصريح به عند النسائى ، من حديث أبى هريرة وأبى ذَرٍّ . فذكر القصة إلى أن قال : « السلام عليكم يامحمد . فرد عليه السلام . فقال : أدنو يامحمد ؟ قال : ادْنُهْ . فمازال يقول : أدنو مراراً . ويقول : ادْنُهْ . حتى وضع يديه على ركبتى النبى صلى الله عليه وسلم » واستئذانه ليُعَمِّيَ أمره على القوم * (فأسند ركبتيه) أى جبريل (إلى ركبتيه) أى إلى ركبتى النبى صلى الله عليه وسلم ، زيادة فى التقريب الباعث على التنبيه على أنه إنما جاء لأمر كلى * (ووضع كفيه على فخذيه) أى فخذى نفسه كما هو الأدب . وهى جلسة المتعلم بين يدى المعلم . قال العاقولى : فلا معنى لقول من قال : إنه وضع يديه على فخذى النبى صلى الله عليه وسلم . وإن كان شأن تقريبه يقتضى ذلك . وفيه : أن ذلك القول جاء التصريح به عند النسائى . فله وجه وجيه .

وقال : يامحمدُ ، أَخبِرْنى عن الإِسْلامِ ،

ومن ثَمَّ قال السيد معين الدين الصَّفَوِى : إنه أقوى دليلا . قال : بل هو الوجه . لأنه حينئذ يكون على نسق قوله « ركبتيه إلى ركبتيه » لأن اتكاء الركبة والجلوس إليه ليس من شأن الأدب المطلوب من المتعلم . فأشعرت تلك الهيئة بأنها ليست هيئة تلميذ . بل هيئة معلّم مهتم بشأن التعليم . ووضع الكف على الفخذين طريق المتعلمين . و بينهما بَون ، و إن أمكن أن يقال : هذا وجه آخر ، لتعجب الحاضرين . كما فى السؤال والتصديق ، وقال جدى : رجوع الضمير فى هذه الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى . لتتفق مع رواية النسائى اه . * (وقال : يامحمد) ناداه باسمه ، مع قوله تعالى ([٢٤ : ٦٣] لا تجعلوا دُعاء الرسولِ بينكم كدعاء بَعْضِكم بعضا) زيادة فى التغريب عند افتتاح الخطاب بالمسألة ، على أن الملائكة ليسوا داخلين فى مثل ذلك الخطاب * (أخبرنى عن الاسلام) هو والإيمان — لاعتبار التلازم بين مفهوميهما شرعا . فلا يعتبر فى الخارج إيمان شرعا بلا إسلام ولا عكسه — متحدان ماصدقاً فى الشرع ، مختلفان مفهوما ، فكل مؤمن شرعا مسلم كذلك ، وكل مسلم مؤمن ، فما دل عليه حديث جبريل من اختلافهما هو باعتبار المفهوم . إذ مفهوم الاسلام الشرعى : الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية ، والايمان فى الشرع : التصديق بالقواعد الشرعية ، على أنه قد يَتوسع الشرع فيهما ، فيستعمل كل واحد منهما فى مكان الآخر ، كاطلاق الايمان على الأعمال الظاهرة فى حديث « الايمان بِضْعٌ وسبعون بابا أدناها إماطَة الأذى عن الطريق . وأرفعها قول لا إله إلا الله » على أحد الوجوه فى ذلك . وسيأتى مافيه فى باب الدلالة على كثرة طرق الخير ، وإطلاق الاسلام على التصديق القلبى . فى قوله تعالى ([٣ : ١٩] ان الدين عندَ الله الاسلامُ)

فقال . رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الاسلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إِلٰه إلاَّ الله ، وأن محمداً رسول الله ، وَتقيمَ

قال القرطبى : وهذا الاطلاق من باب التجوز والتوسع . و إذا حقق ذلك زاح كثيرمن الاشكال الناشىء من هذا الاستعمال * (فقال رسول الله صلى الله عليه أنْ تشهد أن لا إلٰه إلا الله) خبر لمبتدأ محذوف . أى الاسلام أن تشهد ، حذف لقرينة وجوده فى السؤال . والمراد : أن يقول ذلك بلسانه المتمكن من النطق . فهو معتبر فى الاسلام . فمن صدّق بمضمونها ، ولم يأت بها مع عدم مانع من النطق فليس بمسلم ولا مؤمن ، وحكى المصنف الاجماع عليه فى شرح مسلم . لكن حكى غيره قولا : أنه مؤمن عاص بترك النطق بها ، ولا يعتبر النطق بها بالعربية على الصحيح ، مع التصديق القلبى بمضمونها ، فقوله « تشهد » أى تُقِرُّ وتبين ، و « أن » مخففة من الثقيلة ، لتقدم مايدل على العلم عليها . و بدليل عطفها عليها فى (وأن محمدا رسول الله) و «لا» ، فى« لا إلٰه إلا الله» هى النافية للجنس نصا . ومحلها مع اسمها رفع بالابتداء . واسم «الله» تعالى خبر لها ، وعن الزمخشرى : الاسم الكريم مبتدأ والنكرة خبر، على القاعدة . ثم قدم الخبر، ثم أدخل النفى عليه والايجاب على المبتدأ . وركب « لا » مع الخبر . وقد بسطت الكلام على إعراب هذه الكلمة فى باب فضل الذكر من شرح الأذكار . وحكم الاسلام فى الظاهر يثبت بالشهادتين . قال ابن الصلاح : و إنما أضيف إليهما الصلاة ونحوها لكونها أظهر شعائر الاسلام وأعظمها . و بقيامه بها يتم استسلامه وانقياده ، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده ، فالمقصود من ذكر الأركان الخمسة فى الحديث : بيان كمال الاسلام وتمامه . فلذلك ذكر هذه الأمور مع الشهادتين ، أما أصل الاسلام فالشهادتان كافيتان فيه . *(وتقيم) بالنصب عطف على «تشهد» خلافا

الصلاةَ ، وتُؤْتِىَ الزَّكاةَ ، وتَصُومَ رمضان ، وتَحُجَّ البيتَ إنِ اسْتَطَعْتَ إليه سبيلاً

لمن زعم رفعه وما بعده استئنافا ، إيماء إلى أن الاسلام يكفى فى حصوله الشهادتان وحدهما ، وتقدم أن المذكور فى الحديث الاسلام الكامل (الصلاة) أى تعدل أركانها ، أو تديم إقامتها . «والصلاة» لغة : الدعاء بخير . وشرعا : أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم ، بشرائط مخصوصة غالبا ، وأصلها « فَعَلَة » بفتحات . ولامها واو ، واختار بعض المحققين : أنها مأخوذة من الصلى ، عِرْق متصل بالظهر ، يفترق من عند عَجْب الذَّنَب ، ويمتد منه عرقان فى كل وَرِك عِرقٌ ، يقال لهما « الصَّلَوَان » فإذا ركع المصلى انحنى صَلاه ، وتحرك . ومنه سمى ثانى خيل السباق : مُصَلِّياً . لأنه يأتى مع صَلَوِىِ السابق . وعلم مما مرَّ : أنها بمعنى الدعاء حقيقة لغوية ، مجاز عرفى ، علاقته تشبيه الداعى فى تخشعه ورغبته بالمصلى * (وتؤتى الزكاة) الواجبة من الأنواع الواجبة هى فيها المقررة فى كتب الفقه . و « الزكاة » لغة : النماء . والتطهير . وشرعا : اسم للمخرج من ذلك * (وتصوم) من الصوم . وهو لغة : الامساك . وشرعا : إمساك مخصوص (رمضان) صريح فى عدم كراهة ذلك مطلقا . وهو الأصح . وسمى شهر الصوم بذلك لأنه يَرْمِض الذنوب ، أى يحرقها . كما جاء ذلك فى خبر مرفوع (وتحج البيت) أى تقصده بنسك حج أو عمرة . إذ الأصح وجوبها على أنه جاء عند ابن حِبَّان زيادة : « وتعتمر وتغتسل من الجنابة وأن تتم الوضوء » . وقال : وتفرد بهذه الزيادة سليمان التيمى . والحج : لغة : القصد . وشرعا : قصد الكعبة للنسك ، و«البيت». عَلَم بالغلبة على الكعبة . كالنجم للثريا * (إن استطعت إليه سبيلا) صح عند الحاكم وغيره أنه صلى الله عليه وسلم « فسر السبيل فى الآية بالزاد

قال : صَدَقْتَ ، فعجِبْنا له ، يَسأَلُهُ ويُصَدِّقهُ . قال : أَخْبِرْنِي عن الإِيمَانِ

والراحلة » لـكن ضعفه آخرون . و « سبيلا » منصوب على التميز . وإنما قيد الحج بالاستطاعة مع أن ما مر مقيد بها أيضا . اتباعا للنظم القرآنى . فإنه لم يقيد بهذا اللفظ غيره . أو إشارة إلى أن فيه من المشاق ما ليس فى غيره . وأيضا فعدم الاستطاعة فى الحج يسقط وجوبه من أصله ، بخلافه فى نحو الصلاة فإنما يسقط وجوب الأداء فقط ، دون أصل الوجوب * (قال) جبريل (صدقت) قال عمر (فعجبنا له) أى منه أو لأجله (يسأله ويصدقه) إذ السؤال يدل على عدم علم السائل ، والتصديق يدلُّ على علمه ، وجملة « يسأله » فى محل الحال

* « تنبيه » ـ الاسلام له فى الشرع إطلاقان : يطلق على الأعمال الظاهرة . كما فى هذا الحديث . وعلى الاستسلام والانقياد ، والتلازم بينه وبين الايمان باعتبار الماصدق شرعا . إنما هو باعتبار المعنى الثانى ، وأما باعتبار المعنى الأول فالايمان ينفك عنه . إذ قد يوجد التصديق والاستسلام الباطنى بدون الأعمال المشروعة ، أما الاسلام بمعنى الأعمال المشروعة فلا يمكن أن ينفك عنه الايمان . لاشتراطه لصحتها ، وهى تشترط لصحته ، خلافا للمعتزلة

* (قال) جبريل (فأخبرنى عن الايمان) هو لغة مطلق التصديق من « آمن » بوزن : أفعل ، لا فاعَل ، والإلجاء مصدره فعالا ، وهمزته للتعدية . كأن المصدق جعل الغير آمنا من تكذيبه ، أو للصيرورة ، كأنه صار ذا أمن من أن يكذبه غيره . ويضمن معنى « أعترف . وأقر » . فيعدى بالباء كما فى الحديث . و « أذعن » . فيعدى باللام . ([٢٩ : ٢٦] فآمن له لُوط) وشرعا : التصديق بالقلب فقط . أى قبوله وإذعانه . لما علم بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وتعريفه بما ذكر : هو قول جمهور الاشاعرة . وعليه الماتريدية ، وقيل : يشترط أن ينضم

قال : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ

لذلك إقرار اللسان وعمل سائر الجوارح . فيكفر من أَخَلَّ بواحدة من هـذه الثلاثة . وهو مذهب الخوارج . فلا صغيرة عندهم . وقيل : يعتبر ضمها إليه على وجه التـكميل ، لا الركنية . وهو مذهب المحدِّثين . وقيل : تصديق باَلجنان ، و إقرار باللسان . واشتهر عن أصحاب أبى حنيفة . وبعض محقق الأشاعرة . لأن التصـديق لما اعتبر بكل منهما كان كل منهما جزءاً من مفهوم الايمان ، لـكن تصديق القلب ركن لايحتمل السقوط . وتصديق اللسان يسقط بنحو خرَس ، أو إكراه . واستدل لركنيته عند القدرة : بخبر «حتى يقولوا ـ أو يشهدوا ـ أن لا إله إلا الله » وردَّ بأنه لايدل لخصوصية ركنية القول التى النزاع فيها ، بل كما يحتملها يحتمل أنه شرط لاجراء أحكام الاسلام ، وما تقدم عن المصنف من نقله اتفاق أهل السنة من الفقهاء والمحـدثين والمتكلمين على أن من آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخلدا فى النار . فقد اعترض بأنه لا إجماع على ذلك ، و بأن لـكل من الأئمة الأربعة قولا بأنه مؤمن عاص بترك التلفظ ، بل الذى عليه جمهور الأشاعرة و بعض محقق الحنفية : أن الاقرار باللسان إنمـا هو شرط لاجراء الأحكام الدنيوية فحسب * (قال) صلى الله عليه وسـلم مفسرا للايمان بذكر متعلقاته . ولم يفسر لفظه ، بل أعاده بقوله (أن تؤمن) لأنه كان معروفا عندهم أنه لغة : مطلق التصديق . وشرعا: التصديق بالأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، فمن تلك المتعلقات ، التى يجب الايمان بها : الايمان (بالله) أى بأنه تعالى واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ، لا شريك له فى الألوهية . وهى استحقاق العبادة ، منفرد بخلق الذوات بصفاتها وأفعالها ، وبقدم ذاته وصفاته الذاتية ، وبأن ذاته لها صفات واجبة لها، قديمة . وهى: الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبَصر ، والكلام ،

وَمَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ

وهذه الصفات ليست أعراضا ولاعين ذاته ولا غـيرها . بناء على أن الغيرين ماينفك أحـدهما عن الآخر * والحاصل : أنه يجب الايمان بأنه تعالى متصف بكل كمال . منزه عن كل وصف لا كمال فيه . واجب الوجود لذاته . منفرد باستحقاق العبودية على العالمين * (وملائكته) جمع «ملك» نظرا إلى أصله الذى هو ملاك مَفْعَل ، من الألوكة ، أى الرسالة . والتاء زيدت فيه لتأكيد معنى الجمع ، أولتأنيث الجمع . وقدَّم الملائكة على الكتب مراعاة للترتيب الواقع ، لأنه تعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسل . ولا حجة فيه لتفضيلهم عليهم وإلا للزم تفضيلهم على الكتب . ولا قائل به . أى فيجب الايمان بأنهم عباد لله مكرمون لا يعصون الله ماأمرهم و يفعلون مايؤمرون والملائـكة باعتبار الأحوال والأعمال أقسام . ذكرتهم فى أوائل شرح الأذكار * (وكتبه) أى بأنها كلام الله تعـالى الأزلى القديم القائم بذاته المنزه عن الحرف والصوت ، و بأنه تعالى أنزلها على بعض رسله بألفاظ حادثة فى ألواح ، أوعلى لسان الملك ، و بأن كل ماتضمنته حق وصدق ، و بأن بعض أحكامها نسخ . و بعضها لم ينسخ ، قال الزمخشرى وغيره : وهى مائة كتاب وأربعة كتب ، خمسون على شِيْثٍ . وثلاثون على إدريس . وعشرة على آدم . وعشرة على إبراهيم . والتوراة والانجيل والزَّبور والفرقان . وهو مخالف فى التفصـيل لمـا تقدم ، وذلك هو الذى ذكره السَّمرقندى وغيره * (ورسله) أى بأنه أرسلهم إلى الخلق لهدايتهم ، وتـكميل معاشهم ومعادهم . وأيَّدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم . فبلَّغوا عنه رسالته . و بينوا للمـكلفين ماأمروا ببيانه . وأنه يجب احترام جميعهم . ولا يفرَّق بين أحد منهم فى الايمان به . وأنه تعالى نزههم عن كل وَصْمة ونقص . فهم معصومون من الـكبائر والصغائر . قبل النبوة و بعدها على المختار ، بل هو الصواب . وأخرج الامام أحمد

واليومِ الآخرِ. وَتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قال: صدقتَ. قال: فأَخْبِرْنى عن الاحْسانِ؟

فى مسنده عن أبى ذر قال: «قلت: يارسول الله، كم وفاء عدد الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، أرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرا» * (واليوم الآخر) وهو يوم القيامة، وصف بذلك لأنه لاليل بعده، ولأنه آخر أيام الدنيا، وفى رواية «والبعث الآخر» ووصفه بالآخر تأكيد، كأمس الدابر، أى بوجوده، وماشتمل عليه من الحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك، مما نطق به الكتاب والسنة الثابتة * (وتؤمن بالقدر خيره وشره) أى أن الجميع بتقدير الله ومشيئته، وأعاد العامل ومتعلقه: تنبيهاً على الاهتمام بالتصدق به. لأنه موضع مَزَلَّة أقدام الضعفاء الراكنين إلى مشاهدة ظواهر أفعال البشر، وأكَّدَه بالابدال منه. فقال «خيره وشره» وفى رواية لمسلم «و بالقدر كله» لأن البدل توضيح مع توكيد، لتكرير العامل * وحقيقة الايمان بالقدر: الاعتراف بأن جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى. وأنها مُرادة له. وأنها مكتسبة للعبد. والقضاء عند الأشعرية: إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ماهى عليه فيما لايزال. والقدر: إيجاده إياها على قدَر مخصوص. وتقرير معين فى ذواتها وأفعالها. أو القضاء: علمه أولا بالأشياء على ماهى عليه فيما لايزال، والقدَر: إيجاده إياها على مايطابق العلم * واعلم أن الايمان بالقدر على قسمين: أحدهما: الايمان بأنه تعالى سبق فى علمه مايفعله العباد من خير وشر. ومايجازون به. وأنه كتب ذلك عنده وأمضاه. وأن أعمال العباد تجرى على ماسبق فى علمه وكتابه. ثانيهما: أنه تعالى خالق أفعال عباده كلها من خير وشر. وهذا القسم تنكره القدرية كلهم. والأول لاينكره إلا غلاتهم * (قال: صدقت. قال: فاخبرنى عن الاحسان) قال القرطبى: «أل» فيه للعهد

قال : أنْ تَعْبُدَ الله كأنَّكَ تَراه ، فَإِنْ لم تَكُنْ تراهُ فإنَّه يراكَ .

الذهنى . وهو الذى قال تعالى فيه([٥٥ :٦٠] : هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) ([٢ :١٩٥] وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) فلما تكرر الاحسان فى القرآن وترتب عليه هذا الثواب العظيم سأل عنه جبريل ، ليعلمهم بعظيم ثوابه ، وكمال رفعته اه . وهو مصدر « أحسنت » كذا إذا حَسَّنته وكَمَّلته ، متعديا بالهمزة ، وبحرف الجر أو « أحسن » متعديا بحرف الجر فقط . كأحسنت إليه ، إذا فعلت معه مايحسن فعله . والمراد هنا : الأول . إذ حاصله راجع إلى إتقان العبادة بأدائها على وجهها المأمور به ، مع رعاية حقوق الله تعالى ومراقبته . واستحضار عظمته وجلاله . ابتداء واستمراراً * وهو على قسمين : أحدهما : غالب عليه مشاهدة الحق ، كما (قال) صلى الله عليه وسلم : الاحسان (أن تعبد الله) من «عبد» أطاع ، والتعبد : التنسك والعبودية : الخضوع والذل (كأنك تراه) قيل : أصله كأنك تراه و يراك ، فحذف الثانى لدلالة الأول عليه ، وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم . لأنه جمع فيه ، معوَجازته : بيان مراقبة العبد ربه فى إتمام الخضوع والخشوع وغيرهما فى جميع الأحوال ، والاخلاص له فى جميع الأعمال ، والحث عليهما مع بيان سببهما الحامل عليهما . والثانى : من لا ينتهى إلى تلك الحالة . لكن يغلب عليه أن الحق مطلع عليه ومشاهد له . وقد بينه صلى الله عليه وسلم بقوله : (فان لم تكن تراه فانه يراك) وهذا من جوامع الكلم أيضا . أى فان لم تكن تراه فلا تغفل . فانه يراك ، وما أحسن ما قيل :

إذا ما خلوتَ الدهر يوما . فلا تَقُلْ خلوتُ . ولكن قُل : علىَّ رقيبُ

وقوله «كأنك» مفعول مطلق ، أو حال من الفاعل ، ثم هذان الحالان هما ثمرتا معرفة الله تعالى وخشيته ، ومن ثَمَّ عبَّر بها عن العمل فى خبر « الاحسان

قال : فأَخبرنى عن الساعة ؟ قال : ما المسئُولُ عنها بأعْلَمَ من السائل .
قال : فأَخبرنِى عن أمارَاتِهاَ ؟

أن تخشى الله ، كأنك تراه » فعبر عن المسبب باسم السبب توسعا * وأخر الاحسان عماقبله : لأنه غاية كمالهما . بل والمقوّم لهما . إذ بعدمه يتطرق إلى الاسلام — بمعنى الأعمال الظاهرة — : الرياء والشرك ، و إلى الايمان : النفاق ، فيظهره رياء أو خوفا . ومن ثَمَّ قال تعالى : ([٢ : ١١٢] بلى من أسْلَمَ وجهه لله وهو محسن) ([٥ : ٩٣] ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا) فشرطه فيهما * (قال : فأخبرنى عن الساعة) أى عن زمن وجود يوم القيامة . سمى بذلك مع طول زمنه ، اعتبارا بأوله . فانها تقوم بغتة ، أو لسرعة حسابها . أو على العكس لطولها ، أو لأنها على طولها عند الله كساعة من الساعات عندنا * (قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل) بل كلانا سواء فى عدم العلم بالزمن المعين لوجودها وقيل : هذا كان أولا . ثم أطلعه الله عليها . وأمره بكتمها . نقله السيوطى فى انموذج اللبيب عن أهل الحق . وعبَّر بما ذكره فى الجواب لتتأكد فائدة التعميم فى استواء كل سائل ومسئول فى عدم العلم بوقت وقوعها المعين * وفيه : أنه ينبغى للمفتى إذا سئل عما لا يعلم : أن يقول : لا أعلم ، قال بعض السلف : إذا أخطأ العالم «لا أدرى» أصيبت مقاتله

* « فائدة » وقع هذا السؤال والجواب بين عيسى ابن مريم وجبريل . لكن عيسى كان سائلا وجبريل كان مسئولا . أخرج الُحميدى فى أفراده عن الشعبى قال «سأل عيسى ابن مريم جبريل عن الساعة . فانتفض بأجنحته ، وقال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل » ذكره السيوطى فى التوشيح

* (قال : فأخبرنى عن أماراتها) بفتح الهمزة ، أى أشراطها وعلاماتها الدالة

قال : أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها ، وأَنْ تَرَى الْحفاةَ العُرَاةَ العالَة رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطاوَلُونَ فى البُنْيانِ .

على اقترابها . ورىما روى «أمارتها» (قال : أن تلد الأمة) أى القِنَّة و «أل» فيها للماهية. وكذا مايأتى بعد ، دون الاستغراق ، لعدم اطراد ذلك فى كل أمة (ربتها) أى سيدتها . وفى رواية « رَبَّها » أى سيدها . وفى أخرى «بَعْلها» بمعنى ربها . كناية إما عن كثرة التسرِّى اللازمة لاستيلائنا على بلاد الكفرة حتى تلد السرية بنتا أوابنا لسيدها . فيكون ولدها سيدَها ، كأبيه . فالعلامة استيلاؤنا على بلادهم وكثرة الفتوح والتسرى . أو عن كثرة بيع المستولدات لفساد الزمان ، حتى تشترى المرأة أمها . وتسترقها جاهلة أنها أمها . فتكون العلامة غلبة الجهل الناشىء عنها ببيع أم الولد الممنوع منه * (وأن ترى الحفاة) جمع حافٍ بالمهملة . وهو من لا نعل برجليه (العراة) جمع عارٍ . وهو من لاشىء على جسده. وفى رواية «الحفاة أى الخدمة» و« أل »هنا ، وإن احتملت الاستغراق ، إلا أن العادة القطعية دالة على تخصيصه . وأن كل واحد منهم لايحصل له ذلك . فالأولى كون « أل » للماهية (العالة) بتخفيف اللام جمع «عائل» . وهو الفقير. من عالَ ، افتقر . وأعالَ . كثرت عياله (رعاء) بكسر أوله وبالمد جمع «راع» ويجمع أيضا على « رُعاة » بضم أوله وهاء فى آخره مع القصر . والرعى : الحفظ (الشاء) الغنم واحده « شاة » بالهاء . كشجر وشجرة ، وخَصَّ مطلق الرعاء لأنهم أضعف الناس. ورعاء الشاء لأنهم أضعف الرعاء . ومن ثَمَّ قيل : رواية « رِعاء الشاء » أنسب بالسياق من رعاء الابل . فانهم أصحاب فخر وخُيلاء . وليسوا عالة ولا فقراء غالبا . ويجاب : بأن فخرهم إنما هو بالنسبة لرعاء الشاء . لا لغير الرعاء ، فالقصد حاصل بذكر مطلق الرعاء . ولكنه برعاء الشاء أبلغ* (يتطاولون فى البنيان) وهو كناية عن إسناد الأمر لغير أهله ، وصيرورة الأسافل

ثم انطلق ، فلَبِثتُ مَلِيًّا ،

من ضعفاء أهل البادية الغالب عليهم الفقر: ملوكا ، أوكالملوك، حتى يشرئبون الانقلاب الأحوال ، واتساع الدنيا عليهم بعد ضيقها ـ إلى تشييد المبانى ، وهدم أركان الدين بعدم العمل بآى المثانى ، وفى الحديث « من أشراط الساعة أن توضع الأخيار وتُرفع الاشرار » وفى حديث آخر مرفوعا ، وهما صحيحان : « لاتقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَع بن لُكع » أى لئيم بن لئيم ، وفى حديث آخر « إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة » ولبعضهم :

إذا عَزَّ فى الدنيا الأذلاَّءوا كْتَسَتْ أَعِزَّتُها ذُلاًّ ، وساد مَسودها
هناك ، فلا جادتْ سماء بصَوْبِها
ولا أمْرَعَتْ أرضٌ ، ولا اخْضَرَّ عُودها

واقتصر فى الجواب على أمارتين ، مع شمول السؤال لأكثر ، ومع أن لها أمارات أخر صِغارا وعظاما . كالدَّجَّال ، والمهدى ، وعيسى صلى الله عليه وسلم . وغير ذلك مما أُلِّف فى استقصائه كتبٌ مُدونة ـ تحذيراً للحاضرين وغيرهم عنهما . لاقتضاء الحال ذلك . ولعل منهم من تعاطى شيئا منهما ، فزجره عنه . و إن قلنا : إن جعل الشىء أمارة للساعة لايدل على ذَمه . لأن معناه ـ كما هو ظاهر ـ أنه لايستلزم ذلك ، و إلا فالغالب أنه ذم * (ثم انطلق) أى جبريل (فلبثت) زمانا (مليا) بتشديد الياء ، أى كثيرا ، من « المَلَوَين » : الليل والنهار . أما المهموز فمن « المَلاَءة » أى اليسار . وهو هكذا بتاء المتكلم ، وفى نسخة من مسلم « فلبث » بحذفها ، يعنى أقام النبى صلى الله عليه وسلم بعد انصرافه حينا ، وعلى الأول : فهو إخبار من عمر عن نفسه . وجاء فى رواية أبى داود والترمذى وغيرهما « فلبثت ثلاثا » وظاهره : أنه ثلاث ليال ، وفى رواية أبى عَوانة «فلبثنا ليالى ، فلقينى رسول الله

ثم قال : ياعُمَرْ أَتَدرى مَنِ السَّائلُ ؟ قلت : اللهُ ورسوله أعلمُ . قال : فَإِنه جِبْرِيلُ ،

صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث » ، ولابن حِبَّان « بعد ثالثة » ولابن مَنْده « بعد ثلاثة أيام » وقد ينافيه خبر البخارى « فأدبر الرجل . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ردُّوه . فأخذوا يردونه فلم يجدوا شيئا . فقال : هذا جبريل » وأجيب : بأنه يحتمل أن عمر لم يحضر قوله هذا . بل كان قدقام . فأخبر به بعد ثلاث * (ثم قال : ياعمر ، أتدرى من السائل ؟) فيه ندب تنبيه العالم تلامذته ، والكبير : مَن دونه على فوائد العلم وغرائب الوقائع ، طلبا لنفعهم وتيقظهم * (قلت : الله ورسوله أعلم) فيه ما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم من حسن الأدب معه صلى الله عليه وسلم برد العلم إلى الله وإليه ، وأنه ينبغى لمن سئل عما لايعلم أن يقول ذلك . كما تقدمت الاشارة إليه * (قال فانه جبريل) اسم أعجمى سريانى فيه لغات عديدة بينتها ونظمتهاوأوردتها فى أوائل شرح الأذكار . قيل : معناه عبدالله . وقيل : عبدالرحمن ، والفاء فى قوله « فانه » جواب شرط مقدر . أى أما إنكم حيث لم تسألوا عن الرجل وفوضتم الأمر إلى اللهورسول فانه جبريل ، على تأويل الاخبار . أى تفويضكم هوسبب الاخبار لكم بأنه جبريل ، وقرينة الشرط قوله : « الله ورسوله أعلم » . وظاهر رواية البخارى : أنه لم يعرفه إلا فى آخر الأمر ، وورد « ماجاءنى فى صورة لم أعرفه إلا فى هذه المرة » وفى رواية ابن حبان « والذى نفسى بيده ماشُبِّه علىَّ منذُ أتانى قبل مرته هذه وما عرفته حتى ولَّى » ورواه كذلك ابن خُزيمة . وأما رواية النسائى « وإنه لجبريل نزل فى صورة دِحْيَة الكلبى » فوهم من الراوى . وشذوذ مخالف للمحفوظ فى باقى الروايات ، فان دحية معروف عندهم . وقال عمر « مايعرفه منا أحد » وفيه دليل على أن الله مكن الملك أن يتمثل فيما شاء من الصور البشرية . وقد كان يتمثل

أتاكُمْ يُعَلِّمُكم دِينَكم » رواه مسلم .

جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية ، ولم يره صلى الله عليه وسلم على صورته الأصلية غير مرتين . كما صح الحديث بذلك * (أتاكم يعلمكم) بسبب سؤاله و إسناد التعليم اليه مجاز ، إذا المعلم بالحقيقة النبى صلى الله عليه وسلم (دينكم) أى قواعده أو كليات دينكم . وفى رواية ابن حبان « يعلمكم أمر دينكم نخذوا عنه » ففيه أن الدين : مجموع الاسلام والايمان والاحسان ، ولا ينافيه أن الإسلام وحده يسمى دينا كما فى آية ([٣ : ١٩] إن الدين عند الله الاسلام) لأنه كما يطلق على هذا المجموع يطلق على هذا الفرد بالاشتراك ، أو بالحقيقة والمجاز ، أو التواطؤ أو غير ذلك * وحكمة مجىء جبريل لتعليمهم : أنهم كانوا أكثروا السؤال على النبى صلى الله عليه وسلم فنهاهم ، كراهية . لما قد يقع من سؤال تعنت أو تجهل فألحوا . فزجرهم . نخافوا وأحجموا . واستسلموا امتثالا ، فلما صدقوا فى ذلك أرسل الله لهم من يكفيهم المهمات ، ومن ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم : «هذا جبريل » أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا * (رواه مسلم) فهو من إفراده عن البخارى فلم يخرج البخارى عن عمر فيه شيئا . ورواه الأربعة إلا الترمذى . وأخرجاه عن أبى هريرة * وهو حديث متفق على عظم موقعه . وكثرة أحكامه . قال القاضى عياض : وقد اشتمل على . جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة : من عقود الايمان ، وأعمال الجوارح ، وإخلاص السرائر ، والتحفظ من آفات الاعمال . حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه . قال القرطبى : فيصلح هذا الحديث أن يقال فيه : إنه أمُّ السنة لما تضمنه من جمل علم السنة . كما سميت الفاتحة أمَّ القرآن . لما تضمنته من جمل معانى القرآن اه . ومن ثم قيل : لو لم يكن فى السنة كلها غير هذا الحديث لكان وافيا بأحكام الشريعة . لاشتماله على جملها مطابقة . وعلى تفصيلها تضمنا ، فهو

* ومعنى « تَلِدَ الأَمَة رَبَّتها » أى سَيِّدتها ، ومعناه : أَن تكثر السَّرارى ، حتى تَلِدَ الأمة السَّرية بنتاً لسيدها ، وبنتُ السَّيدِ فى معنى السيد . وقيل : غير ذلك * « والعالَة » الفقراء * وقوله « مَلِيًّا » أى زَماناً طويلا ، وكان ذلك ثلاثاً

٧٠ — الثانى: عن أبى ذرٍّ : جُنْدَب

جامع لها علماً، ومعرفة وأدباً ولطفاً، ومرجعه من القرآن والسنة كل آية تتضمن ذكر الاسلام أو الايمان أو الاحسان. أو الاخلاص. أو المراقبة أو نحو ذلك *(ومعنى: أن تلد الأمة ربتها) بالمثناة الفوقية (أى سيدتها ومعناه) أعاده تأكيداً لطول الـكلام بين «معنى» الذى هو مبتدأ وخبره ، أعنى : (أن تـكثر السرارى) وذلك ناشىء عن الاستيلاء على بلاد الـكفار . فيكون الا ستيلاء هو العلامة عليها . كما تقدم (حتى تلد الأمة السَّرية) فعلية من السِّر . وهو الخفية . لخفاء أمرها بالنسبة إلى الأزواج (بنتا لسيدها وبنت السيد فى معنى السيد . وقيل : غير ذلك) من ذلك: أنه كناية عن عقوق الأولاد لأمهاتهم. فيعاملونهم معاملة السيدة لامتها من الاهانة والسب. ويستأنس له برواية «وأن تلد المرأة» و بحديث «لاتقوم الساعة حتى يكون الولد غليظا» وقيل: إنه كناية عن كثرة بيع السرارى، حتى يتزوج الانسان أمه ، وهو لا يدرى . وهذا بناء على رواية « بعلها» أى زوجها. وقيل غير ذلك* (والعالة) بتخفيف اللام جمع : عائل (الفقراء . وقوله : مليا) بتشديد الياء (أى زمنا طويلا . وكان ذلك) الزمن ، كما جاء عند أبى داود والترمذى وغيرهما : (ثلاثا) ظاهره من الليالى . ويحتمل أن يكون من الأيام. وحذفت التاء لحذف المعدود . فهو كحديث« وأتبعَهَ ستًّا من شوال » و يؤيده : رواية ابن مَنْدَه السابقة

* (الثانى عن أبى ذر) بتشديد الراء (جندب) بضم الجيم وسكون النون

ابن جُنادة ، وأبى عبد الرحمن مُعاذِ بن جَبَل

(ابن جنادة) بكسر الجيم (١) و بالنون وتثليث الدال المهملة وآخره موحدة و إهمال الدال . وقيل : بُرير بن جُندب . وقيل : جندب بن عبد الله . وقيل : جندب بن السَّكَن . وعلى كل فهو غِفَارِىٌّ . يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى كِنانة . رُوى عنه أنه قال « أنا رابع الاسلام » ويقال « خامس الاسلام » . أسلم بمكة قديما . وَخبَرُ إسلامه فى صحيح مسلم . ثم رجع إلى قومه . ثم هاجر إلى المدينة ، ووصفه صلى الله عليه وسلم فى عدة أحاديث « بأنه أصدق الناس لهجة » وهو أول من حَيَّى النبى صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام . وقال علىٌّ فى حقه « وعاء مُلِىء علما . ثم أُوكِيَ عليه فلم يخرج منه شىء حتى قبض » . رُوى له عن النبى صلى الله عليه وسلم مائتا حديث وأحد وثمانون حديثا . اتفقا منها على اثنى عشر حديثا . وانفرد البخارى بحديثين . ومسلم بسبعة عشر . مات بالرَّبَذة سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين * (وأبى عبد الرحمن معاذ جبل) الأنصارى . أسلم وعمره ثمان عشرة سنة . وشهد العقَبة وبَدْرا . والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وسبعة وخمسون حديثا . اتفقا على حديثين منها . وانفرد البخارى بحديثين ومسلم بواحد . وورد أنه صلى الله عليه وسلم قال « أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل » وأنه قال : « يامعاذ إنى أُحبك . فقال : وأنا أحبك والله يارسول الله . قال : فلا تَدَعْ أن تقول فى دُبُر كل صلاة : اللهم أعِنّى على ذِكرك وَشُكرك وحسن عبادتك » وأنه قال « يأتى معاذ يوم القيامة بين يدى العلماء بَرَتْوة أو رَتْوَتين » أى رَمية بسهم . وقيل : بحجر . وقيل : بميل . وقيل : بمد البصر . وفضائله كثيرة . وقد ذكرت جملة منها فى ترجمته فى شرح الاذكار . مات بناحية الأُرْدُن فى طاعون عَمَواس ـ بفتح أوليه ـ قرية بين

(١) ضبطة الحافظ ابن حجر ، واللغويون بضم الجيم

رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ. وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا .

الرَّمْل والقدس . نسب إليها لأنه أول ماظهر منها ـ سنة ثمان عشرة . وهو ابن ثلاث . وقيل : أربع . وقيل : ثمان وثلاثين سنة ، وقبره بغور بَيْسان ، فى شَرْقِيِّه (رضى الله) تعالى (عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) أى لكل منهما : لأبى ذر لما أسلم ، ولمعاذ لما انطلق إلى اليمن . وقد جاء التصريح بذلك (اتق الله) أمر من التقوى . وهى امتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه ، وهذا على حد قوله تعالى: (اتقوا الله) أى غضبه ، وهو أعظم مايتقى ، لما ينشأ عنه من العقاب الدنيوى والأخروى ([٣: ٢٨] ويُحذِّركم اللهُ نَفْسَهَ) * (حيثما كنت) أى فى أى مكان كنت ، حيث يراك الناس ، وحيث لا يرونك . اكتفاء بنظره تعالى قال تعالى ([٤ :١] إن الله كان عليكم رقيباً) ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لأبى ذَرٍّ «أوصيك بتقوى الله فى سرائرك وعلانيتك» وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم . فان التقوى ـ وإن قلَّ لفظها ـ جامعة لحقوقه تعالى. إذ هى اجتناب كل منهى عنه ، وفعل كل مأمور به . فمن فعل ذلك فهو من المتقين. الذين شرفهم الله تعالى فى كتابه بأنواع من الكمالات يأتى ذكرها أول باب التقوى إن شاء الله تعالى * (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) وجه مناسبتها لما قبلها : أن العبد مأمور بالتقوى فى كل حال ، ولما كان ربما يفرط ، إما بترك بعض المأمورات أو فعل بعض المنهيات . وذلك لا ينافى وصف التقوى ، كما دل عليه نظم سياق ([٣ : ١٣٣] أُعِدَّت للمتقين) إلى أن قال فى وصفهم (والذين إذا فعلوا فاحشة . الخ) أمره بما يمحو به ما فرَّط فيه . وهذا الحديث على حد ([١١ : ١١٥] إن الحسنات يُذْهِبْنَ السيئات) وظاهر قوله « تمحها » وقوله تعالى (يذهبن السيئات) أن الحسنة

وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن

تمحو السيئة من الصُّحُف ، وقيل : عُبِّرَ به عن ترك المؤاخذة بها . فهى موجودة فيها بلا محو إلى يوم القيامة ، وهذا تجوُّز يحتاج لدليل . و إن نقله القرطبى فى تذكرته . وقال بعض المفسرين : إنه الصحيح عند المحققين . ثم هذا فى الصغائر المتعلقة بحق الله تعالى ، أما الكبائر فلا يكفرها على الصحيح إلا التوبة بشروطها ، وحينئذ يصح إدخالها فى الحديث ، بأن يُراد بالسيئة : ما يعمُّ الكبيرة ، و بالحسنة ما يشمل التوبة منها ، وأما التَّبِعات فلا يكفرها إلا إرضاء أصحابها * (وخالق الناس بخلق حسن) جماعُه ينحصر — كما ذكر عن الترمذى وغيره — فى طَلاقة الوجه لهم ، وكَفِّ الأذى عنهم ، وبذل المعروف إليهم . وقال بعضهم : هو أن تفعل معهم ما تحب أن يفعلوه معك . فتجتمع القلوب . و يتفق السر والعلانية ، وحينئذ يأمن كَيد الكائد . وذلك جماع الخير ومِلاكُ الأمر . وقد جاءت أحاديث كثيرة فى مدح الخلق الحسن . وسيأتى بعضها * (رواه الترمذى وقال : حديث حسن) زاد المصنف فى الأربعين : وفى بعض النسخ — يعنى نسخ الجامع — : حسن صحيح . وأشار بهذا إلى اختلاف نسخ الترمذى فى التحسين والتصحيح . فقد يوجد عَقِب حديث فى بعضها « حسن » وفى بعضها « صحيح » وفى أخرى « حسن صحيح » وفى أخرى « حسن غريب » وسبب ذلك : اختلاف الرواة عنه والضابطين لكتابه . ثم تحسينه لهذا الحديث مقدم على ترجيح الدارقطنى إرساله . للقاعدة المقررة : أن المُسْنِد ، لزيادة علمه يُقدَّم على المُرْسِلِ . وأما تصحيحه فى تلك النسخة فيوافقه قول الحاكم : إنه على شرط الشيخين . لكن وهم بأن « ميموناً » أحد رواته لم يخرج له البخارى شيئا . ولم يصح سماعه من أحد الصحابة . فلم يوجد فيه شرط البخارى . فحكمه بأنه على شرط الشيخين :

٧١ – الثالث : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « كُنْتُ خَلْفَ النبىّ صلى الله عليه وسلم

من تساهله المعروف . قال السخاوى : ودونه حكم العراقى عليه فى أماليه بالصحة . ويؤيد تحسين الترمذى له : أنه ورد لهذا الحديث طرق متعددة . فرواه أحمد والبزّار والطبرانى ، والحاكم ، والبيهقى ، وابن عبد البر ، وغيرهم من طرق يفيد مجموعها الحسن له . ففى الجامع الصغير للسيوطى : أن الحديث رواه أحمد ، والترمذى ، والحاكم ، والبيهقى عن أبى ذر . وأحمد والترمذى والبيهقى عن معاذ بن جبل . وابن عساكر عن أنس . وذكر السخاوى فى تخريج أحاديث الأربعين : أن الأصح كون الحديث من مسند أبى ذر . وإلى ذلك أشار البيهقى . ثم بسط فى بيان ذلك كلاما .

* (الثالث : عن) عبد الله (بن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم) أى على دابته . كما جاء فى رواية ، ففيه جواز الإرداف على الدابة إن أطاقته . وقد تتبعت الذين أردفهم النبى صلى الله عليهم وسلم معه على دابته . فبلغتُ بهم فوق الأربعين . وجمعتهم فى جزء سميته : تحفة الأشراف بمعرفة الأرداف . وقد نظمت اسم جماعة منهم ، وأوردته آخر ذلك الجزء . وهاهو : —

لقد أردف المختارُ طٰه جماعةً	فسَنَّ لنا الإرداف ، إن طاق مَرْكَب
أبو بكر ، عثمان ، على ، أُسامة	سهيل ، سويد ، جبريل المقرب
صَفِيَّةَ والسِّبطان ، ثم ابن جعفر	معاذ . وقيس . والشَّريد المهذب
وآمنة ، مع خولة ، وابن أكْوَع	وزيد ، أبو ذَرٍّ ، سُمى ذاك جُندب
معاوية ، زيد ، وخَوَّات ، ثابت	كذلك أبو الدرداء فى العدِّ يكتب

يوماً . فقال: ياغلامُ ، إنِّى أُعَلِّمُكَ كلماتٍ : احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَك ،

وأبناء عباس ، وابن أسامة صُدَىٌّ بن عجلان ، حُذيفة صاحب
كذلك جافيهم أبو هرٍّ ، مَنْ روى ألوفا من الأخبار تروى وتكتب
وعدٌّ من الأرداف ياذا أسامة هو ابن عُمير ، ثم عتبة يحسب
وأردف غلمانا ثلاثا : كذا أبو إياس . وأنثى من غِفارٍ تقرب
وأردف شخصا ثم أردف ثانيا وماسُمِّيا فيما رُوى ، يامهذب
أولئك أقوام بقرب نبيهم لقد شرفوا ، طوبى لهم يامقرب

* (يوما) أى فى ساعة منه ، كما يدل عليه تنكيره (فقال : ياغلام) بضم الميم . لأنه نكرة مقصودة . وتقدم أنه هو الصبى من حين يُفطم إلى البلوغ . وسِنُّه إذ ذاك كان نحو عشر سنين * (إنى أعلمك كلمات) ينفعك الله بهن . كما فى رواية أخرى . وذكره ذلك ليتنبه السامع . فيشتد شوقه ، ويلقِى سمعه . فيقع فى نفسه فيكمل نفعه ، وجاء بها بصيغة القلة ليؤذنه بأنها قليلة اللفظ ، فيسهل حفظها ، ومُنوَّنة إيذاناً بعظم خطرها ورفعة محلها . وتأهيله لهذه الوصايا الرفيعة المقدار ، الجامعة من العلوم والمعارف مايفوق الحصر : دليل على أنه صلى الله عليه وسلم علم مايؤول إليه أمر ابن عباس من العلم والمعرفة . وكمال الأخلاق . وحسن الأحوال * (احفظ الله) بملازمة تقواه ، واجتناب نواهيه ومالا يرضاه (يحفظك) بالجزم ، فى نفسك وأهلك ، ودنياك ودينك . لاسيما عند الموت : إذ الجزاء من جنس العمل ، ومنه [٢ : ٤٠] وأوفوا بعهدى أُوفِ بعهدكم) وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم . فقد جمعت سائر أحكام الشريعة قليلها وكثيرها * (احفظ الله) بما ذكر (تجده تجاهك) أى تجده معك بالحفظ والاحاطة والتأييد والاعانة ، حيثما كنت . فتأنس

إذا سَأَلْتَ فاسْأَلِ اللهَ ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللهِ ،

به ، وتغنى به عن خلقه . فهو كالتأكيد لما قبله . وهو من المجاز البليغ لاستحالة الجهة التى هى مدلول « تجاه » عليه تعالى . و« تجاه » بضم التاء وأصله « وُجاه » بضم الواو وكسرها . فأبدلت فوقية . كما فى « تراث » ومعناه : أمام . كما جاء ذلك فى الرواية الآتية ، أى تجده معك بالحفظ . فهو نظير (إن الله مع المتقين) ونحوه . إذ هى معية معنوية لاظرفية . وخص الأمام من بين باقى الجهات الست بالذكر ، إشعاراً بشرف المقصد وبأن الانسان مسافر إلى الآخرة ، والمسافر إنما يطلب أمامه لاغير ، فكان المعنى : تجده حيثما توجهت . وتيممت من أمر الدنيا والآخرة * (إذا سألت) أى أردت السؤال (فاسأل الله) أن يعطيك مطلوبك قال تعالى ([٤ : ٣١] واسئلوا الله من فضله) ولاتسأل غيره . فان خزائن الوجود بيده تعالى وأزمتها إليه . إذ لاقادر ولامعطى ولامتفضل غيره . فهو أحق أن يُقصَد ويسأل ، ولافائدة فى سؤال الخلق ، إذ لايملكون نفعا ولاضرا لأنفسهم ، فضلا عن غيرهم ، وما أحسن قول الأستاذ أبى الحسن الشاذلى « أيست من نفع نفسى لنفسى ، فكيف لاأيئس من نفع غيرى لنفسى ، ورجوت الله لغيرى ؛ فكيف لاأرجوه لنفسى » وإنما يميل القلب إلى المخلوق ويركن إليه لضعف يقينه ، ووقوعه فى الغفلة عن حقائق الأشياء ، وبقدر بعده من مولاه يكون ركونه لمن سواه ، ولما نجا من تلك الهوة وتيقظ من تلك الغفلة أصحاب التوكل واليقين أعرضوا عن السِّوَى ، وأنزلوا جميع حوائجهم بباب كرم ، وَجُودِ المولى . لأنه المتكفل لكل متوكل بما يحب ويتمنى . قال تعالى : ([٦٥ : ٣] ومن يتوكَّلْ على الله فهو حَسْبُهُ) * (وإذا استعنت) أى طلبت الاعانة على أمر من أمور الدارين (فاستعن بالله) لأنه القادر على كل شىء وغيره عاجز عن كل شىء . فمن أعانه تعالى فهو المعان . ومن خذله فهو المخذول ، ومن ثَمَّ

واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك

كانت «لاحول ولا قوة إلا بالله» كنزا من كنوز الجنة لتضمنها براءة النفس من حولها وقوتها إلى حوله وقوته ، وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز « لا تستعن بغيره تعالى يكلك الله إليه » (واعلم أن الأمة) المراد بها هنا سائر المخلوقين كما صرحت به رواية أحمد « فلو أن الخلق جميعا أرادوك الخ » وأما مدلولها وضعا فالجماعة وأتباع الأنبياء ، والرجل الجامع للخير المقتدى به ، والدين والملة نحو « انا وجدنا آباءنا على أمة » والزمان نحو « وادكر بعد أمة » والرجل المنفرد بدينه الذى لم يشركه فيه أحد كقوله صلى الله عليه وسلم « يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده » فالامة لفظ مشترك ومن جملة معانيه الام كهذه أمة زيد أى أم زيد (لو اجتمعت) لو هنا بمعنى إن إذ المعنى على الاستقبال ونكتة العدول أن اجتماعهم على الامداد من المستحيلات بخلاف اجتماعهم على الاذى فانه ممكن (على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن) عبر بها بدل لو تفننا في التعبير (اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك) كما يشهد له قوله تعالى « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله » والمعنى وحد الله فى لحوق الضر والنفع فهو الضار النافع ليس معه (١) أحد فى ذلك لما تقرر أنه القادر لا سواه فأزمة المخلوقات بيده يتصرف فيها بما يشاء ، فهذا تقرير وتأكيد لما قبله من توحيد الله تعالى فى لحوق النفع والضر على أبلغ برهان وأوضح بيان ، وحث على التوكل والاعتماد على الله سبحانه وتعالى فى جميع الأمور وعلى شهود أنه الفاعل المختار النافع الضار وغيره ليس له من ذلك شيء ، وعلى الأعراض عما سواه . وفى بعض الكتب الالهية « وعزتى وجلالى

---

(١) عبارة ابن حجر : ليس لاحد معه فى ذلك شيء . ش

رفِعتْ الأقْلامُ وجُفَّتِ الصحفُ » رواه الترمذيِ ، وقال حديث حسن صحيح

لاقطعن أمل من يؤمل غيرى ، ولألبسنه ثوب المذلة عند الناس ، ولأحجبنه عن قربى ولأبعدنه عن وصلى ولأجعلنه متفكراً حيران يؤمل غيرى فى الشدائد والشدائد بيدي وأنا الحى القيوم ، ويطرق بالفكر أبواب غيرى وبيدى مفاتيح الابواب ، وهى مغلقة وبابى مفتوح لمن دعانى » (رفعت الاقلام) أى تركت الكتابة بها لفراغ الامر وانبرامه (وجفت) بالجيم بالبناء للمفعول (١) (الصحف) التى فيها تقادير الكائنات كاللوح المحفوظ ، أى فرغ من الامر وجفت كتابته فلم يمكن أن يكتب فيها بعد ذلك تبديل أو نسخ لما كتب من ذلك واستقر لانها أمور ثابتة لا تبدل ولا تغير عما هى عليه ، فذلك كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ منها من أمد بعيد ، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها ، وقد دل الكتاب والسنة على ذلك . فمن علم ذلك وشهده بعين بصيرته هان عليه التوكل على خالقه والاعراض عما سواه (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) قال السخاوى فى تخريج أحاديث الأربعين ، حديث حسن . وبين ذلك ثم قال : وبالجملة فالحديث ثابت من حديث الليث وغيره ممن قدمناه ، ولذا أورده الضياء فى المختارة من هذا الوجه بل صححه العراقى فى أماليه تبعا للترمذى . وقال ابن منده : إسناده مشهور ورواته ثقات اه . وقد أورده جماعة من طرق عن ابن عباس وجاء أنه ﷺ وصاه بذلك وعن على وأبى سعيد رواه العسكرى فى كتاب الامثال وسهل بن سعد رواه ابن مردويه ، وعبد الله بن جعفر رواه ابن عاصم في السنة . وقد خرج طرقها كلها السخاوى وقال : قال أبو جعفر العقيلى : كل أسانيد هذا الحديث لينة وبعضها

---

(١) مقتضى كلام ابن حجر أنها بالبناء للفاعل ولفظه أى فرغ من الامر وجفت كتابته لان الصحيفة حال كتابتها لا بد أن تكون رطبة المعاد أو بعضه بخلاف ما إذا فرغ منها اه وعبارة الشبراخيتى : وجفت بالجيم أي يبست اه ، وفى المختار وغيره : جف الثوب بفتح الجيم . ع

وَفى رواية غير الترمذى « إحْفظِ اللهَ تَجِدْهُ أمامَك . تَعرَّفْ إلى اللهِ فى الرخاءِ يَعْرِفْكَ فى الشِّدَّةِ . واعلم أنَّ ماأخطأَكَ لَمْ يكن لِيصيبَك . وما أَصابَكَ لَم يكن لِيُخْطِئَك ،

أصلح من بعض . وليس هذا بجيد ، فحديث ابن عباس حسن جيد وأصح طرقه رواية حنش كما صرح به ابن منده وغيره وهى التي أخرج الترمذى الحديث من طريقها (وفى رواية غير الترمذى) وهو عبد بن حميد فى مسنده لكن باسناد ضعيف وقد رواه أحمد باسنادين منقطعين و لفظه أتم من حديث عبد بن حميد وقد أوردته فى شرح الاذكار (احفظ الله تجده أمامك تعرف) بتشديد الراء أى تحبب (إلى الله فى الرخاء) بالدأب فى الطاعات والانفاق فى وجوه القرب والمثوبات ، حتى تكون متصفا عنده بذلك معروفا به (يعرفك فى الشدة) بتفريجها عنك وجعله لك من كل ضيق فرجا ومن كل هم مخرجا بواسطة ماسلف منك من ذلك التصرف ، وقيل انه على حذف مضاف أى تعرف إلى ملائكة الله فى الرخاء بالتزام طاعته تعالى والتزام عبوديته يعرفك فى الشدة بواسطة شفاعتهم عنده فى تفريج كربك وغمك ؛ وتعقب بأنه تكلف فالاول أولى . ومعرفة العبد ربه ضربان : عامة وهى الاقرار بوحدانيته وربوبيته والايمان به. وخاصة وهي الانقطاع إليه والأنس به والطمأنينة بذكره والحياء منه وشهوده فى كل حال ، ومعرفة الله تعالى كذلك عامة وهى علمه بعباده واطلاعه على أعمالهم ، وخاصة وهى محبته لعبده وتقريبه إليه ، وإجابة دعائه وانجاؤه من الشدائد فلا يظفر بهذه الخاصة إلا من تحلى بتلك الخاصة (واعلم أن ماأخطأك) من المقادير فلم يصل إليك (لم يكن) مقدراً عليك (ليصيبك) أى محال أن يصيبك لأنه بان بأنه (١) أخطأك أنه مقدور على غيرك ، وفيه مبالغة من وجوه من حيث دخول اللام المؤكدة للنفى على الخبر وتسليط النفى على الكينونة وسرايته فى الخبر (وما أصابك) منها (لم يكن) مقدراً على غيرك (ليخطئك وإنما هو مقدر عليك إذ لا يصيب الانسان إلا ماقدر عليه . ومعنى ذلك أنه فرغ مما أصابك وأخطأك من خير أو شر فما

---

(١) عبارة ابن حجر بكونه أخطأ الخ

واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وَأنَّ مَعَ الْعُسْرِ يسراً »

إصابته لك محتومه (١) لا يمكن أن يخطئك وما أخطأك فسلامتك منه محتومة فلا يمكن أن يصيبك لأنها سهام صائبة وجهت من الأزل فلا بد أن تقع مواقعها وما أحسن ما قيل

جرى قلم القضاء بما يكون   فسيان التحرك والسكون

فلم يبق سوى التوكل على الله سبحانه ، والسكون تحت جرى المقادير ، وما أحسن ما قيل

ولما رأيت القضا جاريا   بلا شك فيه ولا مرية
توكلت حقا على خالقى   وأسلمت نفسى مع الجرية

ففى الحديث تقرير وحض على تفويض الأمور كلها إلى الله تبارك وتعالى مع شهود أنه الفاعل لما يشاء وأن ما قضاه وأبرمه لا يمكن أن يتعدى حده المقدر له وهذا راجع إلى قوله تعالى « ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها » ثم مدار هذه الوصية على هذا الاصل إذ ما قبله وما بعده مفرع عليه وراجع إليه ؛ فان من علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب له ، وأن اجتهاد الخلق كلهم بخلاف المقدور لا يفيد شيئا البتة — علم أن الله وحده هو الضار النافع فأفرده بالطاعة وحفظ حدوده وخافه ورجاه وأحبه وأفرده بالاستعانة والسؤال له والتضرع إليه والرضا بقضائه فى حالة الشدة والرخاء (واعلم) تنبيه على أن شأن هذه الدار لا سيما مع الصالحين الأخيار كثرة الأعراض والانصاب، فينبغى الصبر للظفر بجزيل الثواب والرضا بالقضاء والقدر (أن النصر) من الله للعبد على جميع أعداء دينه ودنياه كائن (مع الصبر) على طاعة الله وعن معصيته ، وقيل الصبر على نكايتهم وعدم الانتصار منهم لنفسه (وأن الفرج) وهو كما فى الصحاح الخروج من الغم اه . حاصل سريعاً (مع الكرب) هو الغم الذى يأخذ بالنفس فلا دوام للكرب ، وحينئذ فينبغى لمن نزل به ذلك أن يكون صابراً محتسبا راجياً سرعة الفرج مما نزل به حسن الظن بمولاه فى جميع أموره ، فانه أرحم به من كل راحم إذ هو أرحم الراحمين (وان مع العسر يسراً)

---

(١) كذا بالاصول ولعل هنا نقصا يعلم من المقابل

(الرابع) عن أنس رضى الله عنـه قال « إنكم لتعملون أعمالا هى أدقُّ فى أعينكم مِن الشعرَ كنّا نعُدُّها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات »

كما نطق به قوله تعالى « فان مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً » ومن ثم ورد عنه ﷺ « لن يغلب عسر يسرين » أى لأن النكرة إذا كررت كانت الثانية غير الأولى ، والمعرفة إذا أعيدت كانت الثانية عين الأولى غالباً فيهما ، وليست الآية من غير الغالب خلافا لمن فهم ذلك فقال : وفى الآية عسران أيضا عسر الدنيا ومعه يسر وعسر الآخرة ومعه يسر ، ولا ينافى وقوع العسر لنا — كما صرحت به هذه الآية ، عدم وجود وقوعه كما صرح به قوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » لاختلاف المراد بالعسرين لأن المثبت هو العسر فى العوارض الدنيوية التي تطرق العبد بما لا يلائم نفسه كضيق الأرزاق ونحوها ، والمنفي هو العسر بالتكليف بالاحكام الشاقة كما قال تعالى « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » ثم اليسر السهولة ، ومنه اليسار لأنه تسهل به الأمور والعسر نقيضه ، وفى الصحاح كل ثلاثي أوله مضموم ووسطه ساكن فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه . وما تقرر فى « مع » فى محالها الثلاث من أنها على بابها هو الظاهر إذ أواخر أوقات الصبر والكرب والعسر هي أول أوقات النصر والفرج واليسر ، فقد تحققت المقارنة بينهما ، ومن لطائف اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر ، أن الكرب إذا اشتد وتناهى أيس العبد من جميع المخلوقين وتعلق قلبه بالله وحده وهذا هو حقيقة التوكل . وقد قال تعالى « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » والحديث بطريقيه أصل عظيم فى مراقبة الله ومراعاة حقوقه والتفويض لأمره والتوكل عليه وشهود توحيده وتفرده وعجز الخلائق كلهم وافتقارهم إليه

(الرابع : عن أنس رضي الله عنه قال) مخاطبا للمتساهلين فى الاعمال (إنكم لتعملون أعمالا) تستهونونها لعدم نظركم إلى عظم المعصى بها (هى) لذلك (أدق فى أعينكم من الشعر) استخفافا بها (كنا نعدها) لكمال الخشية الناشئة عن كمال المعرفة بالله الحاصلة بحلول نظر النبي ﷺ (على عهد) زمن (رسول الله ﷺ من الموبقات) وهذا كما جاء فى الخبر الآخر « لا تنظر إلى صغر

رواه البخارى ، وقال « الموبقات » المهلكات

(الخامس) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى يَغار ، وغَيرةُ الله تعالى أن يأتىَ المرء ما حرَّم الله عليه » متفق عليه « والغيرة » بفتح الغين وأصلها الأنفة

(السادس) عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم

الخطيئة وانظر إلى عظم من عصيت » وفى الخبر الآخر « المؤمن يرى ذنبه كأنه صخرة يخاف أن تقع عليه والكافر يرى ذنبه كأنه ذباب يمر على أنفه » وفى الحديث كمال مراقبة القوم لله تعالى وكمال استحيائهم منه حتى إنهم يرون تلك الأمور التى استهون غيرهم الوقوع فيها مهلكات لهم لعظم شهودهم جلال الله تعالى وعظمته . أحيا الله قلوبنا من موت الغفلة بمنته (رواه البخارى ، وقال) أى البخارى (الموبقات) بضم الميم (المهلكات) وفيه أن الانسان ينبغى له أن يحذر من صغار الذنوب فلعلها تكون المهلكة له فى دينه كما يحترز من يسير السموم خشية أن يكون فيها حتفه

(الخامس . عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : إن الله تعالى يغار ، وغيرة الله أن يأتي المرء ماحرم الله عليه) أى منعه أن يأتى ذلك (متفق عليه) ورواه أحمد والترمذي كلهم بزيادة « والمؤمن يغار » ورواه باسقاطها البخارى (والغيرة بفتح الغين المعجمة وسكون التحتية بعدها راء مهملة (وأصلها) فى وضع اللغة (الانفة) (١) بفتح أوليه أى الامتناع من الضيم ونحوه ، وفى شرح مسلم « أصلها المنع » والرجل غيور على أهله يمنعهم من التعلق بأجنبي بنظر أو غيره ، ومعنى غيرة الله تعالى منعه الناس من الفواحش أى وسائر المحرمات كما فى حديث الباب لكن الغيرة فى حق الناس يقارنها تغير حال الانسان وانزعاجه وهذا مستحيل فى حق الله تعالى اه .

(السادس . عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع) كلام (النبى ﷺ

---

(١) أى وأما فى الحديث فالمراد منها المنع بدليل قوله أى منعه أن يأتى ذلك . ع

يقول « إن ثلاثة من بنى إسرائيل . أَبرصَ ، وأقرَعَ ، وأَعْمى ، أراد الله أن يبتَلِيَهُمْ ، فبعث إليهم ملَكاً ، فأَتى الأبرصَ فقال : أَيُّ شيء أَحَبُّ إليك ؟ قال : لونٌ حَسَن ، وجلد حسَنٌ ويذهب عنى الذي قد قَذِرنى الناس

يقول) تقدم أن جملة يقول بدل اشتمال من مفعول سمع أو جملة حالية من المفعول المحذوف الذى قدرته ، وأتي به مضارعا بعد سمع الماضى إما حكاية لحال وقت السماع أو لاحضار ذلك فى ذهن السامع (إن ثلاثة من بنى إسرائيل) أى أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهم صلوات الله وسلامه عليهم (أبرص) أى به وضح وهو بالنصب بدل من ثلاثة وخبر إن محذوف ، أي أقص عليكم شأنهم ، ولو روى بالرفع لكان على القطع ، والفاء فى « فأراد الله » لتعقيب المفسر المجمل . ويصح عند من جوز دخول الفاء فى خبر إن أن يكون الخبر الجملة بعدها وكذا على حذفها كما فى نسخة (وأقرع) أى من ذهب شعر رأسه من آفة (وأعمى) العمى عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيراً (فأراد الله أن يبتليهم) (١) أى يعاملهم معاملة المبتلى المختبر وإلا فعلمه أزلى شامل للموجود والمعدوم قبل وجوده (فبعث) أرسل (إليهم ملكا) بفتح اللام فى صورة إنسان (فأتى) الملك (الأبرص) بدأبه ثم بالأقرع اهتماما بالتسجيل عليهما وتعجيلا للانتقام منهما ، وقدم الأبرص لأن داءه أقبح وأشنع ولونه أعظم (فقال) له (أى شىء أحب إليك ؟ قال : لون حسن) بالتنوين على الوصف (و) كذا (جلد حسن) لم يقتصر على طلب اللون الحسن ، لأن جلد البرص يحصل له من التقلص والتشنج والخشونة مايزيد به قبح صاحبه وعاره : فلم يكف طلب حسن اللون عن طلب حسن الجلد (ويذهب) عطف على ماقبله بتقدير أن (عنى) الداء (الذى قد قذرنى) بكسر الذال أى تباعد عنى وكرهنى (الناس) أى بسببه ، والعائد محذوف أى به ، قال الكرماني :

---

(١) فى بعض نسخ مسلم (يبليهم) باسقاط المثناة فوق ومعناها الاختبار اه شرح مسلم

فمسحه فذهب عنه قذره ، وأعطى لونا حسناً وجلداً حسناً . قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : الابل ؛ أو قال البقر — شك الراوى — فأعطى ناقةً عشراء فقال: باركَ اللهُ لك فيها . فأتى الأقرع فقال : أىُّ شىء أحب إليك ؟ قال شَعرٌ حَسنٌ ، ويذهب عنى هذا الذى قد قذرنى

وفى نسخة « قذرونى » على لغة أكلونى البراغيث (قال) صلى الله عليه وسلم (فمسحه) الملك ، أى أمرَّ يده عليه (فذهب عنه قذره) أى سبب قذره وهو البرص الذى كان به (وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا ، قال) الملك له (فأى المال) معروف وتصغيره مويل ، والعامة تقول مويل بتشديد الياء كذا فى الصحاح (أحب إليك ؟ قال الابل) بكسرتين وتسكن الموحدة تخفيفا أى الجمال اسم يقع على الواحد والجمع وليس بجمع ولا اسم جمع ، كذا قال ابن سيده ، وقال الجوهرى : ليس لها واحد من لفظها وهي مؤنثة لأن أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم ، وإذا صغرتها أدخلتها التاء فقلت أبيلة وغنيمة ونحو ذلك (أو قال البقر : شك الراوى) اسمه إسحاق بن عبد الله ، أى شك هل سمع الابل أو البقر ، والمرجح الابل لكونه اقتصر عليها فى قوله « فأعطى ناقة عشراء » ويؤيده الاقتصار فى الأقرع على البقر لا غير فتعين الابل للابرص . كذا قيل : لكن فى رواية للبخارى فى أبواب بنى إسرائيل هو شك فى ذلك أن الأبرص والأقرع قال أحدهما الابل وقال الآخر البقر اه . وبها يعلم أن الاقتصار في الاقرع على البقر من الراوى وإلا فالشك فيه كما قبله ، ويؤيد أنها الابل أيضا سؤال الملك له بعيراً وهذا كله بعد الشك (قال فأعطى) بالبناء للمفعول (ناقة عشراء (١) فقال : بارك الله) أى أوقع (لك) البركة وهو يحتمل أن يكون دعاء منه له بذلك ، وأن يكون إخباراً به (فيها) أى فى هذه الناقة (قال فأتى الاقرع) أى عقب تمام ما يتعلق بالأبرص كما تشعر به الفاء (فقال : أى شىء أحب إليك ؟ فقال : شعر حسن) بالتنوين على الوصف (ويذهب عنى هذا) الداء أى القرع (الذى قد قذرنى

---

(١) هى الحامل القريبة الولادة كما فى شرح مسلم . ش

الناس، فمسحه فذهب عنه وأعطى شعراً حسناً . قال: فأي المال أَحب إليك ؟ قال : البقر فأَعْطَى بقرة حاملا ، وقال بارك الله لك فيها . فأَتى الأَعْمى فقال : أى شيء أحبُّ إليك ؟ قال : أن يرد الله إلىَّ بصرى فأبصِرَ الناسَ ، فمسحه فرد الله إليه بصره . قال فأَى المال أحب إليك ؟ . قال الغنم ،

الناس) أى بسببه (قال فمسحه) الملك ، يحتمل أن يكون مسح محل الداء فقط وهو الأقرب ، وأن يكون مسح جميع بدنه لتعمه بركته (فذهب عنه) القرع (وأعطى شعراً حسنا قال) الملك له (فأى المال أحب إليك؟) أي من جميع الاموال، أى أيها تحب أن يكون لك منها (قال البقر) اسم جنس يقال على الذكر والانثى وإنما دخلته الهاء للفرق بين الوحدة والجمع ، والباقر جماعة البقر مع رعاتها، وأهل اليمن يسمون البقرة باقورا (فأعطى بقرة حاملا) لم يقل حاملة لاختصاص هذا الوصف بالمؤنث كحائض وطالق ، وإنما يحتاج إليها للفرق فى نحو قائم وقائمة (وقال بارك الله لك فيها) أى فى هذه البقرة (قال فأتى الاعمى فقال : أى شيء أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله إلى بصرى) أى القوة المودعة فى العينين التى بها تدرك المبصرات (فأبصر) بضم الهمزة (به الناس) أى أراهم ببصرى أى بعينى رأسي (قال فمسحه) أى أمر يده على عينيه . ويحتمل على جميع بدنه ، والأول أقرب . كما تقدم فى نظيره (فرد الله اليه بصره) أى القوة المدركة المذكورة (قال فأى المال أحب اليك قال الغنم) أى أحبه الى ، فهو مبتدأ محذوف الخبر، أو الاحب إلى الغنم فيكون خبر مبتدأ محذوف . وفى الصحاح : الغنم اسم مؤنث موضوع للجنس يقع على الذكور والاناث واذا صغرتها ألحقتها التاء فقلت غنيمة . لان أسماء الجموع — إلى آخر ما تقدم (١) يقال خمس من الغنم ذكور فيؤنث العدد وإن عنيت الكباش لان العدد يجرى فى تذكيره وتأنيثه على اللفظ لا على المعنى والابل كالغنم في جميع ما ذكرناه كذا نقله عنه الدميرى فى حياة الحيوان

---

(١) أى عقب قول المصنف (قال الابل)

فأعْطِىَ شاةً والدا فأَنْتِجَ هذان وولَّد هذا ، فكان لهذا وادٍ من الإِبل ولهذا وادمن البقر ،ولهذا وادٍ من الغنم ، ثم انه أتى الأَبرص فى صورته وهيئَتِهِ ، فقال : رجلٌ مسكينٌ قد انقطعت بى الحبال فى سفرى ، فلا بلاغ لى

(فاعطي) بالبناء للمجهول (شاة) المفعول الثانى لاعطى ومفعوله الأول نائب الفعل المضمر فى الفاعل (والدا) أى ذات ولد وقيل حاملا ، وفى جامع الاصول هى التى قد عرف منها كثرة الولد والنتاج (فأنتج هذان) سيأتى أنه بالبناء للفاعل لكن فى الصحاح . للعرب أحرف لا يتكلمون بها الا على سبيل المفعول وان كان (١) بمعنى الفاعل مثل قولهم زهى الرجل وعنى بالامر ونتجت الناقه والشاة وأشباهها اه . والمشار اليهما صاحبا الابل والبقر (وولد) بتشديد اللام (هذا) أى صاحب الغنم (فكان لهذا واد) أى ملؤه (من الابل ولهذا واد من البقر) من عطف معمولين على معمولى عامل واحد وهو جائز اتفاقا وقوله من الابل فى محل الصفة لواد ويجوز أن يكون حالا لتخصيصه بتقدم الخبر (ولهذا واد من الغنم . قال ثم إنه) أى الملك (أتى الابرص) متصورا (فى صورته) أى التى كان عليها (وهيئته) من رذالة الملبس وقيل الضمير فى صورته وهيئته يرجعان للملك أى جاءه بعد أن صار معافى غنيا فى الصورة التي قد جاءه فيها وهو بضد ذلك فدعا له فذهب عنه (فقال رجل مسكين) بكسر الميم من المسكنة الحاجة . خبر مبتدأ محذوف أى أنا رجل محتاج (قد انقطعت بى) الباء للتعدية (الحبال) الرواية المشهورة بالمهملة والموحدة كما سيأتى فى الاصل واحده حبل وهو المستطيل من الرمل وقيل الاسباب في طلب الرزق . قال القرطبي وهذا أوقع التفسيرين وفى رواية لمسلم «الحيال» بالتحتية من الحيلة ومن رواه بالجيم والموحدة كبعض رواة البخارى ففيه بعد ، بل قال بعضهم إنه قد صحف (فى سفرى) ظرف لغو متعلق بانقطعت ، أو ظرف مستقر حال من الضمير المجرور (فلا بلاغ لى) البلاغ ما يتبلغ ويتوصل به الى الشيء المطلوب ، أى لا وصول

(١) وان كان أى السبيل ولو أنث لكان أوضح . ع

اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسنَ والمال، بعيراً أتَبَلَّغُ به فى سفرى ، فقال . الحقوقُ كثيرةٌ . فقال كأَني أعرفك

لى لما أريده (اليوم الا بالله) أى إيجاده و تيسيره (ثم بك) لكونك مظهراً للخير (١) يجرىْ على يديك ، وثم هى هنا للترتيب في التنزل ولم يقل وبك دفعا لايهام التشريك ، ولذا كان الاتيان بثم هو الأدب المتأكد كما يأتى ، وهذا (٢) من الملك من المعاريض التي يقصد بها التوصل إلى افهام المقصود من غير أن يراد حقيقتها ، كما فى قول ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم . هذا ربى ، وهذه أختى ، أسألك) أى أقسم عليك مستعطفا (٤) الله (الذى أعطاك اللون (٣) الحسن والجلد الحسن) بفتح المهملتين أى بعد الابتلاء فى اللون والجلد (والمال) أى بعد الابتلاء بالفقر (بعيراً) هو اسم يقع على الذكر والأنثى ، وهو من الابل بمنزلة الانسان من الناس . والجمل بمنزلة الرجل والناقة بمنزلة المرأة والقعود بمنزلة الفتى ، والقلوص بمنزلة الجارية ، وإنما يقال له بعير إذا أجذع والجمع أبعرة وأباعر وبعران (أتبلغ) بتشديد اللام أى من البلغة وهى الكفاية (به) كذا رواية الكشميهنى في البخارى وعند غيره فيه (٤) « عليه » أى بعيراً اكتفى به أو حال كوني عليه (فى سفرى فقال) الابرص (الحقوق كثيرة) أى على فلا فاضل عن الحاجة لاعطيك اياه فانظر غيرى (فقال) الملك (انه) أى الشأن (كاني) بتشديد النون (أعرفك) الظاهر أن كأن فيه للتحقيق وهو معنى أثبته الكوفيون وذكره ابن هشام فى المغني ، قال العلوى وهو التحقيق وأنشدوا عليه :

وأصبح بطن مكة مقشعرا　　كان الارض ليس بها هشام

(١) (مظهراً للخير (هاتان ساقطتان من بعض النسخ (٢) أى قوله «رجل مسكين الخ (٣) فى نسخة من عليك باللون الخ
(٤) أى فى البخارى

ألم تــكن أبرص يَقْذَرُك الناسُ فقيراً فأعطاك الله ؟ فقال إنما وُرِّثْتُ هذا المال كابراً عن كابرٍ .

أى لان الارض ، وقال ابن السيــد فى شرح شواهد الجمــل : جرت عادة النحويين أن يجعلوا كأن للتشبيه حيث وقعت وليس ذلك بصحيح إنما تــكون تشبيها محضاً إذا وقع فى الخبر اسم ممثل به اسمها ويكون الخبر أرفع من الاسم أو أحط ومنه نحو كأن زيداً ملك أو كأن عمراً حمار . أما إذا كان خبرها فعلا أو ظرفا (١) أو مجرورا أو صفة من صفات اسمها فانها يدخلها حينئذ معنى الظن والحسبان نحو كأن زيداً قائم أو فى الدار ، فلست تشبه زيداً بشىء هاهنا وانما تظن أنه قائم أو فى الدار انتهى بلفظه . لكن الذى صححه ابن مالك وأبو حيان والرضى وغيرهم ماذهب اليه الجمهور من أن التشبيه لا يفارقها وأن ما أوهم خلافه مؤول (ألم) استفهام تقريرى (تكن أبرص تقذرك) بفتح الذال المعجمة أى تكرهك (الناس) أى فعافاك الله (فقيرا) أى محتاجا (فأعطاك الله فقال انما ورثت) بتشديد الراء مبنى للمفعول وبتخفيفها مبنى للفاعل (هذا المال كابرا عن كابر) أي كبيرا عن كبير فى العز والشرف أى ورثته عن أبى وجدى ، وحاصله إنكار تلك الحال ودعوى أنه نشأ فى تلك الاحوال فهى غير متجددة عليه ، وهذا من انــكار النعم وكفر المنعم ؛ حمله عليه البخل ، وحق العبد ألا يزال لنعم مولاه شاكرا ، ولأحواله التى كان عليها وآل اليها ذاكرا ، وفى الحوض المورود للشيــخ عبد الوهاب الشعرانى : أخذ علينا العهود اذا حصل لنا ضخامة وقيام ناموس بين الناس ألا ننسى صفتنا التى كنا عليها قبــل من الثياب الخلقة وخدمة النــاس وضيق المعيشــة ونحو ذلك ، وذلك لنعرف الله بالنعم ، فان من نسى حاله أيام صغره قل شكره ؛ وربما قال : نحن بحمد الله نشأنا فى الضخامة أبا عن جد ليوهم من لم يعرفه أن حاله لم يزل كذلك : وقد دخل شخص على معن بن زائدة فقال له :

أتذكر إذ قميصك جــلد شاة ... وإذ نعلاك من جلد البعــير

فقال معن : أذكر والحمد لله رب العالمين . فقال :

فقد جل الذى أعطاك ملكا ... وعلمك الجلوس على السرير

---

(١) فعلا كما فى الحديث أو ظرفاً نحو كأن عليا عندى

فقال إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنتَ (وأتى الأقرع فى صورته وهيئته) فقال لهمثلَ ماقال لهذا ورد عليه مثل مارد هذا . فقال إن كنت كَاذبا فصيرّكَ الله إلى ما كنت ،(وأتى الأعمى فى صورته وهيئته) فقال . رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال

فقال : جل ربي وعز . فقال :

فجدلي يابن ناقصة بمال   فانى قد عزمت على المسير

فأمر له بمال جزيل وشكر له تذكيره الحالة التى لعله نسيها اه . وقال القرطبي حمل هذا القائل بخله على نسيان منة الله تعالى وجحد نعمه وعلى الكذب ثم أورثه ذلك سخطه الدائم وذلك بشؤم البخل ، واعتبر بحال الاعمى لما اعترف بشكر النعم وسخت نفسه بما ثبتها الله عليه وشكر فعله رضى عنه كما يأتى (فقال) الملك (إن كنت كاذبا فى دعواك) وأتى بان الموضوعة للشك فى الشرط مع أنه جازم به مماشاة ومساجلة أو أن إن فيه بمعنى إذ (فصيرك الله) بتشديد الياء التحتية (الى ما كنت قال وأتى الاقرع فى صورته) التى يقذرها الناس (وهيئته) التى يحقرونها لرثاثتها وسقطت هذه المعطوفة عند صاحب المشكاة في روايته المعزوة للصحيحين ، قال شارحها ابن حجر : لم يقل هنا وهيئته اختصارا أو إشارة إلى شدة لؤم الابرص وغباوته فانه مع كونه أتى له فى صورته وهيئته التى أتاه عليها أولا ، وحصل له منه ما حصل من الشفاء والغنى أنكر معرفته وتجاهل به وتفاخر عليه بانه انما جاءه المال من أبيه فضم إلى كذبه قبائح تنبىء عن أنه انتهى فى اللؤم والحمق الى غاية لم يصلها غيره (فقال له) الملك (مثل ما قال لهذا) الابرص (ورد) الاقرع (عليه مثل مارد هذا) الابرص (فقال) الملك (ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت) عليه من القرع والفقر (قال وأتى الاعمى) متشكلا (فى صورته) أي فى صورة آدمى أعمي (وهيئته فقال) الملك (رجل) أى صورة إذ الملائكة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة (مسكين وابن سبيل) أى مسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمى القاطع ابن الطريق ، ويحتمل أنه أراد أنه ضيف وسمي به لأن السبيل تظهر به (انقطعت بى الحبال

في سفري فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذى رد عليك بصرَكَ شاةً أتبلَّغُ بها فى سفرى فقال : قد كُنتُ أعمى فرد الله إلىَّ بصرى . فخذ ماشئت ودع ماشئت ، فوالله لاأجهَدُك اليوم بشىء أخذته لله عزَّ وجلَّ ، فقال أمسك مالك ، فانما ابتليُتم فقد رضى الله عنك وسخط عَلَى صاحبيك » متفق عليه . و (الناقة العشراء) بضم العين وفتح الشين وبالمد هي الحامل .

فى سفرى ، فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك ، أسألك بالذى رد عليك بصرك) أى القوة الباصرة المدرك بها المبصرات (شاة أتبلغ بها فى سفرى) فقال ذلك الرجل متذكرا نعم الله تعالى عليه وحسن حاله بعد بؤسه (قد كنت أعمي فرد الله إلى) بتشديد الياء وفى نسخة على (بصرى فخذ ماشئت) أى من المال (ودع ماشئت) منه (فوالله لاأجهدك) بفتح الهاء وهذه رواية مسلم (اليوم بشىء) أى في ردشيء (أخذته لله) علة لعدم الاجهاد أى لاأشق عليك لله أو للاخذ ، وشتان مابين هذا وقول ذينك « الحقوق - أى الموانع من الاعطاء - كثيرة فلا يمكن أن أعطيك شيئا وان قل » (فقال) الملك (أمسك مالك فانما ابتليتم) أى امتحنتم أى عاملكم الله العالم بجميع الامور معاملة المبتلى المختبر ليرتب على عملكم أثره : إذ الجزاء إنما جعله الله مرتبا على مايبدو فى عالم الشهادة لاعلى ماسبق فى علمه (فقد رضى عنك وسخط) بالبناء للمجهول (على صاحبيك) والرضا والسخط المراد بهما فى حقه تعالى لازمهما مجازا مرسلا إما عن ارادة الاثابة والتعذيب فيكونان صفتى ذات ، أو التعذيب والاثابة نفسهما فيكونان صفتى فعل (متفق عليه) وانفرد به الشيخان عن باقي أصحاب الكتب الستة (والناقة العشراء بضم العين) المهملة وفتح الشين) المعجمة (وبالمدهى الحامل) كذا أطلقه وهو قول ، وقيل الحامل التي أتي عليها من حملها عشرة أشهر من يوم طرقها الفحل وهى من أنفس الابل ،

قوله (أنْتِج وفى رواية . فنتج) معناه تولى نتاجها و (الناتج) للناقة كالقابلة للمرأة وَقوله (ولد هذا) هو بتشديد اللام أى تولى ولادتها وهو بمعنى أنتج فى الناقة . فالمولد والناتج والقابلة بمعنى ، لكن هذا للحيوان وذاك لغيره قوله : (انقطعت بى الحبال) هو بالحاء المهملة والباء الموحدة أى الأسباب وقوله (لاأجهدك) معناه لاأشقُّ عليك فى رد شىء تأخذه أو تطلبه من مالى . وفى رواية البخارى (لاأحمدك) بالحاء المهملة والميم ومعناه لاأحمدك بترك شىء تحتاج اليه ،

وفى مختصر القاموس العشراء من النوق التى مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية وهي كالنفساء من النساء جمعه عشراوات وعشار اه . (قوله انتج) بالبناء للفاعل هو شاذ قليل لانه لم يسمع من هذه المادة إلا نتج مبنى للمفعول ؛ والنتاج الاولاد والنتج والانتاج تولى الولادة (وفى رواية فنتج) بالبناء للفاعل كذلك (ومعناه تولى نتاجها) الاقرب أن معناه ولد الابل والبقر ومعنى ولد الغنم : أي صيرها والدة أى منسوبة للولادة ، نحو فسقت الرجل نسبته للفسق (والناتج للناقة كالقابلة للمرأة وقوله : ولد هذا هو بتشديد اللام أي تولى ولادتها وهو بمعنى نتج فى الناقة فالمولد والناتج والقابلة بمعنى) وهى المتولية للولادة (لكن) فى عرف الاستعمال (خص هذا) أى الناتج (لحيوان) هو الابل والبقر (وذاك) أى المولد (لغيره) أى الغنم والقابلة لبنى آدم (قوله : انقطعت بى الحبال وهو بالحاء المهملة والباء الموحدة أى الاسباب وقوله : لا أجهدك) بالجيم والهاء وهى رواية مسلم (معناه لا أشق عليك فى رد شىء) فهو على حذف مضاف (تأخذه) بأن أنزعه منك (أو تطلبه من مالي) بان أمنعه قال القرطبي قال صاحب الافعال جهدته وأجهدته . بالغت فى مشقته . وقيل معنى أجهدك لا أقلل لك فيما تأخذه . والجهد مايعيش به المقل ومنه « والذين لايجدون إلا جهدهم » (وفى رواية البخارى) وهي عند ابن ماهان كما قال القرطبي (لا احمدك بالحاء) المهملة (والميم) وبلا النافية (ومعناه لا احمدك بترك شىء تحتاج اليه) فهو على تقدير المضاف وذلك لطيب نفسي بما

كما قالوا « ليس عَلَى طول الحياة ندم » أى على فوات طولها .

(السابع) عن أبى يَعْلَى شَدَّادِ بن أوس رضي اللهُ عنهُ عن النبى صلى اللهُ عليه وسلم قال « الكيِّسُ مَن دان نفسَه وعَمِل لما بعد الموت ، والعاجزُ من أَتْبع نفسه

تأخذه (كما قال) أى الشاعر (ليس على طول الحياة ندم أى على فوات طولها) وقال الشاعر

أتوب اليك يامولاي مما على به تواترت الذنوب
وأماعن هوى ليلى وتركي زيارتهـا فانى لاأتوب

أى وعدم تركي زيارتها . قال الكرمانى فى شرح البخـارى : أو انه من قولهم فلان يتحمد أى يمتن . يقال من أنفق ماله على نفسه فلا يتحمد به على الناس ، قال وروى « لأحمدك » باللام فقط قبل المضارع من الحمد

(السابع عن أبى يعلى) بفتح التحتية وسكون المهملة (شـداد بن أوس) بفتح الشين المعجمة وتشديد الدال الاولى (رضى الله عنه) وأوس بفتح الهمزة وسكون الواو آخره سين مهملة ابن ثابت بن المنـذر بن حرام بن عمرو بن زيد ابن مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار الانصاري وهو ابن أخى حسان ابن ثابت ؛ الجامع بين العلم والعمل والحلم مات بفلسطين سنة ثمان وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سـنة وقال المصنف فى التهذيب مات ببيت المقـدس وقبره بظاهر باب الرحمة باق إلى الآن اه . روى له عن رسول الله ﷺ خمسون حديثا أخرجاله حديثين انفرد بأحدهما البخاري وبالآخر مسلم (عن النبى ﷺ قال الـكيس) العاقل (من دان نفسه) أى حاسبها ومنعها مستلذاتها وشهواتها التى فيها هلاك دينها (وعمل لما بعد الموت) من القبر وما بعده صالح العمل المؤنس له فى الوحدة والوحشة ، وما أحسن ماقيل :

بالله يانفس اسمعي واعقلى مقالة قـد قالهـا ناصح
لاينفع الانسان فى قبره إلا التقى والعمل الصالح

(والعاجز) التارك لما يجب فعله بالتسويف (من أتبع) باسكان الفوقية (نفسه

هَواها وتمنى عَلَى الله » رواه الترمذى ، وقال حديث حسن ، قال الترمذى وغيره من العلماء : معنى (دان نفسه) حاسبها

(الثامن) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المرءِ تركُهُ مالا يَعنيه »

هواها) أى جعلها تابعة لما تهواه مؤثرة لشهواتها معرضة عن صالح الاعمال لكونه على خلاف ماتدعو إليه النفس (وتمنى على الله) الفوز فى الآخرة ، فالحاصل أن الحزم الاتيان بواجب العبودية من أداء الخدمة ، ومحاسبة النفس حذر مجاوزة الحدود وعدم الالتفات إلى ذلك بالقلب والركون إليه بل يكون اعتماده مع ذلك على فضل مولاه سبحانه وأما ترك أداء مقام العبودية فذلك من رعونات النفس الخفية لاسيما إن أوقعها فى ميدان شهواتها الذي فيه هلكها ومحقها (رواه الترمذى) وكذا رواه أحمد وابن ماجه والحاكم (وقال) الترمذي (حديث حسن) ورواه البيهقى من حديث أنس ذكره فى الجامع الصغير (قال الترمذى وغيره) من العلماء (معنى دان نفسه حاسبها) حكاه فى النهاية بقيل وفسره هو بقوله أى أذلها واستعبدها والحساب من جملة معانى الدين ذكره فى القاموس . وفى الكشاف فى قوله تعالى « إنا لمدينون » أو معناه (١) لمسوسون أى مربوبون من الدين بمعنى السياسة ومنه حديث « الكيس من دان نفسه » اه

(الثامن (٢) . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من حسن إسلام المرء) من فيه تبعيضية أو ابتدائية وتقديم الخبر لكون التركيب من قبيل على التمرة مثلها زبداً ، وحسن الاسلام عبارة عن كماله ، وهو أن تستقيم نفسه فى الاذعان لأمر الله تعالى والاستسلام لأحكامه ، وهو علامة شرح الصدر بنور الرب (تركه مالا يعنيه) أى مالا يريده ، ولايحتاج إليه ،

---

(١) قوله (أو معناه الخ) عطف على كلام سابق فى الكشاف واقتصر على الثانى هنا لأنه المقصود

(٢) هذا هو الحديث الثامن من الاربعين للمصنف

ولاضرورة إليه فيه ، ولا ينفعه بكون عيشه بدونه ممكناً ، وذلك يشمل الافعال الزائدة والاقوال الفاضلة[(١)] فينبغى ألا يشتغل إلا بما فيه صلاحه معاشا ومعاداً بتحصيل مالا بد منه فى قوام البدن وبقاء النوع الانسانى ، ثم بالسعى فى الكمالات العلمية والفضائل العلية ، التى هى وسيلة لنيل السعادة الأبدية ، والفوز بالنعم السرمدية وأن يعرض عما عدا ذلك ، وذلك إنما يكون بالمراقبة ومعرفة أنه فيما يأتيه بمرأى ومسمع من الله سبحانه وتعالى وأنه لايخفى عليه شىء من شأنه ، قال معروف : علامة مقت الله للعبد أن تراه مشتغلا بما لايعنيه ، فان من اشتغل بما لايعنيه فاته مايعنيه ، وقال الغزالى : حد مالا يعنيك فى الكلام أن تتكلم بما لوسكت عنه لم تأثم ولم تتضرر حالا ولا مآلا ، قال : فان شغلت بما لايعنيك فانك مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك ، إذ تستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، ولو صرفته فى الذكر والدعاء ربما انفتح لك من نفحات الله مايعظم جدواه ومن قدر على أن يأخذ كنزاً من كنوز الجنة وأخذ بدله بدرة كان خاسراً وما أحسن ماقيل

اغتنم ركعتين فى ظلمة الليـ ـل إذا كنت فارغا مستريحا
وإذا ماهممت بالخوض فى البا طل فاجعل مكانه تسبيحا

وقول الحافظ أبى إسماعيل البخارى كما عزاه إليه الحاكم فى تاريخه :

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغته
كم صحيح تراه من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلته

وقلت فى المعنى :

واغتنم فى الحياة حسب اقتدار طاعة الله كى تفوز بقربه
لاتسوف إلى غد كم صحيح مات فى الحال من تقلب قلبه

(حديث حسن رواه الترمذى وغيره) فرواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والقضاعى فى سند الشهاب ، وعن أبى داود قال أقمت بطرسوس فاجتهدت فى المسند فاذاهو أربعة آلاف حديث ثم نظرت فاذامدارها على أربعة . وذكر هذامنها اهـ .

---

(١) أى الصادرة فضولا . ش

(التاسع) عن عمر رضىَ اللهُ عنهُ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« لا يُسألُ الرجلُ فيم ضربَ امْرأتَهُ » رواه أبو داود وغيره .

﴿ باب فى التقوى ﴾

(التاسع عن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يسأل)
بالبناء للمجهول (الرجل فيم) بحذف ألف ما الاستفهامية لجرها بفى ، أى بأى
سبب (ضرب امرأته) لاحتمال أن يكون السبب مما يستحيا من ذكره كالامتناع
من التمكين بل يترك ذلك إليه وإلى مراقبته لمولاه إلا إن احتاج الأمر إلى جريان
الأحكام والرفع إلى الحكام فتبين الأمور (رواه أبو داود وغيره) فرواه
الامام أحمد ، والحديث صحيح كما صرح به ابن حجر الهيتمى في كتابه
تنبيه الاخيار

ولما كانت نتيجة مراقبة العبد لمولاه فى سائر الأحوال وأنه بمرأى منه
لا يخفى عليه شىء ، من شأنه امتثال الأوامر واجتناب النواهي وذلك هو
التقوى ، عقبها بها فقال :

باب التقوى

أصلها « وقوى » بكسر أوله وقد يفتح من الوقاية أبدلت تاء كتراث
وتخمة وهي ما يستر الرأس ، فهى اتخاذ وقاية (١) تقيك مما تخافه وتحذره ،
فتقوى العبد لله أن يجعل بينه وبين ما يخشاه وقاية تقيه منه ، وهى امتثال أوامره
تعالى واجتناب نواهيه بفعل كل مأمور به وترك كل منهى عنه حسب الطاقة ،
فمن فعل ذلك فهو من المتقين الذين شرفهم الله تعالى فى كتابه بالمدح والثناء
« وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » وبالحفظ من الأعداء
« وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » وبالتأييد والنصرة « إن الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون » وبالنجاة من الشدائد والرزق من الحلال
« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » قال أبو ذر : قرأ

---

(١) فى الاصل يقيك . ع

رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال : « يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم » وباصلاح العمل وغفران الذنب « اتقوا الله وقولوا قولا سديد يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم » وبكفلين من الرحمة والنور « اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به » وبالقبول « إنما يتقبل الله من المتقين » وبالاكرام والاعزاز عند الله تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وبالنجاة من النار « ثم ننجي الذين اتقوا » وبالخلود فى الجنة « أعدت للمتقين » و بغاية ذلك القصوى وهي محبة الله تعالى وموالاته وانتفاء الخوف والحزن وحصول البشارة فى الدنيا والآخرة والفوز العظيم « إن الله يحب المتقين » « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » ولو لم يكن فى التقوى سوى هذه الخصلة لكفت . وفى أوائل تفسير البيضاوى : للتقوى ثلاث مراتب ﴿ الأولى ﴾ التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك ، وعليه قوله تعالى « وألزمهم كلمة التقوى » ﴿ والثانية ﴾ التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم ، وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا » ﴿ والثالثة ﴾ أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره (١) ، وهو التقى الحقيقى المطلوب بقوله تعالى « اتقوا الله حق تقاته » ثم قال فى قوله تعالى « اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » نبه به على أن التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرى من كل شىء سوى الله تعالى اه . فحمله على المقام الأكمل من مراتبها . وفي كتاب التقوى لابن أبى الدنيا والحلية وغيرهما أنه قيل لابي الدرداء إنه ليس أحد له بيت فى الانصار إلا وقد قال شعراً فقال : وأنا قد قلت فاسمعوه

يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتى ومالى وتقوى الله أولى ما استفادا

اه وقلت فى شرف التقوى :

عليك بالتقوى لرب الورى فخير أمر المرء تقواه
واله عن المال ففيه الاذى ولست والرحمن تقواه

---

(١) أى جميعه وليراجع لفظ يتبتل . ع

قال الله تعالى (يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِه) وقال الله تعالى (فاتَّقُوا الله ما استَطَعْتُم) وهذه الآية مبينة للمراد من الأولى

(قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) سبق الكلام فيها فى باب الصدق — (وقال تعالى : اتقوا الله حق تقاته) بأن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر ، خرجه الحاكم مرفوعا، وعن أنس : « لا يتقي الله العبد حق تقاته حتى يخزن من لسانه »

(وقال تعالى : فاتقوا الله ما استطعتم . وهذه الآية) المقيد فيها أمر التقوى بالاستطاعة (مبينة للمراد من) الآية (الأولى) الخالية من ذلك التقييد ، وذلك بأن يقال المراد أن يطاع فلا يعصى بحسب الاستطاعة وكذا ما بعده ، وقال ابن الجوزى : قال ابن عقيل : ليست منسوخة لان قوله « ما استطعتم » بيان لحق تقاته وأنه بحسب الطاقة ، فمن سمى بيان المراد نسخا فقد أخطأ ، وهذا فى تحقيق الفقهاء تفسير مجمل وبيان المشكل ، وذلك أن القوم ظنوا أن ذلك تكليف ما لا يطاق فأزال الله إشكالهم وبين أنى لم أرد بحق تقاته ما ليس فى الطاقة اه . وقيل إنها منسوخة بهذه قال السيوطى فى تفسيره وفى الاكليل بعد أن ذكر تفسيرها بما سبق : فقالوا يارسول الله فمن يقوى على هذا ؟ فنسخ بقوله « فاتقوا الله ما استطعتم » اه . قال بعض المحققين : وينبغى أن لا نسخ إذ لا يصار اليه إلا بشروط لم توجد كما يعلم من محله ، وقال ابن الجوزى فى عمدة العالم الراسخ فى المنسوخ والناسخ : فى الآية قولان ﴿ أحدهما ﴾ أنها منسوخة ثم نقل فى ذلك آثاراً وقال بعده وإلى هذا ذهب الربيع ابن أنس وابن زيد ومقاتل بن سليمان ، ومن نصر هذا القول قال حق تقاته هو القيام له بجميع ما يستحقه من طاعته واجتناب معصيته ، قال وهذا أمر يعجز الخلائق فكيف بالواحد ؟ ! فوجب أن تكون منسوخة وأن يعلق الامر بالاستطاعة ﴿ والقول الثانى ﴾ أنها محكمة . ومن نصر هذا القول قال حق تقاته هو اجتناب ما نهى عنه وامتثال ما أمر به ولم ينه عن شيء ولا أمر به إلا وهو داخل تحت الطاقة . فقد فهم الأولون من الآية تكليف ما لا يطاق فحكموا بالنسخ . وقد رد عليهم قوله تعالى « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وأما قوله

وَقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً)
والآيات فى الأمر بالتقوى كثيرة معلومة
وقال تعـالى (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبْ)

« حق تقاته » فالحق بمعنى الحقيقة اه . وفى شرح الأربعين لابن حجر الهيتمي إنما يتم هذا أى كون هذه الآية تفسيراً لتلك على تفسير حق تقاته بامتثال أمره واجتناب نهيه . أما على المشهور من تفسيره بأن يذكر فلا ينسى الخ فالاوجه النسخ ، فان هذه لما نزلت تحرجت الصحابة منها فقالوا : أينا يطيق ذلك فنزلت تلك اه وبقولى « وذلك بأن يقال الخ »(١) اندفع ماقاله من أن الاوجه النسخ ، ونزولها عقب تحرجهم من تلك لا يستلزم النسخ فتأمل ، ولذا جرى هو فى مكان على موافقة المصنف وترجيح ماقاله من غير تقييد بما ذكر ، وكأن وجهه أن يقيد مافى تفسيرها المشهور بحسب الطاقة

(وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) صوابا (يصلح لكم أعمالكم) يتقبلها أو يوفقكم للاعمال الصالحة (ويغفر لكم ذنوبكم) يجعلها مكفرة باستقامتكم فى القول والعمل (والآيات فى الأمر بالتقوى كثيرة معلومة)

(وقال تعالى : ومن يتق الله يجعل له مخرجا) من كرب الدنيا والآخرة (ويرزقه من حيث لا يحتسب) يخطر بباله . فى تفسير البيضاوى يروى أن سالم بن عوف بن مالك الاشجعى أسره العدو فشكا أبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اتق الله وأكثر قول لاحول ولا قوة إلا بالله » ففعل فبينما هو فى بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنه العدو فاستاقها ، وفى رواية : إذا رجع ومعه غنيمات ومتاع ، قلت روى الثعلبي الثانى (٢) وفيه أنه جاء بأربعة آلاف شاة . والبيهقي فى الدلائل الاول . قال الحافظ ابن حجر فى تخريج

---

(١) أي عقب قول المصنف (مبينة للمراد من الاولى) . ع

(٢) الحديث الثانى هو الذى فيه (إذا رجع) الخ

وقال تعالى (إنْ تتَّقُوا اللهَ يَجْعلْ لَكمْ فُرْقَانًا وَيُكفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ واللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم) والآيات فى الباب كثيرة معلومة .

وَأما الأحاديث . (فالأول) عن أبى هريرة رَضى الله عنهُ قال : قيل « يارسول اللهَ مَنْ أكرَم الناس ؟ » قال « اتقاهم » فقالوا « ليس عن هذا نسألك » قال (فيوسفُ نبيُّ الله ابْنُ نبى الله ابْنُ نبى الله ابْنُ خليلِ الله »

أحاديث الكشاف وأخرج الحاكم عن جابر قال : نزلت هذه الآية فى رجل من أشجع كان فقيراً خفيف ذات اليد كثير العيال ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ، فقال له « اتق الله واصبر » فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ابن عم له بغنم كان العدو أصابوه فذكر نحو حديث عوف السابق مختصراً وفى سنده من تكلم فيه اه

(وقال الله تعالى : إن تتقوا الله) بالامانة وغيرها (يجعل لكم فرقانا) بينكم وبين ما تخافون فتنجون (ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم) ذنوبكم (والآيات فى الباب كثيرة معلومة) وقد سبق جملة منها أول الباب

(وأما الاحاديث) النبوية (ف) الحديث (الأول) منها (عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قيل يارسول الله من أكرم الناس ؟) قال المصنف فى شرح مسلم : أصل الكرم كثرة الخير فلما سئل صلى الله عليه وسلم أى الناس أكرم أخبر بأكمل الكرم وأعمه (فقال : أتقاهم) لله فان من كان متقياً كان كثير الخير فى الدنيا صاحب الدرجات العليا فى الآخرة اه . وقال بعضهم : الكريم هو المتقي لله وهو المنقطع عن الاكوان (فقالوا ليس عن هذا) الكرم (نسألك قال ف) أكرم الناس (يوسف) بتثليث السين مع الهمزة وتركه فانه جمع خيرى الدارين وشرفهما فانه مع كونه (نبى الله بن نبي الله) يعقوب (ابن نبى الله) اسحاق ابن خليل الله) ابراهيم انضم اليه شرف علم الرؤيا وتمكنه فيه ورياسة الدنيا

قالوا « ليس عن هذا نسألك » قال « فعن معادن العرب تسألونى خِيارُهُمْ فى الجاهِلية خيارهمْ فى الاسلام إذا فَقُهُوا » متفق عليه و « فقهوا » بضم القاف على المشهور وحكى كسرها أى علموا أحكام الشرع

(الثانى) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

وملكها بالسيرة الجميلة وأحاطته للرعية وعموم نفعه إياهم وشفقته عليهم ؛ وماذكر من تكرير ابن نبي الله مرتين هو كذلك فى بعض روايات البخارى وهو الأصل ووقع فى رواية مسلم وبعض روايات البخاري « نبي الله بن نبى الله ابن خليل الله » وهذه الرواية مختصرة من تلك الرواية إذ هو يوسف بن يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم (فقالوا ليس عن هذا) أيضاً (نسألك) ففهم حينئذ أن مرادهم قبائل العرب (فقال فعن معادن العرب تسألونى) قالوا نعم وسكت عنه لدلالة السياق عليه فقال (خيارهم) بكسر الخاء المعجمة (فى الجاهلية) ما قبل الاسلام سموا بذلك لكثرة جهالاتهم (خيارهم فى الاسلام) أى ان أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق فى الجاهلية هم أصحابها فى الاسلام وهم الخيار (إذا فقهوا) أى صاروا فقهاء عالمين بالأحكام الشرعية الفقهية . قال القاضى عياض : قد تضمن الحديث فى الأجوبة الثلاثة أن الكرم كله عمومه وخصوصه مجمله ومفصله إنما هو بالدين من التقوى والنبوة والاعتراف بها والاسلام مع الفقه (متفق عليه . وفقهوا بضم القاف على المشهور وحكى كسرها) يقال فقه بضم القاف اذا صار ذا سجية وبكسرها بمعنى فهم وفى شرح مسلم : الفقه فى اللغة بمعنى الفهم يقال فقه يفقه كفرح يفرح . أما الفقه الشرعي فقال صاحب العين والهروى وغيرهما يقال منه فقه بضم القاف وقال ابن دريد بكسرها كالأول وقد روى فقه فى دين الله بالوجهين والمشهور الضم اه (أي علموا أحكام الشرع) ظاهره أصولا وفقها وسلوكا ولا شك أن ذلك أكمل الانواع والجامع بين الجميع هو الانسان الكامل

(الحديث الثانى) من أحاديث الباب (عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه

عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال « إنَّ الدنيا حُلوةٌ خَضِرة ، وإن الله مستخلِفُكم فيها فينظرُ كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أولَ فتنةِ بنى إسرائيل كانت فى النساء »

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الدنيا حلوة خضرة) بفتح المعجمة الأولى وكسر الثانية. قال فى النهاية :الخضر نوع من البقول ليس من أحرارها وجيدها فشبه الدنيا للرغبة فيها والميل اليها بالفاكهة الحلوة الخضرة : فلن الحلو مرغوب فيه من حيث الذوق ، والأخضر مرغوب فيه من حيث النظر ، فاذا اجتمعا زادت الرغبة وفيه اشارة الى عدم بقائها وهو من التشبيه المطوى فيه الاداة قيل والفرق بين هذا النوع والاستعارة أن هذا لا يتغير حسنه اذا ظهرت الاداة فان قولك المال خضرة في الحسن كقولك المال كالخضرة ولا كذلك الاستعارة ، فان قولك رأيت أسدا يرمى ليس كقولك رأيت رجلا كأسد ذكره العاقولى (وان الله مستخلفكم فيها) بكسر اللام أي جعلكم خلفا فى الدنيا أى أنتم بمنزلة الوكلاء فيها وقيل معناه جعلكم خلفاء ممن كان قبلكم فانها لم تصل إلى قوم إلا بعد آخرين (فينظر) أى فيعلم علم مشاهدة وعيان (كيف تعملون) من انفاقها فى مراضيه فتثابون أو فى مساخطه فتأثمون : فان الجزاء إنما يترتب على مايبدو فى عالم الشهادة من الاعمال كما تقدم ، أو فينظر كيف تعملون أى أتعتبرون بحالهم وتتدبرون فى مآلهم (فاتقوا الدنيا) أى اجتنبوا فتنتها واحذروا ان تميلكم محبتها والاغترار بها عن أوامر الله تعالى واجتناب مناهيه فيها (واتقوا النساء)أى اجتنبوا الافتتان بهن أى أن يمنعكم التمتع بهن لاستيلاء محبتهن عن القيام بأداء حقوق العبودية والتقرب إلى مراضى الله تعالى ، فان بمقدار محبة السوى والركون إليه البعد عن المولى ويدخل فيهن كما قال المصنف الزوجات وهن أكثر فتنة لدوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن (فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء)أى بسببهن فهو كحديث «عذبت امرأة في هرة» قال شارح « الأنوار السنية » يحتمل أن يكون اشارة إلى قصة هاروت وماروت لأنهما فتنا بسبب امرأة من بنى اسرائيل ويحتمل أن يكون اشارة إلى قصة بلعام

رواه مسلم

(الثالث) عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول «اللهم إنى أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى» رواه مسلم

(الرابع) عن أبى طَريف عَدي بن حاتم الطائىّ رضى الله عنه

ابن باعوراء لأنه إنما هلك بمطاوعة زوجته. وبسببهن هلك كثير من الفضلاء (رواه مسلم)

الحديث (الثالث عن) عبد الله (بن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: اللهم) أصله يا الله فحذف حرف النداء وعوض عنه الميم كما تقدم (إنى أسألك الهدى) بضم الهاء الرشاد (والتقوى) وفى نسخة والتقي، امتثال الأوامر واجتناب النواهى (والعفاف) أى التنزه عما لا يباح والكف عنه (والغنى) أى غنى النفس والاغتناء عن الناس، وعما فى أيديهم والمسئول له صلى الله عليه وسلم زيادة ذلك، وفيه شرف هذه الخصال، وفيه الخضوع واللجأ للكريم الوهاب فى سائر الأحوال (رواه مسلم) ورواه الترمذى وابن ماجه.

الحديث (الرابع عن أبى طريف) بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين وسكون التحتية بعدها فاء (عدى) بفتح أوله فكسر ثانيه المهملين فتشديد الياء (ابن حاتم) بالحاء المهملة والفوقية المكسورة، العلم المضروب به المثل فى الجود (الطائى) نسبة إلى طيء بوزن سيد واسمه جلهمة، وسمى طيئا لأنه أول من طوى أى بنى المناهل (١) وقيل لغير ذلك، وهو ابن عدى بن سعيد ابن الحشرج بن امرىء القيس بن عدى بن أخرم بن ربيعة بن جرول بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن طيء بى أدد بن زيد بن يشخب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ كذا فى عجالة المبتدى للحازمى. وفد عدى (رضى الله عنه) على النبى ﷺ سنة تسع فى شعبان، وقيل سنة عشر وكان نصرانيا، وقيل بل أسر المسلمون أخته سفانة بنت حاتم فأسلمت وعادت اليه فأخبرته ودعته إلى رسول الله

---

(١) أى المنازل للضيفان. ش

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَن حَلَفَ على يمين ٍ ثم رأى أتقىَ لله منها فليأت التقوى » رواه مسلم

(الخامس) عن أبي أُمامةَ صدَى

صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وحسن إسلامه . روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وستون حديثا اتفقا على ثلاثة منها وانفرد مسلم بحديثين ، ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم على الصديق وقت الردة بصدقة قومه وثبت على الاسلام ولم يرتد وثبت قومه معه ، وكان جواداً شريفاً فى قومه معظما عندهم وعند غيرهم روى عنه أنه قال « ما دخل على وقت صلاة إلا وأنا مشتاق اليها » وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه إذا دخل عليه وكان يفت للنمل الخبز ويقول إنهن جارات ولهن حق . وشهد صفين مع على . توفى سنة سبع وقيل تسع وستين وله مائة وعشرون سنة . قيل مات بالكوفة أيام المختار ، وقيل مات بقرقيسا ، والأول أصح (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من حلف على يمين) الحلف هو اليمين كما تقول حلف يحلف حلفاً ، وأصلها العقد بالعزم والنية فخالف بين اللفظين وقال حلف على يمين تأكيداً . وقال القرطبي : اليمين المحلوف عليه . (ثم رأى أتقى لله منها) أى من يمينه التى التزمها فى ترك أمر (فليأت التقوى) وحاصله أن من حلف على ترك فعل شىء أو فعله (١) فرأى غيره خيراً من التمادى على اليمين وأتقى لله كأن حلف ليتركن الصلاة أو ليشربن المسكر وجب عليه الحنث والاتيان بما هو التقوى من فعل المأمور به وترك المنهى عنه فان حلف على ترك مندوب أو فعل منهى عنه نهى كراهة ندب له الحنث ، ومثله حديث مسلم أيضا «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه» (رواه مسلم)

(الخامس عن أبى أمامة) بضم الهمزة (صدى) بضم الصاد ففتح الدال المهملتين وتشديد الياء ، ويقال الصدى بأل ولم يذكره الحاكم فى كتابه إلا بها

---

(١) قوله (ترك شىء) المراد واجب ، وقوله (أو فعله) أى فعل شىء والمراد حرام بقرينة ما يأتى . ع

ابن عَجْلاَنَ الباهلى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخطُبُ

(ابن عجلان) بفتح المهملة وسكون الجيم ابن والبة بالموحدة ابن رياح بكسر الراء ابن الحارث بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بالمهملة ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . قال المصنف فى التهذيب ويقال فى نسبه غير هذا (الباهلى) كان (رضى الله عنه) من مشهورى الصحابة . روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا حديث وخمسون حديثا . روى البخارى خمسة منها ومسلم ثلاثة وخرج عنه أصحاب السنن . سكن مصر ثم حمص وتوفى بهاسنة إحدى وقيل سنة ست وثمانين ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشأم وعامة حديثه عند الشاميين « فائدة » نظم بعض المتأخرين آخر من مات من الصحابة فى البلدان المتفرقة فقال :

آخر من مات من الصحابة … أبو الطفيل موته بمكة
سهل بن عبد الله بالمدينة … وأنس بن مالك بالبصرة
ومات بالشام أبو قرصافه … وابن أبى أوفي الحمام وافه
بكوفة واليمن أذكر أيضا … وبخراسان بريدة قضى
ولم تتم مائة إلا وقد … ماتوا ولم يبق على الأرض أحد
رأى بعينيه النبى المصطفى … فاحفظ لنظمى ذا تنال الشرفا

قلت ويزاد عليه :

وآخر الصحب بحمص ماتا … أبو أمامة وذا قد فاتا (١)

وفى كتاب اليواقيت الفاخرة أن آخر من مات بالمدينة السائب بن يزيد يعرف بابن أخت النمر . أدرك النبي صلى الله عليه وسلم صغيرا وروى عنه وتوفى سنة احدى وتسعين وهو ابن ثمان وثمانين اه . وكذا فى التقريب للحافظ أن السائب آخر من مات من الصحابة بالمدينة (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب

---

(١) ووجد بعد نقل ماتقدم عن السيوطي مانصه :

قلت وعبد . . . بن الحارث … ابن جزا بمصر يا مباحث
بسفط مشهور بلا ارتياب … وكنيــة له أبو تراب

فى حِجَّةِ الوَدَاع فقال « اتقوا الله ، وصَلوا خَمْسكم ، وصوموا شهركم ، وأدُّوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم ، تدخلوا جنة ربكم » رواه الترمذى فى آخر كتاب الصلاة ، وقال حديث حسن صحيح

فى حجة الوداع) بكسر الحاء على الافصح وفتح الواو اسم مصدر من التوديع وبكسرها مصدر وادع سميت بذلك لأنه صلى الله عليه وسلم ودع الناس فيها . وفيه جواز تسميتها بذلك من غير كراهة (فقال اتقوا الله) بدأ به لأنه الاساس لتناوله فعل سائر المأمورات وترك سائر المناهى وعطف عليه ما بعده من عطف الخاص على العام اهتماما به واعتناء بشأنه . ويحتمل أن عطف قوله « وأطيعوا أمراءكم » من عطف المغاير من حيث إن أظهر مقاصد التقوى انتظار الأمور الأخروية (وصلوا خمسكم) أى الفروض الخمسة (وصوموا شهركم) أي شهر رمضان وأضيف للامة لما يسبغ عليهم فيه من الفيوض الالهية من عتق الرقاب وجزيل الثواب وفى الحديث « رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر الامة » (وأدوا زكاة أموالكم) فى الخلافيات وأدوا زكاتكم طيبة بها نفوسكم وحجوا بيت ربكم (وأطيعوا أمراءكم) وفى رواية « ذا أمركم » فيما ليس فيه معصية الله تعالى وفى ذلك انتظام الاحوال المتوصل به الى قوام المعاش والاستعداد للمعاد (تدخلوا) بالجزم فى جواب الامر (جنة ربكم . رواه الترمذى فى آخر كتاب الصلاة وقال حديث حسن صحيح) ورواه ابن حبان والحاكم

ولما كان من ثمرات التقوى العرفان الذى به تنجلى الأمور ، والنور الذى تنشرح به الصدور ، ومن انشرح صدره واستنار قلبه بشهود التوحيد وأنه لا شريك له فى ملكه ولا فى شىء من أفعاله ، تيقن أن لا حول له ولا قوة وأنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فخرج عما فى نفسه من التدابير ، وألقى نفسه مع جرى المقادير ، ففاز كما جاء فى الحديث الشريف « لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة » وظهر بهذا أن التوكل واليقين من ثمرات التقوى فلذا عقبها بهما فقال :

تم بحمد الله تعالى الجزء الأول — ويليه الجزء الثانى وأوله (باب اليقين والتوكل)

فهرس

الجزء الأول من شرح رياض الصالحين

تمت الفهرس

كتاب

دليل الفالحين

لطرق رياض الصالحين

تأليف

العالم العلامة مفسر كلام الله تعالى وخادم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي المتوفى سنة ١٠٥٧ هـ رحمه الله تعالى

« وقد وضع »

بأعلى كل صفحة ما يخصها من كتاب « رياض الصالحين » للامام الرباني العارف بالله تعالى شيخ الاسلام والمسلمين وملاذ الفقهاء والمحدثين أبي زكريا يحيي محيي الدين النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ تغمده الله تعالى برحمته

الجزء الثانى

يطلب من مكتبة

محمود توفيق

الكتبي بشارع جوهر القائد (السكة الجديدة سابقاً)

مطبعة حجازى بالقاهرة

تليفون ٥٥٤٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ باب فى اليقين والتوكل ﴾

﴿ باب اليقين ﴾

قال السيد فى كتاب تعريفات العلوم : اليقين فى اللغة العلم الذى لاشك معه ، وفى الاصطلاح اعتقاد الشىء أنه كذا مع اعتقاد أنه لايمكن إلا كذا وهو مطابق للواقع غير ممكن الزوال ، وعند أهل الحقيقة رؤية العيان بقوة الايمان لا بالحجة والبيان ، وقيل مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب ، وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار ﴿ والتوكل ﴾ عرفه الشيخ العارف بالله أبو مدين بقوله فى حكمه : التوكل وثوقك بالمضمون واستبدالك الحركة بالسكون ، وعرفه غيره بقوله اعتمادك على مولاك ، ورجوعك اليه ، وخروجك عن حولك وقوتك وانطراحك بين يديه ، وقيل اكتفاؤك بعلم الله فيك (١) عن تعلق القلب بسواه ورجوعك فى كل الأمور إلى الله :

عباراتنا شتى وحسنك واحد   وكل الى ذاك الجمال يشير

كذا فى شرح الحكم المذكورة لعمى الشيخ العارف بالله أحمد بن علان الصديقى . وفى شرح مسلم للمصنف اختلفت عبارات السلف والخلف فى حقيقة التوكل فحكى الامام أبو جعفر الطبرى وغيره عن طائفة من السلف أنهم قالوا لايستحق اسم التوكل إلا من لم يخالط قلبه خوف غير الله من سبع أو عدو حتى لايطلب الرزق ثقة بضمان الله رزقه ، وقالت طائفة هو الثقة بالله والايقان بأن قضاءه نافذ واتباع سنة نبيه ﷺ والسعي فيما لابد منه من مطعم ومشرب والتحرز من العدو كما فعله الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال القاضى عياض وهذا المذهب هو اختيار الطبرى وعامة الفقهاء والأول مذهب بعض

---

(١) لعله بك . ش

قال الله تعالى (ولما رأى المؤمنون الأحزابَ قالوا هذا ما وَعَدَنا اللهُ ورسولُهُ وصدقَ اللهُ ورسولُهُ وما زادَهم إلا إيماناً وتسليما) .

وقال تعالى (الذين قال لهم الناسُ : إنَّ الناسَ قد جَمعوا لكم فاخشوْهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبُنا الله ونعم الوكيل . فانقلَبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوءٌ واتَّبعوا رضوانَ اللهِ ، والله

المتصوفة وأصحاب علم القلوب والاشارات وذهب المحققون منهم إلى نحو مذهب الجمهور ولكن لا يصح عندهم التوكل مع الالتفات والطمأنينة إلى الأسباب بل فعل الأسباب سنة الله وحكمته ، والثقة بأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا والكل من الله هذا كلام القاضى ، وقال القشيرى : اعلم أن التوكل محله القلب وأما الحركة بالظاهر فلا تنافى توكل القلب بعد ما تحقق العبد أن التقدير من فعل الله عز وجل فان تعسر شىء فبتقديره وإن تيسر شىء فبتيسيره . وقال سهل بن عبد الله : التوكل في الاسترسال مع الله على ما يريد ، وقال أبو عثمان الحيرى : التوكل الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه اه

(قال الله تعالى ولما رأى المؤمنون الأحزاب) من الكفار (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) من الابتلاء والنصر (وصدق الله ورسوله) فى الوعد (وما زادهم) ذلك (إلا إيمانا) تصديقا بوعد الله (وتسليما) لأمره

(وقال تعالى الذين) بدل من الذين قبله أو نعت له (قال لهم الناس) أى نعيم بن مسعود الأشجعى (إن الناس) أبا سفيان وأصحابه (قد جمعوا لكم) الجموع ليستأصلوكم (فاخشوهم) ولا تأتوهم (فزادهم) ذلك القول (إيمانا) تصديقاً بالله ويقينا (وقالوا حسبنا الله) كافينا أمرهم (ونعم الوكيل) المفوض اليه الأمر هو ، وخرجوا مع النبى ﷺ فوافوا سوق بدر الذى كان واعد النبى ﷺ كفار قريش يوم أحد عليه وألقى الله الرعب فى قلب أبى سفيان وأصحابه فلم يأتوا وكان مع الصحابة تجارات فباعوا وربحوا قال تعالى (فانقلبوا) رجعوا من بدر (بنعمة من الله وفضل) بسلامة وربح (لم يمسسهم سوء) من قتل أو جرح (واتبعوا رضوان الله) بطاعته وطاعة رسوله فى الخروج ، والله

ذو فضل عظيم) .

وقال تعالى (وتوكلْ على الحى الذى لا يموت) .

وقال تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال تعالى (فإذا عزمت فتوكل على الله) . والآيات فى الأمر بالتوكل كثيرة معلومة .

وقال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبهُ)

ذو فضل عظيم) على أهل طاعته وقد بسطت الكلام فى هذه الآية فى كتاب الجهاد من شرح الأذكار

(وقال تعالى وتوكل) فيه إشارة لشرف التوكل وأوجبه بعضهم مطلقاً والظاهر وجوبه باعتبار لا مطلقا . أما التوكل بطرح الأسباب والاكتساب فهو من شأن أهل الكمال وهو المندوب ، وفي المفهم للقرطبي المتوكلون على حالين : الحال الأول حال المتمكن فى التوكل فلا يلتفت إلى شىء من الأسباب بقلبه ولا يتعاطاها إلا بحكم الأمر ، والحال الثانى حال غير المتمكن وهو الذى يقع له الالتفات إلى الاسباب أحيانا غير أنه يدفعها عن نفسه بالطرق العلمية والبراهين القطعية والاذواق الحالية فلا يزال كذلك إلى أن يرقيه تعالى بجوده إلى مقام المتمكنين ويلحقه بدرجات العارفين اه . (على الحى الذي لايموت) فيه إشارة إلى أن من توكل على غير الله فقد ضاع ، لأن الغير يموت والعاقل لاينبغي له أن يتوكل على من يموت ويفنى ، وقال بعضهم الاعتماد . على الغنى غايته الفقر ، والاعتماد على القوة آخره الضعف والاعتماد على الخلق هو طريق الخذلان ومن اعتمد على سوى الله وتوكل على غيره فقد ضيع وقته وخاب سعيه ، لأن الحى الذى لاتجرى عليه فنون العوارض دعاك اليه بألطف دعواه فقال وتوكل على الحى الذي لايموت * (وقال تعالى وعلى الله) لاعلى غيره (فليتوكل المؤمنون) إذ هو الحي القيوم * (وقال تعالى فاذا عزمت) على إمضاء ماتريد بعد المشاورة (فتوكل على الله) أى ثق به لابالمشاورة (والآيات فى الأمر بالتوكل كثيرة معلومة)

(وقال تعالى) فى فضل التوكل وثمراته (ومن يتوكل على الله فهو حسبه ـ

أى كافيه .

وقال تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر اللهُ وَجِلَت قلوبُهم ، وإذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) والآيات فى فضل التوكل كثيرة معروفة .

وأما الأحاديث « فالأول » عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « عُرِضَت علىَّ الأممُ فرأيت النبىَّ ومعه الرُّهَيط

أى كافيه – وقال تعالى إنما المؤمنون) أى الكاملو الايمان (الذين اذا ذكر الله) وعيده (وجلت) خافت (قلوبهم) وقيل اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله (واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) تصديقا وإسناد الزيادة للآيات من الاسناد للسبب (وعلى ربهم يتوكلون) يفوضون أمرهم اليه ولا يخشون ولا يرجون الا إياه (والآيات فى فضل التوكل) وثمراته (كثيرة) معروفة – (وأما الاحاديث) النبوية فى فضل التوكل

(ف) الحديث (الاول) منها (عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ عرضت) بالبناء للمفعول (على) بتشديد التحتية (الأمم) وفيه كمال شرفه وعرض جميع الأمم عليه صلوات الله وسلامه عليه ، ولعل من حكمة ذلك ما قيل إنه مبعوث لجميع بنى آدم من آدم فمن دونه ، والأنبياء إنما هم نواب عنه فى تبليغ الشرائع لأولئك الأمم ، وهذا العرض يحتمل أن يكون مناما ، ورؤيا الأنبياء وحى . أو فى اليقظة ليلة الاسراء أو غيرها والله يكرم نبيه بما شاء (فرأيت) أبصرت إن كانت يقظة ، أو رأى حلمية إن كانت مناما (النبي) أل فيه للماهية أى المتصف بالنبوة ويظهر أن المراد به الرسول (ومعه الرهيط) بضم المهملة وفتح الهاء وسكون التحتية آخره طاء مهملة أيضا وفى مختصر القاموس الرهط ويحرك قوم الرجل وقبيلته أو من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة أو ما دون العشرة وما فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه جمعه أرهط وأرهاط وأراهط «قلت» الرهط من الرجال مادون العشرة وقيل إلى الأربعين اه والجملة فى محل الحال لتصدرها بالواو بناء على أن رأى الحلمية لا تنصب مفعولين

والنبيَّ ومعه الرجُل والرجلان . والنبيَّ وليس معه أحدٌ ، إذ رُفع لى سَواد عظيم فظننتُ أنهم أمتى ، فقيل لى هذا موسى وقومُه ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرتُ فإذا سوادٌ عظيم ، فقيل لى أنظر إلى الأفقِ الآخرِ ، فإذا سواد عظيم ، فقيل لى : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب »

وأن المنصوب الثانى بعدها فى محل الحال وهو الذى رجحه ابن هشام فى بعض كتبه (والنبى ومعه الرجل والرجلان . والنبى) حال كونه (ليس معه أحد) «فان قلت» النبي هو المخبر عن الله للخلق فأين الذين أخبرهم « قلت» ربما أخبرولم يؤمن به أحد ولا يكون معه إلا المؤمن (إذ رفع) بالبناء للمفعول (لى سواد) أى أشخاص وهو كما فى مختصر القاموس الشخص ، ومن البلدة قراها والعدد الكثير من أهلها ومن الناس عامتهم اه . ولذا قال القرطبى أى أشخاص كثيرة ويجمع على أسودة (عظيم) لكثرته (فظننت أنهم) أى السواد الذى هو الاشخاص وباعتباره جمع الضمير العائد اليه (أمتى فقيل لى هذا) أى السواد العظيم (موسى وقومه) أى أمته المؤمنون (ولكن انظر إلى الأفق) بضم الهمزة والفاء وبسكونها كما فى الصحاح وعبارته : الآفاق النواحى الواحد أفق ، وأفق مثل عسر وعسر ، انتهت وبالقاف (١) الناحية وجوز الحافظ السيوطى أن يكون الافق واحداً وجمعا كالفلك ويجمع أيضا على آفاق (فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لى انظر إلى الافق الآخر فاذا سواد عظيم) أى غير السواد الاول إذ النكرة إذا أعيدت كانت الثانية غير الأولى غالبا (فقيل لى : هذه) أى مجموع السوادين العظيمين (أمتك) أى المؤمنون كما تقدم نظيره (ومعهم سبعون ألفا) يحتمل أن يكون معناه ومن أمتك غير هؤلاء سبعون ألفا ويحتمل أن يكون معناه وفى جملة هذه الأسودة سبعون ألفا (يدخلون الجنة بغير حساب ولاعذاب) ويؤيد الاحتمال الثانى رواية البخارى فى صحيحه « هذه أمتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا » فالسبعون ألفا من أمته بلا شك . وعذاب بفتح المهملة وبالذال المعجمة

---

(١) عطف على قوله بضم الهمزة والفاء وبسكونها وما بينهما اعتراض . ع

ثم نهض فدخلَ منزله فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب ، فقال بعضهم فلعلهم الذين صحِبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم فلعلهم الذين وُلدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله ، وذكروا أشياء : فخرج عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماالذى تخوضون فيه ؟ فأخبروه فقال « هم الذين لا يَرْقُونَ ولا يَسترْقون

وفى نسخة عقاب بكسر المهملة وبالقاف ، وجملة يدخلون الجنـة الخ صفة أو حال من سبعون لتخصيصه بالظرف قبله « فان قلت » هل يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وإن كانوا أصحاب معاصى ومظالم ؟ « قلت » الذين كانوا بهذه الأوصاف الأربعة المذكورة فى الحديث لا يكون إلا عدولا مطهرين من الذنوب أو ببركة هذه الصفات يغفر الله لهم ويعفو عنهم (ثم نهض) صلى الله عليه وسلم قبل بيان السبعين المذكورين (فدخل منزله فخاض) بالخـاء والضاد المعجمتين أى تكلم (الناس) والمراد منهم الصحابة وتناظروا (فى) تعيين (أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب) وفى البخاري فأفاض الناس وهو بمعناه يقال أفاض الناس فى الحديث إذا تباحثوا فيه وناظروا عليه وتناظروا وفى الحديث إباحة المناظرة في العلم والمباحثة فى نصوص الشرع على جهة الاستفادة وإظهار الحق (فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى السابقون الذين صحبوه وقاموا بنصرة الدين وهجروا الاهل والاوطان لذلك (وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا) بالبناء المفعول (في الاسلام) أى وإن لم يرهم صلى الله عليه وسلم وفضلهم ما أشاروا إليه بقولهم (فلم يشركوا بالله) فيه دليل على شرف المسلم إصالة على من كان كافراً ثم أسلم ويدل له ماذكره الفقهاء فى تقديم من دخل آباؤه فى الاسلام على من تأخر آباؤه فى الدخول فيـه فى الامامة (وذكروا أشياء) من الاحتمالات فى التعيين (فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى عقب خوضهم فى ذلك كما تشعر به الفاء إراحة لهم من الخوض فيما لا سبيل لهم لمعرفته الامن جهته صلى الله عليه وسلم (فقال ما الذى تخوضون فيه ؟ فأخبروه فقال : هم الذين لا يرقون ولا يسترقون) أي

ولا يَتَطيَّرون ، وعلى ربهم يتوكلون » فقام عُكَّاشَةُ بن مِحْصَنٍ

يطلبون الرقية لهم من الغير ، وقد اختلف العلماء فى هذا المقام مع ورود السنة فعلا واذنا بجواز الرقية والاسترقاء ، والذى رجحه المصنف والقرطبي وغيرهما من ذلك ماقاله الخطابى وغيره أن المراد ترك ذلك توكلا ورضا بقضاء الله تعالى وبلائه ، قال الخطابى : وهـذه من أرفع درجات المتحققين بالايمان ، قال : وإلى هذا ذهب جماعة سماهم ، قال المصنف : وحاصله أن هؤلاء كمل تفويضهم إلى الله تعالى فلم يسعوا فى دفع ما أوقعه الله بهم ولا شك فى رجحان هذه الحال وفضيلة صاحبها وأما تطببه صلى الله عليه وسلم فلبيان الجواز اهـ وقال القرطبي : الرقى والاسترقاء ما كان منه برقي الجاهلية أو بما لا يعرف فواجب اجتنابه على سائر المسلمين واجتنابه حاصل من أكثرهم فلا يكون اجتناب ذلك هو المراد هنا ولا اجتناب الرقى بأسماء الله تعالى وبالمروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن ذلك التجاء الى الله تعالى قال ويظهر لى والله أعلم أن المقصود اجتناب رقي خارج عن القسمين كالرقيا بأسماء الملائكة والانبياء والصالحين كما يفعله كثير ممن يتعاطى الرقيا فهذا ليس من قسم المحظور الذى يعم اجتنابه ولا من قبيل الرقيا التى فيها اللجأ إلى الله تعالى فهذا القسم المتوسط يلحق بما يجوز فعله غير أن تركه أولى من حيث ان الرقى بذلك تعظيم وفيه تشبيه للرقي به بالرقي بأسمائه تعالى وكلماته فينبغي اجتنابه كاجتناب الحلف بغير الله تعالى اهـ (ولا يتطيرون) أى يتشاءمون بالطيور ونحوها مما يتشاءم به أى لا يرجعون عما عزموا عليه عند وجود ماجرت به عادة الجاهلية من التطير به والوقوف عن الفعل معه من الجوائح والسوانح وسيأتى فى هذا بسط (وعلى ربهم) لا على غيره فى سائر أحوالهم (يتوكلون) وهؤلاء هم القائمون بأعلى مقام التوكل بترك الأسباب وعدم معاطاتها رضا بتصرف المولى فيهم واكتفاء بتدبيره تعالى عن تصرف كل وتدبيره (فقام عكاشة بن محصن) بكسر الميم وسكون المهملة الأولى وفتح الثانية ابن حرثان بضم المهملة وسكون المهملة بعدها مثلثة وبعد الالف نون بن قيس بن مرة بن كثير بن غنم بن داود بن أسد بن خزيمة (الاسدى) بفتح أوليه وبالمهملتين حليف بنى عبد شمس وكان عكاشة من أفاضل الصحابة وخيارهم وشجعانهم له

فقال : ادعُ الله أن يجعلني منهمْ فقال « أنت منهم » ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال « سبقك بها عُكَّاشةُ »

ببدر المقام المشهور وذلك أنه ضرب بالسيف فى الكفار حتى انقطع فأعطاه ﷺ جزل حطب فأخذه فهزه فى يده فعاد سيفا صارما فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ولم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل عكاشة وهو معه وقتل فى قتال أهل الردة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه قتله طليحة بن خويلد الاسدى هذا قول أهل السير وقال سليمان التيمى أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى أسد سرية فقتله طليحة قال ابن الأثير وهو وهم وإنما قاله لقرب الحادثة من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عكاشة يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أربع وأربعين سنة وكان من أجمل الرجال اه . وقال صلى الله عليه وسلم « منا خير فارس فى العرب ، قالوا ومن هو يارسول الله ؟ قال عكاشة بن محصن » رضى الله عنه ولقوة يقينه وشدة حرصه على الخير ورغبته فيما عند الله تعالى سبق الصحابة كلهم (فقال : ادع الله لى أن يجعلنى منهم فقال أنت منهم) يحتمل كونه منهم لدعائه صلى الله عليه وسلم له بذلك ويحتمل لكونه كان موصوفا بتلك الأوصاف الجميلة ويحتمل أنه أوحى إليه بأنه منهم وفى جملتهم والله أعلم بحقيقة الحال ثم رأيت الكرمانى نقل الأول قولا عن بعضهم (ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال) له لما لم يكن عنده ما عند عكاشة من تلك الأحوال الشريفة (سبقك بها) أى فى الفضل بالدعوة إلى منزلة أصحاب هذه الأوصاف (عكاشة) وكره أن يقول له لست من أهل هذه الطبقة لأنه لكمال فضله لا يواجه أحداً بما يكره ، فجاء بكلام موف للغرض وفيه التعريض بالمراد. قال الكرماني : قيل يحتمل أن يكون سبقك عكاشة بوحى أنه يجاب فيه ولم يحصل ذلك للآخر وقال القرطبي لئلا يطلب كل مثل ماطلب عكاشة فسد الباب بحسن ذلك الجواب ، وهذا أولى مما قيل كان ذلك الرجل منافقا : لوجهين «أحدهما» أن الأصل فى الصحابة الايمان والعدالة فلا يظن بأحد منهم خلاف الأصل ولا يسمع منه ذلك إلا بالنقل الصحيح ، «والثانى» أنه قل أن يصدر مثل هذا السؤال

متفقٌ عليه (الرهيط) بضم الراء تصغير رهط وهم دون عشرة أنفس (والأفق) الناحية والجانب (وعكاشة) بضم العين وتشديد الكاف وبتخفيفها والتشديد أفصح

« الثانى » عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « اللهمَّ لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ،

من منافق إذ لا يصدر غالبا عن تصديق صحيح ويقين بما عند الله تعالى اه . «قلت» قد صرح الخطيب بأن ذلك الرجل سعد بن عبادة كما نقله عنه الكرمانى وبه يبطل ذلك القول (متفق عليه) ورواه أحمد بنحوه وليس فيه ذكر عكاشة (والرهيط بضم الراء) المهملة أوله وسكون التحتية (تصغير رهط) بفتح فسكون (وهم دون عشرة أنفس) سبق بيان الأقوال فيه والخلاف فى ذلك (والافق الناحية والجانب) عطف مرادف ففى الصحاح الجانب الناحية وكذا الجنبة (وعكاشة بضم العين) المهملة (وتشديد الكاف) قال فى القاموس بوزن رمانة (وبتخفيفها) قال القرطبى قال ثعلب وقد تخفف قلت ولعله منقول من عكاشة بالتخفيف اسم لبيت النمل أو مأخوذ من عكش الشعر يعكش إذا التوى اه . (والتشديد أفصح)

الحديث (الثانى عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا) منصوب على المصدرية وقيل على الحالية كلمة تقال للاتفاق بين الشيئين معنى ويمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر وقد ثبت نطقه صلى الله عليه وسلم بها كما فى صحيح البخارى ومسلم وغيرهما ، وقد بسطت الكلام فيها فى باب فضل الذكر من شرح الأذكار ، والمعنى هنا أروى الحديث الثانى رجوعا للرواية أو حال كوني راجعاً للرواية عن ابن عباس (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم) بفتح الهمزة فى تأويل مصدر مبتدأ مخبر عنه بالظرف السابق (كان يقول اللهم) أي يا الله (لك) لا لغيرك كما يؤذن به تقديم الظرف (أسلمت) قال ابن عبد البر : استسلمت لحكمك وأمرك وسلمت ورضيت وآمنت وصدقت وأيقنت اه (وبك) أى بذاتك وما يجب لها من أوصاف الكمال (آمنت) أى صدقت (وعليك توكلت) ركنت اليك فى سائر الأمور وخرجت عن تدبيرى لنفسى وحولى وقوتى اكتفاء بما سبقت به الارادة وجرت به الأقدار (واليك أنبت) من الانابة الرجوع

وبك خاصمت . اللهم أعوذ بعزتك ، لاإله إلا أنت أن تُضلنى أنت الحى الذى لايموت والجن والانس يموتون » متفق عليه وهذا لفظ مسلم ، واختصره البخارى

« الثالث » عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا

وتخيص بالرجوع إلى الخير كما فى التمهيد لابن عبد البر أى رجعت إلى عبادتك والاقبال على ما يقرب منك وقيل رجعت بالتوبة واللجأ والذلة والمسكنة ، وقيل رجعت اليك فى تدابير الأمور وتصاريفها فيكون بمعنى وعليك توكلت (وبك) أى بما أعطيتنى من البرهان والحجج القولية ، أو بالنصرة ونحوها من الحجج الفعلية (خاصمت) أعداء الدين فقصمت ظهورهم بالبراهين القوية وقطعت دابرهم بالسيوف والرماح السمهرية (اللهم إني أعوذ) أعتصم وألتجىء (بعزتك) أى بقوتك وقدرتك وسلطانك وغلبتك لا إله إلا أنت) جملة معترضة لتأكيد العزة والاعتصام بحبله تعالى وقوله (أن تضلنى) أصله من أن تضلنى متعلق بأعوذ ، وحذف الجار من أن وأن قياس مطرد وتضلنى بضم الفوقية من الاضلال (أنت الحى) على الدوام (القيوم) بفتح القاف وتشديد التحتية القائم بتدبير الخلق وحفظه (الذي لايموت) بالتحتية نظراً لكونه صلة للذى وبالفوقية نظراً لضمير الخطاب قبله وهو كالتأكيد لما قبله لأن من شأن القائم بالتدبير والحفظ ألا يموت لأن من لا يحفظ حياة نفسه كيف يحفظ حياة غيره (والجن) أى الشامل للملك (والانس) أى واتباعهم من الحيوانات والحشرات (يموتون) فيه تنبيه على سبب التوكل عليه ورد الأمر اليه دون غيره وهو أن غيره يموت و يضمحل شأنه و يفوت ، والتوكل إنما هو على الحى الذى لايموت فمن اعتز بغير الله ذل ومن اهتدى بغير هدايته ضل ومن اعتصم بالله تعالى وتوكل عليه عز وجل (متفق عليه) ورواه النسائى أيضا (وهذا) المذكور (لفظ مسلم) فى روايته (واختصره البخارى) فقال : عن ابن عباس « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت ، أنت الذى لاتموت والجن والانس يموتون »

الحديث (الثالث عن ابن عباس رضى الله عنهما) قال القارى فى شرح الحصن الحصين إنه موقوف خلاف ما أورده الشيخ يعنى ابن الجزرى قلت

قال « حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى فى النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » رواه البخارى (وفى رواية له) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « كان آخرُ قول ابراهيم صلى الله عليه

وكأنه لما رأى أن الحديث فى حكم المرفوع سكت عليه اعتماداً على أنه مرفوع فى بعض طرقه اه (قال حسبنا الله ونعم الوكيل) تقدم الكلام فى معناها أول الكتاب (قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار) فى تفسير القرطبي قال ابن اسحاق بعد ذكر المنجنيق وماهيؤوه من الحطب فضجت السموات والارض ومن فيهن من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين ضجة واحدة : ربنا إبراهيم ليس فى أرضك أحد يعبدك غيره فبك فأذن لنا فى نصرته فقال تعالى إذا استعان بشىء منكم أو دعاه فلينصره فلقد أذنت له فى ذلك وإن لم يدع غيرى فأنا أعلم به وأنا وليه ، فلما أرادوا إلقاءه فى النار أتاه خازن الماء وهو فى الهوى ، فقال يا إبراهيم إن أردت أخمدت النار بالماء ، فقال لاحاجة لى فيك ، فأتاه ملك الريح فقال لو شئت طيرت النار ، فقال لا ثم رفع رأسه إلى السماء فقال « اللهم أنت الواحد فى السماء وأنا الواحد فى الارض ليس أحد يعبدك غيرى حسبى الله ونعم الوكيل » ثم ذكر باقي القصة (وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا) أى قال الناس له صلى الله عليه وسلم (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) قضية هذا أن يكون الذين الواقع أول الآية وضمائر الجمع بعده مما أريد به الواحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم فيكون نظير قوله تعالى « أم يحسدون الناس » فان المراد منه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك «الناس» فى قوله تعالى « قال لهم الناس » فان المراد منه كما تقدم أول الباب نعيم بن مسعود لكن تقدم أول الباب أن المراد من الذين وما بعده الصحابة وذلك الذى ذكره السيوطى فى تكملته لتفسير الجلال المحلى ولا مخالفة فلعل ابن عباس اقتصر عليه لأنه الاصل المتبوع صلى الله عليه وسلم (رواه البخارى) والنسائى أيضا (وفى رواية له) أى البخارى (عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان آخر قول إبراهيم صلى الله) على نبينا و (عليه) وعلى سائر النبيين

وسلم حين ألقى فى النار ، حسبى اللهُ ونعمَ الوكيلُ »

« الرابع » عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يدخلُ الجنةَ أقوامٌ أفئدتهم مثل أفئدة الطير » رواه مسلم ، قيل معناه (متوكلون) وقيل (قلوبهم رقيقة)

« الخامس » عن جابر رضى الله عنه ،

(وسلم) هكذا ينبغى أن يقال عند ذكر باقي الانبياء (حين ألقى في النار حسبي الله) أى بالافراد وقد جاء ذلك عن ابن إسحاق فى السيرة كما تقدم أى محسبى أى كافى الله (ونعم الوكيل) هو من عطف الجملة الخبرية على مثلها قال السيوطى فى التوشيح لابى نعيم فى المستخرج : إنها أول ما قاله فلعلها أول شىء قاله وآخر شىء قاله وقد بسطت الكلام فى إعرابها وما فيه فى أوائل شرح الاذكار وذكرت خلاصة أوائل هذا الشرح .

الحديث (الرابع عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يدخل الجنة) ظاهره مع الأولين كما يدل عليه سياقه فى مقام المدح لهم وإلا فجميع أهل الايمان يدخلون الجنة وعد الله الذى لا يخلف (أقوام) جمع واحده قوم وفى مفردات الراغب كما تقدم القوم جماعة الرجال فى الأصل دون النساء ولذا قال تعالى « لا يسخر قوم من قوم » « ولا نساء من نساء » وفى عامة القرآن أريد به الرجال والنساء اه وظاهر أن ما نحن فيه من قبيل الثانى (أفئدتهم) فى مختصر القاموس الفؤاد القلب مذكراً أو هو ما يتعلق بالمرىء من كبد ورئة وقلب وجمعه أفئدة اه وفى كتاب الايمان من شرح مسلم للمصنف المشهور أن الفؤاد هو القلب ، وقيل الفؤاد داخل القلب أى الطبقة القابلة للمعانى من العلوم وغيرها (مثل أفئدة الطير) جمع طائر ويقع على الواحد وجمعه طيور وأطيار (رواه مسلم) ورواه أحمد (قيل معناه) أقوام (متوكلون) ففي الحديث الآتى : « لو اتكلتم على الله حق اتكاله لرزقكم كما يرزق الطير » . وفيه إشارة إلى أنها لما لم تتسبب للارزاق بتدابيرها يسر الله وصول الرزق إليها مع ضعفها وقلة حيلتها (وقيل قلوبهم رقيقة) أى فهى أسرع فهماً وقبولا للخير وامتثالا له

الحديث (الخامس عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه) وتقدمت ترجمته فى

أنه غزا مع النبى صلى الله عليه وسلم قِبَلَ نجد ؛ فلما قَفَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معهم ، فأدركتهم القائلة فى وادٍ كثير العِضَاهِ ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرَّق الناس يستظلُّون بالشجر ، ونزلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تحت سَمُرَةَ فعلَّق بها سيفه ونمنا نومة ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا ، وإذا عنده أعرابى ،

باب الاخلاص (أنه غزا مع النبي ﷺ) تقدم فى باب التوبة عدة غزواته ﷺ وسراياه وما حارب فيه بنفسه وهذه رواية عنه بالمعنى وإلا فانما قال بتاء المتكلم (قبل نجد) هو لغة ما ارتفع من الأرض وهي هنا اسم خاص لما دون الحجاز والمراد بها ذات الرقاع وكانت فى السنة السادسة (فلما قفل) بفتح أوليه القاف والفاء أى رجع من سفره (رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل) أى جابر (معه) أي مع النبي صلى الله عليه وسلم وفى نسخة «معهم» أى مع النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه المجاهدين معه التابعين له (فأدركتهم القائلة) أى الظهيرة، فى الصحاح، وقد تكون بمعنى القيلولة أيضاً وهي النوم فى الظهيرة (فى واد كثير العضاه) بكسر العين المهملة وبالضاد المعجمة (فنزل رسول الله ﷺ) أى صار فى المنزل وترك السير للحر (وتفرق الناس عنه يستظلون بالشجر) يستترون بها كما فى الصحاح ، علة لتفرقهم عنه فى ذلك المكان حتى انفرد ﷺ ووصل إليه فى ذلك العدو الذي لولا عصمة الله لنبيه لفتك به (ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فعلق) بالتشديد (بها سيفه ونمنا نومة) علة لما تقدم أيضاً، والنوم من تعب السفر مع حر الشمس ولذا استحبت القيلولة (فاذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابى) منسوب للاعراب وهم سكان البوادى والعرب يعمهم ويعم سكان القرى كما تقدم وهذا الاعرابى من بنى محارب الذين خرج صلى الله عليه وسلم لحربهم فى غزوة ذات الرقاع قال العلماء اسمه غورث بغين معجمة وثاء مثلثة والغين مضمومة ومفتوحة وحكى القاضي عياض الوجهين ثم قال الصواب الفتح قال وضبطه بعض رواة البخارى بالعين المهملة والصواب المعجمة والخطابى قال هو غورث أو غويرث على التصغير والشك وهو غورث ابن الحارث قال القاضى وجاء فى حديث آخر مثل هذا الخبر وسمى فيه الرجل دعثور كذا فى شرح مسلم المصنف قال ابن سيد الناس : فى عنوان الأثر وذلك فى غزوة

فقال « إنّ هذا اخترط على سيفي وأنا نائم ، فاستيقظتُ وهو في يده صَلْتاً ، قال : من يمنعك مني ؟ قلت الله ثلاثا »

ذي قرد اه . لكن في البخاري كما يأتي أنها في ذات الرقاع وكذا قال ابن النحوي في شرح البخاري وفي شرح الشفاء لابن أقبرس(١) أن قصة غورث معه في ذات الرقاع في السنة الرابعة وقد أسلم بعد هذا وصحب النبي صلى الله عليه وسلم اه. فلعلها تعددت فيجمع بين الأقوال بتعدد الغزوة وتعدد الاعرابي ؛ وقضية كلام البخاري في المغازي من صحيحه أن ذات الرقاع يقال لها ذو قرد والله أعلم (فقال إن هذا اخترط على سيفي وأنا نائم) وفي سيرة ابن سيد الناس عن جابر ه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً وان السيف كان في حجره صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر إلى سيفك هذا ، قال نعم ، فأخذه واستله ثم جعل يهزه ويهم بقتل النبي ﷺ فيكبته الله ثم قال يا محمد : أما تخافني ؟ قال : ما أخاف منك ؟ ! قال وفي يدي السيف ، قال : لا ، يمنعني الله منك » الحديث ؛ وظاهر أن ما في الصحيح مقدم على ما في غيره (فاستيقظت) أي عقب اختراطه قبل تمكنه من الفتك به ويحتمل أن يكون بعد تمكنه من الفتك به وعصم الله تعالى نبيه وكبت عدوه (وهو في يده صلتا) حال (قال) أي الاعرابي مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم (من يمنعك مني ؟) استفهام يتضمن النفي كأنه قال : لامانع لك مني ظن لقصور نظره أن السيف هو القاتل ولم يدر أن الله هو الفاعل وأنه يحول بين المرء وقلبه (فقلت الله) أي يمنعني منك فيكون مبتدأ محذوف الخبر بقرينة وجوده في السؤال ، ويحتمل أن يكون التقدير يمنعني الله فيكون فاعلا حذف عامله لما ذكر فيما قبله (ثلاثا) الظاهر أنه قيد في الجواب فقط وكأنه صلى الله عليه وسلم أعاد هذا اللفظ ثلاثاً تلذذاً به ، ولغلبة توحيده وكمال شهوده ، لم ينزعج قلبه الشريف بل كان على حاله المنيف في أن قرة عينه في مشاهدته لمولاه ومناجاته . ويحتمل أنه كرر قوله من يمنعك فكرر صلى الله عليه وسلم قوله « الله » في جوابه وقد وقع في نسخة من البخاري من يمنعك مني من يمنعك مني فكررها

---

(١) بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الباء وسكون الراء

ولم يعاقبه وجلس . متفق عليه (وفى رواية) قال جابر « كنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرِّقاع ، فإذا أتينا على شجرة ظَلِيلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل من المشركين — وسيفُ رسول الله صلى الله عليه وسلم معلقٌ بالشجرة فاخترطَه ؛ فقال تخافنى ؟ قال لا ، فقال فمن يمنعك منى ؟ قال الله » (وفى رواية أبى بكر الاسماعيلىِّ) فى صحيحه

مرتين (و) منّ (١) صلى الله عليه وسلم عليه و (لم يعاقبه) ففيه العفو والحلم ومقابلة السيئة بالحسنة (وجلس) أى النبي صلى الله عليه وسلم من اضطجاعه الذى كان عليه حال نومه فيكون حالا من مفعول يدعونا (٢) وعليه اقتصر الشيخ زكريا أو جلس الأعرابى من قيامه الذى كان عليه حال اختراط السيف لأمنه (متفق عليه) فى السيرة لابن سيد الناس عن جابر أن فى ذلك نزل قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم » الآية (وفى رواية) للبخارى (قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع) أي بغزوة ذات الرقاع وسميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتهم ويقال ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع وقيل لان أقدامهم نقبت فكانوا يلفون عليها الخرق وقيل بل الجبل الذى نزلوا عليه كانت أرضه ذات ألوان تشبه الرقاع وسيأتى هذا مع زيادة فى سبب التسمية وبيان تاريخ الغزوة في باب القناعة إن شاء الله تعالى (فاذا أتينا) معطوف على كنا (على شجرة ظليلة) أى ذات ظل كثيف لتراكم أغصانها وكثرة أوراقها (تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم) لانه السيد المقدم (فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة) جملة حالية (فاخترطه) أى سله بسرعة (فقال تخافنى) أى أتخافنى (فقال) ﷺ (لا) أى لا أخافك لعلمه بأن الفاعل المختار هو الواحد القهار . فقام الحرف مقام جملة الجواب بقرينة وجود ما يدل عليه فى السؤال (قال) الاعرابي (فمن يمنعك منى) أى بالحيلولة بينى و بين ما أريد من الفتك (قال الله) أى الله يمنعنى منك ويحول بينك وبين ماتريد (وفى رواية أبى بكر الاسماعيلى فى صحيحه) وكذا أخرجه أبو عوانة من حديث جابر

(١) بتشديد النون من المن وهو الانعام بلا مقابل (٢) لعله من فاعل يدعونا . ش

« فقال من يمنعك منى ؟ قال الله ، فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فقال من يمنعك منى ؟ فقال كن خير آخذ ، فقال : تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟ قال لا ، ولكنى أعاهدك ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله ، فأتى أصحابه فقال جئتكم من عند خير الناس » قوله (قفل) أى رجع و (العضاه)

المستخرج على صحيح البخارى : فقال) أي الاعرابى (من يمنعك منى؟ قال الله، فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فقال) للاعرابى (من يمنعك) أى من البشر أى لامانع لك الآن (منى ؟ فقال كن خير آخذ) أى بأن تعفو وتصفح وتقابل السيئة بالحسنة (فقال صلى الله عليه وسلم تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فقال لا ولكن) استدراك مما قد يوهمه عدم إسلامه من شهوده مع محاربيه صلى الله عليه وسلم فنفى ذلك بقوله ولكن (أعاهدك أنى لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك) فرأى صلى الله عليه وسلم المصلحة فى العفو عنه رجاء إسلام قومه و إقبالهم على حضرته الشريفة لما يسمعون بمحاسن هذه الأخلاق وكمال هذا الكرم فيسمعون منه ما يكون سبب إسلامهم وسعادتهم الأبدية (فخلى سبيله) أى من عليه وأطلقه من غير فداء . وفى قصة دعثور التى استظهر ابن سيد الناس وابن النحوى أنها وهذه قصة واحدة : أن جبريل دفع فى صدره فوقع السيف من يده ثم أسلم ثم جاء قومه يدعوهم إلى الاسلام . ولعله قال هذا المذكور هنا من امتناعه من الاسلام أولا ثم شرح الله صدره فى المجلس بحلول نظر المصطفى صلى الله عليه وسلم عليه وملاحظته له فأسلم . وسكت عن ذلك رواة الصحيح إما نسيانا أو لسبب آخر وذكره غيرهم ويقربه قوله (فأتى أصحابه) أى قومه الذين كان تعاقد معهم على الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم (فقال جئتكم من عند خير الناس) خلقا وخلقا ويكفيك فى شرف خلقه وكماله قوله تعالى « وإنك لعلى خلق عظيم » وسئلت عائشة عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن (قوله قفل) بالقاف والفاء (أى رجع من السفر . والعضاه) بكسر العين المهملة

الشجر الذى له شوك و (السمرة) بفتح السين وضم الميم الشجرة من الطلح وهو العظام من شجرة العضاه و (اخترط السيف) أى سله و (هو فى يده صلتا) أى مسلولا وهو بفتح الصاد وضمها

« السادس » عن عمر رضى الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكلِه لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا »

والضاد المعجمة والواحدة عضه فالهاء أصلية وقيل عضهة وقيل عضاهة فحذفت الهاء الأصلية كما حذفت من الشفة ثم ردت فى العضاه كما ردت فى الشفاه وقد يقال عضة مثل عزة ثم يجمع على عضوات ، و يقرأ العضاه بالهاء وقفا ووصلا لأن جمعه جمع تكسير وليس بجمع سلامة فهو مثل شفاه وشياه كذا فى التوضيح على الجامع الصحيح لابن النحوى (الشجر الذى له شوك ، السمرة بفتح السين) المهملة (وضم الميم) وبعدها راء جمعه سمر (الشجرة من الطلح) بفتح المهملة أوله وسكون اللام بعدها مهملة وهو العوسج (وهى) أى الطلح والتأنيث بالنظر إلى الخبر أى قوله (العظام) أى الكبار (من شجر العضاه واخترط السيف أى سله) قال ابن النحوى بسرعة (وهو فى يده صلتا أى مسلولا وهو بفتح الصاد المهملة (وضمها) وسكون اللام فيهما قال فى جامع الأصول كالنهاية والصحاح الصلت المشهور يقال أصلت السيف إذا شهرته اه أى أن فعله من الثلاثى المزيد وفى كتاب الأفعال لابن القوطية صلت الشىء برز وأصلت الشىء أبرزته .

الحديث (السادس عن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو) تحقق (أنكم تتوكلون) بفتح الهمزة أى لو تحقق توكلكم (على الله حق توكله) بأن تعتمدوا عليه في سائر الاحوال وتروا أن الخير بيده ومن عنده (لرزقكم كما يرزق الطير) أل فيه للجنس (تغدو خماصا) بكسر الخاء المعجمة وبعد الألف صاد مهملة جمع خميص وهو الضامر البطن وخماصا حال أى خالية الاجواف من القوت (وتروح بطانا) بكسر الموحدة جمع بطين وهو

رواه الترمذى ، وقال حديث حسن ، معناه « تذهب أولَ النهار خماصا أى ضامرة البطون من الجوع ، وترجع آخرَ النهار بطانا أى ممتلئة البطون »

« السابع » عن أبى عُمارة البراء بن عازب رضى الله عنهما

العظيم البطن وهو حال أيضا (رواه الترمذى) وأحمد وابن ماجه والحاكم فى المستدرك (وقال) الترمذى (حديث حسن) قال المصنف (معناه) أى معنى الحديث المذكور (تذهب أول النهار خماصا أى ضامرة البطن (١) من الجوع) فمعنى الغدو الذهاب أول النهار والرواح ضده ، ولذا قال فى معنى قوله وتروح بطانا (وترجع آخر النهار بطانا أى ممتلئة البطون) قال السيوطى فى قوت المغتذى (٢) قال البيهقى فى شعب الايمان : ليس فى هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق لأن الطير إذا غدت فانها تغدو لطلب الرزق ، وإنما أراد والله أعلم لو توكلوا على الله تعالى فى ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم ورأوا أن الخير بيده ومن عنده لم ينصرفوا إلا سالمين غانمين كالطير تغدو خماصا وتعود بطانا لكنهم يعتمدون على قوتهم وجلدهم ويغشون ويكذبون ولا ينصحون وهذا خلاف التوكل اه

الحديث (السابع عن أبى عمارة) بضم العين المهملة وتخفيف الراء ويقال أبو عمرو ويقال أبو الطفيل (البراء) بفتح الموحدة وتخفيف المهملة والمد هذا هو الصحيح المشهور عند طوائف من أهل الحديث والتاريخ والاسماء واللغة وغيرهم ، قال المصنف فى التهذيب وحكى فيه القصر أيضا (ابن عازب) بالمهملة أوله وبعد الألف زاى فموحدة ابن الحارث بن عدى بن مخدعة بن حارثة بن الحارث ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصارى الأوسى الحارثى المدنى أبوه عازب صحابى ذكره ابن سعد فى الطبقات فلهذا قال المصنف (رضى الله عنهما) استصغر البراء (٣) يوم بدر وأول مشاهده أحد وشهد بيعة الرضوان . وفى البخارى عن البراء ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مهاجرا حتى

---

(١) نسخة البطون (٢) حاشية على الترمذى

(٣) قوله استصغر أى قيل انه صغير السن . ع

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يافلان إذا أَوَيْتَ إلى فراشك فقل اللهم أسلمتُ نفْسى اليك ، ووجَّهتُ وجهى إليك ، وفوَّضت أمرى إليك ؛ وألجأت ظهرى إليك رَغبةً ورهبةً إليك ؛ لاملجأ ولا مَنْجَى

قرأت « سبح اسم ربك الأعلى » فى سور مثلها من المفصل . روى له عن رسول صلى الله الله عليه وسلم ثلثمائة حديث وخمسة أحاديث اتفقا على اثنين وعشرين حديثا منها وانفرد البخارى بخمسة عشر ومسلم بستة نزل الكوفة وبها توفى فى زمن مصعب ابن الزبير رضي الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يافلان) تقدم الكلام فيه أواخر باب الصبر . هو أسيد بن حضير كما نقله المصنف في مبهماته عن الخطيب (إذا أويت) بالقصر على الارجح لأنه قاصر أى انضممت إلى (فراشك وقد بسطت الكلام فيه فى باب مايقول إذا استيقظ من منامه من شرح الاذكار (فقل اللهم إنى أسلمت نفسى) بسكون الياء وتفتح أى ذاتى (إليك) أى أسلمت وجعلت نفسى منقادة لك طائعة لحكمك راضــية بقضائك قانعــة بقدرك (ووجهت وجهى إليك) أى أقبلت بذاتى إليك مستسلماً راضياً قانعا وهو مع ماقبله كالأطناب (وفوضت أمرى إليك) أى توكلت فى جميع شؤونى الدنيوية والأخروية عليك . وجعلتها راجعة إليك (وألجأت) أى أسندت (ظهرى إليك) أى إلى حفظك لما علمت أنه لاسند يتقوى به سواك ، قال الطيبي : فى الجملة إشارة إلى أنه بعد تفويض أمره الذى هو مفتقر إليه وبه معاشه وعليه مدار أمره ، ملتجىء إليه مما يضره ويؤذيه من الاسباب الداخلة والخارجة (رغبة) أى طمعا فى ثوابك (ورهبة) أى خوفا من عقابك (إليك متعلق برغبة كقوله : علفتها تبنا وماء باردا ، كما قاله الكرمانى وقيل بل تنازع فيه ما قبله(١) بمعنى أنى في حالة الرغبة والرهبة لا أرجع إلا إليك وقوله (لا ملجأ) بهمزة مفتوحــة أى مستند ولا من يلجأ إليه وقيل لامخلص ولا مفر (ولا منجى) غير مهموز وقال الحافظ ابن حجر الأصل فى ملجأ الهمز وفى منجى عدمه لــكن لما جمعا جاز أن يهمزا وأن يترك الهمز منهما للازدواج وأن يبــقى كل على حاله ، ويجوز التنوين مع القصر فتصير خمسة أوجه « قلت » وكذا يجوز التنوين مع الهمز أى

(١) أي وهو رهبة ورغبة تأمل . ش

منك إلا إليك ، آمنتُ بكتابك الذى أنزلْتَ ، ونبيِّك الذى أرسلتَ . فانك إن مُتَّ من ليْلَتِكَ مُتَّ على الفطرة ، وإن أصبحتَ أصبحتَ خيراً » متفق عليه

إن لم تعمل «لا» فان أعملتها فلا تنوين مهموزاً كأن أولا (منك) قال الكرمانى تنازعه ما قبله إن كانا مصدرين وإن كانا أسمى مكان فلا : إذ اسم المكان لا يعمل (إلا إليك) أي لا ملجأ منك إلى أحد إلا إليك ولا منجى إلا إليك فهو كقوله تعالى « كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر » فالجملة استئناف لما قبله بطريق الاستئناف البيانى ونصب رغبة ورهبة على العلة لما تقدم أى أن اسلامي نفسى الخ معلل بالرغبة والرهبة ، قال الطيبي انه بطريق اللف والنشر المرتب أى فوضت أمرى طمعا فى ثوابك وألجأت ظهرى من المكاره إليك خوفا من عقابك وهو معنى صحيح بديع ولا يظهر قول ابن حجر فى شرح المشكاة إنه خلاف الصواب كما بينته مع الفرق بين الرهبة والخوف والخشية والوجل فى شرح الاذكار وقيل منصوبان على الحال أى راغبا وراهبا وقيل على الظرفية أى فى زمن تساوي الطمع والخوف الذى هو شأن أرباب الكمال ففي الحديث لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا (آمنت بكتابك الذى أنزلت) قيل الاضافة فى كتابك للعهد أى القرآن بقرينة المقام والايمان به إيمان بسائر الكتب ويؤيده قوله (ونبيك) من غير مراعاة الجار ووقع فى المصابيح باعادته (الذي أرسلت) أى أرسلته لكافة الناس بشيراً ونذيراً ويجوز أن يراد من الكتاب والنبي الجنس (فانك إن مت) بكسر الميم وضمها كما قرىء بهما فى السبع الا أن تثبت رواية بأحدهما فيوقف عندها ، ثم هو على كسرها على لغة من قال مات يمات كخاف يخاف وعلى ضمها على لغة من مات يموت كقال يقول فهو بهما مبنى للفاعل ويجوز كونه على أحدهما مبنيا للفاعل وعلى الآخر مبنيا للمفعول (من ليلتك) مع اعتقاد مضمون هذا الكلام الذي أتيت به (مت على الفطرة) أى على الايمان الذى فطر الله عليه عباده قال الله تعالى « فطرة الله التي فطر الناس عليها » وهذا كما قال في الحديث الآخر من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ، وهما وان تساويا فى فطرة الاسلام فبين الفطرتين ما بين الحالتين ، ففطرة الطائفة المذكورة فى هذا الخبر فطرة المقربين ، وفطرة الثانية فطرة أصحاب اليقين ، ذكره القرطبي (وان أصبحت) حيا (أصبحت خيراً) أي أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً (متفق عليه)

(وفى رواية فى الصحيحين) عن البراء قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتيتَ مَضْجَعَكَ فتوضأ وضوءكَ للصلاةِ ، ثم اضطجِـعْ على شِقِك الأيمن وقل ، وذكر نحوه ثم قالَ ، واجعلْهن آخر ماتقول »

« الثامن » عن أبى بكر الصِّدِّيق عبد الله بن عثمانَ بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة

ورواه أصحاب السنن الأربعة (وفى رواية فى الصحيحين عن البراء قال : قال لى) ولا ينافى ماتقدم للجمع بوقوع الخطاب بذلك له تارة ولأسيد أخرى (رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتيت مضجعك) بفتح أوله وثالثه أى مكان اضطجاعك (فتوضأ وضوءك) أى مثله (للصلاة) فى غسل الأعضاء بنية (ثم اضطجع على شقك) بكسر الشين المعجمة وتشديد القاف أى جانبك (الأيمن) وذلك لشرف الأيمن ولأنه يصير القلب حينئذ متعلقا فلا يغتبط بالنوم فيكون سبباً لقلة النوم والقيام بالليل (وقل ، فذكر نحوه) أى بمعناه و يقال مثله فيما لو كان بمبناه . هذه عادة المحدثين إذا أوردوا الحديث باسناد ثم باسناد آخر (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (واجعلهن آخر ماتقول) أى من الدعوات

الحديث (الثامن عن أبي بكر الصديق) بكسر المهملة وتشديد الثانية وهو أول من لقب بذلك فى الاسلام وغلبت الكنية عليه وعلى أبيه . لقب بذلك لمبادرته لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل لقب به صبيحة الاسراء لمبادرته لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، ويلقب بعتيق أيضا من العتاقة وهي الحسن لعتاقة وجهه أو لعتاقة نسبه ، وقيل من العتق لأن أمه كان لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به الكعبة فقالت : اللهم هذا عتيقك ، أو لأن الله تعالى عتقه من النار كما جاء كذلك فى حديث مرفوع لعائشة عند الترمذى (عبد الله بن عثمان) أبى قحافة (بن عامر بن عمرو) بفتح المهملة ويكتب بالواو حالتى الرفع والخفض لئلا يشتبه بعمر كزفر (ابن كعب) بفتح الكاف وسكون المهملة آخره موحدة (ابن سعد) بفتح المهملة الأولى وسكون المهملة الثانية (ابن تيم) بفتح الفوقية وسكون التحتية (ابن مرة) بضم

ابن كعب بن لُؤَىّ بن غالب القرشى التيمىّ رضى الله عنه ، وهو وأبوه وأمه صحابة رضى الله عنهم ، قال : نظرتُ إلى أقدام المشركين

الميم وتشديد الراء المهملة محل اجتماعه مع النبى صلى الله عليه وسلم فى نسبه الكريم (ابن كعب بن لؤي) بضم اللام وفتح الهمزة مصغر اللاأى (ابن غالب القرشى التيمي) بدأ بالأول لأنه الأصل وعقبه بما بعده لأنه شعبة منه . وتقدم فى أول باب الاخلاص أن القاعدة فى مثله ذكر الاعم ثم الاخص لتحصل بالثانى فائدة لم تحصل من الاول ولو عكس لم تحصل (رضى الله عنه) الاولى عنهما لقوله (هو وأبوه وأمه) أم الخير سلمى بنت صخر التيمية بنت عم أبيه (صحابة) ولم يتفق لاحد من الصحابة ما اتفق له من إسلام أبويه وبنيه وبعض بنيهم وصحبة الجميع (رضى الله عنهم) أسلم لما دعاه صلى الله عليه وسلم إلى الاسلام ولم يتلعثم ولم يتردد وهو أول من أسلم من الرجال الاحرار البالغين بلا خلاف ، وتأخر إسلام أبيه إلى يوم الفتح ، ويكفيك فى فضله قوله صلى الله عليه وسلم « إن أمن النـاس عليّ فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الاسلام » رواه البخارى وفضائله كثيرة ومناقبه شهيرة وقد أفردت بالتأليف وقال فى فضله حسان ابن ثابت :

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خـير البرية أتقـاها وأفضلهـا ... بعد النبى وأولاها بمـا حملا

والثـانى التالى المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا

روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنان وأربعون حديثا اتفقا على ستة أحاديث منها وانفرد البخارى بأحد عشر ومسلم بواحد وتوفي رضى الله تعالى عنه بين المغرب والعشاء من ليلة الثلاثاء لثمان بقين من شهر جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة عن ثلاث وستين سنة ، وحمل على السرير الذى كان ينام عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، وصلى عليه عمر بن الخطاب تجاه المنبر النبوي وكبر عليه أربعا ودفن بجانب قبر النبى صلى الله عليه وسلم (قال: نظرت إلى أقدام المشركين) الذين خرجوا يقصون أثر النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر ويلتمسون محله

ونحن فى الغار وهم على رءوسنا ، فقلت « يارسولَ الله لو أنَّ أحدَهم نظر تحتَ قدميهِ لأبصرنا » فقال « ما ظنُّك يا أبابكر باثنين الله ثالثهما » متفق عليه

الذى هو فيه (ونحن فى الغار) هو ثقب فى الجبل عظيم كالكهف وهو الغار المذكور فى قوله تعالى : إذ هما فى الغار . قال قتادة هو غار فى جبل بمكة يقال له ثور واختلف فى التفاضل بينه وبين غار حراء فقال الفيروزابادى فى كتاب الصلات والبشر (١) إن غار ثور أفضل لأن الله تعالى ذكره فى القرآن وحمي فيه سيد ولد عدنان وقال بعض المتأخرين غار حراء أفضل لأنه اختاره صلى الله عليه وسلم للتعبد وفيه بدء الوحي (وهم) يعنى المشركين (على رءوسنا) فى طلبنا فأعماهم الله وكيف تبصر الشمس مقلة عمياء (فقلت يارسول الله لو) وقع (أن أحدهم نظر) موضع (تحت قدميه لأبصرنا) أى من خلال أغصان الشجر وبيت العنكبوت التى كانت على باب الغار الذى دخلا منه وهو الباب الضيق أما الباب المتسع فانما شق له صلى الله عليه وسلم لما قال له الصديق لو ولجوا علينا الغار ماكنا نصنع فقال صلى الله عليه وسلم كنا نخرج من هاهنا وأشار بيده المباركة إلى الجانب الآخر ولم يكن فيه شق فانفتح فيه للحين باب بقدرة الله تعالى . ذكره الحافظ تقى الدين بن فهد فى كتاب «أقطاف النور مما ورد فى ثور» (فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك) أي ماتظن (يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما) بالنصر والمعونة والكلاءة والحفظ أيصيبهما ضيم ؟ وهذا استفهام تقريرى وفيه تسكين لما حصل للصديق حينئذ من الاضطراب (متفق عليه) ورواه الترمذى وفى الحديث تنبيه على أن من توكل على مولاه كفاه وحماه من سائر عداه ﴿ فائدة ﴾ فى كتاب اقتطاف النور بسنده الى الواحدي أنه أخرج عن غالب ابن عبدالله القرفستانى عن أبيه عن جده قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان بن ثابت أقلت فى أبى بكر شيئاً ، قل حتى أسمع قال فقلت

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد ... طاف العدو به اذ أصعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا ... من الخلائق لم يعدل به رجلا

---

(١) الفيروزابادى هو صاحب القاموس وكتاب الصلات والبشر فى الصلاة على خير البشر من مؤلفاته الكثيرة . ع

« التاسع » عن أم المؤمنين أم سَلَمَــة . واسمها هند بنت أبى أميَّة حُذيفة المخزوميَّة رضى الله عنها أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته قال « بسم الله . توكلْتُ على

قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اه

الحديث (التاسع عن أم سلمة ، بفتح المهملة واللام كنية لها بابنها سلمة بن أبى سلمة (واسمها هند) على الصحيح المشهور بل قال الحافظ العسقلانى فى أطراف مسند الامام أحمد بلا خلاف أى معتبر فلا يشكل بما قيل ان اسمها رملة لأنه ضعيف بالمرة فقد قال ابن الاثير فى أسد الغابة : انه ليس بشيء (بنت أبى أمية) بضم الهمزة وفتح الميم وتشديد التحتية (حذيفة) وقيل سهل وقيل زهير وقيل هشام بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم القرشية (المخزومية أم المؤمنين (رضى الله عنها) تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها أبى سلمة سنة أربع وخيرها ﷺ بين أن يسبع لها و يسبع لنسائه وان يثلث لها و يدور عليهن فاختارت التثليث وهى أول من هاجرت إلى الحبشة وزوجها جميعاً فولدت ثمة زينب وسلمة وعمر ودرة ويقال انها أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة وكانت من أجمل النساء . روى لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة حديث وثمانية وسبعون حديثا اتفقا على ثلاثة عشر منها وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بثلاثة عشر وماتت سنة اثنتين وستين وقيل سنة ستين وقيل إحدى وستين وصححه ابن عساكر وقيل أربع وستين وقيل تسع وخمسين ودفنت بالبقيع وعمرت فعاشت تسعين سنة وهى آخر أمهات المؤمنين وفاة رضى الله عنها (أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج) أى أراد الخروج وقيل بل هو على حقيقته أى عقب الخروج (من بيته قال) هو جواب إذا ولفظ أبى داود «ماخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيتى إلا رفع طرفه إلى السماء فقال اللهم إنى أعوذ بك الخ »وليس عنده قوله (بسم الله) أى أتحصن ، قال السمين الحلبى : إنما تحذف ألفها حيث يضاف الاسم للجلالة وإذا أضيف لغيرها لم تحذف ، هذا هو المشهور وعليه اقتصر المؤلف فى شرح مسلم ونقله عن الكتاب من أهل العربية ، قال الشيخ جلال الدين السيوطى وحكى عن الكسائى والأخفش جواز حذفها إذا أضيف الى غير الجلالة ، وقال

الله . اللهم إنى أعوذُ بك أن أَضِلّ أو أُضَلّ ، أو أَزِلّ أو أُزَلّ ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ أو أجهَل أو يُجهَل على » حديث صحيح ، رواه أبو داود والترمذى وغيرها

الفراء : هذا باطل ولا يجوز أن تحذف إلا مع اسم الله تعالى اه (توكلت على الله) وعلى فى هذا المقام للتفويض مجازاً عن الاستعلاء ، وقيل المراد من توكلت على الله طلب الاستعلاء بالله تعالى على كل مرام لتصحبه إعانته ولطفه وتحفظه من غير قصور (اللهم) ياألله (إنى أعوذ) أعتصم وألتجيء (بك) بقدرتك وعزتك من (أن أضل) بفتح أوله وكسر الضاد المعجمة أي أغيب عن معالى الأمور بارتكاب نقائصها فأبوء بالقصور عن اداء مقام العبودية ، من ضل الماء فى اللبن غاب (أو أضل) بضم ففتح مبنى للمجهول أى يضلنى غيرى (أو أزل) بفتح فكسر للزاى أى أنزل عن الطريق المستقيمة الى هوة ضدها لغلبة الهوى أو الاعراض عن أسباب التقوى والانهماك فى تحصيل الدنيا . من زلت قدمه وقع من علو إلى هبوط . والمزلة المكان المزلق الذى لاتثبت عليه الرجل وبه يظهر أن في استعمال أزل هنا نوع تشبيه (أو أزل) بضم ففتح أى يستولى عليّ من يزلنى عن المقام العلى إلى السفساف الدنى ، أو بضم فكسر أى من أن أوقع غيرى في مهواة الزلل أى المعاصى والخلل (أو أظلم) بفتح فسكون فكسر أى أظلم غيرى من الظلم وضع الشيء فى غير محله أو التصرف فى حق الغير (١) (أو أظلم) بضم فسكون ففتح أى أظلم من أحد من العباد (أو أجهل) أى أجهل الحق الواجب على (أو يجهل على) أى بأن أحمل على شيء ليس من خلقى وفى الحديث « من استجهل مؤمنا فعليه إثمه » أى حمله على شيء ليس من خلق المؤمنين فأغضبه فاثمه على ذلك المحرج (٢) له لذلك (حديث صحيح) قال الحافظ ابن حجر العسقلانى وصححه الحاكم من طريق ابن مهدى وقال إنه على شرط الشيخين ونوزع بأن فى سنده انقطاعا فان الشعبى لم يسمع من أم سلمة قال الحافظ ولعل من صححه سهل الأمر لكون الحديث فى الفضائل (رواه أبو داود والترمذى وغيرها) فرواه أحمد والنسائى وابن ماجه والحاكم

---

(١) أى بغير حق (٢) فى النسختين المحوج ولعله تحريف أو لعل المحوج هو الصواب . ع

بأسانيد صحيحة ، قال الترمذى حديث حسن صحيح ، وهذا لفظ أبى داود

« العاشر » عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« من قال — يعنى إذا خرج من بيته — بسم الله . توكلتُ على الله . ولاحول ولا قوة إلا بالله .

فى المستدرك (بأسانيد صحيحة ، وقال الترمذى حديث حسن صحيح ، وهذا) أى المذكور من قوله « اللهم إنى أعوذ بك أن أضل الخ وإلا ففيه زيادة الارفع طرفه الى السماء » ونقص قوله « بسم الله توكلت على الله » (لفظ) رواية (أبى داود) وقد أوضح ذلك في كتاب الاذكار له وعبارته بعد أن أورده بمثل اللفظ المذكور هنا : هكذا فى رواية أبى داود أن أضل وكذا الباقى بلفظ التوحيد . وفى رواية الترمذى أعوذ بك من أن نزل وكذا الباقى بلفظ الجمع . وفى رواية أبى داود « ماخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيتي إلا رفع طرفه إلى السماء فقال اللهم إنى أعوذ بك الخ » وفى رواية غيره كان إذا خرج من بيته قال كما ذكرناه والله أعلم اه فيه يعلم أن لفظ أبى داود المشار اليه إنما هو إفراد الكلمات فقط وإلا فقوله « من بيته » وزيادة قوله « بسم الله توكلت على الله » ليست فيه وقد بسطت الكلام فى هذا المحل وبينت اختلاف ألفاظه عند كل من رواية أصحاب السنن الأربعة فى باب ما يقول حال خروجه من بيته من شرح الأذكار

(وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم من قال يعنى إذا خرج من بيته) لفظ أبى داود : إذا خرج الرجل من بيته فقال ، (بسم الله) أى أتحصن (توكلت على الله) أى فوضت أمرى اليه وعولت فى سائر الأحوال عليه (لا حول) وفى نسخة باثبات الواو قبلها ويجوز فى حول الفتح على إعمال لا . والرفع على إهمالها (ولا قوة) بالنصب عطفا على محل حول إن أعملت الأولى وبالفتح على إعمال الثانية . وبالرفع على إهمالها كما سبق بيانه آخر الخطبة (إلا بالله) ومعناها لاحول عن المعاصى إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بالله قال عليه السلام كذا أخبرنى جبريل عن الله تعالى . وفى شرح

يقال له : هُديتَ وكُفيتَ ووقيتَ ، وتَنحَّى عنه الشيطان » رواه أبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم . قال الترمذى حديث حسن . زاد أبو داود « فيقول — يعنى الشيطان — لشيطانٍ آخر :

المشكاة للقارى : أحسن ماورد فى معناه عن ابن مسعود قال « كنت عندرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلتها فقال تدرى ماتفسيرها ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال لاحول عن معصية الله ولاقوة على طاعة الله إلا بعون الله » أخرجه البزار ولعل تخصيصه بالطاعة والمعصية لأنهما أمران مهمان فى الدين اه (يقال له) الجملة خبر الموصول الاسمي والقائل يحتمل أن يكون الله أو ملك (هديت وكفيت ووقيت) وهى بالبناء للمجهول فى محل نائب الفاعل لأنه أريد منها اللفظ أى باستعانتك باسمه تعالى وتحصنك به هديت للصراط المستقيم وكفيت كل مهم دنيوى وأخروى ووقيت أى حفظت من شر كل عدو وبواسطة صدقك فى تفويض جميع الأمر لبارئه وسلبك الحول والقوة عن كل أحد واثباتهما له تعالى (وتنحى) بفتح أوليه وتشديد المهملة (عنه) أى مال عن جهته وطريقه (الشيطان) فلا سبيل له اليه لكونه هدى و وقي من سائر الأعادى ، وكفى الهموم الخفايا والبوادى (رواه أبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم) فرواه ابن حبان فى صحيحه ولفظ الحديث للترمذى وقاعدة المحدثين فى مثله تقديم ذكر من خرجه باللفظ وتأخير من خرجه بنحو ما ذكروه ولعل تقديم أبى داود لكونه مقدما فى المرتبة . (وقال الترمذى حديث حسن) وفى نسخة صاحب السلاح حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه اه ونسخ الترمذى مختلفة فى مثل هذا كثيراً فلذا اعتبر فى اعتماد الأصل منه تعداد الاصول المقابل هو بها . ويحتمل أن المصنف أسقط لفظة غريب لذلك أولعدم تعلق غرضه بذكرها لانها لاتقدح فى العمل (زاد أبو داود فيقول يعنى) تفسير من بعض الرواة لمرجع هو ، المستتر فى يقول ، العائد للشيطان المذكور فى قوله وتنحى عنه الشيطان . (الشيطان) بالنصب مفعول يعنى وأل فيه عهدية (لشيطان آخر) يريد إغواء

كيف لك برجل قد هُدِيَ وكُفِيَ ووقِيَ ؟ » وعن أنس رضى الله عنه قال « كان أخوانِ على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان أحدهما يأتى النبى صلى الله عليه وسلم والآخر يحترف ، فشكا المحترِف أخاه للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : فلعلَّك ترزَق به »

قائل هذا الذكر ولم يسمع ما قاله وماقيل له أو سمعه وأراد التمرد (كيف) يتيسر (لك) أن تظفر (برجل قد هدي) وجملة قد هدى وكذا ماعطف عليها من قوله (وكفى ووقى) فى محل الصفة لرجل ؛ وجملة كيف لك الخ مقول القول، وحاصل المراد أنه يقول الشيطان لشيطان آخر كيف يتيسر لك الظفر باغواء رجل موصوف بأنه أعطى هذه الهبات ، وفى الترغيب للمنذرى والسلاح فيقول لشيطان بحذف اللام منه فيكون فاعلا وحذف المقول له ليعم . وعلم الشيطان حصول هذا المعنى لقائل هذا الذكر من الأمر العام وهو أن من ذكره تعالى بهذه الكلمات المرغب فيها منه صلى الله عليه وسلم أعطى ذلك أو بسماعه من الملك إن كان هو القائل لذلك كما تقدم فى احتمال ﴿ فائدة ﴾ فى الجامع الصغير للسيوطى إيراد الحديث السابق عن أم سلمة من حديث بريدة باللفظ المذكور هنا وزاد بعد قوله توكلت على الله لاحول ولا قوة إلا بالله وزاد فى آخره « أو أبغى أو يبغي على » وقال رواه الطبرانى من حديث بريدة وبه يعلم أن حديث أنس هذا قطعة من الحديث قبله اقتصر كل من رواته على ماذكره وترك الباقي إما نسيانا أو لسبب آخر والله أعلم

(وعن أنس رضى الله عنه قال كان أخوان) لم أقف على من سماهما (على عهد) أى زمن حياة (رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أحدهما يأتى مجلس النبي ﷺ) ويلازمه ليتلقى من معارفه صلى الله عليه وسلم ويأخذ من أقواله وأفعاله (والآخر يحترف) افتعال من الحرفة وهي الصناعة وجهة الكسب (فشكا المحترف أخاه) فى ترك الاحتراف (إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال) مسليا له فى انفراده بالاحتراف وترك أخيه الأسباب (فلعلك ترزق به) أى فلعل قيامك بأمره سبب لتيسير رزقك لأن الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ،

رواه الترمذى باسناد صحيح على شرط مسلم (يحترف) يكتسب ويتسبب .

﴿ باب الاستقامة ﴾

قال الله تعالى (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ)

وفى الحديث أيضا « وهل ترزقون أو قال تنصرون إلا بضعفائكم » وفيه تنبيه على أن من انقطع إلى الله واكتفى بتدبيره عن تدبير نفسه ، وسكن تحت جرى مقاديره كفاه مهماته ، وفى الحديث تكفل الله لطالب العلم بالرزق أي بتيسير وصوله إليه لما خرج عن حاجة نفسه وأقبل على باب مولاه واكتفى به عن أفعال نفسه وإلا فما من دابة فى الارض إلا على الله رزقها (رواه الترمذى باسناد) هو رجال الطريق الموصلة إلى المتن (على شرط مسلم) أى إنهم روى عنهم مسلم فى صحيحه ، وهذا هو المراد بقولهم على شرط الشيخين مثلا (يحترف) المذكور فى الخبر معناه (يكتسب ويتسبب) أى يتعاطى الاسباب التى أبرزتها الحكمة ستراً للتصرفات الالهية .

﴿ باب الاستقامة ﴾

فى مفردات الراغب استقامة الانسان لزومه للمنهج المستقيم نحو « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » اهـ وقال بعض العارفين : مرجع الاستقامة إلى أمرين صحة الايمان بالله واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطنا وقال عمر رضى الله عنه الاستقامة أن تقوم على الأمر والنهى ولا تروغ عنه روغان الثعلب * (قال الله تعالى فاستقم كما أمرت) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى فاستقم يامحمد على دين ربك والعمل به والدعاء إليه كما أمرك ربك والأمر فيه للتأكيد لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عنها فهو كقولك للقائم قم حتى آتيك أى دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيك وفى تفسير القرطبي إن الذى شيبه صلى الله عليه وسلم من سورة هود قوله « فاستقم كما أمرت » وقال روى عن عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا على الشنوى يقول : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يارسول الله روى عنك أنك قلت شيبتنى هود

وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ)

وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

فقال نعم فقلت له ما الذى شيبك منها قصص الانبياء وهلاك الامم ؟ قال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت » اه * (وقال تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على التوحيد وغيره مما وجب عليهم (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت (أن) أى أو بأن (لا تخافوا) من الموت وما بعده (ولا تحزنوا) على ما خلفتم من أهل وولد فنحن نخلفكم فيهم (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا) أى حفظتكم فيها (وفى الآخرة) أى نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم) قيل فى اضافتها إليهم إشارة إلى تنعم أنفسهم التي ذاقت المرارة فى الدنيا وانظر إلى « تشتهى » وإلى قوله « تدعون » فى قوله (ولكم فيها ما تدعون) أى تطلبون فان فيه اشارة إلى تفاوت المراتب ولا يخفى أن ذلك مما تذهب فيه النفس كل مذهب (نزلا) رزقا مهيأ منصوب بجعل مقدرا (من غفور رحيم) وهو الله تعالى وإذا كان هذا النزل وهو الكرامة المعجلة فكيف بالمؤجلة رزقنا الله تعالى اتباع الكتاب والسنة وختم لنا بالحسنى بمنه آمين

(وقال تعالى إن الذين قالوا ربنا الله) أى آمنوا به ووحدوه (ثم استقاموا) اعتادوا على ذلك وداموا عليه إلى أن يتوفاهم الله عليه والمراد الاستقامة على التوحيد الكامل واتباع الكتاب والسنة (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . أولئك أصحاب الجنة) بفضل الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله » . الحديث (خالدين فيها) حال مقدرة (جزاء) منصوب على المصدرية بفعله المقدر أى يجزون جزاء (بما كانوا يعملون)

وعن أبى عمرو . وقيل أبى عمرة . سفيان بن عبد الله رضى الله عنه قال (قلت . يارسول الله قل لى فى الاسلام قولا لاأسأل ، عنه أحداً غيرك . قال : قل آمنت بالله ثم استقم » رواه مسلم

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله) قالوا (ولا أنت يارسول الله) قال (ولا أنا

(وعن أبى عمرو) بفتح العين المهملة (وقيل أبى عمرة) بزيادة تاء فى آخره (سفيان) بضم السين على الافصح وهو بتثليث السين (ابن عبد الله الثقفي رضى الله عنه) معدود من أهل الطائف كان عاملا عليه لعمر حين عزل عنه عثمان بن أبى العاص ونقله الى البحرين روى له مسلم هذا الحديث والترمذى والنسائى وابن ماجه (قال قلت يارسول الله قل لى فى الاسلام) أى فى دينه وشريعته (قولا) جامعا لمعانى الدين واضحا فى نفسه بحيث لا يحتاج إلى تفسير غيرك أعمل عليه وأكتفى به بحيث (لا أسأل) أى لا يحوجنى لما اشتمل عليه من بديع الاحاطة والشمول ونهاية الايضاح والظهور إلى أن أسأل (عنه أحداً غيرك (١) قال قل آمنت بالله) أى جدد إيمانك متذكراً بقلبك ذاكراً بلسانك مستحضراً تفاصيل معانى الايمان الشرعى التي مرت فى حديث جبريل (ثم استقم) على عمل الطاعات والانتهاء عن جميع المخالفات إذ لا تتأتى الاستقامة مع شىء من الاعوجاج فانها ضده والحديث على وفاق الآية قبله (رواه مسلم) وأخرجه أحمد والدارمى وابن حبان فى صحيحه والطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة (٢) والحاكم فى مستدركه والبيهقى فى شعب الايمان والخرائطى فى مكارم الاخلاق وغيرهم قال المصنف هـذا أحد الاحاديث التى عليها مدار الاسلام * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا واعلموا أنه) أى الشأن (لن ينجو أحد منكم) من الله (بعمله قالوا ولا أنت) أى ولا تنجو بعملك فحذف الفعل فانفصل الضمير ويحتمل أن يكون ولا أنت ناج بعملك فيكون مبتدأ محذوف الخبر (قال ولا أنا) أى ولا أنجو أو ولا أنا

---

(١) هذه الأوصاف للقول يومىء اليها تنوين قولا فانه للتعظيم (٢) اسم كتاب

الا أن يتغمدَنى اللهُ برحمةٍ منه وفضل)

ناج بالعمل (إلا أن يتغمدنى) أى يغمرنى (الله برحمة منه وفضل) و يلبسنيها و يغمرنى بها ومنه غمدت السيف وأغمدته أى جعلته فى غمده وسترته به . قال المصنف فى شرح مسلم مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا حكم شرعى ولا يثبت ذلك كله الا بالشرع ومذهبهم أن الله تعالى لا يجب عليه شىء بل الدنيا والآخرة ملكه يفعل مايشاء ويحكم ما يريد فلو عذب المطيعين جميعهم وأدخلهم النار لكان عدلا منه ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك ولكنه أخبر وخبره صدق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه . وفى هذا الحديث دليل ظاهر لما قلناه من أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته . وأما قوله تعالى «ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون» ونحوها من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فهى لا تعارض هذه الأحاديث بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله وفضله فصح أنه لم يدخل الجنة أحد بمجرد العمل وهو مراد الاحاديث ويصح أن يقال إنه دخل بالأعمال المسببة عن الفضل أى بسببها وهى من الرحمة اه ملخصاً وأشار العارف بالله تعالى ابن أبى جمرة الى جواب آخر حاصله أن الأعمال أسباب عادية كسائر الاسباب التى هى من مقتضيات الحكمة ولا تأثير لها فى دخول الجنة فالنفى باعتبار التأثير بمعنى أن الذى يؤثر فى دخول الجنة فى الحقيقة انما هو الله تعالى لا الاعمال فانما هى مجرد أسباب صورية اقتضتها الحكمة الإلهية والاسناد اليها تارة باعتبار أنها سبب صورى وسيأتى فى باب بيان طرق الخير أجوبة أخرى . قال ابن أبى جمرة وفى الحديث دلالة على أنه ليس أحد من الخلق يقدر على توفية حق الربوبية على ما يجب لها ، يؤخذ ذلك من قوله ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته فاذا كان هو وهو خير البشر وصاحب المقامات العلا لا يقدر على ذلك فالغير أحرى وأولى وإذا تأملت ذلك من جهة النظر تجده مدركا حقيقة لأنه إذا طالبنا بشكر النعم التى أنعم علينا عجزنا عنه بالقطع ومنها مالا نعرفه كما قال « وإن تعدوا نعمة

رواه مسلم (والمقاربة) القصد الذى لاغلو فيه ولاتقصير (والسداد) الاستقامة والإصابة (ويتغمدنى) يلبسنى ويسترنى ـ قال العلماء : معنى الاستقامة لزوم طاعة الله تعالى . قالوا : وهى من جوامع الكلم ، وهى نظام الأمور . وبالله التوفيق

﴿ باب فى التفكر فى عظيم مخلوقات الله تعالى ﴾

الله لا تحصوها » فكيف غير ذلك من أنواع التكليفات فما بقى إلا ما أخبر به الصادق وهو التغمد بالفضل والرحمة . (رواه مسلم ـ والمقاربة القصد الذى لا غلو فيه) أي مجاوزة المأمور به والزيادة فيه (ولا تقصير) أى إخلال بشيء منه (والسداد) بفتح الأولى (الاستقامة والاصابة) قال بعضهم : السداد هو الاصابة فى الأقوال والأعمال والمقاصد . والاصابة فى جميعها هى الاستقامة (ويتغمدنى يلبسنى ويسترنى) هو مثل يتغمدنى فى التعدى بالباء وإن كان لا يلزم من ترادف معنى الفعلين توافقهما فى الاستعمال والصلة (١) كصلى فانه بمعنى دعا ومع هذا « فالأول » يعدى بعلى فى الخير « والثانى » لا يعدى بها الا فى الشر (قال العلماء معنى الاستقامة) المطلوبة الممدوحة بالكتاب والسنة (لزوم طاعة الله تعالى) ويلزم من ذلك ترك منهياته (قالوا) أي العلماء (وهي من جوامع الكلم) هو أن يكون اللفظ قليلا والمعنى جزيلا وهو ما أعطيه صلى الله عليه وسلم (وهى) أى الاستقامة (نظام الأمور) قال بعض العلماء : الاستقامة هى الدرجة القصوى التى بها كمال المعارف والأحوال ، وصفاء القلوب في الاعمال وتنزيه العقائد عن سفاسف البدع والضلال قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى : من لم يكن مستقيما فى حاله ضاع عمله وخاب جده ، ونقل أنه لا يستطيعها الا الأكابر لأنها الخروج عن المألوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدى الله تعالى على حقيقة الصدق ، ولعزتها أخبر صلى الله عليه وسلم ان الناس لن يطيقوها ، فقد أخرج أحمد « استقيموا ولن تطيقوا »

﴿ باب التفكر ﴾

أى إجالة الفكر (فى عظيم مخلوقات الله تعالى) كالعرش والكرسى والسماء والأرض ففى الحديث « ما السماء والأرض وما بينهما فى العرش إلا

---

(١) أى الحرف الذى يتعدى به ، ويتوصل به الى المعمول اهـ

وفناءِ الدنيا وأهوال الآخرة ، وسائر أمورهما وتقصير النفس ،
وتهذيبها ، وحملِها على الاستقامة ❊

قال الله تعالى (قل إنما أعظكم بواحدةٍ ،

كحلقة ألقيت فى فلاة من الأرض » وعظم المخوق (١) يدل على كمال الخالق وعظمته (و) التفكر فى (فناء الدنيا) واضمحلالها وتلاشى أمرها قال تعالى « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح » ليبعثه ذلك على الزهد فيها والاعراض عن غرورها والاقبال على الآخرة ، ففى الحديث « كونوا أبناء الآخرة ولا تكونوا أبناء الدنيا » فان رفع الله قدره وخلصه عن السوى وخصصه بالتخلص للمولى فتلك الغاية القصوى (و) التفكر فى (أهوال الآخرة) وشدائدها كما قال تعالى « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى » وقال تعالى « يوما يجعل الولدان شيبا » (٢) ليبعثه ذلك على التقوى وطاعة المولى فينجو من كرب الدارين ويجزى بالاحسان قال تعالى « هل جزاء الاحسان إلا الاحسان » (وسائر أمورهما) أى أمور الدنيا وأنها جميعها فانية ، وأهوال الآخرة ، وأنها شديدة (وتقصير) أمل (النفس بذكر الموت وتهذيبها) من الاخلاق السيئة بتذكر أهوال الآخرة وشدة عقابها وحملها (على الاستقامة) بتذكر النفس ماورد من الوعد الصادق فى الطاعة من الثواب بمحض الفضل . وعلى المعصية من العقاب بطريق العدل وهذا إنما يبلغه العبد بتأييد الله سبحانه وتعالى وتوفيقه لاتباع الكتاب والسنة فان ظفر بشيخ مرشد مرب موصل للمريد إلى طريق الحق بتهذيب النفس من رعونتها وتحليتها بأنواع العبادات فذلك أعلى وإلا فما لا يدرك كله لا يترك كله ❊ (قال تعالى قل إنما أعظكم بواحدة)

---

(١) قوله وعظم المخلوق الخ قياس ما سيأتى أن تكون العبارة ليبعثه ذلك على معرفة عظمة الخالق فان عظم المخلوق يدل الخ . ش (٢ أول الآية (فكيف تتقون إن كفرتم)

أن تقوموا لله مَثْنَى وفرادى ثم تتفكروا)* وقال تعالى (إنَّ فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكُرونَ اللهَ قِياماً وقُعوداً وعلى جنُوبهم ويتفكَّرونَ فى خَلْقِ السموات والأرض .

هي (أن تقوموا) بالانتصاب فى الأمر والنهوض فيه بالهمة (لله) أى لأجله (مثنى) أى اثنين اثنين (وفرادى) أى واحداً واحداً (ثم تتفكروا) أى فى السموات والارض فتعلموا أن خالقهما واحد فعلى هـذا تم الكلام بقوله تتفكروا وقوله « ما بصاحبكم من جنة » ابتداء كلام وهـذا أحد قولين فى الآية للمفسرين والثانى أن المراد التفكر فى شأن النبي ﷺ بأن يتفكروا أى يتفكر كل منهم فى ذلك ويعرض كل فكرته على صاحبه لينظرا فيـه نظر متصادقين متناصفين لا يميل به اتباع الهوى وبأن يتفكر الواحد أيضا بعدل ونصف هل رأينا فى هذا الرجل جنونا قط أو كذبا وقد علمتم أن محمدا ما به من جنة بل علمتموه أرجح قريش عقلا وأوزنهم حلما وأحدهم ذهنا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال فاذا علمتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بآية فاذا أجابها تبين أنه صادق مما جاء به * (وقال تعالى إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات) لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته (لأولى الألباب) العقول المجلوة عن شوائب الحس والوهم ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة فى هذه الآية لأن مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة أنواعه فانه إما أن يكون فى ذات الشيء كتغير الليل والنهار أو جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها أو الخارج عنه كتغير الأفلاك بتبدل أوضاعها وعن عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ « ويل لمن قرأها ولم يفكر فيها » رواه ابن حبان وغيره (الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم) أى يذكرون دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين ، وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم (ويتفكرون فى خلق السموات والأرض) استدلالا واعتبارا وهو أفضل العبادات ، أخرج ابن حبان عن على قال : قال رسول الله ﷺ «لا عبادة كالتفكر» أى لأنه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وأخرج الثعلبي بسند فيه من لا يعرف عن أبى هريرة رضى الله عنه عنه ﷺ « بينما رجل

رَبّناما خَلقْتَ هذا باطلاً ، سبحانك) الآيات *

مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى السماء والنجوم فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفرلى فنظر الله اليه فغفر له » وعن ابن عباس وأبى الدرداء «فكرة ساعة خير من قيام ليلة » وقال الحسن بن أبى الحسن « الفكرة مرآة المؤمن ينظر فيها إلى حسناته والى سيئاته » وقال سرى السقطى : الفكرة خير من عبادة سنة ما هو إلا أن تحل أطناب خيمتك فتحطها فى الجنة وفى تفسير ابن عطية: حدثنى أبى عن بعض علماء المشرق قال : كنت بائتا بمسجد فى مصر فصليت العتمة فرأيت رجلا قد اضطجع مسجى بكسائه حتى أصبح . وصلينا تلك الليلة وسهرنا فلما أقيمت صلاة الصبح قام ذلك الرجل فاستقبل القبلة وصلى مع الناس فاستعظمت جرأته فى الصلاة بغير وضوء فلما فرغت الصلاة خرج فتبعته لأعظه فلما دنوت منه سمعته يقول :

مستنجز (١) الجسم غائب حاضر   منتبه القلب صامت ذاكر
منقبض فى العيون منبسط   كذاك من كان عارفا فاكر
يبيت فى ليلة أخا فكر   فهو مدى الليل نائم ساهر

وانصرفت عنه قال فقلت إنه ممن يعبد الله بالفكرة اه . (ربنا ما خلقت هذا باطلا) حال من فاعل يتفكرون على إرادة القول أى يتفكرون قائلين ذلك و « هذا » إشارة إلى المتفكر فيه أو الخلق على أنه أريد به المخلوق من السموات والأرض أو إليهما لأنهما فى معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل لحكم عظيمة من جملتها أن يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الأبدية والسعادة السرمدية فى جوارك (سبحانك) تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض (الآيات) يحتمل أن يكون إلى قوله « إنك لا تخلف الميعاد » ويحتمل أن يكون إلى آخر السورة والأول أقرب وكرر فى الدعاء ربنا خمس مرات مبالغة فى الابتهال ودلالة على استقلال المطالب (٢) وعلو شأنها وفى الآثار : « من حزبه أمر فقال

---

(١) فى حاشية : لعله « مستتر » (٢) أى إن كل مطلب مستقل بنفسه ومقصود للطالب ش

وقال تعالى (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إلى الإِبِلِ كيفَ خُلِقَتْ ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نُصبت وإلى الأرض كيف سطحت ، فذكِّر إنما أنت مذكِّر) * وقال تعالى (أفلم يسيروا

خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراده » ثم قرأ هذه الايات (وقال تعالى أفلا ينظرون) نظر اعتبار (إلى الابل كيف خلقت) خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لحمل الأثقال إلى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن قادها طوال الأعناق لتبوء بالأوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش إلى عشر فصاعدا ليتأتى بها قطع البرارى والمفاوز مع مالها من منافع أخرى ولذا خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة فى الحيوانات التى هى أشرف المركبات وأكبرها صنعا ولأنها أعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة (وإلى السماء كيف رفعت) بلا عمد (وإلى الجبال كيف نصبت) فهى راسخة لا تميل (وإلى الأرض كيف سطحت) بسطت حتى صارت مهاداً والمعنى أفلا ينظرون إلى أنواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به أمر المعاد ورتب عليه الأمر بالتذكير فقال (فذكر) وفى تفسير ابن عادل إن قيل ما المناسبة بين هذه الأشياء ؟ فالجواب قال الزمخشرى من فسر الابل بالسحاب فالمناسبة ظاهرة وذلك تشبيه ومجاز ، ومن حملها على الابل فالمناسبة بينها وبين السماء والارض والجبال من وجهين « أحدهما » أن القرآن نزل بلغة العرب وهم أهل اسفار والمسافر قد يخلو بنفسه لفقد من يصحبه وشأن الانسان إذا انفرد الاقبال على التفكر فى الأشياء فاذا فكر فأول ما يقع نظره على الجمل الذى هو راكبه فاذا هو منظر جميل جمع أموراً تدل على كمال قدرته سبحانه وإن نظر إلى ما فوق فالى السماء أو إلى تحت فالأرض أو إلى الجانب فالجبال فكأنه تعالى أمره بالنظر وقت الخلوة والانفراد حتى لا تحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر « الثانى » أن جميع المخلوقات دالة على الصانع إلا أن منها ماهو مشتهى للنفس كحسن الصور واللباس والنزهة فهذه استحسانها قد يمنع من كمال النظر فيها ومنها ما لاحظ فيه للشهوة فأمر بالنظر فيها اذ لا مانع من اكمال النظر فيها اه * (وقال تعالى أفلم يسيروا

فى الأرض فينظروا) الآية — والآيات فى البـاب كثيرة ، ومن الأحاديث الحديث السابق « الكيِّس من دان نفسه »

﴿ باب فى المبادرة إلى الخيرات وحث من تَوَجَّه لخير على الاقبال عليه بالجدّ من غير تردُّد ﴾

قال الله تعالى (فاستبقوا الخيرات) — وقال تعالى (وسارعوا إلى مغفرَةٍ من ربِّكم وجنَّةٍ عَرْضُها السَّموات وَالأرض ، أُعِدَّتْ لِلمُتَّقِينَ)

فى الأرض فينظروا) أى إلى تقلب الأحوال بأبناء الدنيا واضمحلالهم بعد وجودهم فيها وتلاشى أمرهم بعد كمال قوتهم صورة فيعرفون أن الحى القيوم هو الله وأن غيره فان فلا يركنوا إلى الدنيا ولا يغتروا بزهراتها ولا يقبلوا على مستلذاتها وشهواتها ويغفلوا عما خلقوا له من عبادة مولاهم وطاعته اللذين بهما كمال المرء وسعادته (الآية) بالنصب أى اقرأ الآية أو بالرفع أى الآية إلى آخرها معلومة أو المستدل به الآية فهو مبتدأ أو خبر (والآيات فى الباب كثيرة ومن الأحاديث الحديث السابق) عن شداد بن أوس فى باب المراقبة (الكيس من دان نفسه) وعمل لما بعد الموت ، فان محاسبته لها وعدم تركها هملا إنما ينشأ عن تفكره فى الدنيا وزوالها وفى نفسه وانتقالها كأنك بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل فيحاسب نفسه فيمنعها عما لا ينبغى ويحليها بما يرضى الله ، وبالله التوفيق

﴿ باب المبادرة ﴾

أى المسارعة (إلى) فعل (الخيرات وحث) أى حض (من توجه لخير على الاقبال عليه) أى على التوجه (بالجد) بالعزم على الأمر والاتيان به (من غير تردد فى ذلك * قال تعالى فاستبقوا الخيرات) سارعوا إليها (وقال تعالى وسارعوا) بادروا (إلى مغفرة من ربكم) أى الأعمال الموجبة للمغفرة بالوعد الصادق أو إلى التوبة أو إلى أداء الفرائض أو إلى الهجرة (و) إلى (جنة عرضها السموات والأرض) أى كعرضها أى سعتها كذلك وخص العرض بالذكر لأن طول كل شىء غالبا أكثر من عرضه هذا عرضها وأما طولها فلا يعلمه إلا الله وهذا على التمثيل لا أنها كالسموات والأرض لا غير ، بل كعرض السموات والارض عند ظنكم (الآية) أى أتم الآية يعنى (أعدت للمتقين) وهو وقف تام وما بعده من الآيات وصف للمتقين المعد لهم الجنة فى علم الله

وأما الأحاديث « فالأول » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال « بادِرُوا بالأعمال الصالحة ، فستكونُ فِتَنٌ كقِطَعِ الليلِ المظلِمِ ، يُصبحُ الرجلُ مؤمناً ويمسى كافراً ، ويُمسى مؤمناً ويُصبح كافراً ، يَبيعُ دِينَه بعَرَضٍ من الدنيا » رواه مسلم

« الثاني » عن أبي سِرْوعةَ ـ بكسر السين المهملة وفتحها ـ عقْبةَ بن الحارث

من فضله * (وأما الأحاديث: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بادروا بالأعمال فتنا) أي ائتوا بالعمل الصالح وابتدروا إليه قبل ظهور المانع منه من الفتن فهو قريب من حديث « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » ثم وصف الفتن المانعة من كمال العمل أو من أصله بأنها (كقطع) بكسر ففتح جمع قطعة أي طائفة (من الليل المظلم) أي كلما ذهبت ساعة منه مظلمة عقبتها ساعة مثل ذلك ، قال في النهاية : أراد فتنة سوداء تعظيما لشأنها اهـ وفي الحديث إشارة إلى تتابع الفتن المضلة أواخر الزمان وكلما انقضى منها فتنة عقبتها أخرى . وقانا الله من الفتن بمنه وكرمه (يصبح الرجل مؤمنا) أي باقيا على إيمانه الذي كان عليه (ويمسى) بضم التحتية فيه وفي يصبح (كافراً) يحتمل الكفران بالنعم لما يداخله من المعاصي المبعدة من ساحة الشكر . ويحتمل الكفر الحقيقي ، قال القرطبي : ولا يمتنع حمله على ذلك لأن الفتن اذا تراكمت أفسدت القلب وأورثته القسوة والغفلة التي هي سبب الشقاء (ويمسى مؤمنا ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض) بفتح الراء أي متاع وحطام (من الدنيا) استئناف بياني أي أن سبب كفره بيعه أي أخذه العرض في مقابلة دينه بأن يأخذ أو يستحل مال أخيه المسلم أو يستحل الربا والغش أو نحوه مما أجمع على تحريمه وعلم من الدين بالضرورة ، قال القرطبي : ففي الحديث التمسك بالدين (رواه مسلم) ورواه أحمد والترمذي كما في الجامع الصغير ، وزاد في آخر الحديث « يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل » (وعن أبي سروعة ـ بكسر السين المهملة وفتحها) وإهمال الراء والعين (عقبة بن الحارث) بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي

رضى الله عنه قال : صليت وراء النبيّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة العصرَ فسلّم ثم قام مُسْرِعاً فتخطّى رقابَ الناسِ إلى بعض حُجَر نسائه ، ففَزِعَ الناسُ من سُرعته ، فخرج عليهم ، فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته فقال « ذكَرْتُ شيئاً من تِبرٍ عِندنا ، فكَرِهتُ أن يحبسنى ، فأمرتُ بقسمته » رواه البخارى — (وفى رواية له) « كنتُ خلَّفت فى البيت تبراً من الصَّدقة ، فكرهت أن أُبيِّته » (التبر)

النوفلى (رضى الله عنه) وما ذكره المصنف من أنه أبو سروعة قول أهل الحديث ومصعب الزبيرى . وأهل النسب يقولون إن عقبة أخو أبى سروعة وانهما أسلما معا يوم الفتح ، قال ابن الاثير وهو الأصح ؛ روى له البخارى ثلاثة أحاديث (قال صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة) علم بالغلبة على مهاجره ﷺ والنسبة إليها مدنى (العصر) هذا بناء على أنها اسم للصلاة وعلى كونها اسم للوقت فهو على تقدير المضاف أى صلاة العصر (فسلم ثم قام مسرعا) لعل تراخى القيام عن السلام مع مبادرته فى الاثر وإسراعه أنه إنما تذكر حينئذ ، وفى رواية فقام (فتخطى رقاب الناس) أى قطع الصفوف حال جلوس الناس . أما وهم قيام فيقال له خرق الصفوف (إلى بعض حجر نسائه) متعلق بتخطى ، وحجر بضم الحاء وفتح الجيم جمع حجرة اسم للمنزل (ففزع) بوزن علم من الفزع الخوف أى خاف (الناس من سرعته) فى السير إلى تلك الحجرة . وعادته صلى الله عليه وسلم أن يمشى هونا وعادتهم الفزع إذا رأوا منه غير ما يعهدون خشية أن ينزل فيهم شىء يسوءهم (فخرج عليهم فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته) فى خروجه من الحجرة (فقال ذكرت شيئا من تبر) بكسر الفوقية وسكون الموحدة ، وفى رواية « وأنا فى الصلاة » وعليه فثم فى قوله ثم قام مستعارة من الفاء (عندنا فكرهت أن يحبسنى) أى يشغلنى التفكر فيه عن التوجه والاقبال على الله تعالى ، وفهم بعضهم معنى آخر فقال : إن تأخير الصدقة يحبس صاحبها يوم القيامة (فأمرت بقسمته) وفى رواية فقسمته وفيه جواز الاستنابة مع القدرة على المباشرة (رواه البخارى) وترجم له باب « من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم » (وفى رواية له كنت خلفت فى البيت تبراً من الصدقة فكرهت أن أبيته) من التبييت أى أتركه عندى ولا أدفعه لمستحقه ، ففيه المبادرة لأداء القربات وفعل الخيرات و (التبر

قطع ذهب أوفضة

« الثالث » عن جابر رضى الله عنه قال : قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم يوم أُحُدٍ (أرأيتَ ان قتلتُ فأين أنا) قال (فى الجنة) فألقى تمراتٍ كُنَّ فى يده ، ثم قاتل حتى قُتل . متفق عليه

قطع) بكسر القاف ففتح المهملة (ذهب أو فضـة) هذا قول لبعضهم ، والذى قال الجوهرى انه الذهب فقط ، فلذا قال فى فتح البارى : التـبر الذهب إذا لم يصف ولم يضرب ، وأطلقه بعضهـم على جميع جواهر الأرض قبل أن يصاغ أو يضرب ، حكاه ابن الانبارى عن الـكسائى ، وكذا أشار إليه ابن دريد ، وقيل هو المـكسور حكاه ابن سيده

(وعن جابر) أى ابن عبد الله (رضى الله عنه قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد) قال الخطيب هو عمر بن الحمام ابن الجموح بن حرام الانصارى وقيل غيره لأنه كانت قصته هذه يوم بدر لا يوم أحد نقله المصنف فى مبهماته (أرأيت) بفتح الفوقية أى أخبرنى (إن قتلت) أى فى سبيل الله (فأين أنا) أى فأين أصير حذف الفعل فانفصل مرفوعه (قال فى الجنة فألقى تمرات) أى قليلات (كن فى يده) كان يأكل منهن ولم يطمئن للأكل مسارعة للجهاد ثم لم يرض بالصبر مدة أكل تلك الحبات مسارعة للخيرات واستباقا لمرضاة الله عليه (ثم قاتل حتى قتل متفق عليه) وفى أخرى عنه « لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل » . رواه مسلم من حديث أنس . وذكر ابن عقبة فى مغازيه أنه أول من قتل يومئذ من المسلمين وفى كتاب « مفتاح البلاد فى فضائل الغزو والجهاد » تأليف جدى الشيخ محمد علان الصديقى البـكرى سبط آل الحسن روى الحاكم عن أنس أن رجـلا أسود أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنى رجل أسود اللون منتن الريح لا مال لى فان أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل فأين أنا ؟ قال فى الجنـة فقاتل حتى قتـل فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال بيض الله وجهـك وطيب ريحك وأكثر مالك الحديث اهـ .

«الرابع» عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسولَ الله أىُّ الصدقة أعظم أجراً ؟) قال (أن تَصدَّق وأنت صحيح شحيحٌ ، تخشى الفقر وتأمُلُ الغنى . ولا تُمْهِلْ حتى إذا بلغَت الحلقومَ

(وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل) قال فى فتح البارى لم أقف على اسمه و يحتمل أنه أبو ذر ففى مسند أحمد أنه سأل أى الصدقة أفضل لكن فى الجواب : جهد من مقل أو سر إلى الفقير وكذا فى مسند عبد بن حميد أن أباذر سأل فأجيب (إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله أى الصدقة أعظم أجراً) فى رواية أى الصدقة أفضل (قال ان تصدق) بتشديد الصاد والدال المهملتين وأصله تتصدق بتاءين فأدغمت احداهما فى الصاد (١) (وأنت صحيح شحيح) قال الخطابى الشح أعم من البخل وكأن الشح جنس والبخل نوع وأكثر ما يقال البخل فى افراد الأمور والشح عام وقيل هو الذى كالوصف اللازم ومن قبيل الطبع قال فمعنى الحديث أن الشح غالب فى حال الصحة فاذا سمح فيها وتصدق كان أصدق فى نيته وأعظم لأجره بخلاف من أيس من الصحة ورأى مصير المال لغيره فان صدقته حينئذ ناقصة بالنسبة إلى حال الصحة والشح ورجاء البقاء وخوف الفقر اه وفى فتح البارى قال صاحب المنتهى الشح بخل مع حرص وقال صاحب المحكم الشح بتثليث الشين والضم أعلى وقال صاحب الجامع كأن الفتح فى المصدر والضم فى الاسم (تخشى) أى تخاف ولهذا الفعل ستة مصادر نظمها ابن مالك فقال

خشيت خشياً ومخشاة ومخشية   وخشية وخشاء ثم خشيانا

(الفقر) أى ان أنفقت لوسوسة الشيطان بذلك قال تعالى « الشيطان يعدكم الفقر » (وتأمل) بضم الميم (الغنى) أى تطمع به (ولا تمهل) بالاسكان على أنه نهى ، والرفع على أنه نفى ويجوز النصب قاله فى فتح البارى أى لا تؤخر الصدقة (حتى إذا بلغت) أى الروح (الحلقوم) أى قاربت بلوغه إذ لو بلغته حقيقة لم تصح وصية ولا صدقة ولا شىء من تصرفاته بالاتفاق ولم يجر للروح ذكر

---

(١) ويجوز تخفيف الصاد على حذف احدى التاءين . كرمانى

قلتَ لِفلانٍ كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا) متفق عليه (الحلقوم) مُجرى النفس و (المرىء) مجرى الطعام والشراب

« الخامس » عن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفا يوم أحد فقال « مَن يأخذ

اكتفاء بدلالة السياق كالآية (قلت) ليأسك من الحياة أوصيت (لفلان) بما هو (كذا و) أوصيت (لفلان) بما هو (كذا وقد كان لفلان كذا الظاهر أن هذا من باب الاقرار لا الوصية ، وقال الخطابى فلان الاول والثانى الموصى له وفلان الاخير الوارث قال يريد يعنى النبى صلى الله عليه وسلم أنه اذا صار للوارث إن شاء أبطله وإن شاء أجازه . وقال غيره يحتمل أن يكون المراد من الجميع الموصى له وانما دخل كان فى الثالث اشارة الى تقدير المقدر له فى الازل بذلك وقال الكرمانى : يحتمل أن يكون الثالث المورث أو الموصى له ، قال الحافظ : ويحتمل أن يكون بعضها وصية وبعضها اقراراً ، وقد وقع فى رواية ابن المبارك قلت اصنعوا لفلان كذا وتصدقوا لفلان بكذا اه ملخصا قيل وهذا من باب التسجيل عليه أى اذا كان طمعك فى الحياة أوجب لك كتمان الحق اللازم لك الى أن أيست منها فما أقررت به الا الآن ولم تقر به قبل فأولى أن يوجب لك الطمع تأخير الصدقة الى الآن ، فاحذر ذلك فانك يؤخذ من مالك حيث لا ينفعك التحسر ولا يفيدك الندم (متفق عليه) ورواه أبو داود والترمذى والنسائى . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يتصدق المرء فى حياته بدرهم خير له من أن يتصدق بمائة عند موته » رواه أبو داود وقال الحافظ فى فتح البارى أخرجه الترمذى باسناد حسن وصححه ابن حبان . (الحلقوم) بضم الحاء المهملة وسكون اللام وبالقاف قال فى النهاية : والميم أصلية : وقيل إنه مأخوذ من الحلق فالواو والميم زائدتان (مجرى) بضم الميم وسكون الجيم محل جريان (النفس) بفتح النون والفاء (والمرىء) بفتح الميم وكسر الراء المهملة مهموز ممدود ، (مجرى الطعام والشراب) من الحلق وجمعه مرؤ كسرير وسرر

(وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفا يوم أحد) بضم أوليه جبل معروف بالمدينة كانت عنده الغزوة المعروفة (فقال من يأخذ

مِنِّى هَذَا ؟ » فبسطوا أيديهم ، كلُّ إنسان منهم يقولُ أنا أنا ، قال « فمن يأخذه بحقِّهِ ؟ » فأحجَمَ القومُ ، فقال أبو دُجانَةَ رضى الله عنه : أنا آخُذُهُ بِحَقِّهِ . فأخذه فَفَلَقَ به هامَ المشركين . رواه مسلم (اسم أبى دجانة) سماك بن خرشة (قوله أحجم القوم)

منى هذا ؟) أى السيف مطلقا عن التقييد (فبسطوا) بموحدة فمهملتين (أيديهم) أى مدوها لأخذه (كل إنسان منهم يقول أنا) آخذه (أنا) آخذه والتكرار باعتبار التعدد فى معنى كل (قال) صلى الله عليه وسلم (فمن يأخذه بحقه) قال القرطبي يعنى بهذا الحق أن يقاتل بذلك السيف إلى أن يفتح الله على المسلمين أو يموت (فأحجم القوم) لما فهموا ذلك (فقال أبو دجانة) بضم الدال المهملة وبالجيم وبعد الالف نون (واسمه سماك بن خرشة) بن لودان الانصارى مشهور بكنيته (رضى الله عنه) شهد بدرا وأحداً ودافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ هو ومصعب بن عمير وكثرت فيه الجراحات وقتل مصعب واستشهد أبو دجانة يوم اليمامة . قال أبو عمرو إسناد حديث الحرز المنسوب اليه فيه ضعف وقيل إنه موضوع والاول أشهر (أنا آخذه بحقه) أى بعد أن قال يارسول الله وما حقه ؟ فقال أن تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى فقال أنا آخذه (فأخذه) فقام بشرطه ووفى بحقه (ففلق) أى شق (به هام) بتخفيف الميم أى رءوس (المشركين) وفى سيرة ابن سيد الناس عن الزبير أنه قال : وجدت فى نفسى حين سألت النبى صلى الله عليه وسلم السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة فقلت والله لأنظرن ما يصنع فاتبعته فأخذ عصابة حمراء فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت ، وهكذا كان يقول إذا عصب بها . فخرج وهو يقول :

أنا الذى عاهدنى خليلى ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر فى الكيول أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لايلقى أحدا إلا قتله (رواه مسلم) و(قوله أحجم القوم) قال فى شرح مسلم هو بحاء ثم جيم ، كذا فى معظم الأصول ، وفى بعضها بتقديم الجيم على الحاء ، وادعى القاضى عياض أنه الرواية ولم يذكره غيره ، قال : لكنهما لغتان ومعناها

أى توقفوا و (فلق به) أى شق (هام المشركين) أى رءوسهم

« السادس » عن الزبير بن عدى قال : أتينا أنس بن مالك رضى الله عنه فشكونا إليه مانلقى من الحجَّاج ، فقال « اصبروا فانَّه لايأتى زمان إلا والذى بعده شرٌّ منه

تأخروا وكفوا وهو بمعنى قول المصنف هنا (توقفوا وفلق به أى شق) به (هام المشركين أى رءوسهم) قال الشاعر :

ويضرب بالسيوف رءوس قوم أزيلت هامهن عن المقيل

المقيل أصول الأعناق - (وعن الزبير) بضم الزاى وفتح الموحدة وسكون التحتية (ابن عدى) بفتح فكسر المهملتين وتشديد الياء ، قال الذهبى فى الكاشف : الزبير بن عدى الهمدانى اليامى نسبة الى بنى يامة قاضى الرى يروى عن أنس ثقة فقيه مات سنة إحدى وثلاثين ومائة ، روى عنه الستة اهـ (قال أتينا أنس بن مالك رضى الله عنه) أى بالبصرة (فشكونا اليه مانلقى من الحجاج) بفتح المهملة وتشديد الجيم الأولى ابن يوسف الثقفى عامل عبد الملك بن مروان على الحجاز ثم على العراق (فقال اصبروا) أى على ماتلقون منه (فانه لايأتى زمان إلا والذى بعده شر منه) أى فينبغى للانسان أن يبادر لصالح الأعمال وان لحقته المتاعب والمشاق والاتعاب ولايترقب الخلو عن ذلك فما يأتى بعد أشد فى ذلك مما فى الزمان الذى كان فيه لأن الزمان لايزال فى البعد عن مشكاة النبوة والقرب من البدع والفتن فلا يمضى زمن فيه نقص لشىء من السنن ، أو ابتلاء بشىء من المحن الا والذى بعده أشد منه فى ذلك بأن يعتقد أن تلك السنة التى تركت أولا للتمادى على تركها والجهل بها بدعة أو يصيبه من الكروب ما يتهون معه ماسلف له من الخطوب وفى الحديث (١) الشريف « فى كل عام ترذلون » وقال الشاعر :

يا زمانا بكيت منه فلما صرت فى غيره بكيت عليه

قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى المواثيق والعهود : جرت عادة الله تعالى بالابتلاء

---

(١) قوله وفى الحديث فيه نظر اذ هو من كلام الحسن البصرى كما فى اختصار المقاصد الحسنة للزرقانى وان صح معناه فى حديث البخارى « ما من يوم يأتى الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم »

حتى تلقَوْا ربَّكم . سمِعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم » رواه البخارى

« السابع » عن أبى هريرة رضى الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالأعمال سبعا :

بالمصيبة ثم بأشد منها وذلك ليتدرج العبد من الأخف الى الأشد . إذ لو فاجأه الأشد ابتداء ربما عجز عن حمله بخلافه بعد التدرج من الاخف اليه .ولا يشكل على ماذكره وجود زمان عمر بن عبد العزيز بعد زمان الحجاج لما روى أن الحسن البصرى سئل عن ذلك فقال : لابد للناس من زمان يتنفسون فيه ، وفى التوشيح حمل الأكثر حديث الباب على الأكثر الأغلب وأجاب آخرون بأن المراد تفصيل مجموع كل عصر على مجموع العصر الذى بعده فان زمن الحجاج كان فيه كثير من الصحابة وقد انقرضوا فى زمن عمر بن عبد العزيز والزمن الذى فيه الصحابة خير من الزمن الذى بعده اه . وحاصل الأمر أن الوقت سيف إن لم تقطعه بصالح العمل وانتظرت الفراغ من سائر الاتعاب قطعك وذهب عليك أنفس الأشياء بلا فائدة والله المستعان . ويستمر توارد الأهوال وتعاقب الأحوال عليكم (حتى تلقوا ربكم) فلا راحة لمؤمن دون لقاء ربه . ولا يشكل على هذا الحديث حديث النسائى : « أمتى كالمطر لايدرى أولها خير أم آخرها » لأن مافى حديث الباب باعتبار الزمان كما تقدم وذاك باعتبار أهله وعطايا الله تعالى غير مختصة بزمن دون زمن فكم وجد فى الأزمنة الأخيرة من هو خير من كثير ممن تقدم فى الأزمنة كالأئمة العلماء العاملين : الذين لايزالون على الحق ظاهرين . وكالأولياء والصالحين الذين بهم يرفع البلاء عن العالمين وتدر بهم البركات وينتظم بهم شمل الأوقات (سمعته) أى ماحدثتكم به (من نبيكم) اضافة اليهم ليخف عنهم ألم مايكابدونه من المشاق . (ﷺ . رواه البخارى) وفى الأربعين للمالينى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لايزداد الأمر إلا شدة والدنيا إلا إدبارا والناس إلا شحا ولا مهدى إلا عيسى بن مريم ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس »

(وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال بادروا) سابقوا أى اسبقوا بالاشتغال (بالاعمال) الصالحة (سبعا) من الأحوال الطارئة المشغلة

هل تنتظرون إلا فقراً منْسياً أو غنى مُطْغِياً أو مرضا مفسدا أو هَرَماً مفنِداً أو موتا مجْهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمرُّ » رواه الترمذى ، وقال حديث حسن

« الثامن » عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومَ خيبر «لأعطينَّ هذه الراية رجلا يحبُّ اللهَ ورسوله يفتحُ الله على يديه »

واهتموا بالاعمال الصالحة قبل حصولها وحذف التاء لكون المعدود مؤنثا أو لحذفه (هل تنتظرون إلا فقرا منسيا) أى انه لما ينال النفس منه من الغم ينشأ عنه النسيان (أو غنى مطغيا) لصاحبه وملهيا له عن القيام بأنواع حق العبودية (أو مرضا مفسدا) للعقل أو للبدن مانعا من أداء العبادة أو من كمالها ومن ثم ورد : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » (أو هرما مفندا) قال فى النهاية : الفند فى الاصل الكذب وأفند تكلم بالفند ثم قالوا للشيخ إذا هرم قد أفند لأنه يتكلم بالمنحرف من الكلام عن سنن الصحة وأفنده الكبر إذا أوقعه فى الفند قال العاقولى ولا يقال امرأة مفندة لأنها لم تكن فى شبيبتها صاحبة رأى فتفند فى كبرها (أو موتا مجهزا) بضم الميم وسكون الجيم وكسر الهاء آخره زاى أى سريعا يقال أجهز على الجريح يجهز إذا أسرع قتله كأنه يريد به موت الفجأة أو الاخترام فى الشباب . (أو الدجال فهو شر غائب ينتظر) لما فيه من شدة الفتنة التى لا ينجو منها إلا من عصمه الله (أو الساعة فالساعة) أى عذابها وأعادها بلفظها تفخيما لشأنها (أدهى) أعظم بلية (وأمر) أشد مرارة من عذاب الدنيا وأهوالها (رواه الترمذى وقال حديث حسن) ورواه الحاكم فى المستدرك .

و(عنه) أى عن أبى هريرة رضى الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر) بوزن جعفر وكانت فى السنة السابعة (لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله) بالنصب ومحبة العبد لله ورسوله هو الايمان بهما واتباع ماجاء به (يفتح الله على يديه) أى بعض حصون خيبر . وكان ذلك بعد إرسالها مع رجلين من كبار الصحابة وما كان الفتح على أيديهما ففيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم

قال عمر رضى الله عنه : ما أحببت الامارة إلاَّ يومئذ فتساورْتُ له رجاءَ أن أُدْعَى لها فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فأعطاه إياها ، وقال امش ولا تلتفت حتى يفتحَ الله عليك ، فسار على شيئا ثم وقف ولم يلتفت ؛ فصرخ يارسول الله على ماذا أقاتلُ الناس ؟ قال « قاتِلْهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فاذا فعلوا ذلك

حيث أخبر عن مغيب فكان كما أخبر به كما سيأتى (قال عمر رضى الله عنه ما أحببت الامارة) بفتح الهمزة وكسرها (إلا يومئذ) ليس حبه لها لذاتها إنما هو لكونها علامة لحب ذلك الامير لله تعالى اللازمة لحب الله تعالى (له) قال تعالى يحبهم ويحبونه ولحصول الفتح على يديه (فتساورت) أى تطاولت له كما جاء فى رواية لمسلم أيضا . (رجاء أن أدعى لها) بالبناء للمفعول (فدعا رسول صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه فأعطاه إياها وقال امش ولا تلتفت) لئلا يشغلك ذلك الالتفات عن كمال (التوجه حتى يفتح الله عليك) أى واصبر على الجهاد وترك الالتفات إلى أن يفتح الله عليك ، ويحتمل أن تكون حتى تعليلية ويكون علم كونه علة لذلك بالوحى (فسار على) أى عقب الأمر مبادراً للجهاد (شيئا) أى من السير فهو مفعول مطلق (ثم وقف ولم يلتفت) لئلا يخالف نهيه عنه وفهم منه على رضى الله عنه ظاهره من الالتفات يمنة ويسرة فلذا لم يلتفت بعينه مع أنه يحتاج إليه للخطاب وان كان يحتمل أن يكون المراد من ترك الالتفات كما قال المصنف الحث على الاقدام والمبادرة إلى ما أمر به وأن يكون المراد لا تنصرف بعد لقاء عدوك حتى يحصل الفتح ففيما فعله على رضى الله عنه الأخذ بظاهر الامر وترك الوجوه المحتملات اذا خالفت الظاهر (فصرخ) أى رفع صوته (يا رسول الله على ماذا) مركب بمعنى على أى شىء (أقاتل الناس قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) سكت فيه عن ذكر أداء الجزية مع أنها رافعة لقتالهم اذا أعطوها لانهم أهل كتاب ولعله كان قبل نزول آية الجزية ، وفى الحديث الدعاء إلى الاسلام قبل القتال ومذهبنا ومذهب آخرين إن كان القوم ممن لم تبلغهم دعوة الاسلام وجب انذارهم قبل القتال أو من غيرهم فلا ولذا قال (فاذا فعلوا ذلك) فيه إطلاق الفعل على

فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » رواه مسلم (قوله فتساورت) هو بالسين المهملة أى وثبت متطلعا

﴿باب فى المجاهدة﴾

قال الله تعالى « والذين جاهدُوا فينا لنهدينَّهم سُبُلَنَا وإنَّ الله لمعَ المحسنين »

القول أى اذا تلفظوا بهذه الكلمة (فقدمنعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها) أى فيؤخذ بذلك كالنفس بالنفس والزكوات (وحسابهم على الله) أى يكف عن قتالهم بنطقهم بذلك ، وأما ما بينهم وبين الله تعالى فان صدقوا وآمنوا بالقلب نفعهم ذلك فى الاخرة ونجوا من العذاب كما نفعهم فى الدنيا وإلا فلا ينفعهم بل يكونون منافقين من أهل النار (رواه مسلم (١) . قوله فتساورت هو بالسين المهملة) وبالراء المهملة أيضا (أى وثبت متطلعا لها) أى حرصت عليها حتى أظهرت وجهى وتصديت له ليرى مكانى فلعله يولينى

﴿باب المجاهدة﴾

مفاعلة من الجهد أى الطاقة ، فان الانسان يجاهد نفسه باستعمالها فيما ينفعها حالا ومآلا وهى تجاهده بما تركن اليه بحسب طبعها وجبلتها من ضد ذلك ولكون المجاهدة مع النفس التى بين جنبي الانسان وهى لا تخرج ولا تنفك عنه كان هذا الجهاد الاكبر . وجهاد العدو الخارج الجهاد الاصغر

(قال تعالى والذين جاهدوا فينا) قال بعض العارفين هذه الآية صفوة هذه السورة ومن جملة المجاهدات مجاهدة النفس بالصبر عند الابتلاء ليعقب ذلك أنس الصفاء وينزع عنه لباس الجفاء ، وفى الحديث : أن ابتلاء المؤمن يذهب عنه درنه (لنهدينهم سبلنا) أتى بلام الابتدء أو لام جواب القسم المقدر المسند الى الحق سبحانه اشارة الى أنه تعالى يتولى الهداية بنفسه للمجاهدين فيه وأنه ينعم عليهم بكمال النعمة والجزاء ولم يقل سبيلى اشارة الى الامتناح بكثرة المعارف ولطائف الشهود ودوامه وانهلال سحب الافضال (وان الله لمع المحسنين) المحسن

---

(١) ى فى فضائل على رضى الله عنه

وقال تعالى « واذْكرِ اسمَ ربِّك وتَبتَّلْ إليه تبْتِيلاً » — أى انقطع اليه * وقال تعالى « واعبدْ ربَّك حتى يأتيكَ اليقين » — وقال تعالى « فمَنْ يعملْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خيراً يره » وقال تعالى « وما تقدِّموا لأنفسِكم من خير تجدوه عنـد الله هو خيراً وأعظَمَ أجرا » وقال تعالى « وما تفعلوا من خيرٍ فانَّ الله به عليم » * والآيات فى الباب كثيرة معلومة

من يعبد الله كأنه يراه فان لم يكن يراه فانه سبحانه يراه فاذا كان هكذا كان له من شريف المعية ما أشار اليه بقوله إن الله لمع المحسنين . وقد ورد من حديث أبى هريرة عن النبي ﷺ « انا جليس من ذكرنى وأنا مع عبدى اذا ذكرنى وتحركت بى شفتاه » قال الزركشى فى الدرر رواه البيهقى

(وقال تعالى واذكر اسم ربك) بالتوحيد والتعظيم أى دم على ذلك (وتبتل اليه) فى العبادة (تبتيلا) مصدر بتل جىء به رعاية للفواصل وهو ملزوم التبتل وأيضا فهو أبلغ منه فى المعنى لزيادة المبنى وقيل ان تبتل فى الآية بمعنى بتل (أى انقطع اليه) عما سواه انقطاعا وقيل أخلص اخلاصا وقيل توكل توكلا قال بعضهم التبتل رفض الدنيا بما فيها والتماس ماعند الله

(وقال تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أى الموت * وقال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) أى يرى ثوابه ففيه تشويق لتقديم العمل الصالح بين يديه ليجد جزاءه عند قدومه عليه .. (وقال تعالى وما تقدموا لأنفسكم من خير) بيان لما (تجدوه عند الله هو خيرا) مما خلفتم (وأعظم أجرا) و « هو » فصل وما بعده وان لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من التعريف لاقترانه بمن ، ولا يجوز الجمع بينه وبين أل والمعنى ما أخرجتم لله خير لكم وأعظم أجرا عند الله مما ادخرتم قال ﷺ : « أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله. قالوا يارسول الله مامنا أحد إلا ماله أحب اليه من مال وارثه . قال اعلموا ما تقولون . قال ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال ما منكم من أحد الامال وارثه أحب اليه من ماله . قالوا كيف يارسول الله ، قال انما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر »

(وقال تعالى وماتفعلوا من خير) انفاق أو غيره (فان الله به عليم) فمجاز عليه . (والآيات) القرآنية (فى الباب) أى باب المجاهدة (كثيرة معلومة) وأما الاحاديث النبوية :

وأما الأحاديث : (فالأول) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ الله تعالى قال : منْ عادى لِى وَلِيًّا فقد آذنتهُ بالحرب ، وما تقرَّب إلىَّ عبدى بشىء أحبَّ إلىَّ مما افترضْتهُ

(ف) الحديث (الاول عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ان الله تعالى قال من عادى) من المعاداة ضد الموالاة (لى) حال من قوله (وليا) قدم من تأخير وكان قبل صفة أو ظرف لغو متعلق بالوصف قدم اهتماما به ، وهو من تولى الله بالطاعة والتقوى فتولاه الله بالحفظ والنصرة ، من الولى وهو القرب والدنو ، فالولى هو القريب من الله تعالى لتقربه إليه باتباع أوامره واجتناب نواهيه والاكثار من نوافل العبادات مع كونه لايفتر عن ذكره ولا يرى غيره بقلبه لاستغراقه فى نور معرفته فلا يرى إلا دلائل قدرته ولا يسمع إلا آياته ولا ينطق إلا بالثناء عليه ولايتحرك إلا فى طاعته ، وهذا هو المتقى قال تعالى « إن أولياؤه إلا المتقون » (فقد آذنته) بالمد (بالحرب) أى أعلمته بأنى محارب له أى أعامله معاملة المحارب من التجلى عليه بمظاهر الجلال والعدل والانتقام . ومن عامله الحق بذلك فانه لايفلح ، فهو من التهديد فى الغاية القصوى إذ غاية تلك المحاربة الاهلاك فهى من المجاز البليغ ، وكان المعنى فيه ما اشتملت عليه تلك المعاداة من المعاندة لله تعالى بكراهة محبوبه والوعيد لمن عادى وليا من أجل ولايته وقربه من الله تعالى وذلك كايذاء من ظهرت أمارات ولايته باتباع الكتاب والسنة إما بانكارها عناداً أو حسداً أو بعدم الجرى على ما ينبغى له من التأدب معه أو بنحو سبه وشتمه من سائر أنواع الايذاء التى لا مسوغ لها شرعا مع علم متعاطيها بذلك . أما منازعة الولى فى محاكمة أو خصومة راجعة لاستخراج حق أو كشف غامض فلا يدخل فى هذا الوعيد فقد جرى نوع ما من الخصومة بين أبى بكر وعمر وبين على والعباس وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين مع أن الكل أولياء الله تعالى . وإذا علم ما فى معاداة الولى من الوعيد والتهديد ، علم ما فى موالاته من جسيم الثواب وباهر التوفيق والهداية والقرب والتأييد (وماتقرب إلى عبدى) اضافته للتشريف المؤذن بمزيد الرفعة والتأهل لعلى المقامات (بشىء أحب إلى من) أداء (ماافترضته)

عليه ، وما يزالُ عبدى يَتقرَّب إلىَّ بالنوافل حتى أُحِبه ، فإذا أحببتُه كنتُ سمْعَه الذى يسمع به ، وبصرَه الذى يبصرُ به ، ويده التى يَبطِش بها ورجله التى يمشِى بها ،

(عليه) عينا كان أو كفاية كالصلاة وأداء الحقوق إلى أربابها وبر الوالدين ونحو ذلك من الأمور الواجبات لأن الأمر بها جازم فيتضمن أمرين : الثواب على فعلها ، والعقاب على تركها بخلاف النفل ، فلذا كان الفرض أكمل وأحب إلى الله وأشد تقربا وروى أن ثواب الفرض يفضل ثواب النفل بسبعين درجة ، وبالجملة فالفرض كالأس والنفل كالبناء على ذلك الأس . (وما يزال عبدى) إضافته لما تقدم (يتقرب) وفى رواية يتحبب (إلى بالنوافل) أى بالتطوعات من جميع أصناف العبادات ظاهرها كقراءة القرآن إذ هو من أعظم مايتقرب به وكالذكر وكفى فى شرفه قوله تعالى « فاذكرونى أذكركم » وباطنها كالزهد والورع والتوكل والرضا وغير ذلك من سائر أحوال العارفين سيما محبة أولياء الله تعالى وأحبائه فيه ومعاداة أعدائه فيه (حتى أحبه) بضم أوله والفعل منصوب ومحبة الله تعالى للعبد كما تقدم توفيقه لما يرضيه عنه وإثابته ومعاملته بالاحسان فعلم أن إدامة النوافل بعد أداء الفرائض — إذ من غير أدائها لا يعتد بالنوافل كما يشير إليه تأخير هذه وتقديم تلك — تفضى إلى محبة الله تعالى للعبد وصيرورته من جملة أوليائه الذين يحبهم ويحبونه ويؤخذ من سياق الحديث أن الولى إما أن يتقرب بالفرائض بأن لا يترك واجبا ولا يفعل محرما أو بها مع النوافل وهذا أكمل وأفضل . ولذا خص بالمحبة السابقة والصيرورة الآتية وأنه لا سبيل إلى ولاية الله تعالى ومحبته سوى طاعته التى جاء بها رسول الله ﷺ وما سواها باطل (فاذا أحببته كنت) أى صرت حينئذ (سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر) بضم أوله وكسر ثالثه (به ويده التى يبطش) بفتح أوله وكسر ثالثه أو ضمه (بها ورجله التى يمشى بها) قال بعض المحققين التحقيق أن هذه الصيرورة مجاز أو كناية عن نصرة الله تعالى لعبده المتقرب اليه بما ذكر وتأييده وإعانته له وتوليه فى جميع أموره حتى كأنه تعالى نزل نفسه من عبده منزلة الآلات

وائن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنَّه » . رواه البخارى . (آذنته) أعلمته بأنى محارب له (استعاذنى) روى بالنون و بالباء

والجوارح التى بها يدرك ويستعين ولذا جاء فى رواية أخرى « فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى » أى أنا الذى أقدرته على هذه الأفعال وخلقتها فيه فأنا الفاعل لذلك لا أنه يخلق أفعال نفسه أى سواء الجزئيات والكليات وهذا يرد على المعتزلة فى زعمهم أن العبد يخلق أفعاله الجزئيات ، وزعم الحلولية والاتحادية بقاء هذا الكلام على حقيقته وأنه تعالى عين عبده أو حال فيه ، ضلال وكفر اجماعا وما وقع فى عبارات بعض العارفين مما يوهم ذلك فليس مراداً لهم وفهم ذلك منه من قصور فهم الناظر وإلا فهم مطهرون من ذلك الاعتقاد الفاسد كما طهرهم الله تعالى بكمال محبته من سائر المفاسد . (ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه) مما يخاف وهذه عادة الحبيب مع محبوبه ولا يحصى عدد من حصل له ذلك فوقع له مطلوبه وذهبت عنه كروبه من صالحى الامة فلا نطيل بذكره خصوصا وسيأتى فى أثناء الكتاب بعضه وفى هذا الوعد المحقق المؤكد بالقسم إيذان بان من تقرب اليه بما مر لا يرد دعاؤه ، وقد لا يجاب الولى الى سؤاله لعلمه تعالى أن الخير له فى غيره مع تعويضه له خيرا منه اما فى الدنيا أو فى الاخرة (رواه البخارى)(١) وزاد بعد قوله لاعيذنه « وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته والتكلم فى بعض رواته غير مقبول وانفرد به البخارى فى باقى الكتب الستة ورواه ابن حبان فى صحيحه وأبو داود خارج السنن فيما رواه عنه ابن الاعرابى ورواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد وابن عدى فى الكامل وآخرون وقد روى الحديث من طريق عائشة وميمونة وعلى وأنس وحذيفة ومعاذ بن جبل وابن عباس وغيرهم وطريق كل لا تخلو عن مقال الا الطريق الى حذيفة فان اسناده حسن لكن حديثه غريب جدا (آذنته) بالمد (أعلمته) هذا معنى آذنته وقوله (بأنى محارب له) هذا معنى بالحرب وقوله (استعاذنى روى بالنون) أى طلبنى أعيذه فيكون متعديا (وبالباء) الموحدة أى اعتصم وتحصن بى

---

(١) أى فى كتاب الرقاق فى باب التواضع

« الثانى » عن أنس رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عن ربه عز وجل ، قال « إذا تقرَّب العبدُ إلىَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً ، وإذا تقرب إلىَّ ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإذا أتانى يَمْشى أتيته هرولةً » رواه البخارى

(وعن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل) أى فهو من الاحاديث القدسية وقد تقدم فى باب الاخلاص فيها بعض البيان والفرق بينهما وبين القرآن أنه معجز ويتعلق الثواب بتلاوته ولا تجوز روايته بالمعنى ولا مس ما كتب فيه ولا حمله مع الحدث ولا كذلك هذه الاحاديث . (قال) أى الرب سبحانه أو النبي صلى الله عليه وسلم راويا له عن ربه (إذا تقرب العبد الى شبرا تقربت اليه ذراعا واذا تقرب الى ذراعا تقربت اليه) وفى نسخة منه (باعا واذا أتانى يمشى أتيته هرولة) كذا فى النسخ بحذف الواو من اذا الأولى والظاهر اثباتها ليدل على أن المذكور بعض حديث أوله (أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه واذا تقرب الى الخ » ثم هذا من باب التمثيل فى الجانبين ، قال الكرمانى : قامت البراهين القطعية على استحالة هذه الاطلاقات على الله تعالى فهى إذا على سبيل التجوز والمعنى من أتى شيئا من الطاعات ولو قليلا قابلته عليه بأضعاف من الاثابة والاكرام وكلما زاد فى الطاعة زدته فى الثواب وإن كان إتيانه بالطاعة على التأنى تكون كيفية إتيانى بالثواب على السرعة ، فالغرض أن الثواب راجح على العمل مضاعف عليه ، وإطلاق النفس والتقرب والهرولة وهى من الاسراع ونوع من العدو عليه تعالى إنما هو مجاز على سبيل المشاكلة أو على طريق الاستعارة أو على قصد إرادة لوازمها ، وهو من الأحاديث الدالة على كرم اكرم الأكرمين . اللهم ارزقنا حظا وافراً منه آمين . (رواه البخارى) قال ابن الجزرى فى الحصن بعد أن أورد صدر الحديث إلى قوله « خير منه » تم الحديث ورمز إليه أنه رواه الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه وفى مختصر جامع الأصول للديبع أخرجه الشيخان والترمذى وسكت عن الباقى ولعلهما رواياه بالمعنى والبخارى بخصوص هذا المبنى

« الثالث » عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعمتان مَغْبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس الصحةُ والفراغُ » رواه البخارى

« الرابع » عن عائشة رضى الله عنها : أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطَّر قدماه ، فقلت له (لِمَ تَصْنعُ هذا يارسول الله وقد غفر الله لك ماتقدَّمَ منْ ذنبك وما تأخَّر)

(وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله) وفى نسخة النبى ﷺ (نعمتان) أى عظيمتان . قال ابن الخازن : أى مايتنعم به الانسان ، وقال الطيبى : الحالة الحسنة التى يكون عليها الانسان كالجلسة ، وقيل النعمة عبارة عن المنفعة المفعولة على وجه الاحسان إلى الغير ونعمتان مبتدأ خبره (مغبون فيهما) من الغبن وهو الشراء بأضعاف الثمن أو البيع بدون ثمن المثل وهو وصف و(كثير من الناس) نائب فاعله أو مبتدأ وخبره مغبون وفيهما ظرف لغو ، والجملة الخبر والرابط ضمير الوصف وأفرد باعتبار لفظ كثير (الصحة والفراغ) بدلان من نعمتان بدل مفصل من مجمل . شبه ﷺ المكلف بالتاجر والصحة أى فى البدن والفراغ أى من العوائق عن الطاعة برأس المال لأنهما من أسباب الأرباح ومقدمات نيل النجاح ، فمن عامل الله تعالى بامتثال أوامره وابتدر الصحة والفراغ يربح ، ومن لا ، أضاع رأس ماله ولا ينفعه الندم . (رواه البخارى) (١) ورواه الترمذى وابن ماجه

(وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يقوم) أى بالتهجد (من الليل) أى بعضه وهو السدس الرابع والخامس غالباً (حتى تفطر) بفتح المثناة والفاء وتشديد المهملة وأصله تتفطر وهو كذلك فى رواية الأصيلى كما فى فتح البارى أى تتشقق (قدماه) وعند النسائى حتى تزلع قدماه بزاى وعين مهملة وللبخارى فى رواية حتى تورمت قدماه ولا مخالفة بين هذه الروايات فانه إذا حصل النفخ والورم حصل الزلع والتشقق (فقلت له لم تصنع هذا) الأمر الشاق (يارسول الله وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ؟) قال العارف بالله ابن

---

(١) فى أول كتاب الرقاق

قال أفلا (أحِبُّ أن أ كون عبداً شكورا) .

أبى جمرة فى أثناء كلام له على حديث «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله» ما لفظه : لايخطر بخاطر أحد أن الذنوب التى أخبر الله تعالى أنه بفضله غفرها للنبى ﷺ أنها من قبيل ماتقع نحن فيها ، معاذ الله : لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكبائر بالاجماع ومن الصغائر التى فيها رذائل، وأما الصغائر التى ليس فيها رذائل ففيها خلاف بين العلماء. والاكثر على أنهم معصومون منها كما عصموا من الكبائر وهو الحق لأن رتبتهم جليلة إنما ذلك من قبيل توفية مايجب للربوبية من الاعظام والاكبار والشكر ، ووضع البشرية وإن رفع قدرها حيث رفع ، فانها تعجز عن ذلك بوضعها لأنها من جملة المحدثات ، وكثرة النعم على الذى رفع ، قدره أكثر من غيره فتضاعفت الحقوق عليه فحصل العجز للكل كلٌ على قدر حاله ، وبقيت المنة لله تعالى على الكل ، والتجاوز بمجرد الفضل والرحمة ، لاحق لأحد عليه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا « بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان»(١) فالغفران لذلك اه وهو من النفاسة بمكان وسيأتى فى باب أداء الأمانة إن شاء الله تعالى كلام نفيس للقاضى عياض فى عصمة الانبياء وتفصيل الخلاف فى ذلك . (قال أفلا) الفاء للسببية عن محذوف التقدير أ أترك التهجد فلا (أحب أن أكون عبدا شكورا) والمعنى أن المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف أتركه . قال القرطبى ظن من سأله عن سبب تحمله المشقة فى العبادة أنه إنما يعبد الله خوفا من الذنب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق غفران الله تعالى له لا يحتاج لذلك ، فأفادهم أن لذلك سببا آخر هو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه منها شيئا . والشكر الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر منه ذلك سمى شكورا . ومن ثم قال سبحانه وقليل من عبادى الشكور اه . ثم الأخذ بهذا الحال من مشاق الاعمال إنما يطلب ممن لايفضى به ذلك الى الملال كما هو شأنه صلى الله عليه وسلم فانه كان لايمل من عبادة ربه وإن أضر بدنه وقد جاء عنه (وجعلت قرة عينى فى الصلاة » أما من يفضى به لذلك فلا ، ففى الحديث «اكلفوا (٢) من العمل ماتطيقون

---

(١) أصلحت من ابن أبى جمرة فقد كان فيها نقص وتحريف (٢) يقال كلفت بهذا الامر أكلف به إذا ولعت به وأحببته اه نهاية

متفق عليه . هذا لفظ البخاري ، ونحوه فى الصحيحين من رواية المغيرة بن شعبة

« الخامس » عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر أحيا الليل ، وأيقظ أهله ؛ وجد ، وشد المِئْزَرَ » متفق عليه (والمراد) العشر الأواخر من شهر رمضان (والمئزر) الازار وهو

فان الله لايمل حتى تملوا »(متفق عليه)(١) أى على أصل المعنى لا على خصوص الراوى والمبنى بدليل قوله(هذا) أى المذكور عن عائشة بهذا اللفظ.(لفظ البخارى ونحوه) أى بمعناه (فى الصحيحين) الذى يعبر عنه بالمتفق عليه . (من رواية المغيرة بن شعبة) وكذا رواه من رواية الترمذى والنسائى وابن ماجه كما فى الجامع الصغير

(وعن عائشة)الاخصر وعنها (رضى الله عنها) وكأنه عدل اليه لئلا يتوهم أن المغيرة اسم امرأة والضمير لاقرب مذكور . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر) أى الاخير من رمضان كما يأتى فى كلامه وأوله الحادى والعشرون وآخره آخر رمضان (أحيا الليل) بأنواع الطاعات ، ومحل النهى عن قيام الليل كله الوارد فى حديث عبد الله بن عمر فيمن داوم على ذلك جميع ليالى السنة لانه مضر بالبدن والعقل (وأيقظ أهله) للصلاة تنبيها لهم على فضل تلك الاوقات واغتنام صالح العمل فيها وروى الترمذى من حديث زينب بنت أم سلمة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم إذا بقى من رمضان عشرة أيام يدع أحدا من أهل بيته يطيق القيام الا أقامه (وجد) أى اجتهد فى العبادة زيادة على العادة وذلك لان فيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر (وشد المئزر . متفق عليه)ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجه كما فى الجامع الصغير أيضا . (والمراد العشر الاواخر من شهر رمضان) وقد صرح بهذا فى حديث على عند ابن أبى شيبة والبيهقى من طريق عاصم بن ضمرة عنه وتقدم مبتداه ومنتهاه (والمئزر) بكسر الميم وفتح الزاى وسكون التحتية (٢) (الازار وهو) أى شد المئزر لا الازار كما قد يتبادر

---

(١) رواه البخارى فى التهجد والرقاق والتفسير ، ومسلم فى آخر الكتاب فى باب إكثار الاعمال والاجتهاد فى العبادة

(٢)الذى فى العلقمى أنه مهموز

كناية عن اعتزال النساء ، وقيل المراد تشميره للعبادة ، يقال (شددتُ لهذا الأمر مئزرى) أى تشمرت وتفرغت له

« السادس » عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوىُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كلٍّ خيرٌ.

(كناية عن اعتزال النساء) هذا ما جزم به عبد الرازق عن الثورى . واستشهد عليه بقول الشاعر

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم عن النساء ولو باتت بأطهار

وذكر ابن أبى شيبة عن أبى بكر بن عياش نحوه (وقيل) هو قول الخطابى كما فى فتح البارى (المراد) منه (تشميره للعبادة) على سبيل المجاز المرسل لعلاقة الاطلاق والتقييد (يقال شددت لهذا الأمر مئزرى أى تشمرت وتفرغت له) قال فى فتح البارى : يحتمل أن يريد به الجد فى العبادة كما يقال شددت لهذا الامر مئزرى أى تشمرت له . ويحتمل أن يراد التشمير للعبادة والاعتزال معا . ويحتمل أن يراد حقيقته والمجاز كمن يقول طويل النجاد لطويل القامة وهو طويل النجاد حقيقة . فيكون المراد شد مئزره حقيقة فلم يحله واعتزل النساء وشمر للعبادة. قال وقد وقع فى رواية عن عاصم بن ضمرة المذكور شد مئزره واعتزل النساء فعطفه بالواو فيتقوى الاحتمال الاول اهـ

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ المؤمن القوى) هو من لا يلتفت الى الاسباب لقوة باطنه بل يشق بسبب الاسباب وقال المصنف هو من له صدق رغبة فى أمور الاخرة فيكون أكثر اقداما على العبادات . وقيل المؤمن القوى من صبر على مجالسة الناس وتحمل أذاهم وعلمهم الخير والارشاد . وقال القرطبى القوى البدن والنفس الماضى العزيمة الذى يصلح للقيام بوظائف العبادات من الحج والصوم والامر بالمعروف وغير ذلك مما يقوم به الدين (خير) أفعل تفضيل ، حذفت ألفه تخفيفا . (وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) يعلم المراد به من المراد بضده (وفى كل) بالتنوين أى من المؤمن القوى والمؤمن الضعيف . (خير) لاشتراكهما فى أصل الايمان وخير هنا مصدر وهو خلاف

احرص على ماينفعك ، واستعن بالله ، ولاتعجزْ ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لوأنِّى فعلت كذا ، وكذا ، ولـكن قل : قَدَرُ الله وما شاء فعل فانَّ لوْ تفتحُ عمَلَ الشيطان)

الشر . (احرص) أى استعمل الحرص والاحتياط (على) تحصيل (ماينفعك) من أمر دينك ودنياك التى تستعين بها على صيانة دينك وعيالك ومكارم الأخلاق ولا تفرط فى ذلك (واستعن بالله) أى اطلب المعونة منه وتوكل عليه ولا تعتمد على حركاتك ولا على أسبابك بل الجأ فى كل الأمور اليه وتوكل عليه فمن أعانه أعين وما أحسن قول بعض العارفين

اذا لم يعنك الله فيما تريده   فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم يرشدك فى كل مسلك   ضللت ولو أن السماك دليل

(ولاتعجز) بكسر الجيم على الافصح أى لاتفرط فى طلب ذلك وتتعاجز عنه تاركا للحكمة الآلهية متكلا على القدرة فتنسب للتقصير وتلام على التفريط شرعا وعادة (وان أصابك شيء) من المقدورات (فلاتقل لو أنى فعلت) كذا (كان كذا وكذا) كناية عن مبهم والجملة جواب لو ، فيكون فيه ركون الى العادات وربط للمسببات بأسبابها العادية وغفلة عن حقائق الامور وهو أن كل شيء بقدر مقدور. فلذا قال (ولـكن) بسكون النون (قل قدر الله) قال البرهان العلوى ومن خطه نقلت هو بفتح أوليه المخففين ورفع الراء هكذا رأيت فى نسخة الزندى وسماعى « قدر » يعنى بصيغة الماضى المعلوم (وما شاء) أى ماشاءه الله (فعل) لاراد لمراده وهو على كل شيء قدير . ففيه التنبيه على الدواء عند وقوع المقدور وذلك بالتسليم لأمر الله والرضا بقدر الله والاعراض عن الالتفات لما مضى وفات بألا يقول لو أنى فعلت كذا لـكان كذا لأن ذلك يؤول به إلى الخسران من توهم أن التدبير يعارض سوابق المقادير ، وهذا عمل الشيطان كما قال (فان لو) بسكون الواو على الحكاية أى إذا ذكرت على سبيل معارضة القدر أو مع اعتقاد أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدور . (تفتح عمل الشيطان) أى وساوسه المفضية بصاحبها للخسران أما اذا أتى بلو على وجه التأسف على ما فات من الخير وعلم أنه لن يصيبه

رواه مسلم

« السابع » عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (حُجبت النارُ بالشهوات ، وحجبت الجنةُ بالمكاره) متفق عليه ، وفى رواية لمسلم (حفَّت) بدل (حُجبت) وهو بمعناه . أى بينه و بينها هذا الحجاب فاذا فعله دخلها

« الثامن » عن أبى عبد الله حذَيفَةَ

الا ما قدر الله تعالى فليس بمكروه وفيه حديث « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت الحديث (رواه مسلم) ورواه أحمد وابن ماجه كما فى الجامع الصغير

(وعنه) أى عن أبى هريرة رضى الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حجبت) بالمهملة فالجيم مبنى للمفعول والتاء فى آخره للتانيث (النار بالشهوات ، وحجبت الجنة بالمكاره) قال القرطبي : هو من الكلام البليغ الذى انتهى فى البلاغة نهايته ، وذلك أنه مثل المكاره بالحفاف أى فى رواية مسلم الاتية و بمعناها الحجاب وهو الدائر بالشيء المحيط به الذى لا يتوصل الى ذلك الشيء الا بعد أن يتخطى . وفائدة هذا التمثيل أن الجنة لا تنال الا بقطع مفاوز المكاره وبالصبر عليها ، وأن النار لا ينجى منها الا بترك الشهوات وفطام النفس عنها . وقال المصنف معناه لا يوصل الى الجنة الا بارتكاب المكاره من الجهد فى الطاعات والصبر عن الشهوات كما لا يصل المحجوب عن الشيء الا بهتك حجابه والتجاوز عنه ويوصل الى النار باتباع الشهوات والمراد ما كان محرما منها لا المباح منها فلا يدخل فى ذلك لكن الاكثار منه مكروه مخافة أن يقسى القلب ويكسل عن الطاعة (متفق عليه) فى المعنى ومعظم المبنى بدليل قوله (وفى رواية مسلم حفت) بضم المهملة وتشديد الفاء (بدل حجبت) وبه يندفع اعتراض الصاغانى فى المشارق على القضاعى حيث قال بعد أن رواه بلفظ حجبت وقال متفق عليه : رواية القضاعى حفت وقال ابن ملك فى شرحها : قال النووى : المذكور فى الصحيحين حجبت لا حفت اه وهو نقل عجيب عن المصنف ولعله سهو من قلم الناسخ والا فهذا اللفظ رواية مسلم (وهو) أى حفت (بمعناه) أى حجبت أى معناهما واحد (أى بينه وبينها) أى النار فى الاول والجنة فى الثانى . (هذا الحجاب فاذا فعله) وخرق الحجاب (دخلها) — (وعن أبى عبد الله حذيفة)

ابن اليمانى الأنصارىّ المعروف ، صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رضى الله عنهما ، قال « صلّيتُ مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركَعُ عند المائة ، ثمَّ مَضَى ؛ فقلت يصلى بها فى ركعة ، فمضى ،

بضم المهملة وفتح الذال المعجمة وسكون التحتية بعدها فاء (ابن حسيل) بكسر المهملة الأولى وسكون الثانية ويقال له حسيل بالتصغير ولقبه (اليمان) لقب به لحلفه الأنصار وهم من اليمن والا فهو عبسى بفتح المهملة فسكون الموحدة نسبة الى عبس بن يعيص بن بنت غطفان ثم ابن قيس عيلان بالمهملة ابن مضر (رضى الله عنهما) أسلم حذيفة وأبوه وشهدا أحدا وقتل اليمان يومئذ بأيدى المسلمين غلطا ونادى حذيفة حينئذ : أبى عباد الله . أبى أبى ، فما احتجزوا عنه حتى قتلوه ، فقال حذيفة يغفر الله لكم ، ووهب دمه للمسلمين وكان حذيفة أحد الرقباء النجباء وأحد الفقهاء أهل الفتوى وصاحب سر رسول الله ﷺ فى المنافقين والمختص بأخبار الفتن المستقبلة ماظهر منها وما بطن وله مقامات محمودة فى الجهاد من أعظمها ليلة الأحزاب وخبره فيها مشهور وأبلى فى الفتوح وحمدت مشاهده ، وكان فتح همدان والدينور على يديه وشهد فتح الجزائر ، ولاه عمر المدائن وقال عمر لأصحابه يوما : تمنوا فتمنوا ، فقال عمر : لكنى أتمنى رجالا مثل أبى عبيدة ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان استعملهم فى طاعة الله تعالى . روى عن رسول الله ﷺ مائة حديث ونيفا اتفقا منها على اثنى عشر وانفرد البخارى بثمانية ومسلم بسبعة عشر ، توفى بالمدينة سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان بأربعين ليلة (قال صليت مع النبى ﷺ) أى فى صلاة التهجد ففيه وفى حديث ابن مسعود الآتى الاقتداء فى النافلة وتطويل صلاة الليل (ذات ليلة فافتتح سورة البقرة) فيه إطلاق ذلك بلا كراهة ، وقيل إنما يقال السورة التى تذكر فيها البقرة (فقلت يركع عند المائة) منها ، وكان القياس فى رسم مائة أن تكتب الهمزة بصورة التحتية لانكسار ماقبلها لكنها رسمت بهذه الصورة لئلا تلتبس بصورة منه اذا لم تنقط وأصلها مئى حذفت لامها وعوض عنها هاء التأنيث (ثم مضى) فى قراءتها بعد تمام المائة (فقلت يصلى بها فى ركعة فمضى

فقلت يركع بها ، ثم افتتح النِّساء فقرأها ؛ ثم افتتح آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسِّلا ، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح ، وإذا مرَّ بسؤال سأل وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربى العظيم ،

فقلت يركع بها) فأكملها (ثم افتتح النساء فقرأها) الى آخرها (ثم افتتح آل عمران فقرأها) قال القاضى عياض : فيه دليل لمن يقول ان ترتيب السور اجتهادى وليس بتوقيفى بل وكله ﷺ الى أمته وهو قول مالك وجمهور العلماء واختاره ابن الباقلانى وقال إنه أصح القولين مع احتمالها ، قال : والذى يقول ان ترتيب السور ليس بواجب فى الكتابة ولا فى الصلاة ولا فى الدرس ولا فى التلقين ، وأنه لم يكن من النبي ﷺ فى ذلك نص ولا لاحد تحرم مخالفته ، ولذا اختلف فى ترتيب المصاحف قبل مصحف عثمان . قال : وأما على قول من يقول انه بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم حدده لهم كما استقر فى مصحف عثمان ، وإنما اختلفت المصاحف قبل أن يبلغهم التوقيف والعرض الأخير فتأول قراءته النساء ثم آل عمران هنا على أنه كان قبل التوقيف فى الترتيب وكانت هاتان السورتان هكذا فى مصحف أبى . « قلت » قال بعض المتأخرين : أو انه فعله لبيان الجواز ، قال الباقلانى : ولاخلاف أنه يجوز للمصلى أن يقرأ فى الركعة الثانية بسورة قبل التى قرأها فى الاولى إنما يكره ذلك فى ركعة ولمن يتلو فى غير صلاة وقد أباحه بعضهم وتأول نهى السلف عن قراءة القرآن منكوسا على من يقرأ من آخر السورة الى أولها ، قال : ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة بتوقيف من الله سبحانه وتعالى على ماهى عليه الآن فى المصحف ، وهكذا نقلته الأمة عن نبيها اه باختصار يسير . (يقرأ مترسلا) أى مرتلا بتبيين الحروف وأداء حقها (اذا مر بآية فيها تسبيح) نحو « سبح اسم ربك » (سبح واذا مر بسؤال سأل واذا مر بتعوذ تعوذ) فيه دليل لاستحباب هذه للقارىء وهى سنة له مطلقا (ثم ركع فجعل) من أفعال الشروع (يقول) فى ركوعه (سبحان ربى العظيم) وكرر ذلك التسبيح فيه وبه قال بعض الأئمة ولم يأخذ أئمتنا بقضية التكرير فيه ، وفيما يأتى بل قالوا أقل التسبيح مرة وأقل الكمالات ثلاث وأكثره إحدى عشرة ، واقتضى صريح كلامهم عدم سن الزيادة على ذلك فان الذى ذكروه هو ما واظب عليه ﷺ وما

فكان ركوعه نحوا من قيامه ، ثم قال سمع الله لمن حمده . ربنا لك الحمد ، ثم قام قياما طويلا قريبا مما ركع ، ثم سجد فقال سبحان ربى الأعلى ، فكان سجوده قريبا من قيامه » رواه مسلم

« التاسع » عن ابن مسعود رضى الله عنه قال (صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة فأطال القيام حتى هممت بأمر سوء)

فى هذا الحديث وقع نادرا فلم يغيروا به ما علم واستقر من أحواله صلى الله عليه وسلم (فكان ركوعه) فى الطول (نحوا) أى قريبا (من قيامه) فى القراءة قبله (ثم رفع رأسه وقال) عند رفعه (سمع الله لمن حمده) أى تقبله منه (ربنا لك الحمد ثم قام) أى دام فى القيام بعد الرفع من الركوع (قياما طويلا قريبا مما ركع) أى من ركوعه أخذ منه ما اختاره المصنف أن الاعتدال والجلوس بين السجدتين ركنان طويلان لكن المذهب أنهما قصيران لانهما مقصودان لغيرهما لا لذاتهما وقد يجاب بأن القرب من الركوع أمر نسبي فليس فيه نص على أنه طول أكثر من التطويل المشروع عندنا وهو ما يسع أذكاره الواردة فيه وقدر قراءة الفاتحة (ثم سجد فقال) فى سجوده (سبحان ربى الاعلى) وكرره والحكمة فى جعل العظيم فى الركوع والاعلى فى السجود أن الأعلى لكونه أفعل تفضيل أبلغ من العظيم والسجود أبلغ فى التواضع من الركوع فجعل الأبلغ للابلغ (فكان سجوده قريبا من قيامه رواه مسلم) (١) (وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال صليت مع النبى ﷺ ليلة) أى التهجد فى ليلة فهى منصوبة على الظرفية (فاطال) أى القيام طولا كثيرا زائدا على العادة كما سيأتى مستنده (حتى هممت) بفتح الميم الأولى (بأمر سوء) باضافة أمر الى سوء كذا فى فتح البارى وقال بعض شراح الشمائل بالاضافة وعدمها وفتح السين وضمها ولعل اقتصار الحافظ على ما هو الرواية وفى الصحاح المفتوح مصدر نقيض المسرة والمضموم اسم وساغت الاضافة الى المفتوح كرجل سوء ولا يقال سوء بالضم اه وقوله ولا يقال الخ رد بالقراءة المتواترة دائرة السوء بالضم ويرد بأن مافيه فى إضافة الاسم الجامد وما فيها باضافة المصدر وبينهما فرق

---

(١) أى فى باب تطويل القراءة فى صلاة الليل

قيل : وما هممت به ؟ قال (هممت أن أجلس وأدَعَهُ) متفق عليه

« العاشر » عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يَتْبَع الميتَ ثلاثةٌ : أهلهُ وماله وعمله ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ويبقى عمله) متفق عليه

« الحادى عشر » عن ابن مسعود رضى الله عنـه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « الجنةُ أقربُ إلى أحـدِكم مِن شِراك نعله ،

ظاهر . (قيل : وما هممت به ؟ قال أن أجلس وأدعه) قال المصنف فيه أنه ينبغى الأدب مع الأئمة والكبار بألا يخالفوا بقول ولا فعل ما لم يكن حراما واتفق العلماء على أنه إذا شق على المقتدى فى فريضة أو نافلة القيام وعجز عنه جاز له القعود وإنما لم يقعد ابن مسعود تأدبا مع رسول الله ﷺ اهـ وفى فتح البارى فى الحديث دليل على اختيار النبى صلى الله عليه وسلم تطويل صلاة الليل وقد كان ابن مسعود قويا محافظا على الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وما هم بالقعود إلا بعد طول كثير ما اعتاده قال وفى الحديث أن مخالفة الامام فى أفعاله معدودة فى العمل السيىء وفيه تنبيه على جواز استفادة معرفة ما أبهم من الأقوال وغيرها لأن أصحاب ابن مسعود ما عرفوا مراده من قوله هممت بأمر سوء حتى استفهموه عنه فلم ينكر عليهم استفهامهم عنه اهـ (متفق عليه) ورواه الترمذى فى الشمائل

(وعن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتبع الميت) أى يصحبه إلى قبره (ثلاثة أهله وماله وعمله) بالرفع بدل من الفاعل (فيرجع اثنان ويبقى واحد) أجمله ثم فصله بقوله على سبيل الاستئناف البيانى (يرجع أهله وماله ويبقى عمله) ليكون أقر فى النفس وأمكن لأنها يجيئها التفصيل وقد تطلبته واشتاقت إليـه وفى الحـديث الحث على تحسين العمـل ليكون أنيسه فى قـبره (متفق عليه) والسياق للبخارى

(وعن) عبد الله (بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله) الشراك بكسر الشين المعجمة وبالراء وآخره كاف أحد سيور النعل التى تكون فى وجهه ويختل المشى بفقده كفقد

والنار مثل ذلك » . رواه البخارى

« الثانى عشر » عن أبى فِراس رَبيعةَ بن كعب الأسلمىّ ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ، أهل الصُّفَّة ، رضى الله عنه

الشسع بمعجمة ثم مهملتين السير الذى يدخل فيه أصبع الرجل ، قال ابن مالك : ووجه الأقربية أن يسيراً من الطاعة قد يكون سبباً لدخول الجنة ومثله من المعصية فى النار كما قال (والنار مثل ذلك) قال فى فتح البارى قال ابن بطال : فى الحديث أن الطاعة موصلة إلى الجنة وأن المعصية مقربة إلى النار وأنهما قد يكونان فى أيسر الاشياء وفى هذا المعنى : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة » الحديث فينبغى للمرء ألا يزهد فى قليل من الخير أن يأتيه ولا فى قليل من الشر أن يجتنبه فانه لا يعلم الحسنة التى يرحمه الله بها ولا السيئة التى يسخط عليه بها . وقال ابن الجوزى معنى الحديث أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة والنار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية اهـ . وقال السعد الكازرونى فى شرح المشارق أراد قرب الجنة لمن كان كافرا فاسلم . وقرب النار لمن عكس وكذا لمن أتى بالكبائر (رواه البخارى) ورواه احمد

(وعن أبى فراس) بكسر الفاء وبالمهملتين بينهما ألف (ربيعة) بوزن قبيلة (ابن كعب) بن مالك (الاسلمى) الحجازى (خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم) حضراً وسفراً (ومن أهل الصفة) بضم المهملة وتشديد الفاء محل مسقف آخر المسجد يأوى إليه الفقراء الذين ليس لهم عريف (رضى الله عنه) قال ابو نعيم : كان من أحلاس المسجد(١) ومن الملازمين لخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وله بأهل الصفة اتصال ثم روى عنه قال : كنت أبيت على باب رسول الله ﷺ وأعطيه الوضوء فأسمعه من الهوى بالليل يقول سمع الله لمن حمده وللهوى من الليل يقول الحمد لله رب العالمين ، ذكره ابن الجوزى فى المستخرج المليح من التنقيح فى باب من روى عن النبى صلى الله عليه وسلم اثنى عشر حديثا وقال : قال البرقى له أربعة

---

(١) أى من الملازمين لكثرة الجلوس فى المسجد كالحلس الذى لا يرفع عن ظهر الدابة الا نادرا . ش

قال « كُنتُ أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فآتيهِ بوَضوئه وحاجته فقال سلنى : فقلت : أسألكُ مُرافقَتَكَ فى الجنة . فقال : أوغيرَ ذلك . قلت : هو ذاك .

احاديث « قلت » وقد انفرد مسلم عن البخارى فاخرج له هذا الحديث وروى عنه أصحاب السنن الأربعة ، توفى بعد الحرة سنة ثلاث وستين . (قال كنت أبيت مع رسول الله ﷺ) على باب بيته لاداء خدمته كما قال (فآتيه) بالمد (بوضوئه) بفتح الواو الماء المعد للوضوء بضمها (وحاجته) أى ما يحتاج اليه من لباس وغيره (فقال سلنى) حاجة أتحفك بها فى مقابلة خدمتك لأن هذا شأن الكرام ولا أكرم منه صلى الله عليه وسلم . ويؤخذ من اطلاقه السؤال أن الله تعالى مكنه من إعطاء كل ما أراد من خزائن الحق ومن ثم عد أئمتنا من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن يخص من شاء بما شاء كجعله شهادة خزيمة بشاهدين رواه البخارى وإباحة النياحة لأم عطية فى آل فلان خاصة رواه مسلم . (فقلت أسألك مرافقتك فى الجنة) أى أن أكون معك فيها قريبا منك ومتمتعا بنظرك وقربك حتى لا أفارقك فلا يشكل حينئذ بأن منزله صلى الله عليه وسلم . الوسيلة وهى خاصة به عن سائر الأنبياء فلا يساويه فى مكانه منها نبى مرسل فضلا عن غيرهم لأن المراد أن تحصل له مرتبة من مراتب القرب التام اليه فكنى عن ذلك بالمرافقة (فقال أو) تسأل (غير ذلك) لأنه أهون فأو عاطفة ويصح فتح الواو فالهمزة للاستفهام داخلة على فعل دل عليه السياق أى أترجع عن سؤالك هذا لأنه مشق (١) لا تطيقه وتسأل غيره مما هو أهون منه (قلت هو) أى مسئولى (ذاك) الذى ذكرته لا غيره فلا أرجع عنه وإن كان مشقا وعبر عنه صلى الله عليه وسلم بذلك الموضوع للبعيد ليدله على بعد هذه المرتبة وعزتها وأنها لا تحصل بالهوينى فعدل عنها السائل إلى « ذاك » الدالة على القرب بالنسبة لذلك ، ليعلم بأنه مصمم

---

(١) (قوله مشق) هو بمعنى شاق وهو خطأ فان الفعل شق ولم يسمع منه غير الثلاثى فى شىء من كتب اللغة المعروفة وقد وقع التعبير به فى مواضع عديدة من جمع الجوامع وغيره اه شفاء .ع

قال : فأعنّي على نفسك بكثرة السجود » رواه مسلم

« الثالث عشر » عن أبى عبد الله ، ويقال أبو عبد الرحمن ، ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رضى الله عنه

على أن مسئوله غير مستبعد له لعزمه على امتثال كل ما يؤمر به لأجله فلما علم صلى الله عليه وسلم صدقه وقوة عزمه (قال)له (أعنى) حينئذ (على نفسك) المتخلفة بطبعها عن السعى فى نيل المعالى لميلها إلى الدعة والرفاهية والشهوات والبطالات وفى قوله « أعنى » إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم كان مجتهداً أى اجتهاد فى اصلاحه كغيره وأنه الطبيب الساعى فى شفائه والطبيب يحتاج لمساعدة المريض بتعاطيه ما يصفه له (بكثرة السجود) المحصل لنيل مرتبة القرب المطهر للنفس عن خبائثها المخرج لها عن شهواتها وعاداتها،وبعدك عن هذه النقائص المؤدى إلى دوام المراقبة يحصل الرقى الى درجة المرافقة والمجاورة وفى شرح المشكاة لابن حجر : فمن كثر سجوده حصلت له تلك الدرجة العلية التى لا مطمع فى الوصول اليها الا بمزيد الزلفى عند الله فى الدنيا بكثرة السجود المومأ اليه بقوله تعالى «واسجد واقترب» فكل سجدة فيها قرب مخصوص لتكفلها بالرقى الى درجة من درجات القرب وهكذا حتى ينتهى إلى درجة المرافقة لحبيبه صلى الله عليه وسلم، فنتج من هذا الذى هو على منوال قوله تعالى «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله» أن القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحصل الا بالقرب من الله تعالى وأن القرب من الله تعالى لا ينال الا بالقرب من رسوله صلى الله عليه وسلم فالقربان متلازمان لا انفكاك لأحدهما عن الآخر البتة ومن ثم أوقع تعالى متابعة رسوله بين تلك المحبتين ليعلمنا أن محبة العبد لله ومحبته للعبد متوقفان على متابعة رسوله اه (رواه مسلم) وأحمد بن حنبل * (وعن أبى عبد الله ويقال) فى كنيته (أبو عبد الرحمن ثوبان) بفتح المثلثة وسكون الواو بعدها موحدة وبعد الالف نون ابن بجدد وقيل ابن جحد (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال الكازرونى فى شرح المشارق كان (رضى الله عنه) من اليمن وقيل إنه حكمى من حكم ابن سعد العشيرة وقيل من النمر وقيل من السرة موضع بين مكة واليمن أصيب سبيا فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وقيل اشتراه فأعتقه فلم يزل مع النبى صلى الله

قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « عليك بكثرة السجود فانك لن تسجد لله سجدةً إلا رفعك الله بها درجةً وحَطَّ عنك بها خطيئةً »

رواه مسلم

« الرابع عشر » عن أبى صَفوان عبد الله بن بُسْر الأسلمى رضى الله عنه

عليه وسلم حتى قبض وتحول إلى حمص ، له بها دار ضيافة ، مات بها سنة أربع وخمسين فى زمن معاوية وجميع مروياته ثمانية وعشرون حديثا اه انفرد مسلم بالاخراج عنه عن البخارى فأخرج له عشرة أحاديث ذكره ابن الجوزى وغيره (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك) اسم فعل بمعنى خذو الباء فى (بكثرة السجود) زائدة لازمة (فانك لن تسجد) مخلصا (لله سجدة) أى فى ضمن ركعة أو لنحو تلاوة أو شكر ، وإلا فالتعبد بالسجدة المنفردة غير مشروع (إلا رفعك الله بها درجة) أى درجة (وحط عنك بها خطيئة) أى خطيئة وسبب رواية ثوبان لهذا الحديث : « أن معدان بن طلحة قال : أتيت ثوبان فقلت أخبرنى بعمل أعمل به يدخلنى الله به الجنة أو قال بأحب الأعمال إلى الله ، فسكت ثم سأله فسكت ثم سأله الثالثة فقال : سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال عليك » فذكره ، وفى آخره فلقيت أبا الدرداء فسألته فقال لى مثل ما قال ثوبان (رواه مسلم) قال فى الجامع الصغير : ورواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه عن ثوبان وأبى الدرداء ، وهذان الحديثان ظاهران فى أن تكثير السجود أفضل من طول القيام وهو أحد مذاهب ثلاثة فى ذلك أصحها أن تطويل القيام أفضل وقد بسطت الكلام فى ذلك فى كتاب الصلاة من شرح الأذكار

(وعن أبى صفوان) بفتح المهملة وسكون الفاء وقيل أبو بسر (عبد الله بن بسر الأسلمى) قال الكازرونى فى شرح المشارق « المازنى » وجرى عليه العامرى فى الرياض لكن فى أسد الغابة بعد أن نقل ذلك عن ابن منده . قال: وهذا لا يستقيم فان سليما أخو مازن وليس لعبد الله حلف فى سليم حتى ينسب إليهم بالحلف كان (رضى الله عنه) ممن صلى للقبلتين ووضع صلى الله عليه وسلم يده على رأسه ودعا له وقال « يعيش

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيرُ الناس من طال عُمرُهُ وحسُنَ عمله » رواه الترمذى ، وقال حديث حسن (بسر) بضم الباء وبالسين المهملة

« الخامس عشر » عن أنس رضى الله عنه قال : غابَ عمى أنس بن النضر رضى الله عنه عن قتال بدر ، فقال « يارسول الله . غبتُ عن أول قتال قاتلتَ المشركين ، لئن اللهُ

هذا الغلام قرنا - فعاش مائة سنة - وقال : لايموت حتى يذهب هذا الثؤلول (١) من وجهه - فلم يمت حتى ذهب الثؤلول من وجهه » قال ابن الأثير : صحب النبي صلى الله عليه وسلم هو وأبوه وأمه وأخوه عطية وأخته الشماء وحينئذ فكان حق المصنف أن يقول رضى الله عنهما . وفى التقريب للحافظ ابن حجر صحابى صغير له ولأبيه صحبة ، توفى سنة ثمان وثمانين عن أربع وتسعين سنة وقيل مات بحمص وهو آخر من مات بها بل بالشام من الصحابة سنة ست وتسعين عن مائة سنة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين حديثا أخرج له البخارى حديثا ومسلم آخر (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس) أى أفضلهم (من طال عمره وحسن عمله) فاكتسب فى طول الأيام مايقربه إلى مولاه ويوصله إلى رضاه ، وحسن العمل الاتيان به مستوفيا للشروط والأركان والمكملات (رواه الترمذى وقال حديث حسن) وكذا رواه أحمد وفى بعض النسخ رواه مسلم والترمذى وهو من غلط النساخ (بسر بضم الباء) أى الموحدة وكأن الاتيان بذلك أولى لبعده عن الاحتمال فى الصورة الخطية أهى الموحدة أم المثناة الفوقية أم التحتية (وبسين مهملة) وراء

(وعن أنس رضى الله عنه قال : غاب عمى) أى أخو والدى إذ هو أنس بن مالك بن النضر وعمه (أنس بن النضر رضى الله عنه عن قتال بدر) الاضافة لأدنى ملابسة أى الكائن فيها وبدر المحل المعروف قيل سمى باسم بئر ثم ، وقيل لغير ذلك (فقال) متحسراً (يارسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين) صفة قتال والعائد محذوف أى فيه (لئن) اللام موطئة للقسم المحذوف أى والله لئن و (الله) فاعل لفعل محذوف هو فعل الشرط وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم

---

(١) الثؤلول : شىء يأتى فى الوجه وهو واحد الثآليل اھ مختار

أشهدَنى قِتالَ المشركين ليريَنَّ اللهُ ما أصنع » فلما كان يومُ أُحُدٍ انكشف المسلمون ، فقال « اللهم أعتذر إليك مما صنع هؤلاء — يعنى أصحابه — وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء — يعنى المشركين — ثم تقدَّم فاستقبله سعدُ بن معاذ فقال : ياسعدَ بنَ مَعاذ ، الجنةُ وربِّ الكعبة إنى أجدُ ريحَها من دون أُحُد »

عليه (أشهدنى) أحضرنى (قتال المشركين) يحتمل أن يكون مضافا لفاعله وأن يكون مضافا لمفعوله وحذف الضمير الدال عليه تنزيهاً له أن يذكر فى مقابلتهم (ليرين الله ما أصنع) جواب القسم والنون للتوكيد ، قال القرطبى فى المفهم : هذا الكلام يتضمن أنه ألزم نفسه إلزاما مؤكداً هو الابلاغ فى الجهاد والانتهاض فيه والابلاغ فى بذل ما يقدر عليه ولم يصرح بذلك مخافة ما يتوقع من التقصير فى ذلك وتبريا من حوله وقوته ولذا قال فى رواية فهاب أن يقول غيرها ومع ذلك نوى بقلبه وصمم على ذلك بصحيح قصده ولذا سماه الله عهداً فقال « من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه » اهـ (فلما كان يوم أحد) برفع يوم على أن كان تامة وبنصبه على الظرفية والمعنى يوم قتال أحد أو أراد باليوم الوقعة (انكشف المسلمون) بما وقع لهم من ترك منازلهم التى أنزلهم النبى صلى الله عليه وسلم فيها حال التصاف للحرب ونهاهم عن التحول عنها فلما انكسر المشركون وانهزموا نزل بعض أولئك الأقوام عن تلك المنازل فكان فى تلك المخالفة سبب انهزامهم (فقال) أنس (اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه) المسلمين من الفرار (وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين) من قتال النبى ﷺ ومن معه من المؤمنين (ثم تقدم) إلى القتال (فاستقبله سعد بن معاذ) منهزما (فقال يا سعد) يجوز ضمه وفتحه لأنه وصف بقوله (ابن معاذ) ويتعين نصب ابن لأنه مضاف (الجنة) بالنصب أى أريد والرفع أى مطلوبى (ورب النضر) بفتح النون وإسكان المعجمة يعنى أباه وكل ما كان على هذه الصورة معرفا فبالضاد المعجمة ومنكراً فبالمهملة (إنى أجد ريحها) أى الجنة (من دون أحد) أى من مكان أقرب منه يحتمل أن يكون على الحقيقة وأنه وجد ريحها ويجوز أن يكون أراد أنه استحضر الجنة التى أعدت للشهيد فصور أنها فى ذلك الموضع الذى يقاتل فيه فيكون المعنى إنى لأعلم

قال سعد : فما استطعْتُ يارسول الله ماصَنَع . قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربةً بالسيف ، أوطعنة برمح ، أورمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ومَثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أختُه ببنانِه ، قال أنس: كنّا نُرى . أو نظن ، أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه « من المؤمنين رجالٌ صدَقوا ماعاهدُوا اللهَ عليه » متفق عليه (قوله ليرين الله) روى بضم الياء وكسر الراء أى ليظهرن الله ذلك للناس

أن الجنة تكتسب فى هذا الموضع فاشتاق لها (قال سعد فما استطعت يارسول الله ماصنع) أى أن أصنع ماصنع ، ورواية مسلم فقاتلهم حتى قتل وهى ظاهرة كما قال القرطبي فى أنه قاتلهم وحده فيكون فيه دليل على جواز ذلك بل على ندبه اه (قال أنس فوجدنا به بضعا) بكسر الباء وسكون الضاد المعجمة مابين الثلاث إلى التسع وقيل ما بين الواحد إلى العشر ، وسيأتى بسط الكلام فيه فى باب بيان كثرة طرق الخير (وثمانين ضربة بالسيف أو) هى للتنويع (طعنة برمح أو رمية) بفتح الراء المهملة واحدة الرمى (بسهم ووجدناه قد قتل) بالبناء للمجهول لعدم العلم بعين قاتليه (ومثل) بتشديد المثلثة (به المشركون) حتى خفى على أهله (فما عرفه أحد) منهم (إلا أخته) أى أخت أنس بن النضر وهى الربيع بضم الراء وفتح الباء الموحدة وتشديد التحتية (ببنانه) أى بأصابعه ومنه قوله تعالى . «أن نسوى بنانه » وفى رواية بشامته (١) (قال أنس كنا نرى) بضم النون بمعنى نظن (أونظن) شك من الراوى فى لفظ أنس وإن كان معناهما واحداً ففيه مزيد الاحتياط فى الرواية . وعند مسلم فكانوا يرون الخ يعنى به أن الصحابة كانوا يظنون (أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه) وقيل أنزلت فى السبعين وهم أهل العقبة الثانية الذين بايعوه ﷺ أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم فوفوا بذلك قاله الكلبي وقيل غير ذلك والآية (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) إلى آخرها أو إلى قوله « وما بدلوا تبديلا » أى استمروا على ما التزموا ولم يقع منهم نقض فيما أبرموا (متفق عليه) ورواه الترمذى (ليرين الله روى بضم الياء) التحتية (وكسروا الراء المهملة أى ليظهرن الله ذلك) الذى أصنعه من الجهاد فى سبيله (للناس

---

(١) فى النهاية : الشأمة الخال فى الجسد معروفة .

وروى بفتحهما ومعناه ظاهر والله أعلم

« السادس عشر » عن أبى مسعود عقْبةَ بن عمرٍو الأنصاريّ البدرى رضى الله عنه قال : لَمَّا نزلتْ آية الصدقة كنَّا نحَامِل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشىء كثير ، فقالوا مُرَاءٍ ؛ فجاء رجلٌ آخر فتصدق بصاع ، فقالوا إن الله لغنى عن صاع هذا ، فنزلَت (الذين يَلمِزُون

وروى بفتحهما ومعناه ظاهر) وفى نسخة من البخارى ليرانى الله بابقاء ألف الفعل على أصلها وحذف نون التوكيد وإبقاء نون الوقاية عكس الرواية الأولى ومعناه كمعنى الرواية الثانية (والله أعلم)

(وعن أبى مسعود عقبة بن عمرو الانصارى البدرى) سكن بدراً ولم يشهد وقعتها على الصحيح عند جماعة من أصحاب المغازى والمحدثين لكن الذى جرى عليه البخارى وفى صحيحه أنه شهدها ورجحه الحافظ فى فتحه وشهد العقبة الثانية. روى عن رسول الله ﷺ مائة حديث وحديثين اتفقا على سبعة منها وانفرد البخارى بواحد ومسلم بتسعة توفى بعد على (رضى الله عنه قال لما نزلت آية الصدقة) قال فى فتح البارى كأنه يشير إلى قوله تعالى « خذ من أموالهم صدقة » الآية (كنا نحامل على ظهورنا) سيأتى معناه وقال الخطابى يريد تكلف الحمل بالأجرة لنكتسب ما نتصدق به وفى رواية أخرى للبخارى انطلق أحدنا إلى السوق يتحامل (فجاء رجل) هو عبد الرحمن بن عوف (فتصدق بشىء كثير) كان ثمانية آلاف درهم أو أربعة آلاف درهم وقيل اربعون أوقية من الذهب (فقالوا مراء) اسم فاعل من المراءاة وهى العمل ليراه الناس فيكتسب منهم غرضا دنيويا (وجاء رجل) هو أبو عقيل وقيل غيره (فتصدق بصاع) هو أربعة أمداد نبوية فيكون خمسة أرطال وثلثاً بغدادية وكان تحصيله له بأن أجر نفسه على النزع من البئر بالحبل بصاعين من تمر فذهب بصاع لأهله وتصدق بالآخر (فقالوا إن الله لغنى عن صاع هذا)سمى من اللامزين فى مغازى الواقدى معتب بن قشير وعبد الرحمن ابن نبتل بنون ومثناة فوقية مفتوحتين بينهما موحدة ساكنة ثم لام كذا فى فتح البارى (فنزل : الذين) مبتدأ وخبره سخر الله منهم (يلمزون) أى

المطَّوعين من المؤمنين فى الصدقات ، والذين لايجدون إلا جهدهم) الآية . متفق عليه (ونحامل) بضم النون وبالحاء المهملة أى يحمل أحدنا على ظهره بالأجرة ويتصدق بها

« السابع عشر » عن سعيد بن عبد العزيز ، عن ربيعة بن زيد ، عن أبى ادريس الخولانى

يعيبون (المطوعين) بتشديد الطاء المهملة وأصله المتطوعين أدغمت التاء فى الطاء أى المتنفلين (من المؤمنين فى الصدقات والذين لايجدون إلاجهدهم) طاقتهم فيأتون به (الآية) إلى قوله ولهم عذاب أليم . (متفق عليه) ورواه النسائى وابن مردويه وغيرهم (ونحامل بضم النون وبالحاء المهملة) وكسر الميم (أى يحمل أحدنا على ظهره بالأجرة) طلبا لتحصيل ما يتوصل به إلى الصدقة (ويتصدق بها) طلبا لمرضاة الله تعالى . فالصيغة للمبالغة ففيه أن العبد يطيع مولاه جهده وطاقته وحسب قدرته واستطاعته

(وعن سعيد بن عبد العزيز) التنوخى مفتى دمشق وعالمها قرأ على ابن عامر وسمع مكحولا وسأل عطاء لما حج قال أحمد هو والأوزاعى عندى سواء كان بكاء خوافا سئل فقال ماقمت إلى صلاة إلا مثلت لى جهنم . وقال أبو مسهر سمعته يقول مالى كتاب وقال سفيان ثقة ثبت مات سنة مائة وسبع وستين من أبناء الثمانين روى له مسلم وأصحاب السنن الاربعة (عن ربيعة) بوزن قبيلة (ابن يزيد) القصير يكنى ربيعة بابى شعيب وهو فقيه أهل دمشق مع مكحول قال رج بن فضالة كان يفضل على مكحول استشهد بافريقية سنة مائة واثنتى عشرة روى له الستة (عن أبى ادريس (١) الخولانى) بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو نسبة لخولان قبيلة نزلت بالشام واسمه عائذ الله قال سعيد بن عبد العزيز كان عالم أهل الشام

---

(١) قوله أبى أدريس عائذ الله بذال معجمة بعد الهمزة ابن عبد الله بن عمرو على المشهور الخولانى الشامى ولد يوم حنين وولاه معاوية القضاء بدمشق وكان من عباد الشام وقرائهم توفى سنة ثمانين اه كرمانى فى كتاب الايمان فى الباب الذى

عن أبي ذر جندب بن جنادةَ رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن الله تبارك وتعالى ، أنه قال « ياعبادى إنى حرّمْت الظلم على نفسي

بعد أبى الدرداء ولد يوم حنين مات سنة ثمانين روى له الستة ذكر هذا الذهبى فى الكاشف (عن أبى ذر جندب) بضم الجيم وفتح الدال (ابن جنادة) وتقدمت ترجمته (رضى الله عنه) أول باب المراقبة (عن النبي ﷺ فيما يروى) عن جبريل ﷺ كما فى الاذكار وغيرها وهو كذلك فى بعض طرقه كما نبه عليه الحافظ العلائى (عن الله تبارك) قال فى الصحاح أى بارك مثل قاتل وتقاتل إلا أن فاعل يتعدى وتفاعل لا يتعدى (وتعالى) وهذا من الأحاديث القدسية وسبق الفرق بينها وبين القرآن فى باب الصبر (أنه قال يا عبادى) بكسر أوله وتخفيف ثانيه وهو أحد جموع لفظ عبد وله عشرون جمعا ذكرتها نظما فى أول شرح الاذكار . وهو هنا وفيما يأتى وفى نظائره يتناول الاحرار والارقاء من الذكور وكذا من النساء اجماعا لكن لا وضعا بل بقرينة التكليف (انى حرمت الظلم على نفسى) قال ابن القيم تحريم الله الفعل على نفسه يستلزم عدم وقوعه ثم قال واذا كان معقولا من الانسان أن يأمر نفسه وينهاها كما قال تعالى : « إن النفس لأمارة بالسوء » وكما قال : ونهى النفس عن الهوى مع كونه تحت أمر غيره فالأمر الناهى الذى ليس فوقه آمر ولا ناه كيف يستحيل فى حقه أن يحرم على نفسه أو يكتب عليها فيحرم على نفسه بنفسه ويكتب على نفسه ولا يلتفت الى ما قيل فى ذلك من التأويلات الباطلة اهملخصا وقد نقلت كلامه برمته فى أواخر شرح الأذكار وهو يقتضى أن الظلم متصور منه تعالى إلا أنه منع منه نفسه ، فلا يفعله عدلا منه وتنزها عنه ، قال جمع : واعترض بأنه ان أريد جوازه بناء على تفسيره بما هو ظلم عند العقل لو خلى ونفسه من حيث عدم مطابقته لقضيته فله نوع احتمال

بعد باب علامة الايمان حب الأنصار ، وفى القسطلانى : أبو إدريس عائذ الله بالمعجمة وهو اسم علم أى ذو عياذة بالله فهو عطف بيان لقوله أبو إدريس بن عبد الله الصحابى ابن عمرو الخولانى الدمشقى الصحابى لأن مولده كان عام حنين ، التابعى الكبير من حيث الرواية ، المتوفى سنة ثمانين اه فى الباب المذكور راجع وتأمل

وجعلته بينكم محرّماً فلا تَظَالموا .

والجمهور على استحالة تصور الظلم فى حقه تعالى إذ هو لغـة وضع الشىء فى غـير محله ، وعرفا التصرف فى حق الغير بغير حق أو مجاوزة الحد ، وهو بمعنييه محال فى حقه تعالى : إذ ليس فوقه من يطيعه تعالى حتى يحـد له حدا فيقال انه جاوزه ، ولا حق لأحد معه سبحانه بل هـو الذى خلق المالـكين وأمـلاكهم وتفضـل عليهم بها وحدد لهم حدوداً وحرم وأحل ، فلا حاكم يتعقبه ولا حق يترتب عليه تعـالى عن ذلك ، ولا ستحالته فى حقه تعـالى قال بعضهم سمى تقدسه عن الظـلم تحريـا لمشابهته الممنوع فى تحقق العـدم ، قيـل قضيـة هـذا الحديث جواز اطلاق لفظ النفس عليه تعالى قال بعضهم وهـو ظاهر حيث كان من باب المقـابلة كما هنـا إذ المعنى حرمته على نفسى فنفوسـكم بالأولى كما أفاده قـوله « وجعلته بينكم محرما » أما إطلاقه فى محل لا مقابلة فيـه فلا يظهر جوازه لايهـامه حقيقة النفس وهى محال عليـه تعالى ، وقيـل يجوز اطلاقه عليـه بنـاء على أنه مأخوذ من النفاسـة ولا يشكل على لأول اطـلاق الذات عليـه تعالى فى قـول خبيب رضى الله عنه عند ارادة قتله «وذلك فى ذات الاله » لان ذات الشىء حقيقته فلا اشعـار فيها بحدوث بخـلاف لفظ النفس فانه يشعر بالتنفس والحـدوث فامتنع اطلاقه عليه الا فى مقـام المقابلة اذ هـو قرينـة ظاهرة على أن المراد به فى حقه تعالى غير حقيقته وما يتبادر منه ، وأيضا ففى اطلاقه عليه تعالى من غير مقابلة إيهام شمول قوله تعالى: كل نفس ذائقة الموت. له تعالى الله عن ذلك (وجعلته بينكم محرما) أى حكمت بتحريمه عليـكم وهـذا مجمـع عليه فى كل مـلة لاتفاق سائر الملل على مراعاة حفظ الأنفس فالانساب فالأعراض فالعقول فالأموال(١) والظلم قد يقع فى هذه أو بعضها وأعلاه الشرك قال تعالى «إن الشرك لظلم عظيم »وهو المراد بالظلم فى أكثر الآيات ثم يليه المعاصى على اختلاف أنواعها (فلا تظالموا) بفتح التاء وتخفيف الظاء على الأشهر وروى بتشديدها ففيه حذف إحدى التاءين وإدغامها فى الظاء. أى

---

(١) وهذه هى الـكليات الخمس التى حرم انتهاكها ووجب الدفاع عنها فى كل مـلة . ع

ياعبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم .

لا يظلم بعضكم بعضاوهذا توكيد لقوله وجعلته بينكم محرماوزيادةفى تغليظ تحريمه (ياعبادى) كرر النداء زيادة فى تشريفهم ولذا أضافهم اليه وتنبيها على فخامة ما بعده . وجمعه لافادة الاستغراق (كلكم ضال) أى غافل عن الشرائع قبل ارسال الرسل أو ضال عن الحق لو ترك ونفسه (إلا من هديته) من الضلال بالتوفيق للايمان بما جاءت به الرسل على المعنى الأول . أو للوصول الى الحق بالنظر الموصل الى معرفة الله تعالى وامتثال ما جاء من عنده على المعنى الثانى. وعلى كل من المعنيين فلا ينافى حديث : «كل مولود يولد على الفطرة » لأن ذلك ضلال طارىء على الفطرة الأولى كما يرشد اليه حديث: «خلق الله الخلق على معرفته فاغتالهم الشيطان» والأصح أن المراد من معنى خبر« كل مولود الخ» أن كل مولود يخلق متهيئا للاسلام فمن كان أبواه أو أحدهما مسلما استمر عليه فى أحكام الدارين وان كانا كافرين جرى عليه حكمهما فيتبعهما فى أحكام الدنيا وهذا معنى «فيهودانه وينصرانه» أى يحكم له بحكمهما فى الدنيا فاذا بلغ مستمرا على الكفر حكم له به فيهما ،واختلف أيضا فيمن مات صغيرا والاصح أنه فى الجنة ، والحاصل أن الانسان مفطور على قبول الاسلام والتهيؤ له بالقوة لكن لابد أن يتعلمه بالفعل فانه قبل التعليم جاهل قال الله تعالى « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا » فمن هداه سبب له من يعلمه الهدى فصار مهديا بالفعل بعد أن كان مهديا بالقوة ومن خذله والعياذ بالله قيض له من يعلمه مايغير فطرته بأمر بتهود أو تنصر أو تمجس ، قال المصنف : وفى هذا دليل لمذهب أصحابنا وسائر أهل السنة أن المهتدى هو من هداه الله وبهدى الله اهتدى وبارادة الله تعالى ذلك وأنه سبحانه أراد هداية بعض عباده وهم المهتدون ولم يرد هداية الآخر ولو أرادها لاهتدى قال تعالى « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً » (فاستهدونى) اطلبوا منى الهداية بمعنى الدلالة على طريق الحق والايصال اليها معتقدين أنها لاتكون إلا من فضلى (أهدكم) أنصب لكم أدلة ذلك الواضحة وأوصل من شئت إيصاله فى سابق العلم القديم الأزلى وحكمة طلبه تعالى منا السؤال للهداية إظهار الافتقار منا والاذعان والاعلام بأنه لو هداه قبل أن يسأله لربما قال إنى أوتيته على علم عندى فيضل بذلك فاذا سأل

ياعبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم . ياعبادى كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم . ياعبادى إنكم تخطئون

ربه فقد اعترف على نفسه بالعبودية ولمولاه بالربوبية ، وهذا مقام شريف لايتفطن له إلا الموفقون . وهذا البيان طريق حصول النفع الدينى ودفع الضرر من ذلك ، وقدمه اهتماما واحتفالا بشأنه (يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته) لأن الناس كلهم عبيد لاملك لهم فى الحقيقة وخزائن الرزق بيده فمن لم يطعمه بفضله بقى جائعا بعدله إذ ليس عليه إطعام أحد ، فقوله تعالى « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » التزام منه تفضلا لا انه عليه واجب بالاصالة ولا يمنع نسبة الاطعام إليه ما يشاهد من ترتب الأرزاق على أسبابها الظاهرة من أنواع الكسب لأنه تعالى المقدر لتلك الأسباب الظاهرة بقدرته وحكمته الباطنة فالجاهل محجوب بالظاهر عن الباطن والعارف الكامل لا يحجبه ظاهر عن باطن ولا عكسه بل يعطى كل مقام حقه (فاستطعمونى) أى سلونى واطلبوا منى الطعام (أطعمكم) أى أيسر لكم أسباب تحصيله . إذ العالم جماده وحيوانه مطيع لله تعالى طاعة العبد لسيده فتصرفاته تعالى فى العالم عجيبة لمن تدبرها فيسخر السحاب لبعض الأماكن ويحرك قلب فلان لاعطاء فلان ويحوج فلانا لفلان ، وفيه تأديب للفقراء كأنه قال لاتطلب النعمة من غيرى فان من تستطعمونهم أنا الذى أطعمهم فاستطعمونى أطعمكم (ياعبادى كلكم عار إلا من كسوته . فاستكسونى أكسكم) وفى هذا جميعه أوفى تنبيه وأظهر تقرير على افتقار سائر خلقه تعالى إليه وعجزهم عن جلب منافعهم ودفع مضارهم إلا ان ييسر لهم وينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم فلا حول ولا قوة إلا بالله ولا تمسك إلا بسببه ، وهذان مثالان لدفع الضرر الدنيوى وجلب النفع من ذلك واقتصر عليهما لكمال حاجة الانسان إليهما .

(ياعبادى إنكم تخطئون) قال المصنف بضم التاء وروى بفتحهما وفتح الطاء يقال خطىء يخطأ إذا فعل ما يأثم به فهو خاطىء ومنه قوله تعالى « واستغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين » . ويقال فى الاثم أيضا : أخطأ فهما صحيحان اه .

بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفِرْ لكم . ياعبادى إنكم لن تَبلغوا ضَرّى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى .

والمخاطب بهذا هنا غير معصوم (١) (بالليل والنهار) هومن باب المقابلة لاستحالة وقوع الخطأ من كل منهم ليلا ونهاراً (وأنا أغفر الذنوب جميعا) ماعدا الشرك والذى لايشاء مغفرته قال تعالى « إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » وفى اعتراض هذه الجملة مع التأكيد فيها بشيئين أل الاستغراقية وجميعا المفيد كل منهما العموم غاية الرجاء للمذنبين حتى لا يقنط منهم أحد من رحمة الله تعالى لعظم ذنبه (فاستغفرونى أغفر لكم)أصل الغفر الستر فغفر الذنب ستره ومحو أثره وأمن عاقبته، وحكمة التوطئة لما بعد الفاء بما قبلها ، بيان أن غير المعصوم والمحفوظ لا ينفك غالبا عن المعصية فحينئذ يلزمه أن يجدد لكل ذنب ولو صغيرة توبة وهى المرادة هنا من الاستغفار إذ ليس فيه مع عدمها كبيرفائدة وشتان بين ما يمحوه بالكلية وهو التوبة النصوح وبين ما يخفف عقوبته أو يؤخرها الى أجل وهو مجرد الاستغفار . (ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى (٢) فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى) لما قام من الاجماع والبرهان على أنه تعالى منزه مقدس غنى بذاته لايمكن أن يلحقه ضر ولا نفع فهو تعالى إن أحسن إلى عباده بغاية وجوه الاحسان غير محتاج إلى مكافأتهم بجلب نفع أو دفع ضر ، ومن ثم قال تعالى « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » ونفع عباداتهم انما يعود عليهم كما قال تعالى « من عمل صالحا فلنفسه » . ومحبته تعالى لها وفرحه بها لكمال رحمته بهم ورأفته عليهم . وما اقتضاه ظاهر الحديث من أن لضرره ونفعه غاية لكن لا يبلغها العباد متروك بما دل عليه الاجماع والبرهان من غناه المطلق أوأنه من باب « على لا حب (٣) لايهتدى بمناره » أى لامنار له فيهتدى به والمعنى لايتعلق بى ضر

---

(١) ويجوز إبقاء لفظ « عبادى » على التعميم الشامل للمعصوم وغيره ويراد بالخطأ مايشمل الذنب وخلاف الأولى اللائق بمقام الفاعل من إطلاق اللفظ على حقيقته ومجازه أو من عموم المجاز . ش

(٢) الضر ضد النفع من باب رد (٣) بالمهملة والموحدة أى طريق

ياعبادى لو أنَّ أوّلَـكم وآخِرَكم وإنسكم وجنكمْ كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى مُلْـكى شيئا ، ياعبادى لو أن أولـكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أَفجرِ قلب رجل واحد مانقصَ ذلك من ملـكى شيئا . ياعبادى لو أن أولـكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيتُ كل إنسان مسألَته مانقص ذلك مما عندى إلا كما ينقصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البحرَ

ولا نفع فتضرونى أوتنفعونى لأنه تعالى غنى مطلق والعبد فقير مطلق . (ياعبادى لو أن أولـكم وآخركم وإنسكم) سموا بذلك لظهورهم أو أنهم يؤنسون (وجنـكم) سموا به لاجتنانهم أى اختفائهم (كانوا على) تقوى (قلب أتقى رجل منـكم) وفى نسخة على أتقى قلب رجل وكذا قرينه الآتى قيل أراد به هنا محمداً ﷺ (مازاد ذلك فى ملـكى شيئا) أى لا يعود نفع ذلك إلى الله بأن يزيد فى ملـكه بل نفعه قاصر على فاعله (ياعبادى لو أن أولـكم وآخركم وانسكم وجنـكم كانوا على) فجور (قلب أفجر رجل واحد) أى على صورته لما قيل إن المراد ابليس لعنه الله وفى ترك الخطاب هنا تنبيه على أن الأدب فيـه ألا يضاف المـكروه للمخاطب (ما نقص ذلك) العصيان (من) كمال (ملـكى شيئا) فى ذلك إشارة إلى أن ملـكه تعالى على غاية الـكمال لا يزيد بطاعة جميع الخلق وكونهم على أكمل صفات البر والتقوى ، ولا ينقص بمعصيتهم لأنه تعالى الغنى المطلق فى ذاته وصفاته وأفعاله الـكامل فلا نقص يلحقه بوجه . (يا عبادى لو أن أولـكم وآخركم وإنسكم وجنـكم قاموا فى صعيد واحد) أى أرض واحدة ومقام واحد (فسألونى فاعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك) أى إعطاء كل سائل مسئوله (مما عندى) من الخزائن الالهية (الا كما ينقص المخيط) هو بكسر فسكون ففتح ، الابرة (إذا أدخل البحر) وهو فى رأى العين لا ينقص شيئا من البحر فـكذا الاعطاء من الخزائن الالهية لا ينقصها شيئا ألبتة لأنها من رحمته وكرمه وهما صفتان قديمتان ولا نهاية لهما والنقص مما لا يتناهى محال بخلافه مما يتناهى كالبحر وان جل وعظم ، وكان أكبر المرئيات فى الأرض بل قد يؤخذ العطاء الـكثير من المتناهى ولا ينقص كالنار والعلم تقتبس منهما ماشاء الله ولاينقص منهما شىء بل قد يزيد العلم على الاعطاء فعلم أن قوله الا كماينقص المخيط الخ ليس المراد منه حقيقته وإنما هو تمثيل يقرب

يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفِّيكم إياها . فمن وَجد خيراً فليَحمد الله

الى الفهم ليعلم منه أنه لاينقص فى تلك الخزائن البتة لالعدم نقص ماءالبحر من غرز المخيط فالجامع بين المشبه والمشبه به عدم النقص من حيث المشاهدة الصورية فهما وان افترقا فى انا إذا نظرنا اليهما بعين الحقيقة وجدنا البحر ينقص بهذا الشيء الحقير المأخوذ منه الذى لايدرك لنا وتلك الخزائن لاينقصها شيء مما أفاضه الله تعالى منها من حين خلق السموات والارضين إلى انقضاء هذا العالم ثم من حين بعثه إلى مالانهاية له لما تقرر من استحالة نقص مالايتناهى ، وفى هذا تنبيه وأى تنبيه للخلق على إدامتهم لسؤاله تعالى مع إعظام الرغبة وتوسيع المسألة فلايختصر سائل ، بل يسأل ما أحب لما تقرر أن خزائن النعم سحاء الليل والنهار لاينقصها الاعطاء وإن جل وعظم . وقيل إن ذلك إشارة إلى النعمة المخلوقة وهى يتصور فيها النقص كالبحر . ونقص استعمل لازما كنقص المال ، ومتعديا كما هنا اذمفعول الماضى والمضارع محذوف بدليل السياق . (يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها) أى أضبطها (لكم) بعلمى وملائكتى الحفظة واحتيج اليهم معه لا لنقصه عن الاحصاء بل ليكونوا شهداء بينه وبين خلقه وقد يضم اليهم شهادة الاعضاء زيادة فى العدل ، والحصر المستفاد من «انما» هو بالنسبة لجزاء العمل أى لاجزاء ينقسم الى خير وغيره الا عن عمل يكون سببا له ، فلا ينافى المزيد عليه الثابت بالنص فى قوله تعالى «ولدينا مزيد» وبالاجماع لأنه ليس فى حديث الباب تعرض لذلك بنفى ولا اثبات وقد صحت فيه نصوص أخرى لاتعارض لها فوجب الأخذ بها (ثم أوفيكم إياها) أى جزاءها فى الآخرة على حد «وإنما توفون أجوركم يوم القيامة» فلما حذف المضاف انقلب المجرور منفصلا منصوبا أو فى الدنيا أيضا لما روى أن النبى ﷺ فسر ذلك بأن المؤمنين يجازون بسيئاتهم فى الدنيا ويدخلون الجنة بحسناتهم (فمن وجد خيرا) أى ثوابا ونعيما بأن وفق لاسبابهما أو حياة طيبة هنيئة مريئة (فليحمد الله) على توفيقه للطاعات التى ترتب عليها ذلك الخير والثواب فضلا منه ورحمة وعلى إسدائه ما وصل اليه من عظيم المبرات ، فان أريد بذلك الآخرة فقط كان الامر والنهى فى ذلك بمعنى الاخبار أى من

ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلاَّ نفسَهُ » قال سعيد : كان أبو ادريس إذا حدَّث بهذا الحديث جثا على ركبتيه . رواه مسلم ، وروينا عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال : ليس لأهل الشام حديثٌ أشرف من هذا الحديث

وجد خيراً حمد الله عليه ومن وجد غيره لام نفسه حيث لاينفع الملام . وجاء فى آيات الاخبار عن أهل الجنة بأنهم يحمدون الله وعن أهل النار بأنهم يلومون أنفسهم (ومن وجد غير ذلك) أى شراً ولم يذكره بلفظه تعليما لنا كيفية الادب فى النطق بالكناية عما يؤذى ومنه مايستقبح ويستحى من ذكره واشارة إلى أنه اذا اجتنب لفظه فكيف الوقوع فيه والى أنه تعالى حى كريم يحب الستر ويغفر الذنب فلا يعاجل بالعقوبة ولا يهتك الستر (فلا يلومن الا نفسه) فانها آثرت شهواتها ومستلذاتها على رضا مولاها فاستحقت أن يعاملها بمظهر عدله وأن يحرمها مزايا جوده وفضله نسأل الله العافية من ذلك وأن يمن علينا بالسلامة من خوض غمرة هذه المهالك إلى أن نلقاه آمنين مبشرين بقربه ورضاه آمين. ووجه ختم الحديث بهذه الجملة التنبيه على أن عدم الاستقلال بالاطعام والستر لايناقض التكليف بالفعل تارة وبالترك أخرى لأنا وان علمنا أنا لانستقل لكننا نحس بالوجدان الفرق بين الحركة الاضطرارية كحركة المرتعش والاختيارية كحركة التسليم فهذه التفرقة راجعة إلى ممكن محسوس مشاهد وأمر معتاد يوجد مع الاختيار دون الاضطرار وهذا هو مورد التكليف المعبر عنه بالكسب فلا تناقض ولا تعسف والحاصل أن المعاصى التى ترتب عليها العقاب وإن كانت بقدر الله وخذلانه فهى بكسب العبد فليلم نفسه لتفريطه بالكسب القبيح (قال سعيد) بن عبد العزيز (كان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جثا) بالمثلثة بعد الجيم أى جلس (على ركبتيه) تعظيما له وإجلالا (رواه مسلم) وهو حديث عظيم ربانى مشتمل على قواعد عظيمة فى أصول الدين وفروعه وآدابه ولطيف الغيوب وغيرها ، وقد ختم به المصنف أذكاره وبينت فى شرحه حكمة ذلك ، وقد أخرجه أحمد والبخارى فى الأدب المفرد والترمذى ، وقد بسطت الكلام ثمة على بيان مخرجيه واختلافهم فى رواياتهم بما فيه بسط وطول (وروينا عن الامام أحمد بن حنبل قال : ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث) قال السخاوى

﴿باب فى الحث على الازدياد من الخير فى أواخر العمر﴾

قال الله تعالى (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مايتذكَّرُ فيه مَن تذكَّر وجاءكم النذيرُ) قال ابن عباس والمحققون : معناه أولم نعمركم ستين سنة ، ويؤيده الحديث الذى سنذكره إن شاء الله تعالى ، وقيل معناه ثمانى عشرة سنة ، وقيل أربعين سنة ، قاله الحسن

فى تخريج الاربعين الحديث التى جمعها المصنف ، وكذا قال أبو مسهر نفسه فيما حدث به أبو الحسن على بن إسحاق البحرى المادرانى عن أبى بكر محمد بن إسحاق الصغانى شيخ مسلم فيه عنه

﴿ باب الحث ﴾

بالمثلثة أى الحض (على الازدياد) افتعال من الزيادة وأبدلت المثناة الفوقية دالا لوقوعها بعد الزاى (من الخير) أى الطاعات والبر الموصلة إلى مرضاة الله عزوجل (فى أواخر العمر)لأنه أوان الختام وبحسنه تحصل ثمرات الطاعات وبركات الحسنات * (قال الله تعالى أولم نعمركم) هواستفهام توبيخ وتقرير (ما يتذكر فيه من تذكر) ماموصولة أى المدة التى يتذكر فيها المتذكر ويجوز أن تكون نكرة موصوفة أى تعميراً أو زمنا يتذكر فيه من تذكر (وجاءكم النذير) قال البيضاوى عطف على معنى أولم نعمركم فانه للتقرير كأنه قيل عمرناكم وجاءكم النذير . (قال ابن عباس والمحققون) من المفسرين (معناه أولم نعمركم ستين سنة ويؤيده الحديث الذى سنذكره) أول أحاديث الباب (إن شاء الله تعالى) وعند ابن أبى حاتم عن عطاء مرفوعا « إذا كان يوم القيامة قيل أين أبناء الستين وهو العمر الذى قال الله تعالى فيه أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر » وكذا رواه ابن جرير والطبرانى من طرق بعضها ضعيف كذا فى أخبار الأعمال لابن فهد (وقيل معناه) أولم نعمركم (ثمانى عشرة سنة) قال ابن الجوزى فى زاد المسير : قاله عطاء ووهب بن منبه وأبو العالية وقتادة اهـ قال قتادة : طول العمر حجة فنعوذ بالله أن نغتر بطول العمر ، قد نزلت هذه الآية وان فيهم لابن ثمانى عشرة سنة . (وقيل أربعين سنة قاله الحسن) أى البصرى

والكلبي ومسروق ونقل عن ابن عباس أيضا ونقلوا أن أهل المدينة كانوا إذا بلغ أحدهم أربعين سنة تفرغ للعبادة ، وقيل هو البلوغ وقوله تعالى (وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ) قال ابن عباس والجمهور هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الشَّيب قاله عكرمة

ومحمد بن السائب (والكلبي ومسروق) بن سعيد ، سمى بذلك لأنه سرق فى صغره (ونقل) ذلك (عن ابن عباس أيضا) أخرجه ابن جرير عن مجاهد عنه قال : العمر الذى أعذر الله إلى ابن آدم أربعون سنة واختاره ابن جرير ونقله غيره وكأنه أخذه من قوله تعالى « حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة » (ونقلوا أن أهل المدينة كانوا إذا بلغ أحدهم أربعين سنة) تخلى عن العلائق والعوائق و (تفرغ للعبادة) وإلى هذا المعنى رمز بعضهم بقوله :

إذا العشرون(١) من شعبان ولت   فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار   فقد ضاق الزمان عن الصغار

قال القرطبي فى التفسير : قال ابن مالك : أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا والعلم ويخالطون الناس حتى إذا بلغوا أربعين سنه تركوا المخالطة واشتغلوا بالعبادة حتى يأتيهم الموت (وقيل هو البلوغ) أى سنه وهذا القول نقله البغوى والخازن فى التفسير ولم يعينا قائله ومنه عند إمامنا الشافعى خمس عشرة سنة وعند الامام أبى حنيفة ثمانى عشرة سنة ، أما الاحتلام وإمكانه فهو بعد استكمال التسع . ويمكن حمل كلام المصنف عليه لو قيل به (وقوله تعالى: وجاءكم النذير . قال ابن عباس والجمهور) أى جمهور العلماء ومنهم زيد بن على وابن زيد حكاه عنهما القرطبي ومنهم السرى وهو الصحيح عن قتادة فيما رواه شيبان عنه أنه قال : احتج عليهم بالعمر والرسل وهو اختيار ابن جرير وهو الأظهر فقال هؤلاء : النذير (هو النبي ﷺ) قال القرطبي : لأن الله تعالى بعثه بشيرا ونذيرا إلى عباده قطعا لحجتهم ، قال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (وقيل) هو (الشيب قاله) ابن عباس وعكرمة

---

(١) قوله إذا العشرون الخ الاشارة فيه أن العشرين ثلثا الشهر والاربعين ثلثا العمر . ش

وابن عيينة وغيرهما والله أعلم

وأما الأحاديث (فالأول) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أعذَرَ الله إلى امرىء أخَّر أجله حتى بلغ ستين سنة » رواه البخارى قال العلماء : معناه لم يترك له عذراً إذ أمهله هذه المدة ، يقال أعذر الرجل إذا بلغ الغاية فى العذر

« الثانى » عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان عمر رضى الله عنه يُدْخلنى مع

(و) سفيان (ابن عيينة وغيرهما) كوكيع والحسين بن الفضل والفراء والطبرى ذكره القرطبي «قلت» واقتصر عليه البخارى فى كتاب الرقاق من صحيحه قال : والشيب نذير لأنه يأتى فى سن الاكتهال وهو علامة لمفارقة سن الصبا الذى هو سن اللهو واللعب قال :

رأيت الشيب من نذر المنايا لصاحبه وحسبك من نذير

(والله أعلم) * (وأما الاحاديث) النبوية (ف) الحديث (الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أعذر الله إلى امرىء) أى شخص (أخر) بتشديد المعجمة (أجله حتى بلغ ستين سنة رواه البخارى قال العلماء : معناه) أزال عذره ف (لم يترك له عذرا) يعتذر به فى ترك صالح الاعمال (إذ أمهله هذه المدة) فالهمزة للسلب (يقال) فى كلام العرب (أعذر الرجل) بالرفع (إذا بلغ الغاية فى العذر) قال الحافظ العسقلانى : الاعذار إزالة العذر والمعنى أنه لم يبق له اعتذارا ، كأن يقول لو مدلى فى الأجل لفعلت ما أمرت به واذا لم يكن له عذر فى ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذى حصل له فلا ينبغى له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والاقبال على الآخرة بالكلية ونسبة الاعذار الى الله تعالى مجازية والمعنى أن الله لم يترك للعبد سببا للاعتذار يتمسك به . والحاصل أنه تعالى لا يعاقب إلا بعد حجة ، وقال التوربشتى : ومنه قولهم أعذر من أنذر أى أتى بالعذر وأظهره، وهذا مجاز من القول فان العذر لا يتوجه على الله وانما يتوجه له على عبيده ، وحقيقة المعنى فيه أن الله تعالى لم يترك للعبد شيئا فى الاعتذار يتمسك به اهـ

(وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان عمر رضى الله عنه يدخلنى مع

أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال لِمَ يَدخُلُ هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر إنه من حيث علمتم . فدعانى ذات يوم فأدخلنى معهم فما رأيت إنه دعانى يومئذ إلا ليريهم ، قال ماتقولون فى قول الله تعالى إذا جاء نصر الله والفتحُ فقال بعضهم أمِرْنا أنْ نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ؛ فقال لى أ كذلك

أشياخ بدر) أحد جموع شيخ وقد ذكرتها فى أول هذا الشرح والمراد منه ذوو الاسنان من الصحابة البدريين وهم من أفاضل الصحابة وأكارمهم أى يدخله معهم فى المشورة والمهمات وادخاله معهم مع كبر سنهم لكبر قدره بما عنده من العلوم والمعارف وقد كان يسمى البحر لسعة علمه (فكأن) بتشديد النون (بعضهم) قال ابن النحوى هو عبد الرحمن بن عوف كما صرح به فى البخارى فى موضع آخر (١) (وجد) غضب (فى نفسه) من ذلك (فقال) له (لم) بتحريك الميم وهى ما الاستفهامية حذفت ألفها لأنها جرت وحقها أن ترسم بهاء السكت بعد الميم لأنها يوقف عليها كذلك (تدخل) بضم الفوقية وكسر الخاء المعجمة وفى نسخة يدخل بفتح التحتية وضم المعجمة (هذا معنا ولنا أبناء مثله) فى السن ويحتمل أن يكون فى لقى النبى ﷺ أيضا بالنسبة لبعضهم (فقال عمر إنه من حيث علمتم) أى من بيت النبوة ومنبع العلوم ومصدر الآراء السديدة ثم أراد زيادة بيان لشرفه بكثرة علمه المقتضى لتقدمه (فدعانى ذات يوم فأدخلنى معهم فما رأيت) علمت بقرائن الأحوال وفى أصل معتمد من صحيح البخارى فما أريته بصيغة المجهول واتصل الضمير به أى ظننته (أنه دعانى يومئذ الا ليريهم) بضم التحتية الأولى أى يعلمهم (منى) ما أستحق به الادخال مع الشيوخ البدريين زاد فى رواية ابن سعد فقال أما إنى سأريكم اليوم منه ما تعرفون به فضله (فقال ما تقولون فى قوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله) بفتح النون والميم (ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا) جعل هذا القائل الخطاب بالصورة شاملا لجميع الأمة (٢) (وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى) عمر (أكذلك)

---

(١) فى باب علامات النبوة . ش

(٢) أى إن كلا منهم مخاطب بقوله (فسبح الخ) على طريق البدل . ش

تقول يابن عباس؟ فقلت لا ، قال فما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال إذا جاء نصر الله والفتح ، وذلك علامة أجلك

أى كما يقول هؤلاء مما ذكر (تقول يابن عباس فقلت لا) أى لا أقول ذلك (قال فما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه) الله (له) أى للنبي ﷺ أى إن المراد من السورة تنبيهه على مايعرف به قرب أجله وعلى ما يأتى به حينئذ (قال تعالى اذا جاء نصر الله) نبيه ﷺ على أعدائه (والفتح) فتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله المؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم (ورأيت) أى أبصرت (الناس يدخلون فى دين الله) أى الاسلام (أفواجا) جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحد بعد واحد وذلك بعد فتح مكة (وذلك) أى النصر وما بعده (علامة) قرب انتهاء (أجلك) قال البيضاوى فى التفسير لعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال أمر الدين فهى كقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) أولأن الأمر بالاستغفار ينبه على دنو الاجل أى (١) لأنه يكون فى خواتم الأمور ولذا كان ﷺ يستغفر بعد صلاته وإذا خرج من الخلاء وإذا أفاض ولذا سميت سورة التوديع . والاكثر على أن هذه السورة نزلت قبل فتح مكة وأنه نعى لرسول الله ﷺ اه قال أبو حيان فى النهر : قيل نزلت فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع فعاش بعدها ثمانين يوما وفى شرح البخارى لابن النحوى بعد نقله عن ابن التين أنها لعلها نزلت جميعاً أى كاملة منصرفة من حنين قاله الواحدى قال وعاش بعد نزولها سنتين قال وهو غريب كأنه تصحيف والذى رواه غيره ستين يوما قال فى فتح البارى وسئلت عن قول الكشاف إن سورة النصر نزلت فى حجة الوداع أيام التشريق فكيف صدرت باذا الدالة على الاستقبال ، فاجبت بتضعيف مانقله وعلى تقدير صحته فالشرط لم يكمل بالفتح لأن مجىء الناس أفواجا لم يكن كمل ، فبقية الشرط مستقبل قال وقد أجاب الطيبى عن هذا السؤال بجوابين : أن إذا بمعنى إذ ، وبأن كلام الله تعالى قديم . قال الحافظ وفى كل من الجوابين نظر اه قال الاتجى (٢) وقيل إن

---

(١) قوله اى لأنه — إلى قوله أفاض . من زيادة الشارح على كلام البيضاى للايضاح . ش

(٢) هو من أئمة الحنفية

فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ، فقال عمر رضى الله عنه ماأعلم منها إلا ماتقول » رواه البخارى

« الثالث » عن عائشة رضى الله عنها قالت « ما صلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صلاةً بعد أن نزلت عليه إذا جاء نصر الله والفتح إلا يقول فيها سبحانك ربَّنا وبحمدك اللهم اغفرْ لى »

فتح مكة أم الفتوح والدستور لما يكون بعده من الفتوحات فهو وإن كان متحققا فى نفسه لكنه مترقب باعتبار مايدل عليه (فسبح بحمد ربك) أى متلبسا بحمده (واستغفره انه كان توابا) على العباد وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قوله سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى ، وفى رواية أستغفرك وأتوب اليك . كما يأتى فى الحديث عقبه (فقال عمر ماأعلم منها الا ماتقول رواه البخارى) (١) والترمذى أى فأشار إلى أن سبب تقديمه له على اخوانه وأقرانه هو سعة علمه وكمال فهمه وأن التقدم بالمعنى المقتضى له وإن صغر السن ، وما أحسن ما قيل

فكم من صغير لاحظته عناية من الله فاحتاجت اليه الأكابر

(وعن عائشة رضى الله عنها قالت ماصلى رسول الله ﷺ صلاة بعد أن نزلت) بالبناء للفاعل وفى نسخة أنزلت بزيادة الهمزة أوله مبنيا للمفعول (عليه سورة إذا جاء نصر الله والفتح) وتسمى سورة النصر (إلا يقول فيها) أى فى ركوعها وسجودها كما يأتى فى الحديث بعده (سبحانك) أى تنزيها لك عما لا يليق بك من كل نقص ، وسبحان منصوب على أنه واقع موقع المصدر بفعل محذوف تقديره سبحت سبحانك ولا يستعمل إلا مضافا وهو مضاف إلى المفعول أى سبحتك ، ويجوز أن يكون مضافا للفاعل أى نزهت نفسك كما تقدم (اللهم) ياالله (وبحمدك) الواو للحال ومتعلق الظرف محذوف أى متلبسا بحمدك من أجل توفيقك لى ، وقيل عاطفة لجملة على جملة أى أنزهك وأتلبس بحمدك وقيل زائدة أى أسبحك مع ملابسة حمدك وقدم التسبيح على التحميد لأنه تنزيه عن النقائص والحمد ثناء بصفات الكمال والتخلية مقدمة على التحلية (اللهم اغفرلى) أى ماهو نقص

---

(١) أى فى علامات النبوة وفى غزوة الفتح وفى تفسير السورة

متفق عليه * وفى رواية فى الصحيحين عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى يتأول القرآن » معنى يتأول القرآن أى يعمل ما أمر به فى القرآن فى قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره . وفى رواية لمسلم « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل أن يموت سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك »

بالنظر إلى على مقامى وان لم يكن ذنبا فى نفس الامر إذ الأنبياء معصومون من الذنب مطلقا كما تقدم وتقدم وجه آخر فى بيان المطلوب غفرانه (متفق عليه * وفى رواية فى الصحيحين عنها) أيضا (كان رسول الله ﷺ) الأصح كما نقله المصنف فى شرح مسلم عن المحققين والأكثرين من الاصوليين أن « كان » فى مثل هذا المقام لا تفيد التكرار وقال ابن الحاجب تفيده وكذا ابن دقيق العيد لكن قال عرفا وهو واضح (يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا) أى يا ربنا أو بدل من قوله اللهم لا وصف له لأن الميم تمنع منه عند سيبويه (وبحمدك الله اغفر لى) وتقدم وجه عدم أخذ الفقهاء بقضية هذا الحديث حيث قالوا إنه يقول فى الركوع سبحان ربى العظيم وفى السجود سبحان ربى الاعلى دون ما ذكر فى هذا الحديث من أن ما ذكروه هو ما واظب عليه ﷺ طول عمره . وغيره مما ضمه اليه تارة واقتصر عليه أخرى كان فى بعض الاوقات (يتأول) بفتح التحتية والفوقية والهمزة وتشديد الواو (القرآن معنى قولها يتأول القرآن أى) أى هذه تفسيرية وما بعدها عطف بيان لما قبلها أو بدل منه فلا يظهر موقعها فان قوله (يعمل ما أمر به فى القرآن فى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره) خبر عن معنى لا بدل من قولها يتأول القرآن الا أن يخص كون ما بعدها عطف بيان أو بدلا بما إذا كان مفرداً كما أشرت اليه فى شرح نظمى « قواعد الاعراب » وقوله « فى قوله الخ » بدل بعض من كل وقال الحافظ العسقلانى معنى يتأول القرآن يخص عمومه ببعض الاحوال * (وفى رواية لمسلم عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل أن يموت) أى بعد نزول هذه السورة (سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك) هذا من مزيد خضوعه صلى الله عليه وسلم لربه

قالت عائشة « قلت يارسول الله : ماهذه الكلمات التى أراك أحدثتها تقولها قال جعلت لى علامة فى أمتى إذا رأيتها قلتها إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخر السورة » وفى رواية له « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه » قالت « قلت يارسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقال أخبرنى ربى أنى سأرى علامة فى أمتى فاذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه

وانطراحه بين يديه ورؤية التقصير فى أداء مقام العبودية وحق الربوبية مما هو ذنب بالنظر الى على مقامه ورفعة مرتبته وهذا الحديث والذى بعده فيه ابقاء الأمر فى الآية على التعميم وعدم التأول بالتخصيص السابق وهو لايخالفه للاكثار منه فى الصلاة وخارجها . وفى جمعه بين الاستغفار والتوبة احتياط لأن الاستغفار محتمل لكل من المعنيين ويقرب حمله على التوبة قوله « إنه كان توابا » وفيه دليل لمن قال بجواز حمل اللفظ على معنييه دفعة واحدة (قالت قلت يارسول الله ماهذه الكلمات التى أراك أحدثتها تقولها) فى محل الحال من مفعول أحدثتها . (قال جعلت) بالبناء للمفعول (لى علامة فى أمتى إذا رأيتها) أبصرتها أو عرفتها (قلتها) والعلامة المذكورة هى (إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخر السورة) ويحتمل أن قوله « إذا جاء نصر الله » الخ فى محل رفع تابع العلامة على أنه عطف بيان أو بدل ويجرى هذان الوجهان فى نظيره الآتى وفى رواية له أى لمسلم (عنها) ورواه أبو نعيم فى مستخرجه إلا أنه قال سبحان ربى وليس فيه وأتوب اليه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قوله سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب اليه قالت قلت يارسول الله أراك) أى أبصرك حال كونك (تكثر من قولك سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه فقال أخبرنى ربى أنى سأرى علامة فى أمتى فاذا رأيتها أكثرت) بضم التاء فيهما (من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه) أى واكثار ذلك عند رؤيا العلامة إما باعتبار عظم النعمة المرتب عليها ذلك المقتضى للتكثير زيادة فى العظم أو باعتبار صيغة التفعيل فى سبح وهى للكثرة واستحب ذلك فيما عطف

فقد رأيتها إذا جاء نصر الله والفتح (فتح مكة) ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا »

« الرابع » عن أنس رضى الله عنه قال : « إن الله عزوجل تابع الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبَيل وفاته حتى تُوفِّى أكثرَ ما كان الوحىُ عليه » متفق عليه

« الخامس » عن جابر رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم « يُبْعَثُ كلُّ عبد على مامات عليه »

عليه لاقترانه به ولقوله إنه كان توابا المعلل به طلب الاستغفار (فقد رأيتها) ثم بين العلامة بقوله (اذا جاء نصر الله والفتح ـ فتح مكة ـ ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)

(وعن أنس رضى الله عنه قال إن الله عز) غلب فلا يغالب على مراده (وجل) عما لا يليق بشأنه (تابع الوحى على رسول الله ﷺ) فيه الاظهار فى مقام الاضمار اشارة إلى كمال التشريف له ﷺ وتبركا بذكر اسمه تعالى وتلذذا به (قبيل) بالتصغير (وفاته) وذلك لتكمل الشريعة ولا يبقى مما يوحى اليه به شىء (حتى) غاية للمبالغة (توفى) بالبناء للمجهول (أكثر ما كان الوحى) أى وقت أكثريته ولما تكامل ما أريد انزاله للعالم مما به انتظام معاشهم ومعادهم قال تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم» فتوفى بعده ﷺ بأشهر (متفق عليه)

(وعن جابر) ابن عبد الله(رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث) بالبناء للمفعول (كل عبد) والمراد منه المكلف ولو حرا أو امرأة كما تقدم (على مامات عليه) حتى يبعث صاحب المزمار ومزماره فى يده ففيه تحريض للانسان على حسن العمل وملازمة السنن المحمدى فى سائر الأحوال والاخلاص لله تعالى فى الأقوال والأعمال ليموت على تلك الحالة الحميدة فيبعث كذلك. وفى ختم المصنف هذا الباب بهذا الحديث كمال الحسن فانه محرض على تحسين العمل والازدياد من الطاعات فى سائر الاوقات لاحتمالها للموت . وفى أواخر العمر وسن الكبر وحال

رواه مسلم

﴿ باب في بيان كثرة طرق الخير ﴾

قال الله تعالى « وما تفعلوا من خير فإنّ الله به عليم » وقال تعالى « وما تفعلوا من خير يعلمهُ الله » وقال تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يَره » وقال تعالى « من عمل صالحا فلنفسه » والآيات في الباب كثيرةٌ

(وأما الأحاديث) فكثيرة جداً وهي غير منحصرة فنذكر طرفا منها

«الأول» عن أبي جُنْدَب بن جُنادة رضي الله تعالى عنه قال « قلت يارسول الله أيّ الأعمال أفضلُ ؟ قال : الايمان بالله والجهادُ في سبيله

المرض أولى فالحديث المذكور واسطة العقد وختامه مسك (رواه مسلم) ورواه ابن ماجه

﴿ باب بيان كثرة طرق الخير ﴾

وتنويعها ليدوم نشاط السالك وجده في المعاملات فاذا مل من عمل اشتغل بغيره فأنفق أوقاته في مرضاة مولاه * (قال الله تعالى «وما تفعلوا من خير فان الله به عليم » وقال تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره») تقدم الكلام فيهما في باب المجاهدة (وقال تعالى من عمل صالحا) وجه دلالة الآيات على كثرة أعمال البر أن في كل منها نكرة في سياق الشرط وهي كذلك للعموم والاصح أن العموم في قوة قضايا كلية تعددت بتعدد أفرادها (فلنفسه) أي فنفع عمله لها (والآيات) القرآنية(في الباب) أي باب تعدد طرق الخير (كثيرة)

(وأما الاحاديث) النبوية في هذا المعنى (فكثيرة جدا) بالكسر أي بلغت النهاية في الكثرة وأكد ذلك بقوله (وهي غير منحصرة) مبالغة في الكثرة وهذا فيه تجوز كما لا يخفى (فنذكر منها طرفا) أي جانبا

الحديث (الأول عن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال قلت يارسول الله أي الأعمال أفضل) أي أكثر ثوابا عند الله تعالى (قال الايمان بالله) إذ جزاؤه الخلود في الجنان ورضا الرحمن ولا شيء فوق ذلك (والجهاد في سبيله) لاعلاء كلمته قال تعالى :

قلت أيّ الرقاب أفضل ؟ قال : أنفَسُهَا عند أهلها وأ كثرها ثمنا قلت فان لم أفعـل ؟ قال تُعين صانعاً أو تصنع لأخرق ، قلت يارسول الله أرأيتَ أن ضُعفت عن بعض العمل ؟

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » (فقلت أى الرقاب أفضل) أى أكثر ثوابا لمن أعتقها (قال أنفسها) بفتح الفاء من النفاسة (عند أهلها) أى أرفعها وأجودها يقال مال نفيس أى مرغوب فيه (وأكثرها ثمنا) عندهم لأن ذلك أحب اليهم وقد قال تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » قال المصنف وهذا إذا أراد أن يعتق رقبة أما لو كان معه ألف درهم وأمكنه أن يشترى بها رقبتين مفضولتين ورقبة نفيسة مثمنة قال فثنتان أفضل ، وهذا بخلاف الاضحية فان التضحية بسمينة أفضل منها بشاتين دونها فى السمن لأن القصد من الاضحية اللحم ولحم السمين أوفر ومن العتق تكميل حال الشخص وتخليصه من الرق فتخليص جماعة أفضل من تخليص واحد اه ملخصا . وقال الحافظ فى الفتح : الذى يظهر أن ذلك يختلف باختلاف الاشخاص فرب شخص واحد اذا عتق انتفع بالعتق وانتفع به أضعاف ما يحصل من النفع بعتق أكثر عدداً منه ، ورب محتاج إلى كثرة اللحم لتفرقته على المحاويج الذين ينتفعون به أكثر مما ينتفع هو بطيب اللحم ، والضابط أنه مهما كان أكثر نفعا كان أفضل ، سواء قل أو كثر اه (قلت فان لم أفعل) أى ما ذكر من الجهاد والعتق لا الايمان لأنه شرط لنيل الثواب فى الآخرة على صالح الأعمال أى فان لم أقدر على ذلك فأطلق الفعل وأراد القدرة ، وللدار قطنى فى الغرائب بلفظ « فان لم أستطع » (قال تعين صانعا) بتنزيل المضارع منزلة المصدر أو بتقدير أن قبل الفعل أى فالافضل إعانة صانع فهو كقوله تسمع بالمعيدى خير من أن تراه (أو تصنع) أى صنعك (لاخرق) (١) بالمعجمة فالراء فالقاف قال المصنف فى شرح مسلم : هو الذى ليس بصانع يقال رجل أخرق وامرأة خرقاء . فان كان صانعا حاذقا قيل رجل صنع بفتح الصاد والنون وامرأة صناع بفتح الصاد (قلت يارسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل المذكور) من الاعانة والصنع أو مطلق العمل المأمور بالتعبد به أى

---

(١) قوله لأخرق قال فى النهاية أى جاهل بما يجب أن عمله ولم يكن فى يديه صنعة يكتسب بها . ع

قال تكف شرك عن الناس فانها صدقة منك على نفسك » متفق عليه
(الصانع) بالصاد المهملة هذا هو المشهور وروى (ضائعا) بالمعجمة أى ذا ضياع
من فقر أو عيال أو نحو ذلك

أخبرنى إن عجزت عن فعل ذلك فما الطريق الموصل إلى تزايد الثواب على شىء مما أقدر عليه ؟ (قال تكف شرك عن الناس) قاصدا سلامة الناس من ذلك لامتثال أمر الله تعالى بذلك ، وهذا شرط فى حصول الاجر هنا (فانها) أى الخصلة أو الكف وأنث الضمير نظراً لتأنيث الخبر (صدقة منك على نفسك متفق عليه) وهذا لفظ مسلم ولفظ البخارى « قال فقلت أى الرقاب أفضل ، قال أغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها » الحديث وأعلاها بالمهملة عند الأكثر وبالمعجمة عند آخرين ولفظ البخارى بدل قوله أرأيت « إن ضعفت عن العمل الخ » فان لم أفعل ، قال تدع الناس من الشر فانها صدقة تتصدق بها على نفسك (الصانع) فى قوله تعين صانعا (بالصاد المهملة) وبالنون بعد الالف (هذا) الضبط (هو) الصحيح عند العلماء كما فى شرح مسلم (المشهور) أى بينهم فى الضبط لصحته وإلا فالا كثر على أنه بالمعجمة كما ذكره فى شرح مسلم أيضا وأشار اليه هنا بقوله (وروى ضائعا بالمعجمة) والهمزة بعد الالف (أى ذا) أى صاحب (ضياع) بكسر الضاد من الضيعة الفقر والحاجة (من) تعليلية (فقر أو عيال أو نحو ذلك) وهذا تفسير له على الرواية الثانية قال القاضى عياض روايتنا فى هذا من طريق هشام أولا بالمعجمة تعين ضائعا من جميع طرقنا عن مسلم فى حديث هشام والزهرى إلا من رواية أبى الفتح السمرقندى عن عبد الغافر الفارسى فأن شيخنا أبا بحر حدثنا عنه بالمهملة وهو صواب الكلام لمقابلته بالاخرق ، وان كان المعنى من جهة معونة الضائع أيضا صحيحا لكن صحت الرواية هنا عن هشام بالصاد المهملة وكذا رويناه فى صحيح البخارى قال ابن المدينى : الزهرى يقول الصانع بالمهملة ويرى أن هشاماً صحف فى قوله ضائعا بالمعجمة وقال الدارقطنى عن معمر : كان الزهرى يقول صحف هشام قال الدارقطنى وكذلك رواه أصحاب هشام عنه بالمعجمة وهو تصحيف والصواب ما قاله الزهرى هذا كلام القاضى عياض وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح قوله فى رواية هشام تعين صانعا هو بالمهملة والنون فى أصل الحافظين أبى عامر العبدرى وأبى القاسم

(والأخرق) الذى لا يتقن مايحاول فعله

« الثانى » عن أبى ذر أيضا رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يُصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقةٌ فـكلُّ تسبيحةٍ صدقة

ابن عساكر قال وهذا هو الصحيح فى نفس الأمر ولكنه ليس رواية هشام بن عروة وانما روايته بالمعجمة ، وكذا جاء مقيدا عن غير هذا الوجه فى كتاب مسلم ونسب الزهرى هشاما إلى التصحيف كما تقدم اه ماذكره المصنف فى شرح مسلم ملخصا وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح هو عند جميع رواة البخارى بالضاد المعجمة وبعد الالف تحتية كما جزم به عياض وغيره وكذا هو فى رواية مسلم إلا فى رواية السمرقندى كما قاله عياض أيضا وجزم الدارقطنى وغيره بأن هشاما رواه هكذا دون من رواه عن أبيه فاذا تقرر هذا فقد خبط من قال من شراح البخارى إنه بالصاد المهملة والنون فان هذه الرواية لم تقع فى شىء من طرقه . وروى الدارقطنى من طريق معمر عن هشام هذا الحديث بالضاد المعجمة قال معمر كان الزهرى يقول صحف هشام وإنما هو بالصاد المهملة والنون قال الدارقطنى وهو الصواب لمقابلته بالاخرق وهو الذى ليس بعامل ولا يحسن العمل ، وقال على بن المدينى : يقولون إن هشاما صحف فيه اه ورواية معمر عن الزهرى عند مسلم كما تقدم وهى بالمهملة والنون وعكس السمرقندى فيها أيضا كما نقله عياض ، وقد وجهت رواية هشام بأن المراد بالضائع ذو الضياع من فقر أو عيال فترجع إلى معنى الاول اه (والأخرق الذى لا يتقن مايحاول فعله) هو بمعنى ما تقدم عن شرح مسلم لأن من لا يتقن الصنعة ليس بصانع * (وعن أبى ذر أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يصبح على كل سلامى) أى كل عظم ومفصل (من أحدكم) إذا أصبح سليما من الا فات باقيا على الهيئة التى تتم بها منافعه وأفعاله (صدقة) عظيمة شكرا لله تعالى على عظيم منته على أن الصدقة تدفع البلاء فبوجودها عن أعضائه يرجى دوام اندفاع البلاء عنها وعلى فى الخبر لتأكيد الندب وهو مراد من عبر بالوجوب فى قوله التقدير تصبح الصدقة واجبة على كل سلامى إذ كل من الصدقات وما ناب عنها من صلاة الضحى ليس واجبا حقيقة ، أى يأثم بتركه (فكل تسبيحة صدقة) الفاء فيه تفصيلية لاجمال الصدقة قبله وبه استغنى عن تعداد المفاصل بناء على أنها المراد

قال تكف شرك عن الناس فانها صدقة منك على نفسك » متفق عليه
(الصانع) بالصاد المهملة هذا هو المشهور وروى (ضائعا) بالمعجمة أى ذا ضياع
من فقر أو عيال أو نحو ذلك

أخبرنى إن عجزت عن فعل ذلك فما الطريق الموصل إلى تزايد الثواب على شىء مما أقدر عليه ؟ (قال تكف شرك عن الناس) قاصدا سلامة الناس من ذلك لامتثال أمر الله تعالى بذلك ، وهذا شرط فى حصول الاجر هنا (فانها) أى الخصلة أو الكف وأنث الضمير نظراً لتأنيث الخبر (صدقة منك على نفسك متفق عليه) وهذا لفظ مسلم ولفظ البخارى « قال فقلت أى الرقاب أفضل ، قال أغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها » الحديث وأعلاها بالمهملة عند الأكثر وبالمعجمة عند آخرين ولفظ البخارى بدل قوله أرأيت « إن ضعفت عن العمل الخ » فان لم أفعل ، قال تدع الناس من الشر فانها صدقة تتصدق بها على نفسك (الصانع) فى قوله تعين صانعا (بالصاد المهملة) وبالنون بعد الالف (هذا) الضبط (هو) الصحيح عند العلماء كما فى شرح مسلم (المشهور) أى بينهم فى الضبط لصحته وإلا فالاكثر على أنه بالمعجمة كما ذكره فى شرح مسلم أيضا وأشار اليه هنا بقوله (وروى ضائعا بالمعجمة) والهمزة بعد الالف (أى ذا) أى صاحب (ضياع) بكسر الضاد من الضيعة الفقر والحاجة (من) تعليلية (فقر أو عيال أو نحو ذلك) وهذا تفسير له على الرواية الثانية قال القاضى عياض روايتنا فى هذا من طريق هشام أولا بالمعجمة تعين ضائعا من جميع طرقنا عن مسلم فى حديث هشام والزهرى إلا من رواية أبى الفتح السمرقندى عن عبد الغافر الفارسى فأن شيخنا أبا بحر حدثنا عنه بالمهملة وهو صواب الكلام لمقابلته بالاخرق ، وان كان المعنى من جهة معونة الضائع أيضا صحيحا لكن صحت الرواية هنا عن هشام بالصاد المهملة وكذا رويناه فى صحيح البخارى قال ابن المدينى : الزهرى يقول الصانع بالمهملة ويرى أن هشاماً صحف فى قوله ضائعا بالمعجمة وقال الدارقطنى عن معمر : كان الزهرى يقول صحف هشام قال الدارقطنى وكذلك رواه أصحاب هشام عنه بالمعجمة وهو تصحيف والصواب ماقاله الزهرى هذا كلام القاضى عياض وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح قوله فى رواية هشام تعين صانعا هو بالمهملة والنون فى أصل الحافظين أبى عامر العبدرى وأبى القاسم

(والأخرق) الذى لا يتقن مايحاول فعله

« الثانى » عن أبى ذر أيضا رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يُصبح على كل سُلامى من أحدكم صدَقةٌ فكلُّ تسبيحةٍ صدقة

ابن عساكر قال وهذا هو الصحيح فى نفس الأمر ولكنه ليس رواية هشام بن عروة وإنما روايته بالمعجمة ، وكذا جاء مقيدا عن غير هذا الوجه فى كتاب مسلم ونسب الزهرى هشاما إلى التصحيف كما تقدم اه ماذكره المصنف فى شرح مسلم ملخصا وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح هو عند جميع رواة البخارى بالضاد المعجمة وبعد الالف تحتية كما جزم به عياض وغيره وكذا هو فى رواية مسلم إلا فى رواية السمرقندى كما قاله عياض أيضا وجزم الدارقطنى وغيره بأن هشاما رواه هكذا دون من رواه عن أبيه فاذا تقرر هذا فقد خبط من قال من شراح البخارى إنه بالصاد المهملة والنون فان هذه الرواية لم تقع فى شىء من طرقه . وروى الدارقطنى من طريق معمر عن هشام هذا الحديث بالضاد المعجمة قال معمر كان الزهرى يقول صحف هشام وإنما هو بالصاد المهملة والنون قال الدارقطنى وهو الصواب لمقابلته بالاخرق وهو الذى ليس بعامل ولا يحسن العمل ، وقال على بن المدينى : يقولون إن هشاما صحف فيه اه ورواية معمر عن الزهرى عند مسلم كما تقدم وهى بالمهملة والنون وعكس السمرقندى فيها أيضا كما نقله عياض ، وقد وجهت رواية هشام بأن المراد بالضائع ذو الضياع من فقر أو عيال فترجع إلى معنى الاول اه (والأخرق الذى لا يتقن مايحاول فعله) هو بمعنى ماتقدم عن شرح مسلم لأن من لا يتقن الصنعة ليس بصانع * (وعن أبى ذر أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يصبح على كل سلامى) أى كل عظم ومفصل (من أحدكم) إذا أصبح سليما من الآفات باقيا على الهيئة التى تتم بها منافعه وأفعاله (صدقة) عظيمة شكرا لله تعالى على عظيم منته على أن الصدقة تدفع البلاء فبوجودها عن أعضائه يرجى دوام اندفاع البلاء عنها وعلى فى الخبر لتأكيد الندب وهو مراد من عبر بالوجوب فى قوله التقدير تصبح الصدقة واجبة على كل سلامى إذ كل من الصدقات وما ناب عنها من صلاة الضحى ليس واجبا حقيقة ، أى يأثم بتركه (فكل تسبيحة صدقة) الفاء فيه تفصيلية لاجمال الصدقة قبله وبه استغنى عن تعداد المفاصل بناء على أنها المراد

« الثالث » عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم (عُرِضتْ علىَّ أعمالُ أمَّتى حسنها وسيئها فوجدتُ فى محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ووجدت فى مساوىء أعمالها النُّخَاعةَ تكونُ فى المسجد لاتدفن) رواه مسلم

« الرابع » عنه « أن ناساً

من أصابع الانسان ؛ وقيل كل عضو مجوف من عظام الانسان ، وقيل إن آخر ما يبقى فيه المخ من البعير إذا عجف، السلامى والعين، وقيل غير ذلك، وظاهر أن ماذكر فى بيان معناه لغة وإلا فالمراد منه هنا كما قال المصنف فى شرح مسلم سائر عظام البدن ومفاصله وكذا قال العراقى وأيده بخبر مسلم « خلق الانسان على ستين وثلثمائة مفصل ففى كل مفصل صدقة » وسيأتى فيه زيادة فى باب الاصلاح بين الناس (وعنه رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم عرضت) بالبناء للمفعول (على) بتشديد الياء (أعمال أمتى حسنها وسيئها) بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل (فوجدت) أى رأيت (فى محاسن أعمالها الأذى) كالحجر والشوك (يماط) بالبناء للمفعول أى ينحى (عن الطريق) لئلا يؤذى المارة ففيه التنبيه على فضل كل ما نفع الناس أو أزال عنهم ضرراً (ووجدت فى مساوىء) بفتح الميم أى سيئات (أعمالها) السيئة فهو من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف (النخاعة) قال فى مختصر النهاية وهى البزقة التى تخرج من أصل الفم مما يلى النخاع والنخامة البزقة التى تخرج من أقصى الحلق من مخرج الخاء المعجمة اهـ (تكون فى المسجد) فى محل الصفة أو الحال لأن أل فى النخاعة للماهية (فلا تزال) بدفن أو كشط، قال المصنف : ظاهره أن الذم لايختص بصاحب النخاعة وإن كان إثمه أكثر بل يدخل فيه هو وكل من رآها ولا يزيلها ﴿ فائدة ﴾ قال ابن رسلان : سمعت من بعض المشايخ أنه ينبغى لمن أزال قذاة أو أذى عن طريق المسلمين أن يقول عند أخذه لأزالتها : لا إله إلا الله ، ليجمع بين أدنى شعب الايمان وأعلاها وهى كلمة التوحيد وبين الأفعال والأقوال ، وإذا اجتمع القلب مع اللسان كان ذلك أكمل (رواه مسلم) فى الجامع الصغير بعد إيراده كذلك إلا أنه قال : ورأيت فى سيء أعمالها النخاعة فى المسجد فلم تدفن . رواه أحمد ومسلم وابن ماجه * (وعنه أن أناساً) هذا

قالوا يارسول الله ذهب أهل الدُّثور بالأجور يُصلون كما نُصلى و يصومون كما نصوم ويتصدقون بفُضول أموالهم ، قال أوليس قد جعل الله لكم ماتصدَّقون به إنَّ بكل تسبيحة صدقةً ، وكلِّ تكبيرة صدقةً .

أصل ناس وتحذف همزته ويعوض عنها أل ، ولذا لايجمع بينهما وهو اسم جمع كرجال إذ لم يثبت فعال فى أبنية الجمع مأخوذ من أنس كعلم لأنهم يأنسون بأمثالهم او أنس كضرب لأنهم ظاهرون مبصرون ، واختار صاحب القاموس أن لفظ الناس قد يقع على الجن ايضاً ونوزع فيه ، وذكر المصنف فى الأربعين وصف الناس بأنهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وسكت عن ذلك هنا لعلمه من السياق فان سؤالهم له المتفرع على اجتماعهم مسلمين به وهو المراد من الصحابى يدل عليه (قالوا يارسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور) لكثرة أعمالهم (فانهم يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم) أى بأموالهم الفاضلة عن كفايتهم وقيدوا بذلك بيانا لفضل الصدقة فانها بغير الفاضل عن الكفاية لمن لاقدرة له على الصبر إما مكروهة أو محرمة على التفصيل المقرر فى محله ، وقولهم المذكور غبطة ومنافسة فيما يتنافس فيه المتنافسون من طلب مزيد الخير ومنتهاه لشدة حرصهم على العمل الصالح ورغبتهم فيه ؛ ولما فهم منه ﷺ ذلك (قال) جوابا وجبراً لخاطرهم وتقريراً لأنهم ربما ساووا الأغنياء (أو ليس) أى أتقولون ذلك ، فالهمزة للانكار وليس بمعنى لا ؛ أى لا تقولوه فانه (قد جعل الله لكم ما تصدقون) بتشديد الصاد والدال كما هو الرواية أى تتصدقون فأدغمت إحدى التاءين فى الصاد وقد تحذف إحداهما فتخفف الصاد (به إن) لكم (بكل تسبيحة) أى قول سبحان الله أى بسببها كقوله تعالى « وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون » (صدقة) ولاتنافى الحديث السابق فى باب الاستقامة « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله » الحديث لما تقدم فيه أو لأن الآية فى نيل الدرجات فهى بسبب الأعمال وتفاوتها وذلك الحديث فى أصل دخول الجنة فهو لمحض الفضل إذ لا يكافئه عمل أو أن الاسلام هو المتكفل بدخول الجنة وهو محمل الآية وبقية الأعمال سبب فى نيل درجاتها . لافى دخولها وهو محمل الحديث (وكل) بجره وكذا ما بعده عطفا على ما قبله أو رفعه استئنافا (تكبيرة) أى قول الله اكبر (صدقة) بنصبه كالذى بعده عطفاً

وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة وفى بضع أحدكم صدقة »

على ماقبله ورفعه استئنافا (وكل تحميدة) أى قول الحمد لله (صدقة وكل تهليلة) أى قول لا إله إلا الله (صدقة وأمر) بالرفع مبتدأ وتقدم فى حديث قريبا مسوغ الابتداء مع نكارته وإيثارها على تعريفه (بالمعروف)عرفه إشارة إلى تقرره وثبوته وأنه مألوف (صدقة ونهى عن منكر) نكرة إشارة إلى أنه فى حيز العدل والمجهول الذى لا إلف للنفس به أى عن المنهى عنه شرعا بشرطه ككونه مجمعا على تحريمه أو يعتقده الفاعل (صدقة) وتسمية ماذكر وما يأتى صدقة مجاز لمشابهتها لها، أى أن لهذه الأشياء أجراً كأجر الصدقة فى الجنس لأن الجميع صادر عن رضا الله تعالى مكافأة على طاعته ، أما فى القدر أوالصفة فيتفاوت بتفاوت مقادير الأعمال وصفاتها وغاياتها وثمراتها وقيل معناه أنها صدقة على نفسه وتأخير الأمر والنهى عما قبلهما من باب الترقى لوجوبهما عيناً أو كفاية بخلافه، ولا شك أن الواجب بقسميه أفضل من النفل لحديث البخارى السابق « وما تقرب إلى عبدى بأفضل من أداء ما افترضته عليه » قيل فى الحديث ايماء إلى أن الصدقة للقادر عليها لتعدى نفعها أفضل من هذه الأذكار ويؤيده أن العمل المتعدى نفعه أفضل من القاصر غالباً وإلى أن تلك الأذكار إذا حسنت النية فيها ربما يساوى أجرها أجر الصدقة بالمال سيما فى حق العاجز عنها (وفى) سببية بمعنى الباء الموحدة كهى فى حديث: « عذبت امرأة بالنار فى هرة» أى بسبب هرة ويحتمل بقاؤها على الظرفية لكن بتجوز كأن البضع لما ترتب عليه الثواب الآتى صار له كالظرف (بضع) بضم الموحدة وسكون الضاد المعجمة آخره عين مهملة أى فرج أوجماع أحدكم) لحليلته (صدقة) إذا قارنته نية صحيحة كاعفاف نفسه أو زوجته عن نحو نظر اوفكر او هم محرم أو قضاء حقها من معاشرتها بالمعروف المأمور به او طلب ولد يوحد الله تعالى او يتكثر به المسلمون أو يكون له فرطا اذامات ، بصبره على مصيبته ، فعلم أن فى النية الصالحة ما يصير المباضعة صدقة على المسلمين باعتبار ما ينشأعنها من وجود ولد صالح يحمى بيضة الاسلام ، أو يقوم ببيان العلوم الشرعية والاحكام ، ويستفاد من الحديث أن جميع أنواع فعل الخير والمعروف والاحسان صدقة ، ويوافقه خبر مسلم « كل

قالوا يارسول الله أيأتى أحدُنا شهوته ويكون له فيها أجرٌ ؟ ! قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر »

رواه مسلم (الدثور) بالثاء المثلثة الأموال واحدها دَثر

« الخامس » عنه قال قال لى النبى صلى الله عليه وسلم « لا تَحقِرَن

معروف صدقة » وخبر ابن ماجه والبزار : « ما من يوم ولاليلة ولا ساعة إلا لله فيهاصدقة يمن بها على من يشاء من عباده ، ومامن الله على عبدمثل أن يلهمه ذكره » (قالوا يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون لهفيها أجر !) استبعدوا نظراً إلى أن الأجر إنما يحصل غالبا فى عبادة شاقة على النفس مخالفة لهواها حصوله بفعل هذا المستلذ (قال أرأيتم) أى أخبرونى (لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر) أى اثم وتقدير الكلام قالوا نعم ، وسكت عنه لظهوره وجاء فى رواية أحمد بن حنبل وأحمد بن منيع وغيرهما لهذا الحديث عن أبى ذر التصريح بذلك قال « قلت نصيب شهوتنا ونؤجر ؟ قال أرأيت إن وضعته فى غير حقه ماكان عليك وزر ؟ قال قلت بلى ، قال فتحتسبون بالشر ولا تحتسبون بالخير » قال ﷺ (فكذلك اذا وضعها فى الحلال كان له أجر) بالرفع وروى بنصبه وهما ظاهران وظاهر الخبر حصول الأجر بوطء حليلته مطلقا لكن فى خبر عند الأمام أحمد تقييد ذلك بما تقدم من النية الصالحة . وفى الحديث دليل لجواز القياس سيما قياس العكس المذكور فيه وهو اثبات ضد الحكم لضد الأصل كاثبات الوزر المضاد للصدقة للزنى المضاد للوطء المباح أى كما يأثم فى ارتكاب الحرام يؤجر فى فعل الحلال ، ومخالفة بعض الأصوليين فى قياس العكس ضعيفة ، واهل الظاهر فى القياس من أصله أو فى غير الجلى منه ؛ مخالف لما اطبق عليه العلماء كافة من جوازه مطلقا بشرطه المقرر فى الاصول . (رواه مسلم) ورواه احمد وأبو داود والنسائى وابو عوانة والطبرانى والبيهقى وطرقهم مختلفة بينها السخاوى فى تخريج الأربعين التى جمعها المؤلف وهو حديث عظيم لاشتماله على قواعد نفيسة من قواعد الدين (الدثور) بضم الدال المهملة (بالثاء المثلثة الأموال) الكثيرة (واحدها دثر) بفتح فسكون يوصف به الواحد وما فوقه ، يقال مال دثر وأموال دثر

(وعنه) رضى الله عنه (قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لاتحتقرن) بكسر

من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » رواه مسلم

« السادس » عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل سُلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تَطْلُعُ فيه الشمس : تعدل بين الاثنين صدقة ،

القاف أى تستقل (من المعروف شيئاً) فتتركه لقلته فقد يكون سبب الوصول الى مرضاة الله تعالى كما فى الحديث « وإن العبد ليتكلم بالكلمة لايلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات » رواه أحمد والبخارى من حديث لأبى هريرة مرفوعا (ولو) كان ذلك المعروف (أن تلقى أخاك بوجه طلق (١)) بفتح المهملة وكسر اللام (رواه مسلم) وفى رواية لمسلم أيضا « طليق » بزيادة ياء وهما بمعنى أى بوجه ضاحك مستبشر وذلك لما فيه من إيناس الأخ المؤمن ودفع الايحاش عنه وجبر خاطره ، وبذلك يحصل التأليف المطلوب بين المؤمنين

(وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى) أى مفصل وجزء (من الناس عليه) أى على صاحبه أى الانسان المكلف حق مؤكد فى أداء شكر سلامة ذلك (صدقة) بعدد المفاصل وذكر الضمير مع أنه عائد على سلامى المؤنثة باعتبار العضو أو المفصل أو على أنه عائد على صاحب مقدر قبل سلامى لا لرجوعه لكل كما قيل به: لأنها بحسب ما تضاف إليه وهى هنا أضيفت لمؤنث فلو رجع إليها لأنث (كل يوم تطلع) بضم اللام (فيه الشمس) أتى بها دفعا لتوهم الاكتفاء فى أداء شكر نعم هذه الاعضاء بالاتيان بما فى الحديث مرة فنبه على أن ذلك مطلوب من الانسان كل يوم شكرا لسلامتها فيه (تعدل) بالفوقية فى محل المبتدأ وكذا الفعلان الاتيان بعده بالوجهين السابقين فى قوله تعين صانعا أى عدلك (بين الاثنين) المتهاجرين أو المتخاصمين أو المتحاكمين بأن تحملهما لكونك حاكما أو محكما أو مصلحا بالعدل والانصاف والاحسان بالقول والفعل على الصلح الجائز وهو كما فى الحديث « الذى لايحل حراما ولا يحرم حلالا » (صدقة) عليهما لوقايتهما مما يترتب على الخصام من قبيح الأقوال والأفعال ، ومن

---

(١) فى القاموس طلق بالتثليث وككتف وأمير اه ففيه خمس لغات ولم يذكر فى المختار سوى الفتح مع إسكان اللام . ع

وتُعين الرجل فى دابتــه فتحملهُ عليها أو ترفعُ له عليها متاعه صدقة ، والـكلمة الطيبة صدقة ، و بكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتُميط الأذى عن الطريق صدقة » متفق عليه و رواه مسلم أيضا من رواية عائشة رضى الله عنها

ثم عظم فضل الصلح وجاز الـكذب فيه مبالغـة فى وقوع الألفة بين المسـلمين (وتعين الرجل) أى إعانتك إياه (فى دابته فتحمله عليها او) للتنويع (ترفع له متاعا عليها صدقة) عليه (والـكلمة الطيبة) وهى كل ذكر ودعاء للنفس والغير وسلام عليه وثناء عليه بحق ونحو ذلك مما فيه سرور السامع واجتماع القلوب وتألفها وكذا سائر مافيه معاملة الناس بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال ومنه مافى حديث أبى ذر المذكور آنفاً « لاتحقرن من المعروف شيئاً » الخ (صدقة) لصاحبها (وبكل خطوة) بفتح المعجمة المرة الواحدة وبضمها مابين القدمين (تمشيها الى الصلاة صدقة) فيه مزيد الحث على حضور الجماعات والمشى اليها وعمارة المساجد بها إذ لو صلى فى بيته فاته ذلك (وتميط) بضم أوله (الأذى) أى إماطته (عن الطريق) يذكر ويؤنث ويقال لها السبيل والصراط (صدقة) على المسلمين وأخرت هذه لأنها أدون مما قبلها كما يشير اليه الخبر الآتى : وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، وحمل الأذى على المظالم ونحوها والطريق على طريقه تعالى وهو شرعه وأحكامه تـكلف بعيد ، بل قوله فيما يأتى وأدناها إماطة الأذى الخ صريح فى رده لأن الاماطة بهذا المعنى من أفضل الشعب لا أدناها ثم شرط الثواب على هذه الأعمـال خلوص النية فيها وفعلها لله وحده قال تعالى « إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما » وقال ﷺ بعـد أن ذكر جملا من أعمال البر « والذى نفسى بيده ما من عبد يعمل بخصلة منها يريد بهـا ما عند الله إلا أخذت بيده يوم القيامة حتى يدخل الجنـة » رواه ابن حبان فى صحيحه وبهذا يرد ما ورد عن الحسن وابن سيرين أن فعل المعروف يؤجر عليه وإن لم تـكن فيه نية (متفق عليه) ورواه أحمد وأبو عوانة وأبو نعيم فى مستخرجيهما والطبرانى فى مكارم الأخلاق وابن حبان فى صحيحه وغيرهم (ورواه) أى الحديث (مسـلم أيضا) أى انفرد به عن البخارى (من رواية عائشـة رضى الله عنهـا)

لاتحقرن جارةٌ لجارتها ولو فِرْسِنَ شاة » متفق عليه (قال الجوهرى) الفرسن من البعير كالحافر من الدابة قال وربما استعير فى الشاة

الموصوف إلى الصفة أو الأعم إلى الاخص وهو عند الكوفيين لاحذف فيه اكتفاء بتغاير اللفظين وهو جائز على ظاهره ، وعند البصريين يقدر فيه محذوف وتقديره هنا يانساء الانفس المسلمات أو الجماعات وقيل تقديره يافاضلات المسلمات كما يقال هؤلاء رجال القوم أى سادتهم ، ويجوز فيه رفع نساء ، قال الحافظ فى الفتح : قال السهيلى وغيره : جاء برفع الهمزة على أنه منادى مفرد ويجوز فى المسلمات الرفع على أنه صفة على اللفظ على معنى ياأيها النساء المسلمات « قلت » قال الباجى وكذا يرويه أهل بلدنا والنصب على أنه صفة على الموضع وكسر التاء علامة النصب ، وأنكر ابن عبد البر رواية الاضافة ورده ابن السيد بانها قد صحت نقلا وساعدتها اللغة فلا معنى للانكار ، وقال ابن بطال : يمكن تخريج يانساء المسلمات بالاضافة على تقدير بعيد كأنه قال يانساء الأنفس المسلمات والمراد بالأنفس الرجال ، ووجه بعده ؛ أنه يصير مدحا للرجال وهو صلى الله عليه وسلم إنما خاطب النساء قال : إلا أن يراد بالأنفس الرجال والنساء معاً وأطال فى ذلك ، وتعقبه ابن التين (لاتحقرن جارة) أسدت (لجارتها) شيئاً من المعروف فتمتنع منه لقلته (ولو) كان (فرسن شاة) كناية عن القلة ويحتمل أن يكون نهياً للمعطاة أى لاتحتقر المعطاة الشىء القليل بل تشكر ذلك ففى الحديث « لايشكر الله من لايشكر الناس » (متفق عليه قال) أبو نصر إسماعيل بن حماد (الجوهرى) الامام فى النحو واللغة والصرف صاحب الصحاح توفى لاختلاط أصابه ووسواس بسبب غريب وذلك أنه أخذ مصراعى باب وضمهما إلى جنبيه وشدهما بخيط ونهض للطيران من سطح داره فرمى بنفسه فمات سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وله شعر منه قوله :

لو كان لى بد من النـاس قطعت حبل الناس بالياس
العـز فى العـزلة لـكنه لابد للناس من النـاس

(الفرسن) قال القاضى عياض فى المشارق بكسر الفاء والسين قال فى فتح البارى. ونونه أصلية وقيل زائدة ، قال السيوطى فى مختصر النهـاية : هو عظم قليل اللحم . (من البعير كالحافر من الدابة) أى ذوات الأربع كالحمـار والبغل (قال وربما استعير) أى الفرسن فاستعمل (فى الشاة) كما فى الحديث والذى لهـا انما

« التاسع » عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون

هو الظلف ، قال المصنف فى شرح مسلم : قالوا أى أهل اللغة ولا يقال أى الفرسن إلا فى الابل ، ومرادهم أن أصله مختص بالابل ويطلق على الغنم استعارة وهذا النهى عن الاحتقار نهى للمعطية المتصدقة والمهدية ، ومعناه لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها بل تجود بما تيسر وإن كان قليلا كفرسن شاة فهو خير من العدم قال تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة » وقال القاضى : وهذا التأويل هو الظاهر وهو تأويل مالك لادخاله هذا الحديث فى باب الترغيب فى الصدقة . قال ويحتمل أن يكون نهيا للمعطاة عن الاحتقار قال الحافظ فى فتح البارى وحمله على الأعم من ذينك أولى اه و«لو» فى الحديث مثلها فى الحديث الآخر « اتقوا النار ولو بشق تمرة » قال ابن هشام فى المغنى فى ذكر معانى « لو » وذكر ابن هشام اللخمى وغيره أنها تجىء للتقليل قال ومثل له بقوله « ولو على أنفسكم » قال وفيه نظر قال ابن اقبرس : لعل النظر فى خصوص مثاله لا فى إفادتها معنى التقليل فى نحو «ولو بشق تمرة ، ولو خاتما من حديد» اه (وعنه) أى أبى هريرة رضى الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع) بكسر الباء وقد تفتح سيأتى معناها (وسبعون) أى شعبة ولذا صح الاخبار عنه بستة وسبعون ، وهى غيره ضرورة مغايرة الجزء للكل ، وبه يعلم ما فى قول المصنف : الحديث نص فى اطلاق اسم الايمان على الأعمال اه فحاصله أن التقدير شعب الايمان (أو) شك من الراوى والشك المذكور عند مسلم وكذا عند البخارى من طريق أبى ذر الهروى كما نقله العينى وعليه فقول المصنف متفق عليه فى محله (بضع وستون) ورجح بعضهم رواية وستون بأنها المتيقنة وما عداها مشكوك فيه وصوب القاضى الأولى بأنها التى فى سائر الاحاديث ولسائر الرواة ورجحها جماعة منهم المصنف بأن فيها زيادة ثقة فتقبل واعترضه الكرمانى بأن زيادة الثقة أن يزاد لفظ فى الرواية وانما هذا اختلاف روايتين مع عدم التنافى بينهما فى المعنى إذ ذكر الأقل لا ينافى الأكثر ، أو أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أولا

شعبةً ،

بالستين ثم أعلم بزيادة فأخبر بها . ويجاب بأن هذا متضمن للزيادة كما اعترف به الكرمانى فصح ماقاله المصنف نعم اعترض عليه بأن من زادها لم يستمر على الجزم بها لاسيما مع اتحاد المخرج ، ثم هذا العدد قيل المراد به التكثير والمبالغة وعليه فهى ترجع إلى أصل واحد وهو تكميل النفس بصلاح المعاش المؤدى إلى تحسين المعاد . وذلك بأن يعتقد الحق ويستقيم فى العمل ولذا قال صلى الله عليه وسلم لسفيان الثقفى حين قال له قل لى فى الاسلام قولا لاأسأل عنه أحداً غيرك : قل آمنت بالله ثم استقم . وأيد بعضهم أن المراد التكثير بانه لو أراد التحديد لم يبهم قال فذكر البضع للترقى لأن الشعب لانهاية لها لكثرتها ، وقال آخرون بل المراد حقيقة العدد ويكون النص وقع أولا على البضع والستين لكونه الواقع ، ثم تجددت العشرة الزائدة فنص عليها وبهذا يجاب عن اختلاف الروايات . فيقال بتقدير صحة الجمع لعله صلى الله عليه وسلم نطق باقلها ثم أعلم بازيد منها وهكذا ، والابهام فيه لادليل فيه لاحتمال أنه صلى الله عليه وسلم اتكل على افهام السامعين مع ذكر المراتب الثلاث الآتية فى الحديث التى إذا حقق النظر فى المقايسة بها أدرك ذلك إلا أن هذا صعب الارتقاء رفيع الذرى ولاختلاف النظر فى تلك المقايسة اختلف تعداد قوم من العلماء لبقية تلك الشعب ولم ينالوا بخوص غمرة تفاصيلها بيان تلك التفاصيل على الحقيقة مع خطر التعيين واحتمال أنه لم يصادف مراده صلى الله عليه وسلم كابن حبان وغيره ممن يأتى النقل عنه (شعبة) بضم أوله المعجم وسكون ثانيه المهمل وبالموحدة ، قال الحافظ ابن حجر : لم يتفق من عد الشعب على نمط واحد وأقربها الى الصواب طريقة ابن حبان فانه قال : عددت كل طاعة عدها الله تعالى فى كتابه والنبى صلى الله عليه وسلم فى سنته فاذا هو تسع وسبعون لاتزيد ولا تنقص فعلمت أنه المراد وقد نقلها كذلك الكازرونى فى شرح المشارق وبين كل ماجاء من الكتاب والسنة ولم يعز ذلك اليه وهو محتمل لتواردهما على عد ذلك ، وان كان فيه بعد وأن يكون ناقلا عنه وترك العزو اليه مع كونه الأولى للاتفاق على مقتضاه وضبطها كل من البيضاوى والكرمانى بطريقة . قال الحافظ وقد رأيتها تتفرع

عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن « فأعمال القلب » المعتقدات والنيات وتشتمل على أربع وعشرين خصلة : الايمان بالله ويدخل فيه الايمان بذاته وصفاته وتوحيده وبأنه ليس كمثله شيء واعتقاد حدوث مادونه ، والايمان بملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره ، والايمان باليوم الآخر ويدخل فيه المسألة فى القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ، ومحبة الله والحب والبغض فيه ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم واعتقاد تعظيمه ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته ، والاخلاص ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق ، والتوبة والخوف والرجاء والشكر ، والصبر والرضا بالقضاء والتوكل والرحمة ، والتواضع ، ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير وترك التكبر والعجب وترك الحسد وترك الحقد وترك الغضب « وأعمال اللسان » تشتمل على سبع خصال التلفظ بالتوحيد وتلاوة القرآن وتعلم العلم وتعليمه والدعاء والذكر ويدخل فيه الاستغفار واجتناب اللغو (وأعمال البدن) تشتمل على ثمان وثلاثين خصلة (منها) مايختص بالأعيان وهى خمس عشرة ، التطهر حساً وحكما . ويدخل فيه اجتناب النجاسة وستر العورة والصلاة فرضا ونفلا والزكاة كذلك وفك الرقاب والجود ويدخل فيه إطعام الطعام وإكرام الضيف والصيام فرضا ونفلا والحج والعمرة كذلك والطواف والاعتكاف ، والتماس ليلة القدر والفرار بالدين ، ويدخل فيه الهجرة من دار الكفر والوفاء بالنذر والتحرى فى الايمان وأداء الكفارات « ومنها » ما يتعلق بالاتباع وهى ست خصال التعفف بالنكاح والقيام بحقوق العيال وبر الوالدين ومنه اجتناب العقوق وتربية الأولاد وصلة الرحم وطاعة السادة والرفق بالعبيد « ومنها » مايتعلق بالعامة وهى سبع عشرة القيام بالامرة مع العدل ومتابعة الجماعة وطاعة أولى الأمر والاصلاح بين الناس ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة والمعاونة على البر ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واقامة الحدود والجهاد ومنه المرابطة وأداء الامانة ومنه أداء الخمس والقرض مع وفائه واكرام الجار وحسن المعاملة ، ومنه جمع المال من حله وانفاق المال فى حقه وفيه ترك التبذير والاسراف ورد السلام وتشميت العاطس وكف الضرر عن الناس واجتناب اللهو وإماطة الاذى عن الطريق . فهذه تسع وستون خصلة ويمكن عدها تسعا وسبعين باعتبار أفرادما ضم بعضه إلى بعض . وقال الحافظ السيوطى فى حاشية

فأفضلها قول لا إله إلا الله وادناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان »

سنن أبى داود بعد أن رجح رواية بضع وسبعون وأنه لا يلتفت إلى الشك فان غيره من الثقات قد جزم بأنه بضع وسبعون ورواية من جزم أولى قال : ومقصود الحديث أن الاعمال الشرعية تسمى إيمانا وأنها منحصرة فى ذلك العدد غير أن الشرع لم يعين ذلك العد لنا ولا فصله ، وقد تكلف بعض المتاخرين ذلك فتصفح خصال الشريعة وعددها حتى انتهى بها فى زعمه إلى ذلك العدد ، ولا يصح له ذلك لانه يمكن الزيادة على ماذكره والنقصان منه ببيان التداخل والصحيح ما صار اليه أبو سليمان الخطابى وغيره أنها منحصرة فى علم الله وعلم رسوله وموجودة فى الشريعة مفصلة فيها غير أن الشرع لم يوقفنا على أشخاص تلك الابواب ولا عين لنا عددها ولا كيفية انقسامها ، وذلك لا يضرنا فى علمنا بتفاصيل ما كلفنا به من شريعتنا ولا فى عملنا إذ كل مفصل مبين فى جملة الشريعة فما أمرنا بالعمل به عملنا وما نهينا عنه انتهينا وان لم نحط بحصر اعداد ذلك اه (فأفضلها) هى خبر لشرط محذوف أى إذا كان الايمان ذا شعب متفاوتة فأفضلها (قول لا إله إلا الله) لانبائها عن التوحيد المتعين على كل مكلف والذى لا يصح غيره من الشعب إلا بعد صحته فهو الأصل المبنى عليه سائرها (وأدناها) دونها مقداراً من الدنو بمعنى القرب ولذا استعمل فى مقابلة الأعلى (إماطة) بالمهملة أى إزالة (الأذى) أى المؤذى وإن خف كشوكة أو حجر ، وفى رواية إماطة العظم (عن الطريق) ووجه كونها أدناها أنها لدفع أدنى ضرر يتوقع حصوله لأحد من الناس (والحياء) بالمد وهو لغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه أو انحصار النفس خوف ارتكاب القبائح ، وفى الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح شرعا ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق (شعبة) عظيمة كما يومىء اليه التنكير (من الايمان) لتكفله بحصول سائر الشعب لأنه يحجز صاحبه عن المعاصى إذ الحيي يخاف فضيحة الدارين فينزجر عن كل معصية ويمتثل كل طاعة ، وأرفع الحياء الحياء من الله وهو ألا يراك حيث نهاك وانما ينشأ هذا من مراقبة ثابتة للحق والمعرفة به وهى مقام الاحسان . والايمان لا يخرج عن فعل المأمور واجتناب

متفق عليه (البضع) من ثلاثة إلى تسعة بكسر الباء وقد تفتح والشعبة القطعة

« العاشر » عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بينما رجل يمشى

بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فاذا كلب يلهث

يأكل الثرى

المنهى فلذا أفرد الحياء بالذكر لأن رتبته متوسطة بين الأعلى والأدنى ولما أشار صلى الله عليه وسلم الى أعلى الشعب وأوسطها وأدناها ترك بيان الباقى للعلم به بالمقايسة الى أحد تلك الثلاثة فمن عرف تلك المقايسة فواضح ، ومن لا فيلزمه الايمان بعموم العدد وان لم يعرف جميع أفراده كما يجب الايمان بالملائكة وإن جهلت أعيانهم وأسماؤهم كذا فى شرح المشكاة لابن حجر ، وقال الدميرى : انما جعله بعض الايمان . وسيأتى فى الحياء وفضله بسط (متفق عليه) فيه نظر فان قوله « فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » لمسلم فقط فيؤول كلامه على أن أصل الحديث بدون هذه الزيادة فيهما وقد تنبه لذلك الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير فقال بعد ايراده باللفظ المذكور أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه ووقع لصاحب المشكاة كما وقع للمصنف واعترضه شارحها الشيخ ابن حجر المكى بما ذكر . ثم الاخبار عن الايمان بأنه كذا وكذا شعبة من باب إطلاق الأصل وهو الايمان على الفرع وهو الأعمال والحقيقة أنها تنشأ عنه لا أنها هو (والبضع من ثلاثة الى تسعة) بتقديم التاء أى ما بينها هذا هو الأشهر ، وفيه حديث مرفوع « البضع ما بين الثلاث الى التسع » رواه الطبرانى وابن مردويه عن نيار بن مكرم ، وقيل ما بين الثلاثة وقيل اثنين والعشرة وقيل من واحد الى تسعة وفى القاموس هو ما بين الثلاث الى التسع أو الى الخمس أو ما بين الواحد الى الأربعة أو من أربع الى تسع أو هو سبع وإذا جاوزت لفظ العشر ذهب البضع لا يقال بضع وعشرون أو يقال ذلك اه (والشعبة) فى اللغة (القطعة) والغصن من الشجر وفرع كل أصل وأريد بها فى هذا الحديث الخصلة أو الجزء أى الايمان ذو خصال أو اجزاء متعددة

(وعنه ان رسول الله ﷺ قال بينما رجل يمشى بطريق) أى فيها (اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب) منها (ثم خرج فاذا) للمفاجأة (كلب يلهث) بدلع لسانه من العطش وليس غيره من الحيوان كذلك (يأكل الثرى)

من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثلَ الذى كان قد بلغ منى فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيهِ حتى رقِىَ فسقى الكلب فشكر اللهُ لهُ فغفر لهُ

أى التراب الندى قال الحافظ فى فتح البارى يجوز أن تكون الجملة خبرا ثانيا وأن تكون حالا وفى شرح مسلم للمصنف يقال لهث بفتح الهاء وكسرها يلهث بفتحها واللهاث بضم اللام ورجل لهثان وامرأة لهثى وهو الذى أخرج لسانه من شدة العطش اه . (من) تعليلية (العطش) وأكله للثرى لقربه من الماء فى التبريد (فقال الرجل) أخذ من قرينة أكله الثرى الذى لا يكون منه إلا من العطش (لقد بلغ هذا الكلب) بالنصب فى النسخ المصححة وكذا ضبطه الزركشى وشيخ الاسلام زكريا فى تحفته (من) ابتدائية (العطش مثل) فاعل بلغ (الذى كان بلغ بى) منه (فنزل البئر فملأ خفه) ساقط من رواية البخارى وكذا قوله حتى رقى (ثم أمسك بفيه حتى رقى) بكسر القاف على اللغة الفصيحة المشهورة ويقال رقى وهى لغة طيىء (فسقى الكلب فشكر الله له) قال العارف بالله ابن أبى جمرة هل الشكر من الكلب لله أو من الله لعبده وإذا قلنا إن الشكر يكون بالقول أو بالحال احتمل والقدرة صالحة فاذا قلنا إن الشكر من الله تعالى لعبده فيكون الشكر بمعنى القبول فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول قبل الله عمله وأثابه بالجنة عليه اه . وعلى الوجه الاخير اقتصر المصنف فى شرح مسلم (فغفر له) وفى الحديث ان أفضل القرب الخير المتعدى فانه إذا جوزى بهذا الجزاء الحسن على هذا الفعل اليسير مع هذا الحيوان المندوب الى قتله بشرطه فكيف به مع من هو صالح ؟ ! وفيه دليل على التحضيض على فعل البر وإن قل إذ لا يدرى فيم تكون السعادة وفيه دليل على أن الاخلاص هو الموجب لكثرة الاجر إذ حال الرجل كان كذلك إذ هو فى البرية ولم يره أحد حال سقيه وكان مخلصا فى ذلك العمل وفيه دليل على أن إكمال الأجر يكون باكمال العمل يؤخذ من قوله فى رواية فسقى الكلب حتى أرواه فباكمال ريه أكمل الله نعمته عليه ويؤخذ من الخبر إفساد بعض الامتعة إذا ترتب عليه الثواب الاخروى ألا ترى الى غرفه الماء بالخف المفسد له عادة، لكن لما كان فى ذلك صلاح آخرته فهو فى صلاح ويؤخذ

قالوا يارسول الله و إن لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال فى كل كبدٍ رطبةٍ أجرٌ» متفق عليه « وفى روايه للبخارى » فشكر الله له فغفر له فأدخله الجنة (وفى رواية لهما) بينما كان يطيف بركية قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغى من بغايا بنى إسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته فَغُفِرَ لها به « الموق » الخف (ويطيف) يدور (حول ركية) وهى البئر .

منه تعب الفاضل للمفضول اذا احتاج المفضول اليه اذ تعب الرجل للكلب ونوع الانسان أفضل من باقى الحيوان كذا يؤخذ ملخصا من بهجة النفوس للعارف ابن أبى جمرة (قالوا يارسول الله) لما ذكر لهم هذه القصة وحرضهم على صنيع المعروف وان قل ، فان المقصود من ذكره صلى الله عليه وسلم لقصص من مضى التحريض على الفعل الممدوح والنهى عن ضده وغير ذلك من الفوائد اذ العبث لايقع منه صلى الله عليه وسلم (وان لنا فى) سببية (البهائم) أى بسببها (أجراً فقال فى كل) أى فى ارواء كل (كبد رطبة أجر) والرطوبة كناية عن الحياة فان الميت يجف جسمه وكبده وقيل الكبد اذا ظمئت ترطبت ففى الحديث الاحسان الى الحيوان المحترم وهو مالا يؤمر بقتله فيحصل بسقيه والاحسان اليه الاجر سواء كان حرا أو مملوكا له أو لغيره أما المأمور بقتله فيمتثل أمر الشرع فى قتله (متفق عليه * وفى رواية للبخارى فأدخله الله الجنة) أى ابتداء مع الناجين وهى لازمة للرواية السابقة إذ من غفر له دخلها كذلك* (وفى رواية لهما بينما كلب يطيف) بضم التحتية (ركية) لظمئه (قد) للتقريب (كاد يقتله العطش) لاشتداده به (إذ رأته بغى) بفتح الموحدة وكسر المعجمة وتشديد التحتية أى زانية والبغاء الزنى ولا تنافى بين كون الفاعل هنا امرأة وفى الحديث قبله رجلا لاحتمال تعدد القصة (من بغايا بنى اسرائيل فنزعت موقها) بضم الميم وفتح القاف قيل خفها فارسى معرب وقيل الذى يلبس فوق الخف ويقال له الجرموق (فاستقت له فسقته) أى حتى روى (فغفر) بالبناء للمفعول (لها به الموق الخف ويطيف يدور) قال فى شرح مسلم بضم الياء يقال طاف وأطاف إذا دار حوله (والركية) بفتح الراء المهملة وكسر الكاف وشد التحتية (وهى البئر) مطلقا وقيل قبل أن تطوى

« الحادى عشر » عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين » رواه مسلم « وفى رواية » مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال والله لأنحين هذا عن المسلمين لايؤذيهم فأدخِلَ الجنةَ . « وفى رواية لهما » بينما رجل يمشى بطريق وجد غُصْنَ شوك على الطريق فأخَّره فشكر اللهُ له فغفرَ له .

« الثانى عشر » عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له مابينه و بين الجمعة

(وعنه عن النبى ﷺ قال لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة) أى يتنعم فيها بملاذها (فى شجرة قطعها من ظهر الطريق) أى بسبب قطعه لها (كانت تؤذى المسلمين) ففيه فضل إزالة الأذى عن الطريق وقد تقدم أنه من شعب الايمان وفيه فضيلة كل ما نفع المسلمين وأزال عنهم ضرراً (رواه مسلم * وفى رواية له) أى لمسلم من حديث أبى هريرة أيضاً مرفوعا (مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال والله لأنحين) من التنحية الازالة أى لأزيلن (هذا) أى المضر (عن) طريق (المسلمين لايؤذيهم) أى إرادة ألا يؤذيهم (فأدخل الجنة) بالبناء للمفعول وظاهر هذا الخبر دخوله الجنة بمجرد نيته للفعل الجميل ، و يحتمل أنه فعل ذلك وترك ذكره الراوى إما سهواً وإما لأمر آخر (وفى رواية لهما) عن أبى هريرة مرفوعا (بينما رجل) بالرفع لكف بين عن الاضافة للمفرد لها (يمشى بطريق) أى فيه (وجد غصن شوك على الطريق فأخره) بتشديد الخاء المعجمة أى نحاه عن الطريق وفى نسخة فأخذه بتخفيف المعجمة وبالذال المعجمة أى أخذه من الطريق إذهابا لضرره (فشكر الله له) ذلك الفعل اليسير أى قبله منه (فغفر) بالبناء للفاعل (له)

(وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء) باسباغه والاتيان بآدابه وسننه (ثم أتى الجمعة) أى الى المسجد لصلاتها وهى بضم الجيم والميم وسكونها وقد تفتح سميت بذلك لاجتماع الناس لها (فاستمع) الخطبة (وأنصت) عن الكلام المباح (غفر له) صغائر (مابينه وبين الجمعة الماضية) قال بعض أصحابنا

وزيادة ثلاثة أيام ، ومن مَسَّ الحصى فقد لغا . رواه مسلم

« الثالث عشر » عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن ، فغسل وجهه خرج من وجهه كلُّ خطيئة نظر اليها بعينه مع الماء أو مع آخر قَطْر الماء ،

والمراد بما بينهما من صلاة الجمعة وخطبتها الى مثل ذلك الوقت من الجمعة الثانية فيكون سبعة أيام بلا زيادة ولا نقص (و) يضم اليها (زيادة) عليها ذنوب (ثلاثة أيام) فتكفر ذنوب عشرة أيام ، قال العلماء : معنى المغفرة له ما بين الجمعتين وثلاثة أيام ، إن الحسنة بعشر أمثالها وصار يوم الجمعة الذى فعل فيه هذه الافعال الجميلة فى معنى الحسنة التى تجعل بعشر أمثالها (ومن مس الحصى) وفى معناه سائر العبث فى حال الخطبة (فقد لغا) ففى الحديث اشارة الى الحث على اقبال القلب والجوارح على الخطبة والمراد من اللغو الباطل المذموم المردود (رواه مسلم)

(وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن شك من الراوى فى أيهما لفظه صلى الله عليه وسلم وإن كان يلزم من تحقق أحدهما شرعا تحقق الأخر (فغسل وجهه) الفاء تفصيلية (خرج من وجهه كل خطيئة) صغيرة متعلقة بحق الله تعالى (نظر اليها) أى إلى سببها اطلاقا لاسم المسبب على السبب مبالغة وكذا البواقى (بعينه) قال القرطبي هذه عبارة مستعارة المقصود بها الاعلام بتكفير الخطايا ومحوها والا فليست الخطايا أجساما حتى يصح منها الخروج وفى قوت المغتذى للسيوطى بعد نقل مثله عن ابن العربى : وأقول بل الظاهر حمله على الحقيقة وذلك أن الخطايا تؤثر فى الباطن والظاهر سوادا يطلع عليه أرباب الاحوال والمكاشفات والطهارة تزيله ثم استشهد لتأثير الخطايا بأحاديث ثم قال بعد نقل حديث تأثير خطايا المشركين فى الحجر الاسود حتى صار اسود ما لفظه ، فاذا أثرت الخطايا فى الحجر ففى فاعلها أولى ، فاما أن يقدر خرج من وجهه سواد كل خطيئة أى السواد الذى أحدثته ، وإما أن نقول إن الخطيئة نفسها تتعلق بالبدن على أنها جسم لا عرض ، بناء على اثبات عالم المثال وأن ما هو فى هذا العالم عرض له صورة فى عالم المثال ، وقد حققت ذلك فى تاليف مستقل (مع الماء أو مع آخر قطر الماء) أو للشك من الراوى فى أى اللفظين قاله

فاذا غسل يديه خرج من يديه كلُّ خطيئة كان بطَشَتْهَا يداه مع الماء أو مع آخر قطر المـاء ، حتى يخرج نقيا من الذنوب فاذا غسل رجليه خرجت كلُّ خطيئة مشتها رجـلاه مع الماء أومع آخر قطر المـاء حـتى يخرج نقيا من الذنوب » رواه مسلم

« الرابع عشر » عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال « الصلوات الخمس والجُمُعة إلى الجمُـة ورمضان إلى رمضان مكفرات لمـا بينهن إذا اجتنبت الـكبائر »

صلى الله عليه وسلم ويدلك على أنها للشـك زيادة مالك « أو نحو ذلك) قيل وحصت العين بالذكر مع أن فى الوجه الفم والانف لانهاطليعةالقلب ورائده فاغنت عن غيرها واعترض بان كونها طليعة لا ينتج الجواب عن تخصيـص خطيئتهـا بالمغفرة فالذى يتجه فى الجواب أن سبب التخصيص أن كلا من الفم والانف له طهارة مخصوصة خارجة عن طهارة الوجه فـكانت متـكفلة باخراج خطاياه بخلاف العين فانها ليس لها طهارة الا فى غسل الوجه فخطت خطيئتها عند غسله دون غيرها (فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت) اسمها ضمير الشـأن (بطشتها يداه مع المـاء أو مع آخر قطر المـاء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها) أى مشت اليها أو مشت المشية (رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر المـاء حتى يخرج نقيا من الذنوب) الصغائر المذكورة (رواه مسلم) ومالك فى الموطأ

(وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن) من الصغائر المتعلقة بحقوق الله تعالى (اذا اجتنبت الـكبائر) قال الحافظ ولى الدين العراقى اسـتند العلماء فى تقييد الذنوب المـكفرة بالعمل الصالح بالصغائر لهذا الحديث فجعلوا التقييد فيـه مقيداً للاطلاق فى غـيره اه ملخصا . ونظر فيه ابن دقيق العيد وحـكى ابن التين فيه خلافا فقال اختلف هل يغفر الله له بهـذه المذكورات الكبائر اذا لم يصر عليهـا أم لا يغفر له سوى الصغائر ؟ قال : وهذا كله لا يدخل فيه مظالم العباد ، وقال القرطبي : لابعد فى أن يكون بعض الاشخاص تغفر له الـكبائر والصغائر بحسب ما يحضره

رواه مسلم .

من الاخلاص ويراعيه من الاحسان والآداب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اه «قلت» وقد سبق إلى ذلك ابن العربى وجزم به فقال : لو وقعت الطهارة باطنا بتطهير القلب عن أوصاب المعصية وظاهرا باستعمال الماء على الجوارح بشرط الشرع واقترنت به صلاة جرد فيها القلب عن علائق الدنيا وطرد الخواطر واجتمع الفكر على آخر العبادة كما انعقد عليه إحرامها واستمر الحال حتى خرج بالتسليم عنها فان الكبائر تغفر ، وكذلك كان وضوء السلف اه . والذى عليه جمهور العلماء ان صالح العمل لا يكفر الكبائر إنما يكفرها التوبة او فضل الله تعالى . قال المصنف : وقد يقال إذا كفر الوضوء فماذا تكفر الصلوات ، واذا كفرت الصلوات فماذا تكفر الجماعات ورمضان وغيرها مما ورد فيه ذلك ؟ فالجواب ما أجاب به العلماء أن كل واحد من هذه المذكورات صالح للتكفير ، فان وجد ما يكفره من الصغائر كفره ، وان لم يصادف كبيرة ولا صغيرة كتبت له به حسنات ورفعت له به درجات ، وان صادف كبيرة أو كبائر ولم يصادف صغيرة رجونا أن يخفف عنه منها ، واعترضه ابن سيد الناس فى قوله رجونا الخ بأن هذا موقوف على التوقيف لا مجال فيه لغيره . قال السيوطى : استشكل بأن الصغائر مكفرة باجتناب الكبائر وحينئذ فما الذى تكفره الصلوات ؟ والتحقيق فى الجواب ما أشار اليه البلقينى أن الناس أقسام : من لا ذنب له مطلقا وهذا له رفع الدرجات ، ومن له صغائر بلا اصرار فهى المكفرة باجتناب الكبائر الى موافاة الموت على الايمان ، ومن له صغائر مع الاصرار فهى التى تكفر بصالح الأعمال ومن له كبائر وصغائر فالمكفر بصالح العمل الصغائر فقط ، ومن له كبائر فقط فيكفر منها على قدر ما كان يكفر من الصغائر اه قال شيخ الاسلام زكريا فان قلت يلزم من جعل الصغائر مكفرة بالمذكورات عند اجتناب الكبائر اجتماع سببين على مسبب واحد وهو ممتنع «قلت» لا مانع من ذلك فى الأسباب المعرفة لأنها علامات لا مؤثرات كما فى اجتماع أسباب الحدث اه وقوله «إذا اجتنبت الكبائر الخ» قال العلقمى فى حاشيته على الجامع الصغير قال شيخنا يعنى السيوطى قال النووى معناه أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر فانها لا تغفر وليس معناه أن الذنوب تغفر ما لم تكن كبيرة فان كانت فلا يغفر شىء فان هذا وإن كان محتملا فسياق الأحاديث يأباه (رواه مسلم) ورواه أحمد والترمذى

« الخامس عشر » عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألاأدلكم على مايمحو الله به الخطايا ويرفعُ به الدرجات ؟ قالوا بلى يارسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاةِ فذلكم الرّباطُ »

(وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا) بتخفيف اللام اداة استفتاح ليتنبه السامع لما بعدها (أدلكم على مايمحو الله به الخطايا) أى من ديوان الحفظة أو يمحو بمعنى يغفر (ويرفع به الدرجات) أى المنازل فى الجنة (قالوا بلى) هى لايجاب النفى المذكور فى السؤال أى دلنا على ذلك يا رسول الله (قال اسباغ الوضوء) أى استيعاب أعضائه بالغسل والمسح مع استيفاء آدابه ومكملاتها (على) بمعنى مع (المكاره) جمع مكره بفتح الميم من الكره المشقة والألم (وكثرة الخطا الى المساجد) فيه فضل الدار البعيدة عن المسجد على القريبة ويؤيده الخبر الآتى دياركم تكتب آثاركم ولا ينافيه عده ﷺ من شؤم الدار بعدها من المسجد لأن بعدها وان كان فيه شؤم من حيث انه قد يؤدى الى تفويت لكن فيه فضل عظيم إذا توجه منها الى الصلاة بالمسجد فشؤمها وفضلها باعتبارين فلا تنافى (وانتظار الصلاة) أى وقتها أو جماعتها (بعد الصلاة) منفردا أو فى جماعة وذلك بأن يجلس فى المسجد أو فى بيته أو سوقه أو شغله لانتظارها وذلك لتعلق فكره وقلبه بها فهو دائم الحضور والمراقبة غير ملتفت عن أفضل العبادات البدنية بشىء (فذلكم) عدل اليه عن هذا الذى هو القياس للدلالة على بعد منزلته وعظمها (الرباط) لاغيره كما أفاده تعريف الجزءين الدال على الحصر لكنه إضافى ، أى ما ذكرت من تلك الثلاث هو المستحق لاسم الرباط والرباط الحقيقى وهو ملازمة الثغر لحفظ عورة المسلمين لا يستحق ذلك الاسم بالنسبة اليها لما فيها من أعظم القهر لأعدى عدو الانسان وهى نفسه الأمارة بالسوء وقمع شهواتها وقلع مكائد الشيطان من جميع أجزائها فان هذه الأعمال تسد طرق الشيطان والهوى عن النفس وتقهرها وتمنعها من قبول الوسواس والشهوات فكانت هى الرباط الحقيقى وهو الجهاد ، وفى هذا أعظم تأييد لخبر « رجعنا من الجهاد الاصغر إلى الجهاد الاكبر » أى من جهاد العدو إلى جهاد النفس إذ جهاد

رواه مسلم

«السادس عشر» عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى البَرْدين دخل الجنة .

الكفار إنما شرع بالخروج عن النفس والأولاد والأموال لاعلاء كلمة الله تعالى مع تكميل النفس بخروجها عن مألوفاتها ومستلذاتها لكنه لا يدوم زمنه بل يكون برهة وتنقضى ، وهذه الأعمال دائمة وذلك التكميل موجود فيها بزيادة (رواه مسلم) وعند مالك فذلكم الرباط فذلكم الرباط ورد مرتين وفى رواية الترمذى « ثلاثا » وحكمته مزيد تقرير ذلك والاهتمام بشأنه المرة بعد المرة

(وعن أبى موسى الاشعرى) تقدمت ترجمته أول باب الاخلاص (رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من صلى البردين) بفتح الموحدة وسكون الراء تثنية برد والمراد صلاة الفجر والعصر كما سيأتى زاد مسلم فى روايته يعنى العصر والفجر قال الخطابى سميا بردين لانهما يصليان فى بردى النهار وهما طرفاه حين يطيب الهواء وتذهب شدة الحر (دخل الجنة) قال العلقمى : قال القزاز فى وجه تخصيص هذين الوقتين ما حاصله ، من موصولة لا شرطية والمراد من صلاهما أول فرض الصلاة ثم مات قبل فرض الخمس فانها فرضت أولا ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى ثم فرضت الخمس قال فهو خبر عن ناس مخصوصين لا عموم فيه « قلت » ولا يخفى ما فيه من التكلف والاوجه أن من شرطية وقوله دخل الجنة جواب الشرط وعدل اليه عن المضارع إرادة التأكيد فى وقوعه بجعل ما سيقع كالواقع اه وعلى الاوجه فوجه تخصيصهما بالذكر أن وقت الصبح يكون عند النوم ولذته ووقت العصر يكون عند الاشتغال بتتمات أعمال النهار وتجارته وتهيئة العشاء ففى صلاته لهما مع ذلك دليل على خلوص النفس من الكسل ومحبتها للعبادة ويلزم من ذلك اتيانه بجميع الصلوات الاخر وأنه إذا حافظ عليهما كان أشد محافظة على غيرهما فالاقتصار عليهما لما ذكر لا لافادة أن من اقتصر عليهما بأن أتى بهما دون باقى الخمس يحصل له ذلك لانه خلاف النصوص وقيل المراد بالبردين الصبح والعشاء ووجه تخصيص العشاء أن فى وقتها يكثر النعاس فيثقل البدن بواسطته مع الامتلاء بالعشاء فتتعطل الحركة فتشق الصلاة وأسبابها حينئذ مشقة ظاهرة فمن صلاها مع ذلك استحق

متفق عليه « البردان » الصبح والعصر

« السابع عشر » عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا مرض العبدُ أو سافر كُتِب له مثلُ ما كان يعمل مقيما صحيحا . رواه البخارى

« الثامن عشر » عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى عليه وسلم : كل معروف

دخول الجنة من غير سابقة عذاب (متفق عليه البردان الصبح والعصر)

(وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض العبد) قال فى الصحاح المرض السقم اه . وفى المصباح مرض الحيوان مرضا من باب تعب والمرض حال خارجة عن الطبع ضار بالطبع (١) ويعلم من هذا أن الآلام والأورام أعراض عن المرض (أو سافر) أى فى غير معصية قال الجوهرى : السفر قطع المسافة وفى المصباح سفر الرجل سفراً من باب ضرب فهو سافر والجمع سفر ، مثل راكب وركب والاسم السفر بفتحتين وهو قطع المسافة يقال إذا خرج للارتحال أو لقصد موضع فوق مسافة العدوى : سفر ، وقال بعض المصنفين أقل السفر يوم انتهى . والحديث شامل لطويل السفر وقصيره بأن يخرج لضيعة أو الى مكان لاتلزمه فيه الجمعة لعدم سماعه النداء ولا يخالف قول المصباح : إن أهل العرف لا يسمونه سفراً ، فان المراد سفراً طويلا (كتب له) من البر (مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا) وعند أبى داود كأصلح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم قال ابن بطال هذا فى أمر النوافل أما صلاة الفرض فلا تسقط بسفر أو مرض (رواه البخارى) ورواه أحمد وغيره ويؤخذ من الحديث تأييد من ذهب الى أن الأعذار فى ترك الجماعة مسقطة للحرج محصلة للفضيلة خلافا للمصنف فى الأخير وحمل كلام المصنف على من لم يعتد ملازمتها مع عدم العذر أو لم ينوها لولا العذر ، وكلام غيره على ما إذا نواها وكان معتادا لها .

(وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف)

---

(١) فى نسخة بالفعل وفى نسخة كشطت وكتبت بدلها بالطبع

صدقة . رواه البخارى (ورواه مسلم) من رواية حذيفة رضى الله عنه

« التاسع عشر » عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامِن مسلم يَغرسُ غرسا إلا كان ماأ كل منه له صدقة وما سُرق منه له صدقة ولا يرزؤُه أحد إلا كان له صدقة » رواه مسلم (وفى رواية له) لايغرس المسلم غرساً فيأ كل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقةً إلى يوم القيامة

أى كل ما يفعل من أعمال البر والخير (صدقة) أى ثوابه كثوابها فاطلاقها على ذلك بطريق الاستعارة كما تقدم (رواه البخارى) وأحمد (ورواه مسلم) وأحمد وأبو داود (من حديث حذيفة رضى الله عنه) فلا يقال فيه متفق عليه لأن الشيخين لم يتفقا على سنده وإن اتفقا على معناه ومبناه

(وعنه قال قال رسول الله ﷺ مامن مسلم يغرس غرساً) بالفتح مصدر (الا كان ما أ كل) منه أى مما غرسه (له صدقة) يعنى يحصل للغارس ثواب التصدق بالمأ كول إن لم يضمنه الآ كل (وماسرق منه له صدقة) يعنى يحصل له مثل ثواب صدقة المسروق وليس المعنى أن المأخوذ صار ملكا للآخذ كما لو تصدق به عليه (ولا يرزؤه) بفتح التحتية وراء مهملة ثم زاى ثم همزة وسيأتى أن معناه ينقصه (أحد إلا كان له صدقة رواه مسلم . وفى رواية له) أى لمسلم عن جابر (لا يغرس المؤمن غرساً ولا يزرع زرعا فيأ كل منه إنسان) أى على وجه التصدق عليه والا كرام أو بطريق الغصب ما لم يؤد بدله (ولا) تأ كل منه أو تتلفه (دابة) لعل المراد منها كل ما يدب على الأرض لكونه أعم (ولا طير) قيل إنه اسم جمع لطائر وقيل جمع له كصحب وصاحب (الا كان) أى المأ كول (له) فى محل الحال و (صدقة) خبر كان ويستمر مااستمرت هى أوما تولد منها (إلى يوم القيامة) قال الأبى : ولا يبعد أن يدوم له الثواب وإن انتقل الملك إلى غيره إلى يوم القيامة وهذا ممكن فى الغراس « قلت » قال ابن العربى : من سعة كرم الله تعالى أن يثيب على مابعد الحياة كما يثيب على ذلك فى الحياة وذلك فى ستة : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ، أو غرس ، أو زرع ، أو الرباط . فللمرابط ثواب عمله إلى يوم القيامة « قلت » ولا يختص حصول هذه الصدقات

(وفى رواية له) لايغرس مسلم غرساً ولا يزرع زرعاً فيأ كل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة . (ورو ياه جميعاً) من رواية أنس رضى الله عنه (قوله يرزؤه) أى ينقصه

« العشرون » عنه قال « أراد بنو سلمة أن ينتقلوا قربَ المسجد فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : إنه قد بلغنى أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد ؟ فقالوا نعم

بمن باشر الغرس أو الزراعة بل يتناول من استأجر لعمل ذلك ، والصدقة حاصلة حتى فيما عجز عن جمعه كالسنبل المعجوز عنه بالحصد فيأ كل منه حيوان فانه مندرج تحت مدلول الحديث * (وفى رواية) عن جابر أيضاً (لايغرس) بالرفع (المسلم غرساً ولايزرع) أى المسلم (زرعا) والغرس فى الأشجار (فيأ كل) بالنصب فى جواب النفى (منه) أى من ثمرة ماذكر (إنسان ولادابة ولاشىء) أى من طائر وجنى فهو أعم من الروايات قبله (إلا كانت) أى الزروع والمغروسات فالتأنيث لذلك أو نظراً إلى تأنيث الخبر (له صدقة ورو ياه) أى الشيخان (من رواية أنس بن مالك) قال المصنف : وقد اختلف العلماء فى أطيب المكاسب وأفضلها فقيل التجارة وقيل الصنعة باليد وقيل الزراعة وهو الصحيح ، وفى الحديث أن الثواب فى الآخرة مختص بالمسلمين وأن الانسان يثاب على ماسرق من ماله أو أتلفته دابة أو طائر أو نحوهما (قوله) فى الحديث (يرزؤه أى ينقصه)

(وعنه قال أراد بنو سلمة) بكسر اللام قبيلة معروفة من الانصار ، قال ابن عبد البر فى كتاب الأنساب : إنه سلمة بن سعد بن الخزرج . وقال الكازرونى فى شرح المشارق : قبيلة منسوبة إلى سلمة بن سعد بن على بن أسد بن سادرة بن زيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة وهم بطن من الانصار (أن ينتقلوا) من منزلهم الذى كانوا به وكان بعيداً من المسجد النبوى (قرب المسجد) لخلوه كما صرح به فى رواية فى مسلم (فبلغ ذلك) أى إرادتهم التحول (النبى ﷺ فقال لهم : إنه) الضمير للشأن (بلغنى أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد ، فقالوا نعم

يارسول الله قد أردنا ذلك ، فقال : بنى سلِمةَ ديارَكم تكتبْ آثارُكم ديارَكم تكتبْ آثاركم » رواه مسلم (وفى رواية) إن بكل خطوة درجةً (ورواه البخارى أيضاً) بمعناه من رواية أنس رضى الله عنه « وبنو سلمة » بكسر اللام قبيله معروفة من الأنصار رضى الله عنهم و « آثارهم » خطاهم

« الحادى والعشرون » عن أبى المنذر أُبَىّ بن كعب رضى الله عنه

قد أردنا ذلك ، فقال بنى سلمة) بحذف حرف النداء (دياركم) منصوب على الاغراء أى ألزموا دياركم ولا تنتقلوا إلى قرب المسجد (تكتب) بالجزم جواب الشرط المقدر (آثاركم) أى آثار أقدامكم وخطاكم إلى الجمعة والجماعة (رواه مسلم * وفى رواية) لمسلم عن جابر فنهانا رسول الله ﷺ (فقال إن لكم بكل خطوة) تقدم أنه بضم الخاء مابين القدمين وبفتحها المرة من الخطوات (درجة) أى فى الجنة (ورواه البخارى أيضاً بمعناه من رواية أنس) ولفظ روايته قال قال النبى ﷺ « يابنى سلمة الاتحتسبون آثاركم » (وبنو سلمة بكسر اللام) والنسبة إليها السلمى بفتح أوليه من تغيير النسب (قبيلة معروفة من الانصار وآثارهم) بالمد (خطاهم) بضم الخاء جمع خطوة أى خطواتهم فى ذهابهم إلى المسجد للجمعة والجماعة .

(وعن أبى المنذر) بضم الميم وسكون النون بعدها ذال معجمة فراء مهملة وهذه الكنية كناها بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكنى بأبى الطفيل ولده كناه بها عمر بن الخطاب (أبى) بضم الهمزة وفتح الموحدة وتشديد التحتية (ابن كعب) ابن قيس بن عبيد بن عبد بن يزيد بن معاية بن عمرو بن مالك بن النجار - واسم النجار تيم اللات وقيل تيم الله وسمى بالنجار قيل لانه اختتن بالقدوم وقيل لانه ضرب وجه زوجته بالقدوم فنجره - ابن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الاكبر الانصارى الخزرجى النجارى القارى (١) المدنى (رضى الله عنه) شهد أبى العقبة الثانية فى السبعين من الانصار وشهد بدرا وغيرها من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن رسول الله ﷺ مائة حديث وأربعة وستين حديثا اتفقا

---

(١) القارى نسبة إلى القراءة لاتقانه لها . ش

قال : كان رجل لاأعلم رجلا أبعد من المسجد منه وكان لاتخطئه صلاة فقيل له أو فقلت له لو اشتريت حمارا تركبه فى الظلماء وفى الرَّمْضاء . فقال : مايسرنى أنَّ منزلى إلى جَنبِ المسجد ، إنى أريد أن يُكتَبَ لى ممشاى إلى المسجد ورجوعى إذا رجعت إلى أهلى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد جَمَع الله لك ذَلك كلَّه » رواه مسلم (وفى رواية) إن لك مااحتسبت (الرمضاء) الأرض التى أصابها الحر الشديد .

منها على ثلاثة وانفرد البخارى بثلاثة ومسلم بسبعة وله فضائل كثيرة ومن أسناها حديث الصحيحين عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ على أبى بن كعب سورة « لم يكن الذين كفروا » وقال أمرنى الله عز وجل أن اقرأ عليك وهى منقبة عظيمة لم يشاركه فيها غيره توفى بالمدينة ودفن بها قيل سنة ثلاثين فى خلافة عثمان قال أبو عثمان الاصفهانى وهو الصحيح وقال ابن عبد البر الاكثر على أنه مات فى خلافة عمر كذا نقل ملخصا من التهذيب للمصنف (قال كان رجل) لم أر من سماه (لا أعلم رجلا أبعد) الناس منزلا (من المسجد منه وكان لا تخطئه) بضم الفوقية أى تفوته (صلاة فقيل له أو فقلت له) شك من الراوى عن أبى ، ويحتمل أن يكون منه بأن نسى أيهما كان لطول الزمان (لو) للتمنى فلا تحتاج لجواب ، ويحتمل أن تكون شرطية وحذف جوابها أى لكان أحسن لفهمه من السياق (اشتريت حماراً تركبه فى) الليلة (الظلماء وفى الرمضاء فقال : ما يسرنى) أى يعجبنى (أن منزلى إلى جنب المسجد) لما يفوت بالقرب من أجر تعدد الخطا المرتب على بعد الدار منه (انى أريد أن يكتب) بالبناء للمفعول ، ويحتمل أن يكون مبنيا للفاعل (لى) أجر (ممشاى) أى مشي فهو مصدر ميمى (الى المسجد و) أجر (رجوعى إلى أهلى) منه (اذا رجعت) فيه اثبات الثواب فى الرجوع من الصلاة كما فى الذهاب اليها (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع الله لك) لصحة نيتك وحسن قصدك (ذلك) أى الذى رجوت (كله) تأكيد معنوى (رواه مسلم * وفى رواية) لمسلم (ان لك) أى عند الله أجر (ما احتسبت) أى حملته من تكثير الخطا فى الذهاب الى المساجد احتساباً (الرمضاء) بالمد (الارض التى أصابها الحر الشديد) حتى حميت من ذلك

« الثانى والعشرون » عن أبى محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربعون خُصلة أعلاها منيحة

(وعن أبى محمد) وقيل أبو عبد الرحمن وقيل أبو نصير بضم النون (عبد الله ابن عمرو بن العاص) بن وائل بن هاشم بن سعيد مصغرا ابن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى السهمى الزاهد العابد الصحابى ابن الصحابى (رضى الله عنهما) بينه وبين أبيه فى السن ثنتا عشرة سنة . أسلم قبل أبيه وكان كثير العلم مجتهداً فى العبادة تلاء للقرآن وكان أكثر الناس أخذا للحديث والعلم عن رسول الله ﷺ . ثبت فى الصحيح عن أبى هريرة قال : ما كان أحد أكثر حديثا عن رسول الله ﷺ منى إلا عبدالله بن عمرو ، كان يكتب ولا أكتب . روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة حديث اتفقا على سبعة عشر منها وانفرد البخارى بثمانية ومسلم بعشرين ، وإنما قلت الرواية عنه مع كثرة ما حمل لأنه سكن مصر وكان الواردون اليها لأخذ العلم قليلين بخلاف أبى هريرة فانه استوطن المدينة وهى مقصد المسلمين من كل جهة . روى عنه قال : حفظت عن النبي صلى الله عليه وسلم ألف مثل وأنه قال : لخير أعمله اليوم أحب إلى من مثليه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تهمنا الآخرة ولا تهمنا الدنيا وإنا اليوم مالت بنا الدنيا . توفى بمصر سنة ثلاث وقيل خمس وستين وقيل بمكة سنة ست وستين وقيل بالطائف سنة خمس وخمسين وقيل ثمان وستين وقيل ثلاث وسبعين وهو ضعيف ، كان عمره اثنتين وسبعين سنة رضى الله عنه وسيأتى مايتعلق بياء « العاصى » اثباتا وحذفا فى باب تحريم الظلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعون خصلة) بفتح المعجمة وسكون المهملة أى نوعا من البر (أعلاها) فى المرتبة (منيحة) بفتح الميم وكسر النون وفتح المهملة وهى العطية وأصلها عطية الناقة أو الشاة ، ويقال : لايقال منيحة إلا للناقة وتستعار للشاة ، قال ابراهيم الحربى : يقولون منحتك الناقة أغرستك النخلة أعمرتك الدار أخدمتك العبد كل ذلك هبة منافع كذا فى فتح البارى وقال فى أواخر باب الهبة من الفتح أربعون مبتدأ أعلاهن مبتدأ ثان ومنيحة خبر الثانى والجملة

العَنْزِ ، مامن عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديقَ موعودها إلا أدخله الله بها الجنة »

خبر الأولى اهـ وفى نسخة منيحة بوزن عظيمة(١) (العنز) بفتح المهملة وسكون النون بعدها زاى معروفة وهى واحدة المعز والجمع أعنز وعنوز وعناز (مامن) زائدة لتأكيد العموم واستغراقه (عامل) أى وهو مسلم (يعمل خصلة) وفى نسخة بخصلة بزيادة باء (منها رجاء) ممدود مفعول لاجله (ثوابها) من الله تعالى (وتصديق) منصوب أيضا (موعودها) أى ماوعد به فيها، فالاضافة لأدنى ملابسة (إلا أدخله الله بها) أى بسبب قبوله عمله بفضله ومنه (الجنة) فدخولها بفضله لا بعمله أى مع الفائزين وتمام الحديث كما فى البخارى : قال حسان فعددنا مادون منيحة المعز من رد السلام وتشميت العاطس وإماطة الأذى عن الطريق ونحوه فما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة اهـ قال الحافظ العسقلانى : قال ابن بطال ماملخصه : ليس فى قول حسان ما يمنع من وجدان ذلك ، وقد حض ﷺ وعلى أبواب من أبواب الخير والبر لاتحصى كثرة ومعلوم أنه ﷺ كان عالما بالاربعين المذكورة وإنما لم يذكرها لمعنى هو أنفع لنا من ذكرها وذلك خشية أن يكون التعيين لها مزهداً فى غيرها من أنواع البر قال : وقد بلغنى أن بعضهم تطلبها فوجدها تزيد على الأربعين ، فمما زاده اعانة الصانع والصنعة لأخرق وإعطاء شسع النعل والستر على المسلم والذب عن عرضه وادخال السرور عليه والتفسح له فى المجلس والدلالة على الخير والكلام الطيب والغرس والزرع والشفاعة وعيادة المريض والمصافحة والمحبة فى الله والبغض لأجله والمجالسة والتزاور والنصح والرحمة وكلها فى الاحاديث الصحيحة وفيها ما قد ينازع فى كونه دون منيحة العنز وحذفت مما ذكر أشياء تعقب ابن المنير بعضها وقال إن الأولى ألا يعتنى بعدها لما تقدم ، وقال الكرمانى : جميع ما ذكره رجم بالغيب ثم من أين عرف أنها أدنى من المنحة . «قلت» وانما أردت بما ذكرته منها تقريب الخمس عشرة التى عدها حسان بن عطية وهى إن شاء الله

---

(١) فى القاموس منحه الناقة جعل له وبرها ولبنها وولدها وهى المنحة — أى بكسر فسكون — والمنيحة — أى بفتح فكسر . ع

رواه البخارى (المنيحة) أن يعطيه إياها ليأكلَ لَبنها ثم يردَّها إليه

« الثالث والعشرون » عن عـدى بن حاتم رضى الله عنـه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اتقوا النارَ ولو بِشِقِّ تمرةٍ » متفق عليـه (وفى رواية لهما) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامنكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربُّه ليس بينه وبينه تَرجُمَان فينظر أيمن منه فلا يرى إلاَّ ماقدَّم ، وينظر أشأمَ

لا تخرج عما ذكرته ومع ذلك فأنا موافق لابن بطال فى إمكان تتبع أربعـين خصلة من خصال الخير أعلاها منيحة العنز وموافق لابن المنير فى رد كثير مما ذكره ابن بطال مما هو ظاهر أنه فوق المنحة اهـ كلام الحافظ (رواه البخارى) ورواه أبو داود أيضاً (المنيحة) بوزن عظيمة (أن يعطيه إياها ليأكل لبنهـا ثم يردها اليه) هذا أحد معنييها كما سيأتى فى باب الكرم والجود عن أبى عبيد

(وعن عدى بن حاتم الطائى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار) بأن تتخذوا مايقيكم من عذابها من صالح العمل والصدقة (ولو) كان التصدق (بشق) بكسر الشين المعجمة أى نصف (تمرة) قال السيوطى فى مختصر النهاية : شق كل شىء نصفه ، وقال ابن مالك : هنا ببعض تمرة وتجوز بالشق عنه (متفق عليه) ورواه النسائى من حديث عدى أيضاً ورواه أحمد عن عائشة والبزار والطبرانى فى الأوسط والضياء والبزار عن النعمان بن بشير وعن أبى هريرة والطبرانى فى الكبير عن ابن عباس وعن أبى أمامة كذا فى الجامع الصغير للسيوطى (وفى رواية لهما) أى للشيخين (عنه) أى عن عدى (قال قال رسول الله ﷺ ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه) بالكلام النفسى القائم بذاته عز وجل ويسمعه كما يريد الله كما سمعه الكليم (ليس بينه) أى الله (وبينه) أى المكلم (ترجمان) بضم الفوقية وتفتح الذى يترجم الكلام من لغة الى أخرى والألف والنون زائدتان قال ابن مالك : والمراد هنا الرسول لأن الله تعالى لا يخفى عليه شىء فيكون كلامه فى الآخرة بالوحى لا بالرسول (فينظر العبد أيمن منه) أى فى الجانب الأيمن (فلا يرى الا ما قدم) من صالح عمله (وينظر أشأم) بالهمزة

منه فلايرى إلاَّ ماقدَّم ، وينظر بين يديه فلايرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمةٍ طيبة »

« الرابع والعشرون » عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليرضى عن العبد أن يأ كل الأ كلة فيحمَدَه عليها أو يشربَ الشَّربة فيحمَدَه عليها » رواه مسلم (والأ كلة) بفتح الهمزة وهى الغدوة أو العشوة

« الخامس والعشرون » عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « على كل مسلمٍ صدقةٌ »

(منه) أى فى الجانب الايسر (فلا يرى الا ما قدم) من سيء عمله (وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء) بكسر الفوقية أى حذاء (وجهه فاتقوا النار) باتخاذ صالح العمل وقاية منها (ولو) كان الاتقاء (بشق تمرة فان لم يجد) شيئا يتقى به النار (ف)ليتق منها (بكلمة طيبة) أى بقول حسن يطيب به قلب المسلم

(وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليرضى عن العبد أن) بفتح الهمزة أى فى أن (يأ كل الأ كلة) بفتح الهمزة كما سيأتى وأتى ببناء المرة فيه وفيما بعده إشعارا بأنه يستحق الحمد على النعمة وإن قلت ، (فيحمده عليها) يحصل أصل السنة بقوله الحمد لله وسيأتى فى باب آداب الطعام بيان أ كمله قال ابن مالك : من السنة ألا يرفع صوته بالحمد عند الفراغ من الأ كل إذا لم يفرغ جلساؤه كيلا يكون منعاً لهم (أو يشرب) بالنصب (الشربة فيحمده عليها . رواه مسلم) ورواه أحمد والترمذى والنسائى كما فى الجامع الصغير (والأ كلة بفتح الهمزة المرة من الأ كل حتى يشبع هـذا قاله الجوهرى (وهى الغدوة) بفتح المعجمة وسكون المهملة اسم للمأ كول أول النهار (أو العشوة) المأ كول آخره

(وعن أبى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ على كل مسـلم) حق متأ كد كل يوم (صدقة) شـكراً لنعم الله التى لا تعد ولا تحد ، فالمراد منها هنا العموم البدلى و إن كانت فى سـياق الاثبات و يدل له ورود التصريح به فى الرواية السابقة كل سلامى من الناس عليه صدقة . وقد تقدم فى خبر الصحيحين أنها ثلاثمائة وستون وعند أحمد وأبى داود مرفوعا « فى الانسان ثلاثمائة وستون

قال أرأيت إن لم يجد ، قال « يعمل بيديه فينفعُ نفسهُ ويتصدقُ » قال أرأيتَ إن لم يستطع ، قال (يعين ذا الحاجة الملهوف) قال أرأيت ان لم يستطع ، قال (يأمر بالمعروف أو الخير) قال أرأيت إن لم يفعل ؟ قال (يُمسك عن الشر فإنها صدقة) متفق عليه

﴿ باب الاقتصاد فى الطاعة ﴾

مفصلا فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه قالوا ومن يطق ذلك يانبي الله ؟ قال النخاعة فى المسجد فيدفنها والشيء ينحيه عن الطريق ، فان لم يجد فركعتا الضحا تجزيه صدقة » كما تقدم (قال أرأيت) بفتح التاء أى أخبرنى (إن لم يجده) أى مايتصدق به من المال (قال يعمل بيديه فينفع نفسه) بعمله أى بثمنه أو بأجره أو بثمره (ويتصدق منه) ففيه الحث على اكتساب ما تدعو اليه حاجة الانسان من طعام وشراب وملبس ليصون وجهه عن الغير وما يتصدق به ليكتسب الثواب الجزيل بالقصد الجميل (قال أرأيت إن لم يستطع) العمل المذكور ليتصدق منه (قال يعين ذا الحاجة الملهوف) قال المصنف : الملهوف عند أهل اللغة يطلق على المتحسر وعلى المضطر وإعانته أن يحمله على دابته أو يعينه على حمل متاعه عليها أو يوصل حاجة لمن لا يقدر على إيصالها من ذى سلطان ونحوه ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه . (قال أرأيت إن لم يستطع قال يأمر بالمعروف أو الخير) شك من الراوى (قال أرأيت إن لم يفعل) أى وهو معذور فى ترك ذلك أو كان الأمر بذلك المعروف ليس مفروضا على الكفاية (قال يمسك) بضم الياء أى يمسك نفسه ويحبسها (عن الشر) بألا يفعل شيئا منه فيلزم من ذلك القيام بجميع الواجبات وترك المحرمات ومنه أى من الشر ترك الفرائض (فانها) أى هذه الخصلة (صدقة) منه على نفسه لسلامتها من الهلاك وعلى غيره لكف الشر عنه بل هذا هو الشكر الواجب الكافى فى شكر هذه النعم وغيرها أما الشكر المستحب فبأن يزيد على ذلك بنوافل الطاعات القاصرة كالأذكار والمتعدية كالصدقة والاعانة (متفق عليه)

﴿ باب الاقتصاد ﴾

أى التوسط (فى) أداء (العبادة) ابقاء على النفس ودفعاً للملل عنها .

قال الله تعالى (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) وقال تعالى (يريد الله بكم اليُسرَ ولا يريد بكم العسر)

ونفس الانسان فى الطريق المعنوى كدابة فى الطريق الحسى ، فكما أنه إذا جد على دابته الحسية وكدها بالأحمال الثقيلة وقطع المسافات الطويلة انقطعت به فى أثناء الطريق ولم يصل إلى مقصده، وإذا رفق بها وماشاها وصل إلى المراد وهان عليه ببلوغه لمقصده مالقيه من مشقة السفر كذلك هنا . قال ابن رسلان فى شرح سنن أبى داود قال الحسن : نفوسكم مطاياكم فأصلحوا مطاياكم توصلكم إلى ربكم . فمن وفى النفس حقها من المباح بنية صالحة كالتقوى به على صالح العمل ومنعها من شهواتها وحظها كان مأجوراً فى ذلك كما قال معاذ : إنى احتسبت نومتى كما احتسبت قومتى، ومتى قصر فى حقها حتى ضعفت وتضررت كان ظالما لها ، وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله لعبد الله بن عمرو « إنك اذا فعلت ذلك نفهت له النفس وهجمت له العين » . ومعنى « نفهت » بكسر الفاء أعيت وكلت ومعنى « هجمت العين » غارت . وقال لأعرابى جاءه وأسلم ثم أتاه من عام قابل وقد تغير فلم يعرفه ، فلما عرفه سأله عن حاله فقال ما أكلت بعدك طعاما بنهار ، فقال : « ومن أمرك أن تعذب نفسك، » فمن عذب نفسه بأن حملها على مالا تطيق من الصيام ونحوه فربما أثر ذلك فى ضعف بدنه وعقله فيفوته من الطاعات أكثر مما حصله بتعذيب نفسه بالصيام ونحوه اه والعبادة غاية التذلل فهى أبلغ من العبودية إذ هى إظهار التذلل

(قال الله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * وقال الله تعالى يريد الله بكم اليسر) بسكون المهملة وقرىء بضمها لغتان وكذلك العسر كما تقدم ذلك (ولايريد بكم العسر) هو بمعنى يريد الله بكم اليسر كررت تأكيداً ، قال القرطبي فى التفسير : قال مجاهد والضحاك : اليسر الفطر فى السفر ، والعسر الصوم فيه والوجه عموم اللفظ فى جميع أمور الدين كما قال تعالى « وماجعل عليكم فى الدين من حرج » روى عنه ﷺ « دين الله يسر » وقال « يسروا ولا تعسروا » واليسر من السهولة ومنه اليسار للغنى وسميت اليسرى تفاؤلا أو لأنه يسهل له الأمر بمعاونتها لليمنى اه .

وعن عائشة رضى الله عنها « أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة ، قال من هذه ؟ قالت هذه فلانة تذكر من صلاتها ، فقال : مَهْ عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يَمَلُّ اللهُ حتى تَمَلوا

(وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة قال من هذه قالت هذه فلانة) قال المصنف فى المبهمات . قال الخطيب : هى الحولاء بنت تويب بن حبيب بن أسد بن عبد العزى (تذكر) بفتح الفوقية ، والفاعل عائشة ، وفى مسند الحسن بن سفيان : هذه فلانة وهى أعبد أهل المدينة وفى مسند أحمد : لاتنام تصلى ، وروى « يذكر » بالبناء للمفعول وبالتحتية أى يذكرون (من صلاتها) أى أنها كثيرة ، وروى « فذكر بفاء فضم » المعجمة فكسر الكاف (قال) ﷺ إشارة الى كراهة ذلك خشية الملل والفتور على فاعله فينقطع عن العبادة التى التزمها فيكون رجوعا عما بذل لربه من نفسه (مه) كلمة زجر بمعنى اكفف ، وما ذكر من كونه زجراً عن ذلك هو مااقتصر عليه فى فتح البارى ، قال السيوطى فى التوشيح : ويحتمل أن يكون زجراً لعائشة عن مدحها المرأة بذلك (عليكم من العمل بما تطيقون) الدوام عليه (فوالله) أتى به لتأكيد الأمر ، ويسن الحالف لمثل ذلك (لايمل الله حتى تملوا) بفتح الميم فى الموضعين والملال استقلال الشيء ونفور النفس عنه بعد محبته وهو محال على الله تعالى فاطلاقه عليه من باب المشاكلة نحو «وجزاء سيئة سيئة مثلها» قال السيوطى . هذا أحسن محامله ، وفى بعض طرقه عن عائشة « اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لايمل من الثواب حتى تملوا» من العمل . أخرجه ابن جرير فى تفسيره أى لا يقطع ثوابه ويتركه اه قال الحافظ العسقلانى فى فتح البارى : فى بعض طرق حديث ابن جرير مايدل على أنه مدرج من قول بعض الرواة اه قال القرطبي وجه المجاز فيما ذكر أن الله تعالى لما كان يقطع ثوابه عمن قطع العمل ملالا عبر عن ذلك بالملل تسمية للشيء باسم سببه هذا بناء على ابقاء حتى على مدلولها من انتهاء الغاية وقيل بتأويلها فالمعنى لايمل الله اذا مللتم وهو مستعمل فى كلام العرب يقولون : لاأفعل كذا حتى يشيب الغراب ومنه قولهم : البليغ لاينقطع حتى ينقطع خصومه ، لانه لو انقطع حين ينقطعون لم يبق له عليهم مزية . وهذا المثال أشبه مما قبله لأن شيب الغراب ليس ممكنا عادة بخلاف

وكان أحبَّ الدين اليه مادام صاحبه عليه » متفق عليه و (مه) كلمة نهى وزجر ، ومعنى (لا يَمَلّ الله) أى لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم ويعاملكم معاملة المالّ (حتى تَمَلُّوا) فتتركوا ، فينبغى لكم أن تأخذوا ما تُطِيقون الدوام عليه ليدوم ثوابه لكم وفضلُه عليكم

وعن أنس رضى الله عنه قال « جاء ثلاثة رَهْط

الملل من العابد . وقال المازرى حتى بمعنى الواو والمعنى أن الله لا يمل وتملون فنفاه تعالى عنه وأثبته لهم . وقيل حتى بمعنى حين والأولى أليق وأجرى على القواعد وهو أنه من باب المقابلة اللفظية (وكان أحب الدين اليه) عند المستملى « إلى الله » وهو يدل على أن الضمير فى اليه لله تعالى والا كثر على أنه لرسوله ﷺ ولا منافاة بينهما فان ما كان أحب الى الله كان احب إلى رسوله (مادام صاحبه عليه) قال ابن العربى معنى المحبة من الله تعالى تعلق الارادة بالثواب أى أكثر الاعمال ثوابا أدومها قال المصنف بدوام القليل تستمر الطاعة بالذكر والمراقبة والاخلاص والاقبال على الله بخلاف الكثير الشاق حتى ينمو القليل الدائم بحيث يزيد على الكبير المنقطع اضعافا كثيرة اه قال ابن الجوزى انما أحب العمل الدائم لان مداوم الخير ملازم للخدمة وليس من لازم وقتا فى كل يوم كمن لازم يوما وانقطع شهرا ولأنه بتركه العمل بعد دخوله فيه كان كالمعرض بعد الوصل فهو متعرض للذم والعضل اه ملخصا (متفق عليه . مه) بسكون الهاء اذا كان النهى عن أمر معين وبكسرها منونة إذا كان عن غير معين (كلمة نهى وزجر ومعنى لا يمل الله) أى المعنى المراد لا مدلول اللفظ لما قد عرفت وكأنه أشار إلى ذلك بالاتيان بأى فى قوله (أى لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم ويعاملكم معاملة المال حتى تملوا فتتركوا فينبغى لكم) إذ عرفتم مايترتب على العمل الشاق من الانقطاع (أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه) من العمل الصالح وإن قل (ليدوم ثوابه عليه لكم و) يستمر (فضله عليكم) لدوام تفضله بجعله سببا له

(وعن أنس رضى الله عنه قال جاء ثلاثة رهط) قال شيخ الاسلام زكريا فى تحفة القارى على صحيح البخارى يعنى ثلاثة رجال على بن أبى طالب وعبد الله ابن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون والا فالرهط لغة من ثلاثة إلى عشرة اه

إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها وقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غُفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم أما أنا فأصلي الليل أبدا وقال الآخر وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر ، وقال الآخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا

(إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون) يجوز أن يكون صفة للثلاثة وأن يكون حالا لها (عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم) أي عن قدرها ليتمسكوا بها ويقتدوا به في أفعاله فاخبروا بها (فلما أخبروها) فالفاء عاطفة على مقدر (تقالوها) بتشديد اللام المضمومة تفاعل من القلة أي عدوها قليلة قال الأُبي : في شرح مسلم : إنما تقالوها بالنسبة الى فهمهم ورب قليل عند شخص كثير في نفسه وكان الشيخ يعني ابن عرفة يقول الضمير انما هو عائد على أعمالهم لاستكثارهم عمله صلى الله عليه وسلم وهذا يرده أنه في البخاري حين تقالوه (قالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم أي بيننا وبينه بون بعيد ومسافة طويلة فأنا على صدد التفريط وسوء العاقبة وهو معصوم (وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) قال تعالى : «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» وهذا كناية عن تشريفه وتكميله والا فلا ذنب يصدر منه لعصمته من الذنوب مطلقا على سائر أحواله وتقدم وجه آخر (فقال أحدهم) وعند مسلم بعضهم (أما) حرف شرط فيه معنى التوكيد (أنا فاصلي الليل أبداً) أي أحييه بالقيام ولا أنام شيئا منه . (وقال الآخر) بفتح الخاء المعجمة (وأنا أصوم الدهر) أي ما عدا يوم العيد وأيام التشريق لحرمة صومها (ولا أفطر) في شيء من أيامه (وقال الآخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً) يحتمل أنه زهد فيه لكونه من المستلذات ولما يرى من أن النكاح شاغل عن كمال الجد في العبادة قال الجنيد ما رأينا من تزوج فبقي على حاله فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أعلم بما قالوه فجاء (فقال أنتم) بحذف ألف الاستفهام التقريري ، أي أنتم (الذين قلتم كذا وكذا) ويحتمل أنه أوحى له بما قالوه ولم يعلمه به أحد من البشر فأخبر به معجزة وتقدير الكلام فقالوا نعم إذ الاستفهام يقتضيه ، و يحتمل

أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقُدُ ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني »

ألا يكون على الاستفهام ويكون لينبئهم على علمه بكلامهم فيكون من قبيل ما يسمى عند علماء المعاني بلازم فائدة الخبر والاول أقرب (أما) بتخفيف الميم أداة استفتاح (والله اني لأخشاكم لله وأتقاكم له) لما جمع الله له من علم اليقين مع المعرفة القلبية واستحضار العظمة الالهية ما لم يجتمع لأحد سواه وأراد ﷺ رد ما بنى عليه القوم أمرهم حيث أعلمهم أنه مع كونه بالغا في الخشية أعلاها وفي العبادة منتهاها لم يفعل ما أرادوا فعله . ولو كان أحب الى الله مما هو عليه من الاقتصاد لفعله . والخشية خوف مقرون بمعرفة ، فهي أخص من الخوف إذ هو توقع العقوبة على مجاري الأنفاس واضطراب القلب من ذلك المخوف وقيل الخوف حركة والخشية سكون ، ألا ترى أن من رأى عدوا له حالة استقراره في محل يصل اليه فيه تحرك للهرب منه وهي حالة الخوف ومن رآه حالة استقراره في محل لا يصل اليه سكن وهي الخشية قال السيوطي في مرقاة الصعود قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : في الحديث إشكال لأن الخوف والخشية حالة تنشأ عن ملاحظة شدة النقمة الممكن وقوعها بالخائف وقد دل القاطع على أنه عليه السلام غير معذب فكيف يتصور منه الخوف فكيف أشد الخوف ؟! اقال والجواب أن الذهول جائز عليه عليه الصلاة والسلام فاذا حصل الذهول عن موجبات نفي العقاب حدث الخوف . وقد يقال إن إخباره بشدة الخوف وعظم الخشية عظم بالنوع لا بكثرة العدد أي إذا صدر منه الخوف ولو في زمن فرد كان أشد من خوف غيره اه (لكني أصوم) تارة (وأفطر) تارة أخرى (وأصلي) أي أتهجد في بعض الليل أداء لحق العبودية (وأرقد) أداء لحق النفس (وأتزوج النساء فمن رغب) أي أعرض (عن سنتي) طريقتي (فليس مني) « من » هذه تسمى اتصالية أي ليس متصلا بي ليسمى قريبا مني والسنة مفرد مضاف الى معرفة فتعم على الراجح وتشمل الشهادتين وأركان الاسلام فيكون الراغب عن ذلك مرتداً ، وقال المطرزي في شرح المصابيح : يعني من ترك ما أمرت به من أحكام الدين فرضاً أو سنة على سبيل الاستخفاف بي وعدم الالتفات إلي فليس مني لأنه كافر . أما من تركه لا عن إستخفاف بل عن

متفق عليه * وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا . رواه مسلم (المتنطعون) المتعمقون المتشددون فى غير موضع التشديد

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الدين يسر

الكسل لم يكن كافراً وحينئذ فقوله ليس منى أى من المقتدين بى والعاملين بسنتى اه (متفق عليه) واللفظ للبخارى وعند مسلم نحوه ، قال الأبى : وما دلت عليه الاحاديث من راجحية النكاح هو أحد قولين وهذا حين كان فى النساء المعونة على الدين والدنيا وقلة التكلف والشفقة على الأولاد ، أما فى هذه الازمنة فنعوذ بالله من الشيطان ومن النسوان فو الله الذى لا إله إلا هو لقد حلت العزلة والعزبة(١) بل ويتعين الفرار منهن فلا حول ولا قوة إلا بالله اه

(وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال هلك المتنطعون قالها) أى هذه الجملة وكررها (ثلاثا) تأكيداً فى النهى عنه « وكان صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لتفهم عنه » رواه البخارى . (رواه مسلم) وأحمد وأبو داود (المتنطعون) جمع متنطع اسم فاعل من التنطع بتقديم الفوقية على النون (المتعمقون المشددون فى غير موضع التشديد) وقال الخطابى : المتنطع المتعمق فى الشىء المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم ، وقال فى النهاية : المغالون فى الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم مأخوذ من النطع وهو الغار الاعلى من الفم ثم استعمل فى كل تعمق قولا وفعلا ، قال العاقولى : يدخل فى هذا الذم ما يكون القصد فيه مقصوراً على اللفظ ويجىء المعنى تابعا للفظ أما بالعكس فهو الممدوح وهو أن يدع الرجل نفسه تجرى على سجيتها فيما يروم التعبير عنه من المعانى كما قال :

أرسلت نفسى على سجيتها ... وقلت ما قلت غير محتشم اه

(وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال إن الدين) أل فيه للعهد أى دين الاسلام (يسر) قال الكرمانى : معناه إما ذو يسر أو أنه يسر على سبيل

---

(١) فى القاموس : الاسم العزبة والعزوبة مضمومتين والفعل كنصر اه . ع

ولن يشادَّ الدينُ إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغَدْوة والروحة وشيء من الدُّلْجة . رواه البخارى ، وفى رواية له « سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشىء من الدلجة القصدَ القصدَ تبلُغوا » (قوله الدين) هو مرفوع على مالم يسم فاعله وروى منصوبا

المبالغة نحو زيد عدل أى لشدة اليسر وكثرته فيه كأنه نفسه ، وقال الطيبى : يسر خبر إن وضع موضع المفعول مبالغة (ولن يشاد الدين إلا غلبه) قال الطيبى : بناء المفاعلة فى « يشاد » ليس للمغالبة بل للمبالغة نحو طارقت النعل وهو من جانب المكلف . «قلت» والمعنى لا يتعمق أحد فى الاعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع عن عمله كله أو بعضه ، ويحتمل أن يكون للمبالغة على سبيل الاستعارة والمستثنى منه أعم الأوصاف أى لم يحصل ويستقر ذلك المشاد على وصف من الأوصاف إلا على أنه مغلوب (فسددوا) الفاء جواب شرط مقدر أى إذا بينت لكم ما فى المشادة من الوهن فسددوا أى الزموا السداد وهو التوسط من غير إفراط ولا تفريط ، قال أهل اللغة السداد التوسط (وقاربوا) أى إن لم تستطيعوا العمل بالأكمل فاعملوا مايقرب منه وقد تقدم فى آخر باب الاستقامة فى الاصل معنى السداد والمقاربة (وأبشروا) بالثواب على العمل الدائم وإن قل (واستعينوا) على تحصيل العبادات) بالغدوة والروحة شىء من الدلجة) قال فى التوشيح : بالضم قال فى مختصر القاموس والفتح فاقتصار التوشيح على الضم لأنه الرواية الصحيحة كما فى المشارق للقاضى عياض قال ويقال بفتح الدال أى مع سكون اللام وفتحها (رواه البخارى وفى رواية له) من حديث أبى هريرة (سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشىء من الدلجة) أى مضموم الى الغدوة والروحة (القصد) بالنصب على الاغراء أى الزموا التوسط فى الأمر من غير افراط ولا تفريط أو مفعول (تبلغوا) جواب الشرط المقدر أى إن تفعلوا ذلك على وجه القصد والمقاربة تبلغوا القصد من مرضاة ربكم ودوام القيام بعبوديته وإن تعاطيتم المشاق ربما مللتم فانقطعتم (قوله الدين) قال صاحب المطالع (وهو) فى أكثر الروايات (مرفوع على) أنه مفعول (ما) أى فعل (لم يسم فاعله) و« يشاد» عليه مبنى للمفعول (وروى منصوبا) باضمار الفاعل للعلم به ونقل العلقمى عن المصنف أنه قال : إن هذه أكثر الروايات قال الحافظ ابن حجر وجمع بينه وبين

وروى « لن يشاد الدين أحد » وقوله صلى الله عليه وسلم (إلا غلبه) أى غلبه الدين وعجز ذلك المشاد عن مقاومة الدين لكثرة طرقه و (الغدوة) سير أول النهار و (الروحة) آخر النهار و (الدلجة) آخر الليل . وهذا استعارة

كلام صاحب المطالع بأنه بالنسبة الى رواية المغاربة والمشارقة (وروى لن يشاد الدين أحد) أى بالتصريح بالفاعل قال الحافظ رواه هكذا ابن السكن وكذا هو فى طرق الحديث عند الاسماعيلى وأبى نعيم وغيرهم قال الزركشى وليس فى الدين على هذه الرواية الا النصب (وقوله صلى الله عليه وسلم إلا غلبه ، أى غلبه الدين) بالرفع فالضمير المرفوع المستكن يرجع اليه (وعجز ذلك المشاد عن مقاومة الدين لكثرة طرقه) أى ولا يمكن القيام بكلها فى كل وقت لأن الوقت لا يقبل عملين وليس للانسان فى جوفه من قلبين (والغدوة) بفتح الغين المعجمة المرة من (سير أول النهار) الذى هو الغدو (و) كذا (الروحة) فهى المرة من سير (آخر النهار) المسمى بالرواح ففى العبارة تجوز وتسامح ، قال السيوطى الغدو سير أول النهار والغدوة أى بالفتح المرة منه ، وبالضم ما بين صلاة الغدوة وطلوع الشمس اهـ (والدلجة) السير (آخر الليل) هذا قول بعض أهل اللغة واقتصر فى مختصر القاموس على أنه سير الليل كله وقد بسط ذلك القاضى عياض فقال فى المشارق : اختلف أرباب اللغة فى هذا أى فى ادلج بالتشديد والتخفيف وفى الادلاج بسكون الدال وتشديدها مكسورة هل يستعمل ذلك كله فى الليل كله أو بينها اختلاف ؟ فقيل ان ذلك كله يستعمل فى سير الليل كله ، والدلجة فتح الدال وضمها سواء فيها وانهما لغتان وأكثرهم يقول ادلج بتشديد الدال سار آخر الليل وأدلج بتخفيفها الليل كله يقال ساروا دلجة أى ساعة من الليل والدلج بفتح اللام والادلاج بسكون الدال والدلجة بفتح الدال سير الليل كله والادلاج بتشديد الدال والدلجة بضم الدال سير آخره ، وفى الهجرة : فيدلج من عندها سحرا اهـ . (وهذا) أى قوله استعينوا الخ (استعارة) بأن شبه استعانة السالك فى استعماله فى سلوك أوقات النشاط المقربة لوصوله لغاية سلوكه باستعانة المسافر السفر الحسى بسيره فى هذه الأوقات التى تنشط فيها الدواب وتقطع فيها المسافات التى يقرب بقطعها من مقصده ثم سرت

وتمثيل ومعناه « استعينوا على طاعة الله عز وجل بالأعمال فى وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم بحيث تستلذون العبادة ولا تسأمون وتبلغون مقصودكم ، كما أن المسافر الحاذق يسير فى هذه الأوقات ويستريح هو ودابته فى غيرها فيصلُ المقصودَ بغير تعب » والله أعلم

وعن أنس رضى الله عنه قال « دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فاذا حبلٌ ممدود بين الساريتين ، فقال ما هذا الحبل ؟ قالوا هذا حبل لزينب

الاستعارة منه الى الفعل فهى استعارة مصرحة تبعية (وتمثيل) بأن شبه ما يقطع من السالك من الاستراحة وقتها والتعبد أوقات النشاط والفراغ بحلول المسافر تارة وارتحاله فى أوقات النشاط أخرى فى الوصول الى المقصد فالواو فى كلامه بمعنى أو والاستعارة فى الوجه الاخير للمجموع ، ويحتمل أن يكون مراد المصنف أن ذلك استعارة تمثيلية والله أعلم (ومعناه استعينوا على طاعة الله تعالى بالأعمال فى وقت نشاطكم) هذا يرجع الى الغدوة والروحة (وفراغ قلوبكم) يرجع للدجلة (بحيث تستلذون الطاعة) وإن كانت شاقة فى ذاتها لمزيد النشاط وصفاء القلب مما يشغله عن استجلاء محاسن الطاعة (ولا تسأمون) لنشاطكم وفراغ قلوبكم (وتبلغون مقصودكم) من أداء العبودية حسب الطاقة (كما أن المسافر الحاذق يسير فى هذه الأوقات) لنشاط الدواب ببرد الهواء فيقطع فيها من المسافة ما لا يقطعه فى أطول منها من باقى الأوقات (ويستريح هو ودابته فى غيرها فيصل المقصود بلا تعب والله أعلم)

(وعن أنس رضى الله عنه قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم) زاد مسلم (المسجد فاذا حبل ممدود بين الساريتين) من سوارى المسجد وكأنهما كانا معهودين بين المخاطبين وعند مسلم ساريتين بالتنكير (فقال ماهذا الحبل ؟) أى ماسبب مده بهذا المكان (قالوا) أى الحاضرون (هذا حبل لزينب) قال الحافظ ابن حجر العسقلانى جزم كثير من الشارحين تبعا للخطيب فى مبهماته أنها بنت جحش ولم أر ذلك فى شىء من الطرق صريحا ثم نقل ماقد يؤخذ منه ذلك فقال من جملته : وأخرجه أبو داود عن شيخين له فقال عن أحدهما زينب بنت جحش وعن الآخر

فاذا فترتْ تعلقتْ به ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم حُلُّوهُ ، لِيَصلِ أحدُكم نشاطَه ، فاذا فَتر فليرقد» متفق عليه

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا نَعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النومُ فان أحدكم إذا صلَّى وهو ناعس

حمنة بنت جحش فهذه قرينة فى كون زينب هى بنت جحش ، وروى أحمد عن أنس أنها حمنة بنت جحش ، ولعل نسبة الحبل اليهما باعتبار أنه ملك لاحداهما والأخرى المتعلقة به ، قال : وقد تقدم أن كلا من بنات جحش تدعى زينب فيما قيل فالحبل لحمنة وأطلق عليها زينب باعتبار اسمها الآخر ، وعند ابن خزيمة فى صحيحه : فقالوا لميمونة بنت الحارث وهى رواية شاذة ، وقيل يحتمل تعدد القصة ، وزاد مسلم فقالوا لزينب تصلى (فاذا افترقت) بفتح الفوقية أى كسلت عن القيام فى الصلاة ووقع فى مسلم كسلت أو فترت بالشك (تعلقت به فقال النبي صلى الله عليه وسلم حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه) بفتح النون (فاذا فتر فليرقد متفق عليه) قال الحافظ بن حجر : فيه الحث على الاقتصاد فى العبادة والنهى عن التعمق فيها والأمر بالاقبال عليها بنشاط ، وفيه إزالة المنكر باللسان واليد ، وفيه جواز تنفل النساء فى المسجد

(وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال إذا نعس أحدكم) بفتح العين فى الماضى وضمها وفتحها فى المضارع وغلطوا من ضم عين الماضى ، والنعاس مقدمة النوم وعلامته سماع كلام الحاضرين وإن لم يفهم معناه (وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم) فى رواية النسائى « فلينصرف » والمراد به التسليم من الصلاة بعد تمامها فرضاً كانت أو نفلا فالنعاس سبب للنوم أو للامر به ولا يقطع الصلاة بمجرد النعاس ؛ وحمله المهلب على ظاهره فقال إنما أمره بقطع الصلاة لغلبة النوم عليه فدل على أنه إذا كان النعاس أقل من ذلك فلا قطع) فان أحدكم) أى الواحد منكم (إذا صلى وهو ناعس) غير بين لفظى النعاس فعبر أولا بلفظ الماضى وهنا بلفظ الوصف تنبيها على أنه لا يكفى وجود أدنى نعاس وتقضيه فى الحال ، بل لابد من ثبوته (١) بحيث يفضى إلى عدم درايته بما يقول وعدم علمه بما

---

(١) كذا ولعله « من غلبته »

لا يدرى لعله يذهب يستغفرُ فيسبُّ نفسه » متفق عليه

وعن أبى عبد الله جابر بن سَمُرة السوَّائى رضى الله عنهما

يقرأ « فان قلت » هل بين قوله نعس أحدكم وهو يصلى ، وقوله صلى وهو ناعس فرق؟ « قلت » أجيب بأن الحال قيد فى الكلام والقصد فى الكلام ماله القيد ، فالقصد فى الأول غلبة النعاس لا الصلاة لأنه العلة فى الأمر بالرقاد فهو المقصود الأصلى فى التركيب ، وفى الثانى الصلاة لا النعاس لأنها العلة فى الاستغفار فهى المقصودة فى التركيب إذ تقدير الكلام إذا صلى أحدكم وهو ناعس يستغفر(١) (لايدرى لعله يذهب يستغفر) أى يقصد الاستغفار (فيسب نفسه) أى يدعو عليها وهو ناعس عطفا على يستغفر والنصب جوابا للعل ، وجعل العارف بالله ابن أبى جمرة علة النهى خشية أن يوافق ساعة إجابة ، والترجى فى لعل عائد على المصلى لا إلى المتكلم به أى لايدرى أمستغفر أم ساب مترجياً للاستغفار وهو فى الواقع بضد ذلك . قال الطيبى والنصب أولى لأن المعنى لعله يطلب من الله الغفران لذنبه ليصير مزكى فيتكلم بما يجلب الذنب فيزيد العصيان على العصيان فكأنه سب نفسه قال ومفعول لا يدرى محذوف أى لايدرى ما يفعل وما بعده مستأنف بيانى والفاء فى فيسب للسبب كاللام فى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً (متفق عليه) ورواه مالك وأبو داود والترمذى وابن ماجه كما فى الجامع الصغير

(وعن أبى عبد الله) ويقال أبو خالد (جابر بن سمرة) بضم الميم ابن جنادة(٢) بن جندب بن حجير بن رباب بن حبيب بن سواءة بضم السين والمد بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بالمهملة ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (السوائى) هو وأبوه صحابيان (رضى الله عنهما) روى له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وستة وأربعون حديثاً اتفقا

---

(١) عبارة العلقمى : أجيب بأن الحال قيد وفضلة والقصد فى الكلام ماله القيد إلى اخر ما ذكره الشارح . ش

(٢) فى بعض نسخ المتن « سمرة بن عمر بن جندى » ولعلها محرفة والأصل « سمرة بن عمرو بن جندب » وفى القاموس ما يقتضى أن سمرة بن عمرو بن جندب غير سمرة بن جنادة بن جندب . فليتأمل . ع

قال « كنت أصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم الصلوات فكانت صلاته قصداً وخُطبته قصداً » . رواه مسلم (قوله قصداً) أى بين الطول والقِصَرِ

وعن أبى جحيفة وهب بن عبد الله رضى الله عنه قال : آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين سَلْمان وأبى الدرداء ؛ فزار سلمانُ أبا الدرداء ، فرأى أمَّ الدرداء

على حديثين وانفرد مسلم بثلاثة وعشرين توفى سنة ست وستين (قال كنت أصلى مع النبى ﷺ الصلوات) وفى رواية لمسلم « والله لقد صليت مع رسول الله ﷺ أكثر من ألفى صلاة ») فكانت صلاته قصداً) أى يأتى بكمالاتها ومسنوناتها من غير طول ولا قصر (وخطبته) أى للجمعة وغيرها (قصداً) إذ هو لما أوتى من جوامع الكلم كان يجمع المعانى الكثيرة فى الألفاظ اليسيرة ولم يبالغ فى الايجاز لانه بصدد البيان والمبالغة فيه تؤدى إلى خلاف ما هو بصدده غالباً . (رواه مسلم قوله قصداً أى بين الطول والقصر) بكسر ففتح

(وعن أبى جحيفة) بضم الجيم وفتح المهملة وسكون التحتية بعدها فاء ثم هاء (وهب بن عبد الله) وقيل ابن وهب السوائى بضم المهملة وتخفيف الواو والمد نسبة إلى سواءة بن عامر بن صعصعة المذكور فى نسب جابر بن سمرة روى له عن رسول الله ﷺ خمسة وأربعون حديثا اتفقا على حديثين منها وانفرد البخارى بحديثين ومسلم بثلاثة ، توفى النبى صلى الله عليه وسلم وأبو جحيفة صبي لم يبلغ الحلم ، وكان على بن أبى طالب يكرمه ويحبه ويثق به وجعله على بيت المال بالكوفة ، نزل الكوفة وابتنى بها داراً وتوفى بها سنة اثنتين وسبعين (رضى الله عنه قال آخى) بالمد والخاء المعجمة من المؤاخاة والمعاهدة على التناصر والقيام بحقوق الدين (النبى صلى الله عليه وسلم بين سلمان الفارسى وأبى الدرداء) عويمر الأنصارى لما آخى بين المهاجرين والانصار وذلك بعد قدومه المدينة بخمسة أشهر والمسجد يبنى كذا قيل ، وتعقب بأن سلمان إنما أسلم بعد وقعة أحد وأول مشاهده الخندق وأجيب بأن التاريخ المذكور هو ابتداء تاريخ الأخوة بين من ذكر ثم كان يؤاخى بين من يأتى بعد ذلك وهلم جراً ، وليس باللازم بأن تقع المؤاخاة دفعة واحدة حتى يرد ماذكر (فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء) الكبرى

متبذلة ، فقال ماشأنُكِ ؟ قالت أخوكَ أبو الدرداء ليس له حاجـة فى الدنيا ، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما فقال له كلْ فإنى صائم ؛ قال ما أنا بآكل حتى تأكل ، فأكل ، فلما كان الليـل ذهب أبو الدرداء يقوم ، فقال له نَمْ فنام ، ثم ذهب يقوم فقال له نَمْ ، فلما كان آخر الليـل قال سلمان قم الآن ، فصليـا جميعا ، فقال له سلمان : « إنَّ لربِّك عليك حقا ، وإن لنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ،

واسمها خيرة بفتح المعجمة وسكون التحتية بنت حدرد صحابية بنت صحابى ماتت قبل أبى الدرداء (متبذلة) بفتح المثناة والموحـدة وتشديد المعجمة أى لابسة ثياب البذلة بكسر الموحدة وسكون المعجمة وهى المهنة وزنا ومعنى ، والمعنى أنها تاركة للبس ثياب الزينة ، وعند الكشميهنى بتقديم الموحدة والتخفيف والمعنى واحد (فقال لها ماشأنك) زاد الترمذى فى روايته « يا أم الدرداء أمبتذلة » (قالت أخـوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا) فى رواية الدارقطنى « فى نساء الدنيا » وزاد فيه ابن خزيمة « يصوم النهار ويقوم الليل » (فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما) على وجـه القرى والكرامة (فقال بعد أن قرب الطعام (له) أى لسلمان (كل فانى صائم قال) سلمان (ما أنا بآكل زاد الباء لتأكيد النفى (حتى تأكل) وغرضه أن يصرف أبا الدرداء عن رأيه فيما يصنعه من جهد نفسه فى العبادة وغير ذلك مما شكته إليـه امرأته (فأكل) إكراما له فافطاره لعذر فيثاب عليه (فلما كان الليل) فى رواية ابن خزيمة وغيره « ثم بات عنده فلما كان الليل » أى أوله (ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له) سلمان (نم فنام ثم ذهب يقوم فقال له نم فلما كان من آخر الليل) أى عند السحر وكذا هو فى رواية ابن خزيمة ، وعند الترمذى « فلما كان عند الصبح » والدار قطنى « فلما كان فى وجه الصبح » (قال سلمان قم الآن فصليا) فى رواية الطبرانى « فقاما فتوضأ ثم ركعا ثم خرجا إلى الصلاة » (فقال له سلمان) مرشداً إلى حكمة الاقتصاد وترك الغلو فى العبادة (إن لربك عليك حقاً) من العبادة (وإن لنفسك عليك حقا (من الطعام الذى تقوم به بنيتها والمنام الذى يحصل به صحتها (ولأهلك) أى زوجك (عليك حقاً) هو إتيانها وقضاء وطرها زاد الترمذى وابن خزيمة « ولضيفك عليك

فأعط كل ذى حق حقَّه » فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « صدق سلمان » رواه البخارى

وعن أبى محمد عبد الله بن عمرو بن العاص

حقاً » زاد الدار قطنى « فصم وأفطر وصل ونم وأت أهلك » وذلك كالتفسير لقوله هنا (فأعط كل ذى حق حقه فأتى) أى أبو الدرداء (النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له) فى رواية الترمذى فأتيا بالتثنية وعند الدار قطنى ثم خرجا إلى الصلاة فدنا أبو الدرداء ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالذى قال له سلمان فقال له يا أبا الدرداء « إن لجسدك عليك حقاً مثل ما قال سلمان » ففى هذه الرواية أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إليهما بأنه علم بطريق الوحى ماجرى بينهما فيحتمل الجمع بأنه كاشفهما بذلك أولا ثم أطلعه أبو الدرداء على صورة الحال (فقال النبى صلى الله عليه وسلم صدق سلمان) وعند الطبرانى مرسلا قال : « كان أبو الدرداء يحيى ليلة الجمعة ويصوم يومها فأتاه سلمان » فذكر القصة مختصرة وزاد فى آخرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم « عويمر . سلمان أفقه منك » اه وعويمر هو اسم أبى الدرداء وفى رواية لأبى نعيم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد أوتى سلمان علما . قال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر ماشرحنا به الحديث ملخصاً : وفى الحديث من الفوائد مشروعية المؤاخاة فى الله وزيادة الاخوان فيه والمبيت عندهم وجواز مخاطبة الأجنبية للحاجة والنصح للمسلم وتنبيه من غفل وفيه فضل قيام آخر الليل وفيه جواز النهى عن المستحبات إذا خشى أن ذلك يفضى إلى السآمة والملل وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة أو المندوبة الراجح فعلها على فعل المستحب المذكور ، والوعيد الوارد فيمن نهى مصلياً عن الصلاة مخصوص بمن نهاه ظلماً وعدواناً وفيه كراهية الحمل على النفس فى العبادة وفيه جواز الفطر من صوم التطوع . ثم أطال الحافظ فى بيان الخلاف فى ذلك وفى لزوم القضاء (رواه البخارى) وغيره ممن تقدمت الاشارة إليه .

(وعن أبى محمد عبد الله بن عمرو بن العاص) قال المصنف أكثر ما يأتى فى كتب الحديث والفقه بحذف الياء وهو لغة والصحيح الفصيح اثباتها ولا اغترار بوجوده فى كتب الحديث أو أكثرها بحذفها اه * وفى شرح المشكاة للقارى

رضى الله عنهما قال : أُخبِرَ النبى صلى الله عليه وسلم أنى أقولُ « والله لأصومنَّ النهارَ ولأقومنَّ الليل ماعشتُ » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنت الذى تقول ذلك ؟ » فقلت له : قد قلته ، بأبى أنت وأمى يارسول الله قال فانك لاتستطيع ذلك ، فصم وأفطِر ، ونَم وقُم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام فان الحسنة بعشر أمثالها وذلك

الأصح عدم ثبوت الياء إما تخفيفاً أو بناء على أنه أجوف ويدل عليه مافى القاموس : الاعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس العاص وأبو العاص وأبو العيص اه فعليه لايجوز كتابة العاص ولا قراءته بالياء لاوصلا ولا وقفاً إذ هو معتل العين خلاف ما يتوهمه بعض الناس من أنه اسم فاعل من عصى فيجوز اثباتها وحذفها وصلا ووقفا بناء على أنه معتل اللام اه (رضى الله تعالى عنهما قال أخبر) بالبناء للمفعول (النبي صلى الله عليه وسلم أنى أقول والله لأصومن النهار) أى كل نهار قابل للصوم ليخرج يوم العيد وأيام التشريق (ولأقومن الليل) أى جميعه (ما) مصدرية ظرفية (عشت) أى مدة عيشتى أى حياتى (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى لى (أنت الذى تقول ذلك) أى أأنت بتقدير همزة الاستفهام التقريرى والمشار إليه قوله لأصومن الخ (فقلت له قد قلته بأبى أنت وأمى) أى مفدى بهما (يارسول الله قال فانك لا تستطيع ذلك) قال الحافظ العسقلانى : يحتمل أن يريد لاتطيقه فى الحالة الراهنة لما علمه صلى الله عليه وسلم من انه يتكلف ذلك ويدخل به على نفسه المشقة ويفوته به ماهو أهم منه ، ويحتمل من أنه يريد لاتطيقه فى المستقبل لما سيأتى أنه بعد أن كبر وعجز قال : ياليتنى قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم فكره أن يوظف على نفسه شيئا من العبادة ثم يعجز عنه فيتركه لما تقرر من ذم ذلك (فصم وأفطر ونم وقم) لتقوى بالفطر والنوم على الصوم والقيام ، ولذا كان الأفضل صيام داود وقيامه الآتيان (وصم من الشهر ثلاثة أيام) هذا تفصيل لما أجمله فى قوله « فصم وأفطر » أى فصيام الثلاث من الشهر كصيامه (فان الحسنة بعشر أمثالها) هذا أقل درجات المضاعفة وتضعيف الحسنات من خصائص هذه الأمة نبه عليه القرافى ، وظاهر الحديث أن ذلك يحصل بصيام أى ثلاثة كانت من الشهر ، وقد اختلفت الأخبار فى أفضلها (وذلك) أى صيام الثلاث من كل

مثل صيام الدهر » قلت : فانى أطيق أفضل من ذلك ، قال « فصم يوما وأفطر يومين » قلت فانى أطيق أفضل من ذلك ، قال « فصم يوما وأفطر يوما فذلك صيام داود صلى الله عليه وسلم ، وهو أعدل الصيام » وفى رواية « هو أفضل الصيام »

شهر لكون الحسنة بعشر أمثالها (مثل صيام الدهر) فى أصل الثواب لا فيه مع المضاعفة المرتبة على صيامه بالفعل لئلا يلزم مساواة ثواب الأقل من الأعمال للأكثر منها مع التساوى فى سائر الأوصاف ، وقواعد الشرع تأباه ، قال فى فتح البارى : ومع ذلك فيصدق على فاعل ذلك أنه صام الدهر مجازاً (قلت إنى إطيق) عملا (أفضل من ذلك) أى أكثر ثوابا من صوم ثلاثة أيام وهو الزيادة فى الصوم المرتب عليها الزيادة فى الثواب لما عندى من القوى وفى مسلم عنه « إنى أطيق أكثر من ذلك » وسيأتى « إنى أجد قوة » وفى رواية عنه عند البخارى « إنى لأقوى من ذلك » وعند مسلم « إن بى قوة » وعنده أيضا « إنى أجدنى أقوى من ذلك » (قال فصم يوما وأفطر يومين) قال القلقشندى : وقع فى بعض طرق الحديث زيادة قبل هذا وهى « فصم من كل شهر ثلاثة أيام » وهى على شرط مسلم وفى بعض طرقه عند الشيخين « أما يكفيك من كل شهر ثلاثة أيام ؟ قلت يارسول الله ، قال خمساً ، قلت يارسول الله ، قال سبعاً قلت يارسول الله ، قال تسعاً ، قلت يارسول الله ، قال أحد عشر ، قلت يارسول الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا صوم فوق صوم داود شطر الدهر صيام يوم وإفطار يوم » فهذا يدل على أن الزيادة وقعت بالتدريج فذكر بعض الرواة ما لم يذكره الآخر (قلت فانى أطيق أفضل من ذلك قال صم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام) لأن النفس تكتسب فى يوم من القوى ما يجبر به ما لحقها من وهن الصوم فتدوم على العمل ولفظ أعدل لمسلم (وفى رواية) للبخارى (وهو أفضل الصيام) أى صيام التطوع فهو أفضل من صوم الدهر كما قاله المتولى وغيره خلافا لما أفتى به ابن عبد السلام ، والسر فى ذلك أن صوم الدهر قد يفوت به حق مفروض فيكون حراما أو مندوب آكد من الصيام فيكون مكروها وقد لا يفوت به شىء من ذلك فيباح لأنه قد لا يشق بالاعتياد بخلاف صوم

فقلت فانى أطيق أفضل من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا أفضل من ذلك » قال ولأن أكونَ قبلت الثلاثةَ الأيامَ التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلىّ من أهلى ومالى .

يوم وفطر يوم قال الشيخ زكريا فى تحفة القارى « إن قلت » إذا صادف فطره يوم الاثنين أو الخميس وكانت عادته صومهما هل يحصل له فضيلة صومهما « قلت » الظاهر حصولها لأن عدوله الى صوم داود إنما كان لعذر وهو طلب الأفضلية فهى تجبر ما فات بالافطار . (قلت فانى أطيق أفضل من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أفضل من ذلك) هو لعبد الله وغيره على قول المتولى لما تقدم . وعلى قول آخرين إن سرد الصوم أفضل منه فهو محمول على أن المراد لا أفضل منه فى حق عبد الله بن عمرو لما علمه صلى الله عليه وسلم من حاله وضعفه فى مآله واستدل له بأن النبي ﷺ لم ينه حمزة بن عمرو عن سرد الصوم ويرشده إلى صوم يوم وفطر يوم ولو كان أفضل فى حق كل الناس لأرشده اليه وبينه له إذ التأخير للبيان عن وقت الحاجة لا يجوز ، وقال الحافظ ابن حجر قوله « لا أفضل من ذلك » ليس فيه نفى المساواة صريحاً لكن قوله فى حديث عبدالله ابن عمرو عند البخارى « أحب الصيام إلى الله صيام داود » يقتضى ثبوت الافضلية المطلقة ورواه الترمذى عن ابن عمرو بلفظ أفضل الصيام صيام داود وكذا رواه مسلم ومقتضاه أن تكون الزيادة على ذلك من الصوم مفضولة (قال عبد الله) بعد كبره ومشقة ما سأل الازدياد فيه من النبي ﷺ حتى زاده حين كاد أن يعجز عنه ولم يعجبه أن يتركه لالتزامه فتمنى الأخذ بالرخصة والأخف فقال (و) الله (لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام) بالنصب عطف بيان على الثلاثة أو بدل والجر فيه ضعيف نحو الثلاثة الأثواب (التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى أشار أولا بها وبالاقتصار عليها ابقاء على النفس (أحب إلى من أهلى ومالى) قال فى فتح البارى ومع عجزه وتمنيه الأخذ بالرخصة لم يترك العمل بما التزمه بل صار يتعاطى فيه نوع تخفيف كما فى رواية ابن خزيمة من طريق حصين فكان عبد الله حين ضعف وكبر يصوم تلك الأيام كذلك يصل بعضها إلى بعض ثم يفطر بعدد تلك الأيام ليقوى بذلك وكان يقول : « لأن أكون قبلت الرخصة أحب إلى مما عدل

وفى رواية « ألم أُخبَر أنك تصوم النهار وتقومُ الليلَ ؟ قلت بلى يارسول الله . قال فلا تفعل ؛ صم ، وأفطر ، ونم وقم فان لجسدك عليك حقا ، وإن لعينك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا ، وإن لزَوْرِكَ عليك حقا ، وإن بحسْبك أن تصوم فى كل شهر ثلاثة أيام ، فان لك بكل حسنة عشر أمثالها ، فاذاً ذلك صيام الدهر . فشدَّدتُ

به لكنى فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره » وقوله ولأن أكون الخ رواه مسلم (وفى رواية) للبخارى (ألم أخبر أنك تصوم النهار) أى كل يوم قابل للصوم فأل فيه للاستغراق (وتقوم الليل) أى كل الليل على الدوام (قلت بلى يارسول الله) سيأتى فى مسلم ولم أرد بذلك إلا الخير (قال) تنبيها على طريق الرفق والسداد (لا تفعل) لما فى ذلك من كمال المشقة المفضى لثقل الطاعة على النفس ونفرتها منه وربما ملتها فانقطعت عنها بخلاف الرفق فانه يدوم به الأمر ويحسن به الشأن (صم وافطر ونم وقم فان لجسدك عليك حقاً) قال المهلب حق الجسد أن يترك فيه من القوة ما يستديم به العمل إذ إجهاد النفس فى العبادة قاطع لها عن الدوام كما تقدم ولن يشاد الدين إلا غلبه (وان لعينك) هذه رواية الكشميهنى بالافراد وعند غيره لعينيك بالتثنية (عليك حقاً) وهو النوم قدر ماينكسر به سورة السهر (وان لزوجك عليك حقاً) حق الأهل أن يبقى فى نفسه قوة يمكن معها الجماع فانه حق للمرأة تطالب به عند بعض العلماء وإذا عجز عن ذلك بالعنة وضربت المدة ولم يأتها جازلها الفسخ (وان لزورك) أى ضيفك (عليك حقا) وحقه خدمته وتأنيسه بالأكل معه والزور الضيف والرجل يأتيه زائراً والواحد والاثنان والثلاثة المذكر والمؤنث فيه بلفظ واحد لأنه مصدر وضع موضع الاسماء مثل قوم صوم ويحتمل أن يكون جمع زائر كركب وراكب (وإن بحسبك) الباء زائدة والسين ساكنة أى كافيك (أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام) وللكشميهنى فى كل شهر (فاذا بتنوين الذال وهى التى يجاب بها إن وكذا لو صريحا أو تقديراً وإن هنا مقدرة كأنه قيل إن صمتها فاذاً (ذلك صوم الدهر) مثل أصل ثواب صومه كما تقدم وروى بغير تنوين وهى للمفاجاة قال الحافظ فى فتح البارى وفى توجيهها هنا تكلف قال الشيخ زكريا والتقدير إن صمت ثلاثة أيام من كل شهر فاجاءك عشر أمثالها (فشددت) على نفسى فى عدم

فشُدد عليَّ . قلت يارسول الله إنى أجد قوة ، قل صم صيام نبى الله داود ولا تزد عليه . قلت وما كان صيام داود ؟ قال نصفُ الدهر فكان عبد الله يقول بعد ما كَبِر « ياليتنى قبلت رُخصةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم » وفى رواية « ألم أُخْبَرْ أنك تصومُ الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة ؟ فقلت بلى يارسول الله ولم أرِد بذلك إلا الخير قال فصم صوم نبىِّ الله داود فانه كان أعبدَ الناس . واقرأ القرآن فى كل شهر . قلت يانبىَّ الله إنى

قبول هذه الرخصة (فشدد) بالبناء للمفعول (على) فى زيادة العمل ثم بين ذلك بقوله (قلت يارسول الله انى أجد قوة) تحتمل الزيادة على صوم الثلاثة فى كل شهر (قال صم صيام داود) عليه السلام (ولا تزد عليه)لعظم فضله (قلت وما كان صيام داود) ما خبر كان مقدم عليها لأنه لكونه اسم استفهام له الصدارة (قال نصف الدهر) أى على سبيل التقريب وإلا فيوما العيد وأيام التشريق زائدة فى عدد أيام الفطر على عدد أيام الصوم (فكان عبد الله يقول بعدما كبر) بكسر الموحدة أى فى السن وشق عليه ثقل العمل ولم يتمكن من تركه لما تقدم (يا) قوم (ليتنى) وقيل إن «يا» للتنبيه (قبلت رخصة النبى ﷺ) بالتخفيف بصوم الثلاث (وفى رواية) لمسلم (ألم أخبر) بالبناء للمفعول (أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن) أى تختم المجتمع منه حينئذ (فى كل ليلة فقلت بلى يا رسول الله) أى أنا أفعل ذلك الذى أخبرت به وليس المراد اثبات أنه أخبر بذلك (ولم أرد بذلك) أى بصيامى المتتابع وقيامى (إلا الخير) أى اما ثواب الله تعالى وإما أداء عبوديته والقيام بما يجب لربوبيته (قال) وفى نسخة قيل فصم صوم داود ، زيادة « بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، قلت يارسول الله انى أطيق أفضل من ذلك ، قال فان لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً » (فصم صوم داود فانه كان أعبد الناس) أى غير النبى ﷺ إذ المتكلم لا يدخل فى عموم كلامه ولا يلزم من ذلك أن يكون أفضلهم بعد النبى صلى الله عليه وسلم لأن التفضيل بأعلى المراتب وأعلى المنازل موهبة من الله تعالى يختص برحمته من يشاء وحذف المصنف ما أوردناه من الحديث وهو عند مسلم اكتفاء بما قدمه (واقرأ القرآن) أى اختمه متهجداً به (فى) ليالى (كل شهر قلت يانبى الله انى

أطيق أفضل من ذلك . قال فاقرأه فى كل عشرين . قلت يانبى الله إنى أطيق أفضل من ذلك . قال فاقرأه فى كل عشر . قلت يانبى الله إنى أطيق أفضل من ذلك . قال فاقرأه فى كل سبع ولاتزد على ذلك . فشدَّدت فشُدد علىَّ وقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : إنكَ لاتَدْرى لعلك يطول بك عمْرٌ ،

قال فصرت إلى الذى قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فلما كِبرتُ ودِدت أنى كنت قبلت رخصة نبىِّ الله صلى الله عليه وسلم . وفى رواية « وإنَّ لوَلدِك عليك حقا » وفى رواية « لاَ صام مَنْ صام الأبد »

أطيق أفضل من ذلك) أى المذكور للصوم من الثلاثة الايام والقراءة فى الشهر (قال فاقرأه فى عشرين) ليلة قال (قلت يانبى الله انى أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه فى عشر) أى من الليالى قال (قلت يانبى الله انى أطيق افضل من ذلك) وفى نسخة أكثر من ذلك (قال فاقرأ فى سبع ولا تزد على ذلك)سيأتى فى كتاب الفضائل الخلاف فى بيان مدة الختم للقرآن واختلاف ذلك بحسب الأحوال وأن هذا محمول على حال من كان له بعض الاشتغال بحيث يمنعه عن الاكثار من التلاوة أو من التأمل فى معانيها عند الاكثار منها (فشددت) بطلب الزيادة (فشدد على) بها (وقال لى النبى صلى الله عليه وسلم) من باب الاخبار بالمغيبات مما يؤول إليه حاله من العجز والضعف (انك لا تدرى لعلك يطول بك عمرك) فتعجز عن القيام بمشاق العبادات ولعل معلقة لتدرى عن مفعوليه (قال) ابن عمرو (فصرت إلى الذى قال لى النبي ﷺ) أى من قوله لعلك يطول بك عمرك فذلك من معجزاته ﷺ (فلما كبرت) بكسر الموحدة (وددت) بكسر الدال المهملة (أنى كنت قبلت رخصة) تخفيف (النبي ﷺ) فى كل من الصيام والقيام (وفى رواية) أى لمسلم (وإن لولدك) بفتحتين مفرد وبضم فسكون جمعاً (عليك حقاً) أن تكتسب لهم وتنفق عليهم (وفى رواية) لهما أنه قال له (لا صام من صام الأبد) يحتمل أن يكون على وجه الدعاء وقيل إنه محمول على حقيقته أى بأن صام جميع أيام السنة ولم يفطر أيام العيد والتشريق وبهذا أجابت عائشة رضى الله عنها واختاره ابن المنذر وآخرون لكن تعقب بأنه يدل على أنه ما أجر ولا أثم وصائم تلك الأيام لا يقال فيه ذلك وإلا ظهر كما قال

قاله ثلاثا وفى رواية « أَحَبُّ الصيام إلى الله تعالى ، صيامُ داود ، وأحبُّ الصلاة
إلى الله تعالى ، صلاةُ داود ؟ كان ينام نصفَ الليل و يقوم ثلثه و ينام سدُسَه ،
وكان يصوم يوما و يفطرُ يوما ولا يفرُّ إذا لاقى »

بعض شراح مسلم أنه محمول على من تضرر به ويؤيده أن النهى لعبد الله بن عمرو
وقد عجز فى آخر عمره كما تقدم فنهى ابن عمرو لعلمه ﷺ بحاله فى ماله
ولذا أقر حمزة بن عمرو الأسلمى على صيام الدهر لعلمه بقدرته بلا ضرر وقيل
إنه إخبار بأنه ماصام أى ماوجد من مشقته مايجدها غيره وتعقبه الطيبى بأنه مخالف
لسياق الحديث ألا تراه كيف نهاه أولا عن صيام الدهر ثم حثه على صيام ثلاثة
أيام من كل شهر ثم حثه على صيام داود والأولى أن يكون خبراً عمن لم يمتثل أمر
الشرع (قاله) أى هذا اللفظ وكرره (ثلاثا) تنفيراً لابن عمرو من صوم الدهر
لعلمه بما له (وفى رواية) لهما أيضاً ورواه أحمد أيضاً (أحب الصيام إلى الله تعالى)
أى أكثر ما يكون محبوبا واستعمال أحب بمعنى محبوب قليل لأن الأكثر فى أفعل
التفضيل أن يكون من فعل الفاعل ونسبة المحبة فى الصيام والصلاة إلى الله تعالى
على معنى إرادة الخير لفاعلها أو كثرة الثواب فيهما (صيام داود وأحب الصلاة
إلى الله صلاة داود) أى أحب أوقات الصيام للصلاة وقت صلاة داود لما جاء فى
الحديث الآخر وأحب القيام قيام داود (كان ينام نصف الليل) ليستريح البدن
من تعب أعمال النهار (ويقوم ثلثه) بضمتين وهو الوقت الذى يتجلى فيه الرب
سبحانه ويقول هل من سائل هل من مستغفر (وينام سدسه) بضمتين ونومه
ليستريح من نصب القيام وبما ذكر يعلم أن مراد البيضاوى من قوله فى سورة «ص»
وكان يعنى داود يقوم نصف الليل اهـ بيان وقت ابتداء يقظته لا مدتها (وكان
يصوم يوما ويفطر يوما) ليجبر بالغذاء فيه الضعف الحاصل من الصوم قبله وإنما
كان هذا أحب لأنه أخذ بالرفق على النفوس التى تخشى منها السآمة التى هى سبب
ترك العبادة والله يحب أن يوالى فضله ويديم إحسانه ولأن فيه إبقاء لقوى النفس
التى تستعين بها على أداء العبادات ومجاهدة الكفار ولذا قال (وكان لايفر إذا لاقى)
العدو فى الحرب لقوة نفسه بما أبقى فيها وزاد النسائى وإذا وعد لم يخلف ولم يرها
الحافظ العسقلانى لغيره ومناسباتها بالمقام الاشارة إلى أن سبب النهى خشية أن

وفى رواية أنكحنى أبى امرأةً ذاتَ حسب ، وكان يتعاهد كَنَّتَهُ أى امرأة ولده فيسألها عن بعلها فتقول له نعم الرجل من رجلٍ لم يَطأ لنا فِراشا ولم يفتِّش لنا كَنَفاً منذ أتيناه ، فلما طالَ ذلك عليه ذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال القَنى به ، فلقيته بعدُ ،

يعجز عن الذى التزمه فيكون كمن وعد وأخلف (وفى رواية) هى للبخارى فى التفسير (أنكحنى أبى امرأة ذات حسب) بفتح المهملتين بعدهما موحدة وهو الشرف بالآباء وما يعده الانسان من مفاخرهم وقيل الحسب الفعل الحسن للرجل ولآبائه (وكان يتعاهد كنته) قال القاضى عياض فى المشارق بفتح الكاف (أى امرأة ولده) هذا بيان للمراد بالكنة فى هذا الحديث وأما هى لغة فامرأة ابن الرجل وامرأة أخيه (فيسألها عن بعلها) بفتح الموحدة وسكون المهملة زوجها (فتقول له) شاكية فى معرض الثناء والشكر (نعم الرجل) أى هو فالمخصوص بالمدح محذوف لدلالة ماقبله عليه من بيانية (رجل لم يطأ لنا فراشا) كناية عن المضاجعة والنوم معها على الفراش (ولم يفتش لنا كنفا) أى لم يكشف لنا سترا عبرت بذلك عن امتناعه عن الجماع قال ابن النحوى وبخط الدمياطى لم يدخل يده معها كما يدخل الرجل يده مع زوجته فى داخل ازارها قال وأكثر ما يروى بفتح أوليه من الكنف وهو الجانب تعنى انه لم يقربها (مذ أتيناه فلما طال ذلك عليه) أى على أبيه (ذكر ذلك للنبى ﷺ) يحتمل أن يكون سكوته عن ذلك أول ماذكرته له لأنه رآها راضية بذلك فلما كرر عليها السؤال تخوف أن يتعلق بولده فيكون عليها حق تذكره (قال القنى) بفتح القاف أمر من لقى (به فلقينه بعد) ذلك الأمر ، قال فى فتح البارى زاد النسائى وابن خزيمة وغيرهما من طريق أخرى عن مجاهد أى عن عبد الله بن عمرو «فوقع على أبى فقال زوجتك امرأة فعضلتها وفعلت وفعلت قال فلم ألتفت إلى ذلك لما كانت لى من القوة فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال القنى معه» . وفى رواية لأحمد من هذا الوجه ثم انطلق إلى النبى صلى الله عليه وسلم فشكانى ، وعند البخارى من طريق أبى المليح عن ابن عمرو قال : ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم صومى فدخل على فألقيت له وسادة ، وعند البخارى أيضاً عن ابن عمرو بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أنى أسرد الصوم وأصلى الليل

فقال « كيف تصوم » قلتُ كلَّ يوم ، قال « وكيف تختم » قلت كل ليلة ، وذكر نحو ماسبق ، وكان يقرأ على بعض أهله السُّبُعَ الذى يقرؤه يَعرِضه من النهار ليكون أخَف عليه بالليل ، و إذا أراد أن يتقوَّى أفطر أياما وأحصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئاً ، فارق عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، كلُّ هذه الروايات صحيحة معظمها فى الصحيحين ، وقليل منها فى أحدهما

وعن أبى رِبْعِيٍّ حنظلةَ بن الربيع الأُسيِّدِي الكاتب أحد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأما أرسل إلى وإما لقيته قال الحافظ ويجمع بينهما بأن يكون توجه بأبيه الى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه من غير أن يستوعب مايريد فى ذلك ثم أتاه الى بيته زيادة فى التأكيد (فقال) النبي صلى الله عليه وسلم لى (كيف تصوم قلت كل يوم قال وكيف تختم قلت كل ليلة ، وذكر نحو ما سبق ، وكان) عبد الله بعد كبره (يقرأ على بعض أهله السبع) بضم أوليه (الذى يقرؤه بالليل) أى يريد قراءته به (يعرضه) بكسر الراء (من النهار ليكون) لقرب عهده به (أخف قراءة عليه) (ب) صلاة (الليل و) كان (إذا أراد أن يتقوى أفطر أياما وأحصى) أى عد ما أفطر وهو خمسة عشر يوما متوالية (وصام) أياما (مثلهن) فى العدد (كذلك) أى متوالية (كراهة أن يترك شيئا فارق عليه) أى على الالتزام بالقيام به (النبي صلى الله عليه وسلم كل هذه الروايات) فى حديث ابن عمرو بن العاص (صحيحة معظمها فى الصحيحين وقليل منها فى أحدهما) وتقدمت الاشارة إلى البيان فى ذلك

(وعن أبى ربعى) بكسر الراء وسكون الموحدة وكسر المهملة وشد التحتية (حنظلة بن الربيع) وقيل ربيعة والأول أكثر ابن صيفي بن رباح بن الحارث ابن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمى (الأسيدى) بضم الهمزة (الكاتب) قيل له ذلك لأنه (أحد كتاب رسول الله ﷺ) وذكرهم ابن سيد الناس اليعمرى فى سيرته فقال أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعامر بن فهيرة وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أبى أحيحة وذكر شيخنا أبو محمد الدمياطى أخاهما سعيداً وعبد الله بن الأرقم الزهرى وحنظلة ابن الربيع الأسيدى وأبى بن كعب وهو أول من كتب له من الأنصار وثابت ابن قيس بن شماس وزيد بن ثابت وشرحبيل بن حسنة ومعاوية بن أبى سفيان

قال : لقيني أبو بكر رضى الله عنه ، فقال كيف أنت ياحنظلة ، قلت نافق حنظلةُ ، قال : سبحانَ اللهِ ماتقول ، قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأىَ عَيْنٍ ،

والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن زيد وجريم بن الصلت والزبير بن العوام وخالد بن الوليد والعلاء بن الحضرمى وعمرو بن العاص وعبد الله بن رواحة ومحمد بن سلمة وعبد الله بن عبد الله بن أبى ، ومعيقيب بن أبى فاطمة وعبد الله بن سعد بن سرح العامرى وهو أول من كتب له من قريش ثم ارتد فنزلت فيه « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً » قلت ثم أسلم يوم الفتح ولم ينقم عليه شىء بعد إسلامه ومات ساجداً وذكر فى كتابه أيضاً طلحة ويزيد بن أبى سفيان والأرقم بن أبى الأرقم والزهرى والعلاء بن عقبة وأبا أيوب الانصارى وخالد بن زيد وبريدة بن الحصيب والحصين بن نمير وأبا سلمة المخزومى وعبد الله بن عبد الأسد وحويطب ابن عبد العزى وأبا سفيان بن حرب وحاطب بن عمرو ؛ وروينا من طريق أبى داود عن ابن عباس قال : « السجيل كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم » وذكر ابن دحية فيهم رجلا من بنى النجار غير مسمى قال كان يكتب الوحى لرسول الله ﷺ ثم تنصر فلما مات لم تقبله الارض انتهى كلام ابن سيد الناس ملخصاً قال ابن إسحاق وبعث رسول الله ﷺ بحنظلة إلى أهل الطائف أتريدون الصلح أم لا فلما توجه إليهم قال ﷺ ائتموا بهذا وأشباهه ثم انتقل إلى فرقسا فمات بها روى له عن رسول الله ﷺ ثلاثة أحاديث تفرد به مسلم عن البخارى وأخرج له هذا الحديث (قال لقينى أبو بكر رضى الله عنه فقال كيف أنت يا حنظلة قلت نافق حنظلة) أى خاف على نفسه النفاق لما كان يحصل له من الخوف فى مجلس النبي ﷺ ويظهر عليه فتح كمال المراقبة والفكر والاقبال على الآخرة فاذا خرج واشتغل بما سيأتى ذهب عنه ذلك وأصل النفاق إظهار ما يكتم خلافه من الشر (قال) على وجه التعجب مما قلت (سبحان الله) أى تنزيها لله (ما تقول) أى تأمله وأنظر فيه وما استفهامية مفعول مقدم لتقول (قلت) أى فى بيان سبب قولى نافق حنظلة (نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كأنا) نراهما (رأى عين) كذا قال القرطبي أنه قيده بالنصب

فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : عافَسْنا الأزواجَ والأولادَ والضيعاتِ نسينا كثيراً . قال أبو بكر رضى الله عنه : (فوالله إنا لنلقى مثل هذا) فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت نافق حنظلةُ يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وماذاك ؟ »

وقال القاضى ضبطناه بالرفع كأنا ذووا رأى عين أى بحال من يراهما قال ويصح النصب على المصدر (فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا) سيأتى ضبطه ومعناه مارسنا (الأزواج والأولاد والضيعات) جمع ضيعة بالضاد المعجمة وهو معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة (فنسينا كثيراً) أى إذا خرجنا واشتغلنا بهذه الأمور وذهب منا ذلك الحال الذى كان ونحن عند النبى صلى الله عليه وسلم وسماع موعظته ومشاهدته (قال ابوبكر رضى الله عنه فوالله إنا لنلقى مثل هذا) قال القرطبى : فى هذا رد على من رغم دوام مثل ذلك الحال ولا يعرجون بسببها على أهل ولا مال . ووجه الرد ان ابا بكر افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة ، ومع ذلك فلم يدع خروجه عن جبلة البشر ولا ماهو من خاصة الملك من تعاطى دوام الذكر وعدم الفترة ، قال : وعلى الجملة فسنة الله تعالى فى هذا العالم الانسانى جعل تمكينهم فى قلوبهم ومشاهدتهم فى مكابدتهم . وسر ذلك ان هذا العالم متوسط بين عالمى الملائكة والشياطين ، فمكن الملائكة فى الخير بحيث يفعلون ما يؤمرون ، ويسبحون الليل والنهار لايفترون ، ومكن الشياطين فى الشر والاغواء بحيث لا يفعلون ما يؤمرون ، وجعل هذا العالم الانسانى متلوناً فيمكنه ويلونه ويفنيه ويبقيه ويشهده ويفقده ، وإليه أشار صاحب الشفاعة صلى الله عليه وسلم بقوله « ولكن ياحنظلة ساعة وساعة » وقال فى حديث أبى ذر : وعلى العاقل أن يكون له ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر فيها فى صنع الله إليه وساعة يخلو فيها لحاجته من مطعم ومشرب هكذا الكمال وما عداه ترهات وخيال والله أعلم . (فانطلقت أنا وأبو بكر) سائرين (حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نافق حنظلة يا رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك)

قلت يارسول الله ، نكون عندك تُذَكِّرنا بالنار والجنة كأنا رأىُ العين ، فاذا خرجنا من عندك عافَسْنا الأزواجَ والأولاد والضيعات نسينا كثيراً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لوتدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكةُ على فُرُشكم وفى طُرُقكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة . ثلاث مرات » رواه مسلم

اى الذى نافق به (قلت يارسول الله إنا نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة فكأنا رأى عين) أى فيحصل لنا من ذلك كمال الخوف والمراقبة والتفكر فى المآل والاقبال على الآخرة (فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً) أى فيذهب عنا غالب تلك الأحوال السنية ، فخشى حنظلة ان يكون اختلاف هذا الحال من النفاق ، فأعلمه النبى صلى الله عليه وسلم انه ليس مكلفاً بالدوام على الحال الذى يكون عليه عنده وان ذلك الاختلاف ليس نفاقاً (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذى نفسى بيده لو تدومون على ماتكونون عليه عندى) من المراقبة والتفكر فى المآل والاقبال على الله تعالى (وفى الذكر) قال القرطبي : هكذا صحت الرواية بالواو العاطفة للظرف الثانى على الظرف الأول فيفيد ان مصافحة الملائكة المذكورة فى قوله (لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم) موقوفة على حصول حالتين لنا على حال مشاهدة الجنة والنار مع ذكر الله تعالى ودوام ذلك ، فيعنى والله اعلم ان التمكن إنما هو ان يشاهد الأمور كلها بالله فاذا شاهد الجنة مثلا لم يحجبه ماشاهد من نعيمها وحسنها عن رؤية الله تعالى بل لا يلتفت إليها من حيث هى جنة بل من حيث انها هى محل القرب من الله تعالى ومحل رؤيته ومشاهدته فيكون فرقة فى جمعه وعطاؤه فى منعه ، ومن كان هكذا ناسب الملائكة فى معرفتها فبادرت الى اكرامه ومشافهته واعظامه ومصافحته والمسئول من الكريم المتعال أن يمنحنا من صفاء هذه الأحوال اه (ولكن ياحنظلة ساعة) أى لأداء العبودية (وساعة) للقيام بما يحتاجه الانسان قاله صلى الله عليه وسلم (ثلاث مرات) وكرره للتأكيد ودفع ما وقع فى نفسه أن ذلك من النفاق (رواه مسلم) قال البخارى فى كتاب الأخبار بفوائد الأخبار : حال العبد هو مقامه فى سره وشهوده بقلبه وصفته ومعناه ، وماكان كذلك فانها تكون لازمة له لا ينتقل

(قوله ربعى) بكسر الراء و (الأسيدى) بضم الهمزة وفتح السين وبعدها ياء مشددة مكسورة

عنها فى حال ولا يزول عنها بمعنى وأما كونهم عند النبي صلى الله عليه وسلم على ما كانوا عليه فان تلك مواجيد والمواجيد تجىء وتذهب لأنها عوارض تثبت فى الاسرار من خارج قال بعض العارفين الكبار : الوجد مقرون بالزوال والمعرفة ثابتة لا تزول قال فالحال الذى يجدونه فى أسرارهم عند كونهم عنده صلى الله عليه وسلم خلاف المعهود ثم يزول عنهم إذا رجعوا من عنده فكان الذى يجدونه عنده صلى الله عليه وسلم هو سلطان الحق وقوة سر النبي صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى قول أنس رضى الله عنه : ما نفضنا أيدينا من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا ، وذلك لأن سلطان النبوة زال عنهم وهو كان يقهر الأعداء و يجذب الأولياء ثمن قهره للأعداء قصته مع أبى جهل فى أمره بالوفاء بثمن الجمال لصاحبها فوفاه بها فى حضرته صلى الله عليه وسلم والذى يجده أصحاب النبي ﷺ عنده جذب الحق وقوة سر النبي صلى الله عليه وسلم وسلطانه كان يصرفهم عن الأشياء ويأخذهم عنها ويجذبهم منها من غير أن يكون ذلك حالة لهم فاذا خرجوا من عنده رجعوا الى أحوالهم من النظر الى الأولاد والشغل بالأموال فأخبرهم صلى الله عليه وسلم أن الذى يجدونه عنده لو كان حالهم ومقامهم لصافحتهم الملائكة ولم تصافحهم وهم عنده صلى الله عليه وسلم لأنها لم تكن حالهم ولكنها كانت حالة سلطان الحق ولو كان الذى يجدونه حالهم لكانت ثابتة لهم لأنها لو كانت حالهم لكانت موهبة لهم من الله تعالى عز وجل والكريم لا يعود فى هبته ولا يسلب كرامته اه (قوله) فى الكنية أبى (ربعى) هو (بكسر الراء) أى المهملة وتقدم ضبط باقى حروفه (والاسيدى) المذكور فى نسب حنظلة ضبطوه بوجهين قال المصنف فى شرح مسلم أصحهما وأشهرهما (بضم الهمزة وفتح السين) المهملة (وبعدها ياء) تحتية (مشددة مكسورة) والثانى كذلك إلا أنه باسكان التحتية ولم يذكر القاضى عياض إلا هذا وهو منسوب الى بنى أسيد بطن من تميم . وفى كتاب تقييد المهمل لأبى على الجيانى : الاسيدى بضم الهمزة وفتح السين وتخفيف الياء الاولى وقد شددها قوم يقال ذلك لكل من ينسب الى أسيد بن عمرو بن تميم ومنهم حنظلة بن الربيع الأسيدى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرف

وقوله (عافسنا) هو بالعين والسين المهملتين أى عالجنا ولاعبنا و (الضيعات) المعايش .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال « بينما النبى صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم ، فسأل عنه ، فقالوا أبو اسرائيل نذر أن يقوم فى الشمس ولا يقعد ، ولا يستظل ولا يتكلم و يصوم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : مُرُوه فليتكلمْ وليستظِلَّ وليْقعدْ وليتِمَّ صومه » رواه البخارى

بالكاتب اه (وقوله عافسنا هو بالعين والسين المهملتين) وقبل السين فاء قال الهروى وغيره : معناه حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به كذلك فى شرح مسلم وقريب منه قوله هنا (عالجنا) أى الضيعات (ولاعبنا) أى الاولاد والزوجات ففيه لف ونشر مشوش وهذا أنسب برواية الخطابى فانه روى هذا الحرف عانسنا بالنون بدل الفاء وفسره بلاعبنا وكان المصنف انما فسره بذلك لأنه جاء عن حنظلة فى رواية فى مسلم فقال بدل عافسنا الخ ضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة فأراد تفسير الروايات بالروايات ورواه القتيبى عانشنا بالنون والشين المعجمة وفسره بعانقنا والأول المذكور فى الاصل قال المصنف هو المعروف وهو أعم (والضيعات) بالضاد المعجمة وسكون التحتية أسباب (المعاش) من حرفة ونحوها كما تقدم ، سميت بذلك لأنها تحفظ صاحبها من الضياع

(وعن ابن عباس رضى الله عنهماقال بينارسول الله) وفى نسخة (النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذ) وفى نسخة إذا (هو برجل قائم فسأل عنه) أى عن اسمه وعن سبب قيامه (فقالوا هذا أبو اسرائيل) وهو كنية واسمه يسير مصغر يسر ضد العسر وهو أنصارى (نذر أن يقوم فى الشمس ولا يقعد) ضد القيام (ولا يستظل) ضد كونه فى الشمس أى بارزا لها وصرح بهما تأكيدا (ولا يتكلم)أى بغير الذكر (ويصوم فقال النبى ﷺ مروه فليتكلم) أى فليس النذر بالسكوت قربة فى شريعتنا (وليقعد) أى فى غير الصلاة وإلا فمن نذر القيام فى صلاة النفل لزمه (وليستظل وليتم صومه) إذ الصوم قربة ومن نذر أن يطيع الله فليطعه بخلاف أخواته (رواه البخارى) قال ابن رجب فى شرحه للحديث الخامس من الأربعين للمصنف : من تقرب إلى الله تعالى بعمل لم يجعله لله ورسوله

﴿ باب المحافظة على الأعمال ﴾

قال الله تعالى (أَلَمْ يأنِ للذين آمنوا أن تخشَعَ قلوبُهم لذكر الله وما نزل من الحق ولايكونوا كالذين أوتوا الكتابَ من قبلُ فطال عليهم الأمدُ فقست قلوبُهم) * وقال تعالى (وقَفَّينا بعيسى بن مريمَ وآتيناه الانجيلَ وجعلنا في قلوبِ الذين

قربة إلى الله فعمله باطل مردود عليه ثم قال : وليس كل ما كان قربة فى عبادة يكون قربة فى غيرها مطلقا « فقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا قائما فى الشمس » الحديث ، وقد روى أن ذلك كان فى يوم جمعة عند سماع خطبة النبى صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فنذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل مادام يخطب إعظاما لسماع خطبته ، ولم يجعل النبى ذلك قربة يوفى بنذره مع أن القيام عبادة فى مواضع أخر كالصلاة والأذان والدعاء بعرفة والبروز للشمس قربة للمحرم ، فدل على أنه ليس كل ما كان قربة فى عبادة يكون قربة فى غيرها أى كما توهمه الناذر بل إنما يتبع فى ذلك الوارد به الشريعة فى مواضعها اهـ

﴿ باب المحافظة على الاعمال ﴾

الصالحة وترك التهاون بها والتساهل فيها ، وقد أحسن المصنف فى تعقيب هذا الباب لما قبله لأن الحاصل من هذا الباب الترغيب فى ملازمة العبادة والطريق الموصل إلى ذلك الاقتصاد فيها ، لأن ذلك التشديد قد يؤدى إلى ترك العبادة المذموم كما تقدم . وقد سبق المصنف لهذا الترتيب الحافظ البخارى فعقب باب مايكره من التشديد فى العبادة الذى عبر عنه المصنف هنا بالاقتصاد فيها بباب مايكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه الذى عبر عنه المصنف هنا بباب المحافظة على الأعمال فاستحسنه الحافظ ابن حجر لما ذكرناه آنفا * (قال الله تعالى ألم يأن) يحن (للذين آمنوا) أنزلت فى شأن الصحابة لما أكثروا المزاح (أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل) بالتشديد والتخفيف (من الحق) القرآن (ولا يكونوا) معطوف على تخشع (كالذين أوتوا الكتاب من قبل) هم اليهود والنصارى (فطال عليهم الأمد) الزمن بينهم وبين أنبيائهم (فقست قلوبهم) لم تلن لذكر الله تعالى * (وقال تعالى وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين

اتبعوه رأفةً ورحمةً ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوانِ الله فما رَعَوْها حقَّ رعايتها) وقال تعالى (ولا تكونوا كالتى نقضتْ غزْلها من بعد قوة أنْكاثاً) *

اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية) هى رفض النساء واتخاذ الصوامع قال الكواشى : ورهبانية ليست معطوفة انما هى منصوبة بفعل مضمر يفسره المظهر تقديره وابتدعوا رهبانية قال وجوز بعضهم عطفها على ماقبلها وجعل ابتدعوها صفة ، تقديره وجعلنا فى قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة ، تلخيصه وفقناهم للتراحم اه (ابتدعوها) من قبل أنفسهم (ماكتبناهاعليهم) ما أمرناهم بها (إلا) لكن فعلوها (ابتغاء رضوان الله) وابتغاء رضوانه (١) امتثال أمره واجتناب نهيه (فما رعوها حق رعايتها) إذ تركها كثير منهم وكفروا بدين عيسى ، ودخلوا فى دين ملكهم وبقى على دين عيسى قليل منهم قال صلى الله عليه وسلم « من آمن بى وصدقنى فقدرعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن فأولئك هم الهالكون » أورده الكواشى وقال قبل حكاية هذا القول : والمعنى لم يرع مبتدعوا الرهبانية حق رعايتها كما يراعى الناذر نذره بأن قصروا فيما ألزموا به أنفسهم من الطاعات . قال الكواشى فى الآية تنبيه المؤمنين على أن من أوجب على نفسه شيئاً لم يكن واجباً عليه لزمه اتمامه ولا يتركه فيستحق اسم الفسق اه * (وقال تعالى ولا تكونوا كالتى نقضت) أفسدت (غزلها) ما غزلته (من بعد قوة) إحكام له وربط(٢) (أنكاثا) حال أو ثانى مفعولى نقض لتضمينه معنى الجعل أو مفعول مطلق لنقضت . جمع نكث وهو ما ينكث أى يحل إحكامه وهى امرأة حمقاء من مكة واسمها ريطة بنت سعد بن زيد مناة بن تميم ويقال هى من قريش وتوفيت بالجعرانة

---

(١) قوله وابتغاء رضوانه الخ لا يخفى أن تفسير الابتغاء بذلك لا يناسب ماقرره من أن الرهبانية مبتدعة غير مأمور بها لأن غير المأمور به كيف يبتدع امتثالا للأمر وانما يناسب القول الثانى الذى ذكره الكواشى وهو أنها مأمور بها وإلا للاستثناء والاستثناء متصل وأن المعنى لم تفرض الرهبانية عليهم إلا ابتغاء رضوان الله . ش

(٢) عبارة الجلالين : من بعد إحكام له وبرم

وقال تعالى (واعبد ربَّك حتى يأتيَك اليقين) .

(وأما الأحاديث) فمنها حديث عائشة « وكان أحبُّ الدين إليه ما داوم صاحبه عليه » وقد سبق فى الباب قبله

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نام عن حزبه من الليل أو عن شئ منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتِبَ له كأنَّمَا قرأه من الليل » رواه مسلم

قال السهيلى كانت تغزل فى طول يومها ثم تنقضه قال الخازن والمعنى أن هذه المرأة لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك من نقض عهده لاتركه ولا حين عاهد وفى به * (وقال تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) تقدم الكلام فيها فى باب المجاهدة .

(وأما الاحاديث) النبوية (فمنها حديث عائشة وكانت أحب الدين اليه ماداوم صاحبه عليه وقد سبق) مع شرحه (فى الباب قبله) أى باب الاقتصاد فى العبادة .

(وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه) بكسر المهملة وسكون الزاى قال القاضى عياض أصله النوبة من ورد الماء ثم نقل إلى مايجعله الانسان على نفسه من صلاة وقراءة وغيرهما ورواه ابن ماجه جزئه بضم الجيم وبهمزة بدل الموحدة وعند النسائى حزبه أو جزئه بالشك (من الليل أو عن شىء منه فقرأه) قال البيضاوى : يحتمل أن الاقتصار عليها فى الذكر لكونها أفضل الاذكار فباقى الاذكار مثلها ، ويحتمل أن يكون لاختصاصها بالثواب المذكور فى قوله « كتب له » الخ، ويحتمل أن يكون على سبيل المثال فمثله كل ورد من قول أو فعل اه وإلى الوجه الأخير يومىء كلام القاضى عياض السابق وعليه جرى العاقولى فى شرح المصابيح فقال : أى لو فاته ورده فأتى به (ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر) أى فى هذا الوقت الذى من شأن الناس الغفلة فيه عن العبادة (كتب له كأنما قرأه من الليل) أى أثبت أجره اثباتاً مثل اثباته عند قراءته له من الليل ، قال المصنف : فى الخبر دلالة على المحافظة على الأوراد

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياعبدَ الله لاتكن مثلَ فلان كان يقوم الليل فَتَرَكَ قيامَ الليل » متفق عليه

وعن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فاتته الصلاةُ من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثِنْتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً »

قال القرطبي . وهذه الفضيلة إنما تحصل لمن غلبه نوم أو عذر منعه من القيام به مع أن نيته القيام به ، وظاهره أن له أجره مكملا مضاعفاً وذلك لحسن نيته وصدق تلهفه وتأسفه وهو قول بعض شيوخنا ، وقال بعضهم : ويحتمل أن يكون غير مضاعف إذ التى يصليها ليلا أكمل وأفضل والظاهر الأول اه (رواه مسلم) قال المنذرى فى الترغيب : ورواه أصحاب السنن الأربعة وابن خزيمة فى صحيحه

(وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله ﷺ ياعبد الله لا تكن مثل فلان) قال الحافظ العسقلانى : لم أقف على تسميته فى شىء من الطرق وكأن إبهام مثل هذا لقصد الستر عليه قال : ولا ينبغى أن يبالغ فى الفحص عن تسمية من وقع فى حقه ما يذم به ، ويحتمل أنه ﷺ لم يقصد شخصاً معيناً وإنما أراد تنفير عبد الله من الصنع المذكور (كان يقوم الليل) وهذه رواية الأكثر باسقاط من ، وهى مرادة ، وهى مذكورة عند بعض رواة البخارى وعليها شرح الحافظ (ثم ترك قيام الليل) قال فى الفتح نقلا عن ابن العربى : فى الحديث استحباب الدوام على ما اعتاده المرء من خير من غير تفريط ، ويستنبط منه كراهة قطع العبادة وإن لم تكن واجبة (متفق عليه)

(وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل) أى التهجد (من) سببية (وجع أو غيره) كغلبة نوم أو عذر أهم منه (صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة) قال ابن حجر فى شرح المشكاة جبراً لفضيلة قيام الليل : لا قضاء له إذ ليست صلاة الليل منه ﷺ فى العدد كذلك والقضاء لا يزيد على عدد الأداء ، والدليل على مشروعية قضاء النافلة حديث أبى داود قال وسنده حسن خلافاً لتضعيف الترمذى له « من نام عن وتره أو

رواه مسلم

﴿ باب فى الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها ﴾

قال الله تعالى « وما آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانْتَهُوا) *
وقال تعالى (وما يَنْطِقُ عن الهوى ، إنْ هوَ إلا وحْيٌ يُوحَى) *
وقال تعالى (قلْ إنْ كُنْتُمْ تحبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُونى يحبِبْكُمُ اللهُ وَيغفرْ لكم ذنوبَكم) * وقال تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لِمَنْ كان يَرْجُو اللهَ واليومَ الآخِرَ) * وقال تعالى (فلا

سننه فليصل اذا ذكره » اهـ . (رواه مسلم) من جملة حديث كما فى المشكاة ، وروى هذه الجملة الترمذى فى الشمائل

﴿ باب الأمر بالمحافظة على السنة ﴾

أى ما جاء به صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال وأحوال (وآدابها) تقدم معنى الآداب أول الكتاب والأدب كالسنة فى أصل الطلب إلا أنه دونها فى التأكد ذكره المصنف فى الروضة * (قال الله تعالى وما آتاكم)أعطاكم (الرسول) من الفىء وغيره (فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قال السيوطى فى الاكليل : فى الآية وجوب امتثال أوامره ونواهيه ﷺ ، قال العلماء : وكل ماثبت عنه صلى الله عليه وسلم يصح أن يقال فيه إنه فى القرآن أخذا من هذه الآية *(وقال تعالى وما ينطق) بما يأتيكم به (عن الهوى) هوى نفسه (إن) ما (هو إلا وحى يوحى) اليه * (وقال تعالى قل) أى للكافرين القائلين مانعبد الاصنام إلا حبا لله ليقربونا اليه (إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) بمعنى أنه يثيبكم (ويغفر لكم ذنوبكم) تقدم فى باب المجاهدة فى حديث « أعنى على نفسك بكثرة السجود » أن محبة الله ملازمة لحب رسوله وبالعكس وأنهما متوافقان على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم * (وقال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة) بضم الهمزة وكسرها (حسنة) أى اقتداء به (لمن) بدل من لكم (كان يرجو الله) يخافه (واليوم الآخر) يوم القيامة ، وتقدم وجه لتسميته بالآخر فى حديث جبريل فى الاسلام والايمان والاحسان * (وقال تعالى فلا

وربِّك لايؤمنونَ حتَّى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بينهمْ ثم لا يَجدوا في أنفُسِهِمْ حرجاً مما قضيْتَ ويسلِّمُوا تسليما) * وقال تعالى (فانْ تنازعتمْ فى شىء فردُّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخِرِ) قال العلماء معناه « الى الكتاب والسنة » وقال تعالى (مَنْ يُطعِ الرسولَ فقد أطاع الله) * وقال تعالى (وإنك لتَهدى إلى صراطٍ مستقيم ، صراطِ الله) * وقال تعالى (فليحذَرِ الذين يخالفون عن أمره أن تصيبَهم فتنةٌ أو يصيبَهم عذابٌ أليم) * وقال تعالى (واذ كرْنَ مايُتلى فى بُيوتكنَّ من آيات الله والحكمة) * والآيات فى الباب كثيرة

وأما الأحاديث : (فالأول) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال

وربك) لازائدة (لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر)اختلط (بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجاً) ضيقا أو شكا (مما قضيت) به (ويسلموا) ينقادوا لحكمك (تسليما) من غير معارض ، وسيأتى فيها مزيد فى باب وجود الانقياد لحكم الله تعالى * (وقال تعالى فان تنازعتم) اختلفتم (فى شىء فردوه إلى الله والرسول ، قال العلماء : معناه إلى الكتاب والسنة) ونشر مرتب وكون المراد من قوله « والرسول » سنته هو بعد وفاته لف أما فى حياته فعلى ظاهر الآية كما فى الجلالين وغيره * (وقال تعالى من يطع الرسول) فيما أمر به (فقد أطاع الله) لأن الله أمر بطاعته واتباعه * (وقال تعالى إنك لتهدى) لتدعو بالوحى اليك (إلى صراط) طريق (مستقيم) دين الاسلام (وقال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى الله فان الامر له فى الحقيقة أو الرسول فانه المقصود بالذكر ، وعلى الوجه الثانى فيه مناسبة الآية للباب (أن تصيبهم فتنة) محنة فى الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) فى الآخرة * (وقال تعالى) مخاطبا لأمهات المؤمنين (واذ كرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله) القرآن (والحكمة) السنة ـ (والآيات فى الباب) أى فى باب المحافظة على السنة والاقتداء به واتباعه (كثيرة)

(وأما الاحاديث) النبوية فى ذلك (فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال) لما خطب وقال : « يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا

« دَعُونى ما تَرَكْتُكُمْ . إنما أهلَكَ من كان قبلَكم كثرةُ سؤالهم واختلافُهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه »

فقال رجل أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها مراراً ، فقال رسول الله ﷺ لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » ثم قال (دعونى) أى من كثرة السؤال ولفظ مسلم ذرونى (ما تركتكم) ما فيه ظرفية مصدرية وآثر تركتم على وذرتكم ماضى يذر لأن العرب لا تستعمله إلا فى الشعر قال سيبويه اغتناء عنه بترك ، وقال غيره لما كانت الواو ثقيلة وكان فى هذا الكلام بمعناه فعل لا واو فيه أنفوه حكاها القرطبي فى تفسير سورة هود من تفسيره الكبير وكذا ودع وقيل بل استعمل ودع قليلا ومنه قوله تعالى « ماودعك ربك » على قراءة التخفيف شاذاً وحديث « دعوا الحبشة ماودعوكم » ومعنى قوله ذرونى الخ لا تكثروا الاستفصال عن المواضع التى تفيد بوجه ظاهر وإن صلحت لغيره كما فى فحجوا فانه وان أمكن أن يراد به التكرار ينبغى أن يكتفى منه بما يصدق عليه اللفظ وهو المرة الواحدة فانها مفهومة من اللفظ قطعاً وما زاد مشكوك فيه فيعرض عنه ولا يكثر السؤال لئلا يقع الجواب بما فيه التعب والمشقة كما وقع لبنى اسرائيل نخاف رسول الله ﷺ على أمته من مثل ذلك ومن ثم قال (إنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم) وعند مسلم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم (واختلافهم) بالرفع لأنه أبلغ فى ذم الاختلاف إذ لا يتقيد حينئذ بالا كثرية بخلافه لوجر (على أنبيائهم) استفيد منه تحريم الاختلاف وكثرة المسائل من غير ضرورة لأنه توعد عليه بالهلاك والوعيد على الشىء دليل تحريمه بل كونه كبيرة ووجهه فى الاختلاف أنه سبب تفرق القلوب ووهن الدين وذلك حرام فسببه المؤدى اليه حرام وفى كثرة السؤال أنه من غير ضرورة مشعر بالتعنت أو مفض اليه وهو حرام أيضاً (فاذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه) دائما على كل تقدير مادام منهيا عنه حتما فى الحرام وندبا فى المكروه إذ لا يمتثل النهى إلا بترك جميع جزئياته وإلا صدق عليه أنه عاص أو مخالف وأيضا فترك المنهى عنه هو استصحاب حال عدمه والاستمرار على حال عدمه وليس فى ذلك مالا يستطاع حتى يسقط التكليف به وكون الداعى للمعصية قد يقوى حتى لا يستطاع الكف عنها نادر لا يعول عليه ، وخرج بقوله مادام الخ نحو أكل الميتة للمضطر وشرب المسكر لاساغة اللقمة لعدم النهى عنه

وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » متفق عليه

« الثانى » عن أبى نَجيح العِرْباضِ بن سارية رضى الله عنه

حينئذ (وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) أى أطقتم لان فعله هو اخراجه من العدم إلى الوجود وذلك متوقف على شروط وأسباب كالقدرة على الفعل ونحوها وبعضها يستطاع وبعضها لا يستطاع فكان التكليف بما يستطاع منه لان الله تعالى أخبر أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها قال المصنف وهذا الحديث موافق لقوله تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم » ولتوقف المأمور به على فعل بخلاف المنهى عنه فانه كف محض قال : فى ذلك فأتوا منه ما استطعتم وفى هذا فاجتنبوه ، وهذا من قواعد الاسلام المهمة ومما أوتيه صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم لأنه يدخل فيه ما لا يحصى من الاحكام وبه أو بالآية الموافقة له (١) يخص عموم قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وحديث أحمد فى مسنده عن عبد الله بن عمرو مرفوعا من جملة حديث قال فيه « أنظروا الذى أمرتم به فاعملوا به والذى نهيتم عنه فانتهوا عنه » فمن عجز عن ركن أو شرط لنحو وضوء أو صلاة أو قدر على غسل أو مسح بعض أعضاء الوضوء أو التيمم أو على بعض الفاتحة أو إزالة بعض المنكر أتى بالممكن وصحت عبادته (متفق عليه) ورواه أحمد وقال « فأتمروا ما استطعتم » وله طرق عن أبى هريرة ورواه الترمذى وأبو عوانة وابن حبان ، وقد بسط طرقه وتخاريجه الحافظ السخاوى فى تخاريج الاربعين للمصنف

(وعن أبى نجيح) بفتح النون وكسر الجيم وسكون التحتية بعدها مهملة (العرباض) بكسر المهملة وسكون الراء وبعدها موحدة آخره ضاد معجمة وأصله الطويل (ابن سارية) بمهملتين بينهما ألف وبعد الراء تحتية خفيفة السلمى من أهل الصفة وهو أحد البكائين وكان يقول إنه رابع الاسلام (رضى الله عنه) فى التهذيب للمصنف : قال محمد بن عوف الحمصى : كل واحد من العرباض ابن سارية ، وعمرو بن عنبسة كان يقول : أنا رابع الاسلام أى رابع من أسلم ولا يدرى أيهما أسلم قبل صاحبه اه نزل الشام وسكن حمص ومات فى فتنة ابن الزبير رضى الله عنهما ويقال سنة خمس وسبعين ، قال ابن حزم فى آخر سيرته : روى له عن النبى

---

(١) أى قوله تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم »

قال « وَعَظَنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظةً بليغةً وجِلت منها القلوبُ وذَرَفت منها العيونُ ، فقلنا يارسول الله كأنَّها موعظة مودِّعٍ فأوصنا ، قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإنْ تأمَّر عليكم عبد حبشى »

ﷺ أحد وثلاثون حديثا روى له أصحاب السنن الأربع (قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى بعد صلاة الصبح كما جاء فى رواية أخرى (موعظة) من الوعظ وهو النصح والتذكير بالعواقب وتنوينها للتعظيم أى موعظة جليلة وجاء فى رواية موعظة (بليغة وجلت) بكسر الجيم أى خافت (منها) أى من أجلها ويصح أن تكون لابتداء الغاية (القلوب) وكان المقام للتخويف فأتى بذلك لمناسبته (وذرفت) بفتح المعجمة والراء من باب ضرب سالت (منها العيون) أى دموعها وأخر هذا عما قبله لانه إنما ينشأ عنه غالبا (فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع) كأن وجه فهمهم لذلك مزيد مبالغته ﷺ فى تخويفهم وتحذيرهم على ما كانوا يألفون منه قبل فظنوا أن ذلك لقرب موته ومفارقته لهم ، إذ المودع يستقصى ما لا يستقصى غيره فى القول والفعل ، ففيه جواز تحكيم القرائن والاعتماد عليها فى بعض الاحيان لانهم فهموا توديعه بقرينة إبلاغه فى الموعظة أكثر من العادة (فأوصنا) أى وصية جامعة كافية (قال أوصيكم بتقوى الله) جمع فى هذا كل ما يحتاج اليه من أمور الآخرة لما مر أن التقوى امتثال الأوامر واجتناب النواهى وتكاليف الشرع لاتخرج عن ذلك (والسمع والطاعة) جمع بينهما تأكيداً للاعتناء بهذا المقام ومن ثم خصه بالذكر عاطفا له على ما يشمله وغيره وهو التقوى فهو من عطف الخاص على العام لمزيد الاهتمام ، ويحتمل أنه من عطف المغاير من حيث إن أظهر مقاصد التقوى انتظام الامور الأخروية والامامة أظهر مقاصدها انتظام الأمور الدنيوية ومن ثم قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : إن الناس لا يصلح لهم إلا إمام عادل أو فاجر . (وإن تأمر عليكم عبد) هو من باب ضرب المثل بغير الواقع على سبيل الفرض والتقدير وإلا فهو لاتصح ولايته أو من باب الأخبار بالمغيبات أى أن نظام الشريعة يختل حتى توضع

وإنه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهْدِيِّين ، عَضُّوا عليها بالنواجذ ،

الولاية فى غير أهلها والأمر بالطاعة إيثار لأخف الضررين (١) (وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا) فيه من معجزاته صلى الله عليه وسلم الاخبار بما يقع بعده من كثرة الاختلاف وغلبة المنكر وقد كان ﷺ عالما به جملة وتفصيلا لما صح أنه كشف له عما يكون إلى أن يدخل أهل الجنة والنار منازلهم ولم يكن يبينه لكل أحد وانما كان يحذر منه على العموم وكان يلقى بعض التفاصيل إلى الخصوص كحذيفة وأبى هريرة (فعليكم) الزموا حينئذ التمسك (بسنتى) أى طريقتى وسيرتى القويمة التى أنا عليها مما فصلته لكم من الأحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة وغيرها وتخصيص الأصوليين لها بالمطلوب طلبا غير جازم اصطلاح طارىء قصدوا به التمييز بينها وبين الفرض (وسنة) أى طريقة (الخلفاء الراشدين المهديين) وهم أبو بكر فعمر فعثمان فعلى فالحسن رضى الله عنهم وعن بقية الصحابة أجمعين فان ماعرف عن هؤلاء أو عن بعضهم أولى بالاتباع من بقية الصحابة اذا وقع بينهم الخلاف فيه . ومحل تقليد الصحابة بالنسبة للمقلد الصرف فى تلك الأزمنة القريبة من زمنهم أمافى زمننا فقال بعض أئمتنا لايجوز تقليد غير الأئمة الأربعة ، الشافعى ومالك وأبى حنيفة وأحمد لأن هؤلاء عرفت مذاهبهم واستقرت أحكامها وخدمها تابعوهم وحرروها فرعاً فرعاً وحكماً حكماً فقل أن يوجد فرع إلا وهو منصوص لهم اجمالا أوتفصيلا بخلاف غيرهم فان مذاهبهم لم تحرر وتدون كذلك فلايعرف لها قواعد يتخرج عليها أحكامها فلم يجز تقليدهم فيما حفظ عنهم منها لأنه قد يكون مشترطا بشروط أخرى وكلوها إلى فهمها من قواعدهم فقلت الثقة بخلو ماحفظ عنهم من قيد أو شرط فلم يجز التقليد حينئذ (عضوا عليها بالنواجذ) سيأتى معناها والمعنى عضوا عليها بجميع الفم احترازا من النهش وهو الأخذ باطراف الاسنان فهو إما مجاز بليغ فيه تشبيه المعقول بالمحسوس أو كناية عن شدة التمسك بالسنة والجد فى لزومها كفعل من أمسك

---

(١) إذ الصبر على ولاية من لايجوز ولايته أهون من إثارة الفتنة التى لادرء لها .

وإيَّاكُمْ ومُحْدَثاتِ الأمورِ فإن كلَّ بدعةٍ ضلالة »

بنواجذه شيأ وعض عليه لئلا ينزع منه لأن النواجذ محدودة فاذا عضت على شيء نشبت فيه فلا يتخلص وقيل معناه الأمر بالصبر على مايصيبه من العض فى ذات الله كما يفعله المتألم مما أصابه من الالم (وإياكم ومحدثات الأمور) كلاهما منصوب بفعل مضمر أى باعدوا أنفسكم واحذروا الأخذ بالأمور المحدثة فى الدين واتباع غير سنن الخلفاء الراشدين (فان) ذلك بدعة وان (كل بدعة) وهى لغة المخترع على غير مثال سابق ، وشرعا ما أحدث على خلاف أمر الشارع ودليله الخاص أو العام (١) (ضلالة) لأن الحق فيما جاء به الشرع فما لا يرجع اليه يكون ضلالة إذ ليس بعد الحق إلا الضلال والمراد بالضلالة هنا ماليس له أصل فى الشرع وإنما حمل عليه مجرد الشهوة أو الارادة بخلاف محدث له أصل فى الشرع إما بحمل النظير على النظير أو بغير ذلك فانه حسن إذا هو سنة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين فمنشأ الذم فى البدعة ليس مجرد لفظ محدث أو بدعة بل ما اقترن به من مخالفته للسنة ورعايته للضلالة ولذا انقسمت البدعة إلى الاحكام الخمسة لأنها إذا عرضت على القواعد الشرعية لم تخل عن واحد منها فمن البدع الواجبة على الكفاية تعلم العلوم المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة أو التى فيها حفظ الشريعة لان حفظها واجب على الكفاية فيما زاد على التعين ولا يتأتى حفظها إلا بذلك فوجب . ومن البدع المحرمة مذاهب سائر أهل البدع المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة ومن المندوبة كل إحسان لم يعهد فى الصدر الاول كاحداث نحو الربط والمدارس والكلام فى دقائق التصوف . ومن المكروهة زخرفة المساجد وتزويق المصاحف . ومن المباحة التوسع فى لذيذ المآكل والمشارب ، فعلم أن قوله « وكل بدعة ضلالة ، عام أريد به خاص إذ سنة الخلفاء الراشدين (٢) منها مع أنا أمرنا باتباعها لرجوعها إلى أصل شرعى ، وكذا سنتهم عام أريد به خاص إذ لو فرض

(١) كذا عرفها ابن حجر فى شرح الاربعين وهو يقتضى أنها لا تطلق على كل من الواجبة والمندوبة والمباحة لان كلا أحدث على أمر الشارع فحينئذ يكون اطلاقها عليه بالمعنى اللغوى أو بطريق المجاز . ش

(٢) قوله إذ سنة الخلفاء الراشدين الخ هكذا فى النسخ والذى يظهر إذ فى سنة الخلفاء بزيادة «فى» . ش

رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح (النواجذ) بالذال المعجمة الأنيـاب وقيل الاضراس

« الثالث » عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى »

خليفة راشد سن سنة لايعضدها دليل شرعى امتنع اتباعها ولا ينافى ذلك رشده لانه قد يخطىء المصيب ويزيغ المستقيم يوما ما (رواه) أحمد والدارمى فى مسنديهما ورواه عن أحمد (أبو داود) فى سننه (وكذا الترمذى وقال حديث صحيـح) وفى الاربعـين للمصنف وقال حديث حسن وفى نسخـة من كل من الرياض والاربعين وقال صحيـح حسن : وبالنسخة الثـانية يعلم أن المصنف اقتصر على أحد الوصفين فى كل من الـكتابين ، ويحتمل أن النسخ عنـده مختلفة فى ذلك فنقل عن كل من النسخ فى كتاب والله أعلم بالصواب ، ورواه ابن ماجه وأبو نعيم وقال حديث جيد من صحيـح حديث الشاميين وأخرجه الحاكم بنحوه فى مستدركه ، وكذا أخرجه الطبرانى فى الـكبير والبغوى فى معجم الصحـابة وله طرق كـثيرة واختلاف فى ألفاظه ورواياته ، وقد بسطها السخاوى فى تخريج الاربعين التى جمعها المصنف ثم قال : وبالجملة فقد قال الترمذى إنه حسن صحيح وقال الحاكم إنه صحيح على شرط الشيخين وصححه ابن حبان بل وعزى شيخنا يعنى الحافظ ابن حجر تصحيحه لابن خزيمة اه (النواجذ بالذال المعجمة الانياب) كذا اقتصر عليه القاضى عياض فى المشـارق (وقيل الاضراس) ومن هذا قوله فى الحديث « حتى بدت نواجذه » قال القاضى عياض فى المشارق : وهى الاضراس وقيل الضاحك ، والنواجذ أيضاً أواخر الاسنان وهى أضراس العقل اه أى الذى يدل نباتها على الحلم وهى من فوق وأسفل من كل من الجانبين فللانسـان أربع ، وأشار فى النهاية إلى أنه المشهور ، واقتصر عليه السيوطى فقال فى مختصر النهاية : النواجذ أواخر الاضراس واحده ناجذ اه وبهـذا المعنى فسر جمع النواجذ هنا

(وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم قال كل أمتى) أى أمة الدعوة (يدخلون الجنة إلا من أبى) بفتح الموحدة أى امتنع

قيل ومن يأبى يارسول الله ؟ قال من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى»
رواه البخارى

« الرابع » عن أبى مسلم وقيل أبى إياس سلمة بن عمرو بن الأكوع رضى الله عنه « أن رجلا

قال العلقمى : قال الحافظ : ظاهره أن العموم مستمر لأن كلا منهم لايمتنع من دخول الجنة فلذلك (قيل ومن يأبى ؟) أى يمتنع من دخولها (فقال) صلى الله عليه وسلم (من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى) قال فبين به أن إسناد الامتناع اليهم عن الدخول مجاز عن الامتناع عن سببه (١) وهو عصيان الرسول صلى الله عليه وسلم والموصوف بالاباء وهو الامتناع ان كان عن أصل الدخول فى الاسلام فكافر لا يدخل الجنة البتة وإن كان بعد الدخول فيه فالمراد منعه عن الدخول فيها مع الفائزين اه ، وقال العاقولى : لما كان المرتكب للمعصية كالراد لما دل على تحريمها من الكتاب والسنة أطلق عليه لفظ الاباء وأريد به استحقاقه النار وضعا للسبب موضع المسبب قال الجوهرى الاباء بالكسر أى والهمزة الممدودة ويقال باءة (رواه البخارى)

(وعن أبى مسلم) بصيغة اسم الفاعل من الاسلام (وقيل) يكنى بأبى اياس) ففيه حذف الجار وابقاء عمله ومثله سماعى وهو بكسر الهمزة بعدها تحتية ويقال أبو عامر (سلمة) بفتح أوليه (ابن عمرو بن الاكوع) واسمه سنان بن عبدالله ابن قشير بن خزيمة بن مالك بن سلامان بن أسلم الأسلمى (رضى الله عنه) شهد بيعة الرضوان بالحديبية وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلاث مرات فى أول الناس وأوسطهم وآخرهم وكان شجاعا راميا محسنا خيرا فاضلا غزا مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة وسبعون حديثا اتفقا على ستة عشر وانفرد البخارى بخمسة ومسلم بتسعة وكان يسكن المدينة ثم بعد قتل عثمان خرج الى الربذة فسكن بها ثم عاد قبل وفاته الى المدينة وتوفى بها سنة أربع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة (أن رجلا) قال المصنف

---

(١) لعله عن الاتيان بسببه . ش

أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله ، فقال كل بيمينك قال لا أستطيع ؛ قال لا استطعت ، مامنعه إلا الكِبْر فما رفعها إلى فيه » رواه مسلم

« الخامس » عن أبى عبد الله النعمان بن بشير رضى الله عنهما

فى المبهمات قال الخطيب هو بسر (١) بن راعى العير بفتح المهملة وسكون التحتية الأشجعى ونقله كذلك فى شرح مسلم وقال ذكره أبو نعيم وابن منده وابن ماكولا وآخرون وهو صحابى مشهور عده هؤلاء وغيرهم فى الصحابة (أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله) تكبرا (فقال كل بيمينك) أمر ندب على المعتمد والدعاء الآتى عليه لقصده مخالفة السنة النبوية (قال لا أستطيع قال) صلى الله عليه وسلم (لا استطعت) دعاء عليه لمخالفته الحكم الشرعى بلا عذر كما قال الراوى مبينا لذلك مدرجا له بآخر الحديث (ما منعه) من متابعة السنة (إلا الكبر) ولا يدل مجرد الكبر والمخالفة على نفاقه كما قال المصنف بل هو معصية إن كان الأمر فى قوله كل بيمينك أمر ايجاب ، وأخذ القاضى عياض من ذلك نفاقه ورده المصنف بما ذكر ومحل النهى عن الأكل بالشمال حيث لا عذر يمنع من الأكل باليمين من مرض أو قطع وإلا فلا كراهة حينئذ (فما رفعها الى فيه) اجابة لدعوته صلى الله عليه وسلم لاستحقاقه لها بقصده السابق (رواه مسلم) وأخرجه احمد وابن حبان ورواه الحافظ ابن حجر فى أمالى الأذكار من طريق الدارمى وقال « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا وفى آخره فما وصلت يمينه الى فيه بعد »

(وعن أبى عبد الله النعمان) بضم النون وسكون العين (ابن بشير) بفتح الموحدة وكسر المعجمة وسكون التحتية ابن سعد بن ثعلبة بن جلاس بضم الجيم وتخفيف اللام كذا قيده عبد الغنى المقدسى وغيره وقال ابن ماكولا هو خلاس بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام ابن بدر بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصارى هو وأبوه صحابيان (رضى الله عنهما) شهد أبوه العقبة الثانية وبدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول أنصارى بايع أبا بكر رضى الله عنه واستشهد مع خالد بن الوليد بعين التمر سنة اثنتى عشرة من الهجرة بعد انصرافه من اليمامة وأما النعمان فولد على رأس أربعة أشهر من الهجرة

---

(١) بضم الباء الموحدة . شرح مسلم

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لَتُسَوُّنَّ صفوفكم أو لَيخالِفنَّ الله بين وجوهِكم) متفق عليه . وفى رواية لمسلم :

وهو أول مولود من الانصار بعد الهجرة روى له عن رسول الله ﷺ مائة وأربعة عشر حديثاً اتفقا على خمسة منها وانفرد البخارى بحديث ومسلم بأربعة قتل النعمان بالشام بقرية من قرى حمص فى ذى الحجة سنة أربع وستين وقال ابن أبى خيثمة سنة ستين كذا نقل من التهذيب للمصنف ملخصا سكن النعمان الشام ثم ولى إمرة الكوفة (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتسون صفوفكم) بضم الفوقية وفتح المهملة وضم الواو وتشديد النون وقال البيضاوى هذه اللام هى التى يتلقى بها القسم والقسم هنا مقدر ولذا أكده بالنون المشددة وتسوية الصفوف اعتدال القائمين بها على سمت واحد (أو) عاطفة بفتح فسكون أى ليكونن منكم التسوية أو (ليخالفن الله بين وجوهكم) أى إن لم تسووا واختلف فى هذا الوعيد فقيل هو على حقيقته والمراد تشويه الوجه بتحويل خلقه عن موضعه بجعله موضع القفا أو تغيير صورة الانسان وتحويلها إلى صورة أخرى أو نحو ذلك ويؤيد حمله عليها (١) حديث أبى امامة « لتسون الصفوف أو لتطمسن الوجوه » رواه أحمد وفى اسناده ضعف ولذا قال ابن الجوزى (٢) إنه مثل الوعيد فى قوله « من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها » وقيل إنه محمول على المجاز قال المصنف معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب كما تقول تغير وجه فلان أى ظهر لى من وجهه كراهية لأن مخالفتهم فى الصفوف مخالفة فى الظواهر واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن ويؤيده رواية أبى داود فى حديث النعمان هذا أو ليخالفن الله بين قلوبكم والحاصل أن الوجه إن حمل على العضو المخصوص فالمخالفة إما بحسب الصورة الانسانية أو جعل القدام وراء وإن حمل على ذات الشخص فالمخالفة بحسب المقاصد أشار الى ذلك الكرمانى قال الحافظ ويحتمل أن يراد بالمخالفة فى الجزاء فيجازى المسوى بخير ومن لا يسوى بشر (متفق عليه وفى رواية لمسلم) عن النعمان

---

(١) أى على الحقيقة (٢) أى ولكونه محمولا على الحقيقة قال الخ

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسوى صفوفنا حتى كأنما يسوّى بها القداح ، حتى إذا رأى أنَّا قد عقَلنا عنه ثم خرج يوماً فقام حتى كاد أن يكبِّر ، فرأى رجلا بادياً صدرُه فقال « عباد الله لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهِكم »

« السادس » عن أبي موسى رضى الله عنه قال « احتَرَق بيت بالمدينة على أهله من الليل . فلما حُدِّث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأنهم قال : إنَّ هذه النارَ عدوٌّ لكم ، فاذا نمتم

(كان رسول الله ﷺ يسوى صفوفنا حتى كأنما يسوى بها القداح) قال المصنف بكسر القاف هو خشب السهام واحدها قدح بكسر القاف معناه يبالغ فى تسويتها حتى تصير كأنما يقوم بها السهام لشدة استوائها واعتدالها (حتى رأى أنا قد عقلنا) بفتح المهملة والقاف أى فهمنا (عنه ثم خرج يوما) للصلاة بالقوم (فقام حتى كاد يكبر) تكبير التحرم (فرأى) عطف على خرج أى أبصر (رجلا) حال كونه (باديا صدره) أى ظاهراً خارجا عن سمته (فقال عباد الله لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم) قال المصنف فيه الحث على تسويتها وفيه جواز الكلام بين الاقامة والدخول فى الصلاة وهذا مذهبنا ومذهب جماهير العلماء ومنعه بعض العلماء والصواب الجواز وسواء كان لمصلحة الصلاة أو لغيرها أو لا لمصلحة

(وعن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل) أى فيه . فى مغنى اللبيب فى معانى « من » أنها تكون مرادفة « فى » نحو قوله تعالى « اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة » اه قال المرادى فى الجنى الدانى وهو منقول عن الكوفيين ومن حججهم قول الشاعر

عسى سائل ذو حاجة إن منعته من اليوم مسئولا إن أيسر فى غد

قال ويحتمل أن تكون من فيه تبعيضية على حذف مضاف أى بعض مسئولات اليوم اه (فلما حدث) بالبناء للمفعول أى أخبر (رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأنهم قال إن هذه النار عدو لكم فاذا نمتم) قال فى المصباح نام ينام من باب تعب نوما ومناما فهو نائم والجمع نوم على الاصل ونيم على لفظ الواحد ونيام أيضا

فأطفئوها عنكم » متفق عليه

« السابع » عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ مَثَل ما بعثنى الله به من الهُدى والعلم كمثل غيث أصابَ أرضاً :

ويتعدى بالهمز والتضعيف اه والنوم زوال الشعور من القلب لاسترخاء أعصاب الدماغ بسبب رطوبات الابخرة الصاعدة اليه من المعدة والنعاس مقدمته (فأطفئوها) بقطع الهمزة (عنكم) قال القرطبي : الامر فى الحديث للارشاد قال وقد يكون للندب وجزم المصنف بأنه للارشاد لكونه لمصلحة دنيوية وتعقب بأنه قد يفضى الى مصلحة دينية وهى حفظ النفس المحرم قتلها والمال المحرم تبذيره وقال الطبرى إذا بات الواحد فى بيت ليس فيه غيره وفيه نار فعليه أن يطفئها قبل نومه أو يفعل بها ما يأمن معه الاحتراق ، وان كان فى البيت جماعة فانه يتعين على بعضهم وأخصهم بذلك آخرهم نوما فمتى فرط فى ذلك كان مخالفا للسنة قال المصنف والحديث عام يدخل فيه نار السراج وغيره أما القناديل المسرجة وغيرها إذا أمن الضرر كما هو الغالب فالظاهر أن لا بأس به اه ملخصا من فتح البارى (متفق عليه) ورواه ابن ماجه

(وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مثل) بكسر فسكون ويقال مثل بفتحتين وهو فى اللغة النظير ثم استعمل فى كل صفة أو حال فيها غرابة وهى المرادة هنا أى أن صفة (ما بعثنى الله به من الهدى والعلم) قال ابن ملك : ذكر فى العوارف الهدى وجدان القلب موهبة العلم من الله ويجوز أن يكون المراد منهما شيئا واحداً (كمثل غيث أصاب أرضا) قيل فيه تشبيه متعدد فشبه العلم بالغيث لأنه يحيي القلب الميت احياء المطر البلد اليابس وفى التعبير بالغيث دون المطر لطيفة إذ الغيث مطر محتاج اليه يغيث الناس عند قلة المياه وقد كان الناس متحيرين قبل بعثته ﷺ حتى أغاثهم الله بوابل علومه ، وشبه من ينتفع به بالأرض الطيبة وشبه من يحمله ولم ينتفع به بالارض الصلبة الماسكة للماء فينتفع به الناس وشبه من يحمله ولا ينتفع به بالقيعان وقال ابن ملك : الأولى أنه تشبيه مركب لتوقف أوله على آخره ألا ترى أنه وصف الغيث بقوله أصاب أرضاً فعلم أنه تشبيه واحد وهو تشبيه الوحى النازل من السماء إلى من ظهر نفعه وإلى من لم يظهر بالغيث النازل

فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء

من السماء إلى الارض ظهر نفعه فيها أو لم يظهر (فكانت منها) حال (طائفة) أى قطعة (طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ) مهموز مقصور وهو المرعى (والعشب الكثير) قال المصنف العشب والخلى والكلأ والحشيش كلها اسم للنبات لكن الحشيش مختص باليابس والعشب والخلى بالقصر مختصان بالرطب والكلأ بالهمز يقع على اليابس والرطب قال ابن ملك : فيكون عطف العشب عليه عطف الخاص على العام للاهتمام بشأنه وقيل الكلأ مختص أيضا بالرطب إلا أنه ما يتأخر نباته ويقل ، والعشب ما يتقدم نباته ويكثر ، ولهذا وصف العشب بالكثير اه وقال الخطابى وابن فارس الخلى يقع على اليابس وهذا شاذ ضعيف وفى شرح المشارق للكازرونى بعد أن ذكر انهما بمعنى وقيل الكلأ اليابس والعشب الذى ابتدأ فيه اليبوسة ، وقيل العشب الرطب وقيل الكلأ النبات والعشب الرطب ، وعطف الأخص على الأعم جائز اذا كان بحيث يهتم بافراده (وكانت) وفى نسخة وكان (منها أجادب) بالجيم والدال المهملة جمع أجدب وهى الأرض التى لا تنبت كذا قال ابن ملك : وكأنه باعتبار القياس وإلا فقد نقل المصنف عن ابن بطال وصاحب المطالع وآخرين أنه جمع جدب بفتح الدال المهملة على غير قياس كما قالوا فى حسن جمعه محاسن والقياس أن محاسن جمع محسن قال المصنف قال القاضى عياض لم يرد هذا الحرف فى مسلم ولا فى غيره إلا بالدال المهملة من الجدب ضد الخصب وعليه شرح الشارحون وكأنه قصد الرد على الخطابى حيث ذكر فى اللفظ وجوها وجعلها روايات مقبولة وهى أخاذات بالخاء والذال المعجمتين جمع أخاذة وهى الغدران وأحادب بالحاء والدال المهملتين قال وليس بشىء وروى أجارد بالجيم والراء والدال قال وهو صحيح المعنى إن ساعدته الرواية ومعناه متجردة من النبات جمع أجرد (أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى انما هى قيعان) جمع قاع وهى الأرض المستوية وقيل الملساء وقيل التى لا نبات فيها قال المصنف وهذا هو المراد فى الحديث (لا تمسك ماء) ولما كان بعض القيعان قد ينبت كلأ نفاه بقوله

ولا تنبت كلأً ، فذلك مَثل من فَقُهَ فى دين الله ونفعه مابعثنى الله به فَعَلِمَ وعَلَّمَ ، ومثلُ من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هُدَى الله الذى أرسلت به »
متفق عليه (فقه) بضم القاف على المشهور وقيل بكسرها أى صار فقيها

« الثامن » عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقدَ ناراً فجعل الجنادِبُ والفَراش يَقَعْنَ فيها وهو يذبهن عنها ، وأنا آخِذٌ بحُجُزِكُمْ

(ولا تنبت كلأ فذلك) اشارة إلى ما ذكر من الأنواع الثلاثة وشروع فى بيان موارد المثل الثلاثة فمثل الطائفة الأولى القابلة للماء المنبتة للكلأ (مثل من فقه فى دين الله تعالى ونفعه الله بما بعثنى به فعلم) بكسر اللام (وعلم) بتشديد اللام (ومثل من لم يرفع بذلك رأسا) هـذا مثل الطائفة الثانية التى أمسكت الماء ولم تنبت به شيئا فنفع الله الناس بها ولم تنتفع هى به وهذا كعالم لم يعمل بعلمه وعلم غيره وعدم رفع رأسه بالعلم كناية عن عدم الانتفاع به لعدم العمل به (و) مثل من (لم يقبل هدى الله الذى أرسلت به) هـذا مثل الطائفة الثالثة التى لاتمسك الماء ولا تنبت الكلأ ومثل هـذه الطائفة رجل فات عنه التعلم والتعليم ولا يخفى أن عدم قبول الهدى مستلزم لعـدم النفع بالعلم لافى نفسه ولا فى غيره (متفق عليه) لكن السياق لمسلم (فقه بضم القاف على المشهور) فى الرواية قاله صاحب العين والهروى وغيرهما (وقيل بكسرها) قاله ابن دريد (أى صار فقيها) عالما بالأحكام الشرعية أما الفقه بالمعنى اللغوى فهو فقه بكسر القاف لاغير والضم والكسر روايتان والمشهور الضم قاله المصنف وقد تقدم فى باب التقوى ذكر هذين الوجهين كما فى الفقه بمعنى علم أحكام الشرع وكان الأخصر الاكتفاء بذلك

(وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقـد ناراً فجعل الجنـادب) قال المصنف وفى رواية الدواب (والفراش يقعن فيها) لعدم إدراكهن بما يضرهن (وهو) أى الرجل (يذبهن) بالمعجمة وتشديد الموحدة أى يمنعهن رحمة بهن (عنها) لما يعلمه من أن حتفهم بها (وأنا آخذ) روى بوجهين أحدهما اسم فاعل بكسر الخاء وتنوين الذال والثانى فعل مضارع ذكرهما المصنف وقال هما صحيحان والأول أشهر (بحجزكم) جمع

عن النار وأنتم تَفلتون من يدى » رواه مسلم (الجنادب) نحو الجراد ، و (الفراش) هذا هو المعروف الذى يقع فى النار ، و (الحجز) جمع حجزة وهى معقد الازار والسراويل

« التاسع » عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ بلَعْق الأصابع والصَّحْفة وقال : إنكم لاتدرون فى أيِّها البركة »

حجزة بضم المهملة وبعدها جيم ثم زاى وهى معقد الازار والسراويل (عن النار وأنتم تفلتون) روى بوجهين فتح أوله وتشديد اللام وبضم الفوقية وسكون الفاء وكسر اللام المخففة وكلاهما صحيح يقال أفلت منى وتفلت إذا نازعك الغلبة والهرب ثم غاب وهرب ومقصود الحديث أنه صلى الله عليه وسلم شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم فى نار الآخرة وحرصهم على الوقوع فى ذلك مع منعه إياهم وقبضه على موضع المنع منهم بتساقط الفراش فى نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه وكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع فى ذلك لجهله (رواه مسلم) ورواه أحمد كما فى الجامع الصغير (الجنادب) جمع جندب بضم الدال وفتحها والجيم مضمومة فيهما والثالثة حكاها عياض بكسر الجيم وفتح الدال (نحو الجراد) وهو الصرار قال أبو حاتم الجندب على خلقة الجراد له أربعة أجنحة كالجراد وأصغر منها يطير ويصر بالليل صراً شديداً وقيل غيره (والفراش هو المعروف) قال فى شرح مسلم : قال الخليل هو الذى يطير كالبعوض وقال غيره : ما تراه كصغار البق ، يتهافت فى النار ولذا قال المصنف (الذى يقع فى النار والحجز جمع حجزة وهى معقد الازار والسراويل)

(وعنه) أى عن جابر (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر) بالبناء للفاعل (بلعق الأصابع) إما يلعقها بنفسه أو يلعقها غيره ممن لا يتقذر بذلك من زوجة وجارية وولد ومن فى معناه كتلميذ يعتقد بركته ويود التبرك به (و) لعق (الصحفة) وذلك لكسر النفس بالتواضع (قال) منبها على علة الأمر بذلك (فانكم لا تدرون فى أيها) أى أى طعامكم كما فى الرواية بعده (البركة) قال المصنف : الطعام الذى يحضر الانسان فيه بركة ولا يدرى أن تلك البركة فيما أكل أو فيما بقى على

رواه مسلم (وفى رواية له) إذا وقعت لقمة أحدكم فلْيأخذْها فلْيمِطْ ما كان بها من أذًى وليأ كلها ولايدعها للشيطان ، ولا يمسحْ يده بالمنديل حتى يلعقَ أصابعه فانه لايدرى فى أىِّ طعامه البركة

أصابعه أو فيما بقى فى أسفل القصعة أو فى اللقمة الساقطة فينبغى أن يحافظ على هذا كله لتحصيل البركة والمراد بالبركة هنا ما يحصل به التغذية وتسلم عاقبته من أذى ويقوى على طاعة الله تعالى أو غير ذلك (رواه مسلم وفى رواية له) عن جابر (إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها) ولا يدعها كما يفعله بعض المترفين استكباراً (فليمط) بضم التحتية قال الجوهرى حكى أبو عبيد ماطه وأماطه نحاه وقال الأصمعى أماطه لا غير أى لينح و يزل (ما كان) أى حصل (بها) أى فيها أوالباء للالصاق أو الملابسة (من أذى) أى مستقذر من غبار وتراب فان وقعت على موضع نجس تنجست ولا بد من غسلها إن أمكن فان تعذر أطعمها حيوانا ولا يتركها للشيطان (وليأكلها ولا يدعها) يتركها (للشيطان) قيل إنه مأخوذ من شطن بمعنى بعدوقيل من شاط بمعنى احترق وأل يحتمل كونها للجنس أوللعهد الذهنى أى إبليس وفى الحديث اثبات الشياطين وأنهم يأكلون (ولا يمسح يده بالمنديل) قال المصنف هو معروف وهو بكسر الميم قال ابن فارس فى المجمل لعله مأخوذ من المندل وهو النعل وقال غيره مأخوذ من الندل وهو الوسخ لانه يندل به قال أهل اللغة تندلت بالمنديل قال الجوهرى ويقال أيضا تمندلت وأنكر الكسائى « تمندلت » (حتى يلعق) بفتح التحتية (أصابعه) محافظة على البركة (فانه لا يدرى فى أى طعامه البركة) « فائدة » قال العلقمى فى حاشية الجامع الصغير قال شيخ شيوخنا يعنى الحافظ العسقلانى : وقع من حديث كعب بن عجرة عند الطبرانى فى الاوسط صفة لعق الاصابع ولفظه : «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاث بالابهام والتى تليها والوسطى ثم رأيته يلعق الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى ثم التى تليها ثم الابهام» قال شيخنا فى شرح الترمذى كأن السر فيه أن الوسطى أكثر تلويثا لانها أطول فيبقى فيها من الطعام أكثر من غيرها ولأنها لطولها أول ما ينزل فى الطعام أو أن الذى يلعق يكون بطن كفه الى جهة وجهه فاذا ابتدأ الوسطى انتقل إلى السبابة على جهة يمينه وكذلك الابهام اه

(وفى رواية له) إن الشيطانَ يحضُرُ أحدَكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضرَه عند طعامه، فاذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى فليأكلها ولا يدعها للشيطان

«العاشر» عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال: «يَاأيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاةً عراة غُرْلاً كما بدأنا أوَّلَ خَلْقٍ نُعيده وعداً علينا إنَّا كنَّا فاعلين، ألا وإنَّ أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم صلى الله عليه وسلم

(وفى رواية له) عن جابر أيضا (إن الشيطان يحضر أحدكم عند شأنه كله) وفى نسخة عند كل شيء من شأنه فيه التحذير منه والتنبيه على ملازمته للانسان فى جميع أحواله وتصرفاته فينبغى أن يتأهب ويحترز منه ولا يغتر بما يزينه له (حتى) غاية لملازمته (يحضره عند طعامه فاذا سقطت من أحدكم لقمة فليمط ما كان بها من أذى فليأكلها ولا يدعها للشيطان) وسيأتى زيادة فى معانى هذه الاحاديث فى كتاب آداب الطعام إن شاء الله تعالى

(وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة) تقدم فى حديث النواس معنى الموعظة وأن تنوينها للتعظيم (فقال ياأيها الناس إنكم محشورون) بعد البعث (إلى الله عز وجل حفاة) جمع حاف من لا نعل برجله (عراة) عن الثياب (غرلا) بضم المعجمة وسكون الراء أى قلفا والغرلة القلفة (كما بدأنا أول خلق نعيده) بعد اعدامه والكاف متعلقة بنعيد وضميره عائد لأول وما مصدرية (وعداً علينا) منصوب بوعدنا مقدر قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله (إنا كنا فاعلين) ما وعدنا وذكره صلى الله عليه وسلم استدلالا على اعادة كل مخلوق بجميع أجزائه (ألا) بتخفيف اللام اداة استفتاح وما بعدها مقدر وعطف عليه قوله (وان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام) ان قلت هذا يدل على أن ابراهيم أفضل قلت لايلزم من اختصاص النبي بفضيلة كونه أفضل مطلقا أو المراد غير المتكلم بذلك، قاله الكرمانى، قال

ألا وإنه سيُجاء برجال من أمتى فيؤخذُ بهم ذاتَ الشِّمال ، فأقول يارب أصحابى ، فيقال إنَّك لاتدرى ماأحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح : وكنتُ عليهم شهيداً مادمتُ فيهم — إلى قوله — العزيزُ الحكيمُ ،

السيوطى فى التوشيح : قيل الحكمة فى ذلك أنه ألقى فى النار عريانا ، وقيل لأنه أول من لبس السراويل ، وقد جبر النبي ﷺ عن هذا السبق بكونه يكسى حلتين كما فى حديث البيهقى ذكره القرطبي (ألا وإنه) أى الشأن (سيجاء) بالبناء للمفعول (برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال) بكسر الشين والمراد جهة النار قال ابن النحوى : لعلهم منافقون ، وقيل هم مسلمون قصروا فى بعض الحقوق وسيأتى معنى قوله « مرتدين على الوجهين » (فأقول يارب هم أصحابى) رواية البخارى فى التفسير « فأقول يارب ارحم أصحابى » قال السيوطى فى التوشيح هو للأكثر مصغر وللكشميهنى غير مصغر ، قال الخطابى . فيه اشارة إلى قلة عدد من وقع لهم ذلك وإنما وقع ذلك لبعض جفاة الاعراب ولم يقع لأحد من الصحابة المشهورين اه « قلت » ويحتمل أن المراد بقوله « أصحابى » أى من أمتى التابعين لملتى فالصحبة مجازية ومعرفته لهم حينئذ برؤية نحو الغرة والتحجيل مما تختص به هذه الامة ، وهذا أنسب بقوله فى أول الحديث « برجال من أمتى » دون أصحابى (فيقال انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك) أبهم ولم يعين تفخيما لشأنه . وبيانه بعد ليكون أدل على قيام العدل وقوام الحجة عليهم (فأقول) مسلما الامر لله (كما قال العبد الصالح) يعنى عيسى ابن مريم (وكنت عليهم شهيدا) أى رقيبا أمنعهم مما يقولون (ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب) الحفيظ (عليهم) على أعمالهم (وأنت على كل شىء) من قولى لهم وقولهم بعدى وغير ذلك (شهيد) مطلع عالم به (ان تعذبهم) أى من دام على الكفر منهم (فانهم عبادك) وأنت مالكهم متصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك (وإن تغفر لهم) أى لمن آمن منهم (فانك أنت العزيز) الغالب على أمره (الحكيم) فى صنعه كذا فى تفسير الجلالين ، وظاهر التشبيه فى قوله « كما قال العبد الصالح » الخ أن هذا القول كان من عيسى على جهة التسليم لله وأنه قد علم من آمن منهم . فقوله « إن تعذبهم » أى على كفرهم وفريتهم السابقة فهم مستحقون لذلك ولا اعتراض عليك لانك تصرفت فى عبادك « وإن تغفر لهم » أى لمن تاب منهم ، أشار اليه ابن النحوى قال : وقيل علم عيسى أنهم يعصون

فيقال لى إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » متفق عليه (غرلا) أى غير مختونين

« الحادى عشر » عن أبى سعيد عبد الله بن مُغَفَّلٍ رضى الله عنه قال « نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الخَذْف وقال إنه لايقتلُ الصيدَ ولا ينكأُ العدوَّ وإنه يفقأ العينَ

بعده فقال « وان تغفر لهم » أى ما أحدثوه من المعاصى (فيقال لى) بيان لما أحدثوا (إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم) قال القاضى عياض : هذا لصحة من تأول أنهم أهل الردة ولذا قال فيهم « سحقا سحقا » ولا يقول ذلك فى مذنبى أمته بل يشفع لهم ويهتم بأمرهم ، وقيل هؤلاء صنفان « أحدهما » عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الاسلام وهؤلاء مبدلون الاعمال الصالحة بالسيئة « والثانى » مرتدون إلى الكفر حقيقة ناكصون على أعقابهم اه ومنذ هنا ظرف (متفق عليه غرلا) بضم فسكون جمع أغرل (أى غير مختونين)

(وعن أبى سعيد) وقيل أبو عبدالرحمن وقيل أبو زياد (عبد الله بن مغفل) بضم الميم وفتح المعجمة وتشديد الفاء ابن عبد غنم وقيل ابن عبد نهم بن عفيف بن أسحم بن ربيعة بن عذار ، وقيل ابن عدى بن ثعلبة بن ذؤيب ، وقيل زويد بن سعد بن عدى بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار المزنى البصرى ، ومزينة امرأة عثمان بن عمرو نسبوا اليها وعبد الله (رضى الله عنه) من أهل بيعة الرضوان قال عبد الله إنى لممن رفع أغصان الشجرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن المدينة ثم تحول الى البصرة وكان أحد البكائين الذين نزل فيهم قوله تعالى « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ـ الآية » روى له عن رسول الله ﷺ ثلاثة وأربعون حديثا اتفقا على أربعة وانفرد البخارى بحديث ومسلم بآخر توفى بالبصرة سنة ستين وقيل سنة تسع وخمسين وصلى عليه أبو برزة الأسلمى لوصيته بذلك (قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخذف) بفتح المعجمة الأولى وسكون الثانية وبالفاء رمى الحصى بالسبابة والابهام بأن يضعها على أحدهما ويرميها بالأخرى وقال على سبيل الاستئناف لبيان سبب النهى (إنه لايقتل الصيد ولا ينكأ) بالهمزة أى لا يقتل (العدو) ولا يجرحه (وإنه يفقأ) بالفاء والقاف والهمزة أى يقلع (العين) قال المصنف قال القاضى كذا رويناه قال

ويكسرُ السِّن » متفق عليه (وفى رواية) « أن قريبا لابن مغفل خذف فنهاه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف وقال إنه لايصيد صيداً » ثم عاد ، فقال : أحَدِّثُك أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه ثم عدتَ تَخذِف ؟ لاأكلمك أبدا .

وعن عابس بن ربيعة قال : « رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يُقَبِّل الحجر ، يعنى الأسود ، ويقول : إنى أعلم أنك حجرٌ ماتَنْفَعُ وَلاتَضرُّ

وفى بعض الروايات ينكى بفتح التحتية وكسر الكاف غير مهموز قال القاضى وهو أوجه هنا لأن المهموز إنما هو من نكأت القرحة وليس هذا موضعه الاعلى تجوز وإنما هذه من النكاية يقال نكيت العدو وأنكيته نكاية ونكأت بالهمز لغة فيه قال فعلى هذه اللغة تتوجه رواية شيوخنا (ويكسر السين) أى إنه ضر ولا نفع فيه (متفق عليه وفى رواية لمسلم ان قريبا لابن مغفل خذف فنهاه) عنه (وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف وقال إنها لا تصيد صيداً) أى الخذفة لا يحصل منها مصلحة فى الصيد كما لا يحصل منها ملصحة فى الحرب (ثم أعاد) القريب الخذف بعد سماع ذلك (فقال أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم عدت تخذف) وتخالف السنة (لا أكلمك أبداً) قال المصنف فيه هجران أهل البدع والفسوق ومنابذى السنة مع العلم ، وإنه يجوز هجرانه دائما والنهى عن الهجران فوق ثلاثة أيام إنما هو فيمن هجر لحظ نفسه ومعايش الدنيا أما أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائم وهذا الحديث مما يؤيده مع نظائر له كحديث كعب ابن مالك السابق

(وعن عابس) بموحدة مكسورة ثم مهملة (ابن ربيعة) النخعى الكوفى ثقة مخضرم من كبار التابعين كذا فى التقريب للحافظ (قال رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقبل الحجر الاسود ويقول انى أعلم) فى رواية أخرى للبخارى أما والله انى لأعلم (أنك حجر لاتضرولاتنفع) أى إلا باذن الله قال فى فتح البارى وقدروى الحاكم من حديث أبى سعيد « أن عمر لما قال هذا قال له على بن أبى طالب إنه يضر وينفع وذكر أن الله تعالى لما أخذ المواثيق على ولد آدم كتب ذلك فى

ولولا أنى رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبلكَ ماقبلتك »
متفق عليه

﴿باب فى وجوب الانقياد لحكم الله ومايقوله من دُعي إلى ذلك وأمرَ بمعروف أو نُهىَ عن منكر﴾

رق وألقمه الحجر وقد سمعت رسول الله ﷺ «يؤتى يوم القيامة بالحجر الاسود وله لسان ذلق يشهد لمن استلمه بالتوحيد » وفى اسناده راو ضعيف جداً وقد روى أن عمر رفع قوله ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه ابن عباس قال « رأيت عمر قبل الحجر ثلاثا ثم قال انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » ثم قال عمر : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فعل مثل ذلك . قال الطبرانى : إنما فعل ذلك لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الاصنام فخشى عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم الاحجار كما كانت الجاهلية تعتقده فى الأوثان (ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك) فى قول عمر هذا التسليم للشارع فى أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيه وهى قاعدة عظيمة فى اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ولو لم نعلم الحكمة فيه ؛ وفيه دفع ماوقع لبعض الجهال من أن فى الحجر خاصية ترجع إلى ذاته ؛ وفيه بيان السنن بالقول والفعل وأن الامام إذا خشى على أحد من فعله فساد اعتقاد أن يبادر إلى بيان الامر (متفق عليه) زاد مسلم فى رواية له « ولكن رأيت رسول الله ﷺ بك حفيا » ولم يذكر يقبلك ، كذا فى تجريد الاصول للبارزى

﴿باب وجوب الانقياد﴾

أى الاستسلام ظاهراً والرضا باطنا (لحكم الله وما يقوله من دعى) بالبناء للمفعول (إلى ذلك) أتى باسم الاشارة الموضوع للبعيد موضع الضمير تفخيما لشأنه (وأمر بمعروف أو نهى) بالبناء لذلك أيضا (عن منكر)

قال الله تعالى (فلا وربك لايؤمنون حتى يُحكِّموك فيما شجَر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرَجاً مما قضيْتَ ويُسلِّموا تسليما) * وقال الله تعالى : (إنما كان قولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) *

وفيه من الأحاديث (حديث أبى هريرة) المذكور فى أول الباب قبله ،

(قال الله تعالى فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) تقدم الكلام على ما يتعلق بمعناها فى أول الباب قبله ، وقد حكى السيوطى فى أسباب النزول له خلافا فى سبب نزولها فقيل فى تخاصم الزبير والأنصارى فى سراح (١) الحرة « فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يسقى ثم يرسل الماء إلى جاره ، فقال الأنصارى يارسول الله إن كان ابن عمتك » الحديث قال الزبير : فما أحسب هذه الآيات إلانزلت فى ذلك « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » أخرجه الأئمة الستة وقيل فى تخاصم الزبير وحاطب بن أبى بلتعة فى ماء « فقضى صلى الله عليه وسلم أن يسقى الأعلى ثم الأسفل » أخرجه ابن أبى حاتم ، وقيل سببه اختصام رجلين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « فقضى بينهما ، فقال الذى قضى عليه : ردنا إلى عمر ، فأتيا اليه فقال الرجل : قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا فقال ردنا إلى عمر ، فقال أكذلك ؟ قال نعم ، مكانكما حتى أخرج اليكما فأقضى بينكما ، فخرج إليهما مشتملا على سيفه فضرب الذى قال ردنا إلى عمر فقتله » فأنزل الله الآية ، قال السيوطى : أخرجه ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى الاسود مرسلا وهو غريب فى إسناده ابن لهيعة وله شاهد أخرجه رحيم فى تفسيره عن ضمرة اه ملخصا

(وقال تعالى انما كان قول المؤمنين) أى القول اللائق لهم (إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) بالاجابة (وأولئك) حينئذ (هم المفلحون) الناجون (وفيه من الأحاديث) النبوية (حديث أبى هريرة رضى الله عنه المذكور فى أول الباب قبله) هو قوله دعونى ما تركتكم الخ

---

(١) مجرى الماء . ش

وغيره من الأحاديث فيه * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال « لما نزلَتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم (لله مافى السموات وما فى الأرض ، وإن تُبْدُوا مافى أنفسكم أو تخفوه يُحاسِبْكُمْ به الله) الآية ، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأَتَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بَرَكُوا على الرُّكَب فقالوا : أىْ رسول الله كُلِّفنا من الأعمال ما نُطيق ، الصلاة والجهادَ والصيامَ والصدقةَ ، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتريدون أن تقولوا كما قال أهلُ الكتابَين من قبلكم

(وغيره من الأحاديث فيه) أى فى معنى الحديث المذكور من طاعة الله ورسوله ظاهراً وباطناً

(وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما نزلت) بالبناء للفاعل (على رسول الله ﷺ آية لله مافى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا (وإن تبدوا) تظهروا (مافى أنفسكم) من السوء والعزم عليه (أو تخفوه) تسروه (يحاسبكم) يجزكم (به الله) يوم القيامة (الآية) أى إلى قوله « والله على كل شىء قدير » ومنه محاسبتكم وجزاؤكم (اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا) جثياً (على الركب) بضم ففتح كما هى عادة الخائف الوجل (فقالوا : أى) بفتح الهمزة وسكون التحتية حرف لنداء القريب (رسول الله كلفنا) بالبناء للمفعول (من الاعمال ما نطيق) الاتيان به (الصلاة والصيام والجهاد والصدقة) بالنصب بدل مفصل من مجمل ويجوز فيه الرفع على القطع (وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها) قال المصنف قال المازرى يحتمل أن يكون اشفاقهم وقولهم لانطيقها لكونهم اعتقدوا أنهم يؤاخذون بما لاقدرة لهم على دفعه من الخواطر التى لاتكتسب فلهذا رأوه من قبيل مالايطاق وعندنا أن تكليف ما لا يطاق جائز عقلا واختلف على وقع التعبد به فى الشريعة أم لا (قال رسول الله ﷺ) مخوفالهم من قطيعة العصيان وقطيعة امتناع قبول الاوامر (أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين) من اليهود والنصارى (من قبلكم) فى

(سمعنا وعصينا) بل قولوا (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) فلما اقترأها القوم وذَلَّتْ بها ألسنتهم أنزل الله تعالى فى إِثْرها (آمن الرسولُ بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملئكته وكتبه ورسله لانفرّق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عزوجل (لايكلف الله نفسا إلا وسعها

فى محل الحال أو الصفة (سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك (بل قولوا سمعنا) ما أمرتنا به سماع قبول (وأطعنا) أمرك اغفر (غفرانك) أو نسألك غفرانك يا (ربنا) وحذف اداة النداء لعله ايماء إلى أنه ينبغى للداعى أن يكون فى كمال الحضور حتى كأنه فى حضرة الحق سبحانه ومن كذلك لاينادى (واليك) لا إلى غيرك (المصير) الرجوع (فلما اقترأها) أى قرأها (القوم) أى آية « لله مافى السموات » (وذلت) أى انقادت بالاستسلام (بها ألسنتهم أنزل الله تعالى فى إثرها) بكسر فسكون وبفتحتين أى عقب نزولها من غير فاصل (آمن) صدق (الرسول بما أنزل اليه من ربه) وهو القرآن (والمؤمنون) معطوف عليه وقيل مبتدأ خبره (كل آمن) وتنوين كل للعوض أى كل أحد منهم آمن (بالله وملائكته وكتبه ورسله) رتبهم كذلك لترتبهم فى الوجود على ذلك الترتيب (لا نفرق) أى يقولون لا نفرق فى الايمان بالرسل (بين أحد من رسله) بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض كفعل اليهود والنصارى (وقالوا سمعنا) ما أمرتنا به سماع قبول (وأطعنا) أمرك (غفرانك ربنا واليك المصير) المرجع بالبعث قال القرطبي المفسر وهو تلميذ القرطبي شارح مختصر مسلم كما نقل عنه فى آخر سورة النمل : لما تقرر الأمر على أن قالوا سمعنا وأطعنا مدحهم الله تعالى وأثنى عليهم فى هذه الآية ورفع المشقة فى الخواطر عنهم وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع الى الله تعالى كما جرى لبنى إسرائيل ضد ذلك من ذمهم وتحملهم المشاق من الذلة والمسكنة والجلاء كما قالوا سمعنا وعصينا وهذه ثمرة العصيان والتمرد على الله والعياذ بالله (فلما فعلوا ذلك) أى قالوا ما أمروا بقوله من قوله سمعنا وأطعنا (نسخها الله تعالى فأنزل الله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) قال المصنف بعد نقل عن القاضى عياض بيان وجه النسخ الذى توقف فيه المازرى وقد اختلف الناس فى هذه الآية فأكثر المفسرين من الصحابة ومن بعدهم على

لها ما كسبت وعليها ما

ما تقدم فيها من النسخ وأنكره بعض المتأخرين قال لأنه خبر ولا يدخل النسخ الاخبار وليس كما قال هذا المتأخر فانه وان كان خبراً فهو خبر عن تكليف ومؤاخذة بما تكن النفوس والتعبد بما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وأن يقولوا سمعنا وأطعنا وهذه أقوال وأعمال اللسان والقلب ثم نسخ ذلك عنهم برفع الحرج والمؤاخذة ، وروى عن بعض المفسرين أن معنى النسخ هنا إزالة ماوقع فى قلوبهم من الشدة والفرق من هذا الأمر فأزيل عنهم بالآية الأخرى واطمأنت نفوسهم وهذا القائل يرى أنهم لم يلزموا مالا يطيقون لكن مايشق عليهم من التحفظ من خواطر النفس واخلاص الباطن فأشفقوا أن يكلفوا من ذلك مالا يطيقون فأزيل عنهم هذا الاشفاق وبين أنهم لم يكلفوا إلا وسعهم وعلى هذا لا حجة فيه لجواز تكليف ما لا يطاق إذ ليس فيه نص على تكليفه وذهب بعضهم الى أن الآية محكمة فى اخفاء اليقين والشك للمؤمنين والكافرين فيغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين هذا آخر كلام القاضى . وذكر الامام الواحدى الخلاف فى معنى الآية ثم قال : والمحققون يختارون أن تكون الآية محكمة غير منسوخة اه وقوله تعالى « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » أى ما تسعه قدرتها قال القرطبي فى المفهم الوسع الطاقة والجهد وهذا خبر من الله تعالى أنه لايأمرنا أى من وقت نزول الآية إلا بما نطيقه ويمكننا ايقاعه عادة وهو الذى لم يقع فى الشريعة غيره ويدل على ذلك تصفحها وقد حكى الاجماع عليه قال تلميذه فى التفسير وبذلك انكشفت الكربة عن المسلمين فى تأويلهم أمر الخواطر اه انما الخلاف فى جواز ذلك عقلا فمنهم من جوزه ومنهم من منعه (لها ما كسبت (١)) من الخير أى ثوابه (وعليها ما

---

(١) قال ابن السيد فى شرح شواهد الجمل العرب اذا استعملت فعل وافتعل بزيادة التاء وبغير زيادتها كان مالا زيادة فيه صالحا للقليل والكثير ومافيه الزيادة للتكثير خاصة نحو قدر واقتدر ومنه قوله تعالى « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » والوجه فيه أنه لما كان الانسان يجازى على قليل الخير وكثيره استعمل فيه اللفظ الصالح للقليل والكثير ولما كان الانسان لا يجازى فى

اكتسبتْ ، ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) قال نعم (ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملتــه على الذين من قبلنا) قال نعم (ربنا ولا تحملنا مالاطاقة لنا به) قال نعم (واعف عنا واغفرلنا وارحمنا أنت مولانا

اكتسبت) من الشر أى وزره ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا بما يكسبه مما وسوسته به نفسه وعبر فى الحسنة باللام من حيث هى مما يفرح بكسبه ويسر المرء بها فيضاف إلى ملكه وفى السيئة بعلى من حيث هى أوزار متحملات صعبة وقال ابن عطية فى تفسيره وعبر بالكسب فى الحسنة لأنها تكتسب بلا تكلف لكون مكتسبها على جادة أمر الله ورسم شرعه وبالاكتساب فى السيئة لأن كاسبها يحتاج إلى خرق حجاب نهى الله ويتخطاه اه ملخصا قولوا (ربنا لاتؤاخذنا) بالعقاب (إن نسينا أو أخطأنا) أى تركنا الصواب لاعن عمد كما آخذت به من قبلنا (قال نعم) أى قد فعلت وقد رواه ابن عباس بهذا اللفظ بدل قوله نعم رواه مسلم قال القرطبى فيه دليل على أنهم ينقلون الحديث بالمعنى والأصح جوازه من العالم بمواقع الألفاظ وأن ذلك لايجوز لمن بعد الصدر الأول لتغير اللغات وتباين الكلمات قولوا (ربنا) استجب ذلك (ولا تحمل علينا إصراً) أمرا يثقل علينا حمله (كما حملته على الذين من قبلنا) أى من بنى اسرائيل فى قتل النفس فى التوبة واخراج ربع المال فى الزكاة وقرض موضع النجاسة (قال نعم) قد فعلت (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة) قوة (لنا به) من التكاليف والبلاء (قال نعم واعف عنا) امح عنا ذنوبنا (واغفر لنا وارحمنا) فى الرحمة زيادة على المغفرة (أنت مولانا)

الشر الاعلى الكبائر دون الصغائر وهى معفو عنها غير مجازى بها استعمل معها اللفظ الذى لا يكون الا للتكثير الا مالا يستعمل الا بالتاء فخارج عن هذا الحكم يصلح للقليل والكثير كاستويت على الشيء واجتويت البلد اذا كرهته فهذا الايقال فيه لانه للتكثير خاصة اذ لم يأت غير مزيد وقول من قال عبر باكتسب لأن افتعل انما يستعمل فى الشر خطأ لاوجه له ألا ترى أنك تقول استويت على الدابة ولا نعلم أن أحداً من النحاة قال فعل للخير وافتعل للشر انما قال إن الزيادة فيه تدل على المبالغة . ش

فانصرنا على القوم الـكافرين) قال نعم » رواه مسلم

﴿ باب فى النهى عن البدع ومحدثات الأمور ﴾

قال الله تعالى « فماذا بعد الحق إلا الضـلال » * وقال تعالى « مافرطنا فى الـكتاب من شىء » * وقال تعالى « فان تنازعتم فى شىء فرُدُّوه إلى الله والرسول » أى (الـكتاب والسنة) * وقال تعالى « وأن هذا صراطى مستقيما ، فاتَّبِعوه ولا تتَّبعوا السُّبُل فتَفَرَّقَ

سيدنا ومتولى أمرنا (فانصرنا على القوم الـكافرين) باقامة الحجة والغلبة فى قتالهم فان شأن المولى أن ينصر مواليه على الاعداء قال القرطبي فى التفسير خرج هذا مخرج التعليم للخلق كيف يدعون روى عن معاذ بن جبل أنه كان إذا فرغ من قراءة هذه السورة قال آمين قال ابن عطية هذا يظن به أنه رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فان كان كذلك فكمال وإن قال بقياس على سورة الحمد من حيث هناك دعاء وهنا دعاء فحسن اه (رواه مسلم)

﴿ باب النهى عن البدع ﴾

بكسر ففتح (ومحدثات الأمور) أى التى ليست على قواعـد الشرع ولا فيها مايؤيدها

(قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال) اذ هما ضـدان وبترك أحدهما يقع الآخر والحق ماجاء به الـكتاب والسنة نصا أو استنباطا وفى أحكام القرآن للسيوطى سئل مالك عن شهادة اللاعب بالشطرنج والنرد أيجوز ؟ قال أمامن أدمنها فلا لقول الله فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فهذا كله من الضلال اه (وقال تعالى مافرطنا فى الـكتاب من شىء) قال الخازن فى تفسيره : يعنى اللوح المحفوظ لأنه يشتمـل على أحوال المخلوقات وقيل المراد بالـكتاب القرآن أى أنه مشتمل على جميع الأحوال اه (وقال تعالى فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول أى الـكتاب والسنة) لف ونشر مرتب وتقدم الـكلام فى معناها فى باب الأمر بالمحافظة على السنة * (وقال تعالى وأن هذا) الذى وصيتكم به (صراطى مستقيما) حال (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) الطرق المخالفة له (فتفرق) فيه حذف إحدى التاءين

بكم عن سبيله » * وقال تعالى « قل إن كنتم تحبون الله فاتَّبِعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » * والآيات فى الباب كثيرة معلومة ؛ وأما الأحاديث فكثيرة جدا وهى مشهورة فنقتصر على طرف منها .

عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحدثَ فى أمرنا هذا ماليس منه فهوَ ردٌّ » متفق عليه (وفى رواية لمسلم)

(بكم عن سبيله) أى دينه وفى الآية التفات من التكلم الى الغيبة (وقال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) سبق الكلام عليها فى الباب المذكور (والآيات فى الباب) أى النهى عن البدع (كثيرة معلومة وأما الأحاديث) النبوية فى ذلك (فكثيرة جداً) بكسر الجيم صفة مصدر محذوف أى كثرة جداً أى تامة مبالغة فيها (وهى مشهورة) عن علماء السنة المشتغلين بها (فنقتصر على) إيراد (طرف) بفتح أوليه المهملين أى جانب (منها)

(عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث) أى ابتدع (فى أمرنا) أى ديننا (هذا) أى دين الاسلام (ما) أى الذى أو شيئا (ليس منه) بأن لم يشهد له أصل من أصوله فلا ينافى ما تقدم من أن من البدع ماهو واجب ومنها ماهو مندوب (فهو ردٌّ) أى مردود لايلتفت اليه من اطلاق المصدر على اسم المفعول كالخلق على المخلوق قال المصنف هذا الحديث مما ينبغى حفظه واشهاره فى ابطال المنكرات واشاعة الاستدلال به لذلك ، وقال الحافظ العسقلانى : هذا الحديث معدود من أصول الدين وقاعدة من قواعده وقال الطوفى : هذا الحديث يصح أن يسمى نصف أدلة الشرع (متفق عليه) و رواه أبو داود وابن ماجه كما فى الجامع الصغير (وفى رواية لمسلم) ورواها أحمد أيضاً عن عائشة قال الشيخ نفيس الدين سليمان العلوى ومن خطه نقلت على نسخة له من هذا الكتاب هذه الرواية فى مسلم قد ذكرها البخارى فى صحيحه تعليقا بصيغة الجزم ذكرها فى كتاب البيوع فى باب النجس وفى باب إذا اجتهد العالم أو الحاكم وقد ذكره المصنف فى الأربعين له فقال رواه البخارى ومسلم اه وماذكره عن كتاب الأربعين للمصنف لم أجده فيه كما قال بل الذى فيه الاقتصار على العزو الى مسلم

من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد .

وعن جابر رضى الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرَّت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنَّهُ منذرُ جيش يقول : صبَّحكم ومسَّاكم ، ويقول : بعثتُ أنا والساعةَ كهاتين ، ويقرُن بين

كما هنا (من عمل عملا ليس عليه أمرنا) أى أمر الدين (فهو رد) وهذا أعم من اللفظ الأول فيحتج به فى ابطال جميع العقود المنهية وعدم وجود ثمراتها المترتبة عليها وفى رد المحدثات ورد جميع المنهيات إذ ليست من أمر الدين ويستفاد منه أن حكم الحاكم لا يغير ما فى باطن الأمر لقوله أمرنا أى أمر الدين وفيه أن الصلح الفاسد ينتقض والمأخوذ عليه مستحق

(وعن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب) خطبة لأمر يقتضيها من تحذير عن منهى أو تخويف من عقوبة (احمرت) بتشديد الراء (عيناه وعلا صوته واشتد غضبه) لما يتجلى عليه من بوارق الجلال ولوامع أضواء الانذار وشهود أحوال أمته وتقصير أكثرهم فى امتثال ما يصدر عنه ومن ثم مثل جابر حاله صلى الله عليه وسلم فى انذاره بمجىء القيامة وقرب وقوعها وتهالك الناس فيما يؤذيهم بحال من ينذر قومه عند غفلتهم بجيش قريب منه يقصد الاحاطة بهم بغتة من كل جانب بحيث لا يقرب منهم أحد فقال : (حتى كأنه منذر جيش) أى مخبر بجيش العدو الذى يخاف (يقول) فى انذاره لهم فهو صفة منذر (صبحكم) العدو مغيرا عليكم (ومساكم) كذلك فاحتفظوا منه فكما أن هذا لشدة اعتنائه بحال قومه يرفع صوته وتحمر عيناه ويشتد غضبه من تغافلهم عما يستأصلهم ويهلكهم كذلك حال رسول الله ﷺ لشدة حرصه على أمته وعظم رأفته ورحمته بهم وخوفه عليهم من الساعة وأهوالها ومن ثم عقب ذلك جابر عطفا على كأنه (ويقول بعثت أنا) أكدبه ليصح العطف (والساعة كهاتين) بالرفع والنصب قال المصنف والمشهور النصب على المفعول معه قال القاضى عياض يحتمل أنه تمثيل لمقاربتهما وأنه ليس بينهما أصبع أخرى كما أنه لا نبي بينه وبين الساعة ويحتمل أنه لتقريب ما بينهما من المدة كنسبه التقارب بين الاصبعين تقريبا لا تحديدا (ويقرن) بضم الراء على المشهور الفصيح وحكى كسرها (بين

أَصْبُعَيه السبابةِ والوسطى ويقول : أما بعد فإنّ خير الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدْى هدْى محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وشرُّ الأمور محدَثاتُها ، وكلُّ بدعة ضلالة . ثم يقول . أنا أوْلى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك مالاً فلأَهله ، ومن ترك دينا أو ضياعا فالىّ وعلىّ »

أصبعيه) تثنية أصبع وفيه عشر لغات تثليث الهمزة والموحدة والعاشرة أصبوع (السبابة) سميت بذلك لأنهم كانوا يشيرون بها عند السب (والوسطى ويقول : أما بعد) فيه استحباب قولها فى خطب الوعظ والجمع والعيدوغيرها وكذا فى خطب الكتب المصنفة واختلف فى أول من تكلم بها وتقدم بسطه فى خطبة الكتاب (فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ) قال العلقمى هو بضم الهاء وفتح الدال فيهما وبفتح الهاء وسكون الدال أيضا كذا جاءت فيهما الرواية بالوجهين وقال القاضى عياض روينا فى مسلم بالضم وفى غيره بالفتح وفسره النووى على رواية الفتح بالطريق أى أحسن الطرق طريقه وعلى رواية الضم بالدلالة والارشاد وهو الذى يضاف الى الرسل والقرآن والعباد قال الله تعالى « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » وقال تعالى « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » أما الهداية بمعنى اللطف والتأييد فتفرد بها سبحانه ومنه قوله تعالى « إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » اه ملخصا (وشر الامور محدثاتها) أى مالم يكن معروفا فى كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا أصل له فيها وروى شر كما قال الطيبى بالنصب عطف على اسم إن و بالرفع على محل إن مع اسمها (وكل بدعة ضلالة) هذا عام مخصوص كما تقدم فى حديث العرباض بن سارية فى باب المحافظة على السنة (ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه) هو موافق لقوله تعالى « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » أى أحق قال أصحابنا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا احتاج إلى طعام أو غيره وجب على صاحبه بذله له صلى الله عليه وسلم وجاز له أخذه من مالكه المضطر له وهذا وان جاز له إلا أنه لم يقع (من ترك مالا فلأهله) الوارثين له ان استغرقوا فما بقى من فرضهم اليه صلى الله عليه وسلم (ومن ترك دينا أو ضياعا فالى وعلى) قال الحافظ هذا تفسير لقوله صلى الله عليه وسلم « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه » قال أهل اللغة الضياع بفتح الضاد المعجمة العيال قال ابن

رواه مسلم

وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه حديثه السابق فى باب المحافظة على السنة

﴿باب فيمن سن سنة حسنة أو سيئة﴾

قال الله تعالى « والذين يقولون ربنا هبْ لنا من أزواجنا وذريّاتنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ

قتيبة أصله مصدر ضاع يضيع ضياعا المراد من ترك أطفالا وعيالا ذوى ضياع فأوقع المصدر موقع الاسم كما تقول من مات وترك فقراء اه قال بعضهم وان كسرت الضاد كان جمع ضائع كجائع وجياع قال السيوطى قال أبو البقاء هو بفتح الضاد وهو فى الاصل مصدر وليس للكسر هنا معنى اه وقوله وعلى بتشديد الياء أى قضاء ذلك الدين فقيل كان يقضيه تكرما قال المصنف والاصح انه كان واجبا عليه وهل هو من خصائصه أو واجب على الامام بعده كذلك من بيت المال إن لم يكن ثمة أهم منه ؟ وقوله « والى » أى الضياع ففى الحديث لف ونشر غير مرتب (رواه مسلم) قال فى الجامع الصغير ورواه أحمد والنسائى وابن ماجه كلهم من حديث جابر

(وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه حديثه السابق) بالرفع مبتدأ خبره الظرف قبله (فى باب المحافظة على السنة)

﴿ باب فى ﴾ ثواب ﴿ من سن سنة حسنة ﴾

بأن كانت قواعد الشرع تمدح ذلك * (و) * عقاب * (من سن سنة) * أى طريقة * (سيئة) * بأن كانت على خلاف ماتقدم (قال الله تعالى) فى مدح المؤمنين بذكر بعض أوصاف محامدهم (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) لنا بأن نراهم مطيعين لك قال بعضهم فى هذا القول منهم اشارة الى أنه لما كمل نفعهم أحبوا أن يعود ذلك على اتباعهم وبدءوا بالزوجات للاشارة الى أن فى مدحهم صلاحا للابناء لأن من شأنهم أن يأتوا على نعت أبويهم قيل أفضل سعادة المرء أن يؤتى ولداً نجيباً والدعاء من الآباء للابناء وإن كان لغيرهم أى الأبناء

واجعلنا للمتقين إماما » وقال تعالى « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا »

وعن أبى عمرو جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال « كُنَّا فى صدْر النهار عند رسـول الله صلى الله عليـه وسلم فجاءه قوم عراة مجتابى النِّمار أو العباء متقلدى السيوف عامَّتهم بل كلُّهم من مضرَ فتمعَّرَ وجهُ رسول الله

فهو فى الحقيقة صلاح للآباء لأن العبد يؤتى يوم القيامة فى صحيفته حسنة فيقول من أين لى هذه فتقول الملائـكة من استغفار ولدك وقالت طائفة إن الولد اذا عمل طاعة كتب ضعفها لأبويه (واجعلنا للمتقين اماما) فى الخير * (وقال تعالى وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم فى الخير (يهدون) الناس (بأمرنا)

(وعن أبي عمرو جرير) بفتح الجيم وكسر أولى الراءين بينهما تحتية ساكنة (ابن عبد الله) بن جابر بن مالك بن نضر بن ثعلبة البجلى الاحمسى بالمهملتين الـكوفى (رضى الله عنه) وبجيلة وهى بنت صعير بن سعد العشيرة أم أنمار بنت أوس نسبوا اليها قال ابن قتيبة قدم جرير على النبى ﷺ سنة عشر من الهجرة فى رمضان فبايعه وأسلم وكان عمر يقول جرير يوسف هذه الامة وكان طويلا يصل الى سنام البعير وكان نعله ذراعا نزل الـكوفة ثم تحول الى أفريقيا ومات بها سـنة احدى وخمسين وقيل أقام بالجزيرة وتوفى بها سنة أربع وخمسين روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث اتفقا على ثمانية منها وانفرد البخارى بحديث ومسلم بسـتة ومناقبه كثيرة ومن مستظرفاتها أنه رضى الله عنـه اشترى له وكيله فرسا بثلاثمائة درهم فرآها جرير فتخيل أنها تساوى أربعمائة درهم فقال لصاحبها أتبيعها بأربعمائة درهم قال نعم ثم تخيل أنها تساوى خمسمائة ثم ستمائة ثم سبعمائة ثم ثمانمائة فاشتراها بثمانمائة وذكرها المصنف فى التهذيب وغيره (قال كنا فى صدر) أول (النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم) نتشرف برؤياه ونستمطر الفيوض الالهية من سحب محياه (فجاءه قوم عراة) جمع عار (مجتابى النمار) حال وسيأتى ضبطهما ومعناهما قال المصنف أى خرقوها وقوروا وسطها (أو) شك من الراوى أى قال مجتابى النمار أو قال مجتابى (العباء) وهو بفتح العين المهملة وبالموحدة والمد جمع عباءة وعباية لغتان (متقلدى السيوف عامتهم) بتشديد الميم أى معظمهم (من) قبيلة (مضر بل كلهم من مضر) أى مقصورون عليها لا يتجاوزونها الى غيرهم (فتمعر) بتشديد العين المهملة أى تغير (وجه رسول الله

صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة ، فدخل ثم خرج . فأمر بلالا فأذَّن وأقام ثم صلى ثم خطب فقال : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة — إلى آخر الآية . إنَّ الله كان عليكم رقيباً ، والآية الأخرى التى فى آخر الحشر (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولْتنظرْ نفس ماقدَّمت لغد) تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بُره ، من صاع تمره ، حتى قال — ولو بشق تمرة ،

صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة) أى شدة الاحتياج مع عدم مواساة الاغنياء لهم بما يدفع ضررهم كما هو الواجب عليهم اذ يجب على الكفاية على مياسير المسلمين دفع ضرر المحتاجين باطعام الجائع واكساء العارى وهؤلاء كذلك ولم يبادر الاغنياء إلى سد فاقتهم فهذا سبب التمعر لا مجرد رؤية الفاقة بهم لانها شأن الصالحين من الامة (فدخل)أى منزله(ثم خرج) منه(فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى) أى الظهر لان الاقامة مختصة بالفريضة وأول فريضة بعد صدر النهار الظهر (ثم خطب فقال يا أيها الناس) الآية مكية والخطاب لاهل مكة الا أن لفظ الناس عام والحكم بعده غير مقصور عليهم (اتقوا ربكم) أى عقابه بأن تطيعوه (الذى خلقكم من نفس واحدة) آدم (الى آخر الآية) وهو « إن الله كان عليكم رقيباً » حافظا لاعمالكم فيجازيكم عليها أى لم يزل متصفا بذلك ووجه مناسبتها لما هو فيه أن فيها اتحاد الناس فى خلقهم من نفس واحدة ثم الامر باتقاء الارحام على قراءة النصب وقرنه باتقاء الله الدال على أن صلتها من الله تعالى بمكان وختمها بقوله رقيبا ما تحمل كل غنى على سد خلة المحتاج لاسيما الرحم لان من رأى شقيقه ورحمه فى غاية الحاجة ولم يصله كان قاطعا لرحمه وقرابته غير متق لله ولا مستحضر لكونه رقيباً عليه(و) قال(الآية الأخرى التى فى آخر الحشر) وهى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد) وفيها غاية الحث على ما فى التى قبلها (تصدق) خبر بمعنى الامر وهو أبلغ لدلالته على الوقوع أى ليتصدق (رجل) نكرة وضع موضع الجمع المعرف كما اقتضاه السياق فأفاد العموم ومن ثم كرر من هنا من غير عاطف فقال (من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره) أى ورجل من درهمه وهكذا (حتى قال ولو بشق تمرة) أى ليتصدق ولو كان بشق تمرة

فجاء رجل من الأنصار بِصُرَّة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ، ثم تتابع الناس حتى رأيتُ كَومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ سَنَّ فى الإسلام سُنَّةً حسنةً فله أجرها وأجرُ من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ومن سن فى الإسلام سنة سيئة

و« من » للجنس أى ببعض ماعنده من هذا الجنس تبعيضية ومجرورها والظرف فى محل الحال أو ابتدائية متعلقة بتصدق أى من ديناره وان احتاجه لأن الايثار فى ذلك شأن الكمل «قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» (فجاء رجل من الانصار بصرة) رواه مسلم كذا مبهما فى كتاب الزكاة وعين أنها من ورق فى روايته فى كتاب العلم آخر صحيحه (كادت كفه تعجز) بكسر الجيم (عنها بل) اضراب مفيد للتأكيد والتحقيق (قد عجزت ثم تتابع) بمثناتين فوقيتين وبعد الالف (الناس) أى فى إتيان كل ماقدر عليه (حتى رأيت كومين من طعام وثياب)هو بفتح الكاف وضمها قال القاضى : ضبطه بعضهم بالفتح وبعضهم بالضم قال ابن سراجن : هو بالضم اسم لما كوم وبالفتح المرة الواحدة قال والكومة بالضم الصبرة والكوم العظيم من كل شىء والكوم المكان المرتفع كالرابية قال القاضى والفتح هنا أولى لأن مقصوده الكثرة والتشبيه بالرابية (حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل) أى يستنير ويضىء لما حصل عنده من الفرح باغتناء أولئك المحتاجين ومبادرة أصحابه إلى الامتثال (كأن مذهبه) سيأتى ضبطه وأن المراد منه على القولين الصفاء والاستنارة (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة حسنة) أى طريقة مرضية وان لم يكن حسنها بالنص بل بالاستنباط بأن دعى لفعلها بقول أو فعل أو أعان عليها أو فعلها فاقتدى به فى فعلها (فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده) أى ومثل أجره فثم مضاف وأنه لما تسبب فى إيجاده جعل كأنه العامل لها المأجور بها ففى الكلام تجوز (من غير أن ينقص من أجورهم شىء) فاعل ينقص أى إن حصول أجر مثل الفاعل لها لدلالته عليها لايدخل به شىء من النقص فى أجورهم (ومن سن فى الاسلام سنة سيئة) معصية وان قلت بأن فعلها فاقتدى به فيها أو دعى اليها أو

كان عليه وزْرُها ووزر من عمل بها من بعــده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » رواه مسلم قوله (مجتابى النمار) هو بالجيم و بعد الألف باء موحدةو (النمار) جمع نَمِرَةٍ وهى كساء من صوف مخطط ومعنى (مجتابيها) لابسيها قد خرقوها فى رءوسهم و (الجوب) القطع ومنه قوله تعالى « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » أى نحتوه وقطعوه وقوله (تمعر) هو بالعين المهملة أى

أعان عليها (كان عليه وزرها) أى وزر عملها (ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) وذلك لأن فعل المكلفين وإن كان غير موجب ولا مقتضى لثواب ولا عقاب بذاته إلا أن الله تعالى أجرى عادته الالهية بربطهما به ارتباط المسبب بالسبب وليس للعبد تأثير فى صدور الفعل عنه بوجه فكما يترتب كل منهما على ما يباشره يترتب على ماهو السبب فيه بنحو ارشاد أوأمر فلما انفكت جهة المباشرة عن جهة جزاء الدلالة لم ينقص أجر الدال من أجر المباشر شيئا وعلم من الحديث أن له صلى الله عليه وسلم من مضاعفة الثواب بحسب مضاعفة أعمال أمته ما لا يحيط به عقل ولا يحده حد وذلك أن له مثل ثواب أصحابه بالنسبة لما عملوه وما دلوا عليه من بعدهم المضاعف لهم ثوابه إلى يوم القيامة وهكذا فى كل مرتبة من مراتب المبلغين عنه إلى انقضاء الامة ومنه يعلم عظيم فضل كل أهل مرتبة المتضاعف المتعدد بتعدد من بعدهم فتأمله لتعلم فضل السلف على الخلف والمتقدمين على المتأخرين كذا فى فتح الإله قال المصنف وفى هذا أى من سن سنة حسنة الخ تخصيص « قوله صلى الله عليه وسلم كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » وقد تقدم انقسام البدعة إلى خمسة أقسام (رواه مسلم) فى كتابى الزكاة والعلم من صحيحه (قوله مجتابى النمار هو) بضم الميم و (بالجيم وبعد الألف موحدة والنمار) بكسر النون (جمع نمرة) بفتح فكسر (وهى كساء من صوف مخطط) ومعناها قاطعيها كما قال (ومعنى مجتابيها لابسيها) حال كونهم (قد خرقوها) أى محل جيو بها (فى رءوسهم) ونصب لابسيها الخبر عن « معنى » لمشاكلة المفسر المفسر (والجواب) المأخوذ منه مجتابى المذكور (القطع ومنه قوله تعالى وثمود الذين جابوا الصخر بالواد أى نحتوه وقطعوه) واتخذوه بيوتا بالوادى وادى القرى (وقوله تمعر هو بالعين المهملة) المشددة (أى

تغير وقوله (رأيت كومين) بفتح الكاف وضمها أى صُبرتين وقوله (كأنه مُذْهَبَة)
هو بالذال المعجمة وفتح الهاء والباء الموحدة قاله القاضى عياض وغيره وصحفه بعضهم
فقال (مدهنة) بدال مهملة وضم الهاء وبالنون وكذا ضبطه الحميدى ، والصحيح
المشهور هو الأول ، والمراد به على الوجهين الصفاء والاستنارة

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليس من
نفس تُقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول

تغير) من قولهم مكان أمعر أى أجدب (وقوله رأيت كومين) ضبط كما تقدم عن
القاضى (بفتح الكاف وضمها) وتقدم عنه أن الأول هو الراجح (أى صبرتين)
بضم الصاد المهملة اسم للمجموع من الطعام (وقوله كأنه مذهبة) بضم الميم
و(بالذال المعجمة) الساكنة (وفتح الهاء والباء الموحدة قاله القاضى عياض) فى
المشارق (وغيره) من الأئمة (وصحفه بعضهم فقال مدهنة بدال مهملة) ساكنة
(وبضم الهاء وبالنون) المفتوحة (وكذا ضبطه الحميدى) بل لم يذكر فى الجمع بين
الصحيحين غير هذه الرواية إن صحت ، المدهن الاناء الذى يدهن فيه وهو أيضا
اسم للنقرة فى الجبل التى يستنقع فيها ماء المطر فشبه صفاء وجه الكريم بصفاء هذا
الماء وصفاء هذا الدهن (والصحيح المشهور) قال المصنف فى شرح مسلم قال
القاضى والصواب (هو الأول) وهو المعروف فى الروايات وذكر فى تفسيره على هذا
وجهين أحدهما معناه فضة مذهبة فهو أبلغ فى حسن الوجه واشراقه والثانى شبهه
فى حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود وجمعها مذاهب وهو شىء كانت العرب تصنعه
من جلود وتجعل فيه خطوطا مذهبة يرى بعضها إثر بعض (والمراد به على الوجهين)
أى ضبطه بالنون والباء وبالمهملة والنون (الصفاء والاستنارة)

(وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من)
زائدة لتأكيد استغراق النفى (نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الأول)
وهو قابيل القاتل لأخيه هابيل حين تزوج كل منهما بأخته التى مع الآخر فى
بطن واحدة وكان شريعة آدم عليه السلام أن بطون حواء كانت بمنزلة الأقارب
الأباعد وحكمته تعذر التزوج فاقتضت مصلحة بقاء النسل تجويز ذلك فحينئذ
قتل قابيل هابيل لأن زوجته كانت أجمل فأدى به حسده الى قتله وهذا لا يمنع

كِفْلٌ من دَمِها لأنه كان أولَ من سَنَّ القتل » متفق عليه

باب في الدّلالة على خير والدعاء إلى هدًى أو ضلالة

قال تعالى « وادع إلى ربك » * وقال تعالى « ادْعُ إلى سبيل ربِّك بالحكمة والموعظة الحسنة » * وقال تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى » * وقال تعالى « ولْتكن منكم أمة يدعون إلى الخير »

السبب المذكور في الآية لامكان أن سبب القتل به هذا الحسد، وأفهم قوله الأول أنه أول أولاد آدم فانهما أول قاتل ومقتول من ولد آدم (كفل) بكسر الكاف وسكون الفاء أي نصيب (من) اثم (دمها لأنه كان أول من سن القتل) ففعله بأخيه فكل من فعله بعده مقتد به ولو بواسطة أووسائط (متفق عليه) قال زين العرب في شرح المصابيح : إن قلت هذا مناف لقوله تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » قلت كل واحدة من النفسين المباشرة والمتسببة وازرة اثمها اه وقد تقدم بسطه في الكلام على الحديث قبله

باب في الدلالة

بتثليث الدال المهملة والافصح الفتح (على خير) ديني أو دنيوي ليس فيه كراهة دينية (والدعاء إلى هدى أو ضلالة) أي في ثواب الأولين وعقاب الاخير

(قال الله تعالى وادع الى ربك) أي ادع الناس إلى ربك بتوحيده وعبادته وفيها الأمر بالدعاء سواء أسمع أم لا وفي ذلك اشارة إلى أنه ينبغي الذكر وان لم ينفع (وقال تعالى ادع) الناس يامحمد (الى سبيل ربك) دينه (بالحكمة) بالقرآن (والموعظة الحسنة) مواعظه أو القول الرفيق (وقال تعالى وتعاونوا على البر) فعل ما أمرتم به (والتقوى) ترك ما نهيتم عنه وهذا الأمر عام في سائر الطاعات فرض في الفروض مندوب في المندوب (وقال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) فيه اشارة إلى أن الدعاء إلى الحق والخير أفضل الأمة ولذا ميزهم بالذكر وفي قوله ومنكم إشارة إلى أنه لا يكون سائر الناس في رتبة بل يتفاوتون اذ يكون العالم والأعلم والفاضل والأفضل

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاريّ البدريّ رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله » رواه مسلم

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من دعا إلى هدًى

(وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الانصارى البدرى) تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب المجاهدة (قال قال رسول الله ﷺ من دل على خير فله مثل أجر فاعله) بسببه كما فى مسلم عن أبى مسعود قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أبدع بى فاحملنى قال ما عندى قال رجل يارسول الله أنا أدله على من يحمله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دل على خير الخ وقوله « أبدع بى » بضم الهمزة وسكون الموحدة آخره مهملتان أى هلكت راحلتى وانقطع بى ، وروى بدع بضم الموحدة وتشديد الدال قال عياض وغيره وليس بمعروف فى اللغة وقوله من دل الخ قال المصنف المراد أن له ثوابا مثل ما أن لفاعله ثوابا ولا يلزم أن يكون قدرهما سواء اه وذهب بعضهم إلى أن المثلية فى أصل الثواب دون التضعيف المزيد للعامل واختار القرطبي أنه مثله حتى فى التضعيف قال لأن الثواب على الاعمال انما هو بفضل من الله فيعطيه لمن يشاء على أى شيء صدر منه خصوصا إذا صحت النية التى هى أصل الأعمال فى طاعة عجز عن فعلها لمانع منع منها فلا بعد فى مساواة أجر ذلك العامل لاجل ذلك القادر الفاعل أو يزيد عليه قال وهذا جار فى كل ما ورد مما يشبه ذلك كحديث « من فطر صائما فله مثل أجره » اه قلت وحديث الترمذى الذى فيه ورجل ليس عنده شيء من الدنيا وتمنى أنه لو كان ذلك لأنفقه فيما أنفقه فيه من الخيرات صاحبه فهما فى الأجر سواء أو كما قال والحديث الآتى فيه يشهد ظاهرهما لما قاله القرطبي (رواه مسلم) تقدم فى شرح خطبة الكتاب بيان من خرجه والحديث عقبه زيادة على مسلم

(وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى) أى من أرشد غيره الى فعل خير عظيم كثير أو ترك ضده كاماطة

كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئا » رواه مسلم

وعن أبى العباس سهل بن سعد الساعدىّ رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خَيْبَرَ .

الأذى عن الطرق أو أمره به أو آعانه عليه (كان له من الأجر مثل أجور من تبعه) فعمل بدلالته أو امتثل (لا ينقص ذلك) الأجر العظيم المعطى للدال على دلالته (من أجورهم) المعطاة على أعمالهم (شيئا) لاختلاف جهة الجزاء كما تقدم بسطه فى الباب قبله وهو لازم تارة ومتعدأخرى وقد استعمل بهما فى الحديث واستعمل قاصراً فى الحديث السابق عن جرير فى الباب قبله كما تقدم ، باقى هذا الحديث (ومن دعا الى ضلالة) أى من أرشد غيره الى فعل اثم وإن قل أو أمره به أو أعانه عليه (كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه) عليها وامتثل أمره فيها (لاينقص ذلك من آثامهم شيئا رواه مسلم) وغيره ممن تقدم ثمة

(وعن أبى العباس) وقيل أبو يحيي (سهل بن سعد) بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصارى (الساعدى رضى الله عنه) كان اسمه حزنا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم سهلا قال الزهرى سمع سهل من النبي صلى الله عليه وسلم وكان له فى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة وتوفى بالمدينة سنة ثمان وثمانين وقيل سنة احدى وتسعين قال ابن سعد وهو آخر من مات بالمدينة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ليس فيه خلاف وقال غيره بل فيه الخلاف كذا فى التهذيب للمصنف قلت ويؤيد الخلاف الذى نقله المصنف ما تقدم فى باب التقوى من اليواقيت الفاخرة أن آخر من مات بالمدينة السائب بن يزيد المعروف بابن أخت النمر توفى سنة احدى وتسعين روى له عن « رسول الله ﷺ » مائة حديث وثمانية وثمانون حديثاً انفقا على ثمانية وعشرين وانفرد البخارى بأحد عشر (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) يوم (خيبر) جرت عادة العرب الكناية بيوم كذا عن غزوته سواء كانت

لأعطينَّ هذه الرايةَ غداً رجلاً يفتحُ اللهُ على يديه يحبُّ اللهَ ورسولهُ ، ويحبه اللهُ ورسولهُ فبات الناس يَدوكون ليلتَهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدَوْا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أينَ عَلِيُّ بنُ أبي طالب ؟ فقيل يارسول الله هو يشتكي عينيه ، قال فأرسلوا إليه ، فأُتِيَ به . فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعاله .

فى يوم أو أقل أو أكثر هذا المقال صدر منه فى بعض أيام تلك الغزوة فانها كانت أياما (لأعطين الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه) والتنوين فى رجل للتعظيم وأبدل منه ما يزيد فى تعظيمه قوله (يحب الله ورسوله) بالنصب (ويحبه الله ورسوله) أى جامع للوصفين حائز للشرفين المتلازمين « يحبهم ويحبونه » « رضى الله عنهم ورضوا عنه » وتقدم أن المراد من محبة الله للعبد توفيقه لمرضاته وإثابته والمراد من محبة العبد لله ورسوله امتثال أوامرهما واجتناب مناهيهما (فبات الناس يدوكون) يخوضون (ليلتهم) أى فيها (أيهم يعطاه) بالبناء للمفعول (فلما أصبح الناس غدوا) هو السير أول النهار والرواح السير آخره هذا أصلهما وقد يستعمل كل فى موضع الآخر (على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو) الافراد باعتبار لفظ كل قاله فى مغنى اللبيب إذا أضيفت كل الى معرفة فقالوا يجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها وقد اجتمع فى قوله تعالى (إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم » والصواب أن الضمير لايعود اليها من خبرها إلا مفرداً مذكراً على لفظها نحو « وكلهم آتيه » وقوله ﷺ « كلكم راع » وأما « لقد أحصاهم » فجملة أجيب بها القسم المقدر وليست خبراً عن كل وضميرها راجع لمن ومن معناها الجمع اه (أن يعطاها) ورجاؤها ذلك لا للذات الراية إنما هو لشرف صاحبها من كونه محبا لله تعالى ورسوله محبوبا لهما (فقال أين على بن أبى طالب فقيل يارسول الله هو يشتكى عينيه) أى بالرمد كما جاء فى رواية أخرى (قال فارسلوا اليه) إن كان فاعل قال ضمير يعود إلى النبى ﷺ كما يقتضيه السياق ، فيكون قوله فارسلوا اليه بصيغة الأمر مرفوعا وإن كان فاعله يعود إلى الراوى ففى الكلام اختصار فقال ارسلوا اليه فارسلوا اليه ولم أقف فيه على ضبط (فأتى) بالبناء للمفعول (به فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له) أى بالعافية

فبرىء حتى كأنْ لم يكن به وجع . فأعطاه الرايةَ . فقال عليٌّ رضى الله عنه : يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ قال انفذ على رِسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعُهُمْ إلى الإسلام وأخبرهم بما يجبُ عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأنْ يَهدِيَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْرِ النعم » متفق عليه (قوله يدوكون) أى يخوضون و يتحدثون (قوله رسلك) بكسر الراء و بفتحها

(فبرىء) عقب ذلك حالا معجزة له صلى الله عليه وسلم وكرامة باجابة دعوته فزال الوجع وآثاره (حتى كأن) بتخفيف النون أى كأنه (لم يكن به وجع) فيهما (فأعطاه الراية فقال يارسول الله أقاتلهم) أى أؤقاتلهم بتقدير همزة الاستفهام قبل الفعل وحذفها دفعا لثقل توالى همزتين (حتى يكونوا مثلنا) فى الاسلام ويدخلوا فى الدين (قال انفذ) بضم الفاء وبالذال المعجمة أى امض (على رسلك) أى على هينتك ولا تعجل وأصله السكون والثبات (حتى تنزل بساحتهم) هى الناحية والفضاء بين دور الحى (ثم) أى بعد وصولك لها (ادعهم إلى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله) الواجب (فيه) من الأعمال البدنية كالصلاة والصيام والمالية كالزكاة والجامعة لهما كالحج والعمرة وتمسك بهذا الحديث قوم فقالوا يجب الدعاء قبل القتال والصحيح أنه مخصوص بمن لم تبلغه الدعوة لأن النبى صلى الله عليه وسلم أغار على بنى المصطلق وهم غادون (فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحداً) أى ينقذه من الكفر والضلال بدلالتك له على الاسلام والهدى (خير لك من حمر النعم) أى من أن تكون لك ، وحمر النعم هى الابل الحمر وهى أنفس أموال العرب ويضربون بها المثل فى نفاسة الشىء وانه ليس هناك أعظم منه وتشبيه أمور الآخرة باعراض الدنيا انما هو للتقريب إلى الافهام وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الدنيا بأسرها وأمثالها معها لو تصورت كما سبق فى الكلام على شرح هذه الجملة مع بيان من رواها فى آخر شرح خطبة الكتاب ، وفى الحديث بيان فضل العلم والدعاء إلى الهدى وسن الدعاء إلى الهدى وسن السنن الحسنة (متفق عليه) وحديث على تقدم فى باب « المبادرة إلى الخيرات » من حديث مسلم فلا زيادات فيه هنا (قوله يدوكون) بالدال المهملة (أى يخوضون ويتحدثون) قال المصنف وفى بعض نسخ مسلم يذكرون بالذال المعجمة وبالراء و (قوله رسلك) بالجر على الحكاية (بكسر الراء وفتحها) وسكون السين فيهما

لغتان والكسر أفصح

وعن أنس رضى الله عنه «أن فتىً من أسلم قال : يارسول الله إنى أريد الغزوَ وليس معى ماأتجهز به . قال ائت فلاناً فانه قد كان تجهز فمرض . فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقْرَؤُكَ السلامَ ويقول أعطنى الذى تجهزْتَ به . فقال : يافلانة أعطيه الذى تجهزت به ولا تَحبسى منه شيئا ، فوالله لاتحبسى منه شيئا

(لغتان والكسر أفصح) وعليه اقتصر ابن الاثير فى النهاية فقال الرسل بالكسر الهينة والتأنى قال الجوهرى يقال افعل كذا وكذا على رسلك أى اتئد فيه كما يقال على هينتك

(وعن أنس رضى الله عنه أن فتى من أسلم) أى القبيلة وهو كما قال الحازمى فى كتاب الأنساب أسلم بن أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن عويمر بن عمر كذا ساقه البرقى وقال خليفة بن خياط : أسلم بن أفصى بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة ابن المازن بن الازد بن الغوث وهم خلق كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء ورواة الحديث اه « قلت » وعلى القول الثانى جرى الأصفهانى فى كتاب لب الالباب مختصر كتاب الانساب للسمعانى (قال يا رسول الله انى اريد الغزو وليس معى ما أتجهز به) الجهاز مايحتاج اليه المسافر (قال ائت فلانا فانه كان قد تجهز) للغزو (فمرض) فتأخر له ففيه الدلالة على الخير وفيه أن من نوى صرف شىء فى خير وتعذر عليه استحب له بذله فى خير آخر ولا يلزمه ذلك الا بالنذر (فاتاه فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك) بضم التحتية (السلام ويقول لك اعطنى الذى تجهزت به) أى إعانة لى على الخير (فقال) مسارعا لامتثال أمر المصطفى ﷺ (يافلانة) كناية عن اسم المرأة وقد تقدم بسط فيه عن التهذيب للمصنف (أعطيه الذى تجهزت به) أى من الراحلة والزاد وغيره مما هيأه مما يحتاجه المسافر (ولا تحبسى) تؤخرى (منه شيئا فوالله لاتحبسين) فى نسخة بحذف النون فان ثبتت رواية خرجت على أنها لمناسبة ما قبلها كما خرج على ذلك قوله ﷺ « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا » الحديث على أن حذف النون لغير الجازم والناصب لغة حكاها المصنف وغيره (منه شيئاً

فيبارك لك فيه » رواه مسلم

﴿ باب فى التعاون على البر والتقوى ﴾

قال الله تعالى « وتعاوَنوا على البرِّ والتقوى » * وقال تعالى « والعَصْرِ إنَّ الإنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصَوْا بالحق وتواصوا بالصبر» *

فيبارك) بالنصب (الله لك فيه) لأنه تصرف فيه على خلاف رضا مالكه وهواه لأنه أمر بدفعه أجمع لمن أرسله النبي صلى الله عليه وسلم فاذا خالفت وحبست منه بعض الشيء تستكثره له لا يبارك لها فيه (رواه مسلم) وفى الحديث دلالته صلى الله عليه وسلم لذلك المنقطع على ذلك الذى تجهز ثم ترك المرض ففيه مناسبة الترجمة

﴿ باب التعاون على البر والتقوى ﴾

(قال الله تعالى وتعاونوا) أى ليعن بعضكم بعضا (على) اكتساب (البر) قال ابن عباس متابعة السنة (والتقوى) وتقدم فى الباب قبله فوائد فى الآية (وقال تعالى والعصر) الدهر أو ما بعد الزوال أو صلاة العصر أو زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم به كما أقسم بمكانه تنبيها بذلك على أن زمانه أفضل الازمان وأشرفها وجواب القسم (ان الانسان) أل فيه للاستغراق (لفى خسر) أى خسران ونقصان فى تجارته لأن تجارة الانسان عمره فاذا ضاعت الساعة منه فى معصية فهو الخسران المبين الظاهر أو فى طاعة فعل غيرها أفضل وهو قادر على الاتيان به فكان فى فعل غير الافضل تضييع وخسران فبان بذلك أنه لا ينفك انسان عن خسران (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فليسوا فى خسر وكل ما مر من عمر الانسان فى طاعة الله فهو فى صلاح وخير وما كان بضده فهو فى خسر وفساد وهلاك (وتواصوا) أى أوصى بعضهم بعضاً (بالحق) أى الايمان والتوحيد وقيل القرآن والعمل بما فيه (وتواصوا بالصبر) على الطاعة وعن المعصية قال الخازن وقيل أراد ان الانسان اذا عمر فى الدنيا وهرم ففى نقص وتراجع الا الذين آمنوا فان الله يكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التى كانوا يعملونها فى شبابهم وصحتهم وهى مثل قوله تعالى « ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر

قال الامام الشافعى رحمه الله كلاما معناه « إن الناس أو أكثرهم فى غفلة عن تدبر هذه السورة »

وعن أبى عبد الرحمن زيد بن خالد الجهنى

غـير ممنون » اهـ (قال الامام) هو لغة من يقتدى به وفى عرف الشرع من يقتدى به فى الخير (الشافعى) عالم قريش المحمول عليه (لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض علما » محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف جـد النبى ﷺ لقى النبى صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع وأسلم أبوه يوم بدر بعد أن أسر بها وفدى نفسه ، ولد الشافعى بغزة على الاصح سنة خمسين ومائة ثم حمل إلى مكـة ونشأ بها وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين والموطأ وهو ابن عشر وتفقه على مسلم بن خالد المعروف بالزنجى لشدة شقرته من أسماء الاضداد وأذن له فى الافتاء وهو ابن خمس عشرة سنة ثم رحل إلى مالك ولازمه مدة ثم قدم بغداد سنة خمس وتسـعين ومائة فأقام بها سنتين فاجتمع عليه علماؤها ورجع كثير منهم عن مذاهب كانوا عليها إلى مذهبه وصنف بها كتابه القديم ثم عاد الى مكة فأقام بها شهرا ثم خرج إلى مصر ولم يزل بها ناشرا للعلم ملازما للاشتغال بجامعها العتيق إلى أن مات وهو قطب الوجود يوم الجمعة سلخ رجب سنة أربع ومائتين ودفن بعـد العصر من يومه ومناقبه كثيرة أفردت بالتآليف فى مجلدات ومن شعر الشافعى (رحمه الله)

أمت مطامعى فأرحت نفسى ... فان النفس ما طمعت تهـون

وأحييت القنوع وكان ميتـا ... ففى احيائه عرضى مصـون

إذا طمع يحـل بقلب عبـد ... علتـه مهـانة وعـلاه هون

(كلاما) مفعول قال وجاز عمله فيه مع أنه مفرد وينصب القول الجمل ، لأنه يؤدى مؤداها ولم أقف على لفظه المذكور ولم يذكر المصنف من خرجه عنه حتى يرجع اليه (معناه أن الناس أو) للتردد (أكثرهم فى غفلة عن تدبر) مقاصد (هذه السورة) وما هى مؤدية ومنبهة بشرفه من التواصى بالحق والصبر ومن عمل البر وخسران من لم يكن كذلك

(وعن أبى عبد الرحمن) وقيـل أبو طلحة وقيل أبو زرعة (زيد بن خالد الجهنى) بضم الجيم نسبة إلى جهينة قال الحازمى جهينة بن زيد بن ليث بن سود

رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ جَهَّزَ غازياً فى سبيل الله فقد غزا ، ومَنْ خَلَفَ غازيا فى أهله بخير فقد غزا » متفق عليه

وعن أبى سعيد الخدْرى رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن أسلم بن لحاف بن قضاعة قبيلة عظيمة منها بشر كثير من الصحابة اهـ سكن زيد (رضى الله عنه) المدينة وشهد الحديبية وكان معه لواء جهينة يوم الفتح روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد وثمانون حديثا اتفقا على خمسة منها وانفرد مسلم بثلاثة توفى بالمدينة وقيل بالكوفة وقيل بمصر سنة ثمان وخمسين وهو ابن خمس وثمانين سنة وقيل غير ذلك ذكره المصنف فى التهذيب (قال قال نبى الله ﷺ من جهز غازياً فى سبيل الله) أى هيأ أسباب السفر له اعانة على الخير (فقد غزا) قال ابن حبان معناه أنه مثله فى الاجر وان لم يغز حقيقة (ومن خلف) بالخاء المعجمة المفتوحة وبتخفيف اللام المفتوحة أيضا (غازيا) فى سبيل الله (فى أهله بخير) بأن قام بما يحتاجون اليه (فقد غزا) وفى رواية لابن حبان من جهز غازيا فى سبيل الله أو خلفه فى أهله كتب الله له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجره شىء (متفق عليه) ورواه ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ من جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل أجره حتى يموت أو يرجع ، قال العلقمى أفادت هذه الرواية فائدتين أن الوعد المذكور مرتب على اتمام التجهيز وهو المراد بقوله حتى يستقل وأنه يستوى معه فى الأجر إلى أن تنقضى تلك الغزوة اهـ ثم قال فى أثناء كلام لكن من يجهز الغازى بماله مثلا وكذا من يخلفه فيمن يتركه بعده يباشر شيئا من المشقة أيضا فان الغازى لا يتأتى منه الغزو الا بعد أن يكفى ذلك العمل فصار كأنه يباشر معه الغزو بخلاف من اقتصر على النية مثلا أى حصل له أجر سبب الغزو وهذا الأجر يحصل بكل جهاز سواء قليله وكثيره ولكل خالف فى أهله بخير من قضاء حاجة لهم أو انفاق عليهم أو ذب عنهم أو مساعدتهم فى أمرهم ويختلف قدر الثواب بقلة ذلك وكثرته « قلت » وبه يعلم أن ما أفاده حديث ابن ماجه من ترتب الأجر على تمام التجهيز المراد به كمال الأجر ودوامه المشار اليه بقوله حتى يرجع اليه لا أصله فهو حاصل بما فعل من التجهيز وإن قل

(وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعث بعثا إلى بنى لحيان من هذيل فقال . لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما » رواه مسلم

وعن ابن عباس رضى الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى ركبا بالروحاء فقال . من القوم ؟ قالوا المسلمون !

بعث) أى أراد أن يبعث (بعثا الى بنى لحيان) بكسر اللام وفتحها والكسر أشهر بطن (من هذيل) إذ هو لحيان بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر قال المصنف فى شرح مسلم واتفق العلماء على أن بنى لحيان كانوا فى ذلك الوقت كفاراً فبعث اليهم بعثاً يغزوهم (فقال) لذلك البعث (لينبعث من كل رجلين أحدهما) مراده كما قال المصنف من كل قبيلة نصف عددها (والأجر) أى مجموع الحاصل للغازى والخالف له بخير (بينهما) فهو بمعنى قوله فى الحديث قبله « ومن خاف غازيا فقدغزا » وأماحديث مسلم « أيكم خلف الخارج فى أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج » فقال القرطبى لفظة نصف تشبه أن تكون مقحمة أى مزيدة من بعض الرواة وقال العلقمى لاحاجة لدعوى زيادتها بعد ثبوتها فى الصحيح والذى يظهر فى توجيهها أنها إنما أطلقت بالنسبة إلى مجموع الثواب الحاصل للغازى والخالف له بخير فان الثواب إذا قسم بينهما نصفين كان لكل منهمامثل ماللآخر فلا تعارض بين الحديثين « قلت » إلا أنه على هذا التوجيه يكون فيه حذف وعلى توجيه القرطبى تكون فيه زيادة والله أعلم ثم قوله ، والأجر بينهما محمول على ما إذا خاف المقيم الغازى فى أهله بخير كما تقدم فى الحديث قبله وصرح به باقى الأحاديث (رواه مسلم)

(وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ لقى) فى حجة الوداع (ركبا) بفتح الراء وسكون الكاف جمع راكب كصحب وصاحب (بالروحاء) بالمهملتين محل بقرب المدينة (فقال) بعد أن سلم عليهم كما فى حديث أبى داود (من القوم) قال ابن رسلان ففيه السلام على الركب المسافرين إذا لقيهم وإن لم يعرفهم وان الذى يسلم يكون كبير القوم وان من لقى غيره لا يكلمه قبل أن يسلم عليه وكذا لا يجيب من كلمه قبل أن يسلم لحديث «السلام قبل الكلام» (قالوا المسلمون) فيه دليل على اطلاق ذلك ولا يحتاج الى فصله بقوله إن شاء الله خوفا من

فقالوا مَنْ أنت ؟ قال · رسـول الله ، فرفعت اليه امرأة صبيا فقالت ألهذا حج ؟ قال نعم ، ولك أجر » رواه مسلم

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « الخازن المسلم الأمين الذى ينَفِّذ ماأمر به فيعطيه كاملاً موفَّراً طَيِّبَةً به نفسه

سوء الخاتمة أى لأن الأصل بقاء الفضل وان كان الاتيان بهـا نظراً لذلك أفضل (فقالوا من أنت) وعند أبى داود من أنتم قال القاضى عياض يحتمل أن يـكون هذا اللقاء كان ليلا فلم يعرفوه ويحتمل كونه نهاراً لـكنهم لم يروه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك لعدم هجرتهم فأسلموا فى بلدانهم ولم يهاجروا قبل ذلك (فقال أنا) وفى رواية أبى داود فقالوا (رسـول الله فرفعت اليه امرأة صبياً) زاد أبو داود فأخذت بعضده فأخرجته من محفتها (فقالت يارسول الله) كما فى أبى داود (ألهذا) وعند أبى داود هل لهـذا (حج) أى يصح له (قال نعم) فيه حجـة للشـافعى والجمهور على انعقاد حج الصبي وان كان غير مميز إذ من يخرج من المحفة بعضده لا تمييز له فيحرم عنه الولى إن كان غير مميز ويخير بين ذلك والاذن للصبي إن كان مميزا فيثاب الصبي عليـه فى الحالين و إن كان لا يجزيه عن حجة الاسـلام بل يقع تطوعا (ولك أجر) أى ويثبت لك الأجر بسبب الحمل وتجنيبه ما يتجنبه المحرم وفعل ما يفعله المحرم واما الاحرام عنه فان كانت وصية أو قيمة صـح وإلا فلا ولا أجر لها فى الاحرام عنه حينئذ اما أجر حجه فيكتب له مع سائر مايعمله من الطاعات من طواف وسـعى وطهارة وصلاة وغيرها من الطاعات ولا يكتب له معصية بالاجماع (رواه مسلم) وأبو داود

(وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال الخازن) لمال غيره باذنه (المسلم الأمين) أى فى ذلك المـال الذى أمر باعطائه وإن خان فى غيره قبل أو بعد فيما يظهر من القواعد لأن سبق المعصية أو تأخرها فيما لا تعلق له بما أطاع فيه لايقتضى نقص ثواب ماأطاع فيه (الذى ينفذ) بفاء مكسورة مثقلة ومخففة (ما أمر به) أى باعطائه (فيعطيه كاملا موفراً) تأكيد بعد تأكيد لما غلب على الخزان من الطمع فيما أمروا باعطائه والنقص عنه (طيبة به نفسه) بأن لا يحسد المعطى ولا يظهر له من العبوس وتقطيب الوجه مايكدر خاطره ، ونبه

فيدفعه إلى الذى أُمِر له به أحدُ المتصدقين » متفق عليه (وفى رواية) « الذى يعطى ماأمر به » (وضبطوا المتصدقين) بفتح القاف مع كسر النون على التثنية وعكسه على الجمع وكلاهما صحيح

﴿ باب فى النصيحة ﴾

قال تعالى (إنما المؤمنون إخوة) *

صلى الله عليه وسلم على ذلك لأن أكثر الخزان غلب عليهم البخل بمال غيرهم فهم أبخل البخلاء (فيدفعه الى الذى أمر) بالبناء للمفعول (له) راجع للذى (به) راجع للمال (أحد المتصدقين) فيكتب له بتلك الشروط الأربعة ثواب من ثواب الصدقة لكنه يقل ويكثر بحسب تعبه وبشاشته ورفقه فى الاعطاء (متفق عليه) ورواه أحمد وأبو داود والنسائى عن أبى موسى كذا فى الجامع الصغير (وفى رواية) لهما (الذى يعطى ما أمر به) وعليها اقتصر صاحب المشكاة وقال متفق عليه (وضبطوا) أى المحدثون (المتصدقين بفتح القاف مع كسر النون على التثنية) أى على أنه مثنى وعلى هذا اقتصر فى شرح مسلم ، وعليه فهما هو وباذل الصدقة (وعكسه) أى كسر القاف وفتح النون (على الجمع) الصحيح المذكر السالم وهو جنس الخازن وجنس المتصدق أو أطلق الجمع وأريد به الاثنان مجازا (وكلاهما) أى الضبطين (صحيح) باعتبار المعنى كما عرفت

باب النصيحة

قال الفاكهانى فى شرح الأربعين الحديث التى جمعها المصنف : النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الخير للمنصوح له يقال إنها من وجيز الأسماء ومختصر الكلام وأنه ليس فى كلام العرب كلمة مفردة تستوفى العبارة عن معنى هذه الكلمة كما قالوا فى الفلاح : ليس فى كلام العرب كلمة أجمع لخير الدارين منها وهى مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه ، شبه فعل الناصح فيما يتحراه للمنصوح له بسد الخياطة خلل الثوب وإصلاحه ، وقيل إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع . شبه تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط اهـ

(قال الله تعالى إنما المؤمنون إخوة) ففى التعبير بالاخوة المقتضية للنظر فى مصالحه

وقال تعالى إخباراً عن نوح صلى الله عليه وسلم (وأنصح لكم) وعن هود صلى الله عليه وسلم (وأنا لكم ناصح أمين)

وأما الأحاديث (فالأول) عن أبى رُقَيَة تميم بن أوس الدارىّ رضى الله عنه

وما ينفعه إيماء إلى نصحه * (وقال تعالى إخباراً) أى مخبراً (عن نوح صلى الله) على نبينا و (عليه وسلم) أى عما قاله لقومه (وأنصح لكم) قال السلمى فى الحقائق قال بعضهم : « أنصح لكم » أدلكم على طريق رشدكم ، وقال شاه الكرمانى : علامة النصيحة ثلاثة : اغتمام القلب بمصائب المسلمين ، وبذل النصح لهم ، وإرشادهم إلى مصالحهم وإن جهلوا وكرهوه (و) قال تعالى مخبراً (عن)قول(هود) لقومه(وأنا لكم ناصح) أى فيما آمركم به من عبادة الله وترك ماسواه (أمين) على تبليغ الرسالة وأداء النصح والأمين الثقة على ما اؤتمن عليه ، حكى الله عن نوح بصيغة الفعل وعن هود بصيغة اسم الفاعل . قال الخازن فى لباب التأويل . والفرق أن صيغة الفعل تدل على تجدده ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلا ونهارا كما أخبر الله تعالى عنه بذلك ، فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل ، وأما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتا دون وقت ، فلذا ذكر بصيغة الوصف ، وفى الآية جواز مدح النفس والثناء عليها فى مواضع الضرورة إلى مدحها

(وأما الاحاديث) النبوية فى النصيحة فكثيرة : (عن أبى رقية) كنى بابنة له لم يولد له غيرها (تميم بن أوس) بن خارجة بن سود بن حذيمة بن دراع بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (الدارى) نسبة إلى جده الدار ويقال فيه الديرى نسبة إلى دير كان يتعبد فيه ، أسلم تميم (رضى الله عنه) سنة تسع وسكن المدينة ثم انتقل إلى الشام ونزل بيت المقدس بعد قتل عثمان ، روى له عن رسول الله ﷺ ثمانية عشر حديثا ، روى له مسلم حديثا واحداً ، وروى عنه باقى الستة إلا البخارى ، وهذا الحديث من إفراد مسلم وليس لتميم فيه سوى هذا الحديث وقد قيل هذا الحديث عليه مدار الاسلام وقيل أحد أرباع الاسلام وصحح بعضهم الأول وقد روى عنه ﷺ وهذه منقبة شريفة تدخل فى

« أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين

رواية الأكابر عن الأصاغر ، كذا فى شرح الأربعين للفاكهانى (أن النبى ﷺ قال الدين النصيحة) أى هى عماد الدين وقوامه كقوله « الحج عرفة » فهو من الحصر المجازى دون الحقيقى أى انه أريد المبالغة فى مدح النصيحة حتى جعلت كل الدين وإن كان الدين مشتملا على خصال كثيرة غيرها (قلنا لمن) يؤخذ منه مراجعة المتعلم للعالم عند الابهام والالتباس (قال لله) قال الخطابى : النصيحة لله تنصرف الى الايمان به ونفى الشريك عنه وترك الالحاد فى صفاته وأسمائه ووصفه بصفات الكمال وتنزيهه عن جميع النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته والحب فيه والبغض فيه وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه وجهاد من كفر به والاعتراف بنعمه وشكره عليها والاخلاص فى جميع الأمور والدعاء الى جميع الأوصاف المذكورة والحث عليها والتلطف بالناس ومن أمكن منهم عليها ، قال الخطابى : حقيقة هذه الأوصاف راجعة الى العبد فى نصحه نفسه فالله غنى عن نصح الناصحين (ولكتابه) قال العلماء : النصيحة له الايمان بأنه كتاب الله وتنزيله لا يشبه شيئاً من كلام الخلق ولا يقدر عليه أحد منهم ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه فى التلاوة والذب عنه لتأول المحرفين والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله والاعتناء بمواعظه والتفكر فى عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء اليه والى ماذكرنا من نصيحته (ولرسوله) ونصيحته تصديقه على الرسالة والايمان به وطاعته فى أوامره ونواهيه ونصرته حياً وميتاً ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه واعظام حقه وتوقيره واحياء طريقته وسنته وبث دعوته ونشر سنته واستفادة علومها والتفقه فى معانيها والدعاء اليها والتلطف فى تعليمها واعظامها واجلالها والتأدب عند قراءتها والامساك عن الكلام فيها بغير علم واجلال أهلها لانتسابهم اليها والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة آله وأصحابه وبغض أهل البدع فى السنة والمتعرضين لأحد من الصحابة (ولأئمة المسلمين) وهى بمعاونتهم على الحق وطاعتهم وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق

وعامتهم » رواه مسلم

« الثانى » عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة و إيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم »

ولطف واعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتأليف قلوب المسلمين لطاعتهم وألا يغروا بالثناء الكاذب عليهم ويدعى لهم بالصلاح ، هذا كله بناء على أن المراد بهم الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمر المسلمين وهذا هو المشهور وحكاه الخطابى ثم قال : وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين ، ومن نصيحتهم قبول ما رووه وتقليدهم فى الأحكام وإحسان الظن بهم (وعامتهم) أى من عدا ولاة الأمر ، ونصيحتهم بإرشادهم لمصالحهم فى دنياهم وأخراهم وإعانتهم عليه بالقول والفعل وستر عوراتهم وسد خلاتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويذب عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم بالقول والفعل ويحثهم على التخلق بجميع ما ذكرنا من أنواع النصيحة ، وقد كان فى السلف من تبلغ به النصيحة الى الاضرار بدنياه ، قال ابن بطال : وهذا الحديث يدل على أن النصيحة تسمى ديناً وإسلاما وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول والنصيحة فرض يجزىء فيه من قام به ويسقط عن الباقين وهى لازمة على قدر الحاجة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه فاذا خشى أذى فهو فى سعة اهـ (رواه مسلم) قال السخاوى فى تخريج الاربعين الحديث : ورواه الامامان الشافعى وأحمد بن حنبل وأخرجه النسائى وابن خزيمة فى صحيحه وله طرق كثيرة

(وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه) البجلى تقدمت ترجمته فى باب المحافظة على السنة (قال بايعت النبى ﷺ على إقام الصلاة) أصله إقامة فحذفت التاء عند الاضافة تخفيفا والمراد الاتيان بالمكتوبات مستكملة الفرائض والسنن والآداب (وإيتاء الزكاة) المفروضة (والنصح) بضم النون مصدر نصح يقال نصحته ونصحت له وباللام أفصح نصحاً ونصاحة والنصح بفتح النون مصدر نصحت الثوب خطته (لكل مسلم) وتقدم فى ترجمته من وفائه بما التزم من

متفق عليه

« الثالث » عن أنس رضى الله عنــه عن النبى صلى الله عليه وسـلم قال « لايؤمنُ أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » متفق عليه

﴿ باب فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر ﴾

النصح زيادته لصاحب الفرس حتى بلغ به ثمانمائة درهم وكان أولا رضى بما قل من ذلك يكثر بذلا للنصيحة (متفق عليه)

(وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال لا يؤمن أحدكم) إيمانا كاملا (حتى يحب لأخيه) من الخـيرات والطاعات ، وفى رواية النسائى « حتى يحب لأخيه من الخير » قال السخاوى : وهى زيادة صحيحة لأنها خارجة من مخرج الصحيحـين بل هى على شرطهما وأخرجهـا ابن منده فى كتاب الايمان له اه (ما يحب لنفسه) قال ابن الصلاح : وهذا قد يعد من الصعب الممتنـع وليس كـذلك إذ معناه لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه فى الاسلام ما يحب لنفسه والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا ينقص النعمة على أخيه شيئا من النعمة عليه وذلك سهل على القلب السليم وإنما يعسر على القلب الدغل عافانا الله من ذلك آمين . قال أبو الزناد : ظاهر الحديث التساوى ، وحقيقته التفضيل ، لأن الانسان يحب أن يكون أفضـل الناس وإذا أحب لأخيه مثله فقد دخل فى جملة المفضولين ، وفى الحديث من الفقه أن المؤمن مع المؤمن ينبغى أن يكون كالنفس الواحدة فيحب لأخيه ما يحب لنفسه من حيث إنها نفس واحدة ، وفى الحديث الصحيـح « المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتـكى منه عضـو واحد تداعى له سائر الجسد بالحمى » (متفق عليه) قال السخاوى : وأخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده والدارمى وعبد فى مسنديهما وابن ماجه فى سننه وأبو عوانة فى مستخرجه وابن حبان فى صحيحه وهو عند الترمذى والنسائى وقال الترمذى إنه صحيـح اه

﴿ باب الأمر بالمعروف ﴾

من الفرائض والسـنن والآداب ومحاسن الاخلاق المحمودة شرعا ، فالامر بالمعروف أمر بكل فعل يعرف بالشرع والعقل حسنه ، وهذا الشطر من الترجمة تقدمت الترجمة فى معناه بباب الدلالة على الخـير (والنهى عن المنـكر) ضـد

قال الله تعالى (ولتكن منكم أمةٌ يَدْعونَ إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينْهَونَ عن المنكر وأولئك هم المفلحون) * وقال تعالى (كنتُمْ خيرَ أمَّةٍ أخرجتْ للناس تَأمرُونَ بالمعرُوفِ وتَنْهَوْنَ عن المنكَرِ) * وقال تعالى (خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعرف وأعرض عن الجاهلين) * وقال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض

المعروف كترك واجب أو فعل حرام صغيرة كان أو كبيرة

(قال الله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير) كل ما يرغب فيه من الأفعال الحسنة وقيل كناية عن الاسلام ، وتقدم الكلام على مايتعلق بها فى باب الدلالة على الخير والدعاء اليه ويزاد على ذلك ، قال الخازن : «من» فى قوله «منكم» للبيان لا للتبعيض لأن الله أوجب ذلك على كل الأمة فى قوله «كنتم خير أمة» وعلى هذا فمعنى الآية كونوا أمة دعاة الى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول إن الأمر والنهى المذكورين فرض كفاية إذا قام بها واحد سقط عن الباقين وقيل «من» للتبعيض لأن فى الأمة من لا يقدر على ذلك لعجز أوضعف فحسن إدخال لفظة «من» وقيل إنهما يختصان بأهل العلم وولاة الأمر فعليه فالمعنى ليكن بعضكم آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) أى الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه * (وقال تعالى كنتم) يا أمة محمد فى علم الله (خير أمة أخرجت للناس) وبين وجه شرفها على الامم الماضين بقوله (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) فمن تحقق فيه هذا الوصف فهو من أفضل الأمة * (وقال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) تقدم الكلام فيها فى قصة عيينة بن حصن مع عمر رضى الله عنه فى أواخر باب الصبر وسيأتى فيها مزيد إن شاء الله تعالى فى باب توقير العلماء فى قصة الحر نفسها ذكرها المصنف ثانيا ثمة * (وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) قال السلمى فى الحقائق : أى أنصار يتعاونون على العبادة ويتبادرون اليها

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) * وقال تعالى (لُعِنَ الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داودَ وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصَوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهَوْن عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) * وقال تعالى « وقُلِ الحقُّ من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفرْ » *

وكل واحد منهم يشد ظهر صاحبه ويعينه على سبيل نجاته ألا ترى النبى ﷺ يقول « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وقال ﷺ « المؤمنون كالجسد الواحد » وقال أبو بكر الوراق : المؤمن يوالى المؤمن طبعاً وسجية اهـ وقال الخازن : لما كان نفاق الاتباع وكفرهم حصل بتقليد المتبوعين به وبمقتضى الطبيعة قال فيهم « بعضهم من بعض » ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس ، وصفهم بأن « بعضهم أولياء بعض » (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ضد وصف المنافقين والجملة محتملة للحالية والوصفية لأن أل فى الموضعين للجنس ومحتملة لكونها خبراً بعد خبر * (وقال تعالى لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود) قال فى الخازن : قال أكثر المفسرين هم أصحاب السبت لما اعتدوا واصطادوا فى السبت فقال داود اللهم العنهم واجعلهم قردة فمسخوا كذلك وقصتهم فى سورة الاعراف (وعيسى ابن مريم) قال وهم كفار أصحاب المائدة لما أكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا قال اللهم العنهم واجعلهم خنازير فمسخوا كذلك ، وقيل إذ داود وعيسى بشرا بمحمد ﷺ ولعنا من يكفر به (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أى اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر الاعتداء بقوله (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أى لا ينهى بعضهم بعضاً عن المنكر وقيل عن معاودة منكر فعلوه ولا عن الاصرار فيه (لبئس ما كانوا يفعلون) اللام فيه لام القسم أى أقسم لبئس ما كانوا يفعلون يعنى من ارتكاب المعاصى والعدوان * (وقال تعالى وقل الحق من ربكم) الحق ما يكون من جهة الله تعالى لا ما يقتضيه الهوى ويجوز أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف و « من ربكم » حال أو صفة (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أى لا أبالى بإيمان من آمن وكفر من كفر ، وفى الحقائق للسلمى : قال ابن عطاء الله : أظهر الحق للخلق سبيل الحق وطريق الحقيقة ، فمن سلك فيه بالتوفيق ومعرض عنه

وقال تعالى (فاصدع بما تؤمر)* وقال تعالى (أَنجينَا الذين يَنْهَوْنَ عن السُّوء وأخذْنا الذين ظلموا بعـذابٍ بَئِيسٍ بما كانوا يفسقون) * والآيات فى الباب كثيرة معلومة

وأما الأحاديث : (فالأول) عن أبي سـعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ رأى منكم منكراً فليغيِّرْهُ بيده فإن لم يستطع فبلسانه ،

بالخذلان ، فمن شاء الحق له الهداية هداه لطريق الايمان ومن شاء له الاضلال سلك به مسلك الكفر والضلال البعيد * (وقال تعالى فاصدع) أى اجهر (بما تؤمر) . وقال تعالى فأنجينا) كذا فى نسخة مصححة منه بزيادة الفاء فى أوله والتلاوة بحذفها ورأيتها مكشوطة من أصل فلا أدرى أذلك من المصنف أو من التعرض للاصول بتغييرها وقد وقع مثل ذلك فى صحيح البخارى وحق مثله أن يقال فيه كذا وصوابه أو التلاوة كذا « وأنجينا الذين » جواب « لما » من قوله « لما نسوا ما ذكروا به أنجينا » (الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء (بعذاب بئيس) شديد فعيل من بؤس يبؤس إذا اشتد وفيه قراءة أخرى (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم (والآيات فى الباب) أى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (كثيرة معلومة)

وأما الأحاديث فعن أبى سعيد) سعد بن مالك بن سنان (الخدرى) وسبقت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب التوبة (قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من رأى) أى علم إذ لا يشترط فى وجوب الانكار رؤية البصر بل المدار على العلم أبصر أم لا (منكم) معشر المكلفين القادرين المسلمين فهو خطاب لجميع الأمة حاضرها بالمشافهة وغائبها بطريق التبع (منكراً فليغيره) وجوبا بالشرع على الكفاية إن علم بذلك أكثر من واحد وإلا فهو فرض عين ووجوبه بالكتاب والسنة (بيده) إن توقف تغييره عليها كتكسير أوانى الخمر وآلات اللهو بشرطه الآتى (فان لم يستطع) الانكار بيده بأن خشى لحاق ضرر ببدنه أو أخذ مال وليس من عدم الاستطاعة مجرد الهيبة وعلى ذلك حمل خبر الترمذى وغيره « ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه » (فبلسانه) أى بقوله

المرتجى نفعه من نحو صياح واستغاثة وأمر من يفعل ذلك وتوبيخ وتذكير بالله وأليم عقابه مع لين واغلاظ حيثما يكون أنفع ، ولا فرق فى وجوب الانكار بين أن يكون الآمر ممتثلا ماأمر به مجتنبا ما نهى عنه أولا، ولا بين كون كلامه مؤثرا أولا ، وظاهر كلام المصنف الاجماع على ذلك فقول بعض بسقوط الوجوب عند العلم بعدم التأثير أخذا من أحاديث تصرح بذلك ليس فى محله ، ولا بين كون الآمر وليا أو غيره اجماعا أخذا بعموم (من) الشامل لذلك جميعه ، نعم إن خشى من ترك استئذان الامام مفسدة راجحة أو مساوية من انحرافه عليه بأنه افتات عليه لم يبعد وجوب استئذانه حينئذ ، ويشرط لجواز الانكار ألا يؤدى الى شهر سلاح فان أدى الى ذلك فلا يكون للعامة بل يربط بالسلطان وشرط وجوبه تارة وجوازه أخرى ألا يخاف على نفس ونحو عضو ومال له أو لغيره وإن قل مفسدة فوق مفسدة المنكر الواقع ، وإيجاب بعض العلماء الانكار بكل حال وإن قتل المنكر ونيل منه غلو مخالف لظاهر هذا الحديث وغيره ولا حجة له فيما احتج به (١) وإذا جاز التلفظ بكلمة الكفر عند الخوف أو الاكراه كما فى الآية فليجز ترك الانكار لذلك بالأولى لأن الترك دون الفعل فى القبح ، وألا يغلب على ظنه أن المنهى يزيد فيما هو فيه عناداً وأن يكون المنكر مجمعا عليه أو يعتقد فاعله حرمته أو حله أو ضعفت شبهته كنكاح المتعة ولا ينافى ماتقرر من الوجوب قوله تعالى « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » لأنه ﷺ سئل عنها ، فقال : « ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك » الحديث ففيه تصريح بأن الآية محمولة على ما إذا عجز المنكر ولا شك فى سقوط الوجوب حينئذ على أن معناها عند المحققين أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم ومما كلفنا به الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فاذا لم يمتثلهما المخالف فلا

---

(١) أى فى خبر « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقول الله تعالى مامنعك إذ رأيت كذا وكذا أن تنكره . فيقول يا رب خشيت الناس ، فيقول الله تعالى أنا كنت أحق أن أخشى » لأن المراد بالخشية فيه مجرد رعايتهم مع القدرة إذ لو وجب الانكار مطلقا لم يتأت قوله ﷺ : « فان لم يستطع » . ع

فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمــان » رواه مسلم

عتب حينئذ لأن الواجب الأمر والنهى لا القبول (فان لم يستطع) ذلك بلسانه (فبقلبه) ينـكره بأن يكره ذلك ويعزم أن لو قدر عليه بقول أو فعـل أزاله لأنه يجب كراهة المعصية فالراضى بها شريك لفاعلها وهذا واجب على كل أحد بخلاف اللذين قبله فعلم من الحديث وما تقرر فيه وجوب تغيير المنـكر بأى طريق أمكن وفى أواخر الباب الأول من كتاب الانوار القدسيـة فى قواعد الصوفية للشعرانى كان يقال إن كان ولابد للمريد من إزالة المنكر فليتوجه إلى الله تعالى بقلبه ويزيل ذلك المنـكر الذى رآه إما بمنع الزانى من الزنى أو الشارب من الخمر ونحو ذلك ولا ينسب إلى ساكت قول ، هـكذا كان صورة تغيير المرسلين الصادقين المنـكر فى قديم الزمان وقد خالف قوم فغيروا بيدهم أو لسانهم فسحبوا لبيت الوالى وضربوا وحبسوا وازدادوا للمنـكر منكرا وقد كان سيدى ابراهيم المتبولى يقول تغيـير المنكر باليد للولاة ومن قاربهم وبالقول للعلماء العاملين وتغييره بالقلب لأربابه القلوب (وذلك) أى الانكار بالقلب للعجز عنه بغيره (أضعف الايمان) أى أقله ثمرة وفى رواية « وهو أضعف الايمان » وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل ومنه يستفاد أن عدم إنـكار القلب للمنكر دليل على ذهاب الايمان منه ومن ثم قال ابن مسعود : هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر ، أى لأن ذلك فرض كفاية لا يسقط عن أحد بحال والرضا به من أقبح المحرمات وإن كان ذلك أقل ثمرة (رواه مسلم) وأبوداود وابن ماجه فى سننهما وأحمد وعبد فى مسنديهما وأبو يعلى وابن أبى الدنيا وغيرهم ، ذكره السخاوى فى تخريج الأربعين حديثا التى جمعها المؤلف وبسط فى بيان طرق الحديث ، قيل وهذا الحديث يصلح أن يكون ثلث الاسلام لان الاحكام ستة الواجب والمندوب والمباح وخلاف الاولى والمكروه والحرام والمستفاد منه حكم الاول وهو أنه يجب الامر به والاخير وهو أنه يجب النهى عنه وعبر عنه بعضهم بأنه نصفه وبينه بأن اعمال الشريعة إما معروف يجب الامر به أو منكر يجب النهى عنه أى وهو إنما بين الثانى وهو غير سديد لأن ماعدا الأول والثانى لا يجب الامر به ولا النهى عنه على أنه كما بين الثانى أعنى وجوب النهى عن المنـكر بين الأول لأن المنكر يشتمل ترك

« الثانى » عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلاَّ كان له من أُمَّتِه حواريون وأصحاب يأخذون بسنته و يقتدون بأمره ، ثم إنها تخلُف من بعدهم خُلوف

الواجب وفعل الحرام فتغيير الاول بالامر بالواجب والثانى بالنهى عن الحرام فعليه كان المناسب أن يقال إنه كل الاسلام لا نصفه

(وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن) مزيدة لاستغراق النفى (نبي) أى رسول اذ هو المحتاج للاعانة على تبليغ ماأمر به قال القرطبي ونعنى بذلك غالب الرسل لا كلهم بدليل قوله فى الحديث الآخر « ويأتى النبي ومعه الرجل والرجلان ويأتى النبي وليس معه أحد » فهذا العموم وان كان مؤكدا بمن مخصوص بما ذكرناه اه (بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون) بالحاء المهملة وتخفيف الواو قال الازهرى وغيره : هم خلصان الأنبياء واصفياؤهم ، والخلصان الذين نقوا من كل عيب وقال غيره هم انصارهم ،وقيل المجاهدون وقيل الذين يصلحون للخلافة بعدهم وقيل هم المختصون المفضلون (وأصحاب)قال القرطبي فى المفهم جمع صحب كفرح وافراح قاله الجوهرى وقال غيره هو عند سيبويه جمع صاحب كشاهد وأشهاد لا جمع صحب لأن فعلا لا يجمع على أفعال الا فى الفاظ معدودة وليس هذا منها والصحبة الخلطة والملابسة على جهة المحبة يقال صحبه يصحبه صحبة بالضم وصحابة بالفتح وجمع الصاحب صحب كراكب وركب وصحبة كفاره وفرهة وصحاب كجائع وجياع وصحبان كشاب وشبان (يأخذون بسنته) أى بطريقته وشريعته (ويقتدون) يتأسون (بأمره ثم) أتى بها لتراخى رتبة المعطوف بها عما قبله (إنها) أى القصة كذا اقتصر عليه المصنف فى شرح مسلم وقال القرطبي هكذا الرواية بهاء التأنيث فقط وهى عائدة على الأمة أو على الطائفة التى هى فى معنى الحواريين (تخلف) بضم اللام أى تحدث من بعدهم خلوف بضم الخاء جمع خلف باسكان اللام وهو الخالف بشر ، أما بفتح اللام فهو الخالف بخير هذا هو الأشهر وقال جماعة أوجماعات من أهل اللغة منهم أبو زيد : يقال كل واحد منهما بالفتح والاسكان ، ومنهم من جوز الفتح فى الشر ولم يجوز الاسكان فى الخير ، وفى الصحاح : الخلف ما جاء من بعد يقال هو

يقولون مالا يفعلون و يفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الإيمان حبةُ خردل » رواه مسلم

« الثالث » عن أبى الوليد عبادة بن الصامت رضى الله عنه

خلف سوء وخلف صدق من الله بالتحريك إذا قام مقامه ، قال الاخفش: هما سواء منهم من يحرك ومنهم من يسكن فيهما جميعا إذا أضاف ، ومنهم من يقول خلف صدق بالتحريك ويسكن الآخر ويريد بذلك الفرق بينهما اه (يقولون مالا يفعلون) أى يتشبعون بما لم يعطوا من طاعة أو حال أو مقام (ويفعلون مالا يؤمرون) أى يفعلون خلاف المأمور به من المنكرات التى لم يأت بها الشرع (فمن جاهدهم بيده) إذا توقف إزالة المنكر عليه ولم يترتب عليه مفسدة أقوى منه كانشقاق العصا المترتب على الخروج على ولى الامر الذى هو أعظم مفسدة من المنكر (فهو مؤمن) كامل الايمان (ومن جاهدهم بلسانه) بأن أنكر به واستعان بمن يدفعه (فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه) والاستعانة على إزالته بالله سبحانه (فهو مؤمن) وتتفاوت مراتب كمال الايمان بتفاوت ثمراته (وليس وراء ذلك) أى كراهة المنكر بالقلب (من الايمان حبة خردل) كنى بها عن نهاية القلة وذلك لان الرضا بالكفر الذى هو من جملة المعاصى كفر وبالعصيان الناشىء عن غلبة الشهوة نقصان من الايمان أى نقصان ، وقال القرطبي : الايمان هنا بمعنى الاسلام والمراد أن آخر خصال الايمان المتعينة على العبد وأضعفها الانكار بالقلب ولم يبق بعدها رتبة أخرى (رواه مسلم)

(وعن أبى الوليد) بفتح الواو وكسر اللام وسكون التحتية (عبادة) بضم المهملة وتخفيف الموحدة والدال المهملة بينهما ألف (ابن الصامت) بن قيس بن أصرم ابن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج الأنصارى الخزرجى شهد عبادة (رضى الله عنه) العقبة الأولى والثانية مع رسول الله ﷺ وشهد بدراً واحدا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد وكان أحد النقباء ليلة العقبة وكان نقيبا على قوافل بنى عوف بن الخزرج وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبى مرثد الغنوى واستعمله النبى ﷺ على الصدقات وكان يعلم أهل الصفة

قال « بايَعْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العُسْر واليسر والمنْشط والمكْرَه وعلى أثَرَة علينا وعلى ألاَّ ننازِع الأمر أهله إلا أن ترَوْا

القرآن ولما فتح الشام أرسله عمر ، ومعاذا وأبا الدرداء ليعلموا الناس القرآن بالشام ويفهموهم فأقام عبادة بحمص ومعاذ بفلسطين وأبو الدرداء بدمشق ثم صار عبادة إلى فلسطين ، روى له عن رسول الله ﷺ مائة وأحد وثمانون حديثا اتفقا منها على ستة وانفرد البخارى بحديثين ومسلم بآخرين ، قال الأوزاعى : أول من ولى قضاء فلسطين عبادة وكان فاضلا خيرا جميلا طويلا جسيما توفى ببيت المقدس وقيل بالرملة سنة أربع وثلاثين وهو ابن ثنتين وسبعين سنة وقيل توفى سنة خمس وأربعين والأول أصح وأشهر ، كذا فى التهذيب (قال بايعنا) بسكون المهملة وبفتحها أى عاهدنا (رسول الله ﷺ) بالنصب والرفع وأطلق على المعاهدة المبايعة لأن كلا من المتعاهدين يمد يده للآخر لأخذ العهد كما أن كلا من المتبايعين يمد يده لصاحبه وقيل سميت مبايعة لما فيها من المعاوضة لما وعدهم الله من عظيم الجزاء قال تعالى « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » (على السمع والطاعة) لولاة الأمر (فى العسر واليسر) بضم أوليهما وضم الأول وسكون الثانى لغتان فيما كان على هذا الوزن كما فى الصحاح وتقدمت الاشارة اليه (والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا) معطوف على السمع أى بايعناه على استئثار الأمراء بحظوظهم وتخصيصهم إياها بأنفسهم ، قال المصنف : أى بايعناه على الطاعة فيما يشق وتكرهه النفوس وغيرها مما ليس بمعصية فان كانت معصية فلا سمع ولا طاعة كما جاء فى أحاديث أخر فيحمل المطلق عليها وثمرة الطاعة فى جميع ماذكر اجتماع كلمة المسلمين فان الخلاف سبب لفساد أمر الدين ، والأثرة بفتح الهمزة والثاء المثلثة ويقال بضم الهمزة وكسرها وسكون الثاء فيهما ، ثلاث لغات حكاهن فى المشارق وغيره وهى كما سيأتى فى الأصل الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا قال القرطبى . وكأن هذا القول خاص بالأنصار وقد ظهر أثر ذلك يوم حنين حيث آثر ﷺ قريشا بالفىء ولم يعط الأنصار منه شيئاً وفيه تنبيه على ان الخلافة فى غيرهم وقد صرح به فى قوله (وعلى أن لاننازع الأمر أهله إلا أن تروا) من ذى

كفراً بَواحا ، عندكم من الله تعالى فيــه برهان ، وعلى أن نقول الحق أينما كنا لانخــاف فى الله لومة لائم » متفق عليــه (المنشط والمــكره) بفتح ميميهما أى فى السهل والصعب و (الاثرة) الاختصاص بالمشترك وقد سبق بيانها (بواحا) بفتح الباء الموحدة وبعدها واو ثم ألف ثم حاء مهملة

الأمر (كفرا بواحا) هكذا هو لمعظم الرواة وفى معظم النسخ وهو من باح الرجل بالشيء يبوح به بوحا وبواحا إذا أظهره وفى بعضها براحا بالراء ، قال القرطبي : وهى رواية أبى جعفر من قولهم برح الخفاء أى ظهر ، قال ثابت : ورواه النسائى بواحا وبووحا وهى بمعناه مع مازادت من المبالغــة قال المصنف والمراد بالــكفر هنا المعاصى (عندكم فيه من الله تعالى برهان) أى حجة بينــة وأمر لاشك فيه أى بل تعلمونه من دين الله : ومعنى الحديث لاتنازعوا ولاة الأمور فى أمورهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منــكرا محققا تعلمونه من قواعد الاسلام فاذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقوموا بالحق حيثما كنتم وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بالاجماع وان كان فسقة وعلى هذا تظاهرت النصوص ، وحمل القرطبي الــكفر على ظاهره فقال : معناه إلا أن تروا كفرا عندكم من الله فيه برهان أى حجة بينة وأمر لا شك فيه يحصل به اليقين أنه كفر فحينئذ يجب أن يخلع من عقدت له البيعة اهـ (وعلى أن نقول الحق) بأن نأمر بالمعروف وننهى عن المنــكر (أينما كنا) أى فى كل مكان وزمان (لانخاف فى الله لومة لائم) أى لانداهن فى ذلك أحدا ولا نخافه ولا نلتفت الى لائمة ، ففيه القيام بالمعروف والنهى عن المنــكر (متفق عليه) ورواه مالك والنسائى وليس عندهما « إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان » (المنشط والمــكره بفتح ميميهما) وثالثهما مصدران ميميان (أى فى السهل والصعب) كأنه تفسير مراد وإلا ففى النهاية « المنشط » مفعل من النشاط وهو الأمر الذى تنشط له النفس وتحن اليــه وتؤثر فعله وهو مصدر بمعنى النشاط ، وقال فى محل آخر منها حديث عبادة « بايعت رسول الله ﷺ على المنشط والمــكره » يعنى المحبوب والمــكروه وهما مصدران (والاثرة الاختصاص بالمشترك) على التشريك فيــه (وقد سـبق بيانها) فى باب الصــبر (بواحا بفتح الموحدة بعدها واو) خفيفة (ثم ألف ثم حاء مهملة) هذه رواية

أى ظاهراً لا يحتمل تأويلا

« الرابع » عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مَثَل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهَموا على سَفينة ؛ فصار بعضهم أعلاها و بعضُهم أسفلَها ، وكان الذين فى أسفلها إذا استَقَوْا من الماء مرُّوا على مَن فَوقهم ،

المعظم كما تقدم (أى ظاهرا لا يحتمل تأويلا)

(وعن النعمان بن بشير) صحابى ابن صحابى كما تقدم فى ترجمته فلذا قال (رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل) بفتحتين وبكسر فسكون وهى هنا تشبيه حال مركبة بمركبة أى صفة (القائم فى حدود الله) باقامتها والذب عن المحارم ، ووقع هكذا على الصواب فى كتاب الشركة من البخارى ، ووقع فى كتاب الشهادات « مثل المداهن » بضم فسكون ، أى المحابى فى حدود الله والمراد به كالمداهن من يرائى ويضيع الحقوق ولا يغير المنكر وهو وهم كما قاله الحافظ فى الفتح لأن المداهن فى الحدود الواقع فيها (والواقع فيها) أى مرتكبها واحد والقائم مقابله ، ووقع عند الاسماعيلى أيضاً « مثل الواقع فى حدود الله والناهى عنها » وهو المثل المضروب فانه لم يقع فيه إلا ذكر فرقتين فقط ، لكن إن كان المداهن مشتركا فى الذم مع الواقع صارا بمنزلة فرقة واحدة ، وبيان وجود الفرق الثلاث فى المثل المضروب أن الذين أرادوا غرق السفينة بمنزلة الواقع فى حدود الله ثم من عداهم إما منكر وهو القائم وإما ساكت وهو المداهن (كمثل قوم استهموا على سفينة) فأخذ كل واحد منهم سهما منها بالقرعة وذلك لاشتراكهم فيها بملك أو إجارة والقرعة إنما تقع بعد التعديل ثم يقع التشاح فى الأقضية فتقع القرعة لقطع النزاع فصار بعضهم أعلاها لخروج سهمه بالقرعة (و) صار (بعضهم أسفلها) لذلك والجملة معطوفة على الجملة قبلها ويجوز جعلها مستأنفة وكل من أعلى وأسفل منصوب على الظرف المكانى والمتعلق هو الخبر (فكان الذين) صاروا (فى أسفلها) بالاستهام (إذا استقوا من الماء مروا) سالكين (على من) صار (فوقهم)

فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » رواه البخارى (القائم فى حدود الله تعالى) معناه المنكر لها القائم فى دفعها وإزالتها (والمراد بالحدود) مانهى الله عنه و (استهموا) اقترعوا

« الخامس » عن أم المؤمنين أم سَلَمة هند

أعلى السفينة بحكم الاستهام (فقالوا) لما رأوا تأذى أهل فوق من مرورهم ففى الشهادات من البخارى «فتأذوا به » أى بالمار بالماء عليهم حالة السقى (لو) وقع (أنا خرقنا فى نصيبنا) من السفينة (خرقا) نصل به إلى الماء (ولم نؤذ) بمرورنا (من فوقنا فان تركوهم) أى ترك أهل العلو أهل السفل (وما أرادوا) الواو للمصاحبة أى تركوهم مصاحبين ما أرادوا فعله من غير منع منه (هلكوا جميعا) لأن شؤم ذلك الفعل والغلبة من الماء على السفينة المغرق لها ولهم أمر عام لهم أجمعين (وإن أخذوا على أيديهم) أى منعوهم مما أرادوه من الخرق (نجوا) أى الآخذون فى انفسهم (ونجوا) بالتشديد أى ونجوا المأخوذين (جميعا) حال من فاعل الفعلين معا من الغرق ، وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن اقامها وأقيمت عليه وإلا هلك العاصى بالمعصية والساكت بالرضا بها ، ففى الحديث استحقاق العقوبة على العموم بترك الامر بالمعروف (رواه البخارى) هذا اللفظ فى كتاب الشركة ورواه فى كتاب الشهادات بلفظ آخر فى معناه ، ورواه الترمذى فى كتاب الشهادات بلفظ آخر فى معناه ورواه الترمذى فى كتاب الفتن من جامعه وقال حسن صحيح (القائم فى حدود الله معناه المنكر لها) على من تعداها (القائم فى دفعها وإزالتها) على من وقع فيها (والمراد بالحدود) على هذا (مانهى الله عنه) من المحرمات ولو صغائر أو القائم بالحدود على من فعل ما يقتضيه ، والمراد من الحدود على هذا الجلد للزانى وللقاذف ونحو ذلك والثانى خاص بولى الامر والأول عام لسائر أرباب الايمان بشرطه (واستهموا) معناه (اقترعوا) وكانت القرعة فى الجاهلية بسهام معروفة وأطلق الاستهام وأريد به الاقتراع وهو استعمال شائع فى السنة

(وعن أم المؤمنين) احتراما وإجلالا (أم سلمة) بفتح أوليه (هند) هذا

بنت أبى أميَّة حذيفة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنه يُستعمل عليكم أمراء فَتعرِفون وتُنكرون ، فمن كره فقد برئ ، ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضى وتابع » قالوا يارسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال : « لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة » رواه مسلم .

هو الصحيح كما تقدم مع ترجمتها فى باب التوكل (بنت أبى أمية) بضم ففتح فتشديدللتحتية مصغرا كنية (حذيفة) بضم المهمله ففتح المعجمة فسكون التحتية بعدها فاء مفتوحة فهاء (رضى الله عنها) حال كونها راوية (عن النبى ﷺ أنه قال) من باب الاخبار عن المغيب فكان كما أخبر به فهو من معجزاته (أنه) اى الشأن (يستعمل عليكم أمراء) أى تجعل الملوك عليكم أمراء عمالا (فتعرفون) أى بعض أعمالهم لموافقتها ما عرف من الشرع (وتنكرون) بعضها لمخالفته ذلك ، وفى المشكاة والمصابيح « يستعمل عليكم أمراء تعرفون وتنكرون » بحذف الفاء ، قال العاقولى : هما صفتان لأمراء والعائد محذوف ، أى تعرفون بعض أفعالهم وتنكرون بعضها (فمن كره) بقلبه المنكرو لم يقدر على الانكارلخوف سطوتهم (فقد برئ) من الاثم بانكاره الباطنى لأنه قائم بما يجب عليه من تغييره بقلبه (ومن) قدر على الانكار باليد أو باللسان ف (أنكر عليهم ذلك فقد سلم) بانكاره من العقاب الأخروى ، وفى المصابيح « فمن أنكر فقد برئ ومن كرهفقد سلم » قال العاقولى: قوله « فقد برئ » أى قام بما وجب عليه فبرئ من الواجب وقوله « فقدبانكارهسلم » أى الباطنى وكراهةالمنكروسلم من الاثم لأنه قائم بما يجب عليه من تغييره بقلبه اه (ولكن من رضى) فعلهم بقلبه (وتابع) فى العمل به فهو الذى لم تبرأ ذمته ولم يسلم من إثم فعلهم لمشاركته لهم فيه ورضاه به وحذف الخبر من هذه الجملة لدلالة الحال وسياق الكلام على أنهذا القسم ضد ماأثبته لقسيميه (قالوا يارسول الله ألا نقاتلهم) أى حينئذ (قال لا) أى لاتقاتلوهم (ماأقاموا فيكم الصلاة) وإنما منع من مقاتلتهم مدة إقامتهم الصلاة التى هى عنوان الاسلام والفارق بين الكفر والاسلام حذرا من تهييج الفتن واختلاف الكلمة وغير ذلك مما يكون أشد نكارة من احتمال نكرهم والمضارة على ماينكر منهم (رواه مسلم) فى المغازى من طرق مدارها على الحسن عن ضبة بن محصن

معناه « من كره بقلبه ولم يستطع إنكاراً بيدولالسان فقد برىء من الاثم وأدّى وظيفته ، ومن أنكر بحسب طاقته فقد سلم من هذه المعصية ، ومن رضى بفعلهم وتابعهم فهو العاصى »

« السادس » عن أم المؤمنين أم الحَكَم زينب بنت جَحْش رضى الله عنها

العنزى(١) البصرى عن أم سلمة : ورواه أبو داود فى السنة ورواه الترمذى فى الفتن وقال حسن صحيح كذا فى الأطراف للمزى ملخصا (معناه) أى قوله فى الحديث « من كره فقد برىء » (من كره بقلبه) المنكر (ولم يستطع) لخوفه على نفسه أو ماله منهم (إنكارا بيد ولا لسان) فأنكر بقلبه (فقد برىء من الاثم) لسقوطهما عنه حينئذ (وأدى وظيفته) المخاطب بها (ومن أنكر) لقدرته على ذلك باليد أو اللسان (بحسب) قدر (طاقته) وقوة شوكته (فقد سلم من) تبعة (هذه المعصية) أى ترك إنكار المنكر لعدم العقاب على ذلك والسؤال عنه (ومن رضى بفعلهم المنكر وتابعهم) عليه بفعل ذلك (فهو العاصى) أى الآثم

(وعن أم المؤمنين) جلالة واحتراما (أم الحكم) كنية (زينب بنت جحش) بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة وبعدها شين معجمة وهو ابن رباب بن معمر ابن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسيد بن خزيمة الأسدية أخت عبد الله بن جحش (رضى الله عنها) أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ أسلمت زينب قديما وهاجرت مع رسول الله ﷺ وتزوجها فى سنة خمس ، قاله قتادة والواقدى وآخرون . روى بن سعد أنه تزوجها لهلال ذى القعدة سنة خمس من الهجرة وهى بنت خمس وثلاثين سنة ، وقيل سنة ثلاث وكانت قبله تحت زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ثم طلقها فاعتدت ثم زوجها الله من رسوله ﷺ وأنزل فيها « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » وكانت تفتخر على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول : زوجنى الله من السماء . ومناقبها كثيرة ، ذكر المصنف جملة منها فى التهذيب وفيه أنها توفيت سنة عشرين ، وقيل توفيت سنة إحدى وعشرين ، وأجمع أهل السير على أنها أول نساء رسول الله صلى

---

(١) بفتح النون وبالزاى وثقه ابن حبان . ع

« أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزِعا يقول : لاإله إلا الله ، ويلٌ للعرَب ، من شر قد اقترب ، فُتح اليومَ من رَدْم يأجوج ومأجوج مثلُ هذه — وحلَّقَ بأصبعيه ، الابهام والتى تليها —

الله عليه وسلم موتا بعده ، ودفنت بالبقيع وصلى عليها عمر بن الخطاب ، وهى أول امرأة جعل عليها النعش ، أشارت به أسماء ، روى لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد عشر حديثا خرج منها فى الصحيحين حديثان اتفقا عليهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم) بكسر همزة إن على إضمار القول وبفتحها على إضمار أخبرت مثلا (دخل عليها فزعا) بفتح فكسر ، والفزع الذعر والفرق (يقول) جملة حالية (لا إله إلا الله) أتى بها للتعجب من الأمر الواقع بعدها وتعظيم شأنه كالاتيان « بسبحان » فى قوله تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده » (ويل) بفتح أوله وسكون التحتية فى الصحاح ، ويل كلمة مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب اه وفى تحفة القارى وهى كلمة تقال عند الحزن (للعرب) هم خلاف العجم والأعراب سكان البوادى خلاف الحاضرة ، وخصص بهم لأن معظم مفسدتهم راجع إليهم (من شر) الظاهر أن التنوين فيه للتعظيم (قد اقترب) زمنه (فتح) بالبناء للمفعول (اليوم من ردم) بفتح فسكون (يأجوج ومأجوج) أى سدهما يقال ردمت الثلمة أى سددتها وهما بالهمز وتركه وبهما قرىء فى السبع والجمهور على تركه (مثل هذه) أى الحلقة المبينة فى قوله (وحلق) بتشديد اللام (بأصبعيه) فيه(١) عشر لغات بتثليث الهمزة والباء والعاشرة أصبوع (الابهام والتى تليها) بدل من قوله أصبعيه بدل مفصل من مجمل فيجوز فيه الاتباع والقطع لأنه استوفى العدة ، قال فى تحفة القارى : أى جعل السبابة فى أصل الابهام وضمهما حتى لم يبق بينهما إلا خلل يسير ، ومعناه عند الحساب تسعون كما فى الرواية الأخرى للبخارى من حديث أبى هريرة مرفوعا « فتح الله من ردم يأجوج وماجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين » « قلت » وقع عند مسلم وعقد سفيان بيده عشرة وهى مخالفة للرواية المذكورة هنا والاخرى التى عند أبى هريرة لأن عقد التسعين أضيق من العشرة ، قال المصنف:

---

(١) أى فى مفرده وهو أصبع . ع

فقلت : يارسول الله أَنَهلِكُ وفينا الصالحون ؟ قال نعم إذا كثر الخَبث » متفق عليه

« السابع » عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (إيَّاكم والجلوسَ فى الطرُقات)

قال القاضى : لعل حديث أبى هريرة متقدم وأرادقدر الفتح بعده ، قال : أو يكون المراد التقريب بالتمثيل لا حقيقة التحديد (فقلت يارسول الله أنهلك) بكسر اللام وحكى فتحها ، قال المصنف : وهو ضعيف أوفاسد (وفينا الصالحون) أى وبهم يدفع البلاء ويزال العناء (قال نعم) أى تهلكون والحال ماذكر (إذا كثر) بفتح فضم المثلثة (الخبث) هو بفتح المعجمة والموحدة وفسره الجمهور بالفسوق والفجور وقيل بالزنى خاصة وقيل أولاد الزنى ، قال المصنف : والظاهر أنه المعاصى مطلقا ، ومعنى الحديث أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كثر الصالحون ففيه بيان شؤم المعصية والتحريض على إنكارها (متفق عليه) رواه البخارى فى أحاديث الانبياء وفى باب الفتن ، ورواه مسلم فى الفتن ، ورواه الترمذى وقال حسن صحيح ، والنسائى فى التفسير وابن ماجه فى الفتن ، واتفق فى سند الحديث لطيفة توالى ثلاثة من الصحابة زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة بنت أبى سفيان عن زينب بنت جحش وهذا عند جميع من ذكر إلا أن فى رواية البخارى وأخرى لمسلم اسقاط أم حبيبة ، كذا لخص من الاطراف للمزى

(وعن أبى سعيد) سعد بن مالك بن سنان (الخدرى رضى الله عنه) ناقلا (عن النبى ﷺ قال) أى النبى ﷺ فتكون الجملة مستأنفة لبيان المقول ، ويحتمل أن يكون الضمير فيه يعود لابى سعيد وهناك « قال مقدر بعده حذف خطا اختصاراً يعود الى النبي ﷺ (إياكم) هى للتحذير حذف العامل وجوبا والاصل أحذركم (والجلوس) بالنصب (فى الطرقات) وعند ابن حبان على الصعدات بضمتين جمع صعد كذلك جمع صعيد كطريق وطرق وزنا ومعنى ، وزعم ثعلب أن المراد بالصعدات وجه الأرض اه والطريق تذكر وتؤنث ويلحق بالطريق ما فى معناها من الجلوس فى الحوانيت وفى الشبابيك المشرفة على المارة حيث يكون فى غير العلو ، والنهى للتنزيه لئلا يضعف الجالس عن

فقالوا يارسول الله مالنا من مجالسنا بدٌّ نتحدث فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فاذا أبيتم إلا المجلسَ فأعطوا الطريق حقَّه » قالوا وماحقُّ الطريق يارسول الله ؟ قال « غَضُّ البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » متفق عليه

أداء الحق الذى عليه (فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا) أى بالطرقات (بد) بضم الموحدة وتشديد المهملة أى فرقة ، وقوله (نتحدث فيها) استئناف بيانى لعدم قدرتهم على تركها أى بالخيور الدنيوية والأخروية فان مجالسهم كانت مصونة عما لا يعنيهم من المباحات (فقال رسول الله ﷺ فاذا أبيتم إلا المجلس) مصدر ميمى بمعنى الجلوس ، وعند البخارى « الا المجالس » بالجمع وأل فيه للعهد والاستثناء فيه مفرغ ، أى إذا أبيتم سائر الأفعال إلا الجلوس فى الطرقات ، وفى رواية للبخارى قال الحافظ : انها لأكثر الرواة « فاذا أتيتم الى المجالس » بالفوقية بدل الموحدة وبالى التى للغاية بدل إلا ، وفى رواية « أبيتم إلا » بالموحدة وأداة الاستثناء للكشميهنى ، قال : وكذا وقع فى الاستئذان وهو الصواب (فأعطوا الطريق حقه) أى ما يطلب فيه من الآداب ، وفى التعبير به إشارة الى تأكد تلك الأمور والاهتمام بها والاضافة للملابسة (قالوا) قال الحافظ فى الفتح : القائل هو أبو طلحة وهو مبين فى رواية مسلم ، وحينئذ ففى اطلاق الجمع على الواحد مجاز وأنه من القائلين (وماحق الطريق؟) المطلوب ممن جلس فيه (قال غض البصر) أى كفه عن النظر (وكف الأذى) أى الامتناع عن أذى المارة ، وقال الحافظ فى فتح البارى : أشار بالأول الى السلامة من التعرض للفتنة بمن يمر عليه من امرأة ونحوها وبالثانى الى السلامة من الاحتقار والغيبة وبقوله (ورد السلام) أى اكرام المار (والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) أى استعمال جميع مايشرع (متفق عليه) رواه البخارى فى المظالم وفى الاستئذان ورواه مسلم فى الاستئذان واللبس ورواه أبو داود فى الأدب ، كذا فى الاطراف للمزى ملخصا ، قال العلقمى : زاد أبو داود فى الخصال المطلوبة لمن جلس على الطريق « ارشاد ابن السبيل وتشميت العاطس إذا حمد » زاد سعيد بن منصور « واغاثة الملهوف » زاد البزار « وأعينوا على

« الثامن » عن ابن عباس رضى الله عنهما « أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتما من ذهب فى يَدِ رجل ، فنزَعَه فطرحه وقال : يعمِدُ أحدُكم إلى جَمرة من نار

الحمولة » زاد الطبرانى « وأعينوا المظلوم واذكروا الله كثيرا » وفى حديث أبى طلحة « وحسن الكلام » وعند الترمذى « وافشوا السلام » وعند الطبرانى « واهدوا الاغبياء » والغبي بالمعجمة والموحدة ، قال فى النهاية : القليل الفطنة ومجموع ما فى هذه الاحاديث أربعة عشر وقد نظمها شيخنا فى أربعة أبيات فقال

جمعت آداب من رام الجلوس على ال طريق من قول خير الخلق انسانا
افش السلام واحسن فى الكلام وشمـ ـت عاطسا وسلاما رد إحسانا
فى الحمل عاون ومظلوما أعن وأغث لهفان هد سبيلا واهد حيرانا
بالعرف مر وانه عن منكر وكف أذى وغض طرفا وأكثر ذكر مولانا اه

(قلت) والابيات للحافظ ابن حجر كما صرح به السيوطى فى مرقاة الصعود وليست للسيوطى كما قد يتوهم من قوله شيخنا ولعله شيخ شيخنا فحذف (شيخ) من القلم أو من الكاتب ، وفى حديث مالك بن تيهان زيادة (وأرشدوا الاعمى) رواه اسحق ابن راهويه وابن أبى شيبة ومدار سندهما على موسى بن عبيد الربذى وهو ضعيف ، كذا فى مختصر اتحاف المهرة للابوصيرى تلميذ الحافظ زين الدين العراقى

(وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى) أى أبصر (خاتما) فيه لغات جمعها الحافظ ابن حجر فى قوله

خذ نظم عد لغات الخاتم انتظمت ثمانيا ما حواها قط نظام
خاتام خاتم ختم خاتم وختا م خاتيام وخيتوم وخيتام
والهمز مع فتح خاء تاسع واذا شاع القياس أتم العشر خاتام

واقتصر المصنف فى شرح مسلم على أربع منها فتح التاء وكسرها وخيتام وخاتام وجعل الحافظ الأخيرة فى النظم بطريق القياس وكلام المصنف المذكور يخالفه (من ذهب فى يد رجل) لم أقف على اسمه ، وراجعت المبهمات للمصنف فما تعرض له ولا فى شرح مسلم (فنزعه فطرحه) فيه إزالة المنكر باليد للقادر عليها (وقال) محذرا من ذلك معينا لعظم إثمه (يعمد أحدكم الى جمرة من نار) الأولى حمل

فيجعلها فى يده ؟ فقيل للرجل بعد ماذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ خاتمك انتفِعْ به ، قال لا والله لا آخُذه أبداً وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه مسلم

مثله مما ورد فى الكتاب أو السنة ولا يحيله العقل على ظاهره ، أى أن هذا الخاتم قطعة نار فى الآخرة وأنه محمول على المجاز ، أى يؤول بلابسه لعظيم اثمه على أن يجعل النار فى محله لأن الجزاء يكون على قدر الذنب وحسبه (فيجعلها فى يده) أى فى أصبعه مجاز مرسل من اطلاق الكل وارادة الجزء كقوله تعالى « يجعلون أصابعهم فى آذانهم » والمجعول الأنملة لا الأصبع كله ولما كانت زينتها زينة لليد عبر به ، قال : وفى هذا التصريح بأن النهى عن خاتم الذهب للتحريم اه « قلت » قد يؤخذ منه أنه من الكبائر لشدة الوعيد فيه وكذلك معيارها على الصحيح (فقيل للرجل بعد ماذهب رسول الله ﷺ) أى انصرف من المجلس (خذ خاتمك) وقوله (انتفع به) استئناف لبيان علة الأخذ أى ببيع أو هبة أو جعله لمن يحل له استعماله من امرأة (فقال لا والله لا آخذه أبدا وقد طرحه رسول الله ﷺ) قال المصنف . هذا منه فيه المبالغة فى امتثال أمر النبى ﷺ واجتناب نهيه وعدم الترخص فيه بالتأويلات الضعيفة وهذا الرجل ترك خاتمه على سبيل الاباحة لمن أراد أخذه من الفقراء أو غيرهم وحينئذ يجوز أخذه لمن شاء ، فاذا أخذه جاز تصرفه ولو كان صاحبه أخذه لم يحرم عليه الأخذ والتصرف فيه بالبيع وغيره ولكن تورع عن أخذه وأراد الصدقة به على من يحتاج إليه لأن النبى ﷺ لم ينهه عن التصرف فيه بكل وضع وإنما نهاه عن لبسه وبقى ماسواه من تصرفه على الاباحة اه (رواه مسلم) فى اللباس وفى مختصر اتحاف المهرة عن سالم عن رجل من قومه من أشجع قال « دخلت على رسول الله ﷺ وعلى خاتم من ذهب فأخذ جريدة فضرب بها فى كفى فقال اطرح هذا فطرحته ثم دخلت عليه بعد ما ألقيته فقال لى : مافعل الخاتم ؟ قلت طرحته ، قال : لم آمرك أن تطرحه إنما أمرتك أن تنتفع به ولا تطرحه » رواه أبو بكر بن أبى شيبة وابن حنبل اه « قلت » وهو قريب من الحديث المذكور فى مسلم

« التاسع » عن أبى سعيد الحسن البصرى « أن عائذ بن عمرو رضى الله عنه

وعن أبى سعيد الحسن) بن بشار (البصرى) بتثليث الموحدة منسوب إلى البصرة الأنصارى مولاهم مولى زيد بن ثابت وقيل مولى جميل بن قطبة وأمه اسمها خيرة مولاة لام سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها . ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب قالوا فربما خرجت أمه فى شغل فيبكى فتعطيه أم سلمة ثديها فيدر عليه فيرون تلك الفصاحة من ذلك رأى طلحة بن عبد الله وعائشة ولم يصح له سماع منهما وقيل إنه لقى على بن أبى طالب وأيده الشيخ ابن حجر الهيتمى فى معجمه وقيل يصح وعليه جرى جمهور المتأخرين ، قال المصنف فى التهذيب : روينا عن الفضيل بن عياض قال : سألت هشام بن حسان كم أدرك الحسن مَن أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال مائة وثلاثين ، قلت وابن سيرين ؟ قال ثلاثين وروينا عن الحسن قال : « غزونا غزوة الى خراسان معنا فيها ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ » الحديث ، ولم يصح للحسن سماع من أبى هريرة ، ومن حكم الحسن ما ذكره الشافعى فى المختصر فى قول الله عز وجل « وشاورهم فى الأمر » قال الحسن : كان غنياً عن مشاورتهم ولكن أراد أن يستن به الحكام بعده ، وقال فى قوله تعالى « ففهمناها سليمان » لولا هذه الآية لرأيت الحكام هلكوا أثنى على هذا بصوابه وعلى هذا باجتهاده اه ومن كلامه كما فى أحاسن المحاسن « يابن آدم إنك لا تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك حتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك فاذا فعلت ذلك لم تصلح عيبا إلا وجدت عيبا آخر فاذا فعلت ذلك كان شغلك فى خاصة نفسك وأحب العباد الى الله من كان كذلك » (أن عائذ) بالعين المهملة وبعد الألف همزة بعدها معجمة (ابن عمرو) ابن هلال المزنى أبا هبيرة البصرى صحابى شهد الحديبية وبايع تحت الشجرة (رضى الله عنه) وهو أخو رافع بن عمرو وتوفى فى ولاية عبيد الله بن زياد سنة إحدى وستين ، قال ابن الأثير : كان عائذ من صالحى الصحابة سكن البصرة وابتنى بها داراً وتوفى بها فى إمارة عبيد الله بن زياد أيام يزيد بن معاوية وأوصى أن يصلى عليه ابن زياد وروى عنه الحسن ومعاوية بن قسرة وعامر الأحول وغيرهم اه قال الذهبى فى التهذيب : روى حشرج بن عبد الله بن حشرج بن عائذ المزنى عن أبيه

دخل على عُبيد الله بن زياد فقال أىْ بُنىَّ إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنَّ شرَّ الرِّعاء الُحطَمَةُ ، فإياك أن تكون منهم ، فقال له اجلس فإنما أنت من نُخالة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال وهل كانت لهم نخالة ؟

عن جده أن عائذ بن عمرو كان يركب السروج المتمرة ويلبس الخز لا يرى بذلك بأسا وقد زوج فى غزاة واحدة أربعين رجلا من مزينة كل امرأة على ألف وصيف ، قال ثابت البنانى : أوصى عائذ أن يصلى عليه أبو برزة الأسلمى وذلك فى امرأة عبيد الله بن زياد اه وكذا قال ابن الجوزى فى المستخرج المليح وزاد قال ابن حزم فى آخر سيرته روى له عن رسول الله ﷺ ثمانية أحاديث أخرج له الشيخان ثلاثة أحاديث أحدها للبخارى موقوف عليه وآخران لمسلم وشاركهما فيه النسائى (دخل على عبيد الله) بضم المهملة وفتح الموحدة وسكون التحتية (ابن زياد) بن أبيه (فقال) يعظه (أى) بفتح فسكون حرف لنداء القريب (بنى) بضم الموحدة وفتح النون وتشديد التحتية مفتوحة ومكسورة ، وقد بينت وجهيهما فى باب ما يقول إذا دخل بيته من شرح الأذكار وأتى به من باب الرفق فى الوعظ ليسمع ويمتثل (إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول) جملة فى محل الحال على حكاية الحال الماضية (إن شر الرعاء) بكسر الراء والمد ويقال بضمها وبالهاء بعد الالف بدل الهمز جمع راع (الحطمة) بضم المهملة الاولى وفتح الثانية ، قال المصنف : قالوا هو العنيف فى رعيته لا يرفق بها فى سوقها ومرعاها بل يحطمها فى ذلك وفى سقيها وغيره و يزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها ويحطمها (فاياك) منصوب على التحذير (أن تكون منهم) فتهوى بتلك المذمة (فقال) ابن زياد (له) أى لعائذ (اجلس فانما أنت من نخالة) بضم النون وبعدها معجمة (أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) النخالة هنا استعارة من نخالة الدقيق وهى قشوره ، وهى والحثافة والحسافة بمعنى واحد (فقال) عائذ مستبعداً أن يكون فى الصحابة من يستعار لهم النخالة التى لايعبأ بها (وهل كانت فيهم) أى الصحابة (نخالة) وهم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وشرفهم باقتباس أنواره

وإذا سخر الآله أناسا لسعيد فكلهم سعداء

إنما كانت النخالة بعدهم وفى غيرهم » رواه مسلم

« العاشر » عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتَنْهَوُنَّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عِقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » رواه الترمذى وقال حديث حسن

« الحادى عشر » عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أفضلُ الجهاد

(إنما كانت النخالة) أى السقط (بعدهم) أى بعد قرنهم (وفى غيرهم) أماهم فكلهم سادة قادة يكفيك فى فضلهم حديث « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ولايضر ضعفه لانه يعمل به فى هذا المقام (رواه مسلم) فى المغازى (وعن حذيفة) بن اليمان (رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال والذى نفسى بيده) أتى به لتأكيد الامر بعده والقسم يسن لمثل ذلك (لتأمرن) بضم الراء والفاعل ضمير الجماعة محذوف بعدها لالتقاء الساكنين والضم دليل عليه والخطاب للأمة الموجودين حقيقة ومن سيأتى بطريق التبع (بالمعروف) شرعا (ولتنهون) بضم واو الجماعة ولام الفعل محذوف قبلها لالتقاء الساكنين والفتح دليل عليه ولم تقلب واو الضمير ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها لعروض حركتها (عن المنكر أو) عاطفة أى ليكون أحد الأمرين إما امتثال ما أمرتم به من الامر والنهى أو وقوع ما أنذرتم به فى قوله (ليوشكن الله) بضم التحتية مضارع أوشك من أفعال المقاربة (أن يبعث عليكم عقابا منه) بجور الولاة أو تسليط العداة أو غيره من البلاء (ثم تدعونه) برفع ذلك (فلا يستجاب لكم) لكون الحكمة الالهية جعلته جزاء لما فرطتم فيه من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وفيه أن المنكر إذا لم ينكر عمَّ شؤمه وبلاؤه فاعله وغيره ، وتقدم حديث « أنهلك وفينا الصالحون » وأن إنكاره على قدر ما يتمكن منه دافع لذلك (رواه الترمذى) فى الفتن (وقال حديث حسن)

(وعن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال أفضل الجهاد) من

كلمةُ عدل عند سلطان جائر » رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن

« الثانى عشر » عن أبى عبد الله طارق بن شهاب البَجَلىّ الأحمسىّ رضى الله عنه « أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم وقد وضع رجله فى الغَرْز : أى الجهاد أفضل ؟ قال كلمةُ حق عند سلطان جائر »

الفضل زيادة الثواب (كلمة عدل) أى حق (عند سلطان) أى ذى أمر (جائر) سيأتى شرحه فى الحديث بعده (رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن) قال السيوطى فى الجامع الصغير : ورواه أحمد وابن ماجه والطبرانى والبيهقى من حديث أبى امامة وأحمد والترمذى والبيهقى فى الشعب أيضا عن طارق ابن شهاب

(وعن أبى عبد الله طارق) بمهملة أوله وبعد الألف راء مهملة بعدها قاف (ابن شهاب) بكسر المعجمة أوله ، وآخره موحدة ابن عبد شمس أبو عبد الله (البجلى) بفتحتين نسبة إلى بجيلة وتقدم بيانها فى ترجمة جرير البجلى فى باب النهى عن البدع (الأحمسى) بالمهملتين نسبة لأحمس بن الغوث بن أنمار بن أراءس ابن عمرو بن الغوث بن كهلان قال الحازمى وإلى أحمس هذا ينسب جماعة من الصحابة والتابعين (رضى الله عنه) أدرك الجاهلية وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وغزا فى زمن أبى بكر وعمر ثلاثا وثلاثين أو ثلاثا وأربعين غزوة روى عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة سكن الكوفة وتوفى سنة اثنتين وقيل سنة ثلاث وثمانين روى له فى أبى داود والنسائى أحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم عد منها الحافظ المزى فى الاطراف خمسة وسادسا رواه ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم (أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم وقد وضع رجله فى الغرز) جملة حالية من مفعول سأل كما هو المتبادر (أى الجهاد أفضل)أى أكثر ثوابا (قال كلمة حق) وفى نسخة كلمة عدل أى من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أورد عن محترم من نفس أو مال أو نحو ذلك (عند سلطان جائر) وانما كان أفضل الجهاد لانه يدل على كمال يقين فاعله وقوة إيمانه وشدة ايقانه حيث تكلم بتلك الكلمة عند ذلك الامير الجائر المهلك عادة بجوره وظلمه ولم يخف منه ولا من جوره وبطشه بل باع نفسه من الله وقدم أمر الله وحقه على حق نفسه وهذا

رواه النسائى باسناد صحيح (الغرز) بغين معجمة مفتوحة ثم راء ساكنة ثم زاى ، وهو ركاب كُور الجمل إذا كان من جلد أو خشب ، وقيل لايختص بجلد وخشب

« الثالث عشر » عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ أولَ مادخلَ النقصُ على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجلَ فيقول ياهذا اتق الله ودع ماتصنع فإنه لايحل لك ، ثم يلقاه من الغدِ وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيلَه وشريبَه وقعيدَه ، فلمَّا فعلوا ذلك

بخلاف المجاهد للقرن فانه ليس فى المخاطرة كمخاطرة من تكلم بكلمة حق عند سلطان جائر (رواه النسائى) فى البيعة والمنشط (باسناد صحيح) رواه عن إسحاق بن منصور عن ابن مهدى عن سفيان عن علقمة بن مرثد عنه به قاله المزى فى الأطراف (الغرز) المذكور فى الحديث (بغين معجمة مفتوحة ثم راء ساكنة ثم زاى وهو) لغة (ركاب كور الجمل) أى محل الركوب من الكور فى الصحاح الكور بالضم الرحل بادانه جمعه أكوار وكيران (إذا كان من جلد أو خشب وقيل لايختص بجلد وخشب) بل هو الكور مطلقاً مثل الركاب للسرج

(وعن) عبد الله (ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول مادخل النقص) ما مصدرية أى أول دخوله (على بنى اسرائيل) فى دينهم (أنه) أى الشأن (كان الرجل يلقى الرجل) الفاعل معصية (فيقول) معطوف على يلقى (ياهذا اتق الله) أى اجعل امتثال أمره واجتناب نهيه وقاية لك من عذابه (ودع) اترك (ما تصنع) من المعاصى (فانه) أى ماتصنعه (لايحل لك) لكونه من المحرمات (ثم يلقاه من الغد وهو على حاله) فى المعصية (فلا يمنعه ذلك) أى وجدان صاحبه ملازما على المحرمات التى نهى عنها من (أن يكون أكيله) أى مواكله (وشريبه) أى مشاربه (وقعيده) أى مقاعده أى لا يمنعه ملازمة صاحبه لمانهاه الله عنه وحرمه عليه من مصاحبته ومداخلته ومباسطته وهو مأمور بمهاجرته حينئذ وتركه ولائه إلا إن خاف محذوراً فيداريه ولا يباسطه ويداخله (فلما فعلوا ذلك) المذكور وأتى فيه باسم الاشارة الموضوع للبعيد تفخيما لما أتوا به وتشنيعاً له أو لأن اللفظ لما لم يبق زمانين صار كالبعيد فأشير اليه بما

ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال (لُعِن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهَوْنَ عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . تَرَى كثيرا منهم يتولَّوْن الذين كفروا

يشار به الى البعيد (ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال) مستدلا على عموم اللعنة لجميعهم بقوله تعالى (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) قال أبو حيان فى النهر قال ابن عباس : لعنوا بكل لسان على عهد موسى فى التوراة وعلى عهد داود فى الزبور وعلى عهد عيسى فى الانجيل ولعن مبنى للمفعول حذف فاعله فيجوز أن يكون الفاعل غيره تعالى كالأنبياء ، والمراد باللسان الجارحة لا اللغة أى الناطق بلعنتهم هو لسان داود وعيسى (ذلك) أى اللعن كائن (بما عصوا) أى بسبب عصيانهم وذكر هذا على سبيل التوكيد وإلا فقد فهم سبب اللعنة باسنادها الى من تعلق بهذا الوصف الدال على العلية وهو « الذين كفروا » تقول كما رجم الزانى فتعلم أن سبب رجمه الزنى كذلك اللعن سببه الكفر ولكن أكد بذكره ثانيا فى قوله بما عصوا ، أو ما مصدرية أى بعصيانهم (وكانوا يعتدون) يجوز أن يكون معطوفا على عصوا فيكون داخلا فى صلة « ما » أى بعصيانهم وكونهم معتدين ويجوز أن يكون إخباراً من الله تعالى أن شأنهم الاعتداء (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه) ظاهره التفاعل بمعنى الاشتراك أى لا ينهى بعضهم بعضا وذلك أنهم جمعوا بين فعل المنكر والتجاهر به وعدم النهى عنه والمعصية إذا فعلت وقدرت على العبد ينبغى أن يسترها فاذا فعلت جهارا وتواطؤا على عدم انكارها أو ما فى معناها مما ذكر عن بنى إسرائيل فى الخبر كان ذلك تحريضا على فعلها وسبباً مثيراً لافشائها (لبئس ما كانوا يفعلون) تعجيب من سوء فعالهم مؤكد باللام قال فى الكشاف : يا حسرة على المسلمين فى اعراضهم عن باب التناهى عن المنكر وقلة عنايتهم به كأنه ليس من خلة الاسلام مع ما يتلون من كتاب الله تعالى وما فيه من المبالغات فى هذا الباب (ترى) بصرية ويحتمل أن تكون قلبية (كثيراً منهم) أى من بنى إسرائيل (يتولون الذين كفروا) قيل المراد به كعب بن الأشرف وأصحابه الذين استجاشوا المشركين

لبئس ماقدَّمتْ لهم أنفسهم — إلى قوله — فاسقون) ثم قال — كلاَّ والله لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهَوُنَّ عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطِرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننكم كما لعنهم »

على رسول الله صلى الله عليه وسلم (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) أى لبئس سببا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة (أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون) هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود فى العذاب أو علة الذم والمخصوص محذوف أى لبئس شيئا ذلك لأن كسبهم السخط والخلود كذا فى البيضاوى تبعا للكشاف وتعقبه فى الاعراب الأول فى النهر بأنه لا يأتى على مذهب سيبويه من أن « ما » معرفة تامة بمعنى الشىء فعليه فالجملة بعد صفة للمخصوص المحذوف والتقدير ولبئس الشىء شيئا قدمت لهم أنفسهم فيكون على هذا «أن سخط» فى موضع رفع على البدل من المخصوص المحذوف أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو أن سخط (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى) يعنى نبيهم وإن كانت الآية فى المنافقين فالمراد نبينا صلى الله عليه وسلم (وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء) إذ الايمان الصحيح يمنع ذلك (ولكن كثيراً منهم) من ذلك الكثير (فاسقون) خارجون عن دينهم أو تمردوا فى النفاق أى وقليل منهم قد آمن (ثم قال صلى الله عليه وسلم كلا) حقا (والله لتأمرن) بضم الراء (بالمعروف) شرعا (ولتنهون) بفتح الهاء وضم واو الجمع الفاعل (عن المنكر) شرعا (ولتأخذن) بضم الذال دليلا على الواو المحذوفة لالتقاء الساكنين (على يد الظالم) بمنعه باليد من الظلم وإن عجزتم فباللسان (ولتأطرنه) بكسر الطاء وضم الراء أى لتردنه (على الحق) أداء وأخذا (أطرا) بفتح الهمزة وأصل الأطر العطف قال فى النهاية ومن غريب ما يحكى فيه عن نفطويه أنه قال بالظاء المعجمة من باب ظأر ومنه الظئر المرضعة وجعل الكلمة مقلوبة فقدم الهمزة على الظاء (ولتقصرنه على الحق) أداء وأخذا (قصرا) أى لتحبسنه عليه حبسا وتمنعنه من مجاوزته أى ليكونن منكم ما ذكر (أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننكم كما لعنهم) فأو لأحد الأمرين أى ليكونن منكم ما أمرتم به أو ليكونن

رواه أبوداود (والترمذى) وقال حديث حسن هذا لفظ أبى داود ، (ولفظ الترمذى) :
«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم ، وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون» فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال « لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا» قوله(تأطروهم) أى تعطفوهم (ولتقصرنه) أى لتحبسنه

منكم ما حذرتم منه عند عدم فعل ذلك (رواه أبو داود) فى الملاحم (والترمذى) فى التفسير وابن ماجه فى الفتن (وقال) أى الترمذى (حديث حسن هذا) اللفظ المذكور (لفظ) رواية (أبى داود) فالاضافة اليه للملابسة (ولفظ) رواية (الترمذى) من حديث ابن مسعود (فقال) أى ابن مسعود (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما) وجودية (وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم) عنها (فلم ينتهوا) عنها فكان على العلماء هجرهم لله وبغضهم فيه فلم يفعلوا ذلك بل خالطوهم كما قال (فجالسوهم فى) (مجالسهم وآكلوهم) بالمد (وشاربوهم) أى جلسوا معهم وأكلوا وشربوا (فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم) أبعدهم (على لسان داود) بن إيشا (وعيسى بن مريم ذلك) المذكور من اللعنة وضرب القلوب بعضها ببعض (بما عصوا وكانوا يعتدون) تقدم نظيره وظاهر جريانه هنا وظاهر أنه على تقدير كون « وكانوا » خارجا عن صلة « ما » فيكون من كلام النبى ﷺ لبيان أن الاعتداء وصفهم وشأنهم (فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم) تعظيما للأمر الصادر منهم وتنبيها على فخامة شأنه ليتوجه اليه السامع (وكان متكئا) يحتمل أن يكون على تكأة وأن يكون على مرفقه والجملة حالية بتقدير قد (فقال لا) أى لا يكفى مجرد النهى باللسان مع القدرة على المنع باليد والقصر على الحق (والذى نفسى بيده) أى بقدرته (حتى تأطروهم) أى العصاة (على الحق أطراً قوله تأطروهم) بالهمز وكسر الطاء المهملة (أى تعطفوهم) وأصل الأطر العطف (ولتقصرنه) بضم الصاد المهملة (أى لتحبسنه) والقصر الحبس ومنه قوله تعالى « حور مقصورات فى الخيام »

« الرابع عشر » عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال يأيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضلّ إذا اهتديتم) وإنى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمّهم الله بعقاب منه » رواه أبو داود والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة

و(عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال يأيها الناس) بضم السين اتباعا للفظ أى بتشديد الياء وهى وصلة لنداء ما فيه أل والناس اسم جنس وهو من الفاظ العموم اذا حلى بال كاهنا (انكم تقرءون هذه الآية) ثم بينها بقوله (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم) أى وتتوهمون منها ان الانسان اذا فعل ماامر به وترك مانهى عنه فى نفسه ورأى غيره بضد ذلك فلم يأمره ولم ينهه لاحرج عليه وليس كذلك وفى رواية زيادة « وتضعونها على غير موضعها » (وإنى سمعت رسول الله) كذا فى النسخ بالواو وفى المصابيح « فانى » بالفاء ، قال العاقولى الفاء فيه فصيحة تدل على محذوف كأنه قال انكم تقرءون هذه الآية وتجرون على عمومها وليس كذلك فانى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس إذا رأوا الظالم) يفعل الظلم ومنه المعصية(فلم يأخذوا على يديه) بأن يمنعوه من ذلك باليد إن قدروا والا فباللسان فان عجزوا بأن خافوا على نفس محرمة أو مال أو أن يقع المنكر عليه فى منكر أشد مماأرادفعله فلا حرج عليهم فقوله (أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) يقع على الظالم لظلمه وعلى غيره لاقراره عليه وقد قدر على منعه أما المعذور فلا يتناوله بفضل الله هذا المحذور « لايكلف الله نفسا إلا وسعها» والجملة خبر إن والآية على هذا البيان عامة شاملة جميع الناس فيجب العمل بذلك قال العاقولى والقول الصحيح ان الآية ليست مخالفة لوجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذ المعنى لايضركم تقصير غيركم بعد سماع ذلك منكم فقد أديتم الواجب عليكم اه (رواه أبوداود) فى الملاحم (والترمذى) فى الفتن (والنسائى) فى التفسير وابن ماجه فى الفتن (بأسانيد صحيحة) قال المزى رواه أبو داود عن وهب بن منبه عن خالد الطحان وعن عمرو بن عوف

﴿ باب تغليظ عقوبة من أمرَ بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله ﴾

قال الله تعالى « أتأمرون الناس بالبر وتَنْسَوْنَ أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » *

عن هشيم كلاهما عن اسماعيل بن أبى خالد الطحان عن قيس بن أبى حازم عن الصديق ورواه الترمذى فى الفتن عن احمد بن منيع ومحمد بن بشار فرفعهما كلاهما عن يزيد بن هارون عن اسماعيل نحوه وقال هكذا روى غير واحد نحو حديث يزيد ورفعه بعضهم ووقفه بعضهم وأعاد حديث ابن منيع فى التفسير عن عقبة ابن عبد الله عن ابن المبارك وابن ماجه فى الفتن عن أبى بكر بن أبى شيبة عن عبد الله بن نمير وأبى اسامة ثلاثتهم عن اسماعيل نحوه اه فمدار سند الحديث عند الثلاثة الذين ذكرهم المصنف على اسماعيل فاسناد الحديث واحد ولعل قول المصنف الأسانيد بالنسبة لأصحاب الكتب الثلاثة إلى اسماعيل والله أعلم

﴿ باب تغلظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قوله ﴾ بالرفع ﴿ فعله ﴾ بالنصب أى كان أمره مخالفا لفعله ويجوز العكس

(قال الله تعالى) عما لا يليق بشأنه علوا كبيرا معيرا لليهود قال فى النهر وبنوا اسرائيل وإن كانوا المخاطبين بالآية إلا أنها عامة فى المعنى (أتأمرون الناس) استفهام توبيخ وتقريع (بالبر) فعل الخير من صلة رحم واحسان وطاعة الله تعالى (وتنسون أنفسكم) تتركونها من ذلك البر (وأنتم تتلون الكتاب) تقرءونه عالمين بما انطوى عليه فكيف امتثلتموه بالنسبة الى غيركم وخالفتموه وأنتم تتلونه وهى حالية أبلغ من المفرد والكتاب التوراة والانجيل وفيهما النهى عن هذا الوصف الذميم (أفلا تعقلون) تنبيه على أن ما صدر منهم خارج عن أفعال العقلاء إذ مركوز فى العقل ان الانسان إذا لم يحصل مصلحة لنفسه كيف يحصل لغيره ولاسيما مصلحة يكون فيها نجاته ، والفاء للعطف وكان الأصل تقديمها لكن الهمزة لها صدر الكلام فقدمت على الفاء هذا مذهب سيبويه والنحاة وذهب الزمخشرى إلى أن الفاء واقعة موضعها ويقدر بين الهمزة والفاء فعلا يصح العطف بالفاء عليه وحكم الواو

وقال تعالى « ياأيهـا الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون كَبُرَ مقتاً عنـد الله أن تقولوا مالا تفعلون » * وقال تعالى إخباراً عن شعيب صلى الله عليه وسلم « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه »

وعن أبى زيدٍ أسامةَ بن زيد بن حارثة رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى

وثم حكم الفاء فيما ذكر وقد رجع الزمخشرى فى بعض تصانيفه إلى موافقة الجماعة اه من النهر ملخصا * (وقال تعالى ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) قال البيضاوى روى أن المسلمين قالوا لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فأنزل الله تعالى « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله » فولوا يوم أحد فنزلت و«لم» مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والأكثر على حذف ألفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما فى الدلالة على المستفهم عنه (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) المقت أشد البغض وهو نصب على التمييز للدلالة على أن قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة فى المنع عنه (وقال تعالى اخبارا) مخبرا (عن شعيب) بن منكيل بن يشجب بن مدين بن ابراهيم الخليل (صلى الله) على نبينا و(عليه) وعلى سائر النبيين (وسلم) وفيه الصلاة على كل نبى وقد ورد مرفوعا « صلوا على أنبياء الله فانهم أرسلوا كما أرسلت » رواه الطبرانى وماذكرته من نسب شعيب هو مانقله المصنف فى التهذيب عن الثعلبى عن عطاء وغيره وقال ابن الجوزى فى شذوذه هو شعيب بن عنقاء بن بويب بن مدين بن ابراهيم (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) أى وما أريد أن آتى بما أنهاكم عنه لاستبد به ، فلو كان صوابا لآثرته ولم أعرض عنه فضلا عن أن أنهى عنه يقال خالفت زيدا إلى كذا إذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه إذا كان الأمر بالعكس

وعن أبى زيد أسامة بن زيد بن حارثة) الصحابى ابن الصحابى ابن الصحابى (رضى الله عنهما)الأولى عنهم لما ذكر من أن جده صحابى أيضاً وقد تقدم التنبيه على ذلك فى باب الصبر (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى

بالرجل يوم القيامة فيُلقَى في النار فتندلقُ أقْتابُ بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار في الرَّحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يافلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه » متفق عليه (قوله تندلق) هو بالدال المهملة ومعناه تخرج و (الاقتاب) الامعاء

﴿ باب الأمر بأداء الأمانة ﴾

بالرجل) أل فيه للجنس (يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه) أى تخرج أمعاؤه من جوفه والاندلاق بالقاف خروج الشيء من مكانه (فيدور) ذلك الرجل (بها) أى فيها (كما يدور الحمار في الرحى) كأنه أراد أن الرجل يدور فتلتف عليه أمعاؤه فيبقى هكذا يدور وهى تدور عليه عبرة ونكالا ، والأظهر أن المراد أنه يدور بسبب ألم خروجها منه حوله دور ان الحمار حول الرحى بسببها اللهم ربنا قنا عذاب النار (فيجتمع اليه أهل النار) أى الذين بها ونسبتهم اليها باعتبار هذه الملابسة متعجبين من دخوله النار وقد كان يأمرهم بما يبعدهم منها (فيقولون يا فلان) كناية عن اسمه (مالك) مبتدأوخبر (ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر) ومن شأن الآمر أن يفعل ما يأمر به والناهى أن يترك ما نهى عنه ، وفعل المعروف وترك المنكر مانع بالوعد الذى لايخاف عن دخول النار (فيقول بلى) جواب عن قولهم ألم تك الخ وبين المقتضى لحلوله بالنار بقوله (كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه) فشدد عليه الأمر لعصيانه مع العلم المقتضى للخشية والمباعدة عن المخالفة والله غالب على أمره ولاحول ولاقوة إلا بالله (متفق عليه) رواه البخارى في صفة النار وفي الفتن ورواه مسلم في آخر الكتاب (قوله تندلق هو بالدال المهملة ومعناه تخرج والاقتاب) بالقاف والفوقية وبعد الألف موحدة (الامعاء) جمع معى (واحدها) أى مفردها (قتب) قال العاقولى بكسر القاف وسكون الفوقية هذا قول الكسائى فيما نقله عنه الجوهرى وقال قال أبو عبيدة القتب ما انحوى من البطن وهى الحوايا وأما الامعاء فهى الاقصاب اهـ

﴿ باب الأمر بأداء الأمانة ﴾

قال الله تعالى « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » *
وقال تعالى إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبَيْنَ أن يحملْنَها
وأشْفَقْنَ منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا »

الى صاحبها * (قال الله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها)
قال فى النهر بعد أن نقل أن سبب نزول الآية قصة مفتاح الكعبة وعن ابن
عباس وغيره نزلت فى الأمراء وأن يؤدوا الأمانة فيم ائتمنهم الله من أمر رعيته،
ومناسبتها لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر وعد المؤمنين وذكر عمل الصالحات نبه
على هذين العملين الشريفين اللذين من اتصف بهما كان أحرى أن يتصف بغيرهما
من الاعمال الصالحة « فأحدهما » ما يختص به الانسان فيما بينه وبين غيره وهو أداء
الامانة و « الثانى » ما يكون بين اثنين من الفصل بينهما بالحكم العدل الخالى عن
الهوى وهو من الاعمال العظيمة التى أمر الله بها رسله أنبياءه والمؤمنين ولما كان
الترتيب الصحيح أن يبدأ الانسان بنفسه فى جلب المصالح ودفع المضار ثم يشتغل
بحال غيره أمر بأداء الامانة ثم بعده بالامر بالحكم بالحق * (وقال تعالى إنا عرضنا
الامانة) قال فى النهر : الظاهر أنها كل ما يؤمن عليه من أمر ونهى وشأن من دين
ودنيا فالشرع كله أمانة والظاهر عرض الأمانة أى الأوامر والنواهى (على
السموات والأرض والجبال) فتثاب إن أحسنت وتعاقب إن أساءت (فأبين أن
يحملنها وأشفقن منها) وذلك بادراك خلق الله تعالى فيها وهو غير مستحيل إذ قد
سبح الحصى فى كفه صلى الله عليه وسلم وحن اليه الجذع وكلمته الذراع فيكون
العرض والاباء والاشفاق على هذا حقيقة قال ابن عباس أعطيت الجمادات فهما
وتمييزا فخيرت فى الحمل ، وذكر الجبال مع أنها من الارض لزيادة قوتها وصلابتها تعظيما
للأمر وقيل المراد الاشارة الى كمال عظمها وأنها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت
على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وإدراك لأبين أن يحملنها وأشفقن
منها (وحملها الانسان) مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لاجرم فان الراعى لها والقائم
بحقوقها بخير الدارين (إنه كان ظلوما) وصفه به لكونه تاركا أداء الأمانة (جهولا)
بكنه عاقبتها وفى الآية وجوه أخر ذكر بعضها القاضى البيضاوى

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافِق ثلاثٌ: إذا حدَّث كذبَ و إذا وعدَ أخلف وإذا اؤتمن خان » متفق عليه (وفى رواية) « وإن

(وعن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية) بالمد واختلف فى وزنها على ستة أقوال تقدم فى شرح خطبة الكتاب انه ذكرها ابن الصائغ فى شرح البردة أى علامة (المنافق) أى علامة نفاقه الدال على قبح نيته وفساد طويته (ثلاث) أى خصال وأفرد الآية على ارادة الجنس أو أن العلامة انما تحصل باجتماع الثلاث ويؤيد الاول انه جاء فى صحيح أبى عوانة « علامات المنافق ثلاث » فان قيل ظاهر الحديث الحصر فى الثلاث وقد جاء فى الحديث الآخر « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا » فالجواب ماقاله القرطبي لعله صلى الله عليه وسلم تجدد له من العلم بخصالهم ما لم يكن عنده وقال الحافظ العسقلانى لامنافاة بين الخبرين لانه لايلزم من عد الخصلة كونها علامة على أن فى رواية لمسلم فى حديث أبى هريرة مايدل على عدم الحصر فان لفظه « من علامة المنافق ثلاث » فيكون أخبر ببعضها فى وقت وببعضها فى وقت آخر (إذا حدث كذب) الجملة خبر بعد خبر أو بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل بتقدير سبق العطف على الابدال وهذه الخصلة أقبح الثلاث (وإذا وعد) بخير (أخلف) أى لم يف بوعده ووجه المغايرة بين هذه وما قبلها أن الاخلاف قد يكون بالفعل وهو غير الكذب الذى هو وصف القول ثم محله فيمن عزم على الخلف حال الوعد أما لو عزم على الوفاء حال الوعد ثم منعته الاقدار من ذلك فلا يكون فيه آية النفاق نقله السيوطى وغيره ولا يلزم مما ذكر وجوب الوفاء بالوعد لأن ذم الاخلاف انما هو من حيث تضمنه الكذب المذموم لانه عزم على الاخلاف حال الوعد على أن علامة النفاق لايلزم تحريمها إذ المكروه لكونه يجر إلى الحرام يصح أن يكون علامة على الحرام ونظيره اشراط الساعة فان منها ما ليس بمحرم (وإذا اؤتمن خان) وخص هذه الخصال بالذكر لاشتمالها على المخالفة التى عليها مبنى النفاق من مخالفة السر العلن والكذب الاخبار على خلاف الواقع ، وحق الامانة أن تؤدى إلى أهلها والخيانة مخالفة لها والاخلاف فى الوعد ظاهر ولذا صرح بأخلف (متفق عليه) روياه فى كتاب الايمان ورواه الترمذى والنسائى * (وفى رواية) هى لمسلم فقط (وإن

صام وصلى وزعم أنه مسلم وعن حُذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال « حدَّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما ، وأنا أنظرُ الآخر ، حدثنا أن الأمانة

صام وصلى) أى وإن عمل عمل المؤمنين من الصوم والصلاة وغيرهما من العبادات وهذا الشرط اعتراض بين الآيات المجملة ومفسرها المفصل ، وارد للمبالغة لا يستدعى الجواب وتسمى أن فيه وصلية والواو الداخلة عليها قيل حالية وعليه جرى السعد التفتازانى فى المطول ، وقيل عاطفة وفى رواية «وإن صلى وصام وحج واعتمر وقال انى مسلم» (وزعم أنه مسلم) أى كامل الاسلام قال القرطبي ظاهر الحديث أن من كانت فيه هذه الخصال الثلاث صار فى النفاق الذى هو الكفر الذى قال فيه مالك : النفاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزندقة عندنا اليوم وليس الامر على مقتضى هذا الظاهر لما قررناه أول كتاب الايمان أى من أن المعاصى لا تخرج الانسان عن الايمان ولما استحال حمل هذا الحديث على ظاهره على مذهب أهل السنة اختلف العلماء فيه على أقوال ، فقيل المراد من النفاق نفاق العمل أى صفاتهم الفعلية ووجه ذلك أن من فيه هذه الصفات كان ساترا لها ومظهراً لنقائضها صدق عليه اسم منافق أو قيل الحديث محمول على من غلبت عليه هذه الخصال واتخذها عادة ولم يبال بها تهاونا واستخفافا بأمرها ، فان من كان هكذا كان فاسد الاعتقاد غالبا فيكون منافقا ، وقيل إن هذه الخصال كانت علامة المنافق فى زمنه صلى الله عليه وسلم فان أصحاب النبى ﷺ كانوا مجتنبين لهذه الخصال بحيث لاتقع منهم ولا تعرف فيما بينهم ، وبهذا قال ابن عباس وابن عمرو روى عنهما ذلك فى حديث أنهما أتيا يسألانه عن هذا الحديث فضحك النبى ﷺ وقال مالكم ولهن إنما خصصت بهن المنافقين أنتم من ذلك برآء ذكر الحديث بطوله القاضى عياض قال وإلى هذا صار كثير من التابعين والأئمة اه (وعن حذيفة بن اليمان) بضم المهملة وفتح المعجمة وسكون التحتية بعدها فاء كما تقدم مع ترجمته (رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين) يعنى فى الامانة وإلا فروايات حذيفة كثيرة وعنى بالحديثين قوله حدثنا عن رفع الامانة أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال والثانى قوله ثم حدثنا عن رفع الامانة (قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر) وقوع (الآخر) الأول من الحديثين (حدثنا أن الامانة) قال المصنف

نزلتْ فى جَذْر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ، ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال . ينامُ الرجل النومة فتُقبض الأمانة من قلبه فيظَلّ أثرها مثل الوكْت ، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظلُّ أثرها مثل أثر المَجْل ، كجمر دحرجْته على رجلك فنفِطَ ، فتراه منتبرا وليس فيه شىء — ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله ،

الظاهر أن المراد بها التكليف الذى كلف الله به عباده والعهد الذى أخذه عليهم وهى التى فى قوله تعالى « انا عرضنا الامانة » ، وقال صاحب التحرير هى عين الايمان فاذا استمسكت من قلب العبد قام حينئذ بأداء التكاليف واغتنم مايرد عليه منها وجد فى اقامتها (قد نزلت) بالفطرة (فى جذر) سيأتى ضبطه ومعناه فى الأصل (قلوب الرجال) أى فى أصلها (ثم نزل القرآن) شفاء من أدواء الجهل مزيحا لظلم الشبه (فعلموا) أى علموها (من القرآن) بآية انا عرضنا الامانه على السموات والأرض (وعلموا) أى علموها (من السنة) بالحديث المذكور والحاصل ان الامانة كانت لهم بحسب الفطرة وحصلت لهم أيضا بطريق الكسب من الكتاب والسنة (ثم حدثنا) هو الحديث الثانى كما تقدم (عن رفع الأمانة) من العالم (فقال ينام الرجل النومة) المرة من النوم (فتقبض الأمانة من قلبه) لسوء فعل منه تسبب عنه ذلك « قال الله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ويحتمل أن ذلك لانتهاء مدتها فى العالم (فيظل أثرها مثل الوكت) قال الهروى هو الأثر اليسير وعليه اقتصر المصنف فيما سيأتى وقال غيره هو سواد يسير وقيل هو لون يحدث مخالف للون الذى كان قبلا (ثم ينام النومة فتقبض الامانة أى أثرها التام المشبه بالوكت (من قلبه فيظل أثرها) الباقى (مثل أثر المجل) والمجل (كـ)أثر (جمر دحرجته على رجلك فنفط) بكسر الفاء وذكر مع أن الرجل مؤنثة لارادة العضو (فتراه) أى النفط (منتبرا) أى مرتفعا افتعال من النبر الارتفاع ومنه المنبر ويجوز كون الظرف بدلا من قوله مثل أثر المجل وخالف بين لفظى اداة التشبيه تحاشيا عن نقل التكرار وجملة (وليس فيه شىء) حالية (ثم) قصد بيان كيفية دحرجة الجمر على الرجل وتنفطها منه فـ(أخذ حصاة فدحرجه على رجله) قال المصنف هكذا وقع فى أكثر الاصول « فدحرجه » وهو صحيح أى

فيصبح الناسُ يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدى الأمانة ، حتى يقالَ إن فى بنى فلان رجلا أمينا ، حتى يقال للرجل : ماأجْلَدَه ماأظرفه ماأعقله ومافى قلبه مثقالُ حبة من خردل من إيمان ، ولقد أتى على زمانٌ وماأبالى أيكم بايعتُ لئن كان مسلما ليردنه على دينه

دحرج المأخوذ وفى رواية فاخذ حصى فدحرجه قال المصنف هكذا ضبطناه وهو ظاهر وما سلكته من أن الوكت ثم المجل هنا الأثران الباقيان من أثر الامانة هو ظاهر اللفظ لكن قال صاحب التحرير شرح مسلم معنى الحديث أن الأمانة تزول عن القلوب شيئاً فشيئاً فاذا زال أول جزء منها زال نوره وخلفه ظلمة كالوكت وهو اعراض لون مخالف للون الذى قبله فاذا زال شىء آخر صار كالمجل وهو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة وهذه الظلمة فوق التى قبلها ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه فى القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر ويبقى النفط ، وأخذه الحصاة ودحرجته إياها أراد به زيادة البيان والايضاح والله أعلم وما فسرناه به أظهر والعلم عند الله تعالى (فيصبح الناس) بعد تلك النومة التى رفع فيها الامانة (يتباعون ولا يكاد) أى يقارب (أحد) منهم (يؤدى الامانة) فضلا عن أدائها بالفعل (حتى) غائية (يقال) لعزة هذا الوصف وشهرة من يتصف به (ان فى بنى فلان رجلا أمينا) ذا أمانة (حتى يقال للرجل ما أجلده) على العمل (ما أظرفه) من الظرف (ما أعقله) أى ما أشد يقظته وفطانته (ومافى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان) فضلا عن الامانة التى هى من شعبه (ولقد أتى على) بتشديد التحتية (زمان وماأبالى أيكم بايعت) المراد المبايعة المعروفة ونقل عياض وصاحب التحرير أن المراد عقد بيعة الخلافة وغيرها من التحالف فى أمور الدين قال المصنف وهذا خطأ من قائله وفى الحديث مواضع تبطله ، منها قوله ولئن كان يهوديا أو نصرانيا ومعلوم أن اليهودى والنصرانى لا يعاقد على شىء من أمور الدين اهـ والجملة حالية وعائد أى محذوف أى لا أبالى بالذى بايعته لعلمى بأن الامانة لم ترتفع وأن فى الناس وفاء بالعهد فكنت أقدم على مبايعة من لقيت غير باحث عن حاله وثوقا بالناس وأمانتهم فانه والله (لئن كان مسلما ليردنه) بفتح الدال (على دينه) لما يحمله على أداء الامانة لأهلها وترك

وإن كان نَصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه ، وأما اليومَ فما كنت أبايع منكم إلا فلانا وفلانا » متفق عليه (قوله جذر) بفتح الجيم وإسكان الذال المعجمة وهو أصل الشىء (والوكت) بالتاء المثناة من فوق الأثر اليسير (والمجل) بفتح الميم وإسكان الجيم وهو تنفط فى اليد ونحوها من أثر عمل وغيره (قوله منتبرا) مرتفعا (قوله ساعيه) الوالى عليه

الخيانة (وان كان نصرانيا أو يهوديا) ليس عنده من الايمان ما يحمله على أداء الامانة لاهلها (ليردنه على ساعيه) أى الوالى عليه أى يقوم بالامانة فيستخرج حقى منه (وأما اليوم) فقد ذهبت الامانة إلا القليل فلذا قال (فما كنت أبايع منكم الا فلانا وفلانا) يعنى أفراداً أعرفهم وأثق بهم قال الكرمانى ان قلت رفع الامانة ظهر فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فما وجه قول حذيفة وأنا أنتظر الثانية «قلت» المنتظر هو الرفع بحيث يبقى أثرها مثل المجل ولا يصح الاستثناء بمثل فلانا وفلانا وهذا الحديث من أعلام النبوة (متفق عليه) رواه البخارى فى الرقاق والفتن والاعتصام ورواه مسلم فى الايمان ورواه الترمذى وابن ماجه فى الفتن كذا فى الاطراف للمزى (قوله جذر بفتح الجيم) قال المصنف وكسرها لغتان . قال القاضى عياض مذهب الاصمعى فى الحديث فتح الجيم وأبو عمرو بكسرها (واسكان الذال المعجمة) مع الوجهين فى الجيم (وهو أصل الشىء والوكت) بوزن الفلس (بالتاء المثناة الاثر اليسير والمجل بفتح الميم واسكان الجيم) وفتحها لغتان حكاهما صاحب التحرير والمشهور الاسكان فلذا اقتصر عليه المصنف هنا يقال مجلت يده بكسر الجيم تمجل بفتحها مجلا بفتحها أيضاً ، ومجلت بفتح الجيم تمجل بضمها مجلا باسكانها لغتان مشهورتان وأمجلها غيره قال أهل اللغة والغريب: المجل (تنفط فى اليد ونحوها من أثر عمل) بفأس أو نحوها وتصير كالقبة فيه ماء قليل (١) (قوله منتبرا) اسم فاعل أى (مرتفعا قوله ساعيه الوالى عليه)

---

(١) عبارة ابن الاثير يقال مجلت يده تمجل مجلا ومجلت تمجل مجلا اذا ثخن جلدها وتعجر وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالاشياء الصلبة الخشنة اه . ع

وعن حذيفة وأبي هريرة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تُزْلَف لهم الجنة فيأتون آدم صلوات الله عليه فيقولون يا أبانا استفْتِحْ لنا الجنة ؛ فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم

(وعن حذيفة وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع) بالبناء للفاعل ومرجع الضمير هو الله تعالى وقد صرح به فى نسخة وقوله (تبارك) أى بارك (وتعالى) علوا معنويا عما لا يليق بشأنه جملة فى محل الحال و (الناس) مفعول يجمع أى يجمعهم بعد البعث بارض المحشر (فيقوم المؤمنون) أى دون الكفار ويحتمل أن يكون معهم المنافقون ثم يميزوا عند المرور على الصراط (حتى تزلف) بضم الفوقية وسكون الزاى وفتح اللام أى تقرب (لهم الجنة) قال تعالى وأزلفت الجنة للمتقين (فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة) اى اسأل لنا من الله فتحها لندخلها (فيقول وهل اخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم) قال المصنف فى باب إثبات الشفاعة من شرح مسلم : اعلم ان العلماء من أهل الفقه والاصول وغيرهم اختلفوا فى جواز المعاصى على الانبياء صلى الله عليهم وسلم وقد لخص القاضى عياض مقاصد المسألة فقال لا خلاف أن الكفر عليهم بعد النبوة ليس بجائز بل هم معصومون منه واختلف فيه قبل النبوة والصحيح أنه لا يجوز وأما المعاصى فلا خلاف أنهم معصومون من كل كبيرة واختلف هل ذلك بطريق العقل أو الشرع فقال الأستاذ أبو اسحاق ومن معه ذلك ممتنع من مقتضى دليل المعجزة وقال القاضى أبو بكر الباقلانى ومن وافقه ذلك من طريق الاجماع وذهب المعتزلة إلى أن ذلك من طريق العقل وكذلك اتفقوا على أن كل ما كان طريقه الابلاغ فى القول فهم معصومون فيه على كل حال أما ما كان من طريق الابلاغ فى الفعل فذهب بعضهم إلى العصمة فيه رأسا وأن السهو والنسيان لا يجوز عليهم فيه وتأولوا أحاديث السهو فى الصلاة وهذا مذهب الاستاذ أبى المظفر الاسفراينى من أئمتنا الخراسانيين المتكلمين وغيره من مشايخ المتصوفة وذهب بعض المحققين وجماهير العلماء إلى جواز ذلك ووقوعه منهم وهذا هو الحق ثم لابد من تنبيههم

لستُ بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى ابنى ابراهيم خليل الله — قال — فيأتُونَ ابراهيم ،

عليه وذكرهم إياه إما فى الحين على قوله جمهور المتكلمين ، وإما قبل وفاتهم على قول بعضهم ليبينو احكمه قبل انخرام مدتهم وليصح تبليغهم ما أنزل اليهم وكذا لاخلاف أنهم معصومون من الصغائر التى تزرى بفاعلها أو أو تحط منزلته أوتسقط مروءته واختلفوا فى وقوع غيرها من الصغائر فذهب جماعة من أهل التحقيق والنظر من الفقهاء والمتكلمين من أئمتنا إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر فان منصب النبوة يجل عن مواقعتها وعن مخالفة الله عمدا وتكلموا على الايات والاحاديث الواردة فى ذلك وتأولوها وأن ماذكر عنهم فى ذلك إنما هو فيما كان منهم عن تأويل أو سهو أو من غير إذن من الله تعالى فى اشياء أشفقوا من المؤاخذة بها وهذا المذهب هو الحق وأنه لو صح منهم ذلك لم يلزمنا الاقتداء بأفعالهم وإقرارهم وكثير من اقوالهم ولا خلاف فى الاقتداء بذلك وانما اختلاف العلماء فى أنه واجب أو مندوب أو مباح أو يفرق بين القرب وغيرها قال القاضى وقد بسطنا القول فى هذا الباب فى كتاب الشفاء وبلغنا فيه المبلغ الذى لا يوجد فى غيره وتكلمنا على الظواهر فى ذلك بما فيه كفاية اه قلت وقد ألف فى عصمة الانبياء وتأويل الآيات الظاهرة فى خلاف ذلك الصابونى البخارى كتابا حافلا (لست بصاحب ذلك) أى لست صاحب التشريف بهذا المقام المنيف، قال القاضى عياض هذا المنقول عن آدم وغيره من الانبياء يقولونه تواضعا وإكبارا لما يسألونه وقد يكون فيه إشارة إلى أن هذا المقام ليس له بل لغيره وكل واحد منهم يدل على الآخر حتى ينتهى الأمر إلى صاحبه ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد صلى الله عليه وسلم معينا وتكون إحالة كل واحد منهم على الآخر على تدريج الشفاعة فى ذلك إلى نبينا ﷺ قال وفيه تقديم ذوى الاسنان والآباء على الابناء والحكمة فى الهامهم سؤال آدم والبدء به ثم من بعده واعتذار كل بانه ليس أهل ذلك ليظهر كمال شرفه على سائر الرسل إذا لو جاءوا اليه صلى الله عليه وسلم وأجابهم وأجيب لهم لم يظهر كمال التمييز : إذ كان احتمال أن هذا الأمر له ولغيره من الرسل فلما تأخر كل عن ذلك وتقدم هو له ، علم أنه السيد المقدم (اذهبوا إلى نبى الله إبراهيم خليل الرحمن) أصل الخلة الاختصاص والاستصفاء وقيل أصلها الانقطاع

فيقول ابراهيم لستُ بصاحب ذلك إنما كنتُ خليلا من وراء وراء ، اعمدوا إلى موسى الذى كلَّمَهُ الله تكليما

الى من خاللت مأخوذة من الخلة الحاجة تسمى ابراهيم بذلك لأنه قصر حاجته على الله تعالى وقيل الخلة صفاء المودة التى توجب تخالل الأسرار وقيل معناه المحبة والالطاف هذا كلام القاضى عياض ، قال المصنف وقال ابن الانبارى معناه المحب الكامل المحبة والمحب الموفى بحقيقة المحبة اللذان ليس فى حبهما نقص ولا خلل قال الواحد هذا القول هو الاختيار لأن الله عز وجل خليل ابراهيم وابراهيم خليل الله ولا يجوز أن يقال الله تعالى خليل ابراهيم من الخلة التى هى الحاجة والله أعلم (فيقول ابراهيم لست بصاحب ذلك) المقام (إنما كنت خليلا من وراء وراء) قال المصنف قال صاحب التحرير هذه كلمة تذكر على سبيل التواضع أى لست بتلك الدرجة الرفيعة قال وقد وقع لى فيه معنى مليح هو أن معناه أن المكارم التى أعطيتها كانت بسفارة جبريل صلى الله عليه وسلم (اعمدوا) اقصدوا (الى موسى فانه كلمه الله تكليما) فحصل له السماع بلا واسطة وكرر وراء لكون نبينا صلى الله عليه وسلم حصل له السماع بغير واسطة وحصل له الرؤية فقال ابراهيم أنا وراء موسى الذى هو وراء محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا كلام صاحب التحرير قال المصنف : وأما ضبط وراء وراء فالمشهور فيه الفتح بلا تنوين ويجوز عند أهل العربية بناؤهما على الضم وقد جرى فى كلام بين الحافظ أبى الخطاب بن دحية والامام أبى اليمن الكندى فرواه ابن دحية بالفتح وادعى أنه الصواب وأنكره الكندى وادعى أن الضم هو الصواب ولذا قال أبو البقاء : الصواب الضم لأن التقدير من وراء ذلك أو من وراء شىء آخر قلت قال القرطبى الأولى بنيت على الضم لقطعها عن الاضافة لفظا وأما الثانية فيحتمل أن تكون كالأولى على تقدير حذف من لدلالة الاولى عليها ويحتمل أن تكون الثانية تأكيداً لفظيا للاولى ويجوز أن تكون بدلا منها أو عطف بيان اه قال فان صح الفتح قبل وتكون الكلمة مؤكدة كشذر مذر وسقطوا بين بين ، فركبهما وبناهما على الفتح فان ورد منصوبا منونا جاز جوازاً جيداً قال المصنف ونقل الجوهرى عن الاخفش أنه يقال لقيته من وراء مرفوع على الغاية كقولك من قبل ومن بعد قال الشاعر

إذا أنا لم أومن عليك ولم يكن * لقاؤك إلا من وراء وراء

فيأتون موسى فيقول لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى لست بصاحب ذلك ؟ فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم ، فيقوم فيؤْذَنُ له ، وتُرسل

بضمهما والله أعلم وقال القرطبي فى المفهم صحيح الرواية فيه بالمد والفتح فى الهمزتين ونقل عن أصل شيخه أبى الصبر أيوب أنه من وراء من وراء بتكرير من وفتح الهمزة فيهما قال وكان قد اعتنى بهذا الكتاب يعنى صحيح مسلم أتم الاعتناء قال وحينئذ فيحتمل أن وراء قطعت عن الاضافة ولم يقصد قصد مضاف بعينه فصارت كأنها اسم علم وهى مؤنثة قال الجوهرى : إنها مؤنثة لأنهم قالوا فى تصغيرها ورية وعلى هذا فهمزتها ليست للتأنيث ولأن ألف التأنيث لاتقع ساكنة اه (فيأتون موسى فيقول لست بصاحب ذلك) المقام (اذهبوا الى عيسى) قال البيضاوى فى التفسير عيسى معرب أيسوع وجعله مشتقا من العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لاطائل تحته (كلمة الله) الكلمة بفتح فكسر على الأفصح وأطلق ذلك على عيسى لأنه وجد بأمره تعالى وهو قوله كن دون أب فشابه البدعيات التى هى عالم الأمر ذكره البيضاوى وقال الحافظ بن حجر قيل له ذلك إشارة إلى أنه حجة الله على عباده إذ أوجده من غير أب وأنطقه فى غير أوان وأحيا الموتى على يده وقيل سمى كلمة الله لأنه أوجده بقوله كن فلما كان بكلامه سمى به كما يقال سيف الله وأسد الله وقيل لما قال فى صغره « انى عبد الله » اه (وروحه) قيل سمى بذلك لأنه يحيي الأموات أو القلوب وقيل انه على تقدير مضاف والمعنى انه ذو روح من الله عز وجل لا بتوسط ماء يجرى مجرى الأصل والمادة له (فيقول عيسى) أى بعد أن يأتوا اليه ويسألوه ذلك ففى الكلام مطوى يدل عليه السياق (لست بصاحب ذلك) المقام والباء مزيدة للتأكيد (فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم) أى لدلالة عيسى عليه الصلاة والسلام لهم على ذلك كما جاء فى الروايات الأخرى ففيه مطوى دل عليه ماتقدم ، وثم مطوى أيضا تقديره فيقولون يارسول الله استفتح لنا الجنة مثلا أو اشفع لنا فى الاراحة من طول المواقف كما جاء فى الروايات الأخرى (فيقوم) أى الى تحت العرش ويسجد تحته ويفتح عليه بمحامد يحمد الله بها حينئذ لم يفتح عليه بها قبل (فيؤذن له) فى الشفاعة (وترسل) بضم الفوقية أوله

الأمانة والرحِم ، فيقومان جنبتى الصراط يمينا وشمالا ، فيمر أوَّلكم كالبرق ـ قلت : بأبى وأمى ، أىُّ شىء كمر البرق ؟ قال « ألم تَرَوْا كيف يمرُّ ويرجع فى طرْفة عين » ـ ثم كَمَرِّ الريح ، ثم كمر الطير ، وأشد الرجال تَجْرِى بهم أعمالهُم ،

مبنيا للمجهول (الأمانة والرحم) بفتح الراء وكسر المهملة أى القرابة التى تطلب صلتها شرعا (فيقومان) بالمثناة الفوقية (جنبتى الصراط) بفتح الجيم وسكون النون وفتح الموحدة والفوقية أى جانبيه قال المصنف وإرسالهما لعظم أمرهما وكبر موقعهما فيصوران شخصين على الصفة التى يريدها الله تعالى قال وقال صاحب التحرير فى الكلام اختصار والسامع فهم أنهما يقومان ليطالبا من يريد الجواز بحقهما (فيمر أولكم) أيها المخاطبون والمراد الأئمة وهم أولها وأولاها بالفضل (كالبرق) أى كمر البرق (قال) أى أحد الراويين عن النبى ﷺ (بأبى وأمى) أى أنت مفدى بهما (أى شىء كمر البرق) أى ما معناه وكيف سرعته (قال ألم تروا) بفتح التاء تبصروا (كيف يمر) أى آتيا (ويرجع) آبيا (فى طرفة عين) أى وقوع الجفن على الجفن المسمى برمش البصر وهو زمن يسير جدا وفى الصحاح وطرف بصره يطرف طرفا اذا أطبق أحد جفنيه على الآخر الواحدة من ذلك طرفة يقال أسرع من طرفة عين اه وفى الكشاف فى قوله تعالى « أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك » ويجوز أن يكون هذا مثالا لاستقصار مدة المجىء به كما تقول لصاحبك افعل ذلك فى لحظة وفى ردة طرف وما أشبه ذلك تريد السرعة وفى تفسير البيضاوى وهذا غاية فى الاسراع ومثل فيه اه (ثم) للتراخى فى الرتبة أى ثم تمر الفرقة التى تلى الفرقة الاولى (كمر الريح ثم) الفرقة الثالثة لها (كمر الطير وأشد الرجال) بالجيم جمع راجل قال هو الصحيح المعروف المشهور ونقل القاضى أنه فى رواية ابن ماهان بالحاء قال القاضى وهما متقاربان فى المعنى وشدها عدوها البالغ وجريها (تجرى بهم أعمالهم) قال المصنف هو كالتفسير لقوله فيمر أولكم كالبرق والمعنى أنكم فى سرعة السير على حسب المراتب والاعمال

ونبيُّكم قائم على الصراط يقول رَبِّ سلم سلم ، حتى تعجزَ أعمال العباد ، حتى يجيء الرجل لايستطيع السير إلا زحْفا ، وفى حافتى الصراط كَلاليبُ معلَّقة مأمورة بأخذ من أمرت به ،

(ونبيكم صلى الله عليه وسلم) لكمال شفقته ومزيد عنايته بنا معشر أمته (قائم على الصراط) لتنجو به أمته من المخاوف وتصرف به عنها أنواع المكاره والمتالف (يقول) لما فى المرور على الصراط من الاهوال وزل بعض الاقدام ، وهو حال بناء على مجيئه من المبتدأ وهو ماعليه سيبويه أو خبر بالجملة بعد الخبر بالمفرد ويجوز أن يكون استئنافا بيانياً جوابا لسؤال تقديره ما يكون منه حال قيامه يومئذ فأجيب بقوله يقول (رب) حذف حرف النداء لأن المقام لعظم هوله مقام الايجاز وفى رواية لمسلم فى حديث آخر فى المعنى ودعوى الرسل يومئذ اللهم (سلم سلم) ولعله صلى الله عليه وسلم تارة يقول رب وتارة يقول اللهم سلم سلم وفى نسخة رب سلم باعادة لفظ رب قال المصنف : فيه أن الدعاء يكون بحسب المواطن فيدعو فى كل موطن بما يليق به وسلم بفتح أوله المهمل وتشديد اللام المكسورة (حتى تعجز) بكسر الجيم (أعمال العباد) بالمتخلفين عن الاسراع فى الصراط أى تضعف أعمالهم الصالحة عن سرعة المرور بهم عليه فيبطئون فى السير وحتى فى الخبر غائية أى يتفاوت الاسراع بحسب تفاوت الاعمال إلى أن تصل لمرتبة عجز الاعمال من الاسراع بصاحبها لكن فيها قوة حمله على السير والى أن تضعف فوق ذلك كما قال (وحتى يجيء الرجل لا يستطيع السير) أى على الصراط (الا زحفا) لفقد قوة العمل الحاصلة على السير والمراد من الزحف السير على الاست قال السيوطى فى الدرر زحف الرجل انسحب على استه اه قلت وفى رواية لمسلم حتى يمر آخرهم يسحب سحبا (وفى حافتى الصراط) بتخفيف الفاء أى جانبيه (كلاليب) جمع كلوب بفتح الكاف وضم اللام المشددة وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق عليها اللحم ويرسل فى التنور وقال صاحب المطالع : هى خشبة فى رأسها عقافة حديد وقد تكون حديدا كلها ويقال لها أيضا كلاب اه (معلقة) أى بالصراط (مأمورة بأخذ من أمرت) بالبناء للمفعول ونائب الفاعل يعود إلى الكلاليب و (به) متعلق بأمرت يحتمل أن

فمخدوشٌ ناج ومُكردس فى النار ، والذى نَفْس أبى هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعين خريفا » رواه مسلم (قوله وراء وراء) هو بالفتح فيهما

يكون على حقيقته بأن خلق لها إدراك وأمرت بأخذ من أمرت به ويحتمل أن يكون على تسخيرها لاخذ من يؤخذ بهاثم الواوفى « وفى حافتى » يحتمل أن تكون واوالحال ويحتمل العطف و « معلقةمأمورة » الظاهرانهمامرفوعان صفةلكلاليب وكذا هو مضبوط فى الاصل ولو نصبا على الحال المترادفة أو المتداخلة لجاز لتخصيص الكاليب بتقديم خبرها الظرف إلا إن صحت الرواية بالرفع (فمخدوش) أى بشىء مما يعلق به فى الصراط (ناج) أى من النار وهو بمعنى قوله فى الرواية الاخرى ومخدوش مرسل فالمراد نجاته من العذاب الذى حل فيه قسيمه المذكور فى قوله (ومكردس فى النار) وقال المصنف كذاوقع فى هذا الحديث مكردس بالراء ثم الدال المهملتين والذى فى باقى الروايات مكدوس بضم الدال المهملة بعدها واو قال وهو قريب من معنى المكردس « ومكردس » بالسين المهملة فى الأصول ومعناه كون الاشياء بعضها على بعض ومنه تكردست الدابة فى سيرها اذا ركب بعضها بعضا ونقل القاضى عياض هذه الرواية عن أكثر الرواة ثم قال ورواه العذرى بالشين المعجمة ومعناه السوق (والذى نفس أبى هريرة بيده) أى بقدرته وارادته وهذا مدرج من كلام أبى هريرة متصل بآخر الحديث وجواب القسم (إن قعرجهنم لسبعون خريفا) قال المصنف فى شرح مسلم هو فى الاصول بالواو وهذا ظاهر وفيه حذف وتقديره أن مسافة قعر جهنم سير سبعين خريفاووقع فى معظم الاصول والروايات لسبعين بالياء وهو صحيح أيضا أما على مذهب من يحذف المضاف ويبقى المضاف اليه على جره فيكون التقدير سير سبعين خريفا وأما على أن قعر مصدر يقال قعرت الشىء إذا بلغت قعره ويكون سبعين ظرف زمان وفيه خبر ، أن التقدير إن بلوغ قعر جهنم لكائن فى سبعين خريفاوالخريف السنة اه قلت وهو فيما وقفت عليه من نسخ الرياض بالياء التحتية وقد علمت وجهه وسيأتى إن شاء الله تعالى فى كتاب الصيام نكتة تسمية السنة بالخريف (رواه مسلم) فى آخر كتاب الايمان من صحيحه وانفرد به البخارى وأصحاب السنن (قوله) فى الحديث (وراء وراء هو بالفتح فيهما) على أنهما ظرفان ركبا فبنيا على الفتح تخفيفا ومثله قول

وقيـل بالضم بلا تنوين ومعناه « لست بتلك الدرجه الرفيعة » وهى كلمةٌ تذكر على سبيل التواضع وقد بسطت معناها فى شرح صحيح مسلم والله أعلم

وعن أبى خبيب — بضم الخاء المعجمة — عبد الله بن الزبير بن العوام القرشىُّ الأسدى رضى الله عنهما

العرب هو يأتينا صباح مساء وأما وجه النصب والتنوين اللذين قال فيهما المصنف إن وردت بهما الرواية جاز جوازا جيدا فهو أن كلا منهما ظرف (وقيل بالضم بلا تنوين) بناء على أنه من أسماء الغايات لحذف المضاف اليه ونية معناه (ومعناه لست) صاحب (تلك الدرجة الرفيعة) وتقدم بسط الـكلام فى ذلك قال صاحب التحرير وهى كلمة تذكر على سبيل التواضع أى لست بتلك الدرجة (وقد بسطت معناه فى شرح صحيح مسلم) وقد قدمته عنـه وذيلته بفوائد عن القرطبى (والله أعلم)

(وعن أبى خبيب بضم الخاء المعجمة) أى وفتح الموحدة وسكون التحتية بعدها موحدة كنية عبد الله بن الزبير كنى بأكبر أولاده قال العلقمى فى حاشية الجامع الصغير وله ثلاث كنى ذكرها البخارى فى التاريخ وآخرون أبو خبيب وأبو بكر وأبو بكير بالتصغير اهـ وقال الحافظ بن حجر كان يكنيه بأبى خبيب من لا يريد تعظيمه لانه كنى فى الاول بكنية جده لامه الصديق اهـ (عبد الله بن الزبير) بضم الزاى وفتح الموحدة وسكون التحتية بعدها راء (ابن العوام) بن خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصى (القرشى الاسدى) المـكى المدنى الصحابى ابن الصحابى (رضى الله عنهما) أمه ذات النطاقين اسماء بنت أبى بـكر الصديق وابوه الزبير احد العشرة المشهود لهم بالجنة وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته صفية عمة النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها وعمة أبيه خديجة بنت خويلد أم المؤمنين وخالته عائشة أم المؤمنين وهو أول مولود ولد للمهاجرين إلى المدينة بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحا شديداً لأن اليهود كانوا يقولون قد سحرناهم فلا يولد لهم فاكذبهم الله تعالى وحنـكه رسول الله ﷺ بتمرة لاكها فـكان ريق رسول الله ﷺ أول شىء دخل جوفه وكناه أبا بـكر بـكنية جـده

قال « لمّا وقف الزُّبير يوم الجمل

الصديق وسماه عبد الله باسمه ولد بعد عشرين شهرا من الهجرة وقيل فى السنة الاولى
وكان صواما قواما طول الليل وصولا للرحم عظيم الشجاعة بويع له بالخلافة
لما مات يزيد بن معاوية وأطاعه أهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان وجدد عمارة
الكعبة وبقى فى الخلافة الى أن حصره الحجاج بن يوسف الثقفى بمكة أول ليلة
من ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين وحج الحجاج بالناس ولم يزل محاصره إلى أن
قتله شهيداً يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الاولى سنه ثلاث وسبعين وقيل فى نصف
جمادى الآخرة وقيل سنة اثنتين وسبعين والمشهور الاول روى له عن رسول
الله ﷺ ثلاثة وثلاثون حديثا اتفقا على ستة وانفرد مسلم بحديثين « فائدة »
قال المصنف فى التهذيب : عبد الله بن الزبير هو أحد العبادلة الاربعة وهم ابن عمر
وابن عباس وابن الزبير وابن عمرو بن العاص قاله أحمد بن حنبل وسائر المحدثين
وغيرهم قيل لأحمد بن حنبل وابن مسعود قال ليس هو منهم قال البيهقى
لانه تقدمت وفاته وهؤلاء عاشوا طويلا حتى احتيج إلى علمهم فاذا اتفقوا على
شىء قيل هذا قول العبادلة ويلحق بابن مسعود فيما ذكر سائر المسمين بعبد الله
من الصحابة وهو نحو مائتين وعشرين وقول الجوهرى فى صحاحه ابن مسعود أحد
العبادلة وأخرج ابن العاص غلط نبهت عليه لئلا يغتر به اه زاد فى المبهمات له
وكيف يعارض بقوله قول الامام أحمد وغيره اه وفى العبادلة أقوال أخر ذكرها
السخاوى فى شرح ألفية الحديث قال وممن جرى على عد ابن مسعود من العبادلة
ابن هشام النحوى فى التوضيح « قلت » لكن أول اللقانى عبارة التوضيح بما تنبو
عنه عبارته وحاصله أن مراده بالعبادلة المفهومون من تلك الاسماء لا العبادلة
المشهورون قال فلا يرد أن ابن مسعود ليس من العبادلة اه تأمل (قال لما وقف
الزبير يوم الجمل) أى الوقعة المشهورة التى كانت بين على بن أبى طالب ومن معه
وبين عائشة ومن معها ومن جملتهم الزبير ونسبت الوقعة إلى الجمل لان يعلى بن أمية
الصحابى المشهور كان معهم فأركب عائشة على جمل عظيم اشتراه بمائة دينار وقيل
بثمانين وقيل بأكثر فوقفت به فى الصف فلم يزل الذين معها يقاتلون حول الجمل
حتى عقر الجمل فوقعت عليهم الهزيمة وكان ذلك فى جمادى الاولى أو الآخرة سنة ست

دعاني فقمتُ إلى جنبه فقالَ يابني إنه لايقتَلُ اليومَ إلا ظالم أو مظلوم وإني لا أراني الاسأُقتل اليوم مظلوما ،

وثلاثين واسم ذلك الجمل عسكر (دعاني فقمت إلى جنبه) الفاء فيه عاطفة على محذوف أى فاجبته فأتيت فقمت إلى جانبه (فقال يا بني) بكسر الياء المشددة وفتحها ذكره المرادى فى شرح الخلاصة وذكر المصنف فى أواخر كتاب الادب من شرح مسلم جواز اسكان الياء قال وبالحركتين قرىء فى السبع وقرأ بعضهم باسكانها وبني بضم الموحدة وفتح النون مصغر وقد بسطت الكلام فيه فى باب مايقول اذا دخل بيته من شرح الاذكار (إنه لايقتل) بالبناء للمفعول (اليوم إلا ظالم أو مظلوم) قال ابن التين لانهم إما صحابى متأول فهو مظلوم وإما غير صحابى قاتل لاجل الدنيا فهو ظالم قال الكرماني إن قيل جميع الحروب كذلك فالجواب أنها أول حرب وقعت بين المسلمين قال الحافظ ابن حجر ويحتمل أن تكون أو للشك من الراوى وأن الزبير إنما قال أحد اللفظين أو للتنويع أى لايقتل اليوم إلا ظالم بمعنى أنه ظن أن الله يعجل للظالم منهم العقوبة أو لايقتل اليوم الا مظلوم إما لاعتقاده أنه كان مصيبا وإما لانه سمع ما سمع على من الحديث المرفوع « بشر قاتل ابن صفية بالنار » رواه احمد وغيره باسناد صحيح ووقع عند الحاكم من طريق أخرى فى هذا الحديث مختصراً عن هشام بن عروة عن الزبير قال والله لئن قتلت لاقتلن مظلوما والله مافعلت وما فعلت يعنى أشياء من المعاصى ثم كان خروج الزبير وطلحة وغيرهما من كبار الصحابة مع عائشة لطلب قتلة عثمان وإقامة الحد عليهم لا لقتال على لانه لاخلاف أنه كان أحق بالامامة من جميع أهل زمانه وكانت قتلة عثمان لجئوا الى على فرأى أنه لايسلمهم للقتل حتى تسكن الفتنة وتجرى الامور على ما أحب فكان ما جرى به القلم من الامور التى قدرت فوقعت ولذا قال الزبير لما رأى شدة الامر وأنهم لا ينفصلون إلا عن قتال (وأنى لا أراني) بضم الهمزة أى لاأظنني (إلا سأقتل اليوم مظلوما) قال الحافظ ابن حجر ويجوز فتحها بمعنى الاعتقاد وذلك الامر قد تحقق لانه قتل غدراً بعد أن ذكره على فانصرف عن القتال فنام بمكان ففتك به رجل من بني تميم يقال له ابن جرموز بضم الجيم والميم بينهما راء مهملة ساكنة واخره زاى وكان ذلك بوادى السباع وروى الحاكم من

وإنَّ مَنْ أكبر هَمى لَدَيْنِى أفترى دَيننا يُبقى من مالِنَا شيئا ؟ ثم قال : يابنى بع مالناواقض دَينى وأوصى بالثلث وثلثِه لبنيه — يعنى لبنى عبد اللّٰه بن الزبير ثلث الثلث — قال . فان فَضَل من مالنا بعد قضاء الدين شىء فَثُلُثه لِبنِيك ، قال هشام: وكان ولد عبد الله قد رأى (١) بعض بنى الزبير خُبَيْبٌ وعبادٌ وله يومئذ تسعة بنين وتسع بنات ، قال عبد الله فجعل يوصينى بدينه ويقول : يابنى إن عَجزْت

طرق متعددة أن عليا ذكر الزبير بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال له «لتقاتلن عليا وأنت له ظالم» فرجع لذلك منصرفا (وإن من اكبر همى لدينى) فى رواية هشام « انظر يابنى دينى فانه لا أدع شيئا أهم منه على » (أفترى) أى تظن (إن ديننا يبقى من مالنا شيئا) قاله استكثاراً لما عليه و اشفاقا من دينه وفيه الوصية عند الحرب لانها من أسباب الموت كركوب البحر (ثم قال يابنى بع مالنا واقض) بهمزة وصل (دينى وأوصى بالثلث) أى ثلث ماله أى الفاضل عن قضاء الدين (وثلثه) أى ثلث الثلث (لبنيه يعنى لبنى عبد الله) قال الكرمانى وتبعه الشيخ زكريا أوصى بالثلث الفاضل مطلقا وبثلث الثلث لحفدته أولاد عبد لله اه وقال الحافظ فسر وصيته أى بالثلث وثلثه بقوله (قال) أى الزبير (فان فضل) بفتح الضاد المعجمة أى بقى (من مالنا بعد قضاء الدين شىء فثلثه لبنيك)والثلث بضمتين قال الحافظ وضبطه بعضهم بتشديد اللام بصيغة الامر من التثليث وهو أقرب ووقع فى المصابيح للدمامينى وأوصى بالثلث من ثلثه لبنيه قال الدمامينى إنما أوصى بثلث الثلث لبنى ولده عبد الله فالضمير فى بنيه عائد اليه ، ثم بنى عليه استشكال قوله فان فضل فثلثه لبنيك بأن مقتضاه صرف الثلث الفاضل لولده عبد الله وسبق منه التصريح بأن الموصى به لهم ثلث الثلث وأجاب بان المراد فان فضل بعد الدين شىء يصرف لجهة الوصية فثلثه لولدك اه والذى شرح عليه الحافظ وأوصى بالثلث وثلثه بالواو (قال عبد الله)ابن الزبير (فجعل يوصينى بدينه ويقول يا بنى إن عجزت)

---

(١) كذا فى نسخ الرياض (رأى) ولا معنى لها وفى نسخة البخارى التى شرح عليها العينى « وأرى » فلعلها الصواب » . ع

عن شىء منه فاستعن عليه بمولاى قال فوالله مادَريت ما أراد حتى قلت ياأبت من مولاك ؟ قال الله ، قال . فوالله ما وقعتُ فى كُربة من دَينه إلا قلت يامولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه . قال : فقتل الزبير ولم يدع دينارا ولا درهما إلا أرضِينَ منها الغابة و إحدى عشرة داراً بالمدينة ودارين بالبصرة ودارا بالكوفة

بفتح الجيم أفصح من كسرها (عن)قضاء (شىء منه فاستعن عليه بمولاى)أى بالله عز وجل وفيه كمال الوثوق بالمولى والاستعانة به فى كل حال (فوالله ما دريت) أى عرفت (ما أراد) أى بقوله استعن عليه بمولاى اذ هو يحتمل ما ذكر أولا ويحتمل ولاء الحلف وولاء العتاقة أى بالذين أعتقهم ونحو ذلك إذ لفظ المولى مشترك بين عدة معان كالناصر وابن العم والمعتق والعتيق والحليف وقدذكرها فى النهاية (حتى قلت) مستفسراً (يا أبت) بكسر التاء الفوقية وفتحها (من مولاك قال الله) أى الله مولاى ، فالخبر محذوف ويجوز أن يكون المبتدأ محذوفا ولفظ الجلالة خبر (قال) عبدالله (فوالله ماوقعت فى كربة) بضم الكاف وسكون الراء الحزن الذى يأخذ بالنفس ويجمع على كرب (من) تعليلية ويحتمل كونها للابتداء (دينه إلا قلت يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه) أى يسهل ما يحصل به القضاء وفيه أن من استعان بمولاه فى الأمور فهو المعان (قالفقتل) بالبناء للمجهول (الزبير ولم يدع) يترك (دينارا ولا درهما إلا أرضين) استثناء منقطع وأرضين بفتح الراء قالهالدمامينى فهو جمع أرض بسكونها جمع تكسير(منها الغابة) بغين معجمة وباء موحدة أرض عظيمة شهيرة من عوالى المدينة ، وقال الحافظ بن حجر كذا وقع فيه منها بالافراد وصوابه منهما وهذا منه يقتضى أن « أرضين » مثنى أرض فيكون بسكون الراء وفتح الضادوبهيتعقبضبطالدمامينى بفتح الراء فان القول ما قالت حذام خصوصا وقد ذكر الدمامينى أنه فى المصابيح لم يجد مايستضىء به فيها مما يضبط به الرواياتللغربة ، وفقدالكتب ، وأرباب الفن . (وإحدى عشرةداراًبالمدينةودارينبالبصرة)بتثليثالموحدةوإسكانالصاد وتحرك بفتحة وبكسرة كما فى القاموس وهو اسم لبلدة مشهورة مصرها عمر بن الخطاب (وداراً بالكوفة) بلدةمعروفة مصرها عمر أيضا قال المصنف فى التهذيب قيل سميت بذلك لاستدارتها تقول العرب رأيت كوفانا وكوفة للرمل المستدير وقيل لاجتماع

ودارا بمصر ، قال : وإنما كان دينه الذى كان عليه ، أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه ، فيقول الزبير : لا ولكن هو سلف إنى أخشى عليه الضيعة

الناس من قول العرب تكوف الرمل إذا ركب بعضه بعضا وقيل لأن طينها خالطه حصى وكل ما كان كذلك فهو كوفة ، قال الحازمى وغيره : ويقال للكوفة كوفان بضم الكاف واسكان الواو وآخره نون وذكر ابن قتيبة فى غريبه : فى كوفان ضم الكاف وفتحها (ودارا بمصر) ممنوع من الصرف على الأفصح الذى جاء به القرآن للعلمية والتأنيث وهى البلد المعروف ، وحدها طولا من برقة التى فى جنوب البحر الرومى الى أيلة وعرضا من مدينة اسوان وما سامتها من الصعيد الأعلى الى رشيد وماحاذاها من مساقط النيل فى البحر الرومى سميت بذلك باسم من سكنها أولا مصر بن ينصر بن سام بن نوح . ثم بعد بيان مخلفات أبيه المستبعد بل المحال لولا اعانة الله برفع أسعارها قضاء ذلك الدين الكثير الذى عليه من ذلك . استأنف مبينا لوجه دين الزبير ولجمع ذلك القدر الذى عليه بقوله (وإنما كان دينه الذى كان عليه أن) بفتح الهمزة (الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير لا) أى لا أستودعه وذلك لما يعلم من نفسه من مزيد الكرم فيخشى أن ينفق لما تعوده من الكرم من المال المودع عنده وان كان مثل ذلك لا يصدر منه لكنه سد الذريعة وقفل الباب من أصله ، وأن ومعمولاها خبر كان الاولى واسم كان الثالثة ضمير يعود للرجل وخبره جملة يأتيه (ولكن هو سلف) بفتح أوليه أى قرض ، وقوله (إنى أخشى عليه الضيعة)أى الضياع جملة مستأنفة استئنافا بيانيا لعدوله عن قبول استيداعه الى استسلافه ، والضياع المتخوف يحتمل أن يكون خشية انفاقه على مستحق لما اعتاده من الكرم كما تقدم وأن يكون باختلاس مختلس أو سرقة سارق فيضيع على صاحبه لعدم ضمان الزبير حينئذ وقد وضعه فى حرز مثله فأراد حفظ مال المستودع واستقراره فى ذمته وقال الحافظ : وكأن غرضه بذلك أنه كان يخشى على المال أن يضيع فيظن به التقصير فى حفظه فرأى أن يجعله مضمونا ليكون أوثق لصاحب المال وأبقى لمروءته زاد ابن بطال وليطيب ربح ذلك المال وروى الزبير ابن بكار أن كلا من عثمان وعبد الرحمن بن عوف ومطيع بن الاسود وأبى العاص ابن الربيع وعبد الله بن مسعود والمقداد بن عمرو أوصى الى الزبير بن العوام

وما ولى إمارة قط ، ولاجباية ولا خراجا ولا شيئا إلا أن يكون فى غزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مع أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم قال عبد الله فحسبت ما كان كان عليه من الدين فوجدته ألفى ألف ومائتى ألف فلقى حكيم بن حزام عبدَ الله بن الزبير فقال : ياابن أخى كم على أخى من الدين فكتمته وقلت : مائة ألف ، فقال حكيم :

(وما ولى إمارة) أى ولاية وهو بكسر الهمزة كذا ضبطه الشيخ زكريا فى تحفة القارى لكن فى مختصر القاموس مصدر أمر علينا إمارة إذاولى مثلث الهمزة اهـ (قط) بفتح القاف وضم الطاء المهملة ظرف لاستغراق النفى فيما مضى (ولا جباية) بكسر الجيم استخراج الأموال من مظانها كما فى النهاية (ولا خراجا) أى خراج أرض فلا ينافى ما رواه الزبير بن بكار قال كان للزبير ألف مملوك يؤدون اليه الخراج وروى مثله يعقوب بن سفيان من وجه آخر (ولا شيئا إلا أن يكون فى غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أومع أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم) قال الحافظ بن حجر مراده أن كثرة ماله ما حصلت من هذه الجهات المقتضية لظن السوء بأصحابها بل كان كسبه الغنيمة ونحوها قال الحافظ هو متصل باسناد الحديث المذكور (قال عبد الله فحسبت) بفتح السين المهملة وبباء موحدة وكان ذلك بعد موته شهيداً (ما كان عليه من الدين فوجدته ألفى ألف ومائتى ألف فلقى حكيم) بالرفع فاعل وهو بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف (ابن حزام) بكسر المهملة وبالزاى وكل ما كان فى قريش فهو بهذا الضبط وما كان رسمه فى نسب الأنصار بهذه الصورة فبفتح أوليه المهملين قال المصنف فى أول شرح مسلم وحزام ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى فهو ابن عم الزبير (عبد الله بن الزبير فقال ياابن أخى) خاطبه بذلك لصغر سنه بالنسبة اليه إذ كان لحكيم من العمر حينئذ نحو مائة عام وعبد الله نحو الأر بعين (كم) استفهامية وتمييزها محذوف أى كم ألفا أو نحو ذلك (على أخى من الدين فكتمته وقلت مائة ألف) قال ابن بطال إنما كتمه لئلا يستعظم حكيم ما استدانه فيظن به عدم الحزم و بعبد الله عدم الوفاء بذلك فينظر اليه بعين الاحتياج اليه فلما استعظم حكيم أمر مائة ألف كما قال عنه (فقال حكيم

والله ما أرى أموالـكم تسع هذه ، فقال عبد الله أرأيتـك ان كانت الفى ألف ومائتى ألف ، قال : ما أراكم تطيقون هذا فان عجزتم عن شىء منه فاستعينوا بى قال : وكان الزبير قد اشترى الغابة بسبعين ومائة وألف فباعها عبـدالله بألف ألف وستمائة الف ثم قام فقـال : من كان له على الزبير شىء فليوافنا بالغابة فأتاه عبدالله بن جعفر وكان له على الزبير أربعمائة الف ، فقال : لعبد الله ، إن شئتم

والله ما أرى) بضم الهمزة أى أظن (أموالـكم تسع هذه) أى الديون ، احتاج عبد الله أن يذكر له الجميع ويعرفه أنه قادر على وفائه (فقال عبد الله أرأيتك) بفتح التاء المثناة الفوقية أى اخبرنى والكاف حرف خطاب أكد به الضمير (إن كانت) أى الديون (ألفى ألف ومائتى ألف) قال ابن بطال ليس فى قوله مائة ألف وكتمانه ما فوقها كذب لأنه اخبار ببعض الواقع وسكوت عن الباقى وهو صادق قال الحافظ لكن من يعتبر مفهوم العدد يراه اخباراً بغير الواقع ولذا قال ابن التين فى كتمان عبـدا لله ما كان على أبيه بعض تجوز اهـ (قال ما أراكم) بضم الهمزة أى أظنكم ويجوز فتحها أى أعتقدكم (تطيقون هذا فان عجزتم عن شىء منـه فاستعينوا بى) قال الحافظ بن حجر روى يعقوب بن سفيان من طريق عبد الله ابن المبارك أن حكيم بن حزام بذل لعبد الله بن الزبير مائة الف اعانة له على وفاء دين أبيه فامتنع فبذل له مائتى الف فامتنع إلى أربعمائة الف ثم قال له لم أرد منك هذا ولـكن تنطلق معى إلى عبدالله بن جعفر فانطلق به وبعبد الله بن عمر يستشفع بهم فلما دخلوا عليه قال أجئت بهؤلاء تستشفع بهم على ؟ هى لك ، قال لا أريد ذلك ، قال فاعطنى بها نعليك هاتين أونحوهما قال لا أريد، قال فهى عليك إلى يوم القيامة قال لا ، قال فحكمك قال أعطيك بها أرضاً فقال نعم فأعطاه فرغب فيها معاوية فاشتراها بأكثر من ذلك (قال وكان الزبير قد اشترى الغابة بسبعين ومائة الف فباعها عبد الله بألف الف وستمائة الف) كأنه قسمها ستة عشر سهما بدليل أنه قال بعد ذلك لمعاوية انها قومت كل سهم بمائة ألف (ثم قام فقال من كان له على الزبير شىء) أى من الدين (فليوافنا بالغابة فأتاه عبد الله بن جعفر) أى ابن أبى طالب (وكان له على الزبير أربعمائة الف فقال لعبد الله) أى ابن الزبير (إن شئتم

تركتها لكم ، قال عبد الله لا ، قال فان شئتم جعلتموها فيما تؤخرون ان أخرتم ، فقال عبد الله : لا ، قال : فاقطعوا لِى قِطعة ، قال عبد الله : لك من هاهنا إلى هاهنا ، فباع عبد الله منها فقضى عنه دَينه وأوفاه و بقى منها أربعة أسهم ونصف ، نقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير وابن زمعة فقال له معاوية . كم قُومت الغابةُ ؟ قال ، كل سهم بمائة ألف . قال : كم

تركتها لكم) أى يا آل الزبير أى ورثته (فقال عبدالله) أى ابن الزبير (لا) أى لا نريد ذلك ، قال فان شئتم جعلتموها فيما تؤخرون) من الديون (إن أخرتم) أى شيئا منها (فقال عبد الله لا فاقطعوا) بفتح الطاء المهملة ووصل الهزة وبقطع الهمزة وكسر الطاء أى اجعلوا (لى قطعة) من الغابة (فقال عبد الله) بن الزبير (لك من ها هنا إلى ها هنا) قال العلقمى فى حاشية الجامع الصغير روى أن ابن الزبير قال لابن جعفر : أحب ألا يحضرنى وإياك أحد فانطلق فمضى معه فأعطاه أرضا خرابا وشيئا لا عمارة فيه وقومه عليه حتى اذا فرغ قال ابن جعفر لغلامه ألق لى مصلى فى هذا المكان فألقاه فى أغلظ موضع فصلى فيه ركعتين وسجد طويلا يدعو فلما قضى ما أراد من الدعاء قال لغلامه احفر فى موضع سجودى فحفر فاذا عين فوارة قد أنبطها فقال له ابن الزبير أقلنى فقال له أما دعائى فقد أجابه الله ولا أقيلك فصار ما أخذه أعمر مما فى ايدى آل الزبير (فباع عبد الله منها) اى الغابة والدور لا من الغابة وحدها لما تقدم أن الدين الفا الف ومائتا الف فانه باع الغابة بألفى الف وستمائة الف (فقضى عنه دينه) الذى كان التزم ابن الزبير بعد موت ابيه (وأوفاه) أصحابه (وبقى منها) أى الغابة (أربعة أسهم ونصف فقدم على معاوية) اى فى خلافته كما جزم به الحافظ ابن حجر وأن ذلك كان بعد مدة انتظار أرباب الديون وما اتصل به من تأخير القسمة لاستبراء بقية من له دين (وعنده عمرو بن عثمان) ابن عفان (والمنذر بن الزبير) بن العوام (وعبد الله بن زمعة) بفتح الزاى وسكون الميم وبعدها مهملة (فقال له معاوية كم قومت الغابة) برفع الغابة فقومت مبنى للمجهول ونصبها مع بنائه للمعلوم (فقال كل سهم) بالرفع والنصب اى قوم او قومت كل سهم (مائة) بالنصب على نزع الخافض اى بمائة (الف قال كم

بقى منها ، قال : أربعة أسهم ونصف ، فقال المنذر بن الزبير : قد أخذت منها سهما بمائة الف ، وقال عمرو بن عثمان : قد أخذت منها سهما بمائة الف ، وقال ابن زمعة قد أخذت منها سهماً بمائة الف ، فقال معاوية : كم بقى منها ، قال سهم ونصف سهم ، قال قد أخذته بخمسين ومائه الف ، قال : وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة الف . فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه ، قال بنو الزبير . أقسم بيننا ميراثنا . قال والله لا أقسم بينكم حتى أنادى بالموسم أربع سنين ألا من كان له على الزبير دَين فليأتنا فلنقضه فجعل كل سنة ينادى فى المَوْسم

بقى منها قال أربعة أسهم ونصف فقال المنـذر قد أخذت منها سهما بمائة الف وقال عمرو بن عثمان قد أخذت منها سهما بمائة الف وقال عبد الله بن زمعة قد أخذت منها سهما بمائة الف فقال معاوية كم بقى) بكسر القاف « منهـا » كما فى نسخة أى الغابة أو السهام الباقية وهو أقرب (قال) أى عبدالله بن الزبير ويحتمل أن يكون غيره (سهم ونصف) أى الباقى ذلك فالمبتدأ محذوف أو بقى منها ذلك فيكون فاعل فعل مقدر (فقال قد أخذته بخمسين ومائة ألف قال) ابن الزبير (وباع عبدالله بن جعفر نصيبه) من السهام فى الغابة (من معاوية بستمائة ألف) فربح مائتى الف (فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه) الذى عرفه وضبطه (قال بنو الزبير) وهم عبد عبد الله وعروة والمنذر وأمهم أسماء بنت أبى بكر وعمر وخالد وأمهما بنت خالد بن سعيد بن العاص ومصعب وحمزة وأمهما الرباب بنت أنيف وعبيدة وجعفر وأمهما زينب بنت بشر وزينب وأمها أم كلثوم بنت عقبة ، وباقى أولاد الزبير ماتوا قبله (اقسم بيننا ميراثنا قال والله لا اقسم بينـكم حتى أنادى بالموسم) بفتح الميم وكسر المهملة وسكون الواو بينهما (أربع سنين ألا) بتخفيف اللام (من كان له دين على الزبير فليأتنا فلنقضه فجعل كل سنة ينادى فى الموسم) أى بقوله من كان له دين على الزبير فليأتنا نقضه ، قال الحافظ ابن حجر ومثل هذا يتوقف على اجازة جميع الورثة وإلا فمن طلب القسمة بعد وفاء الدين الذى وقع العلم به وصمم على ذلك أجيب اليها ولم يتربص به انتظار شىء يتوهم فاذا ثبت دين بعد ذلك استعيد منه بقدره والذى يظهر أن ابن الزبير انما اختار التأخير أربع

فلما مضى أربع سنين . قسم بينهم ودفع الثلث . وكان للزبير أربع نسوة فاصاب كل امرأة الف الف ومائتا ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف »

سنين لأن المدن الواسعة التى يؤتى الحجاز من جهتها اذ ذاك كانت أربعاً اليمن والعراق والشام ومصر فبنى على أن كل قطر لا يتأخر اهله فى الغالب عن اكثر من ثلاثة اعوام فيحصل استيعابهم فى مدة الاربع ومنهم فى طول المدة من يبلغ الخبر من وراءهم من الاقطار واختار الموسم لأنه يجمع الناس من الآفاق (فلما مضى اربع سنين) فيه تجوز لأنه إن عد موسم سنة ست وثلاثين فلم يؤخر ذلك إلا ثلاث سنين ونصفا وإن لم يعده فقد اخر ذلك أربع سنين ونصفا ففيه الغاء الكسر أو جبره (قسم) بعد الدين والوصية (بينهم ودفع الثلث) أى الموصى به (وكان للزبير أربع نسوة) أى مات عنهن وهن أم خالد والرباب وزينب قيل وعاتكة بنت زيد أخت سعيد بن زيد احد العشرة واما اسماء وام كلثوم فكان طلقهما وقيل اعاد اسماء وطلق عاتكة فقتل وهى فى عدته فصولحت عن ربع الثمن بثمانين الفا (فأصاب كل امرأة الف الف ومائتا الف) هذا باعتبار أصل نصيب كل منهن ورد عليهن الباقى من سهم المصالحة اربعمائة الف اقتسمنها بينهن قال الحافظ ابو عبد الله البخارى صاحب الصحيح (فجميع ماله خمسون الف الف ومائتا ألف) قال ابن بطال وعياض وغيرهما هذا غلط فى الحساب قال الكرمانى لأنه إذا كان الثمن أربعة آلاف وثمانمائة ألف فالجميع ثمانية وثلاثون ألف ألف وسبعة آلاف ألف وستمائة ألف وإن اعتبرته مع الدين فهو خمسون ألف ألف وتسعة آلاف ألف وثمانمائة ألف فعلى التقادير كلها الحساب غير صحيح ثم قال الكرمانى قلت لعل الجميع عند وفاته هذا المقدار الذى قاله البخارى ثم زاد من غلة أمواله فى هذه الأربع سنين الى ستين ألف ألف إلا مائتى ألف اه وحاصله أن ما ذكره من نصيب كل من الزوجات باعتبار ما يجمع من غلال الأموال فى السنين الأربع وما ذكره من الجملة باعتبار حالة الموت والله أعلم قال الحافظ بن حجر بعد نقله عن الحافظ شرف الدين الدمياطى وهذا توجيه فى غاية الحسن لعدم تكلفه ولتبقية الرواية الصحيحة على وجهها وقد تلقاه الكرماني فذكره ملخصا ولم ينسبه لقائله ولعله من توارد الخواطر والله أعلم اه قلت رأيت بخط الحافظ نجم الدين بن فهد

رواه البخاوى

﴿ باب تحريم الظلم والأمر برد المظالم ﴾

فى تذكرته نقلا عن خط الدمياطى ما يخالف مانقله عنه فى الفتح ولفظه روى ابن سعد فى الطبقات حديث الزبير هذا بنحو حديث البخارى وطوله غير أنه خالفه فى موضع واحد وهو قوله أصاب كل امرأة من نسائه ألف ألف ومائتا ألف على دينه ووصيته وورثته وإنما يصح قسمتها أن لو كان لكل امرأة ألف ألف فيكون الثمن أربعة آلاف ألف فتصح قسمة الورثة من اثنين وثلاثين الف الف ثم يضاف اليها الثلث ستة عشر الف الف فتصير الجملتان ثمانية وأربعين الف الف ثم يضاف اليها الدين ألفا ألف ومائتا الف فصارت الجملة كلها خمسين الف الف ومائتا الف ومنها تصح ورواية ابن سعد تصح من خمسة وخمسين الف الف ورواية البخارى تصح من تسعة وخمسين الف الف وثمانمائة الف فيجوز أن يكون المراد بقوله فجميع ماله خمسون الف الف ومائتا الف قيمة تركته عند موته لا مازاد عليها بعد موته من غلة الأرضين والدور فى مدة أربع سنين قبل قسمة التركات ويدل عليه ما رواه الواقدى عن أبى بكر بن سبرة عن هشام عن أبيه قال « كان قسمة ما ترك الزبير على أربعين الف الف » وروى ابن سعد عن القعنبى عن ابن عيينة قال « قسم ميراث الزبير على أربعين الف الف » وذكر الزبير بن بكار فى بنى عدى عاتكة بنت زيد زوج الزبير وأن عبد الله بن الزبير بعث اليها بثمانين الف درهم فقبضتها وصالحت عليها ؛ وبين قول الزبير هذا وقول غيره بون بعيد والعجب منه مع سعة علمه وتنقيره عنه كيف خفى عليه توريث آبائه وأحوال تركاتهم اهـ قلت لا عجب فانها صولحت عن ربع الثمن بما دفع اليها لا أن ذلك ربع ثمن مال الزبير حتى يخالف كلام غيره والله أعلم (رواه البخارى) فى أبواب فرض الخمس

﴿ باب تحريم الظلم ﴾

هو لغة وضع الشىء فى غير محله وشرعا التصرف فى حق الغير بغير حق أو مجاوزة الحد (والأمر برد المظالم) بأعيانها إن بقيت فان تلفت فببدلها من مثل فى المثلى والقيمة فى المقوم (الى أصحابها) إن بقوا وإلا فللوارث فان فقد المستحق ولو بانقطاع خبره بحيث أيس من حياته أرسلها لقاض أمين ولو غير قاضى بلده

قال الله تعالى « ماللظَّالِمِينَ من حَمِيم ولا شفيع يُطاع » وقال تعـالى « وما للظَّالِمِينَ مِنْ ولى ولاَ نَصير »

(وأما الأحاديث) فمنها حديث أبى ذر رضى الله عنه المتقدم فى آخر باب المجاهدة .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة

فيما يظهر فان تعذر تصدق بها على الفقراء بنية الغرم إذا وجده كما فى الوديعة أو تركها عنده وبحث الاسنوى أنه يتخير بين وجوه المصالح كلها وهو ظاهر والى ترجيحه يومىء كلام العز بن جماعة وغـيره وزاد أن له التصرف لنفسه من نفسه إن وجد فيه شرطه وعليه يدل كلام الغزالى فى نظيره قال ويجب عليه فيه الاقتصار على الامر الوسط وقيد ابن جماعة ذلك بعلمه بالاحكام الشرعية قال ابن حجر الهيتمى وظاهر أنه غير شرط وانما شرط تصرفه فيه علمه بجواز صرفه اليه وكنفسه عياله الذين تلزمه مؤنتهم

(قال الله تعالى) شأنه عما لا يليق (ما للظالمـين من حميم) قريب مشفق (ولا شفيع يطاع) ولا شفيع يشفع ووضع الظالمين موضع «هم» للدلالة على اختصاص هذا الامر بهم وأنه لظلمهم (وقال تعالى وماللظالمين من ولى ولا نصير) كذا فيما وقفت عليه من نسخ الرياض والتلاوة « والظالمون مالهم من ولى ولا نصير » أى يدعهم الله بغير ولى ولا نصير فى عذابه وفى سورة الحج « وماللظالمين من نصير » فلعل زيادة « من ولى » من قلم الناسخ وتحريف النقلة

(وأما الأحاديث) النبوية (فمنها حديث أبى ذر) جندب بن جنادة الغفارى (المتقدم فى آخر باب المجاهدة) وبه ختم ذلك الباب

(وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم) أى اجتنبوا ظلم العباد ومنهم النفس وظلمها بمنعها حقها أو إعانتها على معصية الله وإطاعتها فيها (فان الظلم ظلمات يوم القيامة) قال القاضى عياض هو على ظاهره

واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »

فيكون ظلمات على صاحبه لايهتدى يوم القيامة بسبب ظلمه فى الدنيا كما أن المؤمن يسعى بنور هو مسبب عن إيمانه فى الدنيا قال تعالى « يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم » اه قيل ويحتمل أن الظلمات هنا الشدائد وبه فسر قوله تعالى « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر » ويحتمل أنها عبارة عن الانكال والعقوبات قال الطيبى قوله على ظاهره يوهم أن قوله ظلمات هنا ليس مجازا بل حقيقة لكنه مجاز لأنه حمل المسبب على السبب فالمراد ظلمات حقيقة مسببة عن الظلم والفرق بين الشدائد والانكال أن الشدائد كائنة فى العرصات قبل دخول النار والانكال بعد دخولها اه وقال ابن الجوزى الظلم يشتمل على معصيتين أخذ حق الغير بغير حق ومبارزة الرب بالمخالفة والمعصية فيه أشد من غيرها لانه لايقع غالبا الا بالضعيف الذى لا يقدر على الانتصار وانما ينشأ من ظلمة القلب لأنه لو استنار القلب بنور الهدى لاعتبر (واتقوا الشح) هو بالشين المعجمة وهى مثلثة والضم أعلى والشح أشد البخل وقيل البخل مع الحرص وقيل البخل فى أفراد الامور والشح عام وقيل البخل بالمال والشح به وبالمعروف (فان الشح أهلك من كان قبلكم) أى من الأمم والهلاك فيه محتمل للهلاك المعنوى والهلاك الحسى ويؤيده قوله (حملهم على أن سفكوا دماءهم) أى قتل بعضهم بعضا كما قتل ذلك الاسرائيلى ابن عمه الذى يرثه استعجالا للارث حتى كشف الله أمره بقصة البقرة ، واستحلوا محارمهم قال المظهرى فى المفاتيح يعنى لحرصهم على جمع المال الحرام يقتل بعضهم بعضا لأخذ أموالهم (واستحلوا محارمهم) أى اتخذوا ماحرم الله من نسائهم حلالا أى فعلوا بهن الفاحشة وأقرب منه أنهم احتالوا إلى بيع ما حرم الله تعالى عليهم أكله كالشحوم جملوها فباعوها ، والصيد يوم السبت حفروا للصيد حفائر لينحبس فيها السمك يومئذ فيأخذوه بعد ، ففيه تقبيح التحليل للحرام بما لم يرد الاذن للتخلص به من الحرام كبيع العينة اخذا من امره صلى الله عليه وسلم بلالا ان يبيع التمر الردىء بالدراهم ويشترى بالدراهم الجيد من التمر ونهاه عن شراء مد جيد بمدين من الردىء

رواه مسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : «لتؤدين الحقوقُ إلى أهلها يوم القيامة حتى يقادَ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»

رواه مسلم

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا نتحدَّث عن حجة الوداع

(رواه مسلم) قال السيوطى فى الجامع الصغير ورواه احمد والبخارى فى الادب وروى قوله «الظلم ظلمات يوم القيامة» البخارى ومسلم والترمذى من حديث ابن عمر مرفوعا

(وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لتؤدين الحقوق) بضم الفوقية وفتح الهمزة وتشديد الدال المفتوحة لاتصال نون التوكيد المباشرة بها فعل مبنى للمجهول واللام فى أوله مؤذنة بقسم مقدر لتأكيد المقام وحذف الفاعل به أى والله ليؤدين الله الحقوق (إلى أهلها) مستحقيها (يوم القيامة حتى) غاية فى ايفاء الحق أى الى أن (يقاد للشاة الجلحاء) بفتح الجيم وسكون اللام بعدها مهملة وبعدها الف ممدودة هى الجماء التى لاقرن لها (من الشاة القرناء) قال المصنف هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة واعادتها كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين وعلى هذا تظاهرت دلائل الكتاب والسنة قال تعالى «واذا الوحوش حشرت» واذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولاشرع وجب حمله على ظاهره قال العلماء وليس من شرط الحشر والاعادة المجازاة والعقاب والثواب وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة اه (رواه مسلم) قال السيوطى فى الجامع الصغير ورواه أحمد والبخارى فى الادب المفرد والترمذى

(وعن) عبد الله (بن عمر) بن الخطاب (رضى الله عنهما قال كنا نتحدث بحجة) بفتح الحاء وكسرها (الوداع) بكسر الواو وفتحها وسميت بذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم ودعهم فيها وتسمى حجة البلاغ لقوله هل بلغت وتسمى حجة الاسلام

والنبى صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ولا ندرى ما حجة الوداع حتى حمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثنى عليه ، ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب فى ذكره وقال : ما بعث الله من نبى

إذلا مشرك فيها قاله ابن النحوى فى التوضيح على الجامع الصغير (والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا) جملة فى محل الحال أى جالس بيننا مستظهرا لا مستخفيا يقال بين أظهرنا وظهرانينا بمعنى بيننا (ولا ندرى) أى نعرف (ماحجة الوداع) أى ماوجه تسميتها به قال فى التوشيح كأنه شىء ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فتحدثوا به وما فهموا أن المراد بالوداع وداع النبي صلى الله عليه وسلم حتى وقعت وفاته بعد ذلك بقليل فعرفوا بذلك وأشار الى ذلك بما تضمنه قوله (حتى حمد الله) بالنصب على المفعولية وتقديمه للاختصاص (رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثنى عليه) يحتمل أن يكون من عطف الرديف وأن يكون من عطف المغاير أى حمد الله باوصاف الكمال وأثنى عليه بتنزيهه عما لا يجوز عليه (ثم ذكر المسيح) بفتح الميم وكسر السين المهملة مخففة وبالحاء المهملة (الدجال) أى المبالغ فى الكذب بادعائه الاحياء والاماته وغيرهما مما يقطع كل عاقل فضلا عن مؤمن بكذبه فيه والمسيح إذا أطلق ينصرف لسيدنا عيسى عليه السلام ويطلق على الدجال لكن مقيداً به كما هنا وقال أبو داود إنه فى الدجال بتشديد السين وفى عيسى بتخفيفها والأول هو المشهور وقيل يقال فى كل منهما بالتشديد والتخفيف ولقب به الدجال قيل لأنه ممسوح العين فان احدى عينيه ممسوحة وقيل لأن أحد شقى وجهه خلق ممسوحا لا عين ولا حاجب فيه وقيل لأنه ممسوح من كل خير أى مبعود (١) ومطرود وعلى كل حال فهو فعيل بمعنى مفعول وقيل بل هو بمعنى فاعل ولقب به لأنه يمسح معظم الأرضين أى يقطعها فى أيام معدودة وقيل إنه بالخاء المعجمة ونسب قائله الى التصحيف وقال ابن دحية فى مجمع البحرين إنه خطأ وقيل إنه مسيح بوزن مسكن بكسر ثالثه وقال أبو عبيدة أظنه بالشين المعجمة كما تنطق به اليهود ثم عرب (فأطنب فى) بيان (ذكره) محذراً من فتنته لعظمها (وقال ما بعث الله) أى أرسل (من نبي) أى رسول إذ هو الذى ينذر قومه ومن مزيدة لاستغراق العموم

---

(١) تراجع اللغة . ع

الا أنذره أمته أنذره نوح والنبيون من بعده وانه إن يخرج فيكم فما خفى عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم ان ربكم ليس بأعور إنه أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم ، قال اللهم .

(إلا أنذر أمته منه) وأعلمهم ببعض أوصافه (أنذره نوح) أى أنذر منه نوح قومه (والنبيون من بعده) أممهم ففيه حذف المفعول وجملة أنذر نوح لتفصيل ماقبلها (وإنه يخرج فيكم) إذ لا أمة بعدكم ولابد من خروجه فاذا لم يخرج فى الأمم السابقة فلم يبق إلا خروجه فى هذه الأمة (فما) شرطية أى فأى شىء (خفى عليكم من) للتبعيض أى بعض (شأنه فليس يخفى عليكم أن ربكم ليس بأعور) أن ومعمولاها فاعل يخفى لكن رأيته مضبوطا بالقلم فى أصل مصحح بكسر الهمزة ولعل الاسناد للجملة أى لا يخفى عليكم مضمون هذا الكلام من انتفاء النقائص عن البارى جل وعز (انه) يعنى الدجال وهى ومعمولاها بدل من أن الأولى أو استئناف قاله الكرمانى (أعور عين اليمنى) بالجر من إضافة الموصوف الى صفته وتأويله عند البصريين أعور عين صفحة وجهه اليمنى (كأن عينه عنبة) بكسر العين وفتح النون والموحدة لا يخفى مافيه من المحسن البديعى وهو الجناس الخطى المسمى بالجناس المصحف ومنه حديث « إرفع إزارك فانه أتقى وأبقى وأنقى » (طافية) بلا همز أى بارزة من طفا الشىء يطفو إذا علا على غيره وشبهها بالعنبة التى تقع فى العنقود بارزة عن نظائرها (ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح ليتنبه لما بعده (إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم) يقدر فى الأول سفك وفى الثانى أخذ لأن الذوات لا تحرم (كحرمة يومكم هذا) أى يوم النحر (فى بلدكم هذا) أى حرم مكة ، قيل المشبه به أخفض رتبة من المشبه وهو خلاف القاعدة والجواب أن تحريم اليوم والبلد كان ثابتا فى نفوسهم مقررا عندهم بخلاف الأنفس والأحوال فكانت الجاهلية تستبيحها فورد التشبيه كما هو مقرر عندهم ومناط التشبيه ظهوره عند السامع (ألا) بتخفيف اللام (هل بلغت) والمستفهم منه الأمة الحاضرون وحذف المفعول ليعم أى هل بلغتكم ماأمرت بابلاغه اليكم (قالوا نعم قال اللهم) أى يا الله فحذف حرف النداء وعوض منه الميم المشددة هذا هو

اشهد ، ثلاثا ويلكم أو ويحكم انظروا لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .

الصحيح كما تقدم (اشهد) على شهادتهم بالتبليغ اليهم كيلا ينكر منكر ذلك يوم القيامة (ثلاثا) أى قاله ثلاث مرات وكان صلى الله عليه وسلم يكرر ما يحتاج للتكرير ثلاثا كما جاء فى الصحيح وكان إذا تكلم بكلام أعاده ثلاثا ليفهم عنه (ويلكم) بفتح الواو وسكون التحتية وفتح اللام قال فى الصحاح ويل كلمة مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب يقال ويله وويلك وتقول ويل لزيد فالنصب على إضمار الفعل قال فى مادة « ويح » كأنك قلت ألزمه الله ويلا ويحا أو نحو ذلك والرفع على الابتداء هذا اذا لم تضف فان أضفت فليس إلا النصب لانك لو رفعته لم يكن له خبر اه (أو) شك من الراوى أى أو قال (ويحكم) وفى الصحاح أيضا ويح كلمة رحمة وويل كلمة عذاب قال اليزيدى هما بمعنى واحد (انظروا ألا ترجعوا) أى لا تصيروا قال ابن مالك فى توضيحه : مما خفى على أكثر النحاة استعمال رجع كصار معنى وعملا ومنه هذا الحديث أى لا تصيروا (بعدى كفارا) أى كالكفار فهو تشبيه أو من باب التغليظ فهو مجاز والمراد معناه اللغوى وهو التستر بالاسلحة وفيه عشرة أقوال حكاها السيوطى وحكاها عنه تلميذه العلقمى فى آخر حاشيته على الجامع الصغير ، والأولى أنه على ظاهره وأنه نهى عن الارتداد وأوله الخوارج بالكفر الذى هو الخروج عن الملة إذ كل معصية عندهم كفر (يضرب بعضكم رقاب بعض) قال القاضى عياض الرواية بالرفع كذا رواه المتقدمون والمتأخرون وهو الصواب وبه يصح المقصود هنا وضبطه بعض العلماء بالسكون وهو إحالة للمعنى والصواب الضم اه وفى شرح المشارق لابن ملك يضرب بالرفع فيه وجوه ، أحدها أن تكون الجملة صفة للكفار أى لا ترجعوا بعدى كفارا متصفين بهذه الصفة يعنى يضرب بعضكم رقاب بعض ، الثانى أن يكون حالا من ضمير لا ترجعوا أى لا ترجعوا كفارا حال ضرب بعضكم رقاب بعض ، فعلى الاول يجوز أن يكون المعنى لا ترجعوا بعدى عن الدين فتصيروا مرتدين مقاتلين يضرب بعضكم بعضاً بغير حق على وجه التحقيق وأن يكون المعنى لا ترجعوا كالكفار المقاتل بعضهم بعضا على وجه التشبيه بحذف اداته ، وعلى الثانى يجوز أن يكون معناه لا تكفروا حال ضرب بعضكم رقاب بعض

رواه البخارى وروى مسلم بعضه

وعن عائشة رضى‌الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من ظلم قيدَ شبر من الأرض طوّقه من سبع أرضين »

لامر يعرض بينكم باستحلال القتل بغير حق وأن يكون المعنى لا ترجعوا حال المقاتلة كالكفار فى تهييج الشر وإثارة الفتن بغير اشفاق منكم بعضكم على بعض فى ضرب الرقاب وروى بجزم الباء على أنه بدل من ترجعوا ومعناه لا يضرب بعضكم رقاب بعض كفعل الكفار ويجوز أن يكون جزاء لشرط مقدر على مذهب الكسائى أى فان رجعتم يضرب بعضكم رقاب بعض اه وقريب منه قول مغلطاى من جزم ، أوله على الكفر ، ومن رفع لا يجعله متعلقا بما قبله بل حالا أو مستأنفا (رواه البخارى) بجملته فى كتاب المغازى من حديث ابن وهب عن عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه محمد بن زيد عن جده عبد الله ابن عمر ورواه مختصراً فى مواضع أخر منه من طرق أخرى (وروى مسلم بعضه) فى كتاب الايمان وهو عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فى حجة الوداع : « ويحكم أوقال ويلكم لاترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » قال الحافظ المزى فى الاطراف ورواه أبو داود فى السنة والنسائى فى المحاربة وابن ماجه فى الفتن مختصراً اه

(وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ظلم قيد) بكسر القاف وسكون التحتية وبالدال المهملة أى قدر (شبر من أرض) وذكر الشبر إشارة الى استواء القليل والكثير فى الوعيد المدلول عليه بقوله (طوقه) بالبناء للمجهول أى طوقه الله (من سبع أرضين) بفتح الراء ويجوز اسكانها قال الخطابى قوله طوقه له وجهان « أحدهما » أن معناه كلف نقل ماظلم منها فى القيامة إلى المحشر ويكون كالطوق فى عنقه لا انه طوق حقيقة « والثانى » أن معناه أنه يعاقب بالخسف الى سبع أرضين فيكون كل أرض فى تلك الحالة طوقا فى عنقه اه قال الحافظ ابن حجر ويؤيد الثانى رواية ابن عمر فى البخارى بلفظ « خسف به الى سبع أرضين » وقيل معناه كالاول لكن بعد أن ينقل جميعه يجعل كله فى عنقه طوقا ويعظم قدر عنقه حتى يسع ذلك كما ورد فى غلظ جلد الكافر ونحو ذلك

متفق عليه

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يُمْلى للظالم فإذا أخذه لم يُفْلته — ثم قرأ : وكذلك أخْذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة » ،

ويحتمل وهو الوجه الرابع أن المراد بقوله طوقه أن يكلف أن يجعل له طوقا ولا يستطيع ذلك فيعذب بذلك كما جاء فى حق من كذب فى منامه كلف أن يعقد بين شعيرتين ويحتمل وهو الوجه الخامس أن يكون التطويق تطويق الاثم والمراد أن الظلم المذكور لازم له فى عنقه ومنه قوله تعالى « ألزمناه طائره فى عنقه » وبالوجه الأول جزم أبو الفتح القشيرى وصححه البغوى ويحتمل أن تتنوع هذه الصفات لصاحب هذه الجناية أو تنقسم أصحاب هذه الجناية فيعذب بعضهم بهذا وبعضهم بهذا بحسب قوة المفسدة وضعفها اه (متفق عليه) قال السيوطى فى الجامع الصغير أخرجه الشيخان وابن ماجه عن عائشة وعن سعيد بن زيد اه وذكره المزى فى الاطراف من حديث سعيد بن زيد وقال أخرجه البخارى فى المظالم ولم يذكر مسلما وابن ماجه فيمن خرجه والله أعلم

(وعن أبى موسى) الاشعرى (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يملى) بضم التحتية أى يمهل (للظالم) ولا يعاجله بالعقوبة (فاذا أخذه) أى عاقبه بذنبه (لم يكد يفلته) أى لم يكد يخلصه أى اذا أهلكه لا يرفع عنه الهلاك أبدا أى إن كان كافرا ، فان حمل الظلم على أعم من الشرك حمل كل على ما يليق به قال فى الفتح وهذا أولى من قول بعضهم معنى « لم يفلته » لم يؤخره لانه يتبادر منه أن الظالم اذا صرف عن منصبه وأهين لا يعود الى غيره والمشاهد فى بعضهم بخلاف ذلك والأولى حمله على ما ذكرناه اه وقريب منه قول الكرمانى لم يفلته لم يخلصه لكثرة مظالمه والنفى على التأبيد ان كان منها الكفر وان كان مؤمناً لم يخلصه مدة طويلة وفى رواية لم يفلته بحذف يكد (ثم قرأ) مستدلا لذلك قوله تعالى (وكذلك) أى مثل الأخذ المذكور فى الآى قبلها (أخذ ربك) قال البيضاوى وقرئ أخذ بالفعل فيكون محل الكاف أى التى فى قوله وكذلك النصب على المصدر (إذا أخذ القرى) أى أهلها (وهى ظالمة) حال من القرى

إن أخذَه أليم شديد » متفق عليه

وعن معاذ رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « إنك تأتى قوما من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لاإله إلا الله وأنى رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك

وهى فى الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت مقامه أجريت عليها وفائدتها الاشعار بأنهم أخذوا لظلمهم وإنذار كل ظالم لنفسه أو غيرها من وخامة الظلم (إن أخذه أليم شديد) موجع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة ومحمول على التهديد والتحذير وأجراها المعتزلة على ظاهرها فى سائر العصاة (متفق عليه) ورواه الترمذى وابن ماجه

(وعن معاذ) بضم الميم بعدها عين مهملة ثم ألف بعدها ذال معجمة ابن جبل الأنصارى (رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى أميراً على اليمن وذلك أواخر سنة تسع عند منصرفه من تبوك رواه الواقدى ولم يزل على اليمن الى أن قدم فى عهد عمر فتوجه الى الشام فمات بها فى طاعون عمواس (فقال انك تأتى قوما من أهل الكتاب) يعنى به اليهود والنصارى لأنهم كانوا فى اليمن أكثر من مشركى العرب وأغلب وإنما نبهه على هذا ليتهيأ لمناظرتهم ويعد الأدلة لافحامهم لأنهم أهل علم سابق بخلاف المشركين وعبدة الأوثان (فادعهم) أى أولاً (الى شهادة أن لا إله إلا الله و) الى شهادة (أنى رسول الله فان هم أطاعوك لذلك) أى بالنطق بكلمتى التوحيد قال القرطبى وهذا الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم به معاذاً هو الدعوة قبل القتال التى كان يوصى بها النبى صلى الله عليه وسلم أمراءه وقد اختلف فى حكمها ، وعلى هذا ففى الحديث حجة لمن يقول أول الواجبات التلفظ بكلمتى الشهادة مصدقا بها ، وقد اختلف فى أول الواجبات على أقوال كثيرة والذى عليه أئمة الفتوى ومن بهم المقتدى كمالك وأبى حنيفة وأحمد وغيرهم من السلف أن أول الواجبات على كل مكلف الايمان التصديق الجزمى الذى لا ريب معه بالله ورسله وكتبه وما جاءت به الرسل كيفما حصل ذلك الايمان وبأى طريق اليه يوصل وأما النطق باللسان فمظهر لما استقر فى القلب من الايمان وسبب ظاهر ترتب عليه أحكام الاسلام ولا حجة فى الخبر لمن قال بعدم مخاطبة

فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترُدّ على فقرائهم فان هم أطاعوا لذلك فاياك وكرائم أموالهم ؟

الكفار بالفروع أخذاً من أمرهم بها (١) بعد اطاعتهم الى النطق بالشهادتين لأن ذلك يحتمل أنه انما قدم لكون الايمان شرطا مصححا للأعمال الفرعية لا للخطاب بالفروع إذ لا يصح فعلها إلا بتقدم وجوده ويصح الخطاب بالايمان وبالفروع معا فى وقت واحد وان كانت فى الوجود متعاقبة قال القرطبى وهذا الاحتمال أظهر مما تمسكوا به ولو لم يكن أظهر فهو مساو له فيكون ذلك الخطاب مجملا بالنسبة الى هذا الحكم أو أن النبى صلى الله عليه وسلم إنما رتب هذه القواعد ليبين الأهم فالأهم والله أعلم اه ملخصا (فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى) مجموع (كل يوم وليلة) وإن هنا (٢) وفيما بعد شرطية وهم فاعل فعل محذوف وجوبا دل عليه ما بعده فهو نظير « وإن أحد من المشركين استجارك » فالجواب جملة فاعلمهم (فان هم أطاعوك لذلك) بالاقرار بالوجوب والعزم على فعلها (فاعلمهم ان الله قد افترض عليهم صدقة أى زكاة كما فى رواية مسلم وسميت صدقة لأنها تدل على صدق إيمان باذلها (تؤخذ من أغنيائهم) أى من أموالهم وعند مسلم تؤخذ من أموالكم قال المصنف ويستدل بلفظ من أموالهم على أنه إذا امتنع من دفع الزكاة أخذت من ماله بغير اختياره وهذا الحكم لا خلاف فيه ولكن هل تبرأ ذمته ويجزئه فى الباطن ؟ وجهان لأصحابنا (فترد) وعند مسلم وترد (على فقرائهم) واستدل به مالك على أن الزكاة لا تجب قسمتها على الأصناف المذكورين فى الآية وأنه يجوز للامام صرفها الى صنف واحد من الأصناف المذكورين فى الآية إذا رآها نظرا ومصلحة دينية قاله القرطبى قال ابن دقيق العيد وفيه بحث لاحتمال أن يكون ذكر الفقراء لكونهم الغالب فى ذلك وللمطابقة بينهم وبين الأغنياء (فان هم أطاعوا لذلك فاياك وكرائم أموالهم) منصوب بفعل مضمر لا يجوز اظهاره قال ابن

---

(١) قوله بها أى بالفروع وقوله الى النطق متعلق باطاعة . ع

(٢) أى فى قوله سابقا « فان هم أطاعوك » . ع

واتق دعوةَ المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب »

قتيبة لايجوز حذف الواو والكرائم جمع كريمة أى نفيسة ففيه ترك أخذ خيار المال والنكتة فيه أن الزكاة لمواساة الفقراء فلا يناسب ذلك الاجحاف بمال الأغنياء إلا إن رضوا بذلك (واتق دعوة المظلوم) قال الحافظ ابن حجر أى تجنب الظلم لئلا يدعو عليك المظلوم وفيه التنبيه على المنع من جميع الظلم والنكتة فى ذكره عقب المنع من أخذ الكرائم الاشارة الى أن أخذها ظلم وقال بعضهم واتق عطف على عامل إياك المحذوف وجوبا فالتقدير اتق نفسك أن تتعرض للكرائم أو أشار بالعطف الى أن أخذ الكرائم ظلم ولكنه عمم إشارة الى التحذير عن الظلم مطلقا (فانه) قال القرطبي الرواية الصحيحة بضمير المذكر على أن يكون ضمير الأمر والشأن ويحتمل أنه يعود على مذكر الدعوة فان الدعوة دعاء ووقع فى بعض النسخ أى من مسلم « فانها » بهاء التأنيث وهو عائد على لفظ الدعوة (ليس بينها وبين الله حجاب) أى ليس لها صارف يصرفها ولا مانع والمراد أنها مقبولة وإن كان عاصيا كما جاء فى حديث أبى هريرة عند أحمد « دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه » واسناده حسن وليس المراد أن لله حجابا يحجبه عن الناس قال الطيبي : فقوله اتق دعوة المظلوم تذييل لاشتماله على الظلم الخاص من أخذ الكرائم وعلى غيره وقوله « فانه » تعليل للاتقاء وتمثيل للدعاء كمن يقصد دار السلطان مظلوما فلا يحجب قال ابن العربي إلا أنه وإن كان مطلقا فهو مقيد بالحديث الآخر « ان الداعى على ثلاث مراتب إما أن يعجل له ماطلب وإما أن يذخر له أفضل منه ، وإما أن يدفع عنه من السوء مثله » وهذا كما قيد مطلق قوله تعالى « أمن يجيب المضطر إذا دعاه » بقوله « فيكشف ماتدعون اليه إن شاء »

« فائدة » لم يقع فى الحديث ذكر الصوم والحج مع أن بعث معاذ كان أواخر الأمر كما تقدم قال الحافظ ابن حجر العسقلانى نقلا عن شيخه شيخ الاسلام يعنى سراج الدين البلقينى إذا كان الكلام فى بيان الأركان لم يخل الشارع منها بشىء كحديث ابن عمر « بنى الاسلام على خمس » أما اذا كان فى الدعاء الى الاسلام اكتفى بالأركان الثلاثة الشهادة والصلاة والزكاة ولو كان بعد وجوب فرض الصوم والحج كقوله تعالى « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة » فى الموضعين من

متفق عليه

وعن أبى حُميد عبد الرحمن الساعدى رضى الله عنه قال « استعمل النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد

« براءة » مع أن نزولها بعد فرض الصوم والحج قطعا وكحديث ابن عمر « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » وغير ذلك من الأحاديث قال والحكمة فى ذلك أن الأركان الخمسة اعتقادى وهو الشهادة ، وبدنى وهو الصلاة ، ومالى وهو الزكاة ، فاقتصر فى الدعاء الى الاسلام عليها ليفرع الركنين الآخرين عليها فان الصوم بدنى محض والحج بدنى مالى وأيضا فكلمة الاسلام هى الأصل وهى شاقة على الكفار والصلوات شاقة لتكررها والزكاة شاقة لمافى جبلة الانسان من حب المال فاذا أذعن لهذه الثلاثة كان ماسواها أسهل عليه بالنسبة اليها اه (متفق عليه) فأخرجه البخارى فى كتاب الزكاة وفى التوحيد وفى مواضع أخر من صحيحه بأسانيد وأخرجه مسلم فى كتاب الايمان وأخرجه أبو داود فى كتاب الزكاة وأخرجه الترمذى فى الزكاة بتمامه وفى البر « دعوة المظلوم » حسب وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه فى الزكاة كذا لخص من كتاب الاطراف للمزى

(وعن أبى حميد) بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون التحتية بعدها مهملة (عبد الرحمن الساعدى رضى الله عنه) قال الذهبى فى تجريد الصحابة أبو حميد الساعدى هو عبد الرحمن بن عمرو بن سعد وقيل المنذر بن سعد ، زاد ابن الأثير ابن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج ، زاد المصنف فى التهذيب ابن ساعدة بن كعب بن الخزرج ويقال ابن عمرو بن سعد بن المنذر بن مالك يعد فى أهل المدينة توفى آخر خلافة معاوية روى له عن رسول الله ﷺ مائة وعشرون حديثا اتفق الشيخان على ثلاثة منها وانفرد البخارى بحديث ومسلم بآخر (قال استعمل النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد) قال الحازمى فى عجالة المبتدى والازد اسمه داود ويقال دراء بن الغوث بن مالك بن ردد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان واليه جماع الأنصار وكان أنس بن مالك يقول إن لم نكن من الازد فلسنا من الناس وجاء فى الحديث « الازد جرثومة

يقال له ابن اللتْبيةَ على الصدقة ، فلما قدم قال : هذا لـكم وهذا أهدِى إلى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (أما بعد) فانى استعمل الرجل منكم على العمل مما وَلانى الله فيأتى فيقولُ هذا لـكم وهذا هدية أهديت إلى ، أفلا جلس فى بيت أبيه أو أمه حتى تأتيَهُ هديته إن كان صادقا !

العرب » وجاء ذكرهم فى غير حـديث والثناء عليهم عن أنس عن النبي صـلى الله عليه وسلم « الأزد أسد الله فى الأرض يريد الناس أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم وليأتين على الناس زمان يقول الرجل ياليتنى كان أبى أزديا ياليتنى كانت أمى أزدية » هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ويقال فيه الأسد بالسين المهملة بدل الزاى اه ملخصـا (يقال له ابن اللتبية) بضم اللام واسـكان المثناة الفوقية بعدها موحدة فتحتية مشددة نسبة لبنى لتب بطن من الأسد قال المصنف فى التهذيب ويقال فيه ابن اللتبية بفتح الفوقية وابن الأتبية بالهمزة واسكان التاء وليسا بصحيحين والصواب الأول واسم هذا الرجل عبد الله كذا فى التهذيب وقال الذهبي فى التجريد يقال اسمه عبد الله (على الصدقة) أى الزكـاة (فلما قدم) بكسر الدال (قال هـذا لكم) معشر المسـلمين (وهذا أهـدى) بالبنـاء للمجهول (الى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر) بكسر الميم وسكون النون وفتح الموحدة من النبر وهو الارتفاع (فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد) بالبناء على الضم أى بعد ما ذكر من الحمـد والثناء (فانى أستعمل الرجل منـكم) أى أجعله (على العمل ممـا) من العمل الذى (ولانى الله) العائد ضمير المفعول محذوف أى ولانيه الله أى جعل لى التصرف فيه من الزكوات والغنائم (فيأتى) أى من عمله (فيقول هذا لكم وهذا هدية أهديت لى) هذا الـكلام المنـكر على العامل ولم يصرح باسم القائل لأن مراده التحذير من مثل ذلك سواء فيه القائل أولا وغيره وهذا من مزيد فضله وحسن خلقه (أفلا جلس فى بيت أبيه أو) قال ابن حجر الهيتمى للشك أو للتنويع (بيت أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا) فى قوله هذا أهدى الى إذ ظاهره أنه أهدى له لذاته وإنما أهدى اليه لولايته عليهم ففيه كما قال العاقولى تعيير له وتحقير لشأنه وتعريض بأنه لولا هذه الولاية لكان فقيراً محتاجا لا يلتفت اليه فالهدية اليه ليست لذاته بل لتوليته عليهم وفى الحديث

والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لَقِيَ الله تعالى يحمله يوم القيامة ، فلا أعرفن أحداً منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تَيْعَرُ — ثم رفع يديه حتى رُؤى بياض إبطيه ، فقال : اللهم هل بَلَّغت » متفق عليه

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت

دليل على حرمة هدايا العمال مطلقا (والله) أتى به تأكيداً للأمر (لا يأخذ أحد منكم) معاشر العمال على الأعمال (شيئا) مما يعطاه وهو عامل (بغير حق إلا لقى الله يحمله يوم القيامة) زاد فى رواية فى الصحيحين « على رقبته » فان قلت الذى فى الآية (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) قلت على الظهور تشمل ماهو قريب منها أو الآية فى أوزار الكافرين وهذا فى أوزار المؤمنين أو ذاك فى مطلق الأوزار وهذا فى عامل الزكاة فقط تمييزاً لها لمزيد قبحها باعتبار أن فيها حقين حقا لله تعالى وحقا للآدمى (فلا أعرفن أحداً منكم لقى الله) حال كونه (يحمل بعيراً له رغاء) بضم الراء وبعدها غين معجمة وبعدها ألف ممدودة صوت الابل يقال رغا يرغو (أو بقرة لها خوار) بضم الخاء المعجمة وتخفيف الواو وآخره راء صوت البقرة (أو شاة تيعر) بمثناة فوقية فمثناة تحتية فعين مهملة مكسورة ومفتوحة ومعناه تصيح ومصدره واليعار هو صوت الشاة وحكمة تلك الأصوات من تلك المحمولات الزيادة فى تحقيره وفضيحته (ثم رفع يديه حتى) غاية لمحذوف أى وبالغ فى الرفع الى أن (رأينا عفرة إبطيه) بضم العين المهملة وفتحها والفاء ساكنة فيهما أى بياضهما الذى ليس بالناصع بل فيه شىء كلون الارض مأخوذ من عفرة الارض وهو وجهها وذلك فى إبطيه إما باعتبار مايرى من البعد أو لوجود شعر بفرض أن ثم شعرا وفى روايات غير هذا الحديث التعبير ببياض إبطيه ولعله باعتبار النظر اليهما من قرب مع عدم الشعر بهما فلا تنافى بين الروايتين قال الحافظ زين الدين العراقى والقول بأن من خصائصه صلى الله عليه وسلم عدم نبات الشعر بابطيه لم يثبت مايدل له ورواية بياض إبطيه معارضة برواية عفرة إبطيه نعم من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن لاريح لابطيه (ثم قال) بعد تمام الرفع الى ماذكر (اللهم هل بلغت متفق عليه) ورواه أبو داود فى الخراج قال المزى فى الاطراف

(وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كانت

عنده مَظلمة لأخيه من عِرْضه أو من شيء فليتحلله منـه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم ، ان كان له عمل صالح أخذ منـه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه ، فحمل عليه » رواه البخارى

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما

عنده مظلمة) بفتح الميم وضم اللام (لأخيه من عرضه) فى محل الحال بيان لمظلمة (أو من شىء) من عطف العام على الخاص فتدخل فيه اللطمة ونحوها وفى رواية الترمذى من عرض أو مال والعرض كما فى الصحاح النفس يقال أكرمت عنـه عرضى أى صنت عنه نفسى وفلان نقى العرض أى برىء من أن يشتم أو يعاب وقد قيل عرض الرجل حسبه اه وقال فى التوشيح : العرض بالكسر موضع المدح والذم من الانسان سواء كان نفسه أو سلفه (فليتحلله منه اليوم) أى فى الدنيا (من قبل ألا يكون) يوجد (دينار ولا درهم) أى يوم القيامة قال العسقلانى وثبت ذلك فى رواية على بن الجعد عن ابن أبى ذئب عن الاسماعيلى (ان كان له) أى لمن عنده المظلمة (عمل صالح أخذ) يحتمل أن يكون بالبناء للفاعل أى صاحب المظلمة وأن يكون بالبناء للمفعول أى أمر الله أن يؤخذ (منـه بقدر مظلمته وان لم تـكن له حسنات) مفهوم الجمع غير مراد أى وان لم تـكن له حسنة إذ من له حسنة داخل فى العمل الصالح فلا يكون من أفراد هذا القسم القسيم لذلك (أخذ) بالبناء للمفعول (من سيئات صاحبه) أى وهو صاحب المظلمة (فحمـل عليه) أى على الظالم (رواه البخارى) قال الحافظ ابن حجر وهـذا الحديث قد أخرج مسلم معناه من وجه آخر وهو أوضح سياقاً من هذا ولفظه « المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة » يعنى الحديث الآتى أواخر الباب ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » لأنه انما يعاقب بسبب فعله وظلمه ولم يعاقب بغير جناية منه بل بجنايته فقوبلت الحسنات بالسيئات على ما اقتضاه عدل الله فى عباده اه

(وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما) قال المصنف العاص أكثر ما يأتى فى كـتب الحديث والفقة بحذف الياء وهى لغة والصحيح الفصيح العاصى باثبات الياء ولا اعتبار بوجودها فى كتب الحديث أو أكثرها بحذفها اه

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى

وقال الهروى فى المرقاة : الأصح عدم ثبوت الياء إما تخفيفا أو بناء على أنه أجوف ويدل عليه ما فى القاموس : الاعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس بن العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص فعليه لا يجوز كتابة العاص بالياء ولا قراءته بها لا وقفا ولا وصلا فانه معتل العين بخلاف ما يتوهمه بعض الناس انه اسم فاعل معتل اللام من عصى فحينئذ يجوز اثبات الياء وحذفها وقفا ووصلا بناء على أنه معتل اللام اه (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال المسلم) أى الكامل الاسلام قال المصنف وليس المراد نفى أصل الاسلام عمن لم يكن بالصفة المذكورة فى قوله (من سلم المسلمون من لسانه ويده) بل هذا كما يقال العلم ما نفع أو العالم زيد أى الكامل أو المحبوب فكله على التفضيل لا الحصر ثم ذكر المسلمين هنا خرج مخرج الغالب لأن محافظة المسلم على كف الأذى عن أخيه أشد ولأن الكفار بصدد أن يقاتلوا وان كان فيهم من يجب الكف عنه والاتيان بجمع التذكير للتغليب فان المسلمات يدخلن فى ذلك وخص اللسان بالذكر لأنه المعبر عما فى النفس واليد لأن أكثر الافعال بها والحديث عام بالنسبة إلى اللسان دون اليد لأنه يمكنه القول فى الماضين والموجودين والحادثين بعد بخلاف اليد نعم يمكن أن يشارك اللسان فى ذلك بالكتابة وإن أثرها فى ذلك لعظيم ويستثنى من ذلك شرعا تعاطى الضرب باليد فى إقامة الحدود والتعازير على المسلم المستحق لذلك وفى التعبير باللسان دون القول نكتة فيدخل فيه من أخرج لسانه على سبيل الاستهزاء وفى ذكر اليد دون غيرها من الجوارح نكتة فيدخل فيها اليد المعنوية كالاستيلاء على حق الغير بغير حق « فائدة » كمال الاسلام والمسلم متعلق بخصال أخر كثيرة وانما خص ما ذكر لما دعا اليه من الحاجة الخاصة (والمهاجر) من الهجر وهو الترك وهو بمعنى المهاجر وان كان لفظ المفاعلة يقتضى وقوع فعل من اثنين لكنه هنا لواحد كالمسافر ويحتمل أن يكون هنا على بابه لان من لازم كونه هاجرا وطنه مثلا أنه مهجور منه ، والهجرة ضربان ظاهرة وهى الفرار بالدين من الفتن وباطنة وهى ترك ما تدعو اليه النفس الامارة بالسوء وهو ما أشار اليه بقوله (من هجر ما حرم

الله عنه » متفق عليه

وعنه رضى الله عنه قال « كان على ثَقَل النبىّ صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كِرْكِرَة ؟ فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فى النار فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلَّها » رواه البخارى

الله) وكأن المهاجرين خوطبوا بذلك لئلا يتكلوا على مجرد التحول من دارهم حتى يمتثلوا أوامر الشرع ونواهيه ويحتمل أن يكون هذا القول وقع بعد انقطاع الهجرة قاله لما فتحت مكة تطييبا لقلب من لم يدرك ذلك أى إن حقيقة الهجرة يحصل لمن هجر مانهى الله عنه فاشتملت هاتان الجملتان على جوامع معانى الكلم والحكم (متفق عليه) قال فى الجامع الصغير ورواه أبو داود والنسائى

(وعنه) أى عن عبد الله بن عمرو (كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم) الثقل بفتح المثلثة والقاف العيال ومايثقل حمله من الأمتعة (رجل يقال له كركرة) قال الحافظ ابن حجر : ذكر الواقدى أنه كان أسود يمسك دابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القتال وروى أبوسعد النيسابورى فى شرف المصطفى أنه كان نوبيا أهداه له هودة بن على الحنفى صاحب اليمامة فاعتقه وذكر البلاذرى أنه مات فى الرق واختلف فى ضبطه فذكر عياض أنه بفتح الكافين وبكسرهما قال النووى انما اختلف فى كافه الأولى أما الثانية فمكسورة اتفاقا وقد أشار البخارى إلى الخلاف فى ذلك (فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فى النار) أى يعذب على معصيته أو المراد هو النار ان لم يعف الله عنه (فذهبوا ينظرون اليه) أى الى السبب الذى قد يحال عليه العذاب (فوجدوا عباءة) قال القاضى عياض فى المشارق العباء ممدود قال ابن دريد العباء كساء معروف والجمع أعبية وقال الخليل العباءة ضرب من الأكسية فيه خطوط سود وأدخله الزبيدى فى حرف الباء وغير المهموز وقال غيره العباءة لغة فيه ويقال كل كساء فيه خطوط فهو عباءة (قد غلها) الغلول هنا الخيانة فى المغنم قال ابن قتيبة : سمى بذلك لأن آخذه يغله فى متاعه أى يخفيه فيه ونقل المصنف الاجماع على أنه من الكبائر قال الحافظ ابن حجر . وفى الحديث تحريم قليل الغلول وكثيره (رواه البخارى) فى كتاب الجهاد وأخرجه ابن ماجه فيه أيضا

وعن أبى بكْرة نُفَيع بن الحارث رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حُرُمٌ . ثلاثٌ متواليات ذو القَعدة وذو الحِجة والمحرم ورجبُ مُضرَ الذى بين جمادى وشعبان ،

(وعن أبى بكرة) بفتح الموحدة وسكون الكاف كنى بذلك لأنه دلى نفسه ببكرة من حصن الطائف لما حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم (نفيع) بضم النون وفتح الفاء وسكون التحتية بعدها مهملة (ابن الحارث رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال) فى خطبة يوم النحر فى حجة الوداع (إن الزمان) هو عند المتكلمين من أهل السنة مقارنة متجدد موهوم لمتجدد معلوم إزالة للابهام من الأول لمقارنة الثانى والمراد بالزمان هنا السنة كما يدل عليه قوله على وجه الاستئناف لبيان ذلك ، السنة اثنا عشر شهراً وإن الزمان (قد استدار) هو « كدار » الطواف حول الشيء والعود إلى الموضع الذى ابتدأ منه وهو المراد من قوله (كهيئته) أى استدارة مثل هيئته وهى صورته وشكله وحالته التى كان عليها (يوم خلق الله السموات والارض) أى النيرين فيهما لأن حقيقة الزمان المشتمل على الأعوام والشهور والأيام انما وجدت من حين خلق النيرين وأما قبل ذلك فالأمر فيه كهو فى الجنة إذ مافيها لا يسمى زمانا أى إن الزمن عاد فى انقسامه إلى الأعوام والعام فى انقسامه إلى الأشهر المعهودة إلى الموضع الذى اختار الله وضعه عليه (السنة اثنا عشر شهرا) جملة مستأنفة كما تقدم لبيان الاستدارة المذكورة (منها أربعة حرم ثلاث) حذف التاء هنا دون أربع تغليبا لليالى هنا وللأيام ثمة أو إيماء الى جواز تأنيث العدد وتذكيره عند حذف المعدود (متواليات) هى (ذوالقعدة) بفتح القاف وقد تكسر وقد يحذف ذو منه ومما بعده (وذوالحجة) بالكسر وقد تفتح (والمحرم) بصيغة المفعول (ورجب مضر) عطف على ثلاث وأضيف الى مضر بوزن عمر وضاده معجمة لأنها كانت تحافظ على تحريمه أشد من سائر العرب (الذى بين جمادى وشعبان) زيادة تأكيد فى بيانه لعظم شأنه وازاحة للريب الحادث فيه من النسيء وانه عاد كما كان بين جمادى وشعبان ، فأشار بهذا الحديث الى بطلان النسيء الذى كانت تفعله العرب فى الجاهلية وذلك أنهم إذا احتاجوا الى

أى شهر هذا ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظَننا أنه سيسميه بغير اسمه ؛ قال « أليس ذا الحجة » قلنا بلى قال « فأى بلد هذا ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال « أليس البلدة الحرام » قلنا بلى ، « فأى يوم هذا » قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، فقال « أليس يوم النحر » قلنا بلى . قال « فان دماءكم

الحرب فى شهر محرم استحلوه وأخروا حرمته للشهر بعده ونادوا بذلك فى قبائل العرب ، وجعلوا حساب الحج تابعاً لذلك ، مثلا إذا احتاجوا للحرب فى رجب جعلوه حلالا وجعلوا شعبان رجبا وبنوا عليه حساب حجهم فاتفق فى ذلك العام الذى وقع فيه حجة الوداع استدارة الزمن على الوضع الأصلى فكان آخر ذلك العام ذا الحجة فى نفس الامر وأول ما بعده المحرم فأشهر صلى الله عليه وسلم هذا الكلام فى هذا المقام فى ذلك الجمع العام إبطالا للنسىء كى يذيع إبطاله ولا يرجع اليه بوجه والراجح أن الاستدارة من سنة فتح مكة ولذا أمر صلى الله عليه وسلم عتابا أن يحج بالناس فى تلك السنة والصديق أن يحج بهم فى السنة التاسعة ولولا ذلك لكان الحج باطلا لوقوعه فى غير زمنه والشارع لا يأذن فضلا عن أن يأمر فى تعاطى نسك باطل والله أعلم (أى شهر هذا) الاستفهام فيه لتقرير حرمة الشهر فى نفوسهم فيصح بناء ما سيذكره عليها (قلنا الله ورسوله أعلم) فيه مراعاة الادب وتوقف عما لا يعلم الغرض من السؤال عنه (فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه) أى توهموا أن طول سكوته لتردده فى وضع اسم مناسب له غير اسمه المشهور يضعه عليه بدله وما ذكر فى الاستفهام وجوابهم فسكت الخ يجرى فى نظيره الآتى (قال أليس) أى اسمه (ذا الحجة) وما قدرناه هو ما يدل عليه السياق (قلنا بلى) أى هو ذو الحجة (قال أى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال أليس) أى هذا المكان (البلدة) وفى نسخة البلد (الحرام) وجه تخصيص مكة بها مع شمولها لسائر البلدان فصار علما عليها بالغلبة الاشارة الى أنها البلدة الجامعة لسائر الفضائل المتفرقة فى غيرها مع زيادات لا توجد فى غيرها (قلنا بلى قال فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم) الفاء فيه فصيحة أى فاذا علمتم ما ذكر

وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحُرْمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستَلقَوْن ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا تَرجعوا بعدى كُفَّارا يضربُ بعضكم رقابَ بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلَعل بعض من يُبْلغه أن يكون

فتيقظوا الى حرم أخرى هى أعظم منها وهى الدماء وما بعدها وتقدم أن وجه التشبيه مع أنها فى الحرمة أفضل من المشبه به كون المشبه به أشهر وتشبيه مالم يشتهر وان كان أفضل بما اشتهر وان كان مفضولا واقع جعل منه قوله صل على محمد كما صليت على ابراهيم ولاحتياج المقام الى التأكيد زاد فيه فأتى بأن المفيدة له وبدأ بالدماء مع أن الأعراض أخطر لأن الابتلاء بها أكثر وخطرها أكبر ومن ثم كان أكبر الكبائر بعد الشرك القتل على الأصح (وأموالكم) قدمها على الاعراض لأن ابتلاء الناس بالجناية فيها أكثر (وأعراضكم) قال فى فتح الاله المراد منه تحريم التعرض للانسان بما يعير أو ينقص به فى نفسه أو أحد من أقاربه بل يلحق به كل من له به علقة بحيث يؤول تنقيصه أو تعييره اليه وهذا أعم من قول النهاية العرض موضع المدح والذم من الانسان سواء كان فى نفسه أو فى سلفه اه ملخصا (عليكم حرام كحرمة يومكم هذا) أى المعصية فيه حال كون اليوم على جهة التجوز (فى بلدكم هذا) وحرمة المعصية بها عظيمة إجماعا انما اختلف فى تضاعفها كالحسنات وعدمه الراجح عدمه كما لا كيفا كما يدل عليه عموم قوله تعالى « ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها » ولامخصص له (فى شهركم هذا) وهو لعظم شرفه تعظم المعصية فيه (وستلقون ربكم) فى الدار الآخرة ناظرين اليه على وجه منزه من الحلول والاتحاد والجهة والتحيز والاحاطة بالذات الاعلى (فيسألكم عن أموالكم) وفى نسخة أعمالكم والنار عن شمائلكم والجنة عن أيمانكم والموازين قد نصبت والصراط قد نصب على متن جهنم والرسل شعارهم يومئذ سلم سلم والشهود الجوارح والحاكم الأعظم قد تجلى وغضب غضبا لم يغضب قبله ولا بعده مثله (ألا)أداة استفتاح فلما حذرتم وبين لكم (لاترجعوا) أى لاتصيروا (بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) تقدم الكلام عليه فى الثالث من أحاديث الباب(ألا ليبلغ) بتشديد اللام وتخفيفها والتبليغ واجب عينا على من انحصر فيه والافكفاية (الشاهد منكم) لما قلته العالم به سماعا أو رواية (الغائب) عنه بان لم يحصل علمه (فلعل بعض من يبلغه) بالبناء للمجهول ونائب فاعله الضمير المستتر والبارز مفعول له ثان أى فلعل المبلغ لجودة فهمه وقوة استعداده وتوجهه لذلك الأمر (أن يكون

أوعى له مِنْ بعضِ مَنْ سمِعَه» ثم قال: «ألا هل بلغت ألا هل بلغت» قلنا: نعم «قال اللهم اشهد * متفق عليه . وعن أبى أمامة إياس بن ثعلبة الحارثى رضى الله عنه

أوعى له) أى افهم لمعناه (من بعض من سمعه) فيستفيد من الخبر الذى يبلغه ويفيد الناس مالا يحصل لمن سمعه منى لا لقصور فهمه عنه بل لاشتغاله عنه بما هو أهم منه من الجهاد الأعظم الذى وقع لأكثر الصحابة بعده صلى الله عليه وسلم فلا يقال كيف يكون فى التابعين أو من بعدهم من هو أعلم من الصحابى(١) وهو صلى الله عليه وسلم كان اذا وقع نظره الكريم للبدوى الجلف صار ينطق بالحكمة لوقته وعدوا ذلك من خصائصه العلية ، ولا يعترض بالمنافقين لان الكلام فيمن لا مانع فيه للتلقى من الحضرة النبوية وأولئك فيهم موانع صيرتهم كالجماد ويمكن أن يقال قد يكون فى المفضول مزية ليست فى الفاضل فنحن وان قلنا بالأصح ان جميع الصحابة أفضل ممن بعدهم يجوز أن يكون عند غير الصحابى من الفهم والاستنباط ما ليس عنده وان كان الصحابى أفضل وأجل بمراتب وهذا أوفق بظاهر قوله فلعل من يبلغه الخ ثم ذكر بعض ثمرات التبليغ ومنها انتشار العلم وعموم النفع به وحفظه على توالى الأزمنة إلى قبيل القيامة كما أخبر به صلى الله عليه وسلم (ثم قال ألا هل بلغت) أى ما أمرت به (ألا هل بلغت) والتكرير للتأكيد (قلنا نعم) أى بلغت الرسالة والامانة فقد بلغ الرسالة والامانة ونصح الامة وكشف الغمة وجاهد فى الله حق جهاده فجزاه الله خير ما جزى نبيا عن أمته ورسولا عن قومه وأفضل على كل ماهو له أهل ثم (قال اللهم اشهد متفق عليه) قال المزى ورواه النسائى زاد الحافظ فى النكت الظراف ورواه أبو داود فى كتاب الحج وابن ماجه فى السنة من سننه اه (وعن أبى أمامة) بضم الهمزة وميمين بينهما ألف (اياس) بكسر الهمزة بعدها تحتية وآخره سين مهملة (ابن ثعلبة) بفتح المثلثة وسكون المهملة وبعد اللام موحدة هذا هو المشهور فى اسمه وقال أبو حاتم الرازى اسمه عبد الله بن ثعلبة ويقال ثعلبة بن عبد الله ذكره المصنف فى شرح مسلم ، الانصارى (الحارثى) أحد بنى الحارث بن الخزرج وقيل إنه بلوى وهو حليف بنى حارثة وهو ابن أخت أبى بردة ابن دينار (رضى الله عنه) قال الذهبى فى التجريد روى له ثلاثة أحاديث قلت: ذكر ابن حزم فى سيرته وابن الجوزى فى المستخرج المليح ، أبا أمامة الحارثى فيمن

(١) فى الاصل «مما روى الصحابى منه» بدل «من الصحابى» وكلاهما خطأ والصواب «بما روى الصحابى منه» . ع

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اقتَطَع حق امرىء مُسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة » فقال رجل : وإن كان شيئا يسيرا يارسول الله . فقال : (وإن قضيباً من أراك)

له حديثان وانفرد مسلم عن البخارى بالرواية عنه فروى له حديث الباب توفى منصرف النبى صلى الله عليه وسلم من أحد فصلى عليه قال ابن الأثير فى أسد الغابة على أن الصحيح أنه لم تكن وفاته مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من أحد وإنما كانت وفاة أمه عند منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر فأراد الخروج معه فمنعه مرضها من شهود بدر ومما يقوى أنه لم يقتل باحد أن مسلما روى فى صحيحه باسناده عن عبد الله بن كعب عن أبى أمامة بن ثعلبة من اقتطع حق مسلم الحديث فلو كان مات بأحد لكان منقطعا أى لأن عبد الله بن كعب لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يخرجه مسلم فى الصحيح اه قال المصنف فى شرح مسلم ولقد أحسن أبو البركات الجزرى المعروف بابن الاثير فى كتاب معرفة الصحابة حيث أنكر هذا القول فى وفاته (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع) أى أخذ (حق امرىء مسلم بيمينه) دخل فيه من حلف على غير مال كجلد ميتة وسرجين وغير ذلك من النجاسات التى ينتفع بها وكذا سائر الحقوق التى ليست بمال كحد القذف ونصيب الزوجة فى القسم والتقييد بالمسلم لايدل على عدم تحريم مال الذمى بل انما يدل على هذا الوعيد المذكور فى قوله (فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة) فاقتطاع مال الذمى حرام لكن لايلزم أن تكون فيه هذه العقوبة العظيمة هذا على مذهب من يقول بالمفهوم أما من لايقول بالمفهوم فلا يحتاج إلى تأويل ثم قوله فقد أوجب الله الخ محمول على المستحل لذلك وقد مات كذلك فانه يكفر ويخلد فى النار ومعناه أنه استحق هذا ويجوز العفو عنه وحرم عليه دخول الجنة أول وهلة مع الفائزين قاله المصنف قال وهذا الوعيد لمن مات قبل التوبة أما من تاب توبة صحيحة فندم على فعله ورد الحق الى صاحبه فقد سقط عنه الاثم (فقال) أى أبو أمامة ويحتمل أن يكون فقال بعض من حضر (وان كان) أى المقتطع (شيئا يسيرا يارسول الله ، فقال) صلى الله عليه وسلم (وان قضيب من أراك) قال المصنف هكذا هو فى بعض الاصول أو اكثرها يعنى وان قضيب بالرفع وفى كثير منها وان قضيبا على أنه خبر كان المحذوفة أو أنه مفعول لفعل محذوف تقديره وان اقتطع اه والأراك شجر معروف يستاك باعواده بل هو أفضل ما يستاك به كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب فضل السواك وما أحسن قول من قال

رواه مسلم . وعن عدى بن عَميرة رضى الله عنه قال (سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من استعملناه منكم على عمل فكتَمنا مِخْيطاً فما فوقه كان غلولا يأتى به يوم القيامة فقام اليه رجل أسود من الأنصار كأنى أنظر اليه فقال يارسول الله اقبل عنى عملك

بالله إن جزت بوادى الأراك * وقبلت أغصانه الخضر فاك
فابعث الى المملوك من بعضها * فاننى والله مالى سواك

(رواه مسلم) قال المزى ورواه النسائى وابن ماجه

(وعن عدى) بفتح أول مهمليه وكسر ثانيهما (ابن عميرة) بفتح العين المهملة وكسر الميم قال المصنف لم يأت هذا الاسم فى الرجال الا بفتح العين وجاء فى النساء بالفتح والضم وعميرة هو ابن فروة بن زرارة أبو زرارة الكندى ذكر له الحافظ المزى فى الاطراف ثلاثة أحاديث انفرد مسلم بالرواية عنه دون البخارى فروى هذا الحديث عنه (رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من استعملناه منكم على عمل) من جمع مال الزكاة أو الغنائم أو نحو ذلك (فكتمنا) بميم مفتوحة والفاعل مستتر يعود الى من ، وأفرده باعتبار لفظها وقوله (مخيطا) بكسر الميم وسكون المعجمة هو الابرة (فما فوقه) فى الصغر وهذا فى الكلام كقولك أتراه قصيراً فيقول القائل أو فوق ذلك أى هو أقصر مما ترى (كان) أى المكتوم المدلول عليه بقوله كتمنا نظير «اعدلوا هو أقرب للتقوى» (غلولا) بضم الغين المعجمة (يأتى به يوم القيامة) يحمله كما تقدم فى أحاديث الباب وفى رواية أبى داود فهو غل يأتى به يوم القيامة قال ابن رسلان الغل الحديدة التى يجمع بها يد الأسير الى عنقه يأتى به يوم القيامة إلى المحشر وهو حامل له كما ذكر مثله فى الغال و يحتمل أن يكون الغل فى يده يوم القيامة فى جهنم وفيه وعيد شديد وزجر أكيد فى الخيانة من العامل فى القليل والكثير وانه من الكبائر العظام اهـ وعلى رواية مسلم ففيه أن ما أخفاه العامل غلول والغلول حرام وإن قل وهو من الكبائر ويجب عليه رده بالاجماع فان كان قد غله من الغنيمة وتفرق الجيش وتعذر إيصال حق كل واحد اليه ففيه خلاف للعلماء فقال الشافعى وطائفة يجب تسليمه للامام كسائر الأموال الضائعة وقال ابن مسعود وابن عباس ومعاوية والحسن والزهرى ومالك والثورى والليث وأحمد والجمهور يدفع خمسه إلى الامام ويتصدق بالباقى (فقام اليه رجل أسود من الأنصار كأنى أنظر اليه) لم أر من ذكر اسمه لا المصنف فى شرح مسلم ولا ابن رسلان فى شرح سنن أبى داود (فقال يارسول الله اقبل عنى عملى) قال ابن رسلان النزول عن العمل الذى هو ولاية لا يحتاج الى قبول بل لو قال عزلت نفسى انعزل

قال ومالك ؟ قال : سمعتك تقول كذا وكذا قال وأنا أقول الآن ، من استعملناه على عمل فليجىء بقليله وكثيره ، فما أوتى منه أخذ وما نهى عنه انتهى » رواه مسلم

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « لما كان يوم خَيبر أقبل نفرٌ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا فلان

فيحمل هذا على الاستئذان فان فيه نوع استشارة (قال ومالك) كذا هو فى الرياض وكذا رأيته فى أصلى من صحيح مسلم بالظرف خبر ما الاستفهامية ، لكن قال ابن رسلان فى سنن أبى داود بعد أن ذكر لفظه وما ذلك اسم إشارة مقرون بكاف الخطاب وقبلها اللام ولفظ مسلم وما ذاك أى بحذف اللام أى وأى شىء لك داع (قال سمعتك تقول كذا وكذا) من ألفاظ الكنايات مثل كيت وكيت ومعناه مثل ذا ويكنى بها عن المجهول وعما لا يراد التصريح به كما فى النهاية وقد تقدم (قال وأنا أقوله الآن من استعملناه منكم على عمل) يدخل فيه القضاء والحسبة وسائر الأعمال (فليجىء بقليله وكثيره) اللام فى فليجىء لام الأمر وهذا كما قال القرطبى يدل على أن العامل لا يقتطع منه شيئا لنفسه أجرة ولا غيرها ولا لغيره إلا أن يأذن له الامام الذى تلزمه طاعته قال ابن رسلان ويدخل فى عموم ما أهدى له لحديث ابن اللتبية إذ لو كان فى بيت أمه لم يهد له وما تحت يده من صدقة فرض ونفل فمتى اقتطع منه شيئا خانه فى أمانته وولايته (فما أوتى) بالبناء المفعول أعطى (منه أخذ) بالبناء للفاعل (وما نهى) بالبناء المفعول (عنه انتهى) بالبناء للفاعل أى امتنع العامل عن أخذه قال ابن رسلان فيذكر العامل الجهات التى قبض منها المال وصفتها فيأخذ ما جاز أخذه ويترك ما لم يجز أخذه بل يرده على دافعه ويفعل ما تقتضيه الشريعة وهذا ما ظهر لى ولم يتكلم عليه النووى ولا القرطبى (رواه مسلم) فى كتاب الجهاد وأبو داود فى كتاب الأقضية

(وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما كان يوم خيبر) يجوز فيها الصرف باعتبار المكان ومنعه باعتبار البقعة وعدم الصرف أكثر فى ألسنة المحدثين وكانت وقعة خيبر سنة ست من الهجرة عقب مرجعهم من الحديبية ثم ما ذكر من أنها خيبر بالمعجمة أولها والراء آخرها هو الصواب وذكر القاضى عياض أن أكثر رواة الموطأ رووه هكذا وأن بعضهم رواه حنين بالحاء المهملة والنون والله أعلم (أقبل نفر) اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة الى العشرة ولا واحد له من لفظه كذا فى النهاية (من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا فلان)

شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كلا إنى رأيتهُ فى النار فى بُرْدَة غَلَّها أوعباءة » رواه مسلم

وعن أبى قتادة الحارث بن رِبْعى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه قام فيهم ، فذكر لهم أن الجهاد فى سبيل الله والايمانَ بالله أفضلُ الأعمال

قال ابن السراج كناية عن اسم يسمى به المحدث عنه خاص غالبا كما تقدم (شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل) يحتمل أن يكون المراد انتهوا فى الذكر ويحتمل أن يكون المراد المرور عليه ميتا والأول أقرب (فقالوا) عنه (فلان شهيد) (فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا) أى انته وانزجر عن هذا القول والحكم له بالشهادة المتضمنة الحكم له بالسعادة الأبدية والمنازل العلية الشاهد بذلك قوله تعالى بل أحياء عند ربهم الآية (إنى رأيته فى النار فى بردة) بضم الموحدة ثوب مخطط (غلها) أى أخذها من الغنيمة قبل أن تقسم (أو) شك من الراوى (عباءة) تقدم فى الباب ضبطها (رواه مسلم) فى كتاب الايمان ورواه الترمذى فى السير من جامعه بنحوه قيل يا رسول الله ان فلانا استشهد قال كلا الحديث وقال حسن صحيح

(وعن أبى قتادة) بالقاف فالمثناة الفوقية (الحارث بن ربعى) بكسر الراء وسكون الموحدة وكسر العين المهملة ابن بلرمة بن خناس بن عبيد بن غنم بن كعب ابن سلمة بن سعد الأنصارى الخزرجى السلمى فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اسمه النعمان (رضى الله عنه) اختلف فى شهوده بدرا وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد كلها أصابه سهم بوجهه يوم ذى قرد فبصق على محله النبى صلى الله عليه وسلم فما ضرب عليه بعد قط ولا قاح ودعا له صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم فقال « اللهم بارك فى شعره وبشره » وفى سفر آخر قال له « حفظك الله كما حفظت نبيه » أخرجه أبو داود ، توفى سنة أربع وخمسين قيل بالمدينة وقيل بالكوفة فى خلافة على فصلى عليه على فكبر سبعا وعن الشعبي أن عليا كبر عليه ستا قال وكان بدريا روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وسبعون حديثا اتفقا منها على أحد عشر وانفرد البخارى بحديثين ومسلم بثمانية (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه) بفتح الهمزة وكسرها كما سبق (قام فيهم) أى خطيبا (فذكرلهم) أى بعد حمد الله والثناء عليه (ان الجهاد فى سبيل الله) أى لاعلاء كلمة الله كما يدل عليه قوله فى سبيل الله (والايمان بالله) والواو لمطلق الجمع فلا يرد ما قد يتوهم من أن محل الاعتبار بصالح العمل تقدم الايمان عليه (أفضل الأعمال) اما بالنظر الى المجموع

فقام رجل فقال يارسول الله أرأيت ان قتلت فى سبيل الله اتكفر عنى خطاياى ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم إن قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غيرَ مدبر — ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف قلتَ ، قال أرأيتَ ان قتلتُ فى سبيل الله أتكفر عنى خطاياى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدّين ،

فهو على اطلاقه وكذا بالنظر الى الافراد بالنظر الى الايمان واما بالنسبة الى الجهاد فبالنسبة الى ذلك الوقت أو هو على تقدير من وهذا يجرى فيما وردفى الحديث انه أفضل الأعمال وهو من أفضلها كالصلاة أول الوقت ونحو ذلك قال القرطبي وانما قرن الجهاد بالايمان هنا فى الأفضلية ولم يجعله من مبانى الاسلام فى حديث ابن عمر لانه لا يتمكن من إقامة تلك المبانى على تمامها وكمالها ولم يظهر دين الاسلام على الاديان كلها الا بالجهاد فكأنه أصل فى اقامته والايمان أصل فى تصحيح المبانى فجمع بين الاصلين فى الافضلية (فقام رجل فقال أرأيت) بفتح التاء أى أخبرنى (إن قتلت) بالبناء للمجهول (فى سبيل الله) أى لاعلاء كلمة الله واستغنى عنه لظهور انما الاعمال بالنيات ولما تقدم (تكفر) مبنى للمجهول والهمزة قبله مقدرة أى أتكفر (عنى خطاياى) يشمل مايتعلق بحق الله وما يتعلق بحق العباد (فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم) بفتح أوليه حرف جواب (ان قتلت فى سبيل الله وأنت صابر) أى على ملاقاة القرن وجراحات السيوف وطعن الرماح وغير ذلك من اتعاب الحرب (محتسب) أى مخلص لله تعالى فاذا قاتل لمعصية أو لغنيمة أو لصيت فلا يحصل له ما ذكر فى الخبر من الثواب ولا غيره (مقبل غير مدبر) أى على وجه الفرار أما لو أدبر ليكر على العدو بعد ، أو ليأتى بالفئة فالظاهر حصول الثواب المذكور ويحتمل على بعد أن ذلك مسقط للاثم لا محصل للاجر والله أعلم وجواب إن الشرطية محذوف اكتفاء بوجوده فى السؤال (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مستدركا للدين ومثله سائر حقوق العباد من عموم كلامه السابق (كيف قلت) أى أيها السائل (قال) أى السائل (قلت أرأيت ان قتلت فى سبيل الله أتكفر عنى خطاياى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وأنت صابر) جملة حالية حذف صاحبها وعاملها لدلالة وجودهما فى الكلام السابق أى ان قتلت وأنت صابر (محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين) قال المصنف فيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين وان الجهاد والشهادة لا تكفر حقوق الآدميين انما تكفر حقوق الله أى الصغائر منها اه قال القرطبي لكن هذا كله اذا امتنع من

فان جبريل قال لى ذلك» رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة . ويأتى وقد شتم هـذا ، وقذف هذا . وأكل مال هذا . وسفك دم هذا . وضرب هذا . فيعطى هذا من حسناته . وهذا من حسناته . فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ

أداء الحقوق مع تمكنه منه وأما اذا لم يجد للخروج من ذلك سبيلا فالمرجو من كرم الله تعالى اذا صدق فى قصـده وصحت توبته أن يرضى عنه خصومه كما قد جاء نصا فى حديث أبى سعيد الخدرى المشهور فى هذا (هكذا قال لى جبريل) قال المصنف يحمل على أنه أوحى اليه به فى الحال (رواه مسلم) فى كتاب الجهاد وكذا رواه الترمذى والنسائى فى كتاب الجهاد وقال الترمذى حسن صحيح ثم هذا الحديث مقدم على الحديث بعده فى نسخة مصححة وفى نسخة أخرى بالعكس

(وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون) أى أتعلمون من الدراية قال البيضاوى هى علم فيه احتيال وخداع (من المفلس قالوا) بحسب ما يعرفونه فيه عرفا (المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع) قال فى النهاية هو كل ما ينتفع به من عروض الدنيا قليلها وكثيرها (فقال) مشيرا الى أن هذا لانقطاع أمور الدنيا ونصبها لا ينبغى أن يعد حقيقة المفلس وقد يزول عنه لعارض من يسار ونحوه (إن المفلس) مفلس الدرجات العلى فى الدار الاخرى (من أمتى) أى أمة الاجابة أى من المؤمنين (من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام) بهذا رد قول سفيان بن عيينة ان وجه اضافة الصوم لله فى حديث الصوم لى أن أصحاب التبعات انما يأخذون من حسنات الظالم حتى يبقى الصيام فعند ذلك يقول الله الصوم لى وأنا أجزى به ويرضى عنه الخصوم (وزكاة) أى وغيرها من عمل البر (ويأتى) عطف على يأتى الأول (وقد شتم هذا) أى سبه كما فى الصحاح (وقذف هـذا) أى رماه بالزنى مثلا (وأكل مال هذا) أى بغير رضاه ومثله سائر الاتلافات بأى وجه كان وخص الاكل لانه أغلب وجوه اتلاف المال (وسفك) أى أهرق (دم هذا وضرب هذا فيعطى هـذا) أى أحد المجنى عليه (من حسناته) أى من ثوابها ويحتمل أن يعطاها بنفسها ويجازى عليها حينئذ وهو مثل ما تقدم فى الحديث السابق فى الباب « ان كان له عمل صالح أخذ منه » (ويعطى هذا) أى الاخر بفتح الخاء (من حسناته فان فنيت حسناته) بأخذ الغرماء لها (قبل أن يقضى ما عليه) من التبعات (أخـذ) بالبناء للمفعول كالمضارع قبله

من خطاياهم فطرحت عليه . ثم طرح فى النار » رواه مسلم . وعن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انما أنا بشر . وانكم تختصمون إلىّ ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحُجَّته من بعض فأقضى له بنحو ما أسمع .

والماضيين بعد (من خطاياهم) أى ذنوبهم وظاهر عمومه يشتمل ما كان متعلقا بالخلق ويحتمل أن يخص ما يتعلق بالحق (فطرحت عليه ثم طرح فى النار) قدر عمله السيء وما طرح عليه (رواه مسلم) قال ابن الرصاع فى كتاب تذكرة المحبين فى شرح أسماء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم قال بعض العارفين عند هذا الحديث انه فيه تشديد وفيه للعقلاء غاية الوعيد فان الانسان قل أن تسلم أفعاله وأقواله من الرياء ومكائد الشيطان وان سلمت له خصلة فقل أن يسلم من أذية الخلق فاذا كان يوم القيامة وقد سلمت له خصلة مع قلة سلامتها طلب خصمك تلك الحسنة وأخذها منك بحكم مولاك عليك له فانه لا مال يوم القيامة تؤدى منه ما عليك بل من حسناتك يا مغبون ان كنت صائما بالنهار قائما بالليل جادا فى طاعة الرحمن وقل أن تسلم من غيبة المسلمين وأذيتهم وأخذ مالهم هذا حال من كان جادا فى الطاعات فكيف من كان مثلنا جادا فى جمع السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير فى الطاعات والاسراع الى المخالفات اهـ

(وعن أم المؤمنين ام سلمة) هند بنت أبى أمية المخزومى (رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما أنا بشر) من الحصر الخاص الذى دلت عليه قرينة الحال قال التوربشتى : وانما ابتدأ الحديث بهذه الجملة تنبيها على أن السهو والنسيان غير مستبعد من الانسان وان الوضع البشرى يقتضى ألا يدرك من الامور الا ظواهرها فان قلت أو لم يكن النبى ﷺ معصوما فى سائر أحواله قلت العصمة تتحقق فيما يعد عليه ذنبا ويقصده قصدا أما ما نحن فيه مما يسمعه من الخصم فيتوهم صدقه فليس بداخل فيه فان الله تعالى لم يكلفه فيما لم ينزل عليه الا ما كلف غيره وهو الاجتهاد فى الاصابة، قال ويدل عليه ما روى فى حديث أم سلمة أى من غير هذا انما أقضى بينكم برأى فيما لم ينزل على (وانكم تختصمون الى ولعل بعضكم أن) قال الطيبى زائدة تشبيها للعل بعسى أى لعله (يكون ألحن) أفعل تفضيل من لحن بالحاء المهملة كفرح اذا فطن بما لا يفطن به غيره أى أفصح أو أفطن (بحجته من بعض) فيزين كلامه بحيث أظنه صادقا فى دعواه (فاقضى له على نحو ما أسمع) قال الراغب اللحن صرف الكلام عن سننه الجارى عليه إما بازالة الاعراب والتصحيف وهو مذموم وذلك أكثر استعمالا وإما بازالته عن التصريح وصرفه بمعناه الى تعريض وفحوى وهو محمود وإياه قصد الشاعر بقوله . وخير الاحاديث ما كان لحنا . ومنه قوله تعالى « ولتعرفنهم فى لحن القول »

فمن قضيت له بحق أخيه فانما أقطع له قطعة من النار » متفق عليه (ألحن) أى أعلم

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه مالم يصب دما حراما » رواه البخارى

ومنه قيل للفطن لما لا تقتضى فحوى الكلام لحن ومنه الحديث « ألحن بحجته » أى ألسن وأفصح وأبين كلاما وأقدر على الحجة قال العاقولى وفى الحديث أنه يجوز عليه ﷺ فى أمور الاحكام ما يجوز على غيره وانه انما يحكم بين الناس بالظاهر وهذا لطف من الله تعالى ليستن الناس به ويبقوا فى ستر من الفضيحة العظمى إذ لو اطلع أحد على الغيب لم يحتج أحد إلى شاهد فى دعواه ولظهر من كل مبطل ما قصده ونواه وهذا انما هو فى الحكم المستند الى الشهادة أما الاحكام الشرعية فلا يقر على ما أمله أن يقع فيه الخطأ منها بخلاف الاول لأنه لا يسمى خطأ انما يسمى حكما بالظاهر لم يوافق الباطن وهو صحيح لكونه مبنيا على القاعدة الشرعية لكونه مرتبا على شهادة الشاهدين (فمن قضيت له بحق أخيه) لظاهر بيانه وحجته وهو يعلم انه مبطل فى نفس الأمر فلا يأخذه (فانما أقطع له) أى أعين له بناء على ظاهر الامر (قطعة من النار) أى فهو حرام يؤول به اليها كقوله تعالى « انما يأكلون فى بطونهم ناراً » أى جزاؤه ذلك ان لم يعف الله عنه (متفق عليه) فى الجامع الصغير بلفظ « من قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها » رواه مالك وأحمد والستة عن أم سلمة وفى رواية « فاذا أمرتكم بشىء من رأيى فانما أنا بشر » (ألحن) المذكور فى الحديث (أى أعلم)

(وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يزال المؤمن فى فسحة) بضم الفاء وسكون السين وبالحاء المهملتين أى سعة (من دينه) ورجاء رحمة من ربه وان ارتكب الكبائر (مالم يصب) بضم أوله وكسر ثانيه أى يباشر (دما حراما) فاذا قتل نفسا بغير حق ضاقت عليه المسالك ودخل فى زمرة الآيسين من رحمة الله كما ورد فى حديث أبى هريرة مرفوعا « من أعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة لقى الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله » قيل المراد بشطر الكلمة قول أف وهو من باب التغليظ (رواه البخارى) وروى أبو داود عن أبى الدرداء عن رسول الله ﷺ « لا يزال المؤمن معنقا - بكسر النون بعد العين المهملة أى مسرعا - فى صالح عمله مالم يصب دما حراما فاذا أصاب دما حراما تلج » وفى الجامع الصغير وروى الطبرانى عن قتادة بن عياش مرفوعا (لن يزال العبد فى فسحة من دينه مالم يشرب الخمر فاذا شربها خرق الله عنه ستره وكان الشيطان وليه وسمعه وبصره ورجله يسوقه الى كل شر ويصرفه عن كل مرقاة) قال الهروى فى المرقاة

وعن خولة بنت ثامر الأنصارية وهى امرأة حمزة رضى الله عنهما قالت . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن رجالا يتخوَّضُونَ فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة» رواه البخارى

وهذا يدل على أن المراد الانتهاء عن الكبائر مطلقا وخص فى كل موضع ما ذكر فيه لأمر يقتضيه اه

(وعن خولة) بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو ويقال لها خويلة (بنت ثامر) بالمثلثة وكسر الميم (الأنصارية وهى) أم محمد (امرأة حمزة) بن عبد المطلب (رضى الله عنه وعنها) وفى نسخة عنهما بضمير التثنية وهى أخصر ، قال المزى فى كتاب الاطراف : خولة بنت قيس بن قهد بالقاف ابن قيس بن ميسر بن ثعلبة الأنصارية وقيل امرأة حمزة خولة بنت ثامر الخولانية وقيل إن ثامرا لقب قيس بن قهد قال على بن المدينى خولة بنت قيس هى خولة بنت ثامر قلت وبذلك قال أبو عمرو قال ابن الأثير وقد ذكر ترجمة خولة بنت ثامر وأورد فيها حديث الباب وترجمة خولة بنت قيس بن قهد بن قيس بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الانصارية النجارية زوج حمزة تكنى أم محمد وقيل ان امرأة حمزة خولة بنت ثامر وقيل ان ثامرا لقب لقيس بن قهد والأول أصح قاله أبو عمرو وتكنى أم محمد وقيل أم حبيبة وصحفه ابن منده بأم صبية قتل عنها حمزة يوم أحد فخلف عليها النعمان بن عجلان الانصارى الزرقى ثم قال ابن الأثير قلت ما أقرب أن يكون ثامر لقب قيس بن قهد فان الحديث فى الترجمتين واحد وهو ان هذا المال حلوة خضرة والله أعلم اه ونقل الحافظ فى فتح البارى قول من فرق بينهما وقول ابن المدينى السابق قال ابن الجوزى فيمن له ثمانية أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خولة بنت قيس وقال فى رواية الصحيحين من الصحابة انفرد البخارى بخولة بنت ثامر روى عنها حديثا واحدا (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن رجالا يتخوضون) بالخاء والضاد المعجمتين أى يتصرفون (فى مال الله بغير حق) أى يتصرفون فى أموال المسلمين بالباطل ، ففيه أن التصرف فيها لا يجوز بمجرد التشهى (فلهم النار يوم القيامة) قال الحافظ فى الفتح هذا حكم مرتب على الوصف المناسب وهو الخوض فى مال الله ففيه إشعار بالعلية (رواه البخارى) ورواه الترمذى من حديث خولة بنت قيس وزاد أوله « إن هذا المال خضرة حلوة من اصابه بحقه بورك له فيه ، ورب متخوض فيما شاءت به نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة الا النار » قال الترمذى حسن صحيح :

تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث وأوله « باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم »

﴿ فهرس الجزء الثانى من شرح رياض الصالحين ﴾

صفحة

صفحة

﴿ تم الفهرس ﴾